

أشعار خارجة على القانون

نزار قباني

منشور سري جداً

العالم عشق .. فاتحدوا يا أهل العشق

ما زال أبو لهب يتمطى فوق وسائد هذا الشرق

يتسلى في قص الحلقات ..

وقطع الثدي ، وضرب العنق

فتلاقوا مثل مياه البحر ، وفيضوا مثل نهور العشق

وافترشوا أوراق الصفصاف ، وناموا في أجفان البرق

فأنا ما زلت أقول لكم :

لا شيء سيبقى إلا العشق ..

لا شيء سيبقى إلا العشق ...

بلاغ شعري رقم 1

إيّاك أن تتصوّرني

أني أفكر فيك

تفكير القبيلة بالثريد

وأريد أن تتحوّلي حجراً أطارحه الهوى

وأريد أن أمحو حدودك في حدودي

أنا هاربٌ من كلّ إرهابٍ

يمارسه جدودك أو جدودي

أنا هاربٌ من عصر تكفين النساء

ومن عصر تقطيع النهود

فضعي يديك كنجمتين في يدي

فأنا أحبكِ كي أَدافع عن وجودي

*

إياكِ أن تتخيلي أنني أفتشُ

عن مغامرة وعن أسلابٍ وعن غزوٍ جديدٍ

أو أن تحسبي

أني سأحكم في الفراش بمفردي

لا فرق عندي إن أردتِ ولم تريدي

لا أنتِ من صنف العبيد

ولا أنا أهتمُّ في بيع العبيدِ

إني أحبكِ جدولاً وحمامةً

ونبوءةً تأتي من الزمن البعيدِ

وقصيدةٌ وعدت ولم تحضر

ومكتوباً غرامياً يزقزقُ في بريدي

وأنا أحبكِ في طموح البحر

وفي غزل الرعودِ مع الرعودِ

وأنا أحبكِ في احتجاج الغاضبين

وفي فرحة الأحرار في كسر القيودِ

وأنا أحبكِ في وجوه القادمين

لقتل هارون الرشيدِ

هل تصبحين شريكتي

في قتل هارون الرشيدِ

محاكمة غير شرعية

إذا كانت مكاتبي الغرامية

تشكل أي عدوان على أحد ..

إذا كانت مكاتبي الغرامية ..

بثورتها ..

وجراتها ..

ونبرتها الطفولية

ستقلب حولك الدنيا

وتقتل ألف درويش ..

وتشعل ألف معركة صليبية ..

فلا تستعربي أبدا ..

أيا عصفورة الصيف الرمادية

إذا أبصرتِ أوراقي ..

معلقة على بوابة المدن النحاسية

فإن الحب تحكمه سيوفُ الإنكشارية

ولا تستغربي أبدأ ..

إذا اغتالوا أزاهيري ..

فهذا العصر يؤمن بالأزاهير الصناعية ..

ولا تبكي علي إذا أدانوني

وقالوا عن كتاباتي: إباحية

فكل محاكم العشاق في وطني

محاكم غير شرعية ...

بيروت والحب والمطر

انتقي أنت المكان

أي مقهى، داخل كالسيف في البحر،

انتقي أي مكان

إنني مستسلم للبعج البحري في عينيك،

يأتي من نهايات الزمان

عندما تمطر في بيروت

أحتاج إلى بعض الحنان

فادخلي في معطفي المبتل بالماء

ادخلي في كنزة¹ الصوف

¹ الكنزة هي البلوفر أو الجيرس عندنا في مصر.

وفي جلدي .. وفي صوتي

كلي من عشب صدري كحصان

هاجري كالسمك الأحمر

من عيني إلى عيني

ومن كفي إلى كفي

ارسمي وجهي على كراسية الأمطار، والليل ،

وبلور الحوانيت، وقشر السنديان

طارحيني الحب .. تحت الرعد ، والبرق

وإيقاع المزاريب

امنحيني وطناً في معطف الفرو الرمادي

اصلبيني بين نهديك مسيحاً ..

عمدني بمياه الورد .. والآس .. وعطر البيلسان ..

عانقيني في الميادين

وفوق الورق المكسور

ضميني على مرأى من الناس

ارفضي عصر السلاطين

ارفضي فتوى المجاذيب

اصرخي كالدُّب في منتصف الليل..

انزفي كالجرح في الثدي ..

امنحيني روعة الإحساس بالموت

ونعمى الهديان

عندما تمطر في بيروت

تنمو لكآباتي غصون، ولأحزاني يدان

فادخلي في كنزة الصوف .. ونامي

نحن تحت الماء يا نخلة روجي .. نخلتان

ليس في ذهني قرار واضح

فخذيني حيثما شئت

اتركيني حيثما شئت

اشترى لي صحف اليوم .. وأقلام رصاص

ونبيذا .. ودخان

هذه كل المفاتيح .. فقودي أنت

سيري باتجاه الريح والصدفة

سيري في الزواريب التي من غير أسماء

أحبيني قليلا..

واكسري أنظمة السير قليلا..

واتركي لي يدك اليمنى قليلا

فذراعاك هما بر الأمان

ليس للحب بيروت خرائط

لا ولا للعشق في صدري خرائط

فابحثي عن شقة يطمرها الرمل

ابحثي عن فندق لا يسأل العشاق عن أسمائهم

سهريني في السرايب التي ليس بها

غير مغن وبيان

قرري أنت إلى أين

فإن الحب في بيروت

مثل الله في كل مكان

شكرا

شكرا لحبك..

فهو معجزتي الأخيرة..

بعدهما ولى زمان المعجزات.

شكرا لحبك..

فهو علمني القراءة، والكتابة،

وهو زودني بأروع مفرداتي..

وهو الذي شطب النساء جميعهن .. بلحظة

واغتال أجمل ذكرياتي..

شكرا من الأعماق..

يا من جئت من كتب العبادة والصلاة

شكرا لخصرك، كيف جاء بحجم أحلامي،

وحجم تصوراتي

ولوجهك المهندس كالعصفور،

بين دفاتري ومذكراتي..

شكرا لأنك تسكنين قصائدي..

شكرا...

لأنك تجلسين على جميع أصابعي

شكرا لأنك في حياتي..

شكرا لحبك..

فهو أعطاني البشارة قبل كل المؤمنين

واختارني ملكا..

وتوجني..

وعمدني بماء الياسمين..

شكرا لحبك..

فهو أكرمني، وأدبني ، وعلمني علوم الأولين
واختصني، بسعادة الفردوس ، دون العالمين

شكرا..

لأيام التسكع تحت أقواس الغمام، وماء تشرين الحزين

ولكل ساعات الضلال، وكل ساعات اليقين

شكرا لعينيك المسافرتين وحدهما..

إلى جزر البنفسج ، والحنين..

شكرا..

على كل السنين الذاهبات..

فإنها أحلى السنين..

*

شكرا لحبك..

فهو من أغلى وأوفى الأصدقاء

وهو الذي يبكي على صدري..

إذا بكت السماء

شكرا لحبك فهو مروحة..

وظاؤوس .. ونعناع .. وماء

وغمامة وردية مرت مصادفة بخط الاستواء...

وهو المفاجأة التي قد حار فيها الأنبياء..

شكرا لشعرك .. شاغل الدنيا ..

وسارق كل غابات النخيل

شكرا لكل دقيقة..

سمحت بها عيناك في العمر البخيل

شكرا لساعات التهور، والتحدي،

واقطفاف المستحيل..

شكرا على سنوات حبك كلها..

بخريفها، وشتائها

وبغيمها، وبصحوها،

وتناقضات سمائها..

شكرا على زمن البكاء ، ومواسم السهر الطويل

شكرا على الحزن الجميل ..

شكرا على الحزن الجميل ..

خربشات طفولية

خطيئتي الكبيرة الكبيرة

أني ، يا بحرية العينين ، يا أميرة

أحب كالأطفال

وأكتب الشعر على طريقة الأطفال

فأشهر العشاق يا حبيبي

كانوا من الأطفال

وأجمل الأشعار ، يا حبيبي

ألفها أطفال

خطيئتي الأولى وليست أبدا خطيئتي الأخيرة

أني أعيش دائما بحالة انبهار

وأني مهياً للعشق يا حبيبتي

على امتداد الليل والنهار

وأن كل امرأة أحبها

تكسرنني عشرين ألف قطعة

تجعلني مدينة مفتوحة..

تتركني وراءها غبار

خطيئتي ...

أني أرى العالم يا صديقتي

بمنطق الصغار

ودهشة الصغار

وأني أقدر في بساطة

أن أرسم النساء في كراستي

بهينة الأشجار

وأجعل النهدي الذي أختاره

طيارة من ورق

أو زهرة من نار

*

خطيئي

ومن منا بلا أخطاء

أني بقيت مؤمنا بزرقة السماء

وأني أعتبر الأشجار، والنجوم، والغيوم أصدقاء

وأني جعلت قصائدي

عاصمة تحكمها النساء

فأي ثغر مغلق

يقول في مملكتي جميع ما يشاء

وأني نهد خائف ..

يقدر أن يطير أو يحط..في الوقت الذي يشاء

خطيئتي ...

إن كنت تحسبونها خطيئة

أني من طفولتي ...

أبحث عن جنية نائمة بغابة

ومشطها سحابة

خطيئتي ...

أني أظل دائما ..منظرا قصيدة ..

تجيب من شواطئ الغرابة

وأني أدرك يا حبيبتني

كيف يكون الموت في الكتابة

*

خطيئتي ...

أني نقلت الحب من كهوفه

الى الهواء الطلق

وأن صدري صار يا حبيبتني

كنيسة مفتوحة لكل أهل العشق

من الأرشيف

((مع حبي للأبد))

(من خطاب لفلانة)

((مع أشواقى التى ليست تموت ..))

(تحتها توقيع ريم)

((إننى عاشقة حتى النهاية ..))

(صورة مأخوذة بين بنات المدرسة .. وعليها حرف

ميم ..)

((وسأبقى يا حبيبي لك وحدك ..))

(صورة أخرى على البحر عليها حرف سين)

وقضيتُ الليلَ أسترجعُ أوراقِي القديمة

وخطابات الغرام

وتصاویر اللواتي

كُنَ في عُمري كأسراب الحمام

والعبارات التي كانت على قلبي برداً وسلام

وتسليتُ كثيراً

وتبسمتُ كثيراً

وأنا أفتحُ كنزاً عمره عشرونَ عام

أينَ من كُنَ حبيباتي ؟

ومن أرسلنَ لي هذا الكلام ؟

من تزوجنَ تزوجنَ

ومن أنجبنَ ... أنجبنَ

ومن ضعنَ بأعماق الظلام

والخطابات التي أرسلتها
لم تكن إلا ... كلاماً في كلام
والمواثيق التي أعطيتها
كلها طارت ... كأسراب الحمام
آه كم ينقلبُ الإنسانُ في عشرينَ عام

جسمك خارطتي

زيديني عشقاً.. زيديني

يا أحلى نوبات جنوني

يا سفر الخنجر في أنسجتي ..

يا سفر الخنجر في خاصرتي ..

يا غلظة السكين..

زيديني غرقاً يا سيدي

إن البحر يناديني

زيديني موتاً..

علّ الموت، إذا يقتلني، يحييني..

جِسْمُكَ خَارِطِي.. مَا عَادَتِ

خَارِطَةُ الْعَالَمِ تَعْنِينِي..

أَنَا أَقْدَمُ عَاصِمَةَ الْحُزَنِ

وَجُرْحِي نَقَشٌ فَرَعُونِي

وَجَعِي.. يَمْتَدُّ كِبْقَعَةُ زَيْتِ

مِن بَيْرُوتَ.. إِلَى الصِّينِ

وَجَعِي قَافِلَةً.. أَرْسَلَهَا

خَلْفَاءُ الشَّامِ.. إِلَى الصِّينِ

فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ لِلْمِيلَادِ

وَضَاعَتِ فِي فَمِ تَتَّيْنِ

عَصْفُورَةٌ قَلْبِي، نَيْسَانِي

يَا رَمْلَ الْبَحْرِ، وَيَا غَابَاتِ الزَّيْتُونِ

يَا طَعْمَ الثَّلْجِ، وَطَعْمَ النَّارِ..

ونكهة كفري ، و يقيني

أشعرُ بالخوف من المجهول.. فأويني

أشعرُ بالخوف من الظلماء.. فضميني

أشعرُ بالبرد.. فغطيني

إحكي لي قصصاً للأطفال

اضطجعي قربي ..

غنّيني..

فأنا من بدء التكوين

أبحثُ عن وطنٍ لجبيني..

عن شعر امرأة ..

يكتبني فوق الجدران.. ويمحيني

عن حبِّ امرأة.. يأخذني

لحدودِ الشمسِ.. ويرميني
نوَارةَ عُمري، مَروحتي
قنديلي، فوحَ بساتيني
مُدِّي لي جِسرًا من رائحةِ الليمون..
وضعيني مشطًا عاجيًا
في عُتمةِ شعركِ.. وانسيني
أنا نُقطةَ ماءٍ حائرةٌ
بقيت في دفترِ تشرين
يدهسني حبك .. مثل حصان قوقازي مجنون
يرميني تحت حوافره ..
يتغرغر في ماء عيوني ..
زيديني عشقاً زيديني
يا أحلى نوباتِ جنوني

من أجلكِ أعتقتُ نسائي
وتركتُ التاريخَ ورائي
وشطبتُ شهادةَ ميلادي
وقطعتُ جميعَ شراييني...

وبر الكشمير

لا وقت لدينا للتفكير ..

أعصابي ليست من خشب

وشفاهك ليست من قصدير

يدك المطمورة تحت يدي ..

منديل مشغول بحرير

ومفاتيح جسمك لا تحصي

والعمر قصير ..

لا وقت لدينا للتفكير ..

فأنا أتعاطى الشعر .. ولا أتعاطى - سيدتي - التفكير

عارية أنت .. كنصل السيف ..

ونهدك يحملني .. ويطير ..

وانا أتقلب فوق الريش ..

وأغرق في وبر الكشمير ..

فأماناً .. يا أمطار الفل ..

أماناً .. يا وبر الكشمير ..

واقتربي .. يا جزر البللور ..

فإن الموت عليك مثير ..

عيناك .. بحالة تعميم

والجو مطير ..

و أنا لا أطلب تفسيراً

ما قتل الحب سوى التفسير

إني أهواك .. وذاكرتي

في أقصى حالات التخدير
أهواك .. وأجهل ماذا كنت ..
ومن سأكون ..
وأين أصير ..
أهواك .. إلى حد التدمير
وأسير إليك كما البوذي
إلى أعماق النار يسير ..
سيدتي !
هذا عصر العنف ..
وعصر الجنس ..
وعصر الدهشة والتغيير ..
فلنهرب من سيف السيف ،
وقصة عنتره والوزير ..

مدفون جسمك ، تحت الرمل الساخن ، من أيام جرير
مهروس نهدك ، مثل شريحة لحم ، في أسنان أمير ..
لا وقت لدينا للتاريخ ..
فنصف حوادثه تزوير ..
إقتربي ..
إقتربي مني ..
ولنكسر آلاف الاشياء ..
فلا تعمیر .. بلا تكسير
من جسمك تنطلق الغزوات ..
ومنه .. سيبتدئ التحرير ..

قصيدة التحديّات

أتحدى كل عشاقك يا سيدتي

من ملوك ،

مشاهير ،

وقواد عظام ..

أن يكونوا صنعوا تخنك من ريش النعام ..

أو يكونوا أطعموا نهديك .. يا سيدتي

بلح البصرة ..

أو توت الشام ..

أتحداهم جميعاً ..

أن يخطوا لك مكتوب هوى

كمكاتب غرامي ..

أو يجيئوك - على كثرتهم -

بحروف كحروف ، وكلام ككلامي ..

*

أتحدّي..

من إلى عينيك، يا سيّدي، قد سبقوني

يحملون الشمسَ في راحتهم

وعقودَ الياسمين

أتحدّي كلّ من عاشرتهم

من مجانيّن، ومفقودينَ في بحر الحنين

أن يحبوكِ بأسلوبِي، وطيشِي، وجنوني

أتحدّي

كتبَ العشقِ ومخطوطاته

منذُ آلافِ القرونِ

أن تَرِيْ فِيهَا كتاباً واحداً

فِيهِ، يَا سَيِّدَتِي، مَا ذَكَرُونِي

أَتَحَدَّاكِ أَنَا.. أَنْ تَجِدِي

وطنيّاً مثلاً فَمِي

وسريراً دافئاً.. مثلاً عِيُونِي

أتحدى ..

كل من جاؤوك ، يا سيدتي ، من آسيا

بصناديق الحلى ، وقوارير العطور

فمن الصين الأواني

ومن الهند البخور ..

أتحدى ..

كل من جاؤوك من إفريقيا

بصنوف العاج ، أو جلد النمور

واشترىوا حبك يا سيدتي

بخرافي المهور ..

أتحداهم جميعاً ..

أن يكونوا اكتشفوا ..

كيف تغفو بين أهدابك آلاف الطيور

أو يكونوا اقتنعوا ..

أن نهديك يدوران كما الشمس تدور .

أتحداك أنا أن تذكرني

رجلاً من بين من أحببتهم

أفرغ الصيف بعينيك.. وفيروز البحور

أتحدّي

مفردات الحبّ في شتّى العصور

والكتابات على جدران صيدون² وصور

فاقراي أقدم أوراق الهوى

تجديني دائماً بين السطور

² مدينة صيدا اسمها باللاتينية وباليونانية "صيدو" وبالعبرانية "صيدون". لا يوجد تفسير واضح عن أصل التسمية. فمنهم من ذكر أنها تنسب إلى صيدون ابن كنعان. كما يعتقد أن الاسم مشتق من كثرة السمك في شواطئها أو نسبة إلى أهلها الأقدمون الذين عملوا كصيادي أسماك.

إنني أسكنُ في الحبِّ

فما من قبلةٍ..

أخذتُ.. أو أعطيتُ

ليسَ لي فيها حلولٌ أو حضورٌ

أتحدّي أشجعَ الفرسانِ.. يا سيّدي

وبواريدَ القبيلةِ

أتحدّي من أحبُّوكِ ومن أحببتهمُ

منذُ ميلادكِ.. حتّى صرتِ كالنخلِ العراقيّ.. طويلة

أتحدّاهم جميعاً

أن يكونوا قطرةً صُغرى بحري

أو يكونوا أطفالاً أعمارهمُ

مثلما أطفأتُ في عينيكِ عمري

أتحدّاكِ أنا.. أن تجدي

عاشقاً مثلي

وعصراً ذهبياً.. مثلَ عصري

فارحلي، حيثُ تريدنَ.. ارحلي

واضحكي،

وابكي،

وجوعي،

فأنا أعرفُ أن لن تجدي

غابة فيها تنامينَ كصدري

بَرِيدُ بَيْرُوتَ

أكتب من بيروت ، يا حبيبتى

حيث المطرُ

محبوبة قديمة تزورنا بعد سفرُ

أكتب من مقهى على البحر

وأيلول الحزين

بلل الجريدة

وأنتِ تخرجين

كل لحظةٍ من قدح القهوة.. يا حبيبتى

و أسطر الجريدة

مضت شهور^{اً} خمسة

هل أنت يا صديقتي بخير؟

أخبارنا عادية جداً

وبيروت كما عرفت^{ها} في أول الشتاء

مشغولة بحسنها كأكثر النساء

عاشقة لنفسها.. كأكثر النساء

طيبة . قاسية

ذاكرة . ناسية

كأكثر النساء

بيروت في الخريف.. يا حبيبتي

مشتاقة إليك

أيتها القريبة البعيدة

أيتها المدهشة الحضور ، كالقصيد

أمطارها مشتاقَةٌ إليكِ

أحجارها مشتاقَةٌ إليكِ

وبحرها ، سافر من شطآنه

و صبَّ في عينيكِ

*

بيروت يا حبيبتى

في هذه الأيام ، كالخرافه

أوراق أيلول على الأرض نحاسٌ وذهبٌ

و (شارع الحمراء) يا حبيبتى

ثوب موشى بالقصب

الله كم أحتاج يا حبيبتى إليكِ

حين يجيء موسم الدموعُ
كم بحثتُ يداي عن يديكِ
في زحمة الشوارع المبللة
يا زهرة اللاوند³ في دفاتري
يا وجعي الجميل ، يا هوايتي المفضلة

*

أكتب يا حبيبتي من مطعم
كنا اكتشفناه معاً.. في (الرملة البيضاء)⁴
طاولتي تتركني
كراستي تتركني
ذاكرتي تتركني.. وتتبع الغمام

³ اللاوند هو الخزامى lavender.

⁴ اسم أحد شواطئ بيروت.

والمقعد الثاني الذي ملأته

بشاشة و رقّة.. في سالف الأيام

يرفضني

يرسم حول مقعدي

إشارة استفهام

أكتب سطرأ باكياً

أبدؤه بالشوق والسلام

أشطبه

أعاشق مثلي أنا.. يبدأ بالسلام؟

أكتب سطرأ ثانياً

أشطبه

أبحث عن أصابعي

عن لغتي

عن علبة الكبريت

عن عبارة ما وردت في كتب الغرام

تسيطر الفوضى على مشاعري

يلفني الظلام

ما أصعب الكلام

نكتبه لامرأة نحبها

ما أصعب الكلام

أسئلة إلى الله

يا إلهي !

عندما نعشق ماذا يعترينا ؟

ما الذي يحدث في داخلنا ؟

ما الذي يكسر فينا ؟

كيف نرتد إلى طور الطفولة

كيف تغدو قطرة الماء محيطاً

ويصير النخل أعلى

ومياه البحر أحلى

وتصير الشمس سواراً من الماس ثمينا

حين نغدو عاشقيننا

يا إلهي :

عندما يضربنا الحب على غير انتظار ..

ما الذي يذهب منا ؟

ما الذي يولد فينا ؟

كيف نغدو كالتلاميذ الصغار ..

أبرياء سادجيننا ..

ولماذا عندما تضحك محبوبتنا ؟

تمطر الدنيا علينا ياسميننا ..

ولماذا عندما تبكي على ركبتنا

يصبح العالم عصفوراً حزيناً ؟

يا إلهي

ما يسمى ذلك الحب الذي ظل قروناً

يقتل القتلى .. ويحتل الحصونا

ويذل الأقوياء القادرينا

ويذيب البسطاء الطيبينا

كيف يغدو شعر من نهوى سريراً من ذهب ؟

وفم المحبوب خمراً وعنب

كيف نمشي وسط النار

و نلتذ بألوان الذهب

كيف نغدو - عندما نعشق - أسرى

بعدها كنا ملوكاً فاتحين

ما نسمي ذلك الحب الذي يدخل كالسكين فينا ؟

أنسميه صداعاً ؟

أم نسميه جنوناً ؟

كيف يغدو الكون في ثانية

واحة خضراء أو ركناً حنوناً

حين نغدو عاشقيناً

يا إلهي

ما الذي يحدث في منطقتنا ؟

ما الذي يحدث فينا ؟

كيف تغدو لحظة الشوق سنيناً

ويصير الوهم في الحب يقينا

كيف تختل أسابيع السنة ؟

كيف يلغي الحب كل الأزمنة ؟

فيصير الصيف يأتي في الشتاء

ويصير الورد ينمو في بساتين السماء

حين نغدو عاشقينا

يا إلهي

كيف نستسلم للحب ، ونعطيه مفاتيح الأمان

وإليه نحمل الشمع وعطر الزعفران

كيف ننهار على أقدامه مستغربيننا

كيف نسعى لحماه .. قابلينا

كل ما يفعل فينا

كل ما يفعل فينا

يا إلهي :

إن تكن رباً حقيقياً .. فدعنا عاشقينا

تهويمات صوفية لتكوين امرأة

لو لم تكوني أنت في حياتي

كنت اخترعت امرأة مثلك يا حبيبتي

قامتها طويلة كالسيف

وعينها صافية

مثل سماء الصيف

كنت رسمت وجهها على الورق

كنت حفرت صوتها على الورق

كنت جعلت نهدها

حمامة شامية

وشرفة بحرية

تلامس الماء، ولا تخشى الغرق

كنت جعلت شعرها

مزرعة من الحبق⁵

وخصرها قصيدة

وثغرها كأس عرق

كنت أشعلت ليلة بطولها

أصور ارتعاشة العقد

وموسيقى الحلق

لو لم تكوني أنت في لوح القدر

لكنت كونتك يا حبيبتى

بصورة من الصور

⁵ الحبق هو الريحان.

كنت استعرت قطعة من القمر
وحفنة من صدف البحر وأضواء السحر
كنت استعرت البحر والمسافرين والسفر
كنت اخترعت الغيم يا حبيبتي
من أجل عينيك وأنزلت المطر
لو لم تكوني أنت في حياتي
ما كان في الأرض هواء.. أو مياه.. أو شجر
ما كان في الأرض بشر..
لو لم تكوني أنت يا حبيبتي .. في الواقع
كنت اشتغلت أشهرا... وأشهرا
على الجبين الواسع
وأشهرا... وأشهرا
على الفم الرقيق والأصابع

كنت خلقت امرأة مثلك يا حبيبتى

شفافة اليدين

كنت على أهدابها رميت نجمتين

كنت على سريرها أضأت شمعتين

لكن من مثلك يا حبيبتى

أين تكون أين ؟

قصيدة غير منتهية في تعريف العشق

1

.. عندما قررت أن أكتب عن تجربتي في الحب،

فكرت كثيرا..

ما الذي تجدي اعترافاتي؟

وقبلي كتب الناس عن الحب كثيرا..

صوروه فوق حيطان المغارات،

وفي أوعية الفخار والطين، قديما

نقشوه فوق عاج الفيل في الهند..

وفوق الورق البردي في مصر ،

وفوق الرز في الصين..

وأهدوه القرابين، وأهدوه النذورا..

عندما قررت أن أنشر أفكارى عن العشق.

ترددت كثيرا..

فأنا لست بقسيس،

ولا مارست تعليم التلاميذ،

ولا أوّمن أن الورد..

مضطر لأن يشرح للناس العبيراً..

ما الذي أكتب يا سيدتى؟

إنها تجربتى وحدي..

وتعني أنا وحدي..

وتلغيني من التاريخ وحدي..

إنها السيف الذي يثقبني وحدي..

فأزداد مع الموت حضورا..

2

عندما سافرت في بحرك يا سيدتي..

لم أكن أنظر في خارطة البحر،

ولم أحمل معي زورق مطاط..

ولا طوق نجاة..

بل تقدمت إلى نارك كالبوذي..

واخترت المصيرا..

لذتي كانت بأن أكتب بالطبشور..

عنواني على الشمس..

وأبني فوق نهديك الجسورا..

3

حين أحببتك..

لاحظت بأن الكرز الأحمر في بستاننا

أصبح جمرا مستديرا..

وبأن السمك الخائف من صنارة الأولاد..

يأتي بالملايين ليلقي في شواطئنا البذورا..

وبأن السرو قد زاد ارتفاعا..

وبأن العمر قد زاد اتساعا..

وبأن الله ..

قد عاد إلى الأرض أخيرا..

4

حين أحببتك ..

لاحظت بأن الصيف يأتي..

عشر مرات إلينا كل عام..

وبأن القمح ينمو..

عشر مرات لدينا كل يوم

وبأن القمر الهارب من بلدتنا..

جاء يستأجر بيتا وسريرا..

وبأن العرق الممزوج بالسكر والينسون..

قد طاب على العشق كثيرا..

5

حين أحببتك ..

صارت ضحكة الأطفال في العالم أحلى..

ومذاق الخبز أحلى..

وسقوط الثلج أحلى..

ومواء القطط السوداء في الشارع أحلى..

ولقاء الكف بالكف على أرصفة " الحمراء " أحلى ..

والرسومات الصغيرة

التي نتركها في فوطة المطعم أحلى..

وارتشاف القهوة السوداء..

والتدخين..

والسهرة في المسرح ليل السبت..

والرمل الذي يبقي على أجسادنا من عطلة الأسبوع،

واللون النحاسي على ظهرك، من بعد ارتحال الصيف،

أحلى..

والمجلات التي نمنا عليها ..

وتمدنا .. وثرثنا لساعات عليها ..

أصبحت في أفق الذكرى طيورا...

6

حين أحبتك يا سيدتي

طوبوا لي⁶ ..

⁶ التَّطْوِيب : إشهار من قبل الكنيسة البابوية الكاثوليكية يُعلن بموجبه ترفيع أحد رجال الدين المرموقين من النصارى إلى منزلة القديسين، ويسمى أيضًا إعلان القداسة. ويمنح هذا الشخص مرتبة قديس. وتقام الصلوات والمهرجانات احترامًا وتكريمًا للقديس. وترسم له اللوحات، وتدعو الكنيسة جماهيرها كي تحذو حذو القديس، وتهتدي بسيرة حياته. قبل التطويب، تجري الكنيسة تحقيقًا دقيقًا عن حياة الشخص وما يتحلّى به من فضائل. وقد يتطلب الاختبار إبراز أدلة على وجود كرامات عديدة منسوبة إلى الشخص. ثم يُعلن الشخص بأنه مثل يحتذى في اتباع أسلوب حياة مكرسة للعبادة والروحانيات. ولا يُرفع إلى منزل القداسة عن طريق التطويب إلا القليل من الناس، ولكن عدم تطويب شخص ما لا يعني ضمناً أن الكنيسة لا تعتبره قد بلغ مرتبة القديسين. وفي بداية النصرانية كان رسل المسيح عليه السلام يُكرمون ويشتهرون بأنهم قديسون بالإعلان العام. وبحلول القرن الرابع الميلادي، كان بعض رجال الدين النصراني في عدد من المناطق يعاملون بوصفهم قديسين من قبل الجمهور، مما أدى في الغالب، إلى اعتراف الكنيسة بأكملها بهذه القداسة. وقد أصبحت طريقة التطويب، بالتدرج رسمية، وكان أول من طُوب رسمياً هو القديس أليك عام 993م، من أهالي أوغسبورغ.

كل أشجار الأناناس بعينيك ..
وآلاف الفدادين على الشمس،
وأعطوني مفاتيح السماوات..
وأهدوني النياشين..
وأهدوني الحريرا

7

عندما حاولت أن أكتب عن حبي ..
تعذبت كثيرا..

إنني في داخل البحر ...

وإحساسي بضغط الماء لا يعرفه
غير من ضاعوا بأعماق المحيطات دهورا.

8

ما الذي أكتب عن حبك يا سيدتي؟

كل ما تذكره ذاكرتي..

أنني استيقظت من نومي صباحا..

لأرى نفسي أميرا ..

الشجرة

كوني..

كوني امرأة خطيرة..

كي أتأكد - حين أضمك -

أنك لست بقايا شجرة..

احكي شيئاً..

قولي شيئاً..

غني. ابكي. عيشي. موتي.

كي لا يروى يوماً عني

أن حبيبة قلبي .. شجرة ..

كوني السم.. وكوني الافعى

كونى السحر.. وكونى السحرة

لفي حولي..

لفي حولي..

كي أتحسس دفاء الجلد، وعطر البشرة..

كي أتأكد - يا سيدتي -

أن فروعك ليست خشباً..

أن جذورك ليست حطباً..

سيل عرقاً..

موتي غرقاً..

كي لا يروى يوماً عني

أني كنت أغازل شجرة..

كوني فرساً يا سيدتي

كوني سيفاً يقطع..

كوني قبراً..

كوني حتفاً..

كوني شفة ليست تشبع

كوني صيفاً أفريقياً..

كوني حقل بهار يلذع..

كوني الوجع الرائع..إني

أصبح رباً..إذ أتوجع

غني.ابكي.عيشي.موتي

كي لا يروى يوماً عني ..

أني كنت أعانق شجرة ..

كوني امرأة .. يا سيدتي ..

تطحن في نهديها الشهباً

كوني رعداً

كوني برقاً

كوني رفضاً

كوني غضباً

خلي شعرك يسقط فوقي..

ذهباً.. ذهباً

خلي جسمك فوق فراشي

يكتب شعراً..

يكتب أدباً..

خلي نهدك فوق سريري

يحفر قبره

كوني بشراً يا سيدتي..

كوني الأرض، وكوني الثمرة..

كي لا يروى يوماً عني ..

أني كنت أضاجع .. شجرة ..

النساء والمسافات

أتركيني.. حتى أفكر فيك
وابعدي خطوتين كي أشتهيك
لا تكوني حبيبتي رغم أنني
فالبقاء الطويل لا يبقيك
استعيني.. عني بأي كتاب،
أو صديق، أو موعد، أرجوك
أنت في القرب تخسرين كثيرا
فأذهبي أنت... وأتركي لي شكوكي
نهدك الآن.. قد تخلصي عن العرش
وقد كان من كرام الملوك

وشذاك المثير صار رمادا

أفأرثي شذاك أم أرثيك

سافري.. سافري إلى جزر الحلم

فإن الرحيل قد يدنيك

لا تبيحي جميع ما أتمنى

وارفضي دعوتي إذا أدعوك

ما تمنيت أن أحيلك زرا

في قميصي، أو معطفا أرثديك

أنت مثل النبيذ يحسى برفق

فلماذا بلحظة أنهيك؟

آه .. يا امرأة بغير ذكاء

أو تبكين؟ ما الذي يبكيك؟

أنت أحلى - تأكدي - أنت أحلى

حين في عالم الروى التقيك

انهضي عن تنفسي لحظات

فالحصار العقيم لا يجديك

شهوتي قد خشبت... وشفاهي

لم تعد يا صديقتي تكفيك

إنني قد نسيت أبعاد جسمي

في متاهات شعرك المفكوك

فامنحيني ولو إجازة يوم

علمي.. علمني أفكار فيك

*

قد تكونين كل شي .. ولكن

لن تكوني رباً بغير شريك

تنويعات موسيقية على امرأة متجرده

1

كان في صدرك ديكان جميلان ..

يصيحان كثيراً ..

وينامان قليلاً ..

وأنا كنت بلا نوم ..

وكان الشرشف المشغول بالإبرة ..

مزروعاً عصافير ..

وورداً ..

ونخيلاً ..

كيف يأتي النوم يا سيدتي ؟

كيف يأتي ؟

وحقول الشاي في السيلان ، وتدعوني ..

وأدغال البهارات ..

وجوز الهند ..

لا تترك للنوم سبيلا ..

أنت نامي .. فأنا من يوم ميلادي بلا نوم ..

وأعصابي كأسلاك من القش ..

ووجهي كقصاصات المجلات القديمة ..

ما احترفت القتل من قبل .. ولكن ..

سمك القرش الذي يقفز من خلجان نهديك

البدائيين .. يغريني بتنفيذ الجريمة

2

.. كان في صدرك حقلان من القطن ..

وكان البُرْنُس الأحمر .. مفتوحاً من النصف ..

وجرحي كان مفتوحاً من النصف ..

وكان المرمر الأخضر في الحمام ..

مذبوحاً من الشوق ..

وكانت رغبة الصابون ، واللاوند ..

تجتاح البراويز

وتجتاح الثريات ..

وتجتاح مساماتي ..

ترميني على الأرض شظايا ..

3

كان نهداك خروفين صغيرين ..
وكانا .. يأكلان العشب من صدري ..
وكان الصوف من كشمير .. منشوراً على وجهي ..
وقمصاتي ..
وفي كل الزوايا ..
كنت كالبثور مكسوراً على الأرض ..
وكانت قهوتي تشربني ..
والبرنس المبتل بالماء ..
يناديني ..
ويهديني ملايين الهدايا ..

4

.. كان نهداك حصانين بلا سرج ..

وكانا يشربان الماء من قعر المرايا ..

وأنا من أمة تحترم الخيل ..

وما للخيل من طبع كريم .. وسجايا

آه لو قدمت لوزاً للحصانين ..

وتيناً .. وزبيباً ..

آه ..

لكن هاجرت مني يدايا ..

شهوتي سيف حجازي ..

ونهداك كأرض الروم ..

من مات على أسوارها ..

كفر عن كل الخطايا ..

5

كان نهداك مليكين عظيمين ..

وكانا يحكمان البر والبحر ..

وكان العدل موفوراً ..

وكان الخبز موفوراً ..

وكان الشعب يدعو للمليكين .. بطول العمر ..

في كل الميادين .. وفي كل التكايا ..

وأنا من حسن حظي أنني ..

عاصرت نهديك ..

وقدمت ولائي لهما ..

مثل ملايين الرعايا ..

6

.. كان يا ما كان ..

في صدرك أسماك .. وخيل .. وديوك

وملوك .. وزغاليل حمام

وزغاريد صبايا ..

وأنا كنت على سجادة الكاشان⁷ مرمياً ..

ومن حولي نثارات شمس ..

وفتافيت مرايا ..

⁷ كاشان أو قاشان هي مدينة إيرانية تقع في محافظة أصفهان وسط إيران، يقدر عدد سكانها عام 2005م بحوالي 272 ألف نسمة. تقع كاشان في واحة زراعية وسط منطقة صحراوية. تشتهر كاشان بصناعة البلاط المعروف باسم الكاشي أو القاشاني نسبة لمدينة كاشان أو قاشان. كما أنها تشتهر بصناعة النسيج والحريير والسجاد. تضم المدينة العديد من المعالم الأثرية كالمساجد والمدارس والخانات بحكم قرب موقعها من طريق الحرير التاريخي الذي كانت تسلكه قوافل التجار قديماً من الصين إلى المشرق. ومن أحد المعالم الموجود في المدينة هي حديقة فين.

اللجوء

لو كنت أعرف ما أريد ..

ما جئت ملتجئاً إليك كهرة مذعورة ..

لو كنت أعرف ما أريد ..

لو كنت أعرف أين أقضي ليلتي

لو كنت أعرف أين أسند جبهتي ..

ما كان أغراني الصعود

لا تسألني : من أين جئت ، وكيف جئت ، وما أريد ..

تلك السؤالات السخيفة ما لدي لها ردود ..

أديك كبريت وبعض سجائر؟ ..

أديك أي جريدة

ما هم ما تاريخها

كل الجرائد ما بها شيء جديد ..

أديك - سيدتي - سرير آخر

في الدار ، إني دائماً رجل وحيد

أنت ادخلي نامي ..

سأصنع قهوتي وحدي ،

فإني دائماً .. رجل وحيد

تغتالني الطرقات .. ترفضني الخرائط والحدود

أما البريد .. فمن قرون ليس يأتيني البريد

هاتي السجائر .. واختفي

هي كل ما أحججه ..

هي كل ما يحججه الرجل الوحيد

*

لا تقفلي الأبواب خلفك ..

إن أعصابي يغطيها الجليد

لا تقفلي شيئاً ..

فإن الجنس آخر ما أريد ..

حوار مع امرأة من خشب

لو كنت في مكاني ..

ما تفعلين يا ترى لو كنت في مكاني ؟

مضطرة أن تعشقي ..

عشرين ألف مرة في اليوم ..

وتذبحي ، كالديك ، يا صديقتي

عشرين ألف مرة في اليوم ..

وتياسني . وتضجري

وترعدي . وتمطري

وتؤمني . وتكفري

عشرين ألف مرة في اليوم ..

لو كنت ، يا صديقتي ، مضطرة
أن تلعبني مثلي على أكثر من حصان ..
وترقصي مثلي ..
على السنة اللهب والدخان
لو ابتلاك الله بالعشق ..
كما ابتلاني ..
ما تفعلين يا ترى لو كنت في مكاني ..
مضطرة أن تعشقي ..
قبائلاً شتى من النساء
وتفعلني الحب مع الأشجار ، والأحجار ، والهواء
وتشنقي مثلي على حبال الجنس
في الصباح والمساء ..
والصيف ، والشتاء ..

لو كنت يا صديقتي مضطرة
أن تشربي ، من غير ما ارتواء
وتشتهي ، من غير ما اشتها
وتسكني في مدن الدموع والبكاء ..
لو كنت يا صديقتي مضطرة ..
أن ترجعي ..
في آخر الليل كأي بهلوان ..
مسحوقة ، مهزومة ..
كأي بهلوان ..
منفية خلف حدود الوقت والثواني

*

وددت يا صديقتي

أن تأخذي مكاني ..

وأن تعاني نصف ما أعاني ..

رصاصة الرحمة

مثلما تطرد الغيوم الغيوما
الغرام الجديد يمحو القديم
قضي الأمر .. والتقيت بأخرى
والسماء استعدتها ، والنجوم
لا تموت الخيول بردا وجوعا
إن للعاشقين ربا رحيمًا ..
انتهت أزمتي ، وفكت قيودي
بعدها كنت قاصرا ویتيما ..
وكسرت احتكار عينيك بالعنف
وأنقذت جيشي المهزوما ..

فإذا أنت حائطٌ أثري

والرسوم العلية .. لسن رسوما ..

يا أنانية الشفاه ، اعذريني

لا يظل الحليم دوما حلّما

جاء يوم الحساب بعد انتظار

وتحديث مجدك المزعوما

إنني عاشق سواك .. وعندي

امرأة بدلت جحيمي نعيما

هي أحلى وجها ، وأطيب نفسا

وهي أشهى عطرا ، وأزكى شميما

ما اسمها ؟ من تكون ؟ تلك شؤوني

فاقطني غيرة ، وفيضي سموما

ليس قصدي إذلال نهديك .. لكن

جاء دوري لكي أكون نئيما

صورة دوريان غراي⁸

⁸ هو اسم رواية للكاتب الإنجليزي أوسكار وايلد. وملخصها أنه في أحد قصور لندن الفارحة، وأثناء إحدى الحفلات الرسمية، يلتقي الرسام الطيب القلب "بازيل هولوردر" بالشاب "دوريان غراي"، فيبهر الرسام بشخصية الشاب الساحرة الطاهرة الودودة، وبجماله الطاعي الفاتن الأخاذ.

بحسب رأي "بازيل": في تاريخ العالم عصران مهمان، عصر ظهور أداة جديدة للتعبير الفني، وعصر ظهور شخصية جديدة تصبح موضوعاً للفن، فاختراع الرسم بالزيت كان له من الأهمية عند أهل البندقية ما كان لوجه أنتينوس في الفن اليوناني القديم.

تملكت بازيل، لحظة لقاءه دوريان غراي، الروح الفنية، وأدرك حينها أن دوريان بروحه النقية العذبة، وبجماله السماوي الخلاب، سوف يكون موضع ومحرك وملهم ومسير وسيد فنه؛ فيطلب منه حينها الحضور لمنزله لرسمه، يلبي دوريان طلبه، ويأتيه بعد عدة أيام، ويبدأ بازيل برسم لوحة له، بالحجم الطبيعي، بكل ما أوتي من قدرة وموهبة.

في المشهد الافتتاحي للرواية، كان بازيل على وشك الانتهاء من لوحة دوريان غراي، وكان يجالسه حينذاك اللورد "هنري وتون.."

لو كتب حضرة الشيطان بنفسه رواية لإغواء الناس، لما استطاع أن يجيء بما جاء به "أوسكار وايلد" على لسان اللورد "هنري وتون.."

عندما يتحدث اللورد هنري فهناك عاصفة من الغواية والتضليل والتمرد، إعمار من الكلام الهادئ، الساحر، المرتب، المثقف، الساخر، المستهزئ، الذكي، الفتاك. فنظرة اللورد للعالم مشبعة باليهودية (فلسفة اللذة) لدرجة لا يصلها "أبيقور" نفسه؛ في الواقع إن كل الضجة التي أثرت حول لا أخلاقيات هذه الرواية كانت بسبب ما قاله هذا الرجل، وفي نفس الوقت، معظم محاولات تحليل الكوميديا والروح المرححة في حوارات هذا العمل، كانت تستند لما قاله هذا الرجل أيضاً.

أثناء جلوس اللورد والرسام، يدخل الخادم ليقول أن دوريان قد جاء، يطلب الرسام من اللورد الانصراف حتى لا يفسد الشاب حديثه وأرائه، ولكن اللورد يرفض ويصر أن يقابل دوريان.

بعد أن انتهى بازيل من رسم دوريان، ينشغل بوضع لمساته النهائية على العمل، يخرج حينها اللورد ودوريان للحديقة، يتبادلان أطراف الحديث، يقول اللورد لدوريان أن الجمال نوع من النبوغ، بل الجمال أعلى قدراً من النبوغ، والجمال يحكم العالم ويديره، ولا أحد ينافي الجمال في دولته، ثم يخبر دوريان أن جماله سوف يزوي حين يرحل شبابه، وسوف تولي أيام مجده يوم يرحل جماله.

يعود الشاب إلى المرسم وقلبه محطم كسير من قول اللورد، ويتمنى من أعماق قلبه الصافي أن تكبر الصورة ويخلد هو في شبابه..

فشلت جميع محاولاتي !

ويكون له ما أراد..

ويكون له، فوق ذلك، صحبة الرسام واللورد؛ لتبدأ بعد ذلك كل الصراعات الممكنة، ابتداءً بـ (الصبح والخطأ) نهايةً بـ (الخير والشر) مروراً بـ (الجمال والقبح) و (الروح والحواس) و (اللذة والألم) و (الأبدى والفاني) و (الإثم والفضيلة) ويتوج ذلك كله بالصراع بين (الصورة والحقيقة).

صدرت رواية "صورة دوريان غراي" عام 1890، وتصنف تحت الرواية القوطية، والرواية القوطية هي إحدى نتاجات الحركة الرومانسية، وتعتمد في بناءها على الرعب والخيال والغموض، جدير بالذكر أنه قد تم تصوير الرواية كفيلم سينمائي مرات عديدة.

رواية "صورة دوريان غراي" من أكثر الأعمال الأدبية التي يقتبس منها، وهذا ليس مستغرباً، فقد قيل عن أوسكار وايلد: "إن كل ما يتحدث به يبدو وكأنه بين علامتي استشهد"، بل إن طريقة بناء الحوار في أعمال أوسكار وايلد تعتمد على جعل الشخصيات تتحدث بجمل لها القابلية بأن تكون قولاً مأثوراً: جمل قصيرة، وموجزة، ومتراسة، تعبر بتمرد عن أعقد المواضيع والآراء، بكل سخرية واستهزاء.

بالرغم من أن رواية "صورة دوريان غراي" عمل أخلاقي في نهاية المطاف، إلا أنها كانت صدمة مجلجلة حين نشرها، مما حدا بوايلد أن يضيف لها مقدمة بعد حين، يشرح فيها وجهة نظره عن الفن والفنان، وخلصتها أن الفنان ليس سوى صانع أشياء جميلة، وأنه لا يوجد كتب أخلاقية وغير أخلاقية إنما يوجد كتب مكتوبة بشكل جيد وكتب مكتوبة بشكل رديء، وإننا نستطيع أن نصفح عن الرجل حين يصنع أشياء نافعة دام أنه لا يعشقها، بينما العذر الوحيد لصنع أشياء لا نفع منها هو أن نعشقها بجنون، والفن لا نفع منه إطلاقاً (يقصد نفع ولكن لا يقصد جدوى).

إن مقدمة أوسكار وايلد هذه تمثل رأي "الحركة الجمالية" التي كانت سائدة حينذاك، وكان أوسكار وايلد من أهم روادها، ومن أهم مبادئ هذه الحركة مبدأ (الفن للفن)، الذي عبّر عنه وايلد في مقدمته، وكتب على أساسه روايته، وفي الشعر يسمى هذا المذهب بـ "البرناسية" نسبة لجبل برناس في الميثولوجيا الإغريقية.

من أهم تضمينات مقدمة أوسكار وايلد لروايته هو أنه لا يجب أن تربط حياته الشخصية بشخصيات روايته، فالعمل قائم بحد ذاته، هذا بالرغم من أنه قال في موضع آخر، أن اللورد "هنري" هو الشخص الذي يعتقد الناس أنه هو، والرسام "بازيل" هو ما أحسب أنني إياه، بينما أطمع في النهاية أن أكون "دوريان غراي".

في أن أفسر موقفي ..

فشلت جميع محاولاتي ..

ما زلت تتهمني ..

أني هوائي المزاج ، و نرجسي في جميع تصرفاتي ..

ما زلت تعتبريني

كقطار نصف الليل ، أنسى دائماً

أسماء ركابي ، وأوجه زائرتي ..

فهوأي غيب ..

والنساء لدي محض مصادفات ..

ما زلت تعتقدين .. أن رسائلي

عمل روائي .. وأشعاري شريط مغامرات

وبأنني رجل يعيش حياته

من غير ذاكرة ، وغير مذكرات ..

وبأني استعملت أجمل صاحباتي

جسراً إلى مجدي .. ومجد مؤلفاتي ..

ما زلت تحتجين أني لا أحبك كالنساء الأخريات ..

وعلى سرير العشق ، لم أسعدك مثل الأخريات ..

الله من طمع النساء ،

وكيدهن ..

ومن عتاب معاتباتي ..

كم أنت رومنسية التفكير ، ساذجة التجارب

تتصورين الحب صندوقاً مليئاً بالعجائب

وحقول غاردينيا⁹ ..

ولياً لازوردي الكواكب

⁹ الغاردينيا (بالإنكليزية) (Gardenia): جنس نباتي يضم 250 نوعاً من الفصيلة الفوية، وموطنه المناطق المدارية وشبه المدارية في إفريقيا وآسيا وأوقيانوسيا.

ما زلت تشتربين ..

أن نبقى إلى يوم القيامة عاشقين ..

وتطالبين بأن نظل على الفراش ممددين

نرمي سجائرنا ، ونشعلها ..

وننقر بعضنا كحمامتين ..

ونظل أياماً .. وأياماً ..

نحاور بعضنا بالركبتين ..

هذا كلام مضحك ..

أنا لست أضمن طقسي النفسي بعد دقيقتين ..

فلربما ، تتبخر الأنهار في عينيك ، بعد دقيقتين

ولربما تتيبس الأشجار في شفتي ..

بعد دقيقتين ..

ولربما يتغير التاريخ بعد دقيقتين ..

ونعود .. في خفي حنين ..

من عالم الجنس المثير ..

نعود في خفي حنين ..

فشلت جميع محاولاتي ..

في أن أفسر موقفي

فشلت جميع محاولاتي

فتقبلي عشقي على علاته

وتقبلي مللي .. وذبذبتي .. وسوء تصرفاتي

فأنا كماء البحر .. في مدي ، وفي جزري

وعمق تحولاتي ..

إن التناقض في دمي ، وأنا أحب تناقضاتي ..

ماذا سأفعل يا صديقة .. هكذا رسمت حياتي

منذ الخليقة ..

هكذا رسمت حياتي ..

أمية الشفتين

أمية الشفتين .. لا تتبرمي
إني أتيتك هادياً ومباشراً
حتى أعلمك الهوى .. فتعلمي
ما زال قانون القبيلة حاكماً
جسد النساء .. فحاولي أن تحكمي ..
إصغي إلي .. فإن وقتي ضيق
والقمح ينبت مرة في الموسم
خليك عاقلة .. ولا تستقبلي
مطر الربيع ، بوجهك المتجهم
كوني كما كل النساء .. فإني

لا أعرف امرأة تعيش بلا فم
هذي تعاليمي أمامك .. كلها
سترين فيها جنتي .. وجهنمي
إن كنت حتى الآن لم تستوعبي
ما جاء فيها .. فاسألني واستفهمي
أنا لا أريد عليك فرض موافقي
إن كان يعجبك الكلام .. تكلمي
أو كنت تترتاحين في شتمي .. اشمي
فالحب بالإكراه .. ليس هوأيتي
والعنف - سيدتي - يزيد تأزمني
سأكون نذلاً .. لو جررتك للهوى
جر النعاج .. فحاولي أن تفهمي

*

خليك هادئة .. فليس بنيتي
أن أقلب الليل الجميل لمأتم
أنا لم أكن يوماً رئيس قبيلة
حتى أحبك بالأظافر والدم
لكنني رجل يحاول دائماً ..
تغيير خارطة السماء بشعره
وبعشقه .. تغيير طقس الأنجم ..

حبوب منومة

تعب الكلام من الكلام

فخذي حبوب النوم ، سيدتي ، ونامي

ما دام عريك لا يحرك شعرة

مني . لماذا أنت عارية أمامي ؟

ما دام فعل الحب .. صار عقوبة

كبرى .. فما معنى مقامي ؟

ما دام عطرك لا يثير شهيتي ..

ما دام جسمك ليس في وضع انسجام

فأنا أفضل أن تنامي

فنجان شايبك بارد ..

وصقيع نصف الليل مفترس عظامي

وأنا أحرق في الستائر ، والمقاعد ، والظلام

وأعيش أسوأ حالات انفصامي

ألقي على نهديك نظرة سائح

وأمر بالأشياء .. من غير اهتمام

ماذا جرى لأصابعي ؟

وأنا الذي حركت باللمسات عاطفة الرخام

ماذا جرى لزوابعي ؟

كنت سلطاناً على عرش الغرام

ماذا جرى في داخلي ؟

هل أنت ذات المرأة الأولى .. التي أحببتها من قبل عام

هل أنت ذات المرأة الأولى ..

التي ملأت حياتي بالورود ، وبالنجوم ، وبالحمام

هل ناهداك هما اللذان تركت فوقهما حطامي ..

إني أشك بما أرى ..

وأشك في نفسي . وفيك ، وفي أكاذيب الغرام

فخذي حبوب النوم ، سيدتي ، ونامي

فأنا أريد بأي شكل أن تنامي ..

أن تنامي ..

أن تنامي ..

المقبرة البحرية

لم يعد ما بين نهديك .. حياة أو بشر

لم يعد بينهما عشب ..

ولا ظل شجر ..

والذين استوطنوا فوقهما

من أعراب ، وبدو ، وحضر ..

حملوا خيمتهم وانصرفوا

بعدهما جف المطر ..

بين نهديك قرى محروقة

وملايين ملايين الحُفر ..

وبقايا سفن غارقة ..

ودروع لرجال قتلوا ..

لم يجيء عن واحد منهم خبر

كل من مر بنهديك اختفى ..

والذي ظل إلى الصبح انتحر ..

هذه مقبرة بحرية

دفن الآلاف فيها ..

من مغول ، ومجوس ، وتتر

لم يعد ما بين نهديك سوى شوك الضجر

والذين افترشوا ظلهما

ورأوا في ماء عينيك انعكاسات القمر

والذين انتظروا .. وانتظروا ..

رحمة الله ، طويلاً ، وأعاجيب القدر ..

قررُوا الآن السفر ..

والذين احتفلوا واستبشروا ..

بملاقة المسيح المنتظر ..

تركوا نهديك يا سيدتي

حجراً .. فوق حجر

إيضاح إلى من يهمها الأمر

لن تغرقيني في هواك بشبر ماء..

فبداخلي .. مات المراهق من زمان

وانتهى الرجل البدائي..

أصبحت محترفاً ..

وصرت الآن أبرع في معاملة النساء

أملني شروط الفاتحين على ملايين الأطباء

من كل نهد .. سوف أجبي جزية

وإذا عفوت .. فمن مواقع كبريائي

حسناً .. لا تبكي عليّ ..

فأنت أولى بالثناء ..

لست الغبيّ - كما افكرت-

وإنما مثلت دور الأغياء

سيّان عندي

إن بقيت ، أو ارتحلت مع المساء

أنا في شؤون الحبّ ، ما اعتدت التلقّت للوراء ..

إن تذهبي ..

لن تسقط الدنيا ، ولن تنسدّ أبواب السماء..

إن الكواكب في السماء كثيرة ..

جداً ..

وحبّ الصيف يحو عادة .. حبّ الشتاء..

اعتزال التمثيل

هذا هو الواقع يا عزيزتي ..

بلا مساحيق ولا تجميل

فقرري .. ما شئت أن تقرري

فالجرح لا يحتمل التأجيل

لقد تساوى حبنا .. وكُرهنا

وأصبح البقاء كالرحيل

عزيزتي :

لقد قرأنا صحف الصباح مرتين

وقد تطلعنا إلى الساعة مرتين

وقد تصافحنا - كما أذكر - مرتين

ولم يعد أمامنا ما نفعل
فنحن منذ نحو ساعتين
يقتلنا الفراغ والتأمل
أنا هنا .. تمتصني سجائري
وأنت متوحشة ..
باردة اليدين ..
فحاولي أن تتفهمي ..
أن طيور الحب لا تطير مرتين
فالحب يا صديقتي مسافر
يأتي إلينا مرة .. ويرحل ..
هذا هو الواقع يا عزيزتي
بحلوه ، ومُره
بخيره ، وشره

ووجهه القبيح والجميل
أعرضه عليك في تجرد
فأنت لست امرأة ساذجة
ولا أنا أحترف التمثيل
يا لييتي أقدر يا صديقتي
أن أتقن التمثيل

المذبحة¹⁰

كنا ثمانية معاً ..

نتقاسم امرأة جميلة

كنا عليها كالقبيلة ..

كانت عصور الجاهلية كلها

تعوي بداخلنا ،

وأصوات القبيلة ..

*

كنا ثمانية ..

¹⁰ مع شديد الأسف والأسى استغل الوهابيون لعنهم الله هذه القصيدة لمهاجمة شاعرنا الكبير والذي كفروه وبعثوه بأقذع الألفاظ لغيظهم من صراحتة وفضحه لأولياء نعمتهم آل سعود .. ولكن القصيدة تفضحهم وتفضح خستهم ونذالتهم وتفضح ما يجري في قصورهم وما يجري منهم من اغتصاب جماعي وحشي ضد النساء.

وكان البدو فينا يصرخون ..

ويرقصون على الوليمة

كنا نعبر عن فحولتنا ..

فوا خجل الفحولة ..

*

كنا ثمانية إذن ..

ووجوهنا ..

كانت مربعة الخطوط ومستطيلة

كنا نهاجمها كثيران ..

وكانت تقبل الثيران صابرة ذليلة ..

كنا نمزمز لحم نهديا ..

ونفترس الطفولة ..

ونردد الأشعار والحكم القديمة :

11 ((إن مات منا سيد ..))

كنا نردها بإعجاب ،

ونفرك في شواربنا الطويلة ..

*

كنا ثمانية على امرأة ..

وكان الليل يرثينا ..

وترثينا الرجولة ..

¹¹ الحكمة تقول : إن مات منا سيد قام سيد. وأصلها من بيت شعر للسموأل أو لأبيه شريح بن عادي يقول فيه : إذا سيد منا خلا قام سيد قوول لما قال الكرام فعول !

إلى صاحبة السمو .. حبيبتى سابقاً

.. وتزوجت أخيراً ..

بئر نبط ..

وتصالحت مع الحظ أخيراً ..

كانت السحبة - يا سيدتي - رابحة

ومن الصندوق أخرجت أميراً ..

عربي الوجه .. إلا أنه ..

ترك السيف يتيماً .. وأتى

يفتح الدنيا شفاهاً .. وخصورا

فاستريحى الآن .. من عبء الهوى

طالما كنت تريدين أميراً ..

تتسلين به وقتاً قصيراً ..

يتسلى بك - يا سيدتي - وقتاً قصيراً

ويمد الأرض ، من تحتك ، ورداً وحريراً

فاشربي نפטاً .. وسبحان الذي

جعل البترول مسكاً وعبيراً ..

.. وتزوجت أخيراً ملكاً ..

من ملوك الخلفاء الراشدين

وملكت الدين والدنيا معاً ..

فاسجدي شكراً لرب العالمين

رازق الطير على أشكالها ..

مُسْقِطِ الغيث ، ملاذ التائهين

باعث الأموات من أكفانهم

باريء المرضى ، وكافي المعدمين

واهب النفط لمن يختارهم

من بنيه الصالحين ..

.. كانت السحبة يا سيدتي رابحة

- مثلما قدرت - والصيد ثمين

وأنا غير حزين ..

لا تظني أبداً .. أني حزين

فأنا أعلم ، يا سيدتي ، علم اليقين

ما تُسرِّين .. وماذا تعلنين

وأنا يا سيدتي

أكثر الخيل التي كنتِ عليها تلعبين ..

وأنا أعرف يا سيدتي

كيف خطتِ سنيناً وسنين

لتصيدي ملكاً ..

من ملوك الخلفاء الراشدين ..

لم يفاجئني الخبر ..

حين طالعت الجريدة ..

ورأيتُ الشمع ، والأطفال ، والثوب الموشى بالذهب

ورأيتُ الرجل المسحوب بالقرعة ..

معروضاً كبرواز الخشب ..

لم يحركني الخبر ..

حين شاهدتك في كل الصور

تتئين كطاووس .. شمالاً ويميناً

وتذوبين حياء وخفر

وتشدين على كف النبي المنتظر ..

لم يساورني العجب

فهواياتك كانت دائماً ..

جمع فرسان الخشب ..

.. وتأملت شعوري ..

وأنا أقرر أخبار زفافك

كيف لم أحزن .. ولم أفرح ..

ولا طرتُ سرورا ..

كيف لم أعبأ .. ولم أبرق ..

ولم أرسل زهورا ..

كيف في ثانية مات شعوري ..

فالتى أشعلتُ في معبدها قنديل عمري

لم تعد تعني قليلاً أو كثيراً ..

كيف ألقيت على الأرض الجريدة ؟

ونسيت العرس أضواء ، ورقصاً ، وكؤوسا

وتأملت التصاوير أمامي ..

غير أني لم أجد فيها العروسا ..

.. وتسليت كثيرا ..

حين أبصرتك يا سيدتي ،

تقطعين الكعكة الكبرى ..

وتمشين كما تمشي اللعب

وتمضين أمام الناس ببراوز الخشب

وتشيدين بأنساب قريش

وفتوحات العرب ..

وتعجبت لنفسي ..

لم أكن أشعر في أي أسى

لم أكن أشعر في أي غضب ..

فأنا عرفت يا سيدتي

أن أحلامك أن تلتقطي ..

بدوياً عاشقاً ..

يرهن التاريخ عند امرأة ..

ويبيع الله في جلسة جنس وطرب ..

*

ألف مبروك .. أيا سيدتي

وأدام الله بترول العرب ..

الاستحالة

لم نمارس لعبة الحب معاً .. منذ شهور

وقعدنا .. مثل جنديين منهوكين

ألقينا على الأرض البواريد¹² ..

انهزمتنا .. قبل ميعاد العبور

ورفعنا عالياً .. أعلامنا البيضاء ..

سلمنا المفاتيح .. قتلنا أجمل الخيل ،

وأحرقنا الجسور ..

.. وأخذنا ..

كالمجانيب نعزي بعضنا بعضاً ..

لجانا لقتاني الخمر ..

¹² البواريد : جمع بارودة وهي البندقية.

حاولنا .. وحاولنا ..

ولكن المرايا رفضتنا .. وقواريرنا

وتكلمنا ..

- ولا أذكر عن ماذا تكلمنا -

لعبنا ورقاً كي نصرع الوقت ..

قرأنا صحفاً من غير تاريخ ..

تمطينا طويلاً ..

وتتاءبنا طويلاً ..

وتعللنا بآلاف المعاذير ..

اختبأنا خلف جدران الغرور ..

ومسحنا عرق الخيبة عن أوجهننا

وبحثنا ..

كجنود قطعت أخبارهم

- داخل الأكياس - عن شيء من الدفاء ..

وعن شيء من الحب ..

ولكننا رجعنا بالقشور ..

وتبادلنا المراثي ..

وتضرعنا ..

وصلينا ..

وقدمنا إلى الله النذور ..

لم نكن نشعر بالحر .. أو البرد ..

ولا كانت السجادة الصينية الخضراء تمشي ..

والثريات على السقف تدور ..

كانت الشمس صليباً من نحاس ..

فوق رأسينا ..

وكنا مرفأي ملح ..

وكنا شجراً دون جذور ..

لم نكن مرضى - كما نحن تصورنا -

ولكننا أضعنا الدهشة الأولى

أضعنا ..

متعة الحدس بما بين السطور ..

وتدحرجنا إلى القعر .. قطارين ..

تتاثرنا . امتلأنا بالشظايا والكسور ..

وتشوهدنا تماماً ..

مثل مخلوقات ما قبل العصور ..

ورمينا وردة الشعر ..

تحولنا إلى نثر .. سقطنا في شراك الدبق اليومي ..

أفلسنا ..

تكررنا ..

تعودنا على الموت .. انتظرنا في كراسينا ..

كما ينتظر الأموات في أكفانهم يوم النشور

ورأينا ..

كيف ينمو الطحلب البحري في القلب ..

عرفنا ..

خدر الجلد .. وإفلاس الشعور

هل لدى سيدتي حل لإفلاس الشعور ؟

أنا ما عندي اقتراحات ..

خذيني حيثما شئت ..

أريني السفن البيضاء ، والأسماك ، والبحر

فإني لم أعد أذكر أسماء البحور

إسحبيني من وعاء الصمغ ، يا سيدتي

غيري هندسة الأشياء من حولي ..

أزيلي ورق الجدران ، والجدران ،

نجيني من الغربة والنفى ..

أعيدي زمن النعناع والماء ..

اكتبيني فوق أعشاب البراري

ومناقير الطيور ..

أوقفني أجهزة التكييف ، يا سيدتي ..

وافتحني الأبواب ..

عل الشمس تحيي مرة أخرى البذور

خلصيني من نظام الجبر والسخرة في الحب

ومن رائحة الزهر الصناعي ..

ومن رائحة الحب الصناعي ..

وإرهاب إشارات المرور ..

أنقذي نفسك يا سيدتي

أنقذي ..

قبل أن تقتلنا ..

شقق الأسمنت ، والزهر الصناعي ..

وأضواء إشارات المرور ..

محاولة لاغتيال امرأة

واتفقتنا

قبل أن ينقطع الخيط

بأن نبقي صديقين ككل الأصدقاء

وتحمسنا

وأكدنا

وكررنا:

((سنبقى عقلاء)).

ورسمنا خطة النسيان ، هيأنا البواريد ،

تآمرنا على قتل السماء

**

واجتمعنا

صُدفة في أول الصيف اجتمعنا

فنقضنا كل شيء

ونفينا كل شيء

ولحسننا في ثوان

كل ما كنا كتبنا

واكتشفنا أن تخطيطاتنا

كانت دخاناً في الهواء

وبكينا .. واعتذرنا

وغرقنا .. وطفونا

مثلما ترتعش الأسماك في بركة ماء

وتدخلنا كما الإبرة والخيط

نسينا أننا صرنا صديقين لكل الأصدقاء

وتمددنا كسيفين على الأرض

ذبحنا واندبحنا

ومحونا بعضنا من شدة الشوق

فعلنا الحب تكرارا .. وتكرارا

صرخنا مثل وحشين

نزفنا مثل وحشين

وأمطرنا وأرعدنا

وتبنا

وكفرنا

وركضنا

فى براري الحب أحرارا

وثبنا كحصانين إلى الشمس

دخلناها

فتحناها

جرحناها حيناً .. وانجرحنا

وعرفنا الجنس في أحلى ثوانيه

وفي أقسى ثوانيه

تلاصقنا

تباعدنا

تبادلنا اللفافات

تحدثنا قليلاً .. وسكتنا

وتجاوزنا ملايين الإشارات

تحدينا

تعريتنا من التاريخ .. من ملك بني عثمان

من عصر الممالك

ومن رقص الدراويش

قرأنا عن أبي زيد الهلالي

وعن مجنون ليلى

وضحكنا

ونسينا اللغة الأم

اخترعنا لغة أخرى

لفظنا جملاً مبتورة .. فارغة من أى معنى

ورمينا جانباً

أقنعة الشمع وعقل العقلاء

وتعمدنا بماء الحب والجنس

تطهرنا

رجعنا أبرياء

ونسينا حين جاء الصيف

ما قلناه أيام الشتاء

ونسينا

أنا صرنا صديقين كل الاصدقاء

الالتصاق

1

هل سنبقى سنة أخرى على هذا السرير؟

نتعاطى الشاي ، والزبدة .. والجنس ..

على نفس السرير ؟

إنني أحفظ جغرافية النهدين .. يا سيدتي

عن ظهر قلب ..

وأنا أعرف كالتلميذ أخبار الحضارات التي

قد نشأت بينهما ..

عن ظهر قلب

وأنا أعرف طعم العرق المالح يجري من مسامتك ..

والجرح الطفولي على ركبتيك اليسرى ..

.. وهذا الوبر النامي على سلسلة الظهر ..

كأسلاك الحرير

والدبابيس التي ترقد في شعرك ،

والعطر الذي يستعمل السكين في الإقناع ..

والنهد الذي يحترف القتل وجاهياً ..

وما زال على القتل صغير ..

وأنا أعرف وقت المد والجزر ..

وتوقيت الإعصار ..

وأشكال النباتات ..

وأسماء العصافير التي تنقر من ثغرك ..

رماناً .. وقمحاً .. وتطير ..

2

هل سيبقى جسدي مستنفراً

مثل جواد عربي ..

راكضاً فوق المرايا ..

ومداسات البيانو ..

وصناديق الحليّ ..

هل سأبقى ؟

ذاهلاً في حضرة النهدي هول البدوي ..

إنني آمنتُ يا سيدتي ..

أن شكل الأرض شكل كروي ..

3

هل سنبقى سنة أخرى ..

على هذا الفراش الفوضوي ؟

نكتسي حيناً ..

وحيناً نتجرد

هل بدأنا ؟

نستطيب النوم في زنازة الجنس المؤبد ..

هل تحولنا إلى نقش ..

على قبر أمير بابل ؟

هل بدأنا نتعود ؟

هذه الرائحة العالية الصوت .. أنا اعتدتُ عليها

مثلما اعتادتُ عليَّ ..

فإذا رأسك .. إقليم صغير فوق صدري
وإذا أنت امتداد ليدي ..

4

أه يا سيدتي !
كم أنا مختجل منك وآسف
فأنا أعرف - حتى -
عدد الخيطان في هذي الشراشف
عبثاً .. أبحث في عينيك عما أجهله ..
عبثاً أبحث ..
عن أي سؤال أسأله ..
إنني أعرف كالسياح أحجام التماثيل ..

من العصر النحاسي إلى اليوم ..

وأشكال الأباريق ..

من العصر النحاسي إلى اليوم ..

وأشكال الأباريق ..

من العصر الفينيقي إلى اليوم ..

وأنواع الرسوم الفارسيان ..

وأعمال رفائيل ،

وفان كوخ ،

وبيكاسو ،

وغويا ..

ويواقيت بني عثمان ..

والنقش البرنطي على أبواب نهديك ..

وفوح المسك ، والنارنج .. من تحت السوالف ..

آه .. يا سيدتي ..

آه .. ما أشقى أدلاء المتاحف..

5

نحن جربنا الهوى قبل العشاء ..

ثم جربناه ما بعد .. وأثناء العشاء ..

وسحقنا بعضنا مثل طواحين الهواء..

ثم ماذا؟

إنني أعلم عن جسمك ما يجهله ..

كل أصحاب الكرامات ..

وكل الأولياء ..

وأنا أعلم بالتفصيل يا سيدتي

كل واد فيه ،

أو سنبله ..

أو نبع ماء ..

هكذا يفعل كل الأغبياء ..

6

إرفعي الأغطية البيضاء ..

فالحر شديد ..

وفمي ممتليء بالسمك الميت .. واللحم القديد

لم يعد يبهرني شيء ..

ولا يدهشني شيء ..

ولا أدري إذا كنتُ شقيماً .. أم سعيد

فلقد أدمنتُ أيام البطالة

أنا لا أفعل شيئاً ..

غير تبريد الزجاجات .. وتدخين السجائر

أنت لا تدرين شيئاً ..

غير تقليب المجلات .. وتقليم الأظافر

ليتنا نفتح يا سيدتي إحدى الستائر ..

فأنا اشتقتُ لأخبار العصافير ..

وأخبار المطر ..

وأنا اشتقتُ كثيراً ..

لنداءات الصواري ..

ودهاليز القطارات ..

وأوراق السفر ..

وأنا اشتقتُ كثيراً .. وكثيراً ..

لمظلات المقاهي ..

ولأضواء الدكاكين .. وأصوات البشر

ليتنا نفعل شيئاً ..

قبل أن يذبحنا سيف الضجر ..

الفهرس

4 منشور سري جدا
5 بلاغ شعري رقم 1
8 محاكمة غير شرعية
10 بيروت والحب والمطر
15 شكراً
20 خربشات طفولية
25 من الأرشيف
28 جسمك خارطتي
33 وبر الكشمير
37 قصيدة التحديات
44 بريد بيروت
50 أسئلة إلى الله
56 تهويمات صوفية لتكوين امرأة
60 قصيدة غير منتهية في تعريف العشق
69 الشجرة
74 النساء والمسافات
78 تنويعات موسيقية على امرأة متجردة
85 اللجوء
88 حوار مع امرأة من خشب
92 رصاصة الرحمة
95 صورة دوريان غراي
102 أمية الشفتين
105 حبوب منومة
108 المقبرة البحرية
111 إيضاح إلى من يهملها الأمر
113 اعتزال التمثيل
116 المذبحة
119 إلى صاحبة السمو .. حبيبتني سابقا
126 الاستحالة

133 محاولة لاغتياال امرأة
139 الالتصاق

جميع حقوق النقل الإلكتروني محفوظة لـ :

ahmed15091981@yahoo.com

ومدونة العلم هو القوة :

<http://nermeen.nireblog.com>



نزار قباني

أشهد
أن لا
إله إلا أنت
امرأة

قراءة ممتعة
مع تحيات يحيى الصوفي
مؤسس ورئيس تحرير موقع
القصة السورية
Syrian Story

الطبعة السادسة

حزيران يونيو (١٩١٣)

الإقتاحية

إلى امرأة لا تعادُ ..
تُسمى .. (مدينة حزني)
إلى مَنْ تسافرُ مثل السفينة في ماء عيني
وتدخلُ - وقت الكتابة -
ما بين صوتي ، وبينني ..
أقدمُ موتي إليك .. على شكل شعرٍ ..
فكيف تظنين أني أغني ؟ ...

المحاكمة

يعانقُ الشرقُ أشعاري .. ويلعنها ..
فألفُ شكرٍ لمن أطرى .. ومن لعنا
فكلّ مذبوحة .. دافعتُ عن دمها
وكلّ خائفة أهديتها وطننا ..
وكلّ نهد .. أن أيدت ثورته
وما ترددتُ في أن أدفع الثمنا
أنا مع الحب ، حتى حين يقتلني
إذا تخلّيتُ عن عشقي .. فلستُ أنا ...

أشهد أن لا امرأة إلا أنت ..

١

أشهد أن لا امرأة ..
أنقنت اللعبة إلا أنت ..
واحتملت حماقتي ..
عشرة أعوام كما احتملت ..
واصطبرت على جنوني مثلما صبرت ..
وقلمت أظافري ..
ومرتبت دفاتري ..
وأدخلتني مروضه الأطفال ..
إلا أنت ..

٢

أشهد أن لا امرأة
تشبهني كصورة نرينية
في الفكر والسلوك، إلا أنت ..
والعقل والجنون .. إلا أنت ..
والملل السريع ..

والتعلق السريع ..

إلا أنتِ

أشهد أن لا امرأة ..

قد أخذت من اهتمامي ..

نصف ما أخذت ..

واستعمرتني مثلما فعلت ..

وحررتني مثلما فعلت ..

٣

أشهد أن لا امرأة

تعاملت معي كطفلٍ عمره شهران ..

إلا أنتِ ..

وقدمت لي لبن العصفور ،

والأنزهار ، والألعاب ،

إلا أنتِ ..

أشهد أن لا امرأة ..

كانت معي كريمة كالبحر ..

مراقبةٌ كالشعرِ ..

ودللتني مثلما فعلتِ ..

وأفسدتني مثلما فعلتِ ..

أشهد أن لا امرأةً ..

قد جعلتُ طفولتي ..

تمتد للخمسين .. إلا أنتِ ..

٤

أشهد أن لا امرأةً ..

تقدر أن تقول إنها النساءُ .. إلا أنتِ ..

وإن في سرتها ..

مركز هذا الكون

أشهد أن لا امرأةً ..

تتبعها الأشجارُ عندما تسيرُ ..

إلا أنتِ ..

ويشربُ الحمامُ من مياهِ جسمها الثلجي ..

إلا أنتِ ..

وتأكلُ الخرافُ من حشيشِ إبطها الصيفي ..

إِلَّا أَنْتِ

أشهد أن لا امرأة ..

إختصرت بكلمتين قصة الأنوثة .

وحرصت مرجولتي عليّ ..

إِلَّا أَنْتِ ..

٥

أشهد أن لا امرأة

توقف الزمان عند نهدها الأيمن .

إِلَّا أَنْتِ ..

وقامت الثورات من سفوح نهدها الأيسر ..

إِلَّا أَنْتِ ..

أشهد أن لا امرأة

قد غيرت شرائع العالم إلا أنت ..

وغيرت ..

خرطة المحلل والحرام ..

إِلَّا أَنْتِ ..

أشهدُ أن لا امرأةً ..
تجتاحني ، في لحظاتِ العشقِ ، كالزئزالُ
تُحرقني .. تُغرقني ..
تُشعلني .. تُطفئني ..
تُكسرني نصفينِ كالهِلالُ ..

أشهدُ أن لا امرأةً ..
تحتلُّ نفسي أطول احتلالُ ..
وأجملَ احتلالُ
تترعني ..
ومرداً دمشقياً ..
ونعناعاً ..
وبرتقالُ ..

يا امرأةً ..
أتركُ تحتَ شعرها أسئلتي ..
ولم تجبْ يوماً على سؤالُ ..

يا امرأة هي اللغاتُ كلها ..

لكنها

تلمسُ بالذهنِ .. ولا تقالُ ..

٧

أيتها البحريةُ العينينِ ..

والشمعيةُ اليدينِ

والرائحةُ الحضورِ ..

أيتها البيضاءُ كالفضةِ ..

والمساءُ كالبللورِ ..

أشهد أن لا امرأةً

على محيطِ خصرها .. تجتمعُ العصور

وألفُ ألفِ كوكبٍ يدورُ

أشهد أن لا امرأةً .. غيرك يا حبيبتى

على ذمراعِيها ترهبى أولُ الذكورِ ..

وآخرُ الذكورِ ..

٨

أيتها اللماحةُ ، الشفافةُ ،

العادلة ، الجميلة ..
أيتها الشهية ، البهية ،
الدائمة الطفولة ..
أشهد أن لا امرأة ..
تحررت من حكم أهل الكهف .. إلا أنت ..
وكسرت أصنامهم ..
وبددت أوهامهم ..
وأسقطت سلطة أهل الكهف .. إلا أنت ..
أشهد أن لا امرأة ..
استقبلت بصدورها خناجر القبيلة
واعتبرت حبي لها ..
خلاصة الفضيلة ..

٩

أشهد أن لا امرأة ..
جاءت تماماً مثلما انتظرت
وجاء طول شعرها ، أطول مما شئت أو حلمت
وجاء شكل نهدها ..
مطابقاً لكل ما خططت أو رسمت ..

أشهد أن لا امرأة ..

تخرجُ لي من سحب الدخان .. إن دخنتُ

تطيرُ كالحمامة البيضاء في فكري .. إذا فكرتُ

يا امرأة .. كتبتُ عنها كتباً مجالها

لكنها برغم شعري كله ..

قد بقيتُ .. أجمل من جميع ما كتبتُ ..

أشهد أن لا امرأة ..

مارست الحب معي بمنتهى الحضارة

وأخرجتني من غبار العالم الثالث ..

إلا أنت ..

أشهد أن لا امرأة ..

قبلك ، حلتُ عقدي

وثفتُ لي جسدي ..

وحاورتهُ مثلما تحاور القيثارة ..

أشهد أن لا امرأة ..
تمكنت أن ترفعَ الحَبَّ إلى مرتبة الصلاة ..
إلا أنت .. إلا أنت ..
إلا أنت ..

قدم أنت بشكل امرأة ..

قدم أنت بشكل امرأة ..
وأنا مقتنعٌ جداً بهذا القدرِ
إني بعضك ، يا سيدتي
مثلما الأخضرُ بعضُ الشجرِ ..
وأنا صوتك ، يا سيدتي
مثلما الآهُ امتدادُ الوترِ ..
مطرٌ يغسلني أنت .. فلا
تحرمني من سقوط المطرِ
بصري أنت . وهل يمكثها
أن ترى العينانِ دونَ البصرِ ؟

أعظم أعمالي

إذا سألوني عن أهم قصيدةٍ
سكبتُ بها نفسي ، وعمري ، وآمالي

كُتِبَ بِحُضْرٍ فَارِسِيٍّ مَذْهَبٍ
عَلَى كُلِّ نَجْمٍ : أَنْتِ أَعْظَمُ أَعْمَالِي

حبيبي هي القانون ..

أيتها الأتني التي في صوتها ..
تمتريحُ الفضةُ .. بالنبيذ .. بالأمطارُ
ومن مرأيا مركبتيا يطلع النهارُ
ويستعدُّ العمرُ للإبحارُ ..
أيتها الأتني التي
يحتلطُ البحرُ بعينها مع الزيتونُ ..
يا ومرتدي
ونجمتي
وتاجَ رأسي ..
ربما أكونُ ..
مشاغباً .. أو فوضوي الفكر ..
أومجنونُ
إن كنتُ مجنوناً - وهذا ممكن -
فأنتِ يا سيدتي
مسؤولةٌ عن ذلك الجنونُ

أوكنتُ ملعوناً - وهذا ممكناً -
فكلُّ من يمارسُ الحبَّ بلا إجازةٍ
في العالمِ الثالثِ
يا سيدتي ، ملعونٌ . .
فساحيني مرةً واحدةً
إذا أنا خرجتُ عن حرفةِ القانونِ
فما الذي أصنع يا مريحانتي ؟
إن كان كلُّ امرأةٍ أحببتها
صارتُ هي القانونُ . .

التمثيلية

أقولُ أمامَ الناسِ ، لستِ حبيبتِي
وأعرفُ في الأعماقِ كم كنتُ كاذباً
وأزعمُ أن لا شيءَ يجمعُ بيننا
لأبعدَ عن نفسي وعنك المتاعبا
وأنفي إشاعاتِ الهوى . . وهي حلوةٌ
وأجعلُ تأريخي الجميلَ خراباً
وأعلنُ ، في شكلِ غيبي ، براءتي
وأذبحُ شهواتي . . وأصبحُ مراهباً

وأقتلُ عطري . . عامداً متعمداً
وأخرجُ من جناتِ عينيكِ هاربا
أقومُ بدورِ مضحكٍ يا حبيبتِي
وأرجعُ من تمثيلِ دوري خائبا
فلا الليلُ يخفي - لو أُرَاد - نجومه
ولا البحرُ يخفي - لو أُرَاد - المراكبا . .

قولي أحبك

قولي (أحبك) . . كي ترید وسامتي
فغير حبك لا أكونُ جميلا . .
قولي (أحبك) . . كي تصيرُ أصابعي
ذهبا . . وتصبحَ جهتي قنديلا
قولي (أحبك) كي يتمَّ تحوي
فأصيرُ قمحا . . أو أصيرُ نخيلا
الآنَ قولها . . ولا تنرددي
بعضُ الهوى لا يقبلُ التأجيلا
قولي (أحبك) كي ترید قداستي
ويصيرُ شعري في الهوى إنجيلا

سأغيرُ التقويمَ لو أحببتني
أحرفُ فصولاً ، أو أضيفُ فصولاً
وسينتهي العصرُ القديمُ على يدي
وأقيمُ مملكةَ النساءِ بديلاً . .
قولي (أحبك) كي تصيرَ قصائدي
مائةً . . وكتابتني تنزيلاً
ملكاً أنا . . لو تصبحينَ حبيبتي
أغزو الشمسَ مراكباً وخيولاً
لا تخجلي مني . . فهذي فرصتي
لأكونَ ربناً . . أو أكونَ رسولاً . .

هل هذه علامةٌ ؟ . .

لم أتأكد بعدُ ، يا سيدتي ، من أنت . .
هل أنتِ أُنثى التي انتظرتها ؟
أم دميةٌ قتلتُ فيها الوقتَ
لم أتأكد بعدُ ، يا سيدتي
فأنتِ في فكري إذا فكرتُ . .
وأنتِ في دفاتري الزرقاءِ . .
إن كتبتُ . .

وأنتِ في حقيقتي ..
إذا أنا سافرتُ
وأنتِ في تأشيرة الدخولِ ،
في ابتسامة المضيفة الخضراءِ ،
في الغيم الذي يلتف كالذراع ..
حول الطائرة
وأنتِ في المطاعم التي تقدمُ النبيذَ ،
والجبنَ بباريسَ ، وفي أقبية المترو التي
يفوح منها الحبُّ و (الغولوانرُ) ..
في أشعار (فرلين) التي تباعُ
عند الضفة اليسرى من (السينِ)
وفي أشعار (بودلير) التي تدخلُ
مثل خنجر مفضض .. في الخاصرة ..
وأنتِ في لندنَ ، تلبسيني
ككنزة صوفية عليك إن بردتُ
وأنتِ في مدريدَ ،
في استوكهولمَ ،
في هونكونغَ ،

عند سدِّ الصينِ ،
أفكاً أمامي حيثما التفتُ . .
في مطعمِ الفندقِ ، في مشربه . .
أمرأكِ في كأسِي إذا شربتُ
أمرأكِ في حزنِي ، إذا حزنْتُ

*

أريدُ أن أعرفَ يا سيدتي
هل هذه علامةٌ بأنني أحببتُ ؟ . .

الحضارة

يغسلني حبك من بداوتي . .
يشيل عني الرمل والحجارة . .
يُدخلني في قصره المائي . . كل ليلة
يدخلني في نمرقة العبارة . .
وعندما أسألهُ :

من أنتِ يا حبيبتِي ؟
يرفع لي عن وجهك الستارة . . .
ثم يقول: ها هي الحضارة . .

التجارب

لا تُتعبني نفسك يا غاليه
في البحث عن تجاربي الماضيه
كل نساء الأمرض في كفة ..
وأنت يا أميرتي ..
في الكفة الثانية ..

أحبك ..

أحبك في كل يوم ، ثلاثين عاماً
وأشعر أنني أسبق عمري ..
وأشعر أن الزمان قليل عليك
وأن الدقائق تجري ..
وأني وراء الدقائق أجري ..
وأشعر أنني أوسس شيئاً
وأزمرع في رحم الأمرض شيئاً ..
وأشعر ، حين أحبك ،
أن أعير عصري ..

التعاريف

أن ضد كل التعاريف في الحب ..
فهي جميعاً قوالب ..
و ضد جميع الوصايا القديمة،
ضدّ جميع النصوص،
و ضد جميع المذاهب ..
فلا يصنع الحبّ إلا التجارب ..
ولا يصنع البحر إلا الرياح وإلا المراكب ..
ولا يستطيع الحديث عن الحرب .. إلا المحارب
أنا أفعل الحبّ .. لكن إذا سألوني عنه ..
فإنني أفضل أن لا أجاب ..

المطر

أخاف أن تمطر الدنيا، ولست معي
فمنذ مرحت .. وعندى عقدة المطر
كان الشتاء يغطيني بمعطفه
فلا أفكر في برد ولا ضجر
وكانت الريح تعوي خلف نافذتي
فتهمسين: "تمسك .. ها هنا شعري .."

والآن أجلسُ . . والأمطار تجلدني
على ذراعي . على وجهي ، على ظهري
فمن يدافع عني . . يا مسافرة
مثل اليمامة ، بين العين والبصر ؟ .
وكيف أحوك من أوراق ذاكرتي ؟
وأنت في القلب مثل النقش في الحجر
أنا أحبك . . يا من تسكين دمي
إن كنت في الصين ، أو إن كنت في القمر
ففيك شيءٌ من المجهول أدخله
وفيك شيءٌ من التاريخ والقدم

لماذا ؟

كثيرات صديقاتي . .
كثيرات علاقاتي
وبين يديّ - حين أريد - آلاف الخيامات
ولكن ما يجيرني
لماذا أنت بالذات ؟ .
أحبك أنت بالذات ؟ .

اكبري عشرين عاماً

اكبري عشرين عاماً .. ثم عودي ..
إن هذا الحب لا يرضي ضميري
حاجزُ العمر خطيرٌ .. وأنا
أتحاشى حاجزَ العمر الخطيرِ ..
نحن عصران .. فلا تستعجلي
القفز، يا زنبقتي، فوق العصور.
أنت في أول سطر في الهوى
وأنا أصبحت في السطر الأخير ..

الإناء ..

.. وكنت في طفولتي
أظن أن القلب كالإناء
تسبح في مياهه الزرقاء آلاف من النساء
وعندما نضجت يا حبيبتني
واتحدت عناصرُ الأشياء
بجث عن أسماك الخضر والحمر
فلم أجد سواك يا أميرتي
في ذلك الإناء

معادلة

أعشقُ يا حبيبتى
إذن أنا موجودُ
أكتبُ يا حبيبتى ..
فأسترد الزمنَ المفقودُ ..

لو كان جبي شجرًا

لو كان جبي شجرًا ..
لكنتُ يا حبيبتى
غطيتُ وجه الأرض بالأشجارُ
لو كان جبي مطرًا
أغرقت هذا الكون .. بالأمطار ..

تعالى البامرحة

إن كان لا يمكنك الحضورُ يا حبيبتى ..
لأني عذرت طامري
سأكتفي بالرائحة
إن كان لا يمكن أن تأتي غدًا ..
لموعدي

إذن .. تعالي بالمرحهُ !! .

تربية الخيول

أعبّ من مياه ناهديك كالحصان ..
وأستريحُ بعدها ..
من تعبِ الزمان ..
فلا تذلي الخيلَ، يا صديقتي ..
للخيل أخلاقٌ وعنفوان ..

على البحر الطويل

إفرشي شعركِ فوقِي ..
مثل غاباتِ النخيلِ
فأنا يعجبني النظمُ على البحر الطويلِ
لستُ مرجعياً بطبعي .. إنما
أشتهي مرائحةَ البن .. وطعمَ الزنجبيلِ
يرحلُ المشطُ، وقلبي معه ..
إنّ من أغلى هواياتي الرحيل ..

كي يأتي النهارُ

لن أطيل الشرح ..

فالحبُّ اختصارٌ
ففيني حاجة قصوى
إلى واحدة مثلك ..
كي يأتي النهار ..

هل يعرف القراء ؟

كيف استطعتِ يا سيدتي ؟
أن تدخلني بين يدي .. والورقة
وتسكين في الحبر والأقلام ..
كيف استطعتِ يا سيدتي ؟
أن تحذي في عبارة ..
وتكلمي عبارة ..
وتخرجني من داخل الكلام ..
هل يعرف القراء يا سيدتي ؟
أنك كنت دائماً
توقعين عني كتب الغرام ..

اللغة

أو كلما مرَّ رجلٌ أحبَّ ..
يكونُ مضطراً إلى استعمال ذات المفردات ؟ .

أو كلما امرأة أرادت أن تضم حبيبها
فرضوا عليها أن تنام مع الأئمة .. والنحاة ؟
من أجل هذا كله ..
ما قلت شيئاً للتي أحببتها ..
وجمعت أشياء الهوى بحقية ..
وهربت من كل اللغات ..

أغضب العالم بالكلمات ..

أغضب العالم بالكلمات ..
أغضب اللغة الأم ..
النحو .. الصرف .. الأفعال .. الأسماء ..
أجتاح بكمالات الأشياء
وأشكّل لغة أخرى ..
فيها سرّ النار .. وسرّ الماء ..
وأضيءُ الزمن الآتي ..
أوقف في عينيك الوقت ..
وأحو المحطّ الفاصل بين اللحظة والسنوات ..

وماذا سيخسر مرابي ؟

وماذا سيخسر مرابي ؟

وقد رسم الشمس تفاحة
وأجرى المياه . وأمرسى الجبالا . .
إذا هو غير تكويننا
فأصبح عشقي أشدّ اعتدالا . .
وأصبحت أنت أقلّ جمالا . . .

الوردة والفتجان

دخلت اليوم للمقهى . .
وقد صممت أن أنسى علاقتنا
وأدفن كل أحزاني . .
وحين طلبت فتجاناً من القهوة
خرجت كوردة بيضاء .
من أعماق فتجاني !! .

هل تكتين معي القصيدة؟

فكرت أن الشعر يهبط كالمفاجأة السعيدة
ويجيء مثل الطائر الليلي من جنم بعيد . .
فكرت أن الشعر يحمل كيسه . .
ويوزع الألعاب، والحلوى على الأطفال
في السنة الجديدة

حتى وجدتك بين أقلامي ، وبين دفاتري
فعرفت أنك تكتبين معي القصيدة . . .

صعوبة

وكم أعجبت بامرأة . .
ولم يفتح بها القلب . .
نساء الأمرض لا يحصين . .
لكن الهوى صعب . .

حماقة

وما كنت أعلم . .
حين شطبتك من دفتر الذكريات . .
بأنني أشطب نصف حياتي . .

شهادة تأمين

تريدين مني شهادة حب . .
موقعة بالحروف الكبيرة . .
وأشهد - حتى كتابة هذي السطور .
بأنك بين النساء الأخيرة . .
ولكن ، لماذا الشهادات ؟ قولي

وهل يضمن البحر يوماً حدودَ جزيرته؟

إلى ثلاثينية . .

دخلتِ الثلاثين منذ شهر . .

ومازلتُ أشعرُ مرغماً الحوامر المثقف،

أنتِ بعدُ . . تخافين مني . .

ألا بدّ أن يتدخل شيخ القبيلة،

بيني وبينك . . كل تطمئني؟

الحافية

صامتة أنت . .

فهل تدرين بأن يديك الصامتين . .

كتاباً شعراً؟

حافية أنت . .

فهل تدرين بأن امرأة حافية القدمين

تغير ايقاع التاريخ،

ويقلب خارطة الدنيا،

وتطيل العمر؟

الدخول إلى البحر . . .

حدثت تجربة الحب أخيراً . . .
ودخلت جنة الله، ككل الداخلين
وانزلقنا . . .

تحت سطح الماء أسماكاً . . .

مرأينا لؤلؤ البحر الحقيقي . . .

وكنا ذاهلين . . .

حدثت تجربة الحب أخيراً . . .

حدثت من غير إرهاب ولا قسر . . .

فأعطيت . . . وأعطيت . . .

وكنا عادلين . . .

حدثت في منتهى اليسر كما

يكتب المرء بماء اليا سمين . . .

وكما يتفجر النبع من الأرض . . .

فشكراً . . .

لك يا سيدتي

ولرب العالمين . . .

إلى نصف عاشقة

تحرّكي خطوة.. يا نصف عاشقة
فلا أريد أنا أنصاف عشاق
إن الزلازل طول الليل تضربني
وأنت واضعة ساقاً على ساق
وأنت آخر من تعنيه مشكلتي
ومن يشاركني حزني وإرهاقي
تبلي مرة بالماء.. أوبدمي
وجربي الموت يوماً فوق أحداقي
أنا غريبٌ، ومنفيٌ.. ومستلب
وثلج هديك غطى كل أعماقي
أمن سوابق شعري أنت خائفة؟
أمر من أفكاري وأشواقي
لا تحسبي أن أشعاري تناقضني
فإن شعري طفولي كأخلاقي...

الكتاب المقروء

بكلمة واحدة..

لفظتها ونحن عند الباب

فهمت كل شيء . . .
فهمتُ من طريقة الوداع
ومن جمود الثغر والأهداب
فهمت أني لم أعد
أكثر من بطاقة تركت تحت الباب
فهمت يا سيدتي
أنك قد فرغت من قراءة الكتاب . .

الطوابع

أعرف يا سيدتي
أن الرجال كلهم لديك كالطوابع . .
مجموعة من أغرب الطوابع . .
وأندم الطوابع
على جدار القلب تلصقنيهم
وحين تتعين تنزعنيهم . .
من دفتر الأشواق كالطوابع
أعرف أيضاً أنني . .
ما كنت إلا طابعاً من جملة الطوابع . . .

هربت من نرمني الشعري . .

هربت من نرمني الشعري، يا امرأة
ومن تقلب طقسي، وانفعالاتي
غريبة كنت عن جبري، وعن ورقتي
فلم تحبي عصافيري، وغاباتي
ولا اقتنعت بأفكاري ولا كتي
ولا أعادتك للايمان آياتي
طلبت مني ثباتاً لست أملكه
أما المهجر طول العمر من ذاتي
ما أسعدتك فصور الشعر، سيدتي
ما تفعلين بقصر في السماوات؟
أردت أن تجعلي مني مؤسسة
وتررعي نباتاً كالنباتات
كنت القصيدة لا أدري نهايتها
وصرت، وأسفي، من بين عاداتي . .

لا تحسبن جميلة

لا تحسبن جميلة جداً

إذا أخذت مقاييس الجمال

لا تُحسِّينُ مِثْرَةَ جَدًّا . . .

إذا دَامَ المَحْدِثُ عَنِ العَوَايَةِ وَالعَوَالِ

لا تُحسِّينُ خَطِيرَةَ جَدًّا . . .

إذا كَانَ الهَوَى . . .

معناه أن تتحكم امرأة بأقدام الرجال

لكن شيئاً فيك سرّاً . . .

وصوفياً . . . و جنسياً . . . وشعرباً . . .

يحرّضني، ويقلّفتني . ويأخذني

إلى ألف احتمال واحتمال . . .

لا تُحسِّينُ جَمِيلَةَ جَدًّا . . .

لكن شيئاً فيك يحترق الرجولة،

مثل رائحة النبيذ، ومثل عطر البرتقال . . .

شيئاً يفاجئني . . .

ويُحرقني . . .

ويُغرقني . . .

ويتركني بين الحقيقة والخيال

لا تُحسِّينُ جَمِيلَةَ . . .

لكن شيئاً فيك مائياً . . .

طفولياً .. بدائياً .. حضارياً ..

عراقياً .. وشامياً ..

يُكلمني ..

ويرفض أن يجيب على سؤالي ..

لا تحسبن جميلة ..

لكن شيئاً فيك أقنعني ..

وعلمي القراءة، والكتابة، والحروف الأبجدية

فإذا بسنبلة تمشط شعرها في راحتيه

وإذا بعصفور صغير جاء يشرب من مياهي الداخلية

الله .. كم هو رائع ..

أن تصبح امرأة قضية ..

ألا تجلسين قليلاً ؟ .

ألا تجلسين قليلاً

ألا تجلسين ؟

فإن القضية أكبر منك .. وأكبر مني ..

كما تعلمين ..

وما كان بيني وبينك ..

لم يك نقشاً على وجه ماء

ولكنه كان شيئاً كبيراً كبيراً ..

كهذي السماء

فكيف بلحظة ضعف

نريد اغتيال السماء؟ ...

ألا تجلسين لحمس دقائق أخرى؟

ففي القلب شيءٌ كثيرٌ ..

وحزنٌ كثيرٌ ..

وليس من السهل قتل العواطف في لحظات

والقاء حبك في سلة المهملات ..

فإن تراثنا من الحب .. والشعر .. والحزن ..

والخبز .. والملح .. والتبغ .. والذكريات

يحصرننا من جميع الجهات

فليتك تفتكرين قليلاً بما تفعلين

فإن القضية ..

أكبر منك .. وأكبر مني ..

كما تعلمين ..

أنا لا أحاول مرّة القضاء
ولكنني أشعر الآن أن التشنج ليس علاجاً
لما نحن فيه . .
وأنا الحماسة ليستُ طريق اليقين
وأن الشؤون الصغيرة بيني وبينك . .
ليستُ تموت بتلك السهولة
وأن المشاعر لا تتبدل مثل الثياب الجميلة . .

أنا لا أحاول تغيير رأيك . .
إن القرار قرارك طبعاً . .
ولكنني أشعر الآن أن جذورك تمتد في القلب،
ذات الشمال، وذات اليمين . .
فكيف تفك حصار العصافير، والبحر،
والصيف، والياسمين . .
وكيف نقص ثابنتين؟
شرطاً غزله في عشرات السنين . .

- سأسكب كأساً لنفسني . .

- وأنت؟

تذكرت أنك لا تشرين ..

أنا لست ضد رجلك .. لكن ..

أفكر أن السماء ملبدة بالغيوم ..

وأخشى عليك سقوط المطر

فلماذا يضرك لو تجلسين؟

لحين انقطاع المطر ..

وماذا يضرك؟

لو تضعين قليلاً من الكحل فوق جفونك ..

أنت بكيت كثيراً ..

وما نزال وجهك مرغم اختلاط دموعك بالكحل

مثل القمر ..

أنا لست ضد رجلك ..

لكن ..

لدي اقتراح بأن نقرأ الآن شيئاً من الشعر ..

علّ قليلاً من الشعر يكسر هذا الضجر ..

.. تقولين إنك لا تعجبين بشعري !!

سأقبل هذا التحدي الجديد

بكل برودٍ .. وكل صفاءٍ
وأذكرُ ..

كـ كنتِ تحتفلين بشعري ..
وتتصنين حروبي في صباح مساء
وأضحكُ ..

من نرات النساءِ ..

فليتك سيدتي تجلسين
فإن القضية أكبر منك .. وأكبر مني ..
كما تعلمين ..

أما نزلتِ غضبي ؟

إذنُ ساحبيني ..

فأنتِ حبيبة قلبي على أي حال ..

سأفرض أنني تصرفتُ مثل جميع الرجال
بعض الحشونه ..

وبعض الغرور ..

فهل ذلك يكفي لقطع جميع الجسور ؟

وأحرق كل الشجر ..

أنا لا أحاول مرد القضاء ومرد القدر ..
ولكنني أشعر الآن ..
أن اقتلاعك من عصب القلب صعب ..
وإعدام حبك صعب ..
وعشقك صعب ..
وكرهك صعب ..
وقتلك حلم بعيد المنال ..
فلا تغلني الحرب ..
إن الجميلات لا تحترفن القتال ..
ولا تطلقى النار ذات اليمين وذات الشمال ..
ففي آخر الأمر ..
لن تستطيعي اغتيال جميع الرجال ..

الدفاتر القديمة

أيتها الرفيعة التهذيب، والرجعية الأمراء
يا امرأة تصر أن تكون بين الأرض والسماء ..
لربما كان من الغباء
أن تفتح الدفاتر القديمة
ونرجع الساعة للوراء ..

وربما كان من الغفلة والغرور . .
أن يدعي الإنسان أن الأمراض لا تدور
والحب لا يدور . .

والغرف النمرقاء بالعشاق لا تدور . .
وربما كان من الغبار . .
أن تتحدى دورة الفصول . .

ومنطق الأشياء
ونُخرج الأنهار الحمراء من عباءة الشتاء . .

وربما كان من الغباء
أيتها الرفيعة التهذيب، والرجعية الآراء
بعد ثلاثين سنة . .

أن نبدا الحديث من أوله . .
فأطائر الذكي لا يكره الغناء . .

***** النهاية *****

مع تحيات يحيى الصوفي
مؤسس ورئيس تحرير موقع
القصة السورية
Syrian Story

نزار قباني



انتی پی

أنتِ لي

يروون في ضيعتنا .. أنتِ التي أرجحُ
شائعةٌ .. أنا لها مصفقٌ .. مسبحُ
وأدعها بغم مزفه التبجحُ
يا سعدها رواية ألهو بها وأمزحُ
لو صدقتُ قولتهم .. فلي النجومُ . مسرحُ
أو كذبت .. ففي ظنوني عبقُ لا يُمسحُ

لو أنتِ لي .. أروقة الفجر مداي الأفسحُ
منا .. ومن عيوننا .. هذا الصباح يصبحُ
لي أنتِ .. مهما صنف الواشونَ ، مهما جرحوا
وحدي .. أجل وحدي .. ولن يرقى إليك مطمحُ

لي ميسة الزنار .. والخاصرة الموشحُ
والخال لي .. والشال لي .. والأسودُ المسرحُ
وكلُّ ما فتحَ في الصدر .. وما يفتحُ
أنتِ .. ويكفيني أنا الغرور والتبجحُ

معجبة

تقولُ أغانيك عندي
تعيشُ بصدري كعقدي

وشِعركَ .. هذا الطليقُ الأنيقُ
لصيقُ بكبدي

فمنه أكحلُ عيني
ومنه أطر نهدِي

فبيتُ بلون عيوني
وبيتُ بحمرة خدي

يدثرني حين يأتي الشتاء
فيذهب بردي

وأحفظ منه الكثيرَ الكثيرَ
وأجهلُ قصدي

كأنك رشة طيب عريق
تفشت بردي

وحسك أنك في كل بيتِ
كسلةٍ وردِ

كفاني من المجد
تسبيحُ ثغر جميل بحمدي !!

تطريز

من نهودٍ .. أم رجز
أم من جراحات الكرز

من انهثال المخمل
وعزة التخيل

كنتِ .. وقالَ الله لي :
أدميتُ فيها معولي ..

من شاطئٍ مزرکش
أم من حفيف الريش

ومن جبين عود
وزرقة الوعود

وغنة المطارق
ومرمر مراهق

هوَّمتِ شالاً أزرقا
يرش عمري رزنقا

وناهداً يدور
نولاً من الحريرُ

أم أنتِ عنقود فكر
ألقاه شباكُ القمرُ

فوشح الهضابا
وكانت (العتابا)

والريح والغصون
والضوء السنونو

وكان في الأرض السنا
وكنتُ - من بعدُ - أنا ...

الشقيقتان

قلم الحمرة - أختاه - ففي
شرفات الظن ، ميعادي معه

أين أصباغي .. ومشطي .. والحلى ؟
إن بي وجداً كوجد الزوبعة

ناويليني الثوبَ من مشجبه
ومن الديباج هاتي أروعه

سرحيني .. جمليني .. لوني
ظفري الشاحب ، إنني مسرعه

جوربي نارٌ .. فهل أنقذته
من يد موشكةٍ أن تقطعه

ما كذبتُ الله فيما أدعي
كاد أن يهجر قلبي موضعه

رحمة يا هندُ .. هل أمضي له
وأنا مبهورةٌ ممتعةٌ ..

إنه الآنَ .. إلى موعدنا
جبهةٌ ، باذخةٌ ، مرتفعةٌ

ورداء يحصد الشمسَ جوى
وفمٌ لونُ الفصول الأربعة

لا أسميه .. وغن كان اسمه
نقرة العود ، وبوح المزرعه

لو سألت الريشَ من أهدابهِ
أنقي البرد به .. لا قتلعتَه

ركزي يا هند شالي ، فعلى
سحبات الرصد .. ميعادي معهُ

كيف كان؟

تساءلت في حنانٍ
عن حبنا ، كيف كان ؟

وكيفَ نحنُ استحلنا
حرائقاً في ثوان

صرنا ضياء .. وصرنا
في دوزنات الكمان

فالناس لو أبصرونا
قالوا : دخان الدخان ..

في أي أرض جُمعنا
وأين هذا المكان ؟

هل كان جذعاً عتيقاً
في غابة السنديان ؟

أم كان منزل راعٍ
مسربلاً بالأغان ؟

على الليالي دخلنا
فأصبحت مهرجان

فحيثُ رفت خطانا
تفتقت نجمتان

وحيثُ سالَ شذانا
تفتحت وردتان

ويعرف الليلُ أنا
كنا له شمعتان

نهديه حتى كأنا
للليل غمازتان ..

عند الجدار

عندَ جدار البيتِ .. ذاتَ يومٍ
أقبلتُ نحوي تسألين : ما اسمي ؟

كنتِ بعمر البرعم المندى
أعوامك العشرة لم تنمي

جدائل رعوشة .. وصدراً
كقطعة الحرير لم يشمَّ ..

وكنتُ تحت الشمس مستريحاً
أنقش في التراب ألفَ رسم

أعدو مع العبير دونَ هم
وجئتِ أنتِ . جاء همي ..

سألتني اللعب معي .. ورحنا
نقطر الضوء بكل نجم

وندرز الصباح وشوشات
منطرحين في جوار كرم

طعامنا اللثم .. فلو نهينا
عنه ، إذن متنا بغير لثم

وكانَ .. أن عدتُ إلى فراشي
فضاع أمني ، واستحال نومي

واحترقت مخدتي بناري
وأقبلتُ على الدموع أُمي

تقولُ : " يا شقي .. كيف تغشى
زاوية الجدار دون علماي ؟. "

يا رحمة الله .. على جدار
لذنا به طفلين ذات يوم ..

الموعد المزور

وميعاد .. على فمها شحيحُ
يحاول أن يبوحَ ، ولا يبوح

يرف على قرنفة خجول
يبارك وهجَ حمرتها المسيحُ

يريدُ .. ولا يريدُ .. فيا لثغر
على شطيه يحتضر الوضوح

ويدعوني إليه .. ورُبَّ وعدٍ
له نبضٌ .. وأعصابٌ .. وروحٌ ..

وكم شفة .. بها عطشُ الدوالي
عليها الحرفُ مبتهلٌ .. ذبيح ..

يراودني .. وينكر مدعاه
فأرجع .. والجروح لها جروح

وأسترضي العقيق .. لعل فجراً
يشق ، فتستريح .. وأستريحُ

أخائفة الشفاه .. ألا اعترافُ
تدممه العرائش والسفوح ؟

سر

إلى متى أعتكف ؟
عنها ، ولا أعترف
أضلل الناس .. ولوني
باهت منخطف
وجبهتي مثلوجة
ومفصلي مرتجف
أيجدد الصدر الذي
ينبع منه الصدف
وهذه الغمزة الصغرى
وهذا الترفُّ
تقول لي: " قل لي .. "
فأرتد ولا أعترف
وأرسم الكلمة في الظن
فيأبى الصلف
وأذبح الحرف على
ثغري فلا ينحرف
يا سرها .. ماذا يهم الناس
لو هم عرفوا ..

لا .. لن أريق كلمة
عنها .. فحبي شرف
لو تمنعون النور عن
عيني .. لا أعترف ..

حكاية

كنتُ أعدو في غابة اللوز .. لما
قال عني ، أماه ، إني حلوه ..

وعلى سألني ، غفا زر وردٍ
وقميصي .. تقلتت منه عروه

قال ما قال ، فالقميص جحيمٌ
فوق صدري ، والثوبُ يقطر نشوه

قال لي : مبسمي وريقة توت
ولقد قال : إن صدري ثروه

وروى لي عن ناهدي حكايا
فمهما جدولا نبيذ وقهوه ..

وهما دورقا رحيق ونور
وهما ربوة تعانق ربوه ..

أنا حلوة ؟! وأيقظ أنثى
في عروقي ، وشق للنور كوه ..

إن في صوته قراراً رخيماً
وبأحداقه بريق النبوه

جبهةٌ حرة كما انسرح النور
وثغر فيه اعتداد وقسوه

يغصب القبله اغتصاباً .. وأرضى
وجميلٌ أن يؤخذ الثغر عنوه

ورددت الجفون عنه حياءً
وحياء النساء .. للحب دعوه

تستحي مقلتي .. ويسأل طهري
عن شذاه ، كأن للطهر شهوه ..

أنتِ .. لن تنكري عبس احتراقي
كلنا في مجامر النار .. نسوه ...

أثواب

ألوانُ أثوابها تجري بتفكيري
جري البيادر في ذهن العصافير ..

ألا سقى الله أياماً بحجرتها
كأنهن أساطير الأساطير

أينَ الزمان ، وقد غصت خزانتها
بكل مستهتر الألوان ، معطورٍ

فثم رافعة للنهد .. زاهية
إلى رداءٍ ، بلون الوجد ، مسعور

إلى قميص كثيف الكم ، مغتلم
إلى وشاح ، هريق الطيب ، مخمور

هل المخادع من بعدي ، كسالفها
تزهو بكل لطيف الوشي ، منضور

وهل منامتك الصفراء .. ما برحت
تفتر عن طيب الأنفاس ، معطيرٍ

هل أنت أنت .. وهلا زلت هاجمة
النهدين .. مجلوة مثل التصاوير ؟

وصدرك الطفل .. هل أنسى مواسمه
وحلمتاك عليه ، قطرتا نور ..

وأين شعرك ؟ أطويه .. وأنثره
ما بين منفلتٍ حرٍّ .. ومضفور

إذ المخدرات بالأشواق سايحة
ونحن سكيرةً جنتُ بسكير ..

أين الحرائر ألوانٌ وأمزجة
حيرى على ربوتي ضوء وبللور ..

وللغريزة لفتات مهيجة
لكل منحسر .. أو نصف محسور ..

أهفو إلى طبيبك الجاري ، كما اجتمعت
على المنابع أعناق الشحارير ..

تلفون

همستك الحلوة في الهاتف
أحلى من المعزف والعاذف
لثغاء .. قولي . إنني ذرة
على عقيق الأحمر الواجب
لا تقطعي سحبة قيثارة
عني ، دمي للموعد الخائف
حجرة رائقة زقزقت
في مسعى ، كالوتر الراجف
من صاحب الميعاد ؟ . مجهولة
تمثلت كالحلم الطائف
فم يناديني .. حنون الصدى
إلى لقاء ، مزهر ، وارف
أكاد أستنشق .. رغم المدى
رائحة القميص والسالف
لهاتها عندي .. وأنفاسها عندي ..
وحمى صدرها العاصف ..
قد التقينا .. قبل أن تلتقي
على شريط ، دافئ ، عاطفي
تفجر السلك ندى .. واكتسى
برعماً .. من بوحك الخاطف ..

إن توجدي وحيدة .. ليلة
فزقزي .. قلبي على الهاتف

مانيكور

قامت إلى قارورة
محمومة الرحيق

طلاؤها الوردي
وهج الكرز الفتيق

واستلت المبرد من
غمد له رقيق

ينحت عاج ظفرها
المدلل النميق

وغرد المقص فوق
الممرر الغريق

يحصد في نقلته
نحاتة البريق

ويأكل النور الذي
تاه عن الطريق ..

واهترت الريشة
ذات المقبض الأنيق

باهرة ، ماهرة
فنانة الخفوق

تترك بعض قلبها
للناحل المشيق

وتفرز الغروب
ألفَ جدولٍ هريق

هنيهةً .. فالسلم العاجي
في حريق

عشرُ شموعٍ أُوقدتُ
في معبدٍ عتيقٍ.

يا ظفرُ .. يا ورديُّ .. يا
سجادة العقيقِ.

إن كفرتُ سيدتي
بعهدي الوثيق

فقل لها : إنك قد
رضعتَ من عروقي

الفم المطيب

هذا فم مطيبُ
ينبع منه المغرب

قرّ صغيراً .. مثلما
يرقد طفلٌ متعبٌ

عاتبني .. أتعرفُ
الوردةَ كيفَ تعتبُ؟

صلى على ضفاهه
وعدُّ هوىً معذب

يبكي .. فكل نرةٍ
منه ، انتظارٌ مرعبٌ

دارَ .. فألف رغبةٍ
على مداه ترغب

الياسمين تحته
مخدةٌ وملعبٌ

لو لم يكنْ .. في وجهك
البريء .. قلتُ : مخالبُ

لكنه - إذا غفرتِ -
مخالبٌ مهذبٌ !

ضحكة

وصاحبتي .. إذا ضحكتُ
يسيل الليلُ موسيقا

تطوقني بساقية
من النهوند تطويقا

فأشرب من قرار الرصدِ
إبريقاً فأبريقا

تفننُ حين تطلقها
كحقّ الورد تنسيقا

وتشبعها – قبيل البث –
ترخيماً وترقيقاً ..

أنامل صوتك الزرقاء
تمعن في تمزيقها

أيا ذاتَ الفم الذهبي
رشي الليلَ موسيقا ..

أحبك

أحبك .. حتى يتم انطفائي
بعينين .. مثل اتساع السماء

إلى أن أغيبَ وريداً .. وريداً
بأعماق منجدلٍ كستنائي

إلى أن أحس بأنك بعضي
وبعضُ ظنوني .. وبعضُ دمائي

أحبك .. غيبوبةً لا تفيق
أنا عطشٌ يستحيل ارتوائي

أنا جعدة في مطاوي قميص
عرفتُ بنفضاته كبريائي

أنا – عفو عينك – أنتِ . كلانا
ربيعُ الربيع .. عطاءُ العطاء

أحبك .. لا تسألني أي دعوى
جرحتُ الشموس أنا بادعائي

إذا ما أحبك .. نفسي أحب
فنحن الغناء .. ورجعُ الغناء ..

الصليب الذهبي

أنقطة نورٍ .. بين نهديك ترجف
صليبك هذا .. زينة أم تصوف ؟

على قلبي شمع .. يمد بساطه
ومن دوزقي ماس .. يعلُّ ويرشفُ

تدلى كعنقود اللهب .. وحوله
تثور الأمانى ، والقميص المرفوف

يتوه على كنزي بياض ونعمة
ويكرع من حقي رخام .. ويسرفُ

تكمش بالصدر الفطيم .. فتارة
يقرُّ .. وطوراً يستنار ويعنفُ

أمر تعش الأسلاك .. يا لونَ حيرتي
سريرك مصقولٌ .. وأرضك متحفُ

مذاك أضاميم القرنفل .. فانطلقُ
على زحمة الأفياء .. دربك مترفُ

أتشكو ؟ وهل يشكو الذي تحت رأسه
حريرٌ .. وأضواءٌ .. ووردٌ منتفُ

أجامحة السلسال .. إني شاعرُ
حروفي لهيبُ الله .. هل نتعرفُ ؟

طلعتِ على عمري خيالَ نبيةٍ
صليبٌ .. وسلسالٍ ثمينٌ .. ومعطفُ

ترهبت في عمر الورود .. ومن له
قراءة هذا الوجه ، هل يتكشف

أتبعين مرضاة السماء .. وإنما
بمثلك تعنز السماء وتشرف

أذات الصليب اللؤلؤي .. تلفتي
وراءك هذا المؤمن المتطرف

فلا تمنعي أجري .. وأنت جميلة
ولا تقطعي حبلي .. ودينك ينصف

على صدرك المعنز .. ينتحر الأسى
وتيرا جراحات المسيح وتنشف ..

وردة

أقبلتُ خادمها تهمس لي :
هذه الوردة من سيدتي !!

وردةٌ .. لم يشعر الفجرُ بها
لا ولا أذنُ الروابي وعتِ

هي في صدري .. سر أحمر
ما درتُ بالسر حتى حلمتي ..

إن لي عذري إذا خبأتها
خوف عذالكما في صدرتي

.. ثم دستُ يدها في صدرها
فدمي سكرانُ في أوردتي

أفرجت راحتها ، واندفعت
حلقات الطيب في صومعتي

أهي منها .. بعد تشريد النوى ؟
سلم الله الأصابع التي ..

وردةٌ .. سيدةُ الورد .. ألا
قبلي عني يدي ملهمتي

في إناء الورد .. لن أجعلها
إنني غارسها في رنتي

ليلةٌ ساهرني العطر بها
واستحمت بالندى أغطيتي

وتلمستُ سريري .. فإذا
كلّ شيء .. عاشق في حجرتي

لو أحال الله قلبي .. وردة
لا أرد الفضل يا سيدتي ...

المايوه الأزرق

مرحباً .. ماردةَ البحر .. على الأشواق طوفي
غمسي في الماء ساقين .. كتسبيح السيوفِ
وانبضي حرفاً من النار على ضلع الرصيفِ
واشردني أغنية في الرمل .. شقراء الحروفِ
دربكِ الأحداقُ .. فانسابي على الشوق المخيفِ
بدناً كالشمعة البيضاء .. عاجي الرفيفِ
زنبقياً ، ربما كانَ ، على وردٍ خفيفِ
ونهيدياً .. راعش المنقار ، كالثلج النديفِ
تلبسين المغربَ الشاحبَ في برد شفيفِ
أزرقٍ .. مغرورق الخيط .. سماويّ الحفيفِ

أنتِ .. يا أنتِ .. لقد وشحتِ بالدفء خريفي ..

ثوب النوم الوردِيّ

أغوى فساتينك .. هذه البردة المطيبة
ذاتُ التطاريز .. وذات الطارة المقصبه
والذيل .. والرسوم .. والزر كشة المحببه
إذ أنت زهوَ غرفتي البشوشة المرحبه
تجررين الراهل الطويل .. نشوى معجبه
والأحمرُ الرعّادُ .. أشهى من ورود المأديه
أجملُ ما لبست من غلائل معشوشبه
منامة .. رفُ الحواكير ، وبوح المسكبه
أنا حبيسُ عروةٍ هناك .. كسلى متعبه
لا تقلعيها .. إنها غوايتي المحببه ...

نحت

... ومن جعدة المخمل ومدمة المعول
جبلتك إبريق طيب على العمر ، لم يجبل
وحركت نهدك شمساً تدور .. فهل أنت لي ؟
زرعت النجيمات في ناظريك .. ولم أبخل
أنا من هديت الرياح إلى شعرك المرسل
وحين اكتملت .. ذهلت عن الصانع الأول
وكان الصقيع تلالاً على صدرك الأغزل
وتنسين أن قميصك مرّ على مغزلي
وليتك تدرين أن المحبة أن تبذلي
أنا من عرفت هواه .. وآثرت أن تجهلي

أحبك .. فوق ظنون الظنون .. فلا تسألني ..

خصر

ضنىً وانهدامٌ
وخصرٌ منامٌ
ومروحةٌ للهوى لا تنامُ
كأه الحرير .. تلوى وهامُ
دعاني .. وغابَ ، فيا ليتَ دامُ
مدىً للسيوف لديه احتكامُ

إذا قلتِ : خصري اعتراه السقامُ ..
ترَفَّقُ .. بتمسيد ريش النعام~
تحولتُ عنه ..
قلتُ : حرامُ
أيا ريشة العودِ .. كلي انسجامُ
أمن مدرج الرصدِ .. هذا المقامُ ؟
وحدو الصحارى .. وهو الخيامُ
إذا جاد .. أنعشَ صدرًا غلامُ
وتعتع في الصدر ، حرفي رخامُ ..
وماتَ الحزامُ ..
ضنىً ..
وانهدامُ ..

همي

.. ووشوشتني النسمة الحافية :
لمحتها تعدو على الراية

كانت كأحلى ما يكون الصبا
وشاحها الشباب والعافية

مقلتها .. هدياء سورية
ولونها من عزة البادية

ونهدها .. فلكة تفاحة
وثغرها تنفس الخابية

وتمتم الغروب : شاهدها
تبعثر النجوم في الساقية

وقال عصفور لنا عابر :
فراسها من ورق الدالية

وباحت الغابة : مرت هنا
وانطبقت من هذه الناحية

وقالت الوردة : كانت معي
وقطعت غلاتي القانية

واستقطرت من سائلي دمة
ولونت حلمتها النامية

سألت عنها الطيب في بيته
والريح .. والغمامة الباكية

والسَفْحَ .. والضياءَ .. والمنحنى
والليلَ .. والنجمة .. والراعيه

بحثتُ عنها في الذرى .. والكوى
وفي دموع الليلة الشاتيه

حتى إذا عدتُ إلى مخدعي
محطماً .. أجر أقداميه

سمعتُ قلبي من خلال الدجى
يضحكُ مني ضحكةً عاليه

.. وكانَ أنْ رأيتها تختبي
من جنبي الأيسرِ .. في الزاويه ..

وشاية

أنتَ الذي يا حبيبي .. نقلتَ
لزُرُقِ العَصافير أخبارنا ؟

فجاءتْ جموعاً .. جموعاً
تدقُّ مناقيرها الحمرُ شباكنا

وتغرق مضجعنا زقزقات
وتغمر بالقش أبوابنا

ومنْ أخبرَ النحلَ عن دارنا ؟
فجاءَ يقاسمنا دارنا

وهل قلتَ للوردِ حتى تدلى
يزركش بالنور جدراننا ؟

ومنْ قص قصصنا للفراش ؟
فراح يلاحق آثارنا

سيفضحنا يا حبيبي العبيرُ
فقد عرفَ الطيبُ ميعادنا ...

أنا مل

لمحتها .. إذ نسلت
قفازها المعطرا

وأوقدت شموعها الخمس
وقالت : هل ترى ؟

أرشق من أصابعي
فيما رأيت منظرا

أنظر يدي .. وانفلت
الحرير فوق أنهرا

معي يد جميلة
تغزل شمعا أصفرا

يد غدير فضة
من النجوم قطرا

أنهار ماس خمسة
ترشق دربي جوهررا

أنا مل .. كأضلع البيان
سألت مرمررا

مرصوفة ، ترجو بنان
عازف لتجهررا

في النور خاتم الهوى
غفا شراعاً أشقرا

حطّ على إصبعها
مغنياً مستبشرا

أرجوكِ .. ردي مخاباً
عني ، غميساً أحمرًا ..

أخافُ إن جنّ الهوى
أن تشهريه خنجرا

هرة

أكرهها .. وأشتهي وصلها
وإنني أحب كرهها لها ..

أحبّ هذا اللؤم في عينها
وزورها إن زورت قولها

والمحُ الكذبة في ثغرها
دائرةً .. باسطةً ظلها

عينُ كعين الذئب محتالةٌ
طافتُ أكاذيب الهوى حولها

قد سكنَ الشيطانُ أحداقها
واطفأت شهوتها عقلها

أشك في شكي إذا أقبلت
باكيةً شارحةً ذلها

فإن ترفقت بها .. استكبرتُ
وجررتُ ضاحكةً ذيلها

إن عانقتني كسرت أضلعي
وأفرغت على فمي غلها

يحبها حقدِي .. ويا طالما
وددتُ ، إذا طوقتها ، قتلها !!

أحمرُ الشفاه

كمُ وشوشَ الحقيبة
السوداءَ .. عن جواه

وكم روى للمشط
والمرأة .. ما رآه

على فمٍ أغنى
من اللوزة فلقناه

يرضع حرفَ مخمل
تقبيلُهُ صلاه

دهانهُ نارُ
وما تحرقتُ بنداهُ

ليسَ يخافُ الجمرَ
من طعامه الشفاهُ ..

إن نهضتُ لزينةٍ
تفتحتُ مناهُ

وارتشف .. والتفَّ .. على
ياقوتةٍ وتاهُ

يمسحها .. فلولو عود
الهجع انتباهُ

سكرانَ بينَ إصبعين
جدولي مياهُ

يغزلُ نصفَ مغربٍ
كأنه إلهٌ ..

حيثُ جرتُ ريشته
فالرزقُ والرفاهُ

يهرقُ في دائرة
مضبئةُ دماءُ

مداهُ .. قوسُ لازوردٍ
ليتَ لي مداهُ ..

يرشُ رشتهُ هنا
حمراءَ .. من دماءُ

ويوقدُ الشموعَ .. حيثُ
غلغلتُ خطاهُ

إذا أتم دورة
قال العقيقُ : آه

أنتَ شفيعي عندها
يا أحمر الشفاهُ ...

الإليمة

ماذا لديكِ ؟ فعندي
من راحتكِ اعتراف !!

رسائلٌ .. ورسومٌ
تتري ، فماذا أخافُ ؟

أكداسُ حبّ .. فهذا
رسمٌ .. وهذا غلافُ

خزائني منكِ ملأى
بيضٌ .. وزرقٌ لطافُ

لا تخرجيني .. فتأري
تأراً .. وسمي زعافُ

وذاك رسمٌ قديمٌ
إطاره رفافُ

رسمٌ لنا يومَ كنا
بنا تضيءُ الضفافُ

هنا .. بإحدى الزوايا
إمضاؤكِ الشفافُ

لا تهتفي : " ليس خطي .. "
فللسطور هتافُ

الحرفُ حرفكِ فيه
تأنقُ والتفافُ

هذي وثائقُ حقدي
وكلها أهدافُ

وتصرخينَ : " جبانٌ " ..
زورٌ .. وقولٌ جزافٌ

أنا جبانٌ؟؟ سواذي
ثلجٌ .. وعهري عفافٌ

لا .. لن ينالكَ غيري
وفي يديَّ اعترافٌ !!

حبيبي

لا تسألوني .. ما اسمُ حبيبي
أخشى عليكم ضوَعَةَ الطُّيُوبِ

والله.. لو بُحْتُ بِأَيِّ حَرْفٍ
تَكْدَسَ اللَّيْلُكَ فِي الدُّرُوبِ

لا تبحثوا عنه هنا بصدري
تركته يجري مع الغروبِ

ترونه في ضحكة السواقي
في رقة الفراشة اللعوبِ

في البحر، في تنفس المراعي
وفي غناء كلِّ عندليبِ

في أدمع الشتاء حين يبكي
وفي عطاء الديمة السكوبِ

لا تسألوا عن ثغره .. فهلا
رأيتم أناقة المغيبِ

ومقلناه شاطنا نقاءِ
وخصره تهز هز القضيبي

محاسن... لا ضمها كتابُ
ولا ادعها ريشة الأديبِ

وصدره.. ونحره.. كفاكم
فلن أبوح باسمه حبيبي

نار

يا حبيبي .. على فمي احترقَ الشوقُ
فرققاً بالأحمر المجموع

ضمني .. ضمنني .. وحطم عظامي
والتهم مبسمي .. وكسر ضلوعي

واحتضني مثل الشتاء .. فإني
في الهوى ، لا أطيّق ضعفَ الربيعِ

يا حبيبي .. والجدُّ يبكي بعيني
ربّ عينٍ تبكي بغير دموعِ

يا حبيبي .. خذني لدفء ذراعيكَ
فعمر الهوى كعمر الشموع

لك شعري النثير .. نم فوق شعري
وتوسدُ رخامَ صدرٍ رضيعِ

أنا أهواك ، فوق ما يشرّدُ الظنُّ
وفوق الهوى .. وفوق الولوعِ ..

الآغارسوز

A LA GARÇONNE

"فاجأها .. وقد قصت شعرها .."

أقطعنها .. أرجوحة الرصد ؟
وفجعتني بأعز ما عندي

كيف اجترأت على جدار شذا
فهدمته ، وهدمت لي سعدي

وكسرت نولاً كان يكمرني
زمن الشتاء بمرسل جعد

وحصدت شعرك .. وهو زرع يدي
وعصيتني .. وكفرت بالعهد ..

وحرمتني ضحكات كروحة
يا طالما شهقت على زندي

سكتت مظلات العبير ، فلا
نجداً ضمنت ، ولا صبا نجد

هذا ستاري المخملي ، هوى
ففجيعتي فيه بلا حد

سقفي .. وبستاني .. ومدفأتي
وفراشي المجدول من ورد

ومظلتي السوداء .. كم حجبت
عني الشموس ، وهددت وجدي

عامان .. أسقيه .. وأطعمه
وأذره .. يا ضيعةَ الجهدِ

والمُّ بالشفنتين عتمته
وأريحُ فوق سواده خدي

أنا كم عقدتُ عليه أشرطتي
وفرشتهُ ليلاً على كبدي

وسبلتهُ .. وجدات مخمله
وكحلتهُ بمكاحل السُهدِ

حتى إذا اندفعت غدائرهُ
نهراً من الكافور ، والرند

عصفَ المقصُ به .. فمزقه
وتكسرتِ قارورةَ الشهدِ

هكذا .. شاحبةَ الجبينِ .. تُرى
طفأتِ تاركِ منه .. فاعتدي

حلّ الشتاء بكلِّ زاويةٍ
فالتلج عند مفاتق النهدي

لا تكشفني العنقَ الغلام .. فلا
عاشت حراجُ اللوز من بعدي

لا تقربيني .. أنتِ ميتةٌ
إنَّ السوالف مجدها مجدي

النهاية

زوجہد کی ایتھرا الحریت



زاقبانی

الطبعة الثانية

كانون الثاني (يناير)

١٩٩٠

مدخل

لست أدري، ماذا يقول الشاعر؟
وهو يمشي في غابة من خناجر ..
أطلقوا نارهم على المتنبى .
وأراقوا دماءً عامر .
لو كتبنا يوماً رسالة حبّ ..
شققنا على بياض الدفاتر
ما بوسع السيّاف قطع لساني
فالمدى أزرق .. وعندي أظافر ...

نزار

تزوجتك أيتها الحرية

١

كان لدي بلاط نساءٍ
فيه جميلات الدنيا ..
فالعربية ..
والرومية ..
والتركية ..
والكرديه ..
كان بقصري لعبٌ صنعت في باريسَ
وجيشٌ من قطط شامية ...

٢

كنت الرجلَ الأوحَد في التاريخ ..
فلا أولادَ .. ولا أحفادَ .. ولا ذريه
كنت أميرَ العشق ..
كنتُ أسافرُ يوماً في الأحداقِ الخضرِ ..
ويوماً في الأحداقِ العسليه ..
كانَ هناكَ العطرُ الأسودُ .. والأمطارُ الأولى .
والأزهارُ الوحشية ..
كانَ هناكَ عيونُ
تسبح مثل طيور النورس في دورتي الدمويه

كان هناك شفاه مفترسات كالأصداف البحرية .
كان هنالك سمك حيّ تحت الإبط ،
وثمة رائحة بحرية ..
كان هناك نهودُ تفرع حولي ..
مثل طبول إفريقية ...

٣

إني قديسُ الكلمات ..
وشيخُ الطرقِ الصوفية ..
وأنا أغسلُ بالموسيقى وجه المدن الحجرية
وأنا الرائي .. والمستكشفُ ..
والمسكونُ بنار الشعرِ الأبدية .
كنتُ كموسى ..
أزرعُ فوق مياه البحر الأحمرِ ورداً
كنتُ مسيحاً قبل مجيء النصرانية .
كل امرأة أمسك يدها ..
تُصبح زنبقةً مائيةً ..

٤

كانَ هنالك .. ألف امرأةٍ في تاريخي .
إلا أنني لم أتزوجُ بين نساء العالمِ
إلا الحرية ...

سُلالات

من سُلالاتِ العصافيرِ .. أنا
لا سُلالاتِ الشجرِ
وشرابيني امتداد لشرايين القمرِ
إنني أخزنُ كالأسماكِ في عينيَّ
ألوان الصواري ،
ومواقيت السفرِ .
أنا لا أشبهُ إلا صورتي

فلماذا شبهوني بعمر؟

تفرد

ما تتلمذتُ على شعر المعريّ ،
ولم أقرأ تعاليم سليمان الحكيم .
إنني في الشعر لا آباء لي .
فلقد ألقيت آبائي جميعاً في الجحيم .
من هو الشاعرُ ، يا سيدي ؟
إن مشى فوق الصراطِ المستقينِ ؟ ..

كان الشاعرُ

كان الشاعرُ يأكلُ من أوراق الوردِ ،
وكانَ ينامُ بأحضانِ الصفصافِ
ثم أتى عصر عربيّ
صارَ الشاعرُ فيه ،
ينامُ بأحضانِ السيّافِ ...

لم أخطئ

لم أخطئ أبداً .. كي أدخلَ العشاقَ ،
فتاريخي النسائيّ ..
قضاءٌ وقدرٌ .
كم تفاجأت بحب امرأةٍ
جعلتني وردةً ..
بعدها كنتُ حجرٌ .

اللغة المستحيلة

الكاتب في وطني
يتكلمُ كل لغاتِ العالمِ ،
إلا العربية .
فلدينا لغةٌ مرعبةٌ
قد سدّوا فيها كلّ ثقبِ الحرية !!

إكتتاب

ليسَ في ذهني جوابٌ واضحٌ
لسؤالِ الأتكَ ، يا سيدتي ..
كلّ ما أعرّفهُ .
أنني أزدادُ حزناً
حينَ عيناكِ تزيدانِ اتساعاً وسواداً ..
أنا لا أكتبُ في الغربةِ شعراً
إنني أنكشُ جمرأً ورماداً
ما الذي من لغةِ الشاعرِ يبقى ؟
عندما ستعملُ اللونَ الرماديّ مداداً .
ما الذي من عنفوانِ الشعرِ يبقى .. عندما
يصبحُ الكرسيّ في المقهى .. بلاداً ؟

القصيدة .. والجغرافيا

في بلادِ الغربِ ، يا سيدتي
يولّدُ الشاعرُ حرأً
مثلما الأسماكُ في عرضِ البحارِ
ويغني ..
بين أحضانِ البحيراتِ ،
وأجراسِ المراعي ،
وحقولِ الجنارِ .

*

... ولدينا
يولّدُ الشاعرُ في كيسِ غبارِ
ويغني لملوكِ من غبارِ
وخيولِ من غبارِ
وسيوفِ من غبارِ .
إنها معجزةٌ ..
أن يصنعَ الشعرُ من الليلِ نهأً
إنها معجزةٌ ..
أن نزرعَ الأزهارَ ،
ما بينَ حصارِ ، وحصارِ ..

*

نحن لا نكتبُ
- مثل الشاعر الغربي ، شعراً -
إنما نكتبُ يا سيدتي
صك انتحارُ ..

كُتَّابُ بلا أصابعٍ ..

شكراً .. لمن يقرؤنا
على امتداد هذه الخريطة الرملية
شكراً .. لمن يقرؤنا
في الغرفِ السريةِ
فنحن كتابُ بلا أصابعٍ
وأنبياءٌ دون أبجديةٍ ...

كاتبان

الكاتب الكبيرُ
هو الذي تنخرُ في عظامه
جرثومةُ الشجاعةِ
والكاتبُ الصغيرُ
هو الذي يبلع قبل نومه
برشامةَ القناعةِ ..

أمي

رحمة اللع على أمي ..
فقد كانت تحت الشام ، والماء ،
وزهرَ الياسمين .
ثم .. لما رحلتُ
بكتِ الشامُ عليها
واستقالت بعدها
أنهرُ الشامِ جميعاً
وشتولُ الياسمينِ ...

عنفوان

في المدن المالحة ،

الخائفة ،
المعقدة ..
يشعرُ أهل العشق بالعار .. وبالهوان ..
أما أنا .. فخين أهوى امرأةً ..
تأخذني هزة عنفوان !!

إلا الكلمة ..

ليسَ هنالك حلّ آخرُ ،
إلا الكلمة ..
ليسَ هنالك ثديٌّ آخرُ قد أرضعني
إلا الكلمة ..
ليسَ هنالك وطنٌ آخرُ قد آواني
إلا الكلمة ..
ليسَ هنالك في تاريخي .. امرأةٌ أخرى
إلا الكلمة ...

الخطُّ الأحمر ..

خلالَ خمسينَ سنةً
عرفتُ ألفَ امرأةٍ .. وامرأةٍ ..
وألفَ جسمٍ رائعٍ
وألفَ نهدٍ نافرٍ ..
لكنني ..
لم أخطط النساء بالدفاتر
والحبرَ بالصفائِرِ
ورنة القوافي
برنة الأقرابِ والأساورِ
فتمَّ خطُّ أحمرٍ رسمته
بين العشيقَاتِ .. وبين الشاعرِ ...

تشبُّث

ليس في وسعك ، يا سيدتي ، أن تصلحيني ..
فلقد فاتَ القطارُ ..
إنني قررتُ أن أدخلَ في حربٍ مع القبح ،

ولا رجعة عم هذا القرار .
فإذا لم أستطع إيقاف جيش الروم ،
أو زحف التتار .
وإذا لم أستطع أن أقتل الوحش .. فحسبي
أنني أحدثت ثقباً في الجدار ...

بيان من الشعر

إذا كان عصري ليس جميلاً ..
فكيف تريدني أن أجمل عصري ؟
وإن كنتُ أجلسُ فوق الخراب ،
وأكتبُ فوق الخراب ،
وأعشقُ فوق الخراب ،
فكيف سأهديك باقة زهرٍ ؟

*

وكيفَ أحبكِ ؟
حين تكونُ الكتابةُ رقصاً ..
على طبقٍ من نحاسٍ وجمرٍ ..
وإن كانت الأرضُ مسرحَ قهرٍ
فكيف تريدني أن أصالحَ قهري ؟

*

يريدُ الممالك أن يملكوني ..
وأن يشربوا من دمائي وحبري
يريدون رأسَ القصيدة كي يستريحوا ..
وللشعر .. والحب .. فوضت أمري .
أحبك .. برقاً يضيءُ حياتي
وقنديل زيتٍ ، بداخل صدري
فكوني صديقة حريتي ..
وكوني ورائي بكل حروبي
وسيري معي ، تحت أقواسِ نصري ..

*

إذا كان شعري لا يتصدى
لمن يسلخون جلود الشعوب
فلا كان شعري ...

حزب المطر
أنا لا أسكن في أي مكان
إن عنواني هو اللا منتظر ...
مبحراً كالسمك الوحشي في هذا المدى
في دمي نارٌ .. وفي عيني شرر
ذاهباً أبحث عن حرية الريح،
التي يتقنها كل العجر ..
راكضاً خلف غمام أخضر
شارباً بالعين آلاف الصور
ذاهباً .. حتى نهايات السفر ..

*

مبحراً .. نحو فضاءٍ آخر
نافضاً عني غباري
ناسياً اسمي ...
وأسماء النباتات ..
وتاريخ الشجر ..
هارباً من هذه الشمس التي تجلدني
بكرابيج الضجر ..
هارباً من مدنٍ نامت قرونا
تحت أقدام القمر ..
تاركاً خلفي عيوناً من زجاجٍ
وسماءً من حجرٍ ..
ومضافاتٍ تميمٍ ومضرٍ ..

*

لا تقولي : عدْ إلى الشمس .. فإني
أنتمي الآن إلى حزب المطر ..

صمت

ليس مهماً أن أتكلم ..
إن الصمت جميل جداً ..
مثل ملايين الأحلام
إني رجل لا يحترف الرقص .. ولا التمثيل ..
وليس يتاجر بالأوهام .

فاحتمليني .. يا سيدتي
حين أكون حزينا ، أو مكتئبا .. أو منطويا
إنّ الشعرَ كلام ليس يشابه أيّ كلام ..

حلمٌ قوميّ

ما زلتُ برغم صراعِ الإخوة
أخترع الأحلام
وأقولُ بأن الله ..
سيجمع يوماً ما بين الأرحام
جسدي يشنقُ إلى بغداد
وقلبي عند نساء الشام ...

وجهك مثل مطلع القصيدة

وجهك .. مثل مطلع القصيدة
يسحبني ..
يسحبني ..
كأنني شراع
ليلاً ، على شواطئ الإيقاع .
يفتح لي ، أفقاً من العقيق
ولحظة الإبداع
وجهك .. وجهٌ مدهشٌ
ولوحةٌ مائيةٌ
ورحلةٌ من أبداعِ الرحلات
بين الآس .. والنعناع ..

*

وجهك ..
هذا الدفتر المفتوح ، ما أجملهُ
حين أراه ساعة الصباح
يحملُ لي القهوةَ في بسمته
وحمرة التفاح ...
وجهك .. يستدرجني
لآخر الشعرِ الذي أعرفهُ
وآخر الكلام ..

وأخِرَ الوردِ الدمشقي الذي أحبه
وأخِرَ الحمامِ ...

*

وجهك يا سيدتي .
بحرٌ من الرموزِ ، والأسئلة الجديدة
فهل أعودُ سالمًا ؟
والريحُ تستفزني
والموجُ يستفزني
والعشقُ يستفزني
ورحلتني بعيدة ..

*

وجهك يا سيدتي .
رسالةٌ رائعةٌ
قد كتبتُ ..
ولم تصلْ ، بعدُ ، إلى السماء ...

وطنٌ بالإيجارُ

١

كلّ نهارٍ ،
أجلسُ عند صديقي الإيطاليّ (روبرتو)
كلّ نهارٍ .
أحملُ تخطيطات الشعرِ ،
أكلها بدلَ الإفطارِ ...
صارَ (روبرتو) يعرفُ وجهي
صارَ يقيسُ مساحةَ حزني بالأمطارِ ..

٢

كل نهارٍ ،
أمشي فوقَ الورقِ اليبسِ ،
كل نهارٍ .
أتحدثُ في لغةِ الأعشابِ ،
وأفهمُ إحساسَ الأشجارِ
كلّ نهارٍ ،
أصنعُ أملاً من ألوان الطيفِ ،

وأصنع شعباً من أزهارٍ ...
كلّ نهارٍ ،
أنوي فيه ركوبَ البحر ..
تقولُ الشرطية: لا إبحارُ
كل نهار
أبني وطناً أسكنُ فيه
فتجرفه الأمطارُ ...

٣

كل نهارٍ ،
ألبسُ ذاتَ المعطفِ ،
أقطعُ ذاتَ الشوارعِ ،
أشغلُ ذاتَ المقعدِ ،
أطلبُ ذاتَ القهوةِ ،
أشري صحفاً من بلدان الشرق الأوسطِ
لا حمس كي أفتحها
فالأخبارُ هي الأخبارُ
في القرن الأول .. أو في القرن العاشر ..
الأخبار هي الأخبار ..

٤

كلّ نهارٍ ،
أجلسُ عند صديقي الإيطالي (روبرتو)
كل نهارٍ .
اطلبُ قدحاً من كونياك فرنسا
أبلعه سيفاً من نارٍ
أكتبُ فوق الفوطة شعراً
تبكي منه فتاة البارِ ...

٥

كلّ نهارٍ ،
تجلسُ فوق سريري امرأةٌ
تخطفها من الأقدارِ
كلّ امرأةٍ تحملُ طفلاً مني
يضرّبها الإعصارُ
كلّ نهارٍ ،

أكتبُ للحرية شعراً
يمنعه حتى الأحرارُ ...

٦

يا سيدتي :
إن النملة تملك وطناً
إن الدودة تملك وطناً
إن الضفدع يملك وطناً
إن الفأرة تملك وطناً
إن الأرنب يملك وطناً
والسحلية ، والصرصارُ .
وأنا ما ملكني أحدٌ وطناً
ولذا ، أسكنُ يا سيدتي
وطناً بالإيجارُ ...

كتابات على جدران المنفى

١

يا سيدتي :
كيفَ أصورُ هذا العصرَ اللامعقولَ،
نسيتُ الوصفا
كنتُ أظن الكلمة بيتي
فإذا بهمُ .. سرقوا البابَ ..
وسرقوا السقفا ..
سرقوا الورقَ الأبيض منا ،
سرقوا الحرفا .
ماذا نأكل ؟
ماذا نشربُ ؟
كيفَ نعبرُ عن أنفسنا ؟
إننا نأكل - يا سيدتي - قمعاً
إننا نشرب - يا سيدتي - خوفاً
أين سنذهبُ يا سيدتي ؟
إن عبورَ الشارعِ خطرٌ .
إن ركوب المصعدِ خطرٌ
والسيارة خطرٌ .

والدراجة خطرٌ
والطيارة خطرٌ .
ليس هناك مكانٌ
يجلس فيه الكاتبُ ،
ليسَ هناك مقهى ..
نصفُ الجملة في الجبنة ..
نصفُ الفكرة في المستشفى ...

٢

يا سيديتي :
ماذا يبقى من إنجيل الثورة ،
حين تقررُ قتل مغنيها ؟
ماذا يبقى من كلمات الثورة ،
حين ستمضغ أكبادَ بنيها ؟
ماذا يبقى ؟
حين تخافُ الدولة من رائحةِ الوردِ ،
فتحرق كل مراعيها ..
ماذا يبقى من فلسفة الثورة ،
حين تخاف طلوعَ الشمسِ ،
وتنتفُ ريشَ كناريها ؟
ماذا يبقى ؟
ماذا يبقى ؟
ماذا يبقى ؟
حين تبول الثورة فوق كلامِ نبيها ...

٣

يا سيديتي :
أطلبُ عفوكِ ..
إن لم أكتبُ في عينيكِ قصيدة شعر
إن العازف نسي العزفا .
كيفَ أحبكِ ، يا سيديتي ؟
إن مباحث أمن الدولة ،
تلقي القبضَ على الأحلامِ ..
وترسلُ أهلَ العشقِ إلى المنفى ..

٤

يا سيدتي .. يا سيدتي
كنتُ قديماً أقرأ جسمك
سطراً سطراً ..
حرفاً حرفاً ..
كنتُ قديماً أشعلُ في نهدك النارَ ..
وأزرع بينهما سيفاً ..
أما اليومَ .. فأصبح شكل النهدي ،
يشابه أسوارَ المنفى ..
يا سيدتي . يا لؤلؤتي . يا واحدي .
كيفَ أمارسُ فعلَ الحبِّ ..
طعمُ الجنسِ له طعمُ المنفى ؟؟

٥

يا سيدتي :
كيفَ أقاومُ هذا العطرَ المملوكيَّ ،
وهذا الحقدَ النبرونيَّ ،
وهذا القتلَ المجانيَّ ،
وهذا العنفا ؟
كيفَ سأوقفُ هذا المدَّ اللاقوميَّ ،
وهذا الفكرَ التجزيئيَّ ،
وهذا المطرَ الكبريتيَّ ،
وهذا النزفا ؟
كيفَ نعبر عن مازقنا ؟
كيفَ نعبر عما يكسرُ في داخلنا ؟
كيفَ سنتلو أي الذكر على جثتنا ؟
إن مباحث أمن الدولة تطلب منا
أن لا نضحك ..
أن لا نبكي ..
أن لا ننطق ..
أن لا نعشق ..
أن لا نلمس كف امرأةٍ ..
أن لا ننجب ولداً ..
أن لا نرسل أي خطابٍ

أن لا نقرأ أي كتابٍ
إلا عن أحوالِ الطقسِ ، وإلا عن أسرارِ الطبخِ .
فتلكِ قوانين المنفى ...

٦

يا سيدتي :
ماذا أفعلُ لو جاءتني أمي في الأحلامُ ؟
ماذا أفعلُ لو ناداني فلّ دمشقَ ..
وعاتبني تفاح الشامِ ؟
ماذا أفعلُ لو عاودني طيف أبي ؟
فالتجأ القلبُ إلى عينيه الزرقاوين ..
كسرب حمامٍ ..

يا سيدتي :
كيف أقولك شعراً ؟
كيف أقولك نثراً ؟
كيف أقولك ، يا سيدتي ، دونَ كلامٍ ؟

٧

يا سيدتي :
كيف أبشرُ بالحرية ..
حينَ الشمسُ تواجه حكماً بالإعدامِ ؟
كيفَ سأكلُ من خبز الحكامِ ..
وأولادي من غير طعامٍ ؟
يا سيدتي :
إني رجلٌ لم يتخرج من بارات السلطة ،
في أحد الأيام ...
أو أشغلتُ وظيفة قردي ..
بين قرود وزارات الإعلام !!

يا سيدتي :
إني رجلٌ لا أتوارى خلف حروفي
أو أتخبأ تحت عباءة أي إمامٍ ..
يا سيدتي : لا تهتمي .
فأنا أعرفُ كيفَ أكونُ كبيراً
في عصر الأقرام ...

٨

يا سيدتي : لا تهتمي
سوف أظلّ أحبك ..
حتى أفتح نفقاً تحت البحر...
وأثقب حيطان المنفى .
لا تهتمي ..
لا تهتمي ..
لا تهتمي ..
إن المنفى في غابات الكحل الأسود
ليس بمنفى ...

لكي أقيم دولة الإنسان

لا تسأليني من أنا ؟
وما الذي أفعله
كي أتحدى الموت والزمان
أنا الذي أسقطت ألف دولة ودولة
لكي أقيم دولة الإنسان ..

المشكلة

يا سائلي عن حاجتي
الحمد لله على الصحة والرغيف
وما تقول الصحف اليومية ..
عندي صغارٌ يملأون البيت
وزوجةٌ وفيه .
وفي الخوابي حنطةٌ وزيت .
لكنما مشكلتي ..
ليست مع الخبز الذي نأكله
ولا مع الماء الذي أشربه
مشكلتي الأولى هي الحرية ..

أطفال الحجارة

بهروا الدنيا ..
وما في يدهم إلا الحجارة ..

وأضأؤوا كالقناديل ، وجأؤوا كالبشارة .
قاوموا.. وانفجروا.. واستشهدوا ..
وبقينا ديباً قطبيةً
صُفِّحت أجسادُها ضدَّ الحرارة ..

*

قاتلوا عنا إلى أن قُتلوا ..
وجلسنا في مقاهينا .. كبصَّاق المحارة
واحدٌ .. يبحثُ منا عن تجارة ..
واحدٌ .. يطلبُ ملياراً جديداً ..
وزواجاً رابعاً ..
ونهوداً صقلتهنَّ الحضارة ..
واحدٌ .. يبحثُ في لندنَ عن قصرٍ منيفٍ
واحدٌ .. يعملُ سمسارَ سلاح ..
واحدٌ .. يطلبُ في البارَاتِ ثاره ..
واحدٌ .. يبحثُ عن عرشٍ وجيشٍ وإمارة ..

*

آه.. يا جيلَ الخياناتِ ..
ويا جيلَ العمولاتِ ..
ويا جيلَ النفاياتِ
ويا جيلَ الدعارةِ ..
سوفَ يجتاحُك -مهما أبطأ التاريخُ -
أطفالُ الحجارةِ ..

خبر ثقافي

هذا بلاغ من بلاط صاحب الجلالة :
الأخضرُ اليدين .. والمكتمل الصفاتِ .. والمبجل الألقابِ ..
تحسناً من ملك الملوك
بحاجة الشعب إلى العدالة ..
والخبز .. والثياب ..
فقد رسمنا ما يلي :
يطلبُ من وزارة التجارة
أن تمنع استيراد أيما كتاب
وتقنع التجارَ أن يستوردوا النخالة ...

من علمني حباً .. كنتُ له عبداً

١

من علمني
كيف أقشر كالتفاحة قلبي
حتى تأكل من نساء الأرض جميعاً
كنت له عبداً ...

٢

من علمني
كيف أوسس وطناً
يشبه شكل القلب ،
وشكلَ الشريان التاجي ،
وشكلَ العصفور الدوري ،
وشكلَ التفاح الشامي ،
لكنك له ايضاً عبداً ...

٣

من علمني
كيف أحب امرأة حتى الهذيان
من علمني
كيف بوسع امرأة - دون سواها -
أن تتحرك مثل السمك الأحمر داخل شرياني
من علمني
كيف بوسع امرأة - دون سواها -
أن تبتلع الشعر
وترسم شكلَ الأزمان ..
من علمني
كيف تصير امرأة - دون سواها -
أقوى نوع من أنواع الإدمان
من علمني ما لا أعلم
كنت له عبداً ..

٤

من علمني
أول درس في أحوال الوجد
من علمني

كيفَ أو اصلُ عشقي
منذ المهدِ .. وحتى اللحدِ ..
من علمني
أن أستخرج ذهباً من أودية النهْدُ
من علمني أن حبيبي
نوع من أعشاب البحر ،
وفرعٌ من عائلة الوردُ
من سماني ملكاً في تاريخ العشقِ ،
فقد أعطاني كل المجدُ
من ثقفتني ..
من شرفني بهوى امرأةٍ
كنت له دوماً عبداً ...

٥

من علمني
كيف أقول كلاماً يشبه رائحة الحنطه
أو يشبه لون الخبز الطالع من عند الفرن
من علمني
أن أتزوج هذا الشعبَ ،
وأرفض أي زواج بالسلطه
وعقود اللؤلؤ والمرجان ..
كيف أواجه بالأزهار ، وبالأشعار ،
هراوات الشرطه
من علمني
أن لا أعمل سائس خيل عند الوالي
أو جارية ترقص في حفلات (الباب العالي)
من علمني
أن لا أحني قامة شعري
كنتُ له دوماً عبداً ..

٦

من علمني
كيف أغير .. كيف أدمرُ ..
كيف أكنس هذا القبحَ ،
وأزرع في الأرض الرياحَ

من علمني
كيف سأنقذُ هذا المركبَ ،
من أنواء البحر ،
وأسنان الجرذانِ
من أعطاني عود ثقابٍ
حتى أحرق كلَّ أكاذيب التاريخ ،
لكنْتُ له دوماً عبداً ..

٧

من علمني
أن أنقض على الأشياء
وأرفع رايات العصيانِ
من علمني
كيفَ أسافرُ ضد الموج .. وضد الريح .
وأشعلُ في البحر النيرانُ
من علمني
كيف تكون الكلمة سيفاً
في وجه السلطان
من أهداني سفرَ الثورة ،
كنتُ له دوماً عبداً ..

٨

من علمني
كيفَ أموتُ على أوراقٍ
حتى ينتصر الإنسانُ .
من علمني
كيف أكور قلبي مثل رغيف الخبز ،
لكي أطعمه للإنسانُ .
من علمني
كيف أزيل الكلفة بين كتاب الشعر ،
وأفواه الفقراءُ
من علمني
كيف أكون بسيطاً
مثل العشبِ ،
ومثل الماء ..

من علمني
أن أستعمل لغةً
فيها نزوات الأطفال ..
وفيها إحساس البسطاء ..
من علمني
أن الشعر ، رسالة حب نكتبها للناس ،
وليس هنالك شعر لا يتوجه للإنسان
من علمني هذي الحكمة في تعريف الشعر ..
لكنت له دوماً عبداً ...

القصيدة .. والغول

١

في هذا الزمن اللامعقول
أصبحنا نجلسُ – حتى نكتب –
بين شفاه الغول .
ونغني .. بين عبوس العبد الأسود ..
والسيف المسلول ..
لا نعرف في أي اللحظات
ستفصل عنا رقبتنا
وبأي لسانٍ سوف نقول ...

٢

في هذا الزمن المرعب .. صار الواحد منا
يخشى من أدوات الأمر ،
ويخشى من لاءات النهي ،
ويخشى الفاعل والمفعول
في هذا الزمن الأسود ..
أصبح قول الشعر مغامرة نحو المجهول
لا يعرف فيها ..
إسم القاتل .. من إسم المقتول ..

٣

في الزمن اليابس
حيث تموت عصافير .. وحقول
وتموت من الإحباط خيول

في زمن النصر الكاذب
حيثُ الحربُ زماميرٌ .. وطبولُ
في زمن الحملِ الكاذبِ ..
والإعلامِ الكاذبِ ..
والتمثيلِ على الشعبِ المقهورِ
في زمن الكذبِ على ذقنِ الجمهورِ ..
في زمنٍ
يرفض فيه الشاعرُ مسحَ الجوخِ ..
وسكبِ العطرِ على جسدِ المسئولِ
لا يبقى أي خيارٍ عند الشاعرِ
إلا القبرِ .. أو السيلُولُ ..

٤

في هذا الزمن اللامعقول
لا بد لنا ..
لا بد لنا ..
لا بد لنا من قتل الغولِ ..

الجنرال يكتب مذكراته

١

قاتلت بالأسنانُ
كي أحملَ الماءَ إلى قبيلتي
أجعل الصحراءَ بستاناً من الألوانِ
وأجعل الكلامَ من بنفسجٍ
وضحكة المرأة من بنفسجٍ
ثديها .. قمة عنفوانٍ ...

٢

قاتلت بالسيف وبالقصيدة
كي أحعلَ الحبَّ إلى مدينتي .
وأغسلَ عن الوجوه والجدرانُ
وأجعلَ العصرَ أقل قسوة
أجعل البحرَ أشد زرقاً
وأجعل الناسَ ينامون
على شراشف الحنانِ ..

٣

قاتلت عصراً كاملاً
كي أشعاً النيران في ذاكرتي
وفي ثياب من تبقى من بني عثمان .
وأوقفَ الذكور عن إرهابهم
وأنقذ النساء من أقبية السلطان
حفظت للكلمة كبرياءها
ولم أسافر مرةً واحدةً
لأمدح الأمين ..
أو لأمدح المأمون ..
أو لأمدح الخليفة النعمان ...

٤

قاتلت خمسين سنة
حتى أقيم دولة الحب التي أريدها
ودولة الإنسان .
لكنني اكتشفت أن ما كتبتُه
ليس سوى حفرٍ على الصوان ..

٥

... وها أنا ، من بعد خمسين سنة
تأكلني الأحزان
لأن من حاولت أن أجعلهم آلهة ،
قد تركوني خلفهم ،
وفضلوا عبادة الشيطان ...

حوار مع امرأة غير ملتزمة

١

غيري الموضوع يا سيدتي .
ليسَ عندي الوقت والأعصابُ
كي أمضي في هذا الحوار ..
إنني في ورطةٍ كبرى مع الدنيا
وإحساس بعينيك كإحساس الجدار ...
قهوتي فيها غبارُ
لُغتي فيعا غبارُ

شهوتي للحُبِّ يكسوها الغبارُ ..
أنا أت من زمان الوجع القوميِّ
أت من زمان القبح ،
أت من زمان الإنكسارُ .
إنني أكتبُ مثلَ الطائرِ المذعورِ ،
ما بين انفجارٍ .. وإنفجارٍ ..
هل تظنينَ بأنا وحدنا ؟
إن هذا الوطنَ المذبوح يا سيدتي
واقفٌ خلفَ الستارِ .
فاشرحي لي :
كيفَ أستنشقُ عطرَ امرأةٍ ؟
وأنا تحتَ الدمارِ
إشرحي لي :
كيفَ أتيكِ بوردٍ أحمرٍ ؟
بعد أن ماتَ زمانُ الجنارِ ..

٢

غيري الموضوع ، يا سيدتي .
غيري هذا الحديثَ اللا أبالي ..
فما يقتلني إلا الغباءُ .
سقطَ العالمُ من حولك أجزاءً ..
ومازلتِ تُعيدينَ مواويلك مثلَ البيغاءِ .
سقطَ التاريخُ . والإنسانُ . والعقلُ ..
ومازلتِ تظنينَ بأنَّ الشمسَ
قد تشرقُ من ثوبِ جميلٍ
أو حذاءٍ ..

٣

أجلى الحلمَ لوقتٍ آخرٍ ..
فأنا منكسرٌ في داخلي مثلَ الإناءِ .
أجلى الشعرَ لوقتٍ آخرٍ ..
ليسَ عندي من قماشِ الشعرِ
ما يكفي لإرضاءِ ملايين النساءِ ..
أجلى الحبَّ ليومٍ أو ليومين ..
لشهرٍ أو لشهرين ..

لعامٍ أو لعامين ..
فلنُ تنخسفَ الأرضُ ،
ولنُ تنهارَ أبراجُ السماءِ ..
هل من السهل احتضانُ امرأةٍ ؟
عندما الغرفةُ تكتظُّ بأجساد الضحايا
وعيون الفقراء ؟

٤

إقبلي الصفحة يا سيدتي
علّني أعثرُ في أوراق عينيكِ
على نص جديدٍ .
إنّ مأساة حياتي ، ربما
هيَ أنني دائماً أبحثُ عن نصٍ جديدٍ ..

٥

أه .. يا سيدتي الكسلى
التي ليستُ لديها مُشكلةٌ ..
يا التي ترتشفُ القهوةَ ..
من خلف الستور المقفلة .
حاولي ..
أن تطرحي يوماً من الأيام بعضَ الأسئلة .
حاولي أن تعرفي الحزن الذي يذبحني حتى الوريدُ
حاولي .. أن تدخلني العصرَ معي
حاولي أن تصرخي ..
أن تغضبي ..
أن تكفري ..
حاولي .. أن تقلعي أعمدة الأرض معي .
حاولي أن تفعلي شيئاً
لكي نخرجَ من تحت الجليدِ ...

٦

غيري صوتك ..
أو عمرك ..
أو إسمك .. يا سيدتي
لا تكوني امرأةً مخزونةً في الذاكرة
وادخلي سيفاً دمشقياً بلحم الخاصرة

غيري جلدك أحياناً
لكي يشتعل الورد ،
وكي يرتفع البحر ،
وكي يأتي النشيد ..

٧

أسكتي يا شهرزاد .
أسكتي يا شهرزاد .
أنت في وادٍ .. وأحزاني بوادٍ
فالذي يبحث عن قصة حبّ ..
غير من يبحث عن موطنه تحت الرماد ..
أنت .. ما ضيعت ، يا سيدتي ، شيئاً كثيراً
وأنا ضيعتُ تاريخاً ..
وأهلاً ..
وبلاداً

أربع رسائل سانجة إلى بيروت الرسالة الأولى

يا أصدقاء الحزن في بيروت :
كيفَ هي الأحوال ؟
نسألکم . ونحن ندري جيداً
سذاجة السؤال .
نسألکم .
ونحن كالأيتام في جنازة الجمال .

الرسالة الثانية

يا أصدقاء الجرح ، في بيروت
ألم تبيعوا قمراً .. لتشتروا زلزالاً ؟
ألم تبيعوا السحبَ الزرقاءَ ..
والقلوعَ ..
والرمالَ ..
ألم تبيعوا الكرزَ الأحمرَ في غاباتكم
والزعرَ البريَّ ..
والوزالَ ؟
ألم تبيعوا ؟

شجرَ التفاحِ .. والعصفورَ ..
والتنورَ .. والشلالَ ؟
لأم تبيعوا كُتُبَ الشعرِ التي لديكم
وضحكة الأطفالِ ؟
ألم تبيعوا وجعَ الناياتِ في جروذكُم
وزرقة الموالِ ؟
ألم تبيعوا جنةً
كي تسكنوا الأطلالَ ؟

الرسالة الثالثة

يا أصدقاء الشعر ، في بيروت
ألم تبيعوا آخر النجوم في سمائكم ؟
ألم تبيعوا ؟
آخر الحروف في أسمائكم
ألم تبيعوا ؟
ما تبقى من حُلَى نساءكم
ألم تبيعوا البحرُ ؟
ألم تبيعوا للميليشيات التي تجلدكم
آخر خيطٍ من قميصِ الشعرِ ؟

الرسالة الرابعة

يا أصدقاء الصبر ، في بيروت
قولوا لنا :
في أي أرضٍ يوزعون الصبرُ ؟
قولوا لنا :
هل ممكنٌ أن تنهضَ الوردةُ من فراشها ؟
ويستفيق العطرُ .
هل ممكنٌ أن ترجع الحروفُ من غربتها ؟
وأن يفيضَ الحبرُ ..
هل ممكنٌ أن نستعيد عمرنا ؟
من بعد ما هم شطبوا
أجملَ سطرٍ في كتابِ العمرِ ...

محاولة تشكيئية لرسم بيروت

١

عندما ترجعُ بيروتُ إلينا
بالسلامة ..
عندما ترجعُ بيروتُ التي نعرفها
مثلما ترجعُ للدار الحمامة ..
سوفَ نرمي في مياهِ البحرِ
أوراقَ السفر ..
وسنستأجر كرسيين في بيتِ القمرِ .
وسنقضي الوقتَ ،
في زرع المواويل ..
وفي زرع الشجرِ
أه .. يا بيروتُ كم أتعبنا هذا الشفرُ .
فاغمرينا ..
بمكاتبِ المحبين .. اغمرينا
بتقاسيم العصافير .. اغمرينا
بمزاريبِ المطرِ ...

٢

عندما ترجعُ بيروتُ
التي كانت ملاذاً لهوانا .
والتي قد أورقتُ
فيها من الحب يدانا
مثلما يرجع في الفجر الشراغُ
عندما ترجعُ بيروتُ ..
فهل تأخذني ؟
يا صديقي ، مرة أخرى ،
إلى سهل البقاغ .
حيثُ أعلى حلمٍ عندي
(عروسٌ من لبنٍ)
أه .. كم كان بسيطاً
حبّ ذيّاك الزمنِ
أه .. كم كان جميلاً
إن يكون الحبُّ إقليماً صغيراً

من أقاليم الوطن ..

٣

هل من الممكن أن تطلع بيروت الجميلة
مرةً أخرى ..
من الأرض الخراب؟
هل من الممكن ، أن ينبت قمحٌ
في مياه البحر ،
أو يأتي مع الموج كتاب؟
هل من الممكن أن نكتب شعراً؟
مرةً أخرى .. على حبة لوزٍ أخضرٍ
أو على قطن السحاب؟
هل لدينا؟

فرصة أخرى لكي نعشق ..
أم أن العيون الخضراء صارت مستحيلة؟
والعيون السود صارت مستحيلة؟
وإذا عاد إلينا (شارع الحمراء)
لو عادت إلينا (الرملة البيضاء)
لو عادت لنا ..
(منقوشة الزعتر) ..
(الكورنيش) ..
لو عاد لنا (مقهى دبيبو)
والمشاوير الطويلة ..

٤

لو فرضنا ..
لو فرضنا ..
أن بيروت الجميلة
نهضت من موتها ثانيةً
من سيعطينا مفاتيح الطفولة؟

اليوميات السرية لقصيدة عربية

١

إذا سمعنا شاعراً ..
يقرأ ، في أمسيةٍ شعريةٍ، أشعاره

قلنا له : (أحسنتَ يا مطربنا الكبير)
إعقدْ على خصرِكَ شالاً أحمرأ ..
وارقص لنا ،
آخرَ ما كتبتَ .. يا شاعرنا الشهيرُ .
أرقصُ لنا .. أرقصُ لنا ..
فحن قومٌ لا يرونَ الفرقَ
بين دقةِ الخصرِ .. وبين دقةِ التعبيرِ ..

٢

إذا رأينا شاعراً
يفتحُ فوقَ منبرِ شريانهُ
مبشراً بوردةِ التغييرِ
قلنا له :
نريدُ أن نسمعنا (طقطوقةً) جديدةً
تنقذنا من صحوه الضميرِ
كأنما وظيفةُ الشاعرِ
أن يخدرَ العقلَ ..
وأن يُعطِلَ التفكيرَ ..

٣

إذا رأينا شاعراً
ينزفُ من جناحه كطائرِ الكنارِ
من أولِ الليلِ ، إلى ولادةِ النهارِ
قلنا له : (ما صار) ..
قلنا له : (ما صار) ..
لا بدَّ أن تموتَ فوقَ أصابعِ القيثارِ
لا بدَّ أن تموتَ يا مهيارِ
فليسَ في التاريخِ من قصيدةٍ عظيمةٍ
لم تحترقَ بالنارِ ...

٤

إذا رأينا شاعراً
يلفظُ فوقَ منبرٍ أنفاسهُ
في قاعة ..
تكتظُّ بالسعالِ ، والتصفيقِ ، والصفيرِ ..
قلنا له :

أعدْ .. أعدْ ..
يا صاحب الحنجرة الحريرُ .
أعدْ ...
أعدْ ...
فما شبعنا طرباً
ولا اشتر كنا ،
في طقوس موتك المثيرُ ..
يا عندليبَ الليل ..
يا شاعرنا الكبيرُ ..

٥

... ونرفع الكؤوسَ نخبَ الشاعر الكبيرُ
ونشربُ الويسكي حتى الرمق الأخيرُ
وعندما يفرغُ من وصلته ..
نطردهُ ..
ونأخذُ القصيدةَ العصماءَ للسريرُ ...

النصائح الذهبية .. في أدب الكتابة النفطية

- لو شاءت الأقدارُ أن تكونَ كاتباً
يجلسُ تحتَ جبةِ الصحافةِ النفطيةِ .
فهذه نصائحي إليك :
- ١- أدخلُ إلى مدرسة تعلم الأمية .
- ٢- أكتبُ بلا أصابعٍ .. وكنُ بلا قضية
- ٣- إمسخْ حذاء الدولة العلية
- ٤- إشطب من القاموس كلمة الحرية .
- ٥- لا تتحدثْ عن شؤون الفقر ، والثورة ،
في الشوارع الخلفية .
- ٦- لا تنتقد أجهزة القمع ، ولا تضع
أنفك في المسائل القومية .
- ٧- كن غامضاً .. في كل ما تكتبُ ،
والزم مبدأ التقية .
- ٨- خصص عمودك اليومي للأزياء ..
والأزهار .. والفضائح الجنسية .
- ٩- لا تتذكرُ أنبياء القدس .. أو ترابها

- فإنها حكاية منسية .
١٠- اترث بيروت التي ترملت
فالقتل فيها عادة يومية .
١١- لا تتعرض للسلطين إذا تعهروا ..
أو قامروا .. أو تاجروا .. فهذه مسألة شخصية
١٢- ولا تقل لحاكم : إن قباب قصره
مصنوعة من جنث الرعية
-

الثقب

١

لقد مر عشرون عاماً علينا
لقد مر عشرون عام
ولا نجم يسطع ..
لا أرض تحبل ..
لا قمح يطلع من تحت هذا الركام
ولا غيمة ماطره
فهل نسي الشارح العربي الكلام ؟
وصرنا شعوباً بلا ذاكرة ..

٢

لماذا الجماهير ..
بين المحيط ، وبين الخليج ،
تجوب الأزقة كالمقطط الخائف
وأين هو الشاعر العربي
الذي كان يمضغ لحم الطغاه
ويخترع العاصفة ؟
وكيف خرجنا من الحلم الوحودي الكبير
لنخل ثقباً صغيراً ..
يسمونه الطائفة؟؟؟

٣

لقد مر عشرون عاماً علينا
لقد مر عشرون عام
ونحن وقوف كأعمدة الكهرباء
نحدق مثل البهاليل صوب السماء

تمر القطارات من قربنا ..
تمر الحضارات من فوقنا ..
تمر الزلازل من تحتنا ..
فلا نتأمل شيئاً ..
ولا نتعلم شيئاً ..
ولا نتذكر شيئاً ..
ولا نتحمس حين مجيء الربيع
ولا نتأثر حين رحيل الشتاء
فلا الله يرضى المكوث لدينا
ولا الأنبياء ...

٤

لقد مر عشرون عاماً علينا
لقد مر عشرون عاماً
وليس هناك من يطرح الأسئلة
وليس هناك مسيح .. ولا جلجلة
ونحن هنا ..
نتناسل مثل الزواحف في الغرف المقفلة
فأين هو الشارع العربي
الذي كان يبصق ناراً ؟
ولا يعرف الفروق بين القصيدة والقنبلة ..
لقد مر عشرون عاماً علينا
بقدر مر عشرون عاماً
ونحن توأبيت مصنوعة من رخام
نباع أي عقيد يجيء ..
ونلحق جزمة نظام ..
ونلبس جلد النمر
ونحن حمام .
ونحن نطير بكل اتجاه
كريش النعام ..
كريش النعام ..

السيرة الذاتية لسيف عربي

١

أيها الناس :
لقد أصبحتُ سلطاناً عليكم
فاكسروا أصنامكم بعدَ ضلالٍ ،
واعبدوني ..
إنني لا أتجلى دائماً
فاجلسوا فوقَ رصيفِ الصبرِ ،
حتى تبصروني .
أتركوا أطفالكم من غيرِ خبزٍ ..
واتركوا نسوانكم من غيرِ بعلٍ
واتبعوني ..
إحمدوا اللهَ على نعمتهِ
فلقد أرسلني كي أكتبَ التاريخَ ،
والتاريخُ لا يُكتبُ دوني .
إنني يوسفُ في الحُسنِ ،
ولم يخلقِ الخالقُ شعراً ذهبياً مثلَ شعري
وجبيناً نبويّاً كجبيني ..
وعیوني ..
غابةً من شجرِ الزيتونِ واللوزِ ،
فصلّوا دائماً .. كي يحفظَ اللهُ عیوني .
أيها الناسُ :
أنا مجنونٌ ليلي
فابعثوا زوجاتكم يحملنَ مني
وابعثوا أزواجكم كي يشكروني ..
شرفٌ أن تأكلوا حنطةً جسمي
شرفٌ أن تقطفوا لوزي .. وتيني
شرفٌ أن تشبهوني ..
فأنا حادثةٌ ما حدثتُ
منذُ آلافِ القرونِ ..

٢

أيها الناسُ :
أنا الأوّلُ ، والأعدَلُ ،

والأجملُ ، من بين جميع الحاكمين
وأنا بدرُ الدُّجى ، وبياضُ الياسمين
وأنا مخترعُ المشنقةِ الأولى ..
وخيرُ المرسلين
كلّما فكّرتُ أن أعتزلَ السُّلطةَ ،
ينهاني ضميري ..
مَنْ تُرى يحكمُ بعدي هؤلاء الطيّبين ؟
مَنْ سيشفني بعدي ..
الأعرجُ ..
والأبرصُ ..
والأعمى ..
ومَنْ يحيي عظامَ الميتين ؟
مَنْ تُرى يخرجُ من معطفه
ضوءَ القمرِ ؟
مَنْ يا تُرى يرسلُ للناسَ المطرَ ؟
مَنْ يا تُرى ؟
يجلدهم تسعينَ جلدهً ..
من يا تُرى ؟
يصلبُهم فوقَ الشجرِ ..
مَنْ تُرى يرغمُهم
أن يعيشوا كالبقرة ؟
ويموتوا كالبقرة ؟
كلّما فكّرتُ أن أتركهم
فاضتُ دموعي كغمامه
وتوكلتُ على الله ..
وقرّرتُ بأن أركبَ الشعبَ ..
من الآنَ .. إلى يومِ القيامةِ ..

٣

أيّها الناسُ :
أنا أملككم
مثلما أملكُ خيلي .. وعبيدي ..
وأنا أمشي عليكم
مثلما أمشي على سجّادِ قصري ..

فاسجدوا لي في قيامي
واسجدوا لي في قعودي
أولم أعتزْ عليكم ذاتَ يومٍ
بينَ أوراقِ جدودي ؟
حاذروا أن تقرأوا أيَّ كتابٍ
فأنا أقرأُ عنكم ..
حاذروا أن تكتبوا أيَّ خطابٍ
فأنا أكتبُ عنكم ..
حاذروا أن تسمعوا فيروزَ بالسرِّ
فإني بنواياكم عليمُ
حاذروا أن تُنشدوا الشعرَ أمامي
فهو شيطانٌ رجيمُ
حاذروا أن تدخلوا القبرَ بلا أذني ،
فهذا عندنا إثمٌ عظيمُ
والزَموا الصمتَ إذا كلمتكم
فكلامي هوَ قرآنٌ كريمٌ ..

٤

أيها الناسُ :
أنا مهديكم ، فانتظروني !
ودمي ينبضُ في قلبِ الدوالي ..
فاشربوني .
أوقفوا كلَّ الأناشيدِ التي ينشدُها الأطفالُ
في حبِّ الوطنِ
فأنا صرتُ الوطنُ ...
إثني الواحدُ ..
والخالدُ .. ما بينَ جميعِ الكائناتِ
وأنا المخزونُ في ذاكرةِ التفاحِ ،
والناي ، وزُرُقِ الأغنياتِ
إرفعوا فوقَ الميادينِ تصاويري
وغطوني بغيمِ الكلماتِ ..
واخطبوا لي أصغرَ الزوجاتِ سناً ..
فأنا لستُ أشيخُ ..
جسدي ليسَ يشيخُ ..

وسجوني لا تشيخ ..
وجهازُ القمعِ في مملكتي ليسَ يشيخُ ..
أيّها الناسُ :
أنا الحجاجُ ، إن أنزعَ قناعي ، تعرفوني
وأنا جنكيزُ خانِ جنُّكم ..
بحرابي ..
وكلابي ..
وسجوني ..
لا تضيقوا - أيّها الناسُ - ببطشي
فأنا أقتلُ كي لا تقتلوني ..
وأنا أشنقُ كي لا تشنقوني ..
وأنا أدفنكم في ذلك القبرِ الجماعيِّ
لكيلا تدفنوني ..

•

أيّها الناسُ :
اشتروا لي صحفاً تكتبُ عني ..
إنها معروضةٌ مثلَ البغايا في الشوارعِ
إشتروا لي ..
ورقاً أخضرَ مصقولاً كأعشابِ الربيعِ
ومداداً .. ومطابعٍ ..
كلُّ شيءٍ يُشترى في عصرنا
حتى الأصابعُ ..
إشتروا فاكهةَ الفكرِ ..
وخلّوها أمامي .
واطبخوا لي شاعراً
واجعلوه ، بينَ أطباقِ طعامي ..
أنا أمي ..
وعندي عقدةٌ مما يقوله الشعراءُ
فاشتروا لي شعراً يتغزلونَ بحُسني ..
واجعلوني نجمَ كلِّ الأغلفةِ
فنجومُ الرقصِ والمسرحِ ،
ليسوا أبداً أجملَ مني ..
إشتروا لي كلَّ ما لا يُشترى

في أرضنا أو في السماء
إشتروا لي ..
غابةً من عسل النحل ..
ورطلاً من نساء ..
فأنا بالعملة الصعبة أشري ما أريد
أشترى ديوان بثّار بن بُردٍ
وشفاه المتنبّي ..
وأناشيد لبيد ..
فالملايين التي في بيت مال المسلمين
هي ميراثٌ قديمٌ لأبي
فخذوا من ذهبي
واكتبوا في أمّهات الكتب
أن عصري ..
عصرُ هارون الرشيدُ ...

٦

يا جماهيرَ بلادي :
يا جماهيرَ الشعوبِ العربيّةِ
إنني روحٌ نقيٌّ .. جاءَ كي يغسلكم من غبارِ الجاهليّةِ
سجّلوا صوتي على أشرطةٍ ..
إنّ صوتي أخضرُ الإيقاعِ كالنافورةِ الأندلسيّةِ
صوّروني .. باسمًا مثلَ (الجوكوندا)
ووديعاً مثلَ وجهِ المجدليّةِ ..
صوّروني ..
بوقاري ، وجلالي ، وعصايِ العسكريّةِ
صوّروني ..
وأنا أقطعُ - كالتفاح - أعناقَ الرعيّةِ ..
صوّروني
وأنا أصطادُ وعلاً .. أو غزالاً
صوّروني ..
وأنا أفترسُ الشّعَرَ بأسناني
وأمتصُّ دماءَ الأبجديةِ
صوّروني ..
عندما أحملكم فوقَ أكتافي لدارِ الأبديةِ !

يا جماهيرَ بلادي ..
يا جماهيرَ الشعوبِ العربيَّةِ ..

٧

أيُّها الناسُ :
أنا المسؤولُ عن أحلامكم ، إذ تحلمون
وأنا المسؤولُ عن كلِّ رغيْفٍ تأكلون
وعن الشَّعرِ الذي
- من خلفِ ظهري - تقرأون
فجهازُ الأمنِ في قصري
يوافيني بأخبارِ العِصافيرِ ..
وأخبارِ السَّنابلِ
ويوافيني بما يحدثُ في بطنِ الحواملِ !

٨

أيُّها الناسُ :
أنا سجَّانُكم ، وأنا مسجونُكم ..
فلتعدروني
إنني المنفيُّ في داخلِ قصري
لا أرى شمساً .. ولا نجماً ..
ولا زهرةَ دِفلى ..
منذ أن جنَّتْ إلى السُّلْطَةِ طِفْلا
ورجالُ السِّيرِكِ يلتقونَ حولي
واحدٌ ينفخُ نايًا ..
واحدٌ يضربُ طبلاً ..
واحدٌ يمسحُ جوحاً ..
واحدٌ يسمحُ نعلًا ..
منذ أن جنَّتْ إلى السُّلْطَةِ طِفْلا ..
لم يقلُّ لي مستشارُ القصرِ : (كلا)
لم يقلُّ لي وزرائي أبداً لفظةَ (كلا)
لم يقلُّ لي سفرائي أبداً في الوجهِ (كلا)
إنهم قد علَّموني أن أرى نفسي إلهاً ..
وأرى الشعبَ من الشرفَةِ رملاً ..
فاعذروني .. إن تحولتُ لهولاً كو جديدٍ
أنا لم أقتلُ لوجهِ القتلِ يوماً ..

إِذَا أَقْتَلَكُمْ .. كِي أُتْسَلِّي ...

الكلمات .. بين أسنان رجال المخابِر

١

وأخيراً .. شرفوني .
كان قلبي دائماً ينبئني ..
أنهم آتونَ ...
كي يعتقلوا الكلمةَ .. أو يعتقلوني ..
ولذا .. ما فاجأوني
كسروا أبوابَ بيتي في جنيفِ
لوثوا ثلجَ سويسرا ..
ومراعيها .. وأسرابَ الحمامِ ..
وتحدوا وطنَ الحبِّ ، وإنجيلَ السلامِ .
وضعوا شعري بأكياسٍ ..
فهلُ شاهدتمُ ؟
دولةً تسرقُ عطرَ الياسمينِ .
يا لها من غزوةٍ مضحكةٍ
سرقوا حبري ، وأوراقي ، ولمَّ ..
يسرقوا النارَ التي تحتَ جبيني
إنني أسكنُ في ذاكرةِ الشعبِ ..
فما همَّ .. إذا همَّ سرقوني؟؟ ...

٢

وأخيراً .. دخلوا غرفةَ نومي ..
واستباحوا حُرْماتي
بعثروا أغطيتي ..
شمشموا أحذيتي ..
فتحوا أدويتي ..
دلّقوا محبرتي ..
رقصوا فوقَ بياضِ الصفحاتِ .
غزوةٍ تافهةٌ جداً .. ككلِ الغزواتِ
أي عصرٍ عربيٍّ ؟
ذلكَ العصرُ الذي أفتى بقتلِ الكلماتِ ؟
أي عصرٍ معدنيٍّ ؟

ذلك العصرُ الذي يفرع من صوت العصفور
وشدو القُبَرَاتِ .
أي عصر لا يسمى ؟
ذلك العصر الذي يحبسنا
خلف أسوار اللغات .
أي عصر ماضوي .. فوضوي .. بدوي
قبلي .. سلطوي .. دموي ؟
ذلك العصر الذي يطلق النارَ علينا
في قعر الدواة ؟؟

٣

وأخيراً .. بلغوني ..
أنهم كانوا هنا ..
فلماذا بلغوني ؟
إنني أعرفُ بالفطرة أصواتَ بساطير العدو
وأنا أعرفُ بالفطرة ،
أوصافَ ، وأحجامَ ، وأسماءَ الخناجرِ ..
جهزوا جيشاً خرافياً
لكي يقتحموا عِزلةَ شاعرٍ ..
تركوا خلفهم الرومَ .. لكي
يعلنوا الحربَ على ريشةِ طائرٍ ..
قدموا من آخر العالمِ
حتى يسرقوا بعضَ الدفاترِ ..
أه .. كم هم أغبياءُ .
حينَ ظنوا أنهم
يقتلون الشعرَ إنْ هم قتلوني ...
لم أكنُ أعرفُ ما حجمي ..
إلى أن هاجموني ذاتَ ليلةٍ ..
فتأكدتُ بأني ..
شاعرٌ يرعبُ دوله ...

٤

وأخيراً .. شرفوني
لم يكونوا من بلاد الباسكِ .
أو من جيشِ إيرلندا ..

ولا هم من عصابات شيكاغو ..
إنني أعرف من هم غرمائي ..
فلماذا أرسلوا خلفي كلاب الصيد كي تنهشني ؟
هل كلاب الصيد صارت ..
تتسلى عندنا في أكل لحم الشعراء؟؟
إنهم يدرون أن الشعر عندي .. هو فن الكبرياء
وهم يدرون أن لا أحداً نفض الغبرة عم كعب حدائي
وهم يدرون أني ..
لم أقدم لسوى الله ولائي ...

٥

وأخيراً .. شرفوني .
حاولوا أن يفتحوا ثقباً بتاريخي
وأن يكسروا أنف غروري .
نبشوا أصلي . وفصلي . وجذوري .
نثروا قطن مخداتي .. وناموا في سريري .
قرأوا كل رسالة ..
وبيانات المصارف .
بحثوا عن بئر نفض .. كنت قد خبأته تحت الشراشف !!
حاولوا أن يجدوني واقفاً في طوابير العمالة ..
أعميلٌ أجنبيُّ ؟ بعدما حفر الحزنُ دروباً في جيبني
أعميلٌ أجنبيُّ ؟ . بعدما قدمتُ روعي ..
للملايين .. وقدمتُ عيوني ...

٦

حاولوا أن يمسكوني ..
وأنا أراهن في السوق السياسي ، ثيابي .
حاولوا أن يضبطوني ..
وأنا أقبضُ أتعابي على بيت من الشعر كتبتة ..
أو يسمون إماماً واحداً كنتُ قصده ..
حاولوا أن يجدوا لي صورة ، وأنا أرقصُ في ديوان كسرى .
أو أصب الخمر في عرس ثري .. أو أمير ...
لم أكن يوماً من الأيام طبالاً ..
ولا زورت شعري .. وشعوري ..
كان شعري دائماً أكبر من كل كبير ..

ليسَ عندي ذهبٌ .. أو فضةٌ ..
فرصيدي هو قلبي .. وضميري ...

ثورة الدجاج

نحن دجاج القيصر ..
نأكلُ قمح الخوف ،
ونشربُ من أمطار الملح
كل نهار ..
يأتينا البوليسُ قبيل صلاة الصبح
يستجوبنا ..
ويهددنا ..
ويعلقنا ..
بين السيفِ .. وبين الرمحِ .

*

نحن دجاجُ القيصرِ ..
يعلفنا في فصل الصيفِ ،
ويذبحنا في عيد الفصحِ ...

المحضر الكامل لحادثة اغتصاب سياسية

١

سامحونا ..
إن شتمناكم قليلاً .. واسترحنا
سامحونا إن صرخنا ..
كتبُ التاريخ لا تعني لنا شيئاً
وأخبارُ عليٍّ .. ويزيدٍ .. أتعبتنا ...
إننا نبحتُ ..
عمن لا يزالون يقولون كلاماً عربياً
فوجدنا دولاً من خشبٍ ..
ووجدنا لغةً من خشبٍ ..
وكلاماً فارغاً من أي معنى
سامحونا ..
إن قطعنا صلةَ الرحم التي تربطنا ..
سامحونا إن فعلنا ..

٢

سامحونا
- أيها السادة - إن نحن جننا
ألفُ دجالٍ على أكتافنا
إستباحوا دمنا منذ ولدنا
ألفُ بوليسٍ على أوراقنا ..
يطلقون النارَ .. لكن ما سقطنا ..
حاولوا أن يقطعوا أرجلنا
كي يعيقوا الزحفَ .. لكننا وقفنا ..
قطعوا الأيدي لكي لا نمسك الأقلامَ ،
لكننا كتبنا ..
حاولوا أن يقنعونا ..
أن قولَ الشعرِ كفرٌ .. فكفرنا ..

٣

سامحونا ..
إن قتلنا مرة آباءنا ..
وشككنا في روايات أبي زيد الهلاليِّ
وفي شخصية الزير .. وفي عنتره ..
سامحونا إن شككنا ..
في نصوص الشعر والنثر التي نحفظها
وحديثِ السيفِ .. والرمحِ .. وفي (كان) و (كنا) ...
سامحونا إن هربنا ،،
من بني صخر .. وأوس ..
ومنافٍ .. وكليبٍ ..
سامحونا إن هربنا ..
ما شربنا مرةً قهوتهم
إلا اختنقنا
ما طلبنا مرةً نجدتهم
إلا خذلنا ..
إن تاريخ ابن خلدون اختلاقٌ
فاعذرونا ..
إن نسينا ما قرأنا

٤

سامحونا ..
إن دخلنا قصركم من غير إذنٍ
ودخلنا حجرة العرش .. وقاعات المرايا ..
وشمنا عقب الأجساد في كل الزوايا
ورأينا كيف في ثلاجة السلطان ،
يبقى طازجاً لحم السبايا ..
سامحونا ..
إن تعدينا على أملاككم
وعتقنا العدد الأكبر من زوجاتكم
سامحونا إن خجلنا ..
وكرهنا نفسنا .. وكرهنا جلدنا ..
ونحرقناكم جميعاً .. وانتحرنا ..

٥

سامحونا ...
إن قطعنا مرةً سكرتكم
وسرقناكم من الويسكي يوماً
وفتحنا جرحنا ..
سامحونا .. إن سرقناكم من (الفيديو) قليلاً
كي نريك موتنا ..
إننا نسأل عن شخصٍ يسمى المتنبي
كان في يوم من الأيام عصفورَ العرب
فعرفنا أنه مات على أيدي المباحث
ووجدنا طلقةً في رأسه ..
ووجدنا طلقةً في حلقه ..
ووجدنا طلقةً في قلبه ..
ووجدنا طلقةً ثانيةً في قلبنا ..

٦

سامحونا
إن تعدينا على عذرية الدولة يوماً
واغتصبناها بشكل همجي ..
واسترحنا ..
عضضناها كذئبٍ من يديها

ولعنا والديها ..
وأمرنا الشعب أن يأكلَ لحمًا طازجاً من ناهديها.
سامحونا
إن تجاوزنا اللياقات قليلاً ..
وتصرفنا كأطفالٍ جياعٍ ..
وشربنا من دم الدولة أنهاراً ...
ونمنا

٧

سامحونا ..
إن تبولنا على كل التماثيل التي تملأ ساحات المدينة ...
وعلى كل التصاوير التي ألصقها البوليسُ - بالغضب -
على كل حوانيت المدينة ..
وعلى كل الشعارات التي يقذفها بالطوب .. أطفالُ المدينة .
سامحونا ..
إن تجمعنا كأغنام على ظهر السفينة ..
وتشردنا على كل المحيطات سنيماً .. وسنيماً ..
لم نجد ما بين تجار العرب ..
تاجراً يقبلُ أن يعلفنا .. أو يشترينا ..
لم نجد بين جميلات العرب ..
مرأةً تقبلُ أن تعشقنا .. أو تقتدينا
لم نجد ما بين ثوار العرب
ثائراً .. لم يغمد السكينَ فينا ...

٨

سامحونا ..
سامحونا ..
إن رفضنا كل شيءٍ ..
وكسرنا كل شيءٍ ..
واقتلعنا كل شيءٍ
ورمينا لكمُ أسماءنا
فالبوادي رفضتنا . والمواني رفضتنا
والمطاراتُ التي تستقبل الطير صباحاً ومساءً .. رفضتنا
إن شمسَ القمع في كل مكانٍ .. أحرقتنا ..
سامحونا ..

إن بصقنا فوق عصرٍ ما له تسميةٌ
سامحونا إن كفرنا ...

***** النهاية *****

Simpo PDF Merge and Split Unregistered Version - <http://www.simppdf.com>

هكذا أكتب تاريخ النساء

عذاب

www.dvd4arab.com

نزار قباني

هَذَا كِتَابُ تَارِيخِ النِّسَاءِ

هَذَا كِتَابُ تَارِيخِ النِّسَاءِ

تَارِيخُ النِّسَاءِ

هَذَا كِتَابُ

النِّسَاءِ

تَارِيخِ

النِّسَاءِ

هَذَا كِتَابُ تَارِيخِ النِّسَاءِ

هَذَا كِتَابُ تَارِيخِ النِّسَاءِ

تَارِيخُ النِّسَاءِ

هَذَا كِتَابُ تَارِيخِ النِّسَاءِ

تَارِيخُ النِّسَاءِ

تَارِيخُ النِّسَاءِ

تَارِيخُ النِّسَاءِ

الطبعة الخامسة

نيسان (أبريل) ١٩٨٩

الرسوم الداخلية

الفنان ضياء العزاوي

مدخل ١

إقرأيني .. كي تُحسي . دائماً بالكبرياء
إقرأيني .. كلما فتشت في الصحراء عن قطرة ماء
إقرأيني .. كلما سدوا على العشاق أبواب الرجاء
أنا لا أكتبُ حُزْنَ امرأةٍ واحدةٍ
إنني أكتبُ تاريخَ النساءِ ...

مدخل ٢

في البدء كان الشعرُ ، والنثرُ هو استثناءُ
في البدء كان البحرُ ، والبرُّ هو استثناءُ
في البدء كان النهْدُ ، والسفْحُ هو استثناءُ
في البدء كنتِ أنتِ .. ثم كانتِ النساءُ

مدخل ٣

كلُّ أنثى أحبُّ .. أولُ أنثى ..
ليس عندي في الحبِّ .. حبٌ أخيرُ

ماذا ؟

أي انقلابٍ سوف يحدثُ في حياتي ؟
لو أعشقتُ امرأةً تكونُ بمستواك .
أي انقلابٍ سوف يحدثُ - لو أحبكِ -
في نظامِ الكائناتِ ..
أي ارتجاجٍ في ضميرِ الكونِ ..
لو مرتُ على رأسي يداك ...
لو امرأةٌ مثلكِ تكونُ حبيبتي ..
عمرتُ للعشاقَ ألفَ مدينةٍ ..
و بسطتُ سلطاني
على كلِّ الممالكِ و اللغاتِ ..
لو مثلكِ امرأةٌ .. تكونُ حبيبتي
ماذا سيحدثُ في الطبيعة من عجائبٍ ..

ماذا سيحدث للبحار ، والمراكب ..
ماذا سيحدث للكواكب ؟
ماذا سيحدث للحضارة ..
للمدينة ، لو رأيت عينيك ، أو سمعت خطاك ..
ماذا سيحدث للفنون إذا تشكل ناهداك ..
ماذا سيحدث للثقافة كلها ؟
لو أعشق امرأة تكون بمستواك ..



أريدك أنتى ..

١

أريدك أنتى ..
ولا أدعي العلم في كيمياء النساء
ومن أين يأتي رحيق الأنوثة
وكيف تصيرُ الأطباءُ ظباءً
وكيف العصافيرُ تتقنُ فنَّ الغناء
أريدك أنتى ..
وأعرفُ أنَّ الخيارات ليست كثيرة
فقد أستطيع اكتشافَ جزيرة
وقد أستطيع العثورَ على لؤلؤه
ولكنَّ من ثامن المعجزاتِ ، اختراعَ امرأة ..

٢

أريدك أنتى ..
وأجهلُ كيف يُركَّبُ هذا العقارُ الخطيرُ
وأجهلُ كيف الفراشةُ تكتبُ شعراً ..
وكيف الأناملُ تقطرُ شهداً
وأجهلُ أيَّ بلادٍ يبيعون فيها الحريرُ
أريدك أنتى ..
بخطكِ هذا الصغيرِ .. الصغيرِ ..
ونهدكِ هذا المليءِ .. المضيءِ .. الجريءِ ..
العزيرِ .. القديرِ ..

٣

أريدك أنتى ..
ولا أتدخلُ بين النبيذِ وبين الذهبِ ..
وبين الكريستالِ .. والأقحوانِ
ولستُ أفرقُ بين بياضِ يديكِ
وبين مداساتِ هذا البيانِ ..
ويكفي حضوركِ كي لا يكونَ المكانُ
ويكفي مجيئكِ كي لا يجيءَ الزمانُ
وتكفي ابتسامتُ عينيكِ كي يبدأ المهرجانُ
فوجهكِ تأشيرتي لدخولِ بلادِ الحنانِ ..

٤

أريدك أنثى
كما جاء في كتب الشعر منذ أوف السنين
وما جاء في كتب العشق والعاشقين
وما جاء في كتب الماء .. والورد .. والياسمين
أريدك وادعة كالحمامة ..
وصافية كمياه الغمامة ..
وشاردة كالغزاله ،
ما بين نجد .. وبين تهامة ..

٥

أريدك .. مثل النساء اللواتي
نراهن في خالدا ت الصور
ومثل العذارى اللواتي
نراهن فوق سقوف الكنائس
يغسلن أثناءهن بضوء القمر
أريدك أنثى .. ليخضر لون الشجر
ويأتي الغمام إلينا .. ويأتي المطر ..
أريدك أنثى ولا أدعيك لنفسى
ولكن .. ليسعد كل البشر ..

٦

أريدك أنثى
لتبقى الحياة على أرضنا ممكنة ..
وتبقى القصائد في عصرنا ممكنة ...
وتبقى الكواكب والأزمنة
وتبقى المراكب ، والبحر ، والأحرف الأبجدية
فما دمت أنثى فنحن بخير
وما دمت أنثى ..
فليس هنالك خوف على المدينة

٧

أريدك أنثى
بزينتك المدرسية
وأطواقك المعدنية
وشعر طويل وراءك يجري كذيل الحصان

وحُمْرةِ ثَغْرِ خَفِيفَةٍ
ورِشَةٍ عَطْرِ حَفِيفَةٍ
ولمسةِ كحلٍ خَفِيفَةٍ
ونهدِ أربيّه مثل الطيور الأليفه
وأمنحه التاجَ والصولجانُ ..

٨

أريدكِ أنثى ..
وهذا رجائي الوحيدُ إليكِ
وأخرُ أمنيةٍ أتوجهُ فيها إلى شفقتكِ
أريدكِ باسمِ الطفولةِ أنثى ..
وباسمِ الرجولةِ أنثى ..
وباسمِ الأمومةِ أنثى ..
وباسمِ جميعِ المُعنينِ والشعراءِ
وباسمِ جميعِ الصحابةِ والأولياءِ
أريدكِ أنثى ..
فهل تقبلينَ الرجاءَ ؟

٩

أريدكِ أنثى اليدينِ
وأنثى بهسهسةِ القرطِ في الأذنينِ
وأنثى بصوتكِ .. أنثى بصمتكِ ..
أنثى بضعفكِ .. أنثى بخوفكِ
أنثى بطهرِكِ .. أنثى بمكرِكِ ..
أنثى بمشيتكِ الرائعةِ
وأنثى بسُلطتكِ التاسعةِ ..
وأنثى أريدكِ ، من قمةِ الرأسِ للقدمينِ ..
فكوني سألتكِ كلَّ الأنوثةِ ..
لا امرأةً بينَ .. بينَ ..

١٠

أريكِ أنثى ..
لأن الحضارةِ أنثى ..
لأن القصيدةِ أنثى ..
وسنبلةِ القمحِ أنثى ..
وقارورةِ العطرِ أنثى ..

وباريسَ - بين المدائن - أنثى ..
وببيروتَ تبقى - برغم الجراحات - أنثى ..
وباسمِ الذين يريدونَ أن يكتبوا الشعرَ .. كوني امرأةً ..
وباسمِ الذين يريدونَ أن يصنعوا الحبَّ ... كوني امرأةً ..
وباسمِ الذين يريدونَ أن يعرفوا اللهَ .. كوني امرأةً ..

ربما ..

١

أنا لم أعشقتكِ حتى الآن .. لكن ربما ..
تحدثُ المعجزةُ الكبرى .. وتنشقُّ السما ..
عن فراديسَ عجيبةً ..
وتصيرينَ الحبيبةً ..
وتصيرُ الشمسُ يا سيدتي
خاتماً بين يدي ..
وأرى في حلمي وجهَ النبي
وأرى الجنةَ من نافذتي والأنجما ..
ربما ..

٢

أنا لم أعشقتكِ حتى الآن .. لكن ربما ..
يضربُ الطوفانُ شيطانَ حياتي
ويجيءُ البحرُ من كلِّ الجهاتِ ..
ربما يحتاجني الإعصارُ في يومٍ غدٍ
ربما بعدَ غدٍ ..
ربما في أشهرٍ أو سنواتٍ ..
فاعذريني إن تريتُ قليلاً ..
فأنا أختارُ في شكلٍ دقيقٍ كلماتي ..
معجبٌ فيكِ أنا ..
غير أنَّ الحبَّ ما بللَ بالدمعِ سريري ..
أو رمى أزهاره في شرفاتي ..

٣

أنا لم أعشقتكِ حتى الآن .. لكن ..
سوفَ تأتي ساعةُ الحبِّ التي لا ريبَ فيها ..
وسيرمي البحرُ أسماكاً على نهديكِ لم تنتظريها .

وسيهديك كنوزاً ، قبلُ ، لم تكتشفها ..
سيجيءُ القمحُ في موعدة ..
ويجيءُ الوردُ في موعدة ..
وستنسبُ الينابيعُ ، وتخضرُ الحقولُ
فاتركي الأشجارَ تنمو وحدها ..
واتركي الأنهارَ تجري وحدها ..
فمن الصعب على الإنسان تغييرُ الفصولِ ..
٤

ربما كنتِ أرقّ امرأةٍ ..
وُجِدتُ في الكونِ ، أو أحلى عروسٍ ..
ربما كنتِ برأي الآخرينِ
قمرَ الأقمارِ ، أو شمسَ الشمسِ
ربما كنتِ جميلةً ..
مثلَ لونِ البحرِ ، أو لونِ الطفولةِ
غيرَ أنَّ الحبَّ – مثلَ الشعرِ عندي –
لا يلبيني بيُسْرٍ وسهولةٍ ..
فاعذريني إن ترددتُ ببوحي ..
وتجاهلتكِ صدرأ ، وقواماً ، وجمالاً ..
إنَّ حبي لك ما زالَ احتمالاً ..
فاتركي الأمرَ إلى أن يأذنَ اللهُ تعالى ..
٥

إشربي القهوةَ يا سيدتي ..
ربما يأتي الهوى كالمسيحِ المنتظرِ ..
ليس عندي الآنَ ما أعلنهُ ..
فلقد يأتي .. ولا يأتي الهوى
ولقد يلغي مواعيدَ السفرِ ..
ربما أكتبُ شعراً جيداً ..
غيرَ أني لم أحاولُ أبداً من قبلُ إسقاطَ المطرِ
لا ولا حاولتُ أن أخرجَ من جيبي القمرَ ..
إنَّ للحبِّ قوانينَ فلا ..
تستبقي وقتَ الثمرِ ...

٦

إشربي القهوةَ يا سيدتي ..

وابحثي في صفحة الأزياء عن ثوبٍ جميلٍ ..
أو سوارٍ مبتكرٍ ..
وابحثي في صفحة الأبراج عن عصفورةٍ خضراءٍ ..
تأتيك بمكتوبٍ جديدٍ .. أو خبرٍ ..
إشربي القهوةَ يا سيدتي ..
فالجُميلاتُ قضاءٌ وقدرٌ ..
والعيونُ الخضراءُ والسودُ ..
قضاءٌ وقدرٌ ..

٧

هل أنا أهواك؟ لا شيءَ أكيدٌ ..
هل أنا مُضطربُ الرؤيةِ والتفكيرِ .. لا شيءَ أكيدٌ ..
هل أنا منشطُ النفسِ إلى نفسينِ .. لا شيءَ أكيدٌ ..
هل حياتي شبَّتِ النارُ بها؟
هل ثيابي اشتعلتْ؟ هل حروفي اشتعلتْ؟
هل دموعي اشتعلتْ؟
هل أنا ضوءٌ سماويٌّ .. وإنسانٌ جديدٌ؟
لا تسمي ذلكَ الإعجابَ يا سيدتي حباً ..
فان الحبَّ لا يأتي إذا نحنُ أردناه ..
ويأتي كغزلٍ شارِدٍ حينَ يريدُ ..

٨

إشربي القهوةَ ، يا مائبة الصوتِ ، وخضراءَ العيونِ ..
فعلى خارطةِ الأشواقِ لا أعرفُ في أيِّ مكانٍ سأكونُ ..
ومتى يذبحني سيفُ الجنونِ؟
فلماذا تكثرينِ الأسئلةَ؟
ولماذا أنتِ ، يا سيدتي ، مستعجلةٌ؟
أنا لا أنكرُ إعجابي بعينيكِ ، فأعجابي بعينيكِ قديمٌ ..
لا ولا أنكرُ تاريخي مع العطرِ الفرنسيِّ الحميمِ
ومه النهديِّ الذي كسَّرَ أبوابَ الحريمِ ..
غيرَ أنني لم أزلُ أفتقدُ الحبَّ العظيمَ ..
أه ما أروه أن ينسحقَ الإنسانُ في حبٍّ عظيمٍ ..
فامنحيني فرصةً أخرى .. فقد
يكتبُ اللهُ عليَّ الحبَّ .. واللهُ كريمٌ ..

٩

أنا لم أعشقتك حتى الآن .. لكن من سيدري ؟
ما الذي يحدث في يومٍ وليلة ..
من سيدري ؟

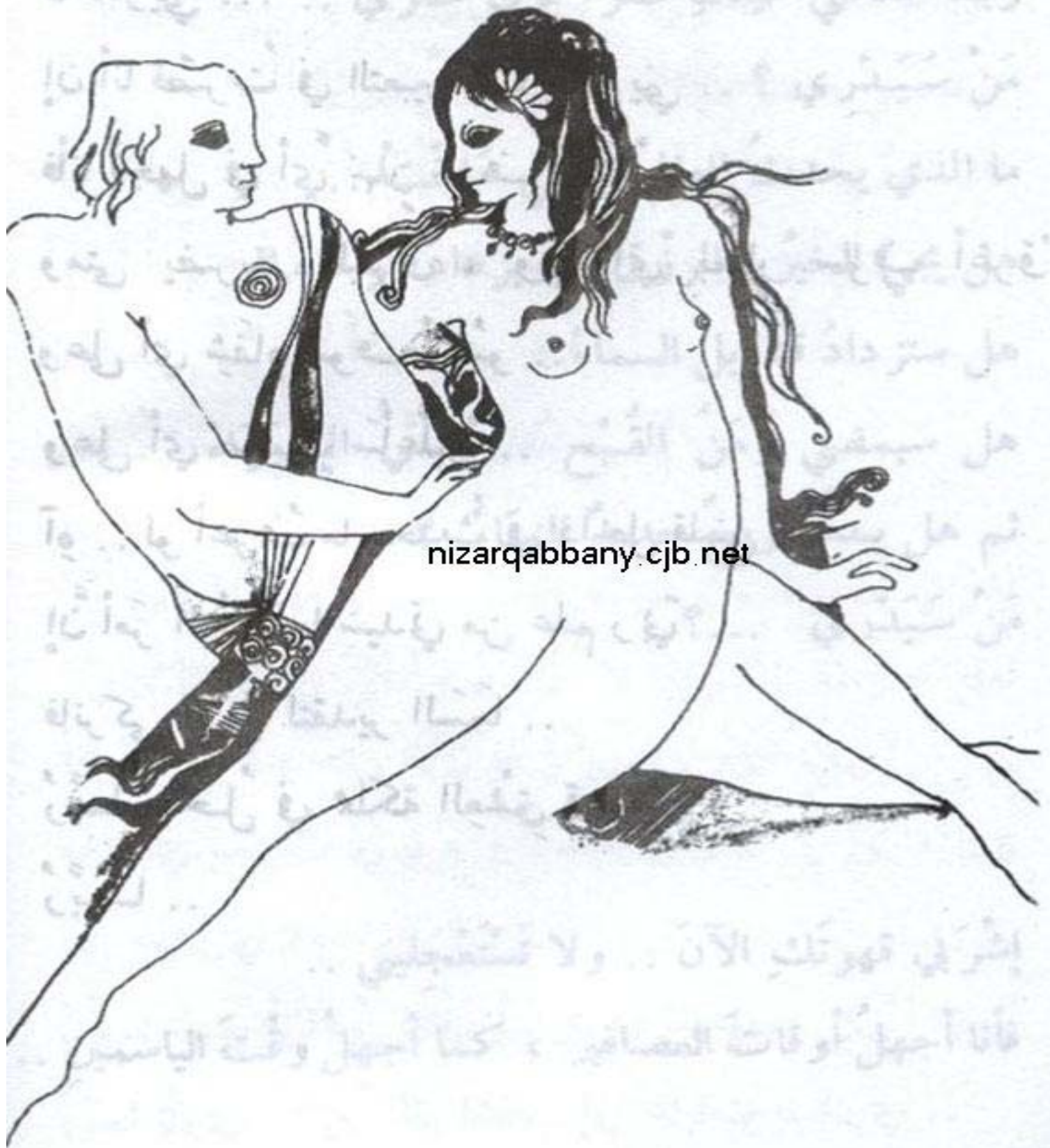
ربما تنمو أزاهيرُ المانوليا فوق ثغري
ربما تأوي ملايينُ الفراشات إلى غاباتِ صدري ..
ربما تمنحني عينكِ عمراً فوق عمري ..
من سيدري ؟

ما الذي يحدث للعالم لو أني عشقت ..
هل يجيءُ الخيرُ والرزقُ ، ويزدادُ الرخاءُ ؟
هل ستزدادُ قناديلُ السماء ..
هل سيمضي زمنُ القبح .. ويأتي الشعراءُ
ثم هل يبدأُ تاريخٌ جديدٌ للنساءِ ؟
من سيدري ... ؟

١٠

إشربي قهوتكِ الآن .. ولا تستعجليني ..
فأنا أجهلُ أوقاتَ العصافيرِ ، كما أجهلُ وقتَ الياسمينِ ..
فاعذريني ..

إن أنا قصرتُ في التعبيرِ عما يعتريني ..
فأنا أجهلُ في أي نهارٍ سوفُ أعشقُ ..
ومتى يضربني البرقُ ، وفي أي بحارٍ سوفُ أغرقُ
وعلى أي شفاهٍ سوفُ أرسو ..
وعلى أي صليبٍ سأعلقُ ..
أه .. لو أعرفُ ما يحدثُ في داخلِ قلبي ..
إنَّ أمرَ الحبِّ يا سيدتي من علمِ ربيِّ
فاتركي الأمرَ لتقديرِ السما ..
ربما ندخلُ في مملكةِ العشقِ قريباً ..
ربما ..



صورة خصوصية جداً

من أمر شيف السيدة م

١

الركبة الملساء .. والشفة الغليظة ..
والسراويل الطويلة والقصيره
إني تعبت من التفاصيل الصغيره ..
ومن الخطوط المستقيمة .. والخطوط المستديرة ...
وتعبت من هذا النفير العسكري
إلى مطارحة الغرام
النهضة .. مثل القائد العربي يأمرني :
تقدم للأمام ..
والفلفل الهندي في الشفتين يهتف بي :
تقدم للأمام ..
والأحمر العنبي فوق أصابع القدمين .. يصرخ بي
تقدم للأمام ..
إني رفعت الراية البيضاء ، سيدتي ، بلا قيد ولا شرط
ومفتاح المدينة تحت أمرك ..
فادخليها في سلام ..
جسدي المدينة ..
فادخلي من أي باب شئت أيتها الأميرة ..
وتصرفي بجميع ما فيها .. ومن فيها ...
وخليني أنام ..

٢

الركبة البيضاء .. والحمراء .. والخضراء
كيف أميز الألوان ؟
إن زجاجة الفودكا تحيل ثقافتني صفراً ..
وترجعني إلى جهل العشيره ..
وتضخم الإحساس بالأشياء ..
ترميني عليك كأنك الأنثى الأخيرة ..

٣

مايا تغني - وهي تحت الدوش - أغنيةً من اليونان رائعةً ..
وتضحكُ دونما سببٍ ..
وتغضبُ دونما سببٍ
وترضى دونما سببٍ
ويدخلُ نهدها الذهبيُّ في لحم المرايا ..
مايا تناديني ..
لأعطيها مناشفها ..
وأعطيها مكاحلها ..
وأعطيها خواتمها الملونةَ الثيرةَ
مايا تقولُ بأنها لم تبلغِ العشرينَ بعدُ ..
وأنها ما قاربتُ أحداً سوايا ...
وأنا أصدقُ كلَّ ما قالَ النبيذُ ..
وكلَّ ما قالتُهُ مايا ..

٤

مايا على (الموكيت) حافيةٌ ..
وتطلبُ أن أساعدها على ربط الضفيرةَ
وأنا أواجهُ ظهرها العاري ..
كطفلٍ ضائعٍ ما بين آلاف الهدايا ..
الشمسُ تشرقُ دائماً من ظهر مايا ...

٥

من أين أبدأ رحلتي ؟
والبحرُ من ذهبٍ .. ومن زغبٍ ..
وحولَ عمودها الفقريِّ أكثرُ من جزيرةَ
منْ يا ترى اخترعَ القصيدةَ والنبيذَ وخصرَ مايا ...
مايا لها إبطان يخترعانِ عطرهما ..
ويكتشفان رائحةَ الطريدةِ ..
مايا تسافرُ في انحناءات النبيذِ ..
وفي انحناءاتِ الشعور ..
وفي إضاءاتِ القصيدةِ ...
وأنا أسافرُ في أنوثتها وضحكتها ..
وأرسو كلَّ ثانيةٍ على أرضٍ جديدةٍ ..
مايا تقولُ بأنني الذكرُ الوحيدُ ..

وإنها الأنثى الوحيدة ..
وأنا أصدق كل ما قال النبيذ
وكل ما قالتها مايا ...

٦

مايا لها نهدان شيطانان همهما مخالفة الوصايا .
مايا مخربة .. وطيبة ..
وماكرة .. وطاهرة ..
وتحلو حين ترتكب الخطايا ...
الحر في تموز يجلدني على ظهري ..
فكيف يمارس الإنسان فن الحب في عز الظهيرة ؟
والموت في عز الظهيرة ؟

٧

مايا وراء ستارة الحمام واقفة كسنبلة ..
وتروي لي النوادر والحكايا ..
وأنا أرى الأشياء ثابتة .. ومائلة ..
وحاضرة .. وغائبة ..
وواضحة .. وغامضة ..
فتخذلني يدايا ..
مايا مبلة وطازجة كتفاح الجبال ..
وعند تقاطع الخلجان قد سألت دمايا ..
مايا تكرر أنها ما لامست أحداً سوايا ..
وأنا أصدق كل ما قال النبيذ ..
ونصف ما قالتها مايا ..

٨

مايا مهياة كطاووس ملوكي ..
وزهرة جلنار ..
مايا تفتش عن فريستها كأسمك البحار ..
فمتى سأخذ القرار ؟

٩

هذي شواطئ حصرموت ..
وبعدها .. تأتي طريق الهند ..
إن مراكبي داخت ..
وبين الطحلب البحري والمرجان ..

تنفتحُ احتمالاتٌ كثيرةٌ ..

ماذا اعتراني ؟

إن أفريقيا على مرمي يدي ..

ومجاهلُ البنغال أخطرُ من خطيره ..

مايا تنادينني ..

فتنفجرُ المعادنُ ..

والفواكهُ ..

والتوابلُ ..

والبهارُ ..

هذا النبيذُ أساءَ لي جداً ...

وأنساني بداياتِ الحوارِ ..

فمتى سأتخذُ القرارَ ؟

١٠

مايا تُغني من مكان ما ..

ولا أدري على التحديد أين مكانُ مايا ..

كانت وراءَ ستارةِ الحمام ساطعةً كلؤلؤةٍ ..

وحولها النبيذُ إلى شظايا ...

١١

مايا تقولُ بأنها امرأتي ..

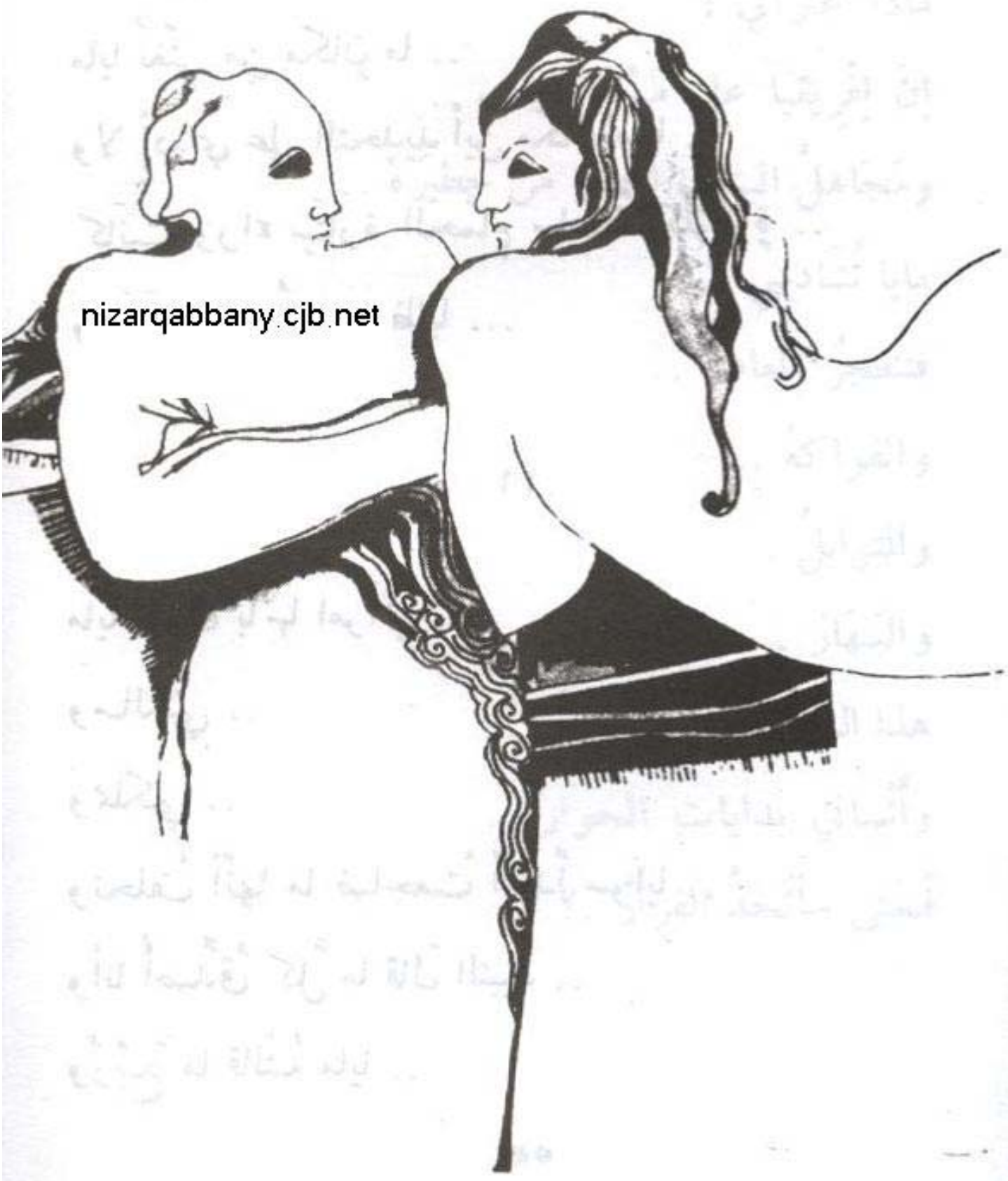
ومالكتي ..

ومملكتي ..

وتحلفُ أنها ما ضاجعتُ أحداً سوايا ..

وأنا أصدقُ كلَّ ما قالَ النبيذُ ..

ورُبَّعَ ما قالته مايا ..



nizarqabbany.cjb.net

قصيدة حب ١٩٨٠

١
في نهايات شهر ديسمبر من كل عام
يصبحُ دمي بنفسجياً ..
تهجمُ كرياتُ العشق على بقية الكريات
وتأكلها ...
تهجمُ الكلمةُ الأنتى على بقية الكلمات
وتطردها ...
ويكتشفون من تخطيط قلبي ..
أنه قلبُ عصفورٍ ..
أو قلبُ سمكةٍ ..
وأن مياهُ عينيكِ الدافئة ..
هب بيئتي الطبيعية
والشرطُ الضروريّ لاستمرار حياتي ..

٢
في نهايات شهر ديسمبر من كل عام
عندما تصبحُ المكتباتُ
غايةً من البطاقات الملونة
ويصبحُ مكتبُ البريدُ
حقلًا من النجوم ... والأزهار ... والحروف المقصّبة
أقعُ في إشكالٍ لغويّ كبيرٍ ..
أسقطُ من فوق حصان الكلمات
كرجلٍ لم يرَ الخيلَ في حياته ..
ولم يرَ النساءَ ..
أخذُ صفراً في الأدبِ
أخذُ صفراً في الإلقاء
أرسبُ في مادة الغزلِ
لأنني لم أستطع أن أقولَ بجملةٍ مفيدةٍ
كم أنتِ رائعةٌ
وكم أنا مقصّرٌ في مذاكرة وجهك الجميلِ
وفي قراءة الجزء العاشرِ بعد الألفِ ..
من شعركِ الطويلِ ...

إشتغلتُ عاماً كاملاً
على قصيدة تلبسينها عام ١٩٨٠
كلّ الهدايا متوفرة في الأسواق
إلا هدايا القلب
كلّ الأساور صغيرة على يدك
إلا أساور حناني ...
إثني عشر شهراً .. وأنا أشتغل
كدودة الحرير أشتغل ..
مرةً بخيطٍ ورديّ ..
ومرةً بخيطٍ برتقاليّ ..
حيناً بأسلاك الذهب
وحيناً بأسلاك الفضة
لأفاجئك بأغنية ..
تضعيها على كتفيك كشال الكشمير ..
ليلة رأس السنة ..
وتثيرين بها مخيلة الرجال .. وغيره النساء ..

إثني عشر شهراً ..
وأنا أعملُ كصائغٍ من آسيا ..
في تركيب قصيدة ..
تليقُ بمجد عينيك ..
أشكّ اللؤلؤة باللؤلؤة ..
والياقوتة بالياقوتة ..
والدمعة بالدمعة ..
وأصنعُ منها حبلاً طويلاً .. طويلاً من الكلمات
أضعه حول عنقك .. وأنا أبكي ...
إثني عشر شهراً
وأنا أعملُ كنساجي الشام
وفلورنسا .. والصين .. وبلاد فارس
في حياكة عباءة من العشق ..
لا يعرفُ مثلها تاريخُ العباءات ..
ولا تاريخُ الرجال ..

٥

إثني عشرَ شهراً ..
وأنا في أكاديمية الفنون الجميلة
أرسمُ خيولاً بالحرير الصينيِّ
تشبهُ انفلاتَ شعركُ
وأعجنُ بالسيراميك أشكالا لولبية
تشبهُ استدارةَ نهديكِ ..
على القماشِ رسمتُ ..
وعلى الزجاجِ رسمتُ ..
وعلى المطرِ .. والبحرِ .. ودفاتر الليلِ رسمتُ ..
صنعتُ الأصواتَ التي لها رائحةُ ..
والرائحةَ التي لها صوتُ ..
ورسمتُ حولِ خصرِك زيحاً بالقلم الأخضرُ ..
حتى لا يخطر بباله أن يصبح فراشةً .. ويطيرُ
إثني عشرَ شهراً ..
وأنا أكسر اللغَةَ إلى نصفينِ ..
والقمرِ إلى قمرينِ ..
قمرٍ تستلمينه الآن ..
وقمرٍ تستلمينه في بريد عام ١٩٨٠

سأقول لك أحبك ..

١

سأقولُ لكِ " أحبك " ..
حينَ تنتهي كلِّ لغاتِ العشقِ القديمةِ
فلا يبقى للعشاقِ شيءٌ يقولونه .. أو يفعلونه ..
عندئذٍ ستبدأ مهمتي ..
في تغيير حجارة هذا العالمِ ..
وفي تغيير هندسته ..
شجرةً بعد شجرة ..
وكوكباً بعد كوكبٍ ..
وقصيدهً بعد قصيده ..

٢

سأقولُ لكِ " أحبك " ..

عندما أشعر أن كلماتي صارت تستحقك ..
وتضيّق المسافةُ بين عينيكَ وبين دفاتري ..
ويصبحُ الهواءُ الذي تتنفسينه يمرُّ برئتي أنا ..
وتصبحُ اليد التي تضعيها على مقعد السيارة ..
هي يدي أنا ..
سأقولها ، عندما أصبح قادراً ،
على استحضار طفولتي ، وخيولي ، وعساكري ،
ومراكبي الورقية ..
واستعادةِ الزمن الأزرق معك على شواطئ بيروت .
حين كنتِ ترتعشين كسمكةٍ بين أصابعي ..
فأغطيكَ ، عندما تنعسين ..
بشرشفٍ من نجوم الصيف ..

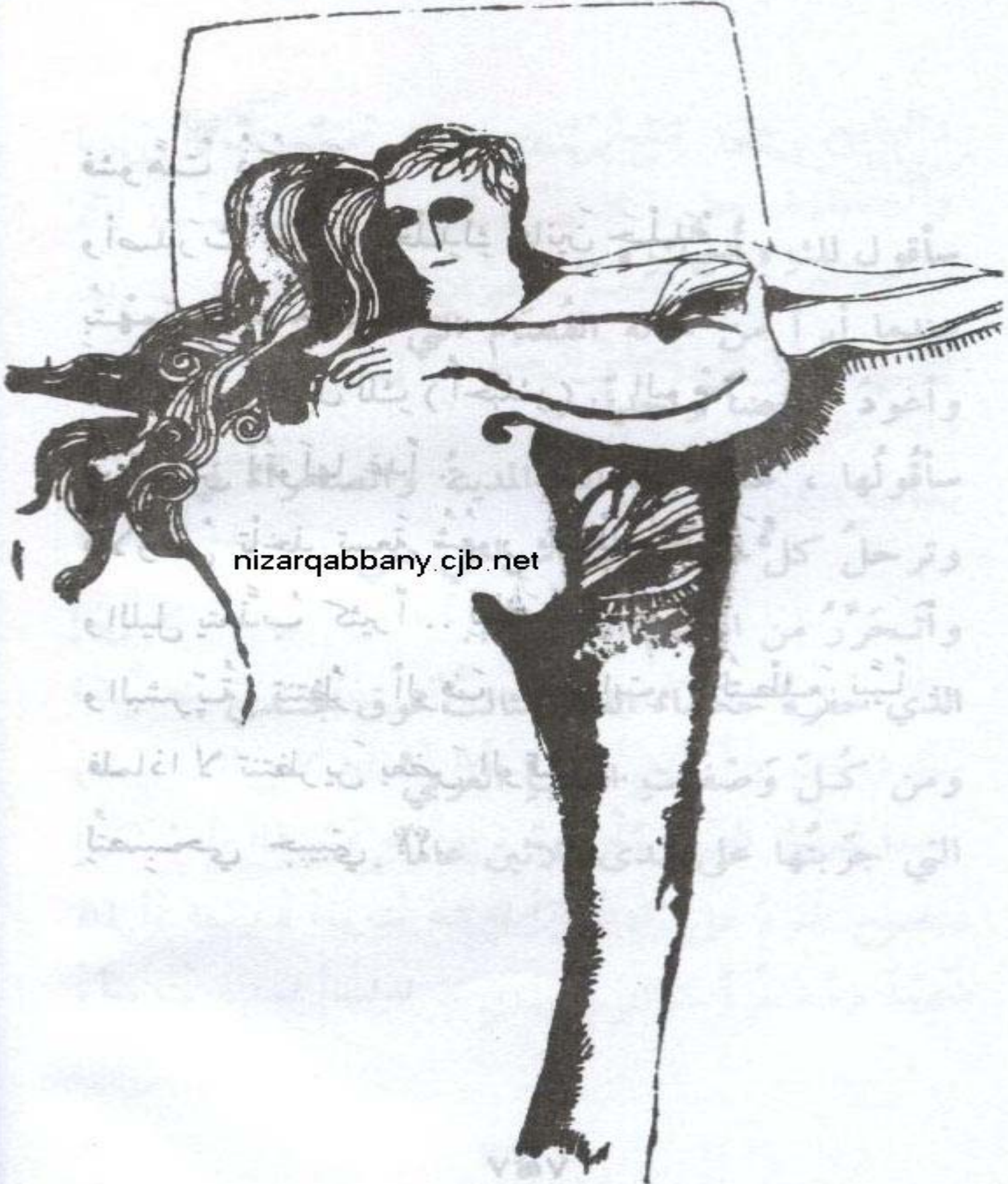
٣

سأقولُ لك " أحبك " ..
عندما أشعرُ أن الأرضَ حتى تدورَ بحاجةٍ إليك
وسنابلَ القمحِ حتى تنضجَ .. بحاجةٍ إليك ..
والفصولَ حتى تتعاقبَ .. بحاجةٍ إليك ..
والينابيعَ حتى تنفجرَ ..
والحضارةَ حتى تتحضرَ ..
والعصافيرَ حتى تتعلمَ الطيرانَ ..
والفراشاتَ حتى تتعلمَ الرسمَ ..
وأنا حتى أمارس النبوةَ
بحاجةٍ إليك ..

٤

سأقولُ لك " أحبك " ..
عندما تسقطُ الحدودُ نهائياً بينك وبين القصيدة ..
ويصبحُ النومُ على ورقةِ الكتابِ
شهياً ومدمراً كالنومِ معك ..
ليسَ الأمرُ سهلاً كما تتصورين ..
فأنا لا أستطيعُ أن أحبَّ امرأةً ..
خارجَ إيقاعاتِ الشعرِ ..
ولا أن أدخلَ في حوارٍ مع جسدٍ لا أعرفُ أن أتهجأه
كلمةً كلمةً ..

ومقطعاً كقطعاً ..
إنني لا أعاني من عقدة المثقفين ..
لكنّ طبيعتي ترفضُ الأجسادَ التي لا تتكلمُ بذكاءٍ
والعيونَ التي لا تطرحُ الأسئلةَ ..
إن شرطَ الشهوةِ عندي ، مرتبطٌ بشرطِ الشعرِ
فالمراةُ قصيدةٌ أموتُ عندما أكتبها ..
أموتُ عندما أنساها ..



nizarqabbany.cjb.net

هل تجيئين معي إلى البحر؟

١

هل تجيئين معي إلى البحر؟
هل تهربين معي من الزمن اليابسِ إلى زمن الماءِ
فنحنُ منذُ ثلاثِ سنينِ
لم ندخلُ في احتمالاتِ اللونِ الأزرقِ
لم نمسكُ بأيدينا ..
أفقاً ..
أو حلماً .. أو قصيدةً ..
لقد جعلتنا الحربُ الأهليةُ حيوانينِ بريينِ
يتكلمانِ دونَ شهيةٍ ..
ويتناسلانِ دونَ شهيةٍ
ويلتصقانِ ببعضهما بصمغِ العاداتِ المكتسبةِ
قهوتي التركيةُ عادةٌ مكتسبةٌ ..
وحمامكِ الصباحي عادةٌ مكتسبةٌ .
ولونُ مناشفكِ عادةٌ مكتسبةٌ
فماذا لا تلبسينِ قبعةَ الشمسِ ؟
وتأتينِ معي ..
إنني ضجرتُ من هذه العلاقةِ الأكاديميةِ
التي أعطتكِ شكلَ النساءِ المتزوجاتِ دونَ حبِّ
وأعطتني ..
شكلَ القصيدةِ العموديةِ ...

* * *

٢

كل الأشياءِ بين يدينا ..
هشةٌ .. وقابلةٌ للكسرِ ..
كل أيامِ الأحدِ ..
تتشابهُ كمنشورٍ سياسيٍّ
كل أنواعِ الكحولِ ..
لها مذاقٌ واحدٌ .. ومفعولٌ واحدٌ
كل الطرقاتِ إلى نهديكِ
تؤدي إلى الانتحارِ ..

فلماذا .. لا نخرج إلى البحر؟
إنّ البحرَ لا يكرر نفسه ..
ولا يعيد كتابةَ قصائدهِ القديمةِ ..
البحرُ .. هو التغيرُ والولادةُ ..
وأنا أريدك أن تتغيري .. وأن تغيريني ..
أريدُ أن ألدك .. وأن تلديني ..
أريدُ أن تنقشي بالخط الكوفي على جلدك
كما تنقش المرأةُ العاشقةُ ..
إسمَ رجلها على صدرها ..
قبلَ أن يذهبَ إلى الحربِ ..
أريدُ أن أمشي معك في شارعِ الشعرِ ..
وأنام معك تحت شجرِ الشعرِ ..
وأضعُ في يدك الصغيرتينِ أساورَ الشعرِ ..
أريدُ أن أطلقَ سراحك من هذه الزنزانة العربيةِ
التي أعطتك شكل النساء المتزوجات دون حب ..
وأعطتني شكلَ القصيدة العمودية ...

٣

لقد انفجرتُ بيروتُ بين أصابعي ..
كدواةٍ بنفسجيةٍ ..
ودخلتُ شظاياها في صوتي وفي أوراقي ..
فساعديني على ترميم وجهي ..
وترميم لغتي
فاللغة قطارٌ ليليّ بطيء
ينتحر فيه المسافرون من شدة الضجرِ
فتعالى نطلق النارَ على الأحرف الأبجديةِ ..
ألا يمكنني أن أحبك خارجَ المخطوطات العربيةِ؟
وخارجَ الفرمانات العربيةِ ..
وخارجَ أنظمة المرور العربيةِ ..
وخارجَ الأوزان العربيةِ ..
فعولنُ مفاعيلنُ فعولنُ مفاعيلنُ ..
ألا يمكنني أن أجلس معك في الكافيتيريا؟
دون أن يجلس معنا أمرؤ القيس؟
فعولنُ مفاعيلنُ فعولنُ مفاعيلنُ ..

ألا يمكنني أن أدعوك للرقص ؟
دون أن يرقصَ معنا البحتري ..
فعولنُ مفاعيلنُ فعولنُ مفاعيلنُ ..
ثم .. ألا يمكنني أن أوصلكِ إلى منزلكِ في آخر الليل ..
إلى بحراسة رجلِ المخابراتِ عنتره العبسي ..
آه .. كم هو متعبٌ أن أتغزل بعينيكِ ..
وأنا تحت الحراسة ..
وأتجولَ في ليلِ شعركِ .. وأنا تحت الحراسة
آه .. كم هو متعبٌ ..
أن أحبكِ بين فتحتين ..
أو همزتين ..
أو نقطتين ..
فلماذا لا نرمي بأنفسنا من قطار اللعنة ؟
ونتكلم لغة البحر ؟

٤

هل تجيبين معي إلى البحر ؟
لنحتمي تحت عباءته الزرقاء ..
هل أبوحُ لكِ بسرِّ صغير ؟
إنني أصيرُ قبيحاً عندما لا أكتبُ ..
وأصيرُ قبيحاً عندما لا أعشقُ ..
فساعديني على استعادة المجدين ..
مجدِ الكتابة .. ومجدِ العشق ..

٥

هل تدخلين معي في احتمالات اللون الأزرق ..
واحتتمالات الغرق والدوار ..
واحتتمالات الوجه الآخر للحب ..
لقد دمرتني العلاقة ذات البعد الواحد
والحوارُ ذو الصوت الواحد ..
والجنسُ ذو الايقاع الواحد ..
لقد تفككَ الزمنُ بين أصابعنا
وتفككتُ عناصرُ عينيكِ ..
إلى ليلٍ .. ورملٍ .. وماءٍ ..
فساعديني على لملمتكِ ..

وللملحة شعركِ الذي ذهبَ ولم يترك لي عنوانه ..
ساعديني على تشكيل اسمك ..
فأنا أركضُ .. وهو يركضُ أمامي كدجاجةٍ مذبوحه ..
ساعديني في العثور على فمي ..
فقد أخذتِ الحربُ دفاتري وخربشاتي الطفولية
أخذتِ الكلماتِ التي كان يمكن أن تجعلك أجملَ النساءِ
والكلماتِ التي كان يمكن أن تجعلني أعظمَ الشعراءِ ..
فلماذا لا تخلعين جلدك ..
وتلبسين جلدَ البحرِ ؟
لماذا لا تخلعين طقسك المعتدلَ ؟
وتلبسين جنوني ..
لماذا لا تخلعين ثوبَ الغبارِ .. وتلبسين أمطاري ؟
لقد تكدسَ على شفاهنا شوكٌ كثيرٌ .. وضجرٌ كثيرٌ ..
فلماذا لا ننورُ على هذه العلاقة الأكاديمية ..
التي أعطتكِ شكلَ النساءِ المتزوجاتِ ..
وأعطتني شكلَ القصيدة العمودية !! ..



كيف؟

١

كيف أتعاملُ معكِ ..
كيفُ ؟
أيّ المفاتيح تفتحُ أبوابَ مملكتكُ ؟
أيّ القصائدُ تدخلني إلى قاعة العرشِ ؟
أي نوع من النبيذُ ..
أقدمهُ لرشوةِ حراسكُ ؟
طبقتُ عليكِ علومَ الأولينَ والآخرينَ
وحكمةَ الفلاسفةِ .. وجنونَ المجانينَ ..
لم أتركُ كتاباً من كتبِ العشقِ .. إلا قرأتهُ ..
ولا عشبةً من أعشابِ الصينِ .. إلا تعاطيتها ..
ولا رياضةً هنديةً للتغلبِ على النفسِ ..
إلا مارستها ..
فلا الأعشابُ الصينيةُّ نفعتني ..
ولا الطقوسُ البوذيةُ نفعتني ..
ولا مؤلفاتُ العشقِ .. نفعتني ..
أيتها المرأةُ التي لم تكتبها الكتبُ ..

٢

استعملتُ معكِ كلَّ الطرقِ ..
التي يستعملها الرجالُ عادةً لاستمالة النساءِ
حاولتُ اللجوءَ إلى ضارباتِ الودعِ .. ففشلتُ ..
وإلى مستحضري الأرواحِ .. ففشلتُ ..
حاولتُ أن أعاقبكِ بالذهابِ مع امرأةٍ أخرى ..
فعاقيتُ نفسي ..
داليني على طريقةٍ أنتصرُ فيها عليكِ ...
فكلما ضربتُ نهديكِ بالسياطِ ..
تفجرُ الدمُ من جسدي ..

٣

أيتها المرأةُ في كلِّ شيءٍ ..
والقادرةُ على كلِّ شيءٍ ..
معكِ .. لا ينفَعُ عنفٌ ولا خشوتُهُ

لا ينفع هجرٌ ولا خيانة ..
كلّ الخيانات هي في مصلحتك ..
كلما دخلت إلى بيت امرأه ..
خرجت إليّ من وراء الستائر ..
كلما مارست الحبّ مع امرأةٍ أخرى ..
حبلتِ أنتِ !! ...

شينرو فرينيا

١

بيني وبينك علاقةٌ حبّ صعبةٌ
لا أفكرُ في مقاومتها ..
أو الاحتجاجِ عليها ..
فالحبُّ الكبيرُ هو دائماً حبُّ صعب
وليس صحيحاً أنه يأتينا على عربةٍ تجرها الملائكة ..
وليس صحيحاً ..
أنا نجدُه مختبئاً كالقمر تحت شراشفنا ..
أو كشامةٍ زرقاءٍ
تحت خالصتنا اليسرى ..

٢

بيني وبينك لغةٌ لا تزالُ في طور التشكيل ..
وكلامٌ لم يتعلم بعدُ .. كلّ الكلام ..
ودفاترُ لا تزالُ تنتظرُ نهداً ينقطُ فوقها عسلاً ..
وذهباً .. وبهاراً هندياً ..
بيني وبينك ، كهنةٌ .. وعرافونَ .. وفناجينُ قهوةٍ لم تفتح ..
وعلاماتُ حبّ قادمٍ ..
تشبهُ علاماتِ يومِ القيامةِ ..
ونبوءاتُ عن أنهارٍ ستفيضُ
وكنوزٍ ستتهجُّ ..
وحويناتٍ شعريةٍ ستتلقحُ ..
وأطفالٍ سيذهبونَ كلَّ صباحٍ إلى مدرسة البنفسجِ ...

٣

بيني وبينك طقسٌ رماديّ يميلُ إلى المطر ..
وأنا أستهيكُ تحت المطر ..

وقبلَ المطرِ ..
وبعدَ المطرِ ..
وأستنشقك كما يستنشق الأرنبُ
أعشابَ البراري ..
بيني وبينك حالةٌ من الشعر لم أكتبها بعدُ ..
وحالةٌ من النبوءة لم أبشر بها الناسَ بعدُ ..
وحالةٌ من الانخفافِ ..
تجعلني سيّدَ الدراويشِ ..
بيني وبينك أسئلةٌ لا أريدها أن تجابَ ..
وتناقضاتٌ جميلةٌ ليس من مصلحة الحبّ أن تنتهي ..
وخصوماتٌ طفوليةٌ ..
ليس من مصلحة الشعر أن تُحسمَ ..
وعاداتٌ صغيرةٌ ..
تتسلقُ على رفوف الكتبِ .. وورقِ الجدرانِ ..
وتترسبُ مع البنِّ في فناجين القهوةِ ..
٤

بيني وبينك فضيحةٌ غيرُ معلنةٍ ..
وزلازلُ مجهولةُ التوقيتِ ..
وجريمةٌ عشقٍ قابلةٌ للتنفيذ في أية لحظةٍ ..
بيني وبينك شوارعُ نصفِ مضيئةٍ ..
وستائرُ نصفِ مغلقةٍ
وقطاراتُ ليلةٍ أسمعُ صفيحها .. ولا أراها ..
وأشجارُ أناناسٍ .. أجلسُ تحتها ..
وأهذي في نومي ..

٥

بيني وبينك بلادٌ من العطشِ ..
ومنحرفون شعرياً .. وجنسياً يرفضون أنوثتكِ ..
كما يرفضون قصائدي ..
بيني وبينك طغاةٌ .. ومخبرون .. ومراكزُ قوى ..
وشركاتٌ مساهمةٌ لمكافحة الحبِّ ، والثورة ، والكتابة ..
بيني وبينك ..
رجالٌ يطفون كقطع الفلين على سطح الشعر ..
ونساءٌ .. يبعن أساورهنَّ ..

ويقطعن أيديهن من أجل الشعر ..

٦

بيني وبينك ..

مجتمع من الصيارفة لا يمكن اختراقه .

ومجتمع من البطاركة ..

لا يعترف حتى الآن بشرعية عينيك ..

وفقهاء ..

ومجتهدون ..

ومُفسرون ..

قررُوا بإجماع الآراء سفك دمي

وشطب شعري من مناهج وزارة التربية ..

حتى لا تتكحل به بنات القبيلة



مخطط لاخطاف امرأة أحبها ..

١

لامبرر لإعلان حبي لك في السنة الجديدة
فكلّ السنوات تبدأ بك ..
وتنتهي فيك ..
ساكونُ مضحكاً لو فعلتُ ذلك ،
لأنك تسكنين الزمن كله ..
وتسيطرين على مداخل الوقت
إن ولائي لك لم يتغرّ .
كنتِ سلطانتي في العام الذي مضى ..
وستبقين سلطانتي في العام الذي سيأتي ..
ولا أفكرُ في إقصائك عن السلطة ..
فأنا مقتنعٌ ..
بعدالة اللون الأسود في عينيك الواسعتين ..
وبطريقتك البدوية في ممارسة الحب ..

٢

إنني أحبك ..
ولا أجدُ ضرورةً للصراخ بنبرةٍ مسرحية :
" هذه هي حبيبتي .. "
فالمسمى لا يحتاجُ إلى تسمية
والمؤكد لا يحتاجُ إلى تأكيد ..
إنني لا أؤمنُ بجدوى الفنّ الإستعراضي ..
ولا يعنيني أن أجعلَ قصتنا ..
مادةً للعلاقات العامة ..
سأكونُ غيبياً ..
لو وقفتُ فوق حجرٍ ..
أو فوق غيمة ..
وكشفتُ جميع أوراقِي ..
فهذا لا يضيفُ إلى عينيك بُعداً ثالثاً ..
ولا يضيفُ إلى جنوني دليلاً جديداً ..
إنني أفضلُ أن أستبقيك في جسدي
طفلاً مستحيلَ الولادة ..

وطعنةً سريةً لا يشعرُ بها أحدٌ غيري ..
٣

لا تبحتني عني ليلة رأسِ السنة
فلن أكونَ معك ..
ولن اكونَ مع أي امرأة ..
ولن اكونَ في أي مكان
فكرنُفالاتُ الفرح القسري لم تعدُ تعني لي شيئاً .
إنني لا أشعرُ بالرغبة في الموت مشنوقاً
في أحدِ مطاعم الدرجة الأولى ..
حيثُ الحبُّ .. طبقٌ من الحساء البارد لا يقربه أحدٌ ..
وحيثُ الأغبياءُ يوصونَ على ابتساماتهم
قبلَ شهرينِ من تاريخ التسليم ..

٤

لا تنتظريني في القاعات التي تنتحرُ بموسيقى الجاز ..
فليس باستطاعتي الدخولُ في هذا الفرح الكيميائي
حيثُ النبيذُ هو الحاكمُ بأمره ..
والطبلُ .. هو سيد المتكلمين ..
لن أحضرَ يا سيدتي ..
فقد شفيتُ من الحماقات التي كانتُ تنتابني كلَّ عامٍ
كنوبة زكامٍ ..
وأعلنتُ لكلِّ السيداتِ المتحفزات للرقصِ معي ..
أنَّ جسدي لم يعدُ معروضاً للإيجار ..
وأن فمي ليس جمعيةً تعاونيةً
توزعُ على الجميلات أكياسَ الغزل المصطنع
والمجاملاتِ الفارغة ..
إنني لم أعدُ قادراً على ممارسة الكذب الأبيض
وتقديم المزيد من التنازلات اللغوية ..
والعاطفية

٥

إقبلي اعتذاري .. يا سيدتي
فهذه ليلةُ تأميم العواطف
وأنا أرفضُ تأميمَ حبي لك ..
أرفضُ أن أتخلى عن أسراري الصغيرة

لأجعلكِ ملصقا على حائطٍ ..
فهذه ليلة الوجوه المتشابهة ..
والضحكات المتشابهة ..
والتفاهات المتشابهة ..
وأنتِ لا تشبهين أحداً .. ولا يشبهكِ أحدٌ .
أنتِ لا تشبهين إلا حزني ..
ولا تشبهين إلا الشعرُ ..

٦

لن أكونَ معكِ هذه الليلة ..
ولن أكونَ في أيِّ مكانٍ ..
فقد اشتريتُ مراكبَ ذاتِ أشرعةٍ بنفسجيةٍ ..
وقطاراتٍ لا تتوقف إلا في محطة عينيكِ ..
وطائراتٍ من الورقِ تطير بقوة الحبِّ وحدهُ ..
واشتريتُ ورقاً .. وأقلاماً ملونهُ
وقررتُ .. أن أسهر مع طفولتي



تكتيبين الشعر .. وأوقع أنا ..

١

ليس لي القدرةُ على تغييرك
أو على تفسيرك ..
لا تصدقي أنّ رجلاً يمكنه تغييرُ امرأةٍ ..
وباطلةٌ دعاوى كلِّ الرجال الذين يتوهمنُ ،
أنهم صنعوا المرأة من أحد أضلاعهم ..
المرأة لا تخرج من ضلع الرجل أبداً ..
هو الذي يخرج من حوضها ..
كما تخرج السمكة من حوض الماء
وهو الذي يتفرغ منها ،
كما تتفرغ السواقي من النهر ..
وهو الذي يدور حول شمس عينيها ..
ويتصور أنه ثابتٌ في مكانه ..

٢

ليس لي القدرةُ على تعليمك أي شيء ..
فنهذاك دائرتا معارف ..
وشفتاك هما خلاصة تاريخ النبيذ
إنك امرأةٌ مكتفيةٌ بذاتها
زيتك منك ..
وقمحك منك ..
ونارك منك ..
وصيفك وشتاؤك ..
وبرقك وورعدك ..
ومطرك وثلجك ..
وموجك وزبدك .. كلها منك ..
ماذا أعلمك يا امرأة ؟
من يستطيع أن يقنع سنجاباً بالذهاب إلى المدرسة ؟
من يستطيع أن يقنع سيامياً بالعزف على البيانو ؟
من يستطيع أن يقنع سمكة القرش ..
بأن تصبح راهبة ..

٣

ليس لي القدرةُ على ترويضك ..
أو تدجينك ..
أو تهذيب غرائزك الأولى .
هذه مهمةٌ مستحيلةٌ ..
لقد جربتُ ذكائي معك ..
وجربتُ أيضاً غبائي ..
فلم تنفع معك هدايةٌ ولا غوايةٌ .
خليك بدائيةً كما أنتِ ..
خليك مزاجيةً كما أنتِ ..
خليك هجوميةً كما أنتِ ..
ماذا يبقى من إفريقيا؟ ...
إذا أخذنا منها نمورها .. وبهاراتها ..
ماذا يبقى من جزيرة العرب؟
إذا أخذنا منها ..
مجدَ النفطِ ..
ومجدَ الصهيل !!

٤

ليس لي القدرةُ على كسر عاداتك ..
هكذا أنتِ منذ ثلاثين سنةً
منذ ثلاثمئة سنةً ..
منذ ثلاثة آلاف سنةً ..
إعصارٌ محبوسٌ في زجاجةٍ ..
جسدٌ يتحسس رائحةَ الرجل بالفطرة ..
ويهاجمه بالفطرة ..
وينتصرُ عليه بالفطرة ..

فلا تصدقي ما يقوله الرجلُ عن نفسه ،
بأنه هو الذي يصنعُ القصائد ..
ويصنعُ الأطفال ..
إن المرأةَ هي التي تكتبُ الشعرَ ..
والرجل هو الذي يوقعه ..
والمرأةَ هي التي تتجبُّ الأطفال ..

والرجلُ هو الذي يوقع في مستشفى الولادة ..
بأنه أصبحَ أباً !!

٥

ليس لي القدرةُ على تغيير طبيعتك ..
لا كتبي تنفك ..
ولا قناعاتي تقنعك ..
ولا نصائحي الأبويةُ تفيدك ..
أنتِ ملكةُ الفوضى ، والجنون ، وعدم الانتماء
فظلي كما أنتِ ..
أنتِ شجرةُ الأنوثة التي تكبر في العتمة ..
ولا تحتاجُ إلى شمسٍ وماءٍ ..
أنتِ أميرةُ البحر التي أحبت كلَّ الرجال
ولم تحب أحداً ..
وضاجعت كلَّ الرجال .. ولم تضاجع أحداً ..
أنتِ البدويةُ التي ذهبت مع كلِّ القبائل
وعادت عذراءً ..
فظلي كما أنتِ ..

إلى سيدة تصطنع الهدوء

١

خذي وقتك ، يا سيدتي العزيزة
فلا أحدٌ يرغمك على الإدلاء باعترافاتٍ كاذبة
ولا أحدٌ يريدُ منك أن تفعلي الحب ..
تحت تأثير الخمرة .. أو المخدر ..
كما لو كنتِ تخلعين أحدَ أضراسك ..
لست مضطرةً للتبرع بنصفِ فمك ..
أو نصف يدك ..
فلا الشفاهُ قابلةٌ للقسمه ..
ولا الأشواقُ قابلةٌ للقسمه ..
ولا الأنوثةُ قابلةٌ للقسمه ..
هذا هو الموقفُ يا سيدتي ..
فلا تخاطبيني وأنتِ مضطجعةٌ على سريرك الملكي
فأخراً اهتماماتي .. سندُ خاصرة الملكات ..

وقراءة شعري ..
في مجالس الملكات ..

٢

خذي الوقت الذي تستغرقه اللؤلؤة لتتشكل .
والسنونوة لتصنع بجناحيها صيفاً ..
خذي الوقت الذي تستغرقه الدمعة ..
لتصبح كتاب شعر ..
خذي الوقت الذي يستغرقه النهْدُ ..
ليصبح حصاناً أبيض ..
خذي الأزمنة التي ذهبت ..
والأزمنة التي سوف تأتي ..
فالمسافة طويلة ..
بين آخر النبيذ .. وأول الكتابة
وأنا لست مستعجلاً عليك ..
أو على الشعر ..
فالعيون الجميلة غير قابلة للاغتصاب ..
والكلمات الجميلة غير قابلة للاغتصاب ..
والذين لهم خبرة بشؤون البحر ..
يعرفون أنّ السفن الذكية لا تستعجل الوصول ..
وان السواحل هب شيخوخة المراكب ..

٣

خذي وقتك ..
أيتها السيدة التي تصطنع الهدوء
إنني لا أطلبك بارتجال العواطف ..
فلا أحد يستطيع تفجير ماء الينابيع
ولا أحد يستطيع رشوة البرق والرعد ..
ولا أحد يستطيع إكراه قصيدة
على النوم مع شاعر لا تريده ..

٤

خذي وقتك .. أيتها الهوائية الأطوار ..
يا امرأة التحولات ، والطقس الذي لا يستقر
أيتها المسافرة بين القطب .. وخط الاستواء
بين انفجارات الشعر .. ورماد الكلام اليومي

خذي وقتك ..

خذي وقتك ..

إن نار الحطب لا تزال في أولها ..

ونار القصيدة لا تزال في أولها ..

وأنا لست مستعجلاً على انشقاق البحر ..

وذوبان الثلوج .. على مرتفعات نهديك ..

إنني لا أطالبك بإحراق سفنك ..

والتخلي عن مملكتك .. وحاشيتك .. وامتنيازاتك الطبقية ..

لا أطالبك بأن تركبي معي فرس الجنون ..

فالجنون هو موهبة الفقراء وحدهم ..

وأنت تريدين أن تحتفظي بتاج الملكات ..

لا بتاج الكلمات ..

أنت امرأة العقل الذي يحسب حساباً لكل شيء

وأنا رجل الشعر الذي لا يقيم حساباً لأي شيء ..



nizarqabbany.cjb.net

أيتها السيدة التي

استقالت من أنوثتها ..

١

أيتها السيدة التي استقالت من أنوثتها ..
ومن أمشاطها ، ومكاحلها ، وأساور يديها .
كان الله في عونك ..
أيتها السيدة التي استقالت من رنين البيانو ..
ورنين النبيذ الأحمر .. ورنين شهواتي ..
كان الله في عوني ..
أيتها السيدة التي استقالت من نهديها ..
ووضعتهما كتفاحتين في ثلاجة ..
كان الله في عون المرايا ..

٢

أيتها الرصينة كموظفة في بنك عربي مؤمم ..
إبتسمي قليلاً ..
فمك لا بأس به إذا رششته بماء الفرخ ..
وعيناك لا بأس بهما ..
إذا كحلتهاما بقليل من الحنان ..
إكسري الزجاج الذي يفصل بين صوتي وغاباتك الشاسعة
بين أصابعي .. وأقاليمك الاستوائية ..
بين حصاني . ومزارعك الطازجة العشب ...

٣

أيتها المتتقفة إلى درجة التجلد ..
الأكاديمية إلى درجة القشعريرة ..
أيتها المحاصرة ..
بين جدران الكلمات الماثورة ..
وتعاليم حكماء الهند ..
ولزوميات ما لا يلزم ..
أنت مأخوذة بأبي العناهية
وأنا مأخوذ بالشعراء الصعاليك ..

أنت مهتمة بالمعترلة ..
وأنا مهتم بأبي نواس
أنت معجبة برقص (البالية)
وأنا معجب برقص الدراويش ..
أنت تسكنين مراكب الورق ..
وأنا أسكن البحر ..
أنت تسكنين الطمانينه ..
وأنا أسكن الإنتحار ..

٤

أيتها السيدة المضطجعة على رفوف الكتب ..
أيتها الضائعة في غبار النصوص ...
إنّ دمي أنقى من حبر مخطوطاتك ...
وقراءة فمي ... أهمّ من جميع قراءاتك ..
فلماذا لا تتقفين على يدي ؟
فأنا الثقافة .. أنا الثقافة .. أن الثقافة ..
أنا الذي أستطيع أن أحول نهدك إلى حمامة
وفخذيك إلى سبيكتي ذهب ..
وفمك إلى عش للعصافير ..
أنا الذي أستطيع أن أجعلك ..
ملكة .. أو جاريه ..
سمكة .. أو غزاله ..
أو قمرأ في بادية ...

٥

أيتها السيدة المستنكفة عن السفر الليلي ..
أيتها الخائفة من رائحة الرجل ..
ورائحة المراكب ..
أيتها السمكة التي لا تريد أن تسبح ..
ولا تريد أن تغرق ..
لماذا لا تتلمذين على يدي ؟
إنني أعرف كلّ شيء عن النساء .. والنباتات المتسلقة ..
والحيوانات الأليفة .. والحيوانات المفترسة ...
لماذا لا تتلمذين على يدي ؟
إنني أعرف كلّ شيء عن العناصر الأربعة ..

أعرف كلَّ شيء عن كيمياء الأرض ..
وكيمياء الإنسان ..
أعرفُ التفاحةَ كيف تستديرُ ..
وغابات القصب كيف تتشابكُ
والنمرَ كيف يقفزُ ..
ونهدَ المرأةَ كيف يبحث عن فريسته ..

٦

أيتها السيدةُ التي استقالت من كتب الشعر ..
ودخلت في جدول الحساب ..
واستقالت من الورد .. والماء .. والعصافير ..
ودخلت في اليباس ..
لماذا لا تستعلمين أعشابى الطبيعية؟ ..
لماذا لا تتقين بمعارفى؟ ..
فأنا المعرفة ..
أنا المعرفة ..

هل ترينَ هذه العروقَ المنفجرةَ على وجه يدي؟ ..
هل ترينَ هذه الشقوقَ المفتوحةَ على ضفاف فمي؟
هل تشمينَ رائحةَ الكبريتِ ..
المتصاعدةَ من شرايبي؟
هذه هي شهادات همجيتي .. وجنوني ...
وهي كلها من مرتبة الشرف .. كما تلاحظين
فهل ثمة وظيفةٌ شاغره؟ ..
لحدائقى .. يطلبُ عملاً في بساتين عينيك؟ ..

٧

أيتها السيدة التي تتعاملُ معي ..
بميزان صيدلي ..
وتلامسُ يدي ، بحياد ممرضة ..
إنني لا أتحمَلُ ثيابكِ البيضاء ..
وأسنانكِ البيضاء ..
وابتسامتكِ البيضاء ..
لا أتحمَلُ كلَّ هذا التنظيمِ ..
في التعبير عن غرائزي ..

لا أتحملُ كلَّ هذا المناخِ المعقمِ ..
والشراشفِ المعقمةِ ..
والعواطفِ المعقمةِ ..
لا أتحملُ أن أقف ساعاتٍ في طابورِ الفلاسفةِ
لأحصلَ منكِ على قبلةٍ ..
كلَّ هذه الكتبِ التي تحيطُ بكِ .. أسماكُ مجلدةٍ ..
كل هذه القواريرِ الكبيرةِ والصغيرةِ لا تُخفضُ حرارتي ..
فارميتها جميعاً .. والتجنيُّ إلى أعشابِ صدري ..
كخروفٍ أبيضٍ ..

٨

أيتها السيدة القاسيةُ كناظرةِ مدرسةٍ داخليةٍ ..
إعفيني من إرهابكِ الثقافيِّ ..
إن الطفلَ في داخلي ، يريدُ أن يلعبَ معكِ ..
فلماذا لملتِ كراتكِ وانسحبتِ ؟
قد لا أكونُ عادلاً في لعبتي معكِ ..
ولكنَّ أطفالَ العالمِ كلهمِ مثلي .. لا يعرفون العدالةَ ..
قد تكونِ سمعتي سيئةً في الشارعِ الذي تسكنينه ..
ولكنني أعدك لو قبلتِ أن تلعبِي معي مرةً ثانيةً ..
أن أجعلكِ تربحينِ ..
فاربطي شعركِ بشريطٍ أزرقٍ ..
واضربي الكرةَ أنتِ ..
إضربي كرتينِ إذا أنتِ ..
هاجمي أنتِ .. واقتحمي أنتِ ..
واخرقي جسدي أنتِ ..
فليسَ مهماً أن أربحَ أنا ..
وليسَ مهماً ما ستكتبهُ الصحافةُ عني ..
المهم أن تعرفَ الصحافةُ ..
أن الإمبرياليةَ قد تكونُ امرأهً

حوار مع امرأة .

على مشارف الأربعين . . .

١

ما الذي أستطيع أن أفعله من أجلك ؟
أيتها السيدة التي بيني وبينها ..
أسرارٌ غيرُ قابلةٍ للنشر ..
وذنوبٌ صغيرةٌ غيرُ قابلةٍ للغفران ..
إنني أفهمُ جيداً خلفياتِ حزنك ..
لكنني لا أستطيعُ أن أمنعَ أيَّ انقلابٍ ينقذه نيسان ..
ضدَّ نهديكِ المتمسكين بالسلطة ..
إلى يوم القيامة ..

٢

صحيحٌ أن التاريخَ يعيد نفسه ..
ولكنَّ الأنوثةَ - يا سيدتي - لا تعيدُ نفسها أبداً ..
إنها شرارةٌ لا تقبلُ النسخَ والتكرارَ ..
هذا ما كنتُ أشرحه لكِ ، وأنتِ في السادسةَ عشرة ..
يومَ كانت الشمسُ لا تغيبُ عن ممتلكاتك ..
وجيوشك تملأُ البحرَ والبرَّ ..
وجسدك الياسميني .. يأمرُ .. وينهى ...
ويقولُ للشيء : كنْ .. فيكونُ

٣

كيف أستطيع أن أساعدك ؟
أيتها المرأةُ التي لم تساعد نفسها ..
ولم تحفظَ خطَّ تراجعها ..
أيتها الطاغيةُ الصغيرة ..
التي سحقَتْ كلَّ معارضيها ..
وأعدمتْ كهنتها وعرافيها ..
وأغلقت الصحفَ .. وسحقتْ الحرياتُ
ورفعتْ تماثيلها في الساحات العامة ..
ووضعتْ صورها على طوابع البريد ..

هل تتذكرين ؟
كم كنت مجنونةً في السادسة عشره
وكيف كنت تتحدثين .. كملوك فرنسا ..
عم حقا الالهي الذي لا يناقش ..
في قتل كل رجل ..
يعشق امرأة غيرك من نساء المملكة ..
وقتل كل امرأة ..
تخرج مع رجل يعجبك من رجال المملكة ...

٤

ما الذي أستطيع أن أفعله ؟
لأخفف عنك وجع الهزيمة
ومرارة السقوط عن العرش ..
أيتها السلطانة التي فقدت سلطانها
ما الذي أستطيع أن أفعله ؟
لأحررك من مركبات العظمة الفارغة ..
وأعيد إلى عينيك السوداوين لونهما الطبيعي ..
وإلى نهديك الأحمقين ..
شعبتيها الضائعة !!
ما الذي أستطيع أن أفعل ؟
لأعيد جسدك حليبياً كما كان
ونهدك دائرياً كما كان
وعشقي لك .. بدائياً .. همجياً .. إنتحارياً ...
كما كان ...
في سالف الزمان !!

***** النهاية *****



غَطَّ قَوْسَهُ
فِي شَرَايِينِ الشَّفَقِ
خَشَبُ الْقَوْسِ احْتَرَقَ
حِينَ مَسَّهُ

*

وَأَشَارَا
فَعَلَى ضَلَعِ الْكَمْنَجَا
وَتَرَّ يَسْفَحُ وَهَجَا
وَشَرَارَا..
أَيُّ رَقِصَةٍ
ثَرَّةِ الْعُنْجِ ، جَرِيئَةٍ
رَضَعَتْ ثَدِي الْخَطِيئَةِ
فَهِيَ قِصَّةٌ..

*

بِالْجَوَارِحِ
أَدْرَعُ .. سُمْرٌ .. وَبَيْضُ
هَزَّهَا الدَّفُّ النَّبِيضُ
كَمْرَاوِحُ

*

لِلْمَازِرِ
حِينَمَا تَتَشَالُ بَحَّةٌ

انَّ للمُخْمَلِ صِيحَةً..
في الخواصِرِ
النساءِ
بحرُ طيبٍ وجواهرِ
غرقَ البهو حرائرُ
وثرأءُ

*

والجدائلُ
مثلُ باقاتِ السنايِلِ
والفساتينُ مشاتِلِ
والغلائِلِ

*

أَيُّ مِغْزَلٍ ؟
حاكٌ أَكْتافاً عرايا
هيَ في الليلِ مرايا..
تتنقَلُ
للصنُوجِ
قهقهاتٌ عصبيةٌ
فارسٌ ضمَّ صبيّه
في مريجِ

*

والطبولُ
تحفرُ الاعصابَ حَفْرًا
وتُحيلُ الشَّوقَ جَمْرًا
والميوولُ

*

الصبايا
ساحباتُ نَهْرٍ ((تُولُ))..
والصباياتُ تجولُ..
في الزوايا
ذاك قدُّ..
كهضابي ، كبرياءَ
يغمرُ الأرضَ عطاءً..
حينَ يعدو

*

وطويلةُ
مثلما ينهضُ سيفُ..
عُريها .. نصفُ .. ونصفُ
كالجميلةُ..

*

النَّدَامَى
نَفَرُوا سِرْبًا .. فَسِرْبًا
مَا وَتَوْا .. دَفَعًا .. وَجَذْبًا
وَالْتَحَامًا ..
وَالْعَوَانِي
كَالْفَرَاشَاتِ .. سَبَاقُ
مُزَجَّتْ .. سَاقٌ .. وَسَاقُ
وَقَمَانٌ ..

*

يَا لِرَبِّهِ
زَلْزَلَتْ أَوْسَاطَهُنَّ
فَالزَّنَائِيرُ .. مَرَّتْ
حَوْلَهُنَّ

*

أَيُّ نِعْمَةٍ
أَغْرَقَتْ بِالدَّمِ حِلْمَهُ ..
فَارْتَوَتْ مِنْ كُلِّ ضَمَّةٍ ..
أَلْفُ قِمَّةٍ ..

في جوارِي
ناهدُ شعبانُ .. عزّاً
يجرحُ النجمةَ هزّاً..
والدراري

*

حلمتان..
كاندفاع الهودج
فوق حقي أرج..
تظفران..

*

تلك غادّة
مثل ثعبانٍ تلوى
وهو يطويها فتطوى
كوساده..

ووسيم..
شكّ في العروة وردّه
رفاً ، في أنفُس بُردّه
كالنسيم

*

حِينَ أَوْماً
مَثَلَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ
رَأْسُهَا فِي رِئْتِيهِ
رَاحَ يُغْمَى..

*

بِأَنْفَعَالِ
نَهَدَتْ كَالْمُسْتَفْزَه
مِثْلَمَا ، تَتَشَكُّ .. أَزْرَهُ
فِي جِبَالِي..
وَبَشْدَهُ
لَقَّهَا .. وَانْعَتَقَا..
لَيْتَ هَذَا الْعُنْفَا
لِي مَخْدَهُ..

*

خَلْتُ لَمَّا
سَلَّمْتُهُ الْوَسَطَا
كِبْدِينَ .. اخْتَلَطَا

حِينَ ضُمًّا..

*

فِي ضُلُوعِهِ
غَرَزَتْ .. سَكَّيْنِ فَضَّهَ..
نَبْضُهَا ، أَصْبَحَ نَبْضُهُ
مِنْ وُلُوعِهِ
مِنْ يَمِينِهِ
تَخَذَتْ زُنَّارَهَا
وَأَرَاقَتْ نَارَهَا
فِي جُفُونِهِ

*

لَا مَفْرُءٌ
لَيْسَ تَسْطِيعُ خُلُوصًا
أَكَلَ النَّهْدُ الْقَمِيصًا..
فَهُوَ جَمْرٌ..

*

قَلْتُ ذَابَا

مفصلاً في لصق مفصلٍ
وعظاماً تتغلغلُ..
وثياباً..
من رآها..
وهيَ في قبضةِ نسرٍ..
خصرُها .. أنقاضُ خصرٍ..
وقواها..

*

ألفُ آهةً..
تتندى .. ألفُ خلجةٍ
مهجةٌ تمتصُّ مهجةً
بشراهةً..

*

يالنهدِ
نزق المنقارِ .. أبيضُ
مثلَ عصفورٍ .. تنقُضُ
بينَ وردٍ..
تلكَ سامبياً..
نقلةً .. ثمَّ .. انحناءةً

فالمصاييح المضاءه
تتصبى..

*

جرَّبِيها..
خطواتِ أربَعاً..
أبدأ .. تمضي معا..
وتليها..

*

شِبهُ عَفْوَه
فيميلُ الراقصان
وتغيبُ الشفتان
عبرَ نشوَه
دمدميها..
أنتِ .. هذي الأعتية..
بدماء المعصية
كتبوها

*

وسقوها
من أريج الأودية..
وشحوب الأمسية
ما سقوها

*

دممي لي..
بفم .. حبة لوز
أنا من سكر .. وهز
كالقتيل..
ما علينا ؟
ان رقصناها معا..
ودفنا الأضعا
وانطفينا

*

واختفينا
أنت .. في قرميد نجمة..
وأنا .. في قطن غيمة..
ما علينا ؟

*

لو رَقَصْنَا ..
لَيْتَنَا .. حَتَّى التَّلَاشِي
وَحُمَلْنَا
كجَنَازَاتِ القَرَاشِ ..

نظريه جدمه لتكوين العالم

في البدمه . . . كانت ناطمه .
وبعدها، تكومت عناصر الأشياء
النار، والتراب
والسياه، والهواء
وكانت اللغات، والأسماء . . .
والصيف، والربيع
والصباح، والمساء
وبعد عيني فاطمه
إكتشف العالم سر لورده السوداء
وبعدها . . . بألف قرن
جاءت النساء . . .

ليست تُقال

حاولتُ أسأل: ما الأنوثة؟

ثم عدتُ عن السؤال

فأهمُ شيءٍ في الأنوثة

أنها.. ليست تُقال...

١٢

سحولاتٌ لئلا امرأه لا تقفل..

١
وعدتُك أن لا أُجيبك..
ثم إمامَ الفرار الكبير، جئنتُ
وعدتُك أن لا أهرد...
وعُذتُ...
وأن لا أُموتَ اشتياقاً
ومُتُّ
وعدتُ مراراً.
وقررتُ أن أستقبلَ مراراً
ولا أتذكُرُ أني استقلتُ...

١٣

٢

وعدتُ بأشياء أكبر مني ..
 فماذا غداً ستقولُ الجرائدُ عني؟
 أكيدُ .. ستكتبُ أنني جُننتُ ..
 أكيدُ .. ستكتبُ أنني انتحرتُ
 وعدتُك ..
 أن لا أكونُ ضعيفاً .. وكنتُ ..
 وأن لا أتولُ بعينيك شعراً ..
 وقلتُ ..
 وعدتُ بأن لا ..
 وأن لا ..
 وأن لا ..
 وحين اكتشفتُ غائي .. ضحكتُ ..

١٤

٣

وعدتُك ..
 أن لا أبالي بشعركِ حين يمرُّ أمامي
 وحين تدفُقُ كالليل فوق الرصيفِ ..
 صرختُ ..
 وعدتُك ..
 أن أتجاهلُ عَينيكِ، مهما دعاني الحنينُ
 وحين رأيتُهما تُمطرانِ نجوماً ..
 شهقتُ ..
 وعدتُك ..
 أن لا أوجهُ أيَّ رسالة حبِّ إليك ..
 ولكنني - رغم أنفي - كتبتُ

١٥

وَعَدْتِكِ ..

أَنْ لَا أَكُونَ بِأَيِّ مَكَانٍ تَكُونِينَ فِيهِ ..

وَحِينَ عَرَفْتُ بِأَنَّكَ مَا عَزَمْتَ لِلْعَشَاءِ ..

ذَهَبْتَ ..

وَعَدْتِكِ أَنْ لَا أُجِيبُكَ ..

كَيْفَ؟

وَأَيْنَ؟

وَفِي أَيِّ يَوْمٍ تُرَانِي وَعَدْتِكِ؟

لَقَدْ كُنْتُ أَكْذِبُ مِنْ شَيْئَةِ الصِّبْغِ،

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَنِّي كَذَبْتُ

٤

وَعَدْتُ ..

بِكُلِّ بُرْدٍ .. وَكُلِّ غَبَاءٍ

بِإِحْرَاقِ كُلِّ الْجَسُورِ وَرَائِي

وَقَرَّرْتُ بِالسَّرِّ، قَتَلَ جَمِيعِ النِّسَاءِ

وَأَعْلَنْتُ حَرْبِي عَلَيْكَ

وَحِينَ رَفَعْتُ السِّلَاحَ عَلَيَّ نَاهِدِيكَ

أَنْهَزِمْتَ ..

وَحِينَ رَأَيْتُ يَدَيْكَ الْمُسَالِمَتَيْنِ ..

اِخْتَجَلْتُ ..

وَعَدْتُ بِأَنْ لَا .. وَأَنْ لَا .. وَأَنْ لَا ..

وَكَانَتْ جَمِيعُ وَعُودِي

دُخَانًا، وَبِعَثْرَتُهُ فِي الْهَوَاءِ

وَعَدْتُكَ . . .
 أَنْ لَا أَتَلْفَنَ لَيْلًا إِلَيْكَ
 وَأَنْ لَا أَفَكَّرَ فِيكَ، إِذَا تَمْرَضِينُ
 وَأَنْ لَا أَخَافُ عَلَيْكَ
 وَأَنْ لَا أَقْدَمَ وَرَدًا . . .
 وَأَنْ لَا أُبُوسَ يَدَيْكَ . . .
 وَتَلْفَنْتُ لَيْلًا . . . عَلَى الرَّغْمِ مِنِّي . . .
 وَأَرْسَلْتُ وَرَدًا . . . عَلَى الرَّغْمِ مِنِّي . . .
 وَبَسْتُكَ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ، حَتَّى شَبِعْتُ
 وَعَدْتُ بِأَنْ لَا . . . وَأَنْ لَا . . . وَأَنْ لَا . . .
 وَحِينَ اكْتَشَفْتُ غِبَائِي ضَحَكْتُ . . .

وَعَدْتُ . . .
 بِذَبْحِكَ خَمْسِينَ مَرَّةً . . .
 وَحِينَ رَأَيْتُ الدَّمَاءَ تُغَطِّي ثِيَابِي
 تَأَكَّدْتُ أَنِّي الَّذِي قَدْ ذُبِحْتُ . . .
 فَلَا تَأْخُذْنِي عَلَى مَحْمَلِ الْجَدِّ . . .
 مَهْمَا غَضِبْتُ . . . وَمَهْمَا أَنْفَعَلْتُ . . .
 وَمَهْمَا اشْتَعَلْتُ . . . وَمَهْمَا انْطَفَأْتُ . . .
 لَقَدْ كُنْتُ أَكْذِبُ مِنْ شِدَّةِ الصِّدْقِ
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَنِّي كَذَبْتُ . . .

وعدتُك .. أن أحسَّ الأمرَ فوراً ..
 وحين رأيتُ الدموعَ تُهَرِّهُرُ من مقلتيك ..
 ارتبكتُ ..
 وحين رأيتُ الحقائقَ في الأرضِ ،
 أدركتُ أنكِ لا تُقتلينَ بهذي السُّهُوَّةِ
 فأنتِ البلادُ .. وأنتِ القبيلةُ ..
 وأنتِ القصيدةُ قبلَ التكوُنِ ،
 أنتِ الدفاترُ .. أنتِ المشاويرُ .. أنتِ الطفولةُ ..
 وأنتِ نشيدُ الأناشيدِ ..
 أنتِ المزاميرُ ..
 أنتِ المُضَيِّئَةُ ..
 أنتِ الرِّسُولَةُ ..

وَعَدْتُ ..
 بإلغاء عينيكَ من دفتر الذكرياتِ
 ولم أكنُ أعلمُ أنني سألغي حياتي
 ولم أكنُ أعلمُ أنكِ ..
 - رَغَمَ الخِلافِ الصَّغِيرِ - أنا ..
 وأني أنتِ ..
 وَعَدْتُكَ أن لا أَحْبِكَ ..
 - يا للحماقةِ -
 ماذا بنفسِي فعلتُ؟
 لقد كنتُ أكذبُ من شِدَّةِ الصِّدْقِ ،
 والحمدُ لله أَنِّي كَذَبْتُ ..

وَعَدْتُكَ ..
 أَنْ لَا أَكُونُ هُنَا بَعْدَ خَمْسِ دَقَائِقَ ..
 وَلَكِنْ .. إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ؟
 إِنَّ الشَّوَارِعَ مَغْسُولَةٌ بِالْمَطَرِ ..
 إِلَى أَيْنَ أَدْخُلُ؟
 إِنَّ مَقَاهِي الْمَدِينَةِ مَسْكُونَةٌ بِالضَّجْرِ ..
 إِلَى أَيْنَ أُبْجِرُ وَحْدِي؟
 وَأَنْتِ الْبَحَارُ ..
 وَأَنْتِ الْقَلُوعُ ..
 وَأَنْتِ السَّفَرُ ..

فهل ممكن ..

أَنْ أَطَّلَ عَشْرَ دَقَائِقَ أُخْرَى
 لِحِينِ انْقِطَاعِ الْمَطَرِ؟
 أَكِيدُ بِأَنِّي سَأَرْحَلُ بَعْدَ زَحِيلِ الْغُيُومِ
 وَبَعْدَ هِدْوَةِ الرِّيحِ ..
 وَإِلَّا ..
 سَأَنْزِلُ ضَيْفًا عَلَيْكَ
 إِلَى أَنْ يَجِيءَ الصَّبَاحُ

*

وعدتُك ..
 إن لا أحبكِ، مثل المجانين، في المرّة الثّانية
 وإن لا أهاجمَ مثل المصافير ..
 أشجّلُ نفاحكِ العالِيّة ..
 وإن لا أمسّطُ شِعركِ - حين تنامين -
 بها قَطَني الغاليّة ..
 وعدتُك، أن لا أضيعَ بقيّةَ عقلي
 إذا ما سقطتِ على جسدي نَجْمَةٌ حافية
 وعدتُ بكبحِ جماحِ جُنوني
 ووسّعدني أني لا أزالُ
 مُدبِدَ التطرّفِ حين أحبُّ ..
 تماماً، كما كنتُ في المرّة الماضيّة ..

وعدتُك ..
 أن لا أطارحكِ الحبِّ، طيلةَ عامٍ
 وأن لا أخبىءَ وجهي ..
 بغاباتِ شِعركِ طيلةَ عامٍ ..
 وأن لا أصيدَ المحارِبَ بشيطانِ عينيكِ طيلةَ عامٍ ..
 فكيف أقولُ كلاماً سخيلاً كهذا الكلامُ؟
 وعيناكِ داري .. ودارُ السّلامِ ..
 وكيف سمحتُ لنفسي بجرحِ شعورِ الرخامِ؟
 وبينني وبينك ..
 خبزٌ .. وملحٌ ..
 وسكَبُ نبيذٍ .. وشدوُ حَمَامٍ ..
 وأنتِ البدايَةُ في كلِّ شيءٍ ..
 ومِسْكُ الختامِ ..

وعدتُك . . .

أَنْ لَا أَعُودَ . . . وَعُدْتُ . . .

وَأَنْ لَا أَمُوتَ اسْتِيقَاً . . .

وَمُتُّ . . .

وعدتُ بأشياءٍ أكبرَ مِنِّي

فماذا بنفسِي فعلتُ؟

لقد كنتُ أكذبُ من شدّةِ الصدقِ،

والحمدُ لله أَنِّي كذبتُ

التانغو الأخير

فوق حقل من التوليب الأحمر . . .

١

كُنْتُ . . .

في أحسن حالاتك - يا سيّدي - هذا المساء

كان نهداك . . .

يُذيعان بلاغَ الثورة الأولى بتاريخ النساء

ويقودان انقلاباً ضدَّ كلِّ الخلفاء . . .

كان في عينيك غيمٌ أسود . . .

وبداياتُ شتاء . . .

ونُبوءاتُ جميع الأنبياء . . .

٢

لم تكوني امرأة عادية...
 في ذلك اليرم الشتائي الذي يحكمه الكونياك،
 والفهوة... والجنس... وإيقاع المزاريب،
 وموسيقى النطر...
 كنت جمرأ. كنت فحماً
 كنت شيئاً لا يُسمى.
 لم تكوني دُنِيَّةً مَحْشُوءَةً بلقطن... مثل الأحرابِ
 كنت وُحْشاً رائعَ الجلدِ جميلاً...
 لم تكوني نَسْمَةً من نسمات السيف...
 لكن كنت زلزلاً مهولاً.
 لم تكوني زهرةً من ورق...
 بل حصاناً... يمضغ الشرسف شوقاً وصهيلاً...

٢٨

٣

كان تشرينُ بلا عقل...
 وكان الدشبُّ متروكاً على فطرته الأولى...
 وماري، تصنعُ الحُبَّ على فطرتها الأولى...
 وكانت تتهمجى جسدي حرقاً فحرفاً...
 دون أن تُخطيء في تشكيل كلِّ الكلماتِ
 ربّما الكونياك قد تُنفِّ ماري...
 فهي تخنارُ أرقَّ المُفرداتِ.
 ربّما الكونياك قد علّمها
 أن في إمكان نهديتها احتلالَ الكائناتِ
 هذه اللية، يا ماري، ساقى صامتاً
 فالبراندي، هو سُلطانُ اللغاتِ...

٢٩

٤

كنت في أحصبا أيامك، يا ماري،
 وكانت أنهر الياقوت تحري بهدوء..
 والأزاهير تعطي كل أنحاء السري..
 لم تكوني امرأة مذعورة.. أو خائفة
 كنت سكين بقلب العاصفة
 شربت سجادة الموكيت، يا سيدتي، نصف دمي
 وأنا اقتطف التوليب مهوراً..
 واحسو المطر الوردى من أعلى الينابيع..
 وأكوي بالبراندي شفة الجرح..
 ولا أحسب للنار حساب..
 أه.. يا ماري التي تفتح لي أسوارها مثل كتاب
 لم يعد عندي ما أقرؤه
 فأنا أت من الأرض الحراب..

٣٠

٥

أه.. يا ماري التي تلبس لي
 في أول الليل قميصاً معجزه..
 وإذا ما انتصف الليل..
 قميصاً معجزه..
 كيف صار الرغب الطالع من إبطيك..
 أسلاك حريق؟
 أه.. يا ماري التي تحفرني في بطنها العاري..
 كجرح مستدير..
 يا التي أزرع في أحشائها..
 السيف الأخير..

٣١

أحرق الكونيك أعصابي ..
 وفي عينيك برق .. وعود .. ونظر
 وقلوع .. واحتمالات سفر
 لم أكن أدرك ما يجري تماماً ..
 غير أن الأرض كانت تحتنا تهتز ..
 والجدران، والأبواب، والأكواب، واللوحات،
 والأشجار، والأوراق في الريح تطير
 لم أكن أسمع إلا جرس القرية في الليل،
 وإلا وقع أقدام علي الثلج،
 وإلا صرخة الأنتي التي تشعل النار بقلب الزمهرير
 أه .. يا ماري التي تشرح لي كل شيء .. مثل
 تلميذ صغير.
 أنت منقاي النهائي .. ومينائي الأخير
 فاسحيني من يدي ..
 قبل أن يلعني البحر الكبير ..
 جبل الألب ديسمبر ١٩٨٣

إلى سمكة قبرصية .. تدعى تامارا ..

١

باسم ليماسول .
 شكراً يا تامارا
 باسم هذا الخاتم المشغول بالفيروز ..
 شكراً يا تامارا
 باسم هذا الدفتر المفتوح للعصاة .. وللشعر ..
 وللعشاق ..
 شكراً يا تامارا
 باسم أسراب من النورس كانت
 تنقر الحنطة من نغرك ..
 شكراً يا تامارا

يا تامارا القبرصيَّة:
 أيها السيف الذي يقنلني من قبل أن يُلقِي التحيَّة
 باسم مقهانا البدائيِّ على البحرِ . . .
 وكُرسيَّين مزروعين في الرملِ . . .
 و (أنطونيو) الذي كان خلال الصيفِ عرابَ هوانا .
 والذي كان وديعاً مثل قطِّ منزليِّ . . .
 وعريقاً مثل تمثال حكيمٍ من أثينا،
 ورقيقاً . . . وصديقاً . . . عندما يختارُ في الليل لنا
 فاكهة البحرِ . . .

ويوصيك بأن ترتشفي (الأوزو)
 الذي تشربه آلهة اليونان في الحبِّ وفي الحربِ . . .
 ويرجوك بأن تستمتعي بمذاق (الكالامار)
 ومذاق العشق في تلك الجزيرة
 باسم آلاف التفاصيل الصغيرة . . .
 ألفُ شكرٍ . . . يا تامارا

باسم كلِّ القبرصيين الذين اكتشفوا
 اللؤلؤ الأسود في عينيك . . .
 شكراً يا تامارا
 باسم أحزاني التي ألقيتها في بحر بيروت . . .
 وأجزائي التي أبحث عنها . . .
 في زوايا الأرض ليلاً ونهاراً . . .
 ألفُ شكرٍ . . . يا تامارا .

*

٣

كيف أنسى امرأة من قبرص ..
 تُدعى تامارا ..
 شغرها تعلقه الريح ..
 ونهداها يُقيمان مع الله جواراً ..
 خرجت من رَغْوَةِ البحر كعشتار .. وكانت
 تلبس الشمس بساقبها سواراً ..
 كيف أنسى جسداً؟
 يقدح كالفسفور في الليل سَراراً ..
 كيف أنسى حَلْمَةً مجنونةً
 مزقت لحمي، صعوداً ..
 وانحداراً ..

٣٦

٤

اضهلي .. يا قَرَسَ الماء الجميلة
 إصرخي .. يا قَطَّةَ الليل الجميلة
 بلليني برذاذ الماء والكُحْلِ ..
 فلولاك لكانت هذه الأرض صَحارى ..
 بلليني .. بالأغاني القبرصية
 ما تهتمُّ الأبديات .. فأنتِ الأبدية ..
 يا التي عشتُ إلى جانبها العشق .. جُنوناً
 وانتحاراً ..
 يا التي ساحلها الرملي يرمي لي ..
 زهوراً .. ونبيداً قبرصياً .. ومَحاراً ..

٣٧

لم يكن حب تمارا ..
 ذلك الحب الروائي، ولكن
 كان عَصفاً ودمارا ..
 لم يكن جدول ماء
 إنما كان انفجارا
 لم يكن حُباً صغيراً ..
 فقد احتلّ بلاداً .. وشعوباً .. وبيحارا ..
 كل أمجادِي سرابٌ خادع
 ليس من مجدٍ حقيقي ..
 سوى عيني تمارا ..

٥
 تحت سطح الماء .. أحببت تمارا ..
 ورأيت السمك الأحمر .. والأزرق ..
 والفضي ..
 فوجئت بغابات من المرجان ..
 داعبت كطفل سلحفاة البحر،
 لامست النباتات التي تفترس الإنسان،
 حاولت انتشال السفن الغرقى من القعر ..
 ولملمت كنوزاً ليس تُحصى ..
 ونجوماً .. وثمارا ..
 تحت سطح الماء .. أعلنت زواجي بتامارا ..
 فإذا بالموج قد صار نبياً ..
 وإذا الأسماك أصبحت سُكاري ..

٦

ما الذي يحدثُ تحت الماء في جلد تامارا؟
 فهنا... الأحمرُ يزدادُ احمراراً...
 وهنا... الأخضرُ يزدادُ اخضراراً...
 وهنا السُرَّةُ تزدادُ أمام الضوء...
 خوفاً... وانهاراً...
 ما الذي يحدثُ في عقلي... وفي عقل تامارا؟
 سَمَكُ الدولفين يرمي نفسه...
 كالمجانين يميناً... ويساراً...
 سَمَكُ الدولفين يدعوني لكي أفتز في الماء...
 وفي مملكة الأسماك...
 لا أملكُ رأياً أو حيراً...
 عَيْتُ... أن يُسألَ الإنسانُ عن ماضيه أو حاضره،
 عندما يتخذ البحرُ القراراً...

٤٠

٧

يا تامارا...
 أنتِ في قبرصَ كبريتٌ... وشَمَعٌ
 وأنا موسى الذي أوقَدَ تحت الماء ناراً...

ليماسول آذار (مارس) ١٩٨٤

٤١

ثلاث مفاجآت لامرأة رومانسية..

سُفاجاً - سيّدي - لو تعلمُ
أني أجهلُ ما تعريفُ الحبِّ!!
وستحزن جداً .. حين ستعلمُ
أن الشاعرَ ليس بعلامٍ للغيبِ ..
أنا آخرُ رجلٍ في الدنيا
يَتَبَّأُ عن أحوال القلبِ

٤٢

سيّدي :
إني حين أحبُّك ..
لا أحتاجُ إلى (أل) التعريفِ
سأكونُ غيباً لو حاولتُ ،
وهل شمسٌ تدخلُ في ثقبِ
لو عندك تعريفٌ للشعرِ ..
فعندي تعريفٌ للحبِّ ..
*

٤٣

سُفَاجاً سَيِّدَتِي لَوْ تَعَلَّمُ
أَنِّي أُمِّي جَدّاً فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ
إِنْ كُنْتُ نَجَحْتُ كِتَابِيّاً فِي عَمَلِ الْحُبِّ
فَمَا نَفْعُ التَّنْظِيرِ؟؟

أَيُّصَدِّقُ أَحَدٌ أَنْ مَلِيكَ الْعِشْقِ، وَصِيَادَ الْكَلِمَاتِ
وَالدَّيْكَ الْأَقْوَى فِي كُلِّ الْحَلَبَاتِ
لَا يَعْرِفُ أَيْنَ.. وَكَيْفَ..
تَبَلَّلْنَا أَمْطَارَ الْوَجْدِ
وَلِمَاذَا هُنْدٌ تُدْخِلُنَا فِي زَمَنِ الشِّعْرِ..
وَلَا تُدْخِلُنَا دَعْدُ..
أَيُّصَدِّقُ أَحَدٌ أَنْ فَقِيَةَ الْحُبِّ، وَمَرْجَعَهُ
لَا يُحْسِنُ تَفْسِيرَ الْآيَاتِ..

•

٤٤

سُفَاجاً سَيِّدَتِي لَوْ تَعَلَّمُ،
أَنِّي لَا أَهْتَمُّ بِتَحْصِيلِ الدَّرَجَاتِ
وَبِأَنِّي رَجُلٌ لَا يُرْعِبُهُ تَكَرُّرُ السَّنَوَاتِ
وَتُفَاجَأُ أَكْثَرَ..

حِينَ سَتَعَلَّمُ أَنِّي رَغَمَ الشَّيْبِ.. وَرَغَمَ الْخَبِيرَةِ..
لَمْ أَنْخَرْجْ مِنْ جَامِعَةِ الْحُبِّ..
إِنِّي تَلْمِيزُ سَيِّدَتِي..
إِنِّي تَلْمِيزُكَ سَيِّدَتِي..
وَسَابِقِي - حَتَّى يَأْذَنَ رَبِّي - طَالِبَ عِلْمٍ
وَسَابِقِي دَوْمًا عَصْفُورًا..
يَتَعَلَّمُ فِي مَدْرَسَةِ الْحُلْمِ...

٤٥

الجدید

... وأجهل حين أكون بحضرة عينيك
 ماذا أريد... وما لا أريد...
 ولم يكن الحب شيئاً جديداً عليّ...
 ولكن حبك كان الجديد...

الرب العاشق

سِدتني :
 حُبك صعب
 حُبك صعب
 حُبك صعب
 لو عانى الربُّ كما عانيتُ
 لصاح من البلوى : «يا ربُّ»...

٥ دقائق

إجلسي خَمْسَ دقائق
 لا يريدُ الشَّعْرُ كي يسقطَ كالدرويشٍ
 في الغيبوبة الكبرى
 سوى خَمْسَ دقائق...
 لا يريدُ الشَّعْرُ كي يثقب لحم الورق العاري
 سوى خَمْسَ دقائق...
 فاعشقينني لدقائق...
 واختفي عن ناظري بعد دقائق

لستُ احتاجُ إلى أكثر من عُجْبَةٍ كيريتٍ
 لإشعالِ ملايين الحرائقِ
 إن أقوى قِصَصِ الحَبِّ التي أعرَفُها
 لم تَدُمْ أكثر من خمس دقائق ...

الديك

سَبَقَ السيفُ العَزَلَ
 سَبَقَ السيفُ العَزَلَ
 غرقَ المركبُ في الليلِ بنا
 قبل أن نبدأ في شهر العَسَلِ
 واستقال الديكُ من منصبه
 تاركاً من خلفه،
 عشرين ديوانَ عَزَلِ
 واستقالَ الليلُ من عبءِ الهوى
 واستقالَ الثغرُ من نارِ القُبْلِ
 فلماذا أنتِ في المسرحِ يا سيديتي
 بعد أن ماتَ البَطْلُ؟؟

نرجسية

إمرأة مُطْفَأة الذكاء
 غبية في قمة العباءة
 هل ممكن أن تبغني خمسا وعشرين سنة؟
 ولا تزالين تعيشين على موماش التاريخ والأشياء
 هل ممكن ..
 آيتها الساذجة، السطحية، الحمقاء
 هل ممكن أن تجهلي ..
 أني الذي أسس جمهورية النساء؟؟

٤٠

بروتوكول

بوسعك أن تجلسي حيث شئت ..
 ولكن ..
 حذارِ بأن تجلسي في مكان القصيدة
 صحيح يأتي أجبك جداً ..
 ولكنني في سرير الهوى
 سأنسى تفاصيل جسمك أنت ..
 وأختارُ جسم القصيدة ..

٥١

١٠ - ١ - ٨٦

التراجيديا

يُسْمُونِي فِي بِلَادِي (مَلِيكَ النِّسَاءِ).

وَمَا عَرَفُوا أَنَّ قَصْرِي زَجَاجٌ

وَعَرَشِي هَوَاءٌ

يَقُولُونَ إِنِّي بِخَيْرٍ...

وَمَا شَاهِدُونِي

أَخْوَصُ فِي بَرَكَةٍ مِنْ دِمَاءٍ

*

يَقُولُونَ إِنِّي الْقَوِيُّ الْمَهِيمُ، وَالْفَاتِحُ الْأَعْظَمُ

وَأَنْ حَرِيمِي لَا تَغْرُبُ الشَّمْسُ عَنْهُ

وَمَمْلَكَاتِي الْعَيُونَ الْكَبِيرَةُ، وَالْأَنْجُمُ

فَأَيُّ مَلِيكَ تَعْبَسُ أَنَا؟

إِذَا كُنْتُ أَمْلِكُ جَيْشَ نِسَاءٍ

وَلَا أَحْكُمُ !!!

الرجل المعدني

شَفْتَاكَ مِنْ حَجَرٍ .. وَصَوْتِكَ مِنْ حَجَرٍ

وَيَدَاكَ آيَاتَانِ مِنْ عَصْرِ الْحَجَرِ ..

وَأَنَا عَلَى طَرَفِ السَّرِيرِ .. كَنَخْلَةٍ

مِنْ أَلْفِ قَرْنٍ .. وَهِيَ تَنْتَظِرُ الْمَطَرُ

إِنْهَضُ .. فَإِنَّكَ حَالَةٌ مَيْثُوسَةٌ

إِنْهَضُ .. فَلَا عَلِمَ لَدَيْكَ وَلَا خَبْرٌ ..

أَنْسَيْتَنِي شَكْلِي .. وَشَكَلَ أَنْوَتِي

وَكَسَرْتَ أَغْصَانِي .. وَأَتَلَفْتَ الزَّهْرَ

أَنِّي أَعْضُ عَلَى بِيَاضِ شِرَاشِفِي

وَأَعْضُ مِنْ قَهْرِي شَبَابِيكَ الْقَمَرُ

يا أيها الرُّحْلُ النحاسيُّ الذي أَحْبَبْتُهُ
خطأً . . . وهذا بعضُ سحريةِ القَدْرِ
الجِنْسُ عندك . . . كيمياءُ صِرْفَةٌ
والعشوقُ عندك من تقاليدِ السَّفَرِ
يا فاقدَ الإحساسِ . . . قُلْ لي كَلِمَةً
قُلْ لي كلاماً حامضاً . . . أو مالِحاً . . .
قُلْ لي كلاماً غامضاً . . . أو واضحاً
قُلْ قصَّةً . . . قُلْ طُرْفَةً
فأنا أموتُ من الضَّجْرِ . . .
يا أيها القرويُّ . . . عاملني معاملةِ الشَّجَرِ
رُشَّ الميَاءِ على فمي
إزرعْ بدورك في دمي . . .
إزرعْ مساماتي عصارياً . . . وعبثني ثمرًا . . .

يا أيُّها البدويُّ . . . إحسبني هلالاً أو قمرًا
إعزفْ عليَّ خصري . . .
أما شاهدتَ قبلَ الآنَ . . . نايًا أو وترًا؟

*

يا داخلاً سوقِ النساءِ بناقةً . . .
ودجاحتينِ . . .
أليسَ هذا من أعاجيبِ القَدْرِ؟
إنِّي بقمَّةٍ فتنَّتي وتفجَّري
وأراك . لا علمَ لديك ولا خبيرٍ

*

يا أيُّها المتخلفُ العقليُّ . . . قد أخرجتني
فالناسُ قد دخلوا إلى عصرِ الفضاءِ
وأنت - وأسفي عليك -
بقيتَ في عصرِ الحجرِ . . .

نهدان ..

للمرأة التي أُجِبها

نهدانٍ عجيبانٍ

واحدٌ من بلاد النبيذ

وواحدٌ من بلاد الحنطة

واحدٌ مجنونٌ كرامبو

وواحدٌ مغرورٌ كالمتنبّي

واحدٌ من شمال أوروبا

وواحدٌ من صعيد مصر

وبينهما ...

دارت كلُّ الحروب الصليبيّة ..

٥٦

رائحة الكتابة

للمرأة التي أُجِبها

قَدَمَانِ صغِيرَتَانِ جَدًّا ..

تشبهانِ كلامَ الأطفالِ

ولجسدها رائحة سَرِيّة جَدًّا

كرائحة الكتابة الممنوعَة ..

تدخين

كنتُ أدخّنُ مئةَ سيجارةٍ في اليومِ

وتوقّفتُ عن الاتّحارِ ببطلونةِ

والآن ..

أحاولُ التوقّفَ عن تدخينِ امرأةٍ واحدةٍ

فلا أستطيع ..

٥٧

موسيقى

أمطارُ أوروبا .

تعزف سوناتات بيتهوفن

وأمطارُ الوطن . .

تعزفُ جراحات سيّد درويش

وأنا بدون تردد

مع هذا الإسكندرانيّ

الذي يضيءُ في حنجرتِه قَمَرُ الحزن . .

ومآذنُ سيّدنا الحسين . .

طبيعةُ الرجل

يحتاجُ الرجلُ إلى دقيقةٍ واحدةٍ

ليعشقُ امرأةً . . .

ويحتاجُ إلى عصورٍ لنسيانها . . .

المخروج عن النص

١

أرسُمُ على كُرّاسِتي مُهْرَيْنِ صغِيرَيْنِ

يلعبانِ على ساحلِ البحرِ

ويرشّانِ بعضهما بالماءِ

واحدٌ له جناحٌ من صوفِ الأنغورا

والثاني له جناحٌ من دانتييل فينيسيا

واحدٌ يأكل العشبَ من مراعي القمرِ

وواحدٌ يأكل العشبَ من مراعي صدري

واحدٌ . . أضعُ على رأسه نقطةَ حمراءَ

وواحدٌ . . أتركه بلا تنقيطٍ

أرسُمُ على كُرّاسِتي مُهْرَيْنِ صغِيرَيْنِ

واحدٌ تعودُ أن يرضع حليبَ أمه . .

والثاني تعودُ أن يرضع دمي . .

وأسميهما مجازاً (النّهدين).

٢

يكفّرني الذين لم يشاهدوا في حياتهم نهداً حقيقياً .
لأنني رسمتُ على كُرّاسي حصاناً
وعندما انتهيتُ من رسم الحصان
قفز من الكرّاسة، وطار . . .
يعتبرون عملي بدعةً
وخروجاً عن النصّ . . .
فالنصّ حَجَرٌ . والنهدُ نافورةُ ماء
والنصّ سجنٌ للنساء
والنهدُ انقلابٌ أبيض
والنصّ نظام استعماريّ قديم
والنهدُ حركة ليبرالية . . .
والنصّ زجاجةُ ضيقة العُنق
والنهدُ سمكة . . .

٦٠

٣

يهاجمني التاريخيون . . .
عندما أخبرهم أنني عرفتُ في أسفاري
نهوداً من جُزر تاهيتي
تنبت كأشجار جوز الهند
ونهوداً من بساتين شط العرب
تنطأ على كتف الرجل . . كضفدعةٍ نهريّة
ونهوداً من تايلاند
تختصر رقّة كونفوشيوس
وعنّف ماوتسي تونغ . .
ونهوداً من جنوب السودان
لها رائحةُ البِنّ المحروق
تدخلُ في خاصرة العاشق
ولا تخرجُ . . إلى أن يشاء اللّه . .

٦١

يُدِينِي ..

كُلُّ الَّذِينَ لَمْ يَشَاهِدُوا فِي حَيَاتِهِمْ .

أَرَبْنَا يَرْكُضُ .

يُطْلِقُونَ النَّارَ عَلَى أَسْمَاكِ ..

وَضَفَادِعِي ..

وَأَزَاهِيرِي الْإِسْتَوَائِيَّةَ ..

يُطْلِقُونَ النَّارَ عَلَى حِصَانِي

لأنه حملك على ظهره ذات ليلة

ومشي سبعة أيام .. وسبع ليالٍ

حتى أوصلك بسلامة الله

إلى شواطئ صدري ..

أرمد أن أعيش

ساعديني على الخروج حياً ..

من متاهات الشفتين المكتنزتين .. والشعر الأسود

إن معركتي معك ليست متكافئة

فأنا لست سوى سمكة صغيرة

تسبح في حوض من النحاس السائل ..

ساعديني على التقاط أنفاسي

فإنَّ نَبْضِي لَمْ يَعدَ طَبِيعِيًّا ..

ووقتي صار مرهوناً بمراجبة نهديك

فإذا ناما نمت ..

وإذا استيقظا استيقظت

ساعديني على التفريق بين بدايات أصابعي

ونهايات عمودك الفقري

ساعديني على السفر من خريطة جسدك

فإنني أريد أن أعيش ..

قراءة في كفت امرأة حملة...

ليس هناك امرأة في الدنيا أجمل منك..
ولكن مشكلتك..

كمشكلة الورد التي لا تشم عطرها..
كمشكلة الكتاب الذي لا يعرف القراءة..
انتِ أهم امرأة في العالم.

لا لأن عينيك هما حديقتان آسويتان مقمرتان
ولا لأن شفتيك تحتكران نصفاً محصول فرنسا
من النبيذ

ولا لأن نهديك هما أول ديكتاتورين يحكمان
العالم الثالث..

ولا لأن جسّدك الذكي..

يفهم ما أقوله، قبل أن أقوله..

انتِ أهم امرأة في العالم...

لأنني أحبُّك....

أشهرك في وجه البشاعة.. دفتر شعر

١

أشهرُك في وجه العالم

سيفاً من الياسمين..

وأعلنُ انتصاري.

أشهرُك في وجه الكافرين،

كتاباً مقدساً

وفي وجه الأميين، قصيدة..

وفي وجه البداوة، مملكة من الرخام.

أرمني جواز سفرني في البحر...
 وأسميك وطني...
 أرمني جميع معاجمي في النار
 وأسميك لغتي...
 وأغتال جميع ملوك الطوائف
 وأسميك مليكتي.

٢

أشهرك في وجه تموز
 وعدا بالمطر
 وفي وجه العصفير...
 وعدا بالشجر
 وفي وجه النوارس...
 وعدا باللون الأزرق

٦٦

وأرافق الأطفال في رحلة مدرسية
 حول نهديك...
 ليلعبوا بكرات الثلج.
 ويصطادوا البط المائي
 ويشاهدوا - على الطبيعة -
 كروية الأرض...

٣

أشهرك في وجه الصحراء
 نخلة...
 وفي وجه الجفاف، سنبلة قمح
 وفي وجه الظلام،
 شمعدانا من الذهب

٦٧

أعلنُ أمامَ أكلةٍ لحومِ النساءِ
أنك حبيبي
فيرمونَ أضراسَهُمْ في البحرِ
ويقلعونَ أظافرَهُمْ
ويغسلونَ الدمَ عن ثيابِهِمْ
ويدخلونَ عصرَ النهضةِ . . .

١٩٨٥

٦٩

وفي وجهِ التجانينِ، رغيْفَ حُبْرٍ
وفي وجهِ المستعْبِدينِ
رأيةَ حُرْيَةٍ . . .
أشهرُك في وجهِ البشاعةِ
حمامةَ بيضاءِ
ونافورةَ ماءٍ . . . وكتابَ شعرٍ

٤

أشهرُك في وجهِ البوليسِ العربيِّ
أغنيةً . . .
وفي وجهِ النفطِ العربيِّ
قارورةَ عطرٍ
وفي وجهِ الموتِ العربيِّ
بشارةَ ولادةٍ . . .

٦٨

الطيران فوق سطح العالم

١

قررتُ نهائياً.. أن أتفرغ لك..
فليس هناك قضية
تستحق أن يموت الإنسان من أجلها
إلا حبك..
ولا محطة تستحق الوقوف فيها
إلا محطة شعرك الليلي
وليس هناك أيديولوجية متكاملة
أكثر إقناعاً من تقاطيع وجهك.
وليس هناك مكان للانتحار
أعلى من ذروة نهديك..

٧٠

٢

لقد جربتُ كلَّ الأعمال اليدوية
من رَسْمٍ على الزجاج..
وحفرٍ على الخشب
واستنفدتُ جميعَ امكانيات الصلصال والسيراميك
فلم أكتشف أيةَ حرفة
أكثر تناسقاً من جسدك
وأصغيتُ إلى عَشْرَاتِ التنوعات على البيانو
فلم أستمع إلى معزوفة
أحسن تأليفاً من أصابعك..

٧١

قررتُ نهائياً ..
 أن أتخلى عن جواز سفري
 وأصبحَ واحداً من رعاياك ..
 قررتُ نهائياً ..
 أن أتعلقُ بأية سحابة
 هاربة مع أطفالها باتجاه البحر
 فلم يعد لي وطنٌ ألتجئ إليه ..
 سوى سواحل يديك ..
 أنتِ الوطنُ الأخيرُ الباقي على خريطة الحرية
 أنتِ الوطنُ الأخير الذي أطعمني من جوع ..
 وأمنني من خوف ..

وكلُّ الأوطانِ الأخرى .. أوطانُ كاريكاتورية
 كرسوم والت ديزني ..
 أو بوليسية ...
 كمؤلفات أغاتا كريستي ..
 أنتِ آخرُ سنبلة ..
 وآخرُ قمر ..
 وآخرُ حمامة ..
 وآخرُ غمامة
 وآخرُ مركبٍ أتعلقُ به ..
 قبل وصول التَّار ..

أنتِ آحرُ وردةٍ أَسْمُها
 قبل أن ينتهي زمنُ الوردِ...
 وآخرُ كتابٍ أقرؤه...
 قبل أن تحترقَ كلُّ المكتباتِ
 وآخرُ كلمةٍ أكتبها
 قبل أن يأتي زوَّارُ الفجرِ
 وآخرُ علاقةٍ أقيمها مع امرأةٍ
 قبل أن تصبحَ الأنوثةُ
 كلمةً نفتشُ عنها بالعدساتِ المكبَّرةِ
 في المعاجمِ والموسوعاتِ...

٤
 قررتُ أن أذهبَ معك...
 إلى آخرِ نقطةٍ في العالمِ
 وآخرِ نقطةٍ من دمي...
 إنني مشتاقٌ إلى الجُزرِ التي لا تتعاملُ مع الوقتِ
 ولا تقرأ الجرائدَ اليوميَّةَ
 لم يُعدُّ عندي أيُّ متاعٍ يُؤسفُ عليه...
 فلحمي... أكلته الأسماكُ بين بيروت ولارنكا
 ووطني...
 نَسَلُوهُ من جيبي قبل أن أصعدَ إلى ظميرِ
 السفينةِ...

وتذكرة هويتي...
عليها صورة رجلٍ آخر...
كان يُشبهني قبلَ خمسينَ عاماً..
ماذا تنتظرينَ كي تفتحي قلوبَ شعركِ الأسود؟
إن رائحةَ الملح والتوتياءِ في الميناءِ
تخترقني كسيفٍ معدنيٍّ
فلماذا لا تفتحينَ واحداً من شرايينكِ لإيوائي؟
أنا الذي فتحتُ جميعَ شراييني...
لاستقبالِكِ...

لم يُعدّ عندي أسئلةٌ أطرحتها
فأنتِ والبحرُ...
تكتبانِ هذه الليلةَ مصيري
لم يعدّ عندي ارتباطاتُ بأيِّ حجرٍ...
أو بأيةِ شجرةٍ
أو بأيةِ رائحةٍ...
أو بأيةِ خزانةِ ملابسٍ...
فكلُّ ما تبقى لي...
هو سروالُ الجينزِ الأزرق الذي البسه.
والذي كان رفيقاً تسكعني...

ورفيق السفسر والمنفى، والمقاهي،
والقطارات،
وبواخر الشحن، والدُّوار، والليل، والبراندي،
والجنس، والصراخ العصبي في دهاليز الجنون.
كلُّ ما تبقى لي...
هو هذا الجينز التاريخي...
المغطى بالطعنات... وفُتات الخبز...
وفُتات الجنس... وفُتات صرخاتي ودموعي...
والذي صار المتحف القومي لمشاعري...
والمفكرة التي أسجَل عليها مواعيد الإقلاع...
والرسو... ومواعيد الغبوبة والكحول
وصار، بعد سقوط كلِّ الأوطان...
وطني...

٦
لن أعود إلى حماقاتي السابقة...
ولن أسألك إلى أين؟
إن الجغرافيا لم تعد عندي ذات موضوع
فأنا قارورة حزن تظسو على وجه جميع بحار
العالم...
والمسافة بين ولادتي وموتي تُحسب
بالستيمترات...
لن أسألك إلى أين؟
المهم... أن تنتزعيني من ذاكرتي
ومن أوراق الرزنامة العربية...
وترميني على ظهر سفينة
لا ترفع علم أي دولة...

فانا لم أَعُدْ مكثرثاً بالممانت .. ولا
بالجمهوريات ..
إن زجاجة البراندي ..
هي الجمهورية الأكثر عدلاً وأماناً في التاريخ ..
فاغسلي قَدَمَيْكَ بمائها المقدس
فهذه فرصتنا الوحيدة ..
للطيران فوق سطح العالم

بيروت ١٩٨٤



درس في اللغة لتلميذة مبتدئة

١
خُذِي كُلَّ شَيْءٍ تَرِيدِينَهُ ..
واتركي لي لغتي ..
فأنا بحاجة حين تكونين معي
إلى لغة جديدة أُحِبُّكِ بها ..
وأمشطُ شعركَ بها ..
وأغسلُ أقدامكَ بها ..
وأعطيكَ بحنان حروفها،
عندما تنامين ..

٢

إنني أعرفُ أنك من أديم اللغات
 ومن أخصب اللغات
 ومن أصعب اللغات
 ولكنني بحاجة حين تكونين معي
 أن أصنع معجزة صغيرة
 أتحدّث بها نهديك الرفضين لكل شيء ..
 والقادرين على كل شيء
 بحاجة إلى لغة ثانية
 أتفوق فيها على جسدك الخرافي ..
 وأرفعُ فيها ببارقي
 على أبراجك التي لا تغيب عنها الشمس ...

٨٣

٣

بلا لُعتي ..
 أنتِ امرأةٌ مثل باقي النساء
 وبها، أنتِ كل النساء
 بلا لُعتي ..
 أنتِ إشاعةُ امرأة ..
 قُصاصةُ امرأة ..
 مشروعُ امرأة ..
 رَسْمُ تجريدِي لم يستوعبه أحد ..
 ومخطوطةُ شعريّة
 كُتبت بحبرِ سرِّي
 ولم يتبّه إليها الناثرون ..

٨٣

بلا لغتي ..
 أنتِ إسْوَارةٌ بلا مِعْصَمِ
 ومملكةٌ بلا شعبٍ ..
 ووطنٌ بلا مواطنين ..
 وكنيسةٌ بلا مصليين ..
 وقصيدةٌ جميلةٌ لم يقرأها أحدٌ
 وها أنذا جئتُ لكي أعلم الناس
 كيف يتهجؤونك ..

بلا لغتي ..
 أنتِ فراشةٌ من حَجَرٍ
 لا تحطُّ .. ولا تطيرُ
 وبيدرٌ لا تهاجمه العصافيرُ
 وجزيرةٌ لا تقصدها المراكبُ
 وشفةٌ مكتظةٌ بالعنَبِ
 لكنّها ..
 لا تعرفُ طعمَ النيذ ..

٦

بلا لُعْتِي . . .
 لن تجدي مرآة تتمرّين بها . . .
 ولن تجدي مكحلةً تتكحلّين بها . . .
 ولن تجدي حلقاً تضعينه في أُذُنَيْكَ . . .
 أصفى من دموعي .
 فكلماتي هي مراياك
 ومفرداتي هي أدوات زينتك
 فخذني كل شيء تريدينه . . .
 واتركي لي لغتي . . .
 فهي صولجانُ مجدك
 وإكليلُ الغار على جبينك
 وهي العصفورُ الجميل الذي سيحملك على جناحيه
 ويطير بك حول الكرة الأرضية .

٨٦

٧

بلا لغتي . . .
 أنت كتابٌ لا يزال تحت الطبع
 وقبله مؤجّلة التنفيذ
 وصلصالٌ لم يتشكّل بعد . . .
 ووردةٌ لم تكتشف عطرها بعد . . .
 ونهدٌ . . . لم يعرف ما اسمه بعد . . .
 فهو ينتظرنني حتى أسميه . . .

٨٧

خُذِي كُلَّ شَيْءٍ تَرِيدِينَهُ
 وَاتْرَكِي لِي لَغْتِي ..
 فَهِيَ الْوَرَقَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي بَقِيَتْ فِي يَدِي ..
 وَالْحِصَانُ الْأَخِيرُ الَّذِي أَقَامَرْتُ عَلَيْهِ ..
 لَقَدْ رِبِحْتِ حَتَّى الْآنَ عَشْرَاتِ الْجَوْلَاتِ ..
 وَهَزَمْتِنِي عَشْرَاتِ الْمَرَّاتِ ..
 فِي مَعْرَكَةِ الْحَبِّ ..
 فَاسْمَحِي لِي أَنْ أَنْتَصِرَ عَلَيْكَ
 وَلَوْ لِمَرَّةٍ وَاحِدَةً ..
 فِي مَعْرَكَةِ الْكَلِمَاتِ ..

١٩٨٤

هَذَا هُوَ الْحَدُّ الْأَقْصَى لِجُنُونِي
 وَلَمْ أَعُدْ أَقْدِرُ أَنْ أَحْبَبَكَ أَكْثَرَ ..
 هَذَا هُوَ الْمَدَى الْأَخِيرُ لِذِرَاعِي
 وَلَمْ أَعُدْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَضْمَكَ أَكْثَرَ ..
 هَذِهِ أَعْلَى نَقْطَةِ يُمْكِنْتِي الْوَصُولِ إِلَيْهَا
 عَلَى جِبَالِ نَهْدِيكَ .. الْمَتَوَجِّحِينَ بِالثَّلْجِ وَالذَّهَبِ ..
 وَلَمْ يَعْذُ بوسعي أَنْ أَسْلُقَ أَكْثَرَ ..
 هَذِهِ آخِرُ مَعْرَكَةٍ أَدْخَلْتُهَا ..
 لِلْوَصُولِ إِلَى نَوَافِيرِ الْمَاءِ فِي غِرْنَاظَةٍ
 وَلَمْ يَعْذُ بوسعي أَنْ أَقَاتَلَ أَكْثَرَ ..
 هَذَا آخِرُ مَوْتٍ .. أَمُوتُهُ مَعَ امْرَأَةٍ
 وَمِنْ أَجْلِ امْرَأَةٍ ..
 وَلَمْ يَعْذُ يُمْكِنْتِي أَنْ أَمُوتَ أَكْثَرَ ..

من ملفات محاكم التفيش

١

يطالبي حكامه القبيلة
 أن أترك أنشعاري على باب خيبتك
 وأدخل عليك، مجرداً من السلاح
 ماذا يبقى مني؟
 إذا نزلت عن فرس العشق
 ورهنت رأياتي وأوسمتي
 ومعطف الكلمات الجبيلة
 الذي كنت، أحتال به
 كفهد إفريني مرقطاً..

٩٠

٢

يطالبي عقلاء القبيلة
 حتى لا تشتعل الفتنة
 وحتى لا يتقاتل الرجال مع الرجال
 من أجل حفنة كحل..
 وحتى لا يسيل دم التاريخ من أجل غزائه
 أن أفك ارتباطي بعينك السوداوين
 وأحتكم إلى العقل..
 ماذا يبقى من وطن الكحل؟
 الذي أعطاني جنسي، وجواز سفري
 إذا قبلت التحكيم
 وخرجت من عينك السوداوين
 تلبية لمقتضيات الأمن البدوي...

٩١

٣

يطلبني فقهاء القبيلة
باسم الوصايا العشر التي لم أقرأها
وباسم دولة الذكور التي لا أعترف بها
وباسم المؤلفات التي ألفها الجرادُ الصحراوي
وباسم شجرة العائلة
التي كسرتها .. وتدفأتُ على حطبها
أن أترك عشقي لك في غمده ..
واتخلى عن أجمل سيفٍ من الذهب
قتنيته في حياتي ...

٩٢

٤

يحاكمني على حبي لك ..
قصة .. لم يقرأوا نصاً واحداً من نصوص
العشق
ولم يسمعوا بـ (طوق الحمامة) لابن خزم ..
وبـ (فن الحب) لأوفيد
ويطالبُ برأسي ..
مثقفون يمارسون الحب مع ذباب المقاهي
ولواطيون ..
لم يتشرفوا بالوقوف في حضرة امرأة
أو بقضاء العطلة الصيفية في عيني امرأة
أو بالسباحة في صوت امرأة ..

٩٣

٥

ينصحنى شعراء القبيلة
الذين رفضت الأميرة قصائدهم
وأمرت بشنقهم واحداً . . . واحداً . . . على شرفتها
لأنهم لم يفهموا لُعبة الأنوثة
ولا لُعبة الشعر . . .
وتلعثموا حين سألتهم :

عن الفرق بين إقاعات البحر الطويل
وإقاعات شعرها الطويل

وعن الفرق بين خصائص شفتيها
وخصائص النيذ الفرنسي

وعن الفرق بين النقطة في آخر السطر
والشامة في أعلى الظهر . . .

٩٤

٦

ينصحنى مرتزقة البلاط
أن أعود من حيث أتيت
لأن الأميرة لا تفتح نافذتها
إلا لعصفور يزقزق جيداً . . .
وأني لو فشلت . . .
دفنتني في عتمة ضفائرها . . .

٧

أضع دمي على كفي
وأرش شراشف الأميرة بأشعاري
يستيقظ النهدان الكسولان من نومهما،
ويهربان معي

٩٥

٨
 يجتمع حكماء القبيلة ومستشاروها في جلسة طارئة
 ويدرسون ملفي ورقة ورقة ..
 وأعمال قصيدة .. قصيدة ..
 ويستعرضون حبيباتي امرأة .. امرأة ..
 يأخذون بصمات يدي .. وبصمات فمي ..
 ويستمعون إلى إفادات شعراء من الدرجة العاشرة
 جاؤوا من كل المدن العربية ليشهدوا ضدي ..

٩
 يقررون بالإجماع: أنني فضيحة مقروءة
 وأنتي خطر على الأمن النسائي ..
 يطلبون مني أن أغادر الوطن
 خلال ثمان وأربعين ساعة
 فأغادره ..
 وتبني إلى المنفى كل نساء القبيلة ..

١٩٨٣

٩٦

حوار مع يدين أرسقراطيتين

١
 بالرغم من نزعتي الراديكالية
 وتعاطفي مع جميع الثورات الثقافية في العالم
 فإنني مضطراً أن أرفع قبعتي
 ليدريك البورجوازيين ..
 المصنوعتين من الذهب الخالص ..
 مضطراً أن أعترف بنعومتها القصوى
 وأنوثتها القصوى ..
 وسلطتها المطلقة على الماء والنبات
 والحجر والبشر ..

٩٧

ومضطرٌّ أن أعترف بفضلهما
 على حضارة الإغريق
 وحضارة الفراعنة
 وحضارة ما بين النهرين .
 ومضطرٌّ أن أعترف
 بذكائهما حين تتكلمان
 وبعمقهما حين تصمتان
 وبحضارتهما . . .
 حين تُمسكان إبريق الفضة
 وتسكان الشاي في فنجانين . . .

يداك أرسطمراطيتان . . بالوراثه
 كما الزرافه ممشوقه بالوراثه
 وكما الليل موسيقي بالوراثه
 وكما الكلدسه متمرده . . بالوراثه
 وأنا . . .
 لستُ ضدَّ يدك . . المرفهتين . . المدللتين . .
 ولا أفكر - حين أكونُ معهما -
 بأيِّ مشاعرٍ طفيفه . . .

فأنا لا أملك أيدياً ..

بين ما أعتقد أنه عادل ..

وبين ما أعتقد أنه جميل ..

بين الأيديولوجيات التي المسها بذهني

والأيديولوجيات التي تنقظ حليماً وعسلاً

في راحة يدي ..

بين روعة المبادئ

وروعة يديك المليستين

كأواني الأوبالين

وزجاج (غالية) ..

٣

يداكِ ملوكيتان ..

لهما أبهة الملوكِ، وعنفوان الملوكِ

وأنا لا أعرف كيف أجلس على طاولة الملوكِ

وما هي اللغة المستعملة في مخاطبة الملوكِ

إنني لم أعشق في حياتي مليكةً غيرك ..

ولم أتورط مع امرأة ..

من صاحبات الدم الأزرقِ سواكِ ..

فأنا واحدٌ من أفراد هذا الشعب

قلبه ينبضُ كتفاحةٍ حمراء

وأنفه يشمُّ رائحة الأنتي

بصورةٍ بدائية ..

فعلّمني .

كيف أكون مهذباً مع يديك المَهْدَبَتَيْنِ . .

علميني كلمة السرّ التي توصل إلى كنوز يديك

وعلميني كيف أستعمل ملاءق الفضّة

وكيف أتسلّق السلالم العاجية

وكيف أسند رأسي . .

على المخدات المصنوعة من القضيصة وريش

العصافير

يا ذات اليدين اللتين تربتني في العزّ والدلال

علميني ماذا أقول لحرسك؟

حتى يسمحوا لي بالدخول إلى قاعة العرش

لأقدم ولائي لأصابعك الخرافية التكوين

وأتلو صلواتي أمام أغلى شمعدانين من الفضّة

في تاريخ الكنائس البيزنطية

١٠٢

٤

يداك مثقفتان كثيراً . .

وأستاذتان في علم الجمال

وأنا أقرأ . . وأكتب . . على ضوء يديك

وأذاكر جميع دروسي

وأدخل جميع امتحاناتي

وأنال جميع شهاداتي

برعايتهما، وحنانهما، ودعواتهما الصالحات

فيا ذات اليدين اللتين أدين لهما بكل ما أعرف

لا تخبري أحداً . . .

أنّ يديك هما مصدر ثقافتني . .

١٠٣

٥

زرت متاحف الدنيا
 من اللوفر، إلى المتروبوليتان، إلى البرادو
 ورأيت أروع الأعمال التشكيلية
 وأقدم المنحوتات، والأيقونات
 ولكنني لم أشاهد منحوتة
 بهزنتي أكثر من يدك...

١٠٤

٦

يداك مخطوطتان عربيتان نادرتان
 وكتابان... ليس لهما نسخة ثانية
 فلا تسحبي يدك من يدي
 حتى لا أعود أمياً...

١٠٥

٧

يداك أميرتان من العصر الوسيط
تركبانِ عربةً من الذهب
يجرُّها حصانان من الذهب
فمتى يصبح النظام في وطني ديمقراطياً
لأتمكن من مصافحة الأميرتين؟

١٠٦

٨

لو علم رؤاد المقاهي
أن يدك تترددان على المقهى كل يوم
لتركوا فناجين قهوتهم
وشرّبوا يدك . . .

١٠٧

يقفُ المؤمنون
أمام كنيسة القديس بطرس في روما
مبهوتين...
وأقفُ أمام كنيسة يديك...
حاملاً زيتي... وشموعي...
علني أحظى بمفاتيح الجنة...

انظرُ إلى يديك...
وأنت تقرأين فنجانِي
فأطمئنُ على مستقبلِي...

يَدَاكَ سَحَابَتَانِ رَبِيعَتَانِ
لَوْلَاهُمَا . . .
لَمَاتِ الْعَالَمُ عَظْشًا . . .

كَلَّ قِصَائِدَ الشَّعْرِ
مِنْ فِيرَجِيلٍ إِلَى رَامِبُو . . .
وَمَنْ الْمَتْنَبِيِّ إِلَى مَايَاكُوفْسَكِيِّ
تَبْدُو أَمَامَ كَلَامِ يَدِيكَ الْمَوْهُوتَيْنِ
وَكَأَنَّهَا مُسَوَّدَاتٌ لِقِصَائِدٍ لَمْ تَكْتَمِلْ . . .

١٣

أصابعُ موزارتُ
توصلني إلى حالة انعدام الوزن
وأصابعكُ . . .
توصلني إلى الله . . .

ليلةٌ في مناجم الذهب

١

جسمك مدعوكُ بالثلج والنارُ
ومعجونُ ببعضة . . .
كمرَبِي التين والسفرجلُ
ومطروقُ كأباريق النحاسُ
ومليسُ كالبروكار الدسْتَقِي
وعابقُ كأسواق البهارُ
في مدينةِ أسيوْتِه .

١١٣

١١٢

٢

جسْمُكَ مطرُزٌ بالشاماتِ
 كليلِ الباديةِ
 ومزخرفٌ بالأزهارِ،
 كالخطِّ الكوفيِّ
 وطازجٌ كعروقِ النعناعِ
 ولا معٌ تحت الشمسِ كقَمَمَةِ البحرِ
 ومُستَنقَرٌ للقتالِ ..
 كديكٍ لا ينامُ

١١٤

٣

جسْمُكَ مهرجانٌ للضوءِ والصوتِ
 يُقامُ تحتِ رعايةِ اللُّهُ

٤

جسْمُكَ ليرةٌ ذهبيَّةٌ
 ضُربتْ في القسطنطينيَّةِ
 ولم يجرؤْ أيُّ من السلاطينِ
 أن يصكَّ مثلها مرةً ثانيَّةً

١١٥

٥

جسْمُكَ مَكْتَبٌ بِالْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ
 مَكْتَبٌ بِالْمَعَادِنِ ،
 وَالْحِنْطَةِ ،
 وَالتُّوتِ الْبَرِيِّ
 وَأَشْجَارِ السُّمَاقِ
 مَكْتَبٌ بِالنُّبُوءَاتِ كَالْكِتَابِ الْمَقْدَسِ
 وَمَضْرُوبِ الْحَلِيبِ وَالْعَسَلِ الْأَسْوَدِ
 وَمُشْرَبِ الشَّمْسِ
 كُلِّحْمِ الْفَاكِهِةِ الْإِسْتَوَائِيَّةِ . . .

١١٦

٦

حَسْمُكَ لَهُ رَائِحَةُ الْقَرْفَةِ وَالْيَانِسُونِ
 وَرَائِحَةُ الْأَطْفَالِ
 فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنْ وِلَادَتِهِمْ . . .

٧

جَسْمُكَ مَقَامٌ عِرَاقِيٌّ قَدِيمٌ
 وَقَهْوَةٌ . . . وَهَالُ
 وَأَمْطَارُ لَوْلُؤِ كَرِيمِ
 وَ«إِنَّهُ مِنْ سَلِيمَانَ .
 وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

١١٧

٨

جسْمُكَ مَكْتَنَزٌ كِبَرْتَقَالَهُ
وَمَغَامَرٌ كَسَمَكَةَ
وَمَفْتُوْحٌ كَوْرَقَةِ الْكِتَابَةِ..

٩

جِسْمُكَ بَرَجٌ مِنَ الذَّهَبِ
يَسْتَقْبَلُ كُلَّ صَبَاحِ الْفِ حَمَامَةٍ
وَيُوَدِّعُ الْفِ حَمَامَةً

١١٨

١٠

جِسْمُكَ شَجْرَةٌ مُوسِيقِي
كَلَّمَا هَزَزْتُهَا
تَسَاقَطَتْ مِنْهَا الْمَوْشِحَاتُ الْأَنْدَلِسِيَّةُ
وَدَمَوْعُ إِسْحَاقِ الْمُوصِلِي..

١١

جِسْمُكَ دَفْتَرٌ سُرِّي
سَجَلْتُ عَلَيْهِ
كُلَّ تَارِيخِ الشَّعْرِ
وَكُلَّ تَفَاصِيلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ

١١٩

١٢

جسْمُكَ وليمةٌ مجنونَةٌ
 من ولائمِ الرومانِ
 يسْكُرُ فيها النهْدُ...
 حتى يسقط على سجادةِ الموكيتِ
 نجمةٌ محترقةٌ...

١٣

جسْمُكَ قبيلةٌ تحترفُ الحربَ
 كتيبةٌ مدججةٌ بالأنوثةِ...
 غزوةٌ حضاريةٌ
 لاحتلالِ جميعِ رجالِ العالمِ.

١٢٠

١٤

جسْمُكَ كاتدرائيةٌ قوطيةٌ الأفواسِ
 تمارَسُ فيها كلُّ الدياناتِ
 وتُضَاءُ الشموعُ
 وتقرعُ الأجراسُ
 جسْمُكَ منارةُ المناراتِ
 ووطنُ السفنِ التي لا وطن لها
 ووطنُ العصافيرِ التي تموت من شدةِ البردِ
 ووطنُ الكلماتِ
 التي تموتُ من شدةِ القمعِ..

١٢١

١٥

جسْمُكَ مزاراً ..
 لوميَّ شرقِي ماتَ عشقاً
 ومخطوطَةٌ من العهد القديمِ
 عبيها تواقع مملوك وأنبياء
 ودغنين وشعراء
 ورسامين من عصر النهضة
 ومعماريين ..
 من السلالة الفرعونية الرابعة ..

١٢٢

١٦

جسْمُكَ عصفورٌ يلعبُ على البيانو جيداً
 ويغني .. ويرقص ..
 ويكتب الشعرَ جيداً ..
 جسْمُكَ حربةٌ من البرونز المشتعلُ
 تسافرُ في لحمي .. جيداً ..
 وتذبحني ..
 جيداً .. جيداً .. جيداً ..

١٧

جسْمُكَ حاضرُ البديهة دائماً
 كتغلبٍ متربصٍ في غابته ..

١٢٣

جِسْمُكَ كِتَابٌ يُقْرَأُ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ
 عَمُودِيًّا يُقْرَأُ ..
 وَأَفْقِيًّا يُقْرَأُ ..
 فِي الصَّبَاحِ يُقْرَأُ
 وَفِي الْمَسَاءِ يُقْرَأُ
 وَفِي وَقْتِ الْقِيلُولَةِ يُقْرَأُ
 مِنَ التَّفَاتَةِ الْعُنُقِ يُقْرَأُ
 وَمِنْ شَمُوحِ النَّهْدِينَ يُقْرَأُ
 وَمِنْ أَصَابِعِ الْقَدَمِينَ يُقْرَأُ
 وَمِنْ اسْتِدَارَةِ الْفَخْذِينَ يُقْرَأُ
 جِسْمُكَ قَارَةٌ مُتَعَدِّدَةُ اللُّغَاتِ ..

جِسْمُكَ فِيهِ كُلُّ عَظْمَةِ التَّرَاثِ
 وَكُلُّ دَهْشَةِ الْحِدَاثَةِ
 فِيهِ شَيْءٌ مِنْ أُصُولِةِ الْمُتَنَبِّيِ
 وَشَيْءٌ مِنْ إِضَاءَاتِ رَاصِبِ
 وَهَلْوَاسَاتِ سَيْلِفَادُورِ دَالِي ..
 ٢٠
 جِسْمُكَ نُورِيٌّ بِالْفِطْرَةِ
 وَفِدَائِيٌّ بِالْفِطْرَةِ
 وَقَاتِلٌ أَوْ مَقْتُولٌ ..
 بِالْفِطْرَةِ ..

٢١

إذا كان نهداكِ مثقفين ثقافةً عاليةً
- كما تقولين -

فلماذا لم يعترفًا حتى الآن
بقانون الجاذبية الأرضية؟

٢٢

درُسونا في كلية الحقوق
أن نهدكِ ..

هو أقدمُ إعلان للحرية
عرفه العالم ..

٢٣

جسْمُكِ إشْكالٌ لغويٌّ كبيرٌ
فلا أنا أعرف كيف أحفظهُ ..
ولا أنا أعرفُ كيف أنساهُ

٢٤

جسْمُكِ هو المَلِكُ
وهو يحْكُمنا باسم اللّهِ
ويدخلنا الجنّةَ بأمر اللّهِ ..
ويطردنا منها .. بأمر اللّهِ ..

١٢٦

١٢٧

عندما تجلسين على المقعد الأخضر
ويقررُ جسمك أن يلقيَ قصيدته ..
استقبلُ أنا من الكلام

١٩٨٤

قبل أن .. بعد أن ..

١

قبل أن أحبكِ .
كنتُ متصالحاً مع اللغة
ألعبُ بها ، بمهارة ساحرٍ محترفٍ
وأحرُّكُ خيوطها .
كما يحركُ طفلُ طيارةً من ورقٍ
كنتُ أميرَ الطير . . وسيدَ المغنِّينِ
وكنتُ إذا سرتُ في الغابةِ
تركضُ خلفي الأرانب . .
وتبغني الأشجارُ
وتكلمني الضفادعُ النهريَّة
وتنزلُ النجومُ من سُرفاتها
لغنامَ على كِنفي . .

١٢٩

١٢٨

٢

قبل أن أُحبِّكَ ..
 كانت إقطاعاتي الأدبية
 لا تغيبُ عنها الشمسُ
 ومملكتي الشعرية
 تمتدُّ من الماء إلى الماء
 ومن النساءِ .. إلى النساءِ
 وكانت الشفةُ التي لا أكتبُ عنها
 تتحوَّلُ إلى وردةٍ من ورقٍ ..
 وكان النهْدُ الذي لا يبايعني
 ملكاً مدى الحياة
 يُعتبرُ نهْداً أمياً .. ورجعياً
 وتسقطُ عنه حقوقه المدنية.

١٣٠

٣

قبل أن أُحبِّكَ ..
 كان يختبئُ في حنجرتي عشُّ عصافيرٍ
 ويعزفُ في دمي
 ألفُ تشايكوفسكي ..
 وألفُ رحمانينوفُ
 وألفُ سيّد درويشُ
 كانت الأبجديةُ صديقتي
 وكانت الثمانيةُ وعشرونَ حرفاً
 تكفي لبوحي، واعترافاتي
 وتتبعني كقطعٍ من الغزلانِ
 تأكلُ العشبَ من يدي
 وتشربُ الماءَ من يدي ..
 وتتعلَّمُ أصولَ الحبِّ على يدي ..

١٣١

٤

قبل أن أحبكِ ..
 كانت لغتي على قَدِّي
 واحلامي على قَدِّي
 وحزني . وفرحي . وجنوني
 على قَدِّي ..
 وحين جاء الحب الكبير
 بدأ المازق الكبير
 وتمزقت خرائط اللغة
 وصار كل ما أعرفه من كلام جميل
 لا يكفي لتغطية عشر دقائق من الحنين
 عندما أدعوك للعشاء ..

١٣٢

٥

قبل أن تصبحي حبيبي
 كنت أضطجع على سرير اللغة
 كأبي ملك شرقي
 أتفزل بالكلمة التي أريد
 وأتزوج المفردة التي أريد
 لم يكن عندي مشكلة مع اللغة
 كنت مسكوناً بالرنين كأرغن كنيسة
 وكنت أهدل كالحمام
 وأصدح كطيور الكناري
 وألبس اللغة في إصبعي
 خاتماً من الزمرد الأخضر ..

١٣٣

بعد أن صرتِ حبيبتِي
أضعتُ ذاكرتي اللغويَّةَ نهائياً
ونسيتُ كيف تُهجِّي الحروف .. وكيف تُكْتَبُ ..
فلم أعدُ أتذكَّر من الأسماء
إلا اسْمَكَ ..
ولم أعدُ أتذكَّر من الأصوات ..
إلا صوتَكَ ..
ولا أتذكَّر من موانئ البحر الأبيض المتوسطِ
سوى عينيكِ المكتظتين ..
بالحزن ..
والكُحْل ..
وطيور النورس ..

بعد .. أن دخَل سِفْكَ في لحمي
ولحم ثقافتي
إكتشفتُ أن مساحةَ الفن تضيقُ
كلما اتَّسعتْ مساحةُ العشق
وأن الكلمات التي كنتُ أعرفها قبلكِ
سقطتْ من التداولِ
كعملةٍ ورقيةٍ ليس لها تغطية
وأن جميعَ ما أعرفه من مفرداتِ
لا يكفي لتسديد ثمن فنجانِي قهوةٍ
في أحد مقاهي فينيسيا .. أو كومو ..
أو فيينا .. أو لوغانو ..
أو بيروت ..

يا التي تعتقلني في داخل قصائدي
وتتحكم بمفاتيح حنجرتي
ومقامات صوتي ..

لم يعد يكفيني أن أقولَ (أحبك)
أريد أن أصل معك إلى مرحلة ما بعد اللغة
وما وراء جميل بثينة ..
وشحيم ..

وعزوة بن الورد
والرمزيين، والبرناسيين، والسرياليين ..
فيا سيدتي، التي أخذت في حقيبتها اللغة ..
وسافرت ..

لماذا أطلقت الرصاص على فمي؟
وأرجعتني إلى مرحلة التأتأة ..

١٩٨٥

١٣٦

الحب .. على شريط تسجيل

١

كلامك ليس يُطاق ..
وتعبير عينيك ليس يُطاق ..
وهذي الأغاني التي يتغرغرُ فيها المُسجِّلُ
منذ ابتداء النهار، إلى مطلع الفجر
ليست تطاق ..
ولا بد لي أن أغادر ..
لماذا أظل هنا؟ حين كل الوسائد ضدي ..
وكل المقاعد ضدي ..
وكل المرايا .. وكل الزوايا .. وكل الستائر ..
لماذا أظل هنا بعد موت جميع المشاعر؟

١٣٧

لماذا أظلُّ هنا؟
 حين أشعرُ أنني سأسْتَقُ في آخر الليل ..
 فوق الضفائر ..
 لماذا أظلُّ هنا؟
 حين أعرفُ أنني سأدْفَنُ تحت رنين العُقُود ..
 وضَوْعِ البخور ..
 وشكوى الأساور ..
 سأذهبُ حتى أقابلَ شِعْري
 فإني نسيْتُ تماماً، طريقةَ رَسْمِ الحُرُوفِ،
 نسيْتُ بياضَ الدفاتر ..
 فنصفي مقيمٌ لديك
 ونصفي مسافرٌ ..

صحيحٌ بأنِّي أُحِبُّ ..
 لكنَّ هذا المناخَ العدائِيَّ بيني وبينك ..
 أطفأ كلَّ النجوم،
 وأَيْسِرَ كلَّ البيادر
 صحيحٌ . بأنَّ المكانَ أُنِيقُ
 وأنَّ النبيذَ عَتِيقُ
 وأنَّ التماثيلَ رائِعَةٌ، والأزاهرُ
 ولكنني، رَغَمَ هذا الإطارِ الملوكيِّ حولي،
 أحسُّ بأنِّي أموتُ كشاعرٌ ..

٤

ويا سِتُّ كُلِّ الْجَمِيلَاتِ ..

أَعْلَمُ أَنْ عَيْدَكَ كَثُرَ ..

وَأَنْ جُنُودَكَ كَثُرَ ..

وَأَنْ وَصَالَكَ قَهْرٌ .. وَهَجَرَكَ قَهْرٌ ..

وَأَنْ الَّذِي لَا يَسْبَحُ بِاسْمِكَ كَافِرٌ

فَلَا تَضَعِينِي .. بِقَائِمَةِ الرُّكْعِ السَّاجِدِينَ

وَلَا تُدْخِلِينِي .. بِجَيْشِ الدَّرَاوِشِ وَالصَّابِرِينَ

وَلَا تَحْسِبِينِي ..

خَرُوفًا تَجُزِّينَ عَنْ جِسْمِهِ الصُّوفَ .. كَالْآخَرِينَ

وَلَا تَسْتَبْدِي بِرَأْيِكَ فَوْقَ فِرَاشِ الْهَوَى

لَأَنْيَ مِنَ اللَّهِ .. لَا أَتَلْفَى الْأَوَامِرَ ..

فرنسا ١٩٨٦/١/٨

أنا والنساء

١

أريدُ الذهابَ ..

إلى زَمَنِ سَابِقِ لِمَجِيءِ النِّسَاءِ ..

إلى زَمَنِ سَابِقِ لِقُدُومِ الْبِكَاةِ

فَلَا فِيهِ أَلْمَحُ وَجَهَ امْرَأَةٍ ..

وَلَا فِيهِ أَسْمَعُ صَوْتَ امْرَأَةٍ ..

وَلَا فِيهِ أَشْنَقُ نَفْسِي بِثَدِي امْرَأَةٍ ..

وَلَا فِيهِ أَلْعَقُ كَالْهَرُّرُكْبَةَ أَيِّ امْرَأَةٍ ..

١٤١

١٤٠

٢

أريدُ الخروجَ من البئر حياً ..
 لكي لا أموتَ بضربةٍ نَهْدٍ ..
 وأهرَسَ تحت الكُعبِ الرفيعةِ ..
 تحت العيون الكبيرة،
 تحت الشفاه الغليظة،
 تحت رنينِ الجِلَى، وجُلُودِ الفِرَاءِ
 أريدُ الخروجَ من الثقبِ
 كي أتَنفَسَ بعضَ الهواءِ ..

١٤٢

٣

أريدُ الخروجَ من القِنِّ ..
 حيثُ الدَّجَاجَاتُ ...
 ليس يفرقنَ بين الصباحِ وبين المساءِ
 أريدُ الخروجَ من القِنِّ ..
 إنَّ الدَّجَاجَاتِ مَرَّقنَ ثوبي ..
 وحلَّلنَ لحمي ..
 وسَمَّيَنِي شاعرَ الشُّعراءِ ...

١٤٣

٤

كرهتُ الإقامةَ في جُوفِ هذي الرُّجاجةِ ..
 كرهتُ الإقامةَ ..
 أيمنُ أن أتولَّى
 حِرَاسَةَ نَهْدَيْنِ ..
 حتى تقومَ القيامةُ؟؟
 أيمنُ أن يصبحَ الجنسُ سِجْنًا
 أعيشُ به ألفَ عامٍ وعامٍ
 أريدُ الذهابَ ..
 إلى حيثَ يمكنني أن أنامَ ...

هلمي مثلتُ السبيدَ القديمَ ..
 الفِرَاشَ القديمَ ..
 البيانو القديمَ ..
 الحوارَ القديمَ ..
 وأشعارَ رامبو ..
 ولُوحَاتِ دالي ..
 وأعينَ (إلزا)
 وعُقْدَةَ كافكا ..
 وما قالَ مجنونٌ ليلي
 لشرحِ الغرامِ ...

متى كَانَ هذا المُخْبَلُ مجنوناً ليلي . .
 خبيراً بفنّ الغرام؟
 أريدُ الذهابَ إلى زمن البحر . .
 كي أتخلّصَ من كل هذي الكوابيس ،
 من كلّ هذا الفِصَامِ
 فهل ممكن؟
 - بعد خمسين عاماً من الحُبِّ -
 أن أستعيدَ السلام؟؟

٥

أريدُ الذهابَ . . لما قَبْلَ عصر الضفائر
 وما قَبْلَ عصر عُيون المَهَا . .
 وما قَبْلَ عصر رنين الأساور
 وما قَبْلَ هندٍ . .
 ودَعْدٍ . .
 ولُيى . .
 وما قَبْلَ هزّ القُدودِ ،
 وشدّ النهود . .
 وربط الزنابير حول الخواصر . .

أريدُ الرحيلَ بأيِّ قطارٍ مُسافرٍ
 فإنَّ حُرُوبَ النساءِ
 بدائيةٌ كحروبِ العشائرِ
 فقبلَ المعاركِ بالسيفِ،
 كانتُ هناكَ الأظافرُ!!



٦
 كرهتُ كتابةَ شعري على جسدِ الغانياتِ
 كرهتُ التسلُّقَ كلَّ صباحٍ، وكلَّ مساءٍ
 إلى قمةِ الحَلَماتِ ..
 أريدُ انتشالَ القصيدةِ من تحتِ أحذيةِ العابراتِ
 أريدُ الدخولَ إلى لغةٍ لا تجيدُ اللغاتِ
 أريدُ عناقاً بلا مُفرداتِ
 وجنساً بلا مُفرداتِ
 وموتاً بلا مُفرداتِ
 أريدُ استعادةَ وجهي البريءِ كوجهِ الصلاةِ
 أريدُ الرجوعَ إلى صدرِ أمي
 أريدُ الحياةَ ...

فرنسا ١٩٨٦

حُبُّ .. تحت الصفر

١

هو البحرُ .. يفصل بيني وبينك ..
 والموجُ، والريخُ، والزمهريرُ ..
 هو الشعْرُ .. يفصل بيني وبينك ..
 فانتبهي للسقوط الكبير ..
 هو القَهْرُ .. يفصل بيني وبينك ..
 فالحُبُّ يرفضُ هذي العلاقةَ
 بين المرابي .. وبين الأجير ..

١٥٠

أحْبُك ..

هذا احتمالٌ ضعيفٌ .. ضعيفٌ
 فكلُّ الكلامِ به مثلُ هذا الكلامِ السخيفِ
 أحْبُك .. كنتُ أحْبُك .. ثم كرهتُك ..
 ثم عبدتُك .. ثم لعنتُك ..
 ثم كتبتُك .. ثم محوتُك ..
 ثم لصقتُك .. ثم كسرتُك ..
 ثم صنعتُك .. ثم هدمتُك ..
 ثم اعتبرتُك شمسَ الشمسِ .. وغيّرتُ رأبي ..
 فلا تعجبي لاختلافِ فصولي
 فكل الحداثيِّ، فيها الربيعُ، وفيها الخريفُ ..

١٥١

هو الثلج يفصل بيني وبينك ..
ماذا سنفعل؟

إنَّ الشتاءَ طويلٌ طويلٌ
هو الشكُّ يقطعُ كلَّ الجُسورِ
ويُقفلُ كلَّ الدروبِ،
ويُغرقُ كلَّ النخيلِ
أحبك!

يا ليتني أستطيعُ استعادةَ
هذا الكلامِ الجميلِ.

أحبك ..

أين تُرى تذهبُ الكلماتُ؟
وكيف تجفُّ المشاعرُ والقُبَلاتُ
فما كان يمكنني قبل عامينِ
أصبح ضرباً من المستحيلِ
وما كنتُ أكتبُهُ - تحت وهج الحرائقِ -
أصبح ضرباً من المستحيلِ ..



هو الطَّقْسُ يفصلُ بيني وبينك ..
إن الضبابَ كثيفٌ

وأنتِ أمامي .. ولستِ أمامي
ففي أي زاويةٍ يا تُرى تجلسين؟

أحاولُ لَمَسكَ من دون جدوى

فلا شفتاكِ يقينٌ .. ولا شفتاي يقينٌ

يداكِ جليديتان .. زجاجيتان .. محنطتان ..

وأوراقُ أيلولٍ تسقطُ ذاتَ الشمالِ وذاتَ اليمينِ

ووجهك يسقطُ في البحرِ شيئاً فشيئاً

كنصفِ هلالٍ حزينٍ ..

تموتُ القصيدةُ من شدَّةِ البردِ ..

من قِلَّةِ الحُبِّ ..

من قِلَّةِ الفحمِ والزيتِ ..

تبيسُ في القلبِ كلُّ زهورِ الحنينِ

فكيف سأقرأ شعري عليك؟

وأنتِ تنامينِ تحت غطاءٍ من الثلجِ ..

لا تقرأين .. ولا تسمعين ..

وكيف سأتلو صلاتي؟

إذا كنتِ بالشعرِ لا تؤمنين ..

وكيف أقدمُ للكلماتِ اعتذارِي؟

وكيف أدافعُ عن زمنِ الياسمينِ؟

جبانٌ من المَلح .. فصلٌ بيبي وبينك ..
 كيف سأكسر هذا الجليد؟
 وكيف سأقطعُ هذي المسافةَ بين شفاهِ تريدُ اغتياي .
 وبين سريرِ يريدُ اعتقالي ..
 وبين ضفيرةَ شعرٍ نكبُلني بالحديد؟

أحبك .. كنتُ أحبُّك حتى التناثر .. حتى التبغُّث ..
 حتى البخر .. حتى اقتحامِ الكواكب ، حتى
 ارتكابِ القصيدة ،

حتى ادعاءِ النبوة ، حتى انقطاعِ الوريدِ
 أحبُّك .. كنتُ قديماً أحبُّك ..

لكنَّ عينيكِ لا تأتيانِ بأيُّ كلامٍ جديدٍ
 أحبُّك .. يا ليتني أستطيعُ الدخولَ لوقتِ البنفسج ،

لكنَّ فصلَ الربيعِ بعيدٌ ..
 ويا ليتني أستطيعُ الدخولَ لوقتِ القصيدة ،

لكنَّ فصلَ الجنونِ انتهى من زمانٍ بعيد .

١٩٨٦

فهارس المجموعه

الصفحة	القصيدة
١١	نظرية جديدة لتكوين العالم
١٢	ليست تقال
١٣	محاولات لقتل امرأة
٢٧	التانغو الأخير
٣٣	إلى سمكة قبرصية
٤٢	ثلاث مفاجآت
٤٦	المجديد / الرب العاشق
٤٧	٥ دقائق
٤٩	الديك
٥٠	ترجسية
٥١	بروتوكول
٥٢	التراجيديا

٧٥٨

الصفحة	القصيد
٥٣	الرجل المعذبي
٥٦	نهدان
٥٧	رائحة الكتاب / تدخين
٥٨	موسيقى / طبيعة الرجل
٥٩	الخروج عن النص
٦٣	أريد أن أعيش
٦٤	قراءة في كف امرأة
٦٥	أشهرك في وجه البشاعة
٧٠	الطيران فوق سطح العالم
٨١	درس في اللغة
٨٩	الموت الأخير
٩٠	من ملفات محاكم التفتيش
٩٧	حوار مع يدين
١١٣	ليلة في مناجم الذهب
١٢٩	قبل أن .. بعد أن ..
١٣٧	الحب على شريط تسجيل
١٤١	أنا والنساء
١٥٠	حب تحت الصفر

١٥٩

قالت لي
السمراء..

عذاب

الطبعة الثالثة والثلاثون

نيسان (ابريل) ١٩٨٩

قلبي ، كمنفضة الرماد ، أنا
إن تبشي ما فيه ، تحترقي
شعري أنا قلبي . . . ويظلمني
من لا يرى قلبي على الورق . . .

نزار

مقدمة

الطبعة الأولى الصادرة في أيلول (سبتمبر) ١٩٤٤

بقلم الدكتور منير العجلاني

.. لا تقرأ هذا الديوان ، فما كتب ليقرأ .. ولكنه كتب ليغنى .. ويشم ..
ويضم .. وتجد فيه النفس دنيا ملهمة .
ديوان صغير صغير .. مثل حبيبنا " حسن " الذي لخص له موسى فتونه
بهذه الكلمات : " خلقه الله صغيراً ليأتي أملح وأجمل وأنفذ سحراً . "
يا نزار !
لم تولد في مدرسة المتنبي ، فما أجلك تعنى بشيء من الرثاء والمديح
والحكمة ، وما أجلك تعنى بالبيت الواحد من القصيدة يُضرب مثلاً ، وما
أجلك بعد هذا تعنى بالأساليب التي ألفها شعراؤنا وأودباؤنا وإنما أنت "
شيء جديد " في عالمنا " ومخلوق غريب " .
وكأنني أجد في طبيعتك الشاعرة روائح بودلير وفيرلين والبير سامان
وغيرهم من أصحاب الشعر الرمزي والشعر النقي .
وقد تُوهم بعض أبيات لك ذكرت فيها المخمل ، والطراوات ، ووشوشة
النايات ، وارتعاش الربابات ، أنت تأثرت بشعر الشعراء اللبنانيين
المحدثين . فما أريد أن أبرئك من التأثير بأدبهم ، ولا ضير عليك منه ،
فالإنسان يتأثر برفاقه في المدرسة ، يأخذ ويعطي ، ولكنه إذا كان هو
موهوباً طبع كل شيء بطابعه ، وربما ارتفع فوق رفاقه وفوق أساتذته
درجات .. ومن يدري لعل القدر يخبيء لنا فيك شاعراً عالمياً تسبح أشعاره
من بلد إلى بلد وتتمر من أمة إلى أمة :

كمرور العطور مبتلة الريش
على كل منحني ومضيق ..
كقطيع من المواويل حطت
في ذرى موطني الأنيق .. الأنيق ..
حزمة من توجع الرصد .. رفُّ
من سنونو .. يهْمُّ بالتحليق ..

أمل ! .. ولكنه أمل ركزته في نفسي قصيدتك " اندفاع " . فما أظن أن شاعراً أوروبياً كبيراً يكره أن تنسب هذه القصيدة إليه .
لم تعجبني " اندفاع " لكلمات حلوة أخرجها الشاعر من أعماق القواميس كما تستخرج اللآليء من أعماق البحار ، أو لمعان أبحارٍ لم يسبق إليها .
أعجبتني لأنها قطعوا من الموسيقى نقلتني إلى عالم ملهمٍ ، وبعثت في نفسي خيالاً وحساً يتجدد ولا يغيب .
لا تعينني تفاصيل هذه القصيدة – وهي حسنة في جملتها وفي تفصيلها – ولكن الذي يعينني منها هو أنها استطاعت أن تنقلني من بلاد الاستعارات والتشابيه والأعيب البلاغة .. إلى حلم رفيع أعوم في " سائله المخملي " أتدوق فيه ذوق الشاعر ، وأتخيل أخيلته ، وكأنه ألقى قلبه في أعنف ساعات الوحي .

وبعد .. سألني صاحبُ هذا الديوان أن أكتب له مقدمة ، ولو ملكت الخيار لقلت له : ديوانك كله مقدمة .. إلى كل نفس تحس وتَشعر ..
أما " ورقة إلى القارئ " فتكاد تكون (برنامجاً شعرياً) أو (بياناً عاطفياً) لخص فيه الشاعر نزعاته وأساليبه بما يغني عن كل توطئة ، فهو رمزي ، غريزي ، عفوي . وهذه الكلمات كلها تحتاج إلى شيء من التذييل .
١- شاعرنا رمزي لأنه هو نفسه يقول :

تخيلتُ حتى جعلتُ العطورَ
ثرى .. ويشمُّ اهتزاز الصدى

ولكنه لم يأخذ من الرمزية إلا بمقدار . تبرأ من غموضها ، وجدارها أو شابهها غير متعمد في عنايته بموسيقى الألفاظ منفردة ومجمعة .
أذكر أنني كتبت في معرض الكلام عن الشعر أن الرمزيين يُعنون كثيراً بموسيقى اللفظ ، فإذا أرادوا مثلاً أن يصفوا في بيتين وثبة أسدٍ على حيوان ضعيف ليفترسه ، جاء البيت الأول ضخم نخرج الألفاظ ، والثاني رقيقاً ناعماً كندی الصباح ، فكأن البيت الأول جلود صخر انحط من علٍ ليهشم البيت الثاني ويفترسه .
ولعل من خير الأبيات في الدلالة على قوق الناحية الموسيقية عند الشاعر هذا البيت :

فلولاي ... ما انفتحت وردة

ولا فقع الثدي أو عربدا

فكلمتا " فقع " و " عربد " تشبهان بجرسهما أمواجالتيار الصخّابة
وتريانك – ولو كنت تجهل اللسان العربي – تكوّر الثدي وحركته ...
٢- شاعرنا غريزي أو هو على الأقل يدعي ذلك . ألم يقل لنا :

بأعراقيَ الحمرِ ... امرأةٌ ...
تسيرُ معي في مطاوي الردا
تفحُّ .. وتنفثُ .. في أعظمي
فتجعل من رثتي موقدا ..
هو الجنس احمل في جوهرِي
هيولاهُ ، من شاطيء المبتدا
بتركيب جسمي " جوعٌ " يحنُّ
لآخر .. جوعٌ يمدُّ اليدا ..

وإنك لتجده يصف الشهوة في غير قصيدة واحدة وصفاً لا يخلو من القوة:

عبثاً جهودكِ بي الغريزة مطفأه
إني شبعتكِ جيفةً متقيه ..
مهما كتمتِ .. ففي عيونكِ رغبةٌ
تدعو ، وفي شفتيكِ تحترق امرأةٌ ..
انا لا تحركني العجائز .. فارجعي
لكِ أربعونَ .. وأي ذكرى سيئه ..

ولكنه لم يستطع أن ينزل مع الشهوانيين إلى قرارة الجحيم الذي يسكنونه.
فحسبنا وحسبه المدى الذي بلغه . ولعل الأتقياء يجدون سبيلاً إلى الطعن ،
وإن يكن أحاط نفسه في كل قصيدة بطلاسم يستنكر فيها الإثم ، ولكنه في
الواقع إنما يستنكر الجريمة ، كزواج فتاة من شيخ مثلاً ، لأنه إنما ينظر
إليها بعيون الفن لا بعيون الفضيلة . وهذا دليل آخر على شاعريته .
على أن شاعرنا إن لم يكن منحللاً في الشهوة ، فقد وُفق في وصف
الجمال ، والحب البكر توفيقاً بعيداً ، حتى لتكاد تشعر وأنت تنشد بعض
قصائده أنك في عرس من أعراس الآلهة ، وأنها تخاطب بلسانه .

أما جمال حسناؤه فقد صنع له صورة لا تختلف عن صورة الرسام إلا
بأنها تتكلم .. وإلا بأنها شاعرة وعاشقة :

قميصكِ الأخضرُ .. من يا ترى
باعكِ هذا اللون ، قولي .. اصدقي
أمن ضفاف " السين " خياطتهُ
واللونُ .. من " دانوبه الأزرقِ " .
أم من صغير العشب لملمته ..
في سلة بيضاء من زنبق ..

أو هذه الأغنية في شقرائه :

شقراءُ .. يا فرحة عشريننا
ونكهة الزقِّ .. وهزج الفراشُ
نمشي .. فيندى العشب من تحتنا
وفوقنا للياسمين اعتراشُ ..
ونشربُ الليلَ صدى " مَيجنا " .
وصوت فلاح .. وعودَ مواشُ

يا لهذه الصورة .. ما أحلاها .. وما أنداها .. وما أحيها .. ألا ترى من
خلالها فتنة العيون الخضر .. وتشرب مناجاة العاشقين كما يشربان هما
صوت " الميجنا " ..

٣- نزار عفويّ . يريد بذلك أنه لا يتكلف صناعة الشعر تكلفاً ، ولا يكتب
ليلقن أستاذاً في مدرسة صغار التلاميذ أشعاره :

عزفتُ .. ولم اطلب النجم بيتاً
ولا كان حلمي أن اخلدا ..
إذا قيل عني " أحس " كفاني
ولا أطلبُ " الشاعر الجيدا " ..
شعرتُ " بشيء " فكونت " شيئاً " .
بعفوية دون أن أقصدا ...

ولعل نزاراً بعد هذا ، لا يعتذر عن عفويته ، فالشاعر كما يقول " فرنسيس جامس " طفل ، وإذا لم يكن طفلاً ، سانجاً ، بريئاً يتكلم من قلبه بطل أن يكون شاعراً عظيماً .
أما أسلوب نزار ، من ناحية اللغة ، فقد نستطيع أن نسميه " السهل الممتنع " . وربما استعمل تراكيب عامية ، ولكن هذا قليل جداً . والألفاظ العامية التي اختارها فيها قوة وإغراء . ولولا هذه القوة في كلمات الشعب ما استعارها شاعر كشكسبير مثلاً .
وبعد .. وبعد .. ماذا أذكر من قصائد هذا الديوان وماذا أدع ؟ .. لو سئلت عن محاسنها لأجبتُ كما أجاب بودلير شيطانه :
" إنها تشبه نعنعة الماء ، لا يفضل بعضها على بعض ، تنفث السحر كالفجر ، وتغدق السلوى كالليل ، نفسها يتصاعد موسيقى ، وصوتها يوضع طيباً .. "

* * *

نزار !
لا أسألك .. لا أسألُ الله إلا شيئاً واحداً .. أن تبقى كما أنت ، طفلاً يصور .. ويغني .. ويعشق ..
كأنه ملاكٌ يمشي على الأرض ويعيش في السماء .. لا يطلب " الشاعر الخالد " .
فإن " الشاعر الخالد " الذي يعيش في الجامعات العلمية والمكتبات الأثرية .. يجر وراءه في الطريق الصحراء القاحلة .. وعفونة جماعةٍ من أغبياء المعلمين ..
أما أنت .. فغنك تمر مرورَ الموكب الملكيِّ .. أو الملائكي :

مررت .. أم نوار مر هنا
لولاك وجه الأرض لم يُعشَب
تمهلي في السير .. هل رغبةً
ظلتُ بصدر الدرب .. لم ترغب ..
شارعنا .. أنكر تاريخه ..
والتف بالعقد .. وبالجورب
أزرعنا .. أزرع أشواقنا
تهتفُ بالذهاب .. لا تذهب ..
دوسي .. فمن خطوك قد زرر
الرصيفُ .. يا للموسم الطيب ..

يا للموسم الطيب !
ما أجد أحلى من هذه الكلمة في تحية ديوانك .

منير العجلاني

أيلول (سبتمبر) ١٩٤٤

ورقة إلى القارئ

كميس الهوادج .. شرقيةً
ترش على الشمس حلو الحدا ..

كدندنة البدو .. فوق سريرٍ
من الرمل ، ينشف فيه الندى

ومثل بكاء المآذن .. سرت
إلى الله ، أرح صحو المدى

أعبيء جيبني نجومًا .. وأبني
على مقعد الشمس لي مقعدا

ويبكي الغروب على شرفتي
ويبكي لأمنحه موعدًا ..

شراعٌ أنا .. لا يطيق الوصول
ضياغٌ أنا .. لا يريد الهدى

حروفي ، جموع السنونو ، تمد
على الصحو معطفها الأسودا

أنا الحرف . أعصابه . نبضه .
تمزقه قبل أن يولدا ..

أنا لبلادي .. لنجماتها
لغيماتها .. للشذا .. للندى

سفحت قوارير لوني نهواراً ..
على وطني الأخضر المفتدى

ونتفت في الجو ريشي صعوداً

ومن شرف الفكر أن يصعدا
تخيلتُ حتى جعلت العطور ترى
ويشم إهتزاز الصدى ..

* * *

بأعراقي الحمر .. امرأة
تسير معي في مطاوي الردا
تفح .. وتنفخ في أعظمي
فتجعل من رنتي موقدا ..

هو الجنس أحمل في جوهرني
هيولاه من شاطيء المبتدا

بتركيب جسمي .. جوع يحن
لآخر .. جوع يمد اليدا

أتحسب أنك غيري ؟ ضللت
فإن لنا العنصر الأوحدا

جمالك مني .. فلولا لم تك
شيئاً ... ولولا لن توجدا

ولولا ما انتفحت وردة
ولا فقع الثدي أو عربدا

صنعتك من أضلعي .. لا تكن
جحوداً لصنعي أو ملحدا

أضاعك قلبي ، ولما وجدتك
يوما بدربي .. وجدت الهدى

عَزَفْتُ ولم أطلب النجم بيتاً
ولا كان حلمي أن أخلدا

إذا قيل عني " أحس " كفاني
ولا أطلب " الشاعر الجيدا "

شعرت " بشيء " فكونت " شيئاً "
بعفوية ، دون ان أقصدا

* * *

فيا قارئى .. يا رفيق الطريق
أنا الشفتان .. وأنت الصدى

سألتك بالله .. كن ناعماً
إذا ما ضمنت حروفي غداً ..

تذكر .. وأنت تمر عليها
عذاب الحروف .. لكي توجدا ..

* * *

سأرتاح .. لم يكُ معنى وجودي
فضولاً .. ولا كان عمري سدى

فما مات من في الزمان ..
أحب .. ولا مات من غردا

مذعورة الفستان

مذعورة الفستان .. لاتهربى
لي رأي فنان ، وعينا نبي

شارعنا أنكر تاريخه
والتف بالعقد .. وبالجورب

والتهم الخيط .. وما تحته
وأتعب الخصر ولم يتعب

واقترح النهد .. وأسواره
ولم يعد من ذلك الكوكب

شارعنا يمشي على شوقه
يمشي على جرح هوى مرعب

يمشي بلا وعي ولا غاية
مثلك ، يا مبهمة المطلب

حركت بالإيقاع أحجاره
فاندفعت في عزة الموكب

فديت يا ساحبةً خلقها
شيئاً من الليل .. من المغرب

أهذه أنت ؟ صباحي رضا
أعمارنا قبلك لم تكتب .

تمهلي في السير .. هل رغبة
ظلت بصدر الدرب لم ترغب ؟

هل حجر - إذا لحت - لم يلتفت
لم ينسجم . لم يبك . لم يطرب

تسلسلي ، مفتاح رصد ، ثبي
فراشة بيضاء ، في ملعب

* * *

مخضرة الخطوة .. لا تجفلي
هل نغضب الوردة .. كي تغضبي؟

مشى بك المقهى .. مشى حيناً
خلف حفيف المنزر المطرب

نحن افتكارُ الجرح في نفسه
حلم طيور البحر بالمركب

أزرعنا . أزرع أشواقنا
تهتف بالذهاب : لا تذهب !

نحن ! دعي نحن .. أيا واحدة
يحلم فيها كل مسترطب ..

مررت .. أم نوار مر هنا؟
لولاك وجه الأرض لم يعشب

دوسي . فمن خطوك قد زرر
الرصيف . يا للموسم الطيب ..

مكابرة

تراني أحبك؟ لا أعلمُ
سؤال يحيط به المبهمُ

وان كان حبي افتراضاً . لماذا؟
إذا لحت طاش برأسي الدمُ

وحرار الجواب بحنجرتي
وجف النداء .. ومات الفمُ

وفر وراءَ ردائكَ قلبي
ليلثم منك الذي يِلثمُ

تراني أحبك؟ لا . لا . محالٌ
أنا لا أحب .. ولا أغرمُ

* * *

وفي الليل . تبكي الوسادة تحتي
وتطفو على مضجعي الأنجمُ

وأسأل قلبي : أتعرفها؟
فيضحك مني ولا أفهمُ

تراني أحبك؟ لا . لا . محالٌ
أنا لا أحب .. ولا أغرمُ

* * *

وإن كنتُ لستُ أحبُّ .. تراهُ
لمن كل هذا الذي أنظمُ؟

وتلكَ القصائدُ أشدو بها
أما خلقها امرأةٌ تلهمُ؟

تراني أحبك؟ لا . لا . محالٌ
أنا لا أحب .. ولا أغرمُ

* * *

إلى أن يضيقَ فؤادي بسري
ألح . وأرجو . وأستفهمُ

فيهمسُ لي : أنتَ تعبُدُها
لماذا تكابرُ .. أو تكتمُ ؟

الموعد الاول

.. ويمنحني ثغرها موعدا
فيخضر في شفتيها الصدى
وأمضي إليها .. أنا شهقات القلوع
تغازلُ لونَ المدى ..
وأين القرارُ ؟ سبقت الزمانَ
سبقتُ المكانَ .. سبقتُ غدا
أخوضُ في الصبح .. ملءَ طريقي
أريجُ .. وملءَ قميصي ندى
يدي في ذراعك .. أين الضياع
تخافينه ؟ نحن نهدي الهدى
أحبك فوق التصور .. فوق
المسافات .. فوق حكايا العدا
جرخت الأزاميل فيك .. حملتُ
إلى شعرك القمرَ الأسودا ..
وشجعتُ نهديك .. فاستكبرا
على الله حتى .. لم يسجدا !!

أكتبي لي

إلي أكتبي ما شئت .. إنني أحبه
وأتلوه شعراً .. ذلك الأدب الحلوا

وتمتص أهدابي انحناءات ريشةٍ
نسائية الرعشات .. ناعمة النجوى

عليّ اقْصُصي أنباءَ نفسكِ .. وابعثي
بشكواكِ ، من مثلي يشارككِ الشكوى ؟

لتفرحني تلك الوريقاتُ حُبرتُ
كما تفرحُ الطفلَ الألاعيبُ والحلوى

وما كان يأتي الصبرُ .. لولا صحائفُ
تسلمُ لي سرّاً .. فتلهمني السلوى

أحن إلى الخط المليس .. ورقعةٍ
تطير كالنجماتِ أحرفها النشوى

أحسُّك ما بين السطور ضحوكةٌ
تحدثني عيناك في رقعةٍ قصوى

تغلغلت في بال الحروف مشاتلاً
وصتا حريري الصدى ، وداعاً ، حلوا

رسائلك الخضراء .. تحيا بمكتبي
مساكب وردٍ تنشر الخير والصحوا

زرعت جواريري شذاً وبراغماً
وأجريت في أخشابها الماء والسروا ..

إليّ اكتبني إما وُجدت وحيدةً
تدغدغك الأحلامُ في ذلك المأوى

ومرت على لين الوسادة صورتي
تخضبها دمعاً .. وتغرقها شجوا

وما بك ترتابين ؟ هل من غضاضة
إذا كتبت أخت الهوى للتي تهوى ؟

ثقي بالشذا يجري بشعرك أنهرأ
رسائلك النعماء في أضلعي تُطوى

فلستُ أنا من يستغل صبيةً
ليجعلها في الناس أقصوصةً تُروى

فما زالَ عندي - برغم سوابقي -
بقيةُ أخلاق .. وشيءٌ من التقوى

أمام قصرها

متى تجيئين ؟ قولي
لموعدٍ مستحيلٍ

يعيش في الظن .. فوق
الوقوع .. فوق الحصول

وأنت .. لا شيء إلا
وعد ببال الحقول

وأنت خيط سرابٍ
يموتُ قبل الوصول

ظل التصاميم تمشي
في جبهة الإزميل ..

* * *

أنا على الباب .. أرجو
انزياح سترٍ صقيلٍ

يلهو الشتاء بشعري
ومعطفي المبلول.

أشقى .. وأنتِ استليني
ريش الوسادِ النبيلِ.

طيف تتلج .. خلفَ
الزجاج .. هيا افتحي لي ..

* * *

من أنتَ ؟ وارتاعَ نهْدُ
طفْلٌ .. كثيرَ الفضولِ.

من أنتَ ؟ أوجعتَ حتى
تفتنا إلى القميصِ الكسولِ.

أوجعتَ أكداسَ لوزٍ
فديتَ منْ مجهولِ ..

أنا بقايا البقايا
من عهدِ جرِ الذبولِ.

أهواكِ مُذْ كنتِ صُغرى
كصفحةِ الإنجيلِ.

ومن زمانٍ .. زمانٍ
ومن طويلٍ .. طويلٍ ..

وكنتُ أغمسُ وجهي
في شعركِ المجدولِ.

في شكلِ وجهكِ أقرأ

شكل الإله الجميل ..

* * *

متى؟! وُردتْ صلاتي
مع انهماك السدول

إندفاع

أريدك
أعرفُ أنني أريد المحال
وأنتك فوق إهداء الخيال
وفوق الحيازة ، فوق النوال
وأطيبُ ما في الطيوب
وأجملُ ما في الجمال

* * *

أريدك
أعرفُ أنك ، لا شيءَ غيرُ احتمال
وغيرُ افتراضٍ
وغير سؤالٍ ، ينادي سؤال
ووعدٍ ببال العناقيد
بال الدوال

* * *

أريدك
أعرفُ أن النجوم
أروم
ودون هوانا تقوم
تخوم
طوال .. طوال
كلون المحال

كرجع المواويل بين الجبال
ولكن .. على الرغم مما هو
وأسطورة الجاه والمستوى
أجوبُ عليكِ الذرى والتلالُ
وأفتحُ عنكِ
عيونَ الكوى
وأمشي .. لعلِّي ذاتَ زوالِ
أراكِ .. على شقرة الملتوى
ويوم تلوحينَ لي
على لوحة المغربِ المخملي
تباشيرَ شالٍ ..
يجر نجومًا
يجر كرومًا
يجر غلالًا
سأعرفُ أنكِ أصبحتِ لي
وأني لمستُ حدودَ المحالِ

أنا محرومة

لا أمه لانتي .. ولا أمي
وحبه ينامُ في عظمي

إن خبأتُ أمي بصندوقها
شالي . فلي شالُ من الغيمِ

أو أصدوا الشباك كي لا أرى
فتحت شباكاً من الوهمِ

ما أشفقَ الناسُ على حبنا
وأشفقتُ مساندُ الكرمِ

أحبُّ عطرَ الجرحِ من أجله
فهلُ تراهمُ عطروا همي

أما بذرنا الرصدَ والميجنا
هناك في جنينة النجم ..

قوافلُ الأقمار من رسمه
وما تبقى كله رسمي ..

وقبلنا لا شالَ شالٌ .. ولا
أدرك خصرُ نعمة الضم

من فضلنا ، من بعض أفضالنا
أنا اخترعنا عالم الحلم ..

في المقهى

بجواري اتخذت مقعدها
كوعاء الورد في اطمئنانها

وكتابٌ ضارِعٌ في يدها
يحصد الفضلة من إيمانها

يثب الفنجان من لهفته
في يدي ، شوقاً إلى فنجانها

آه من قبعة الشمس التي
يلهثُ الصيف على خيطانها

جولة الضوء على ركبته
زلزلت روعي من أركانها

هي من فنجانها شاربةٌ
وأنا أشربُ من أجفانها

قصة العينين .. تستعبدني
من رأى الأنجم في طوفانها

كلما حدقتُ فيها ضحكتُ
وتعري الثلج في أسنانها

* * *

شاركيني قهوة الصُّبح .. ولا
تدفني نفسك في أشجانها

إنني جارك يا سيدتي
والرَبى تسألُ عن جيرانها

من أنا؟ خلي السؤالات . أنا
لوحة تبحثُ عن ألوانها

* * *

موعداً ، سيدتي ! وابتسمتُ
وأشارتُ لي إلى عنوانها ..

وتطلعت فلم ألمح سوى
طبعةِ الحمرة في فجانها

إسمها

إسمُها في فمي .. بكاءُ النوافيرِ
رحيلُ الشذا .. حقولُ الشقيقِ

حزمةٌ من توجع الرصدِ .. رفُ
من سنونو يهيم بالتحليقِ

كنهور الفيروز يهدرُ في روعي
وينساب في شعوري العميقِ

كلهات الكروم ، كالنشوة الشقراء
غامت على فم الإبريق.

كمرور الطيور مبتلة الريش.
على كل منحنى ومضيق ..

كحريير النهذ المَهزِهز .. فيه
علق الله قطرةً من عقيق ..

كقطيعٍ من المواويل .. حطت
في ذرى موطني الأنيق الأنيق.

إسمها .. ركضة النبيذ بأعصابي
وزحف النسور طي عروقي

شفتي ، كالمزارع الخضر ، إن مرَّ
كنيسان ، كالربيع الوريق.

أحرفٌ خمسة كأوتار عودٍ
كترانيم معبدٍ إغريقي ..

أحرفٌ خمسة .. أشفٌ من الضوء
وأشهى من نكهة التطويق.

* * *

إسمك الحلو .. أي دنيا تناغيني
وتهدي إلى النبوغ طريقي !

غرفتها

في الحجرة الزرقاء .. أحيا أنا
بعدك ، يا أخت ، أصلي الرياشُ

وأمسح المهد الذي لفنا
وفيه برعمنا الحرير افتراشُ

ليلات ذرنا تشاويقنا
فساح بالأطيباب منا الفراشُ

وثديك الفلي .. كوم سنا
يغمى على البياض منه القماشُ

* * *

شقراء .. لا أعدمها لثغةً
يعيا بها ثغرك عند النقاشُ

شقراء .. هل أحيا على صورة
ومن على الألوان والظل عاشُ؟

منديلك الخمري .. أحيا به
ففيه من طيبك بعض الرشاشُ

وها هنا رسالة .. نثرك الغالي .. بها
أخفيه عن كل واشُ

أعز ما خلفت لي خصلةً
حبيبةً تهتز فوق الفراشُ

تظل .. إما جنئت ألتمها
تهفو إلى منبتها في ارتعاشُ

شقراء .. يا فرحة عشريننا
ونكهة الزق .. وهزج الفراشُ

شقراء .. يا يوما على المنحنى

طاش به ثغري .. وثغرك طاشُ

نمشي فيندي العشب من تحتنا
وفوقنا للياسمين اعتراشُ

ونشرب الليل ، صدى ميحنا
وصوت أجراسٍ .. وعود مواشُ

قولي .. ألا يغريك لون الدنيا
لعود .. فالطير أتت للعشاشُ

مرثية العينين

زيتية العيني .. لا تغلقي
يسلم هذا الشفق الفسقي

رحلتنا في نصف فيروزه
أغرقت الدنيا ولم تغرق ..

في أبدٍ . يبدأ ولا ينتهي
في ألف دنيا ، بعد ، لم تخلق .

في جزرٍ تبحث عن نفسها
ومطلق يولد من مطلق .

وتنتهي الدنيا ولا ينتهي
تشردي في غابة الفسق .

* * *

قميصك الأخضرُ .. من يا ترى
باعك هذا اللون .. قولي . اصدقي

أمن ضفاف (السين) خياطه

واللون من دانوبه الأزرقِـ

أم من صغير العشب لملمتهِـ
في سلة بيضاء من زنبقِـ

بحيرةٌ خضراءُ في شطها
نامت صبايا النور .. لم تتقي

كأنما عينكِ وسط الضيا
صفصافة تحت الضحى الزنبقي

عريشة كسلى على سفحها
عنقودها بالشمس لم يحرقِـ

* * *

شباكي الصغيرُ .. يفضي إلى
فسقية .. يفضي إلى المشرقِـ

إلى نوافير رمادية
تبكي بصوت أزرق .. أزرقِـ

يفضي إلى لا حيثُ .. شباكنا
يفضي إلا لا منتهى شيقِـ

من ألف عام وأنا مبحرُ
ولم أصل .. ولم يصل زورقي

أمضي على زمرد دافىء
يرهقني .. فديت يا مرهقي

وشوشة المياه مسموعة
من خلف خلف الهدب المطرقِـ

قطراتُ فيروزٍ على جبهتي
منك ، على شعري .. على مفريقي

يا مطر العينين .. لا تنقطع
أنا حنين الطيب للدورق.

لا تنقطع ثانيةً .. إنني
جوع الربى للأخضر المورق.

يا مرفأ الفيروز .. يا متعباً
سفینتی . لابد أن نلتقي

حبیبة وشتاء

.. وكان الوعد أن تأتي شتاء
لقد رحل الشتا .. ومضى الربيعُ

وأقفرت الدروبُ ، فلا حكايا
تطرزها ، ولا ثوبٌ بديعُ .

ولا شالٌ يشيلُ على ذرانا
ولا خبرٌ .. ولا خبرٌ يشيعُ

وهاجرَ كل عصفور صديق
وماتَ الطيبُ ، وارتمت الجذوعُ

حبیبةً .. قد تقضى العامُ عنا
ولم يسعد بك الكوخُ الوديعُ

ففي بابي يُرى أيلولُ يبكي
وفوق زجاج نافذتي دُموعُ

ويسعل صدرُ موقدتي لهيباً

فيسخنُ في شراييني النجيع

تلتفتُ الستائرُ في حنينٍ
وتذهل لوحةً .. ويجوعُ جوعُ

* * *

أحبكِ .. في مراهقة الدوالي
وفيما يضمّر الكرمُ الرضيعُ

وفي تشرينَ ، في الحطبِ المغني
وفي الأوتار عذبها الهجوغُ

وفي كرم الغمام في بلادي
وفي النجمات في وطني تضيعُ

أحبكِ .. مقلةً وصفاء عين
إليها قبلُ .. ما اهتدت القلوعُ

أحبكِ .. لا يحد هواي حد
ولا ادعت الضمائر والضلوع

أشم فيك رائحةَ المراعي
ويلهث في ضفائركِ القطيعُ ..

أقبلُ إذْ أقبله حقولاً
ويلثمّني على شفّتي الربيعُ

أنا كالحقل منكِ .. فكل عضوٍ
بجسمي ، من هواك ، شداً يضوغُ

* * *

جهنمي الصغيرة .. لا تخافي
فهل يظفي جهنم .. مستطيع ؟

فلا تخشي الشتاء ولا قواه
ففي شفتيك يحترق الصقيع

مساء

قفي .. كستنائية الحصلات ..
معي ، في صلاة المساء التائبة

نرّ الليل يرصفُ نجماته
على كتف القرية الراهبة

ويرسمُ فوق قراميدها
شريطاً من الصور الخالبه

قفي .. وانظري ما أحب ذرانا
وأسخى أناملها الواهيه

مواويل تلمسُ سقفَ بلادي
وترسو على الأنجم الغاربه

على كرز الأفق قام المساءُ
يعلق لوحاته الشاحبه

وتشرين شهرُ مواعيدها
يُلوحُ بالديم الشاكبه

بيادرُ كانت مع الصيف ملأى
تنادي عصافيرها الهاربه

وفضلات قش .. وطرُ وجيع
وصوتُ سننونةٍ ذاهبه

شحوبٌ .. شحوبٌ على مدِّ عيني
وشمسٌ كأمنيةٍ خائبةٌ

إطارٌ حزينٌ لأحبك فيه
وفي الحرجِ يستنظر الحاطبةُ

وفي عبق الخبز في ضيعتي
وطفرات تنورةٍ آيبهٌ ..

وفي جرسِ الديرِ يبكي .. ويبكي
وفي الشوح ، في ناره اللاهبةُ

وفي النهدي يعلك طوقَ الحرير
وفي نخوةِ الحلمةِ الغاضبةُ ..

أحبك .. حرفاً ببالِ الدواةِ
ووعداً على الشفةِ الكاذبةِ

وخضراً يعيش بنعمي يدٍ
ويحلمُ بالراحةِ الغاضبةِ

وفي اللون .. في الصوت .. في كل شيء
وفي الله .. في دمعةِ الراهبةِ

أحبك أوسعَ من كل دنيا
ومن مدعى الريشةِ الكاتبةِ

خاتمة الخطبة

ويحك ! في إصبعكِ المخملي
حملتِ جثمانِ الهوى الأولِ

تهنئني .. يا من طعنتِ الهوى

في الخلف .. في جانبه الأعزل

قد تخجل اللبوة من صيدها
يوماً ، فهل حاولت أن تخجلي ؟

بائعتي بزائفات الحلى
بخاتم في طرف الأنمل

بوهج أطواق خرفية
وبالفراء ، الباذخ ، الأهدل

* * *

أعقد ماسٍ وانتهى حبنا ؟
فلا أن منك .. ولا أنت لي ..

وكل ما قلنا . وما لم نقل
وبوحنا في جانب المنقل

تساقطت صرعى على خاتم
كالليل ، كاللعة ، كالمنجل ..

* * *

كيف تأمرت على حبنا
وعامه الأول .. لم يكمل ..

جذلى .. وفي مآتم أشواقنا ؟
جذلى .. ونعش الحب لم يقفل ؟

والخاتم الزاهي ، خريف المنى
يرصدني كالقدر المنزل

يخبرني أن زمانَ الشذا
راح ، وغازتُ صيحةُ البلبلِ

* * *

بائعتي .. بائعةً نفسها
ماذا تمنيت ولم أفعل ؟

نصبت فوق النجم أرجوحتي
وبالذما رسمت مستقبلي

وبيتنا الموعودُ .. عمرتهُ
من زهرات اللوز ، كي تنزلي

قلعتُ أهداً .. وسورتهُ
ورداً على الشرفة .. والمدخلِ

أرقبُ أن تأتي كما يرقبُ
الراعي طلوعَ الأحضر المقبلِ ..

* * *

صدفتِ عني .. حين ألفتني
تجارتي الفكرُ .. ولا مالَ لي

أبني بيوتي في السحابِ القصي
فيكتسي الصباحُ من مغزلي

جواهرُ تكمنُ في جبهتي
أثمنُ من لؤلؤك المرسلِ

* * *

سبيةَ الدينار ، سيرى إلى
شاريكِ بالنقود .. والمخملِ

لم اتصور أن يكون على
اليد التي عبدتها .. مقتلي !!

سمفونية على الرصيف

سيري .. ففي ساقيك نهرا أغاني
أطرى من الحجاز .. والأصبهاني

بكاءً سمفونية حلوّة
يغزلها هناك .. قوسا كمان

أنا هنا .. متابع نغمة
قادمة من غابة البيلسان

أنا هنا .. وفي يدي ثروة
عيناك .. والليل .. وصوت البيان

لا تقطعي الإيقاع .. لا تقطعي
ودمري حولي حدود الثواني

وأبحري في جرح جرحي .. أنا
لشهوتي صوتٌ .. لجوعي يدان

* * *

اليوم .. أصبحنا على ضجةٍ
قبل اختفت من حُرُجنا .. سروتان

قبل اختفت أطول صفصافة
أطول ما في السفح من خيزران

سارقة أغنى حواكيرنا
سارقة اللباب والأقحوان

مدينتي قد ضيعت نفسها
وهاجرت مع الحرير اليماني

وودعت تاريخ تاريخها
وضيعت زمانها من زمان

وداعبت نهذاً كالعوبة
تصبح إن دغدغها إصبعان ..

نهذاً لجوجاً فيه تيه الذرى
وما لدى ربي من عنفوان

مدينتي ! لم يبق شيء هنا
لم يبتفض ، لم يرتعش من حنان

* * *

شيرى .. فإني لم أزل منصتاً
لقصة تكتبها فلتان ..

نحن انسجام كامل .. واصلي
عزفك .. ما أروع صوت البيان

إلى مصطافة

أنت على المنحنى تقعين ؟
لها رثتي هذه القاعدة ..

مشاوير تموز .. عادت وعدنا
لننهب دالية راقده ..

لنسرَقَ تيناً من الحقل فجاً
لننقَفَ عصفورةً شاردةً

لأفرطَ حباتِ توتِ السياجِ
واطعمَ حلمتكِ الناهدةً

لأغزلَ غيمَ بلادي شريطاً
يلفُ جدائلكِ الراحدةً

لأغسلَ رجلكِ يا طفلتي
بماءِ ينابيعها الباردةً

* * *

سماويةَ العينِ .. مصطافتي
على كتفِ القريةِ الساجدةً

أحبك .. في لهو بيض الخراف
وفي مرح العنزة الصاعدةً

وفي زمر السرو والسنديان
وفي كل صفصافة ماردةً

وفي مقطع من أغاني جبالي
تغنيه فلاحه عائدةً

* * *

صديقةُ . إن العصافير عادتُ
لتنقر من جعبة الحاصدةً

أحبك أنقى من الثلج قلباً
وأطهر من سبحة العابدةً

حلمتِ اندفاعاً هذا الصبي
كما احتملت طفلها الوائدُ

أحبكِ .. زوبعةً من شبابٍ
بعشرين لا تعرف العاقبةُ

جموع السنونو على الأفق لاحتُ
فلوحي .. ولو مرةً واحدةً ..

فم

في وجهها يدور .. كالبرعمِ
بمثله الأعلامُ لم تحلمِ

كلوحةٍ ناجحةٍ .. لونها
أثارَ حتى حائطَ المرسمِ

كفكرةٍ .. جناحها أحمرٌ
كجملةٍ قيلتْ .. ولم تفهمِ

كنجمةٍ قد ضيعتْ دربها
في خصلات الأسود المعتمِ

زجاجةٌ للطيب مختومةٌ
ليتَ أواني الطيب لم تختمِ

* * *

من أين يا ربي عصرتَ الجنى ؟
وكيف فكرتَ بهذا الفمِ

وكيف بالغتَ بتدويره ؟
وكيف وزعتَ نقاطَ الدمِ ؟

وكيف بالتواييب سورته
بالورد ، بالعناب ، بالعندم ؟

وكيف ركزت إلى جنبه
غمازةً .. تهزأ بالأنجم ..

كم سنةً .. ضيقت في نحتي ؟
قل لي . ألم تتعب .. ألم تسأم ؟

* * *

منظمة الشفاه .. لا تفصحي
أريد أن أبقى بوهم الفم ..

أحبك

أحبك .. لا أدري حدود محبتي
طباعي أعاصير .. وعاطفتي سيل

وأعرف أنني متعب يا صديقتي
وأعرف أنني أهوج .. وأنني طفل

أحبُّ بأعصابي ، أحب بريشتي
أحب بكلي .. لا اعتدال ، ولا عقل

أنا الحبُّ عندي جدُّه وتطرف
وتكسير أبعاد .. ونار لها أكل

وتحطيم أسوار الثواني بلمحة
وفتح سماء كلها أعين شهل

وتخطيط اكوان ، وتعمير أنجم
ورسم زمان .. ماله .. ماله شكل

أنا ما انا .. فلتقبليني مغامراً
تجارتُهُ الأشباح ، والوهم ، والليلُ

* * *

أحبكِ تعترينَ في خمسَ عشرةِ
ونهدك في خيرٍ .. وخصركِ معتل

وصدركِ مملوءٌ بألفِ هديةِ
وثغركِ دفاقُ الينابيعِ مبتلُ

تعيشينَ بي كالعطرِ يحيا بوردةِ
وكالخميرِ في جوفِ الخوابي لها فعلُ

وقبلكِ لم أوجدُ .. فلما مررتِ بي
تساءلتِ في نفسي : ترى كنتُ من قبلُ ؟

بعينيكِ .. قد خبأتُ أحلةِ قصائدي
إذا كان فضلُ الغنا .. فلكِ الفضلُ

مسافرة

جئتُها نازفِ الجراحِ ، فقالتُ :
شاعرَ الحبِ والأناشيدِ .. ما بكِ ؟

ذاك منديليَ الصغيرِ .. فكفكفُ
قطراتِ الأسى على أهدابكُ

نمُ على زندي الرحيمِ .. وأشفقُ
يا رفيقَ الصبا .. على أعصابكُ

إرفعِ الرأسَ ، والتفتِ لي قليلاً
يا صغيري ، أكأبتني باكتئابكُ

ممكناً أن نظل بعدُ صديقينِ
تفاءلُ .. ألم تزلُ في ارتيابكُ ؟

* * *

ما تقولينَ ؟ كيفَ أحملَ جرحي
بيمينِي .. كيفَ احتمالَ اغترابكُ

أينَ تمضينَ ؟ كيفَ تمضينَ ؟ ردي
وأغاني ضارعاتُ ببابكُ

وببיתי من ضوءِ عينيكِ ضوءُ
وبقايا من رائعاتِ ثيابكُ

أنتَ لي رحمةٌ من الله بيضاءُ
أحس السلامَ في أعتابكُ

أنتَ كوخُ الأحلامِ أوي إليه
أشربُ الصمتَ في حمى أعشابكُ

أنتَ شطُّ اغفتَ عليه الهناتُ
وقلعي حيرانَ فوقَ عبابكُ

أنتَ حاولتُ خمرتي إن طغى الدهرُ
وجدتُ السلوانَ في أكوابكُ

أنتَ كرمي الدفيقُ .. لو يُعبدُ الكرمُ
عبدتُ النيرانَ في أعنابكُ

* * *

مسحتُ جبتهِي .. بأنملها الخمس

وفكت لي شعري المتشابك

يا صديقي وشاعري : لا تمكن
قبضة اليأس من طموح شبابك

أنت للفن .. قد خلقت وللشعر ..
سيهدي الدنيا بريق شهابك

أنا دعني أسير .. هذا طريقي
وامش يا شاعري إلى محرابك

ما خلقنا لبعضنا .. يا حبيبي
فابق للفن .. للغنا .. لكتابك ..

القرط الطويل

جاران للساالف .. من ذا رأى
على بساط .. رزمتي جوهر

قد فكتنا .. فانفرطت أنجم
على طريق معشب .. مزهر ..

حبلا بريق .. رافقا جيدها
واستأنسا بالهذب والمحجر

وشوشة المياه .. مسموعة
من مقعدي ، وضجة الأنهر

يا طيب شالين من فضة
سالا على مقالع المرمر

كم غلغلا خلف ذواباتها
وخوضا في المسك والعنبر ..

ما تعباً رقصاً على جيدها
ولا انتهى الهمسُ مع المنزر.

أرجوجةٌ من قلقي خيبتها
من نزق المدور الأسمر ..

أسلاكها تمضي على كيفها
تمضي .. وتمضي .. في مدى مقمر.

تحط إن شاءت على شعرها
أو .. لا .. ففوق البؤبؤ الأخضر ..

يردني القرط كأني به ..
يخافُ أن أعلق بالأحمر.

رغم امتناع القرط .. اجتاحه
أشرس من عصفورة البيدر ..

مرافعة النهدي

تزلق فوق ربوتي لذة
ناعمة .. دارت على ناعم.

خمرية كلون عاطفتي
واهمة مثل غدي الواهم.

تنشق من مزرعتي زنبق
زررتا .. للموسم القادم.

تؤويهما .. تحميهما من أذى
من الهوى .. من الشتا الهاجم.

وتغزل الغزل لكي يدفاً
كي يهنأ .. في المخبأ الحالم.

وتطعمُ الإثنينِ .. من قلبها
من لحمها .. من خيطها الفاغمِ

تذاعبُ الواحدَ زِ إِمَّا صَحَا
وئسْدُلُ السِترَ على النَّائمِ

* * *

رافعةُ النهْدِ .. احيطي بهِ
كوني لهِ أحنَى من الخاتمِ

قد يَجْرَحُ الدنتيلُ إحساسه
فخففي من قيدك الظالمِ ..

هذا الذي بالغتِ في ضمهِ
أثمن ما أخرجَ للعالمِ ..

نهداك

سمراءُ .. صبي نهدك الأسمرَ في دنيا فمي
نهداكِ نبعًا لذة حمراء تشعل لي دمي
متمردان على السماء ، على القميص المنعم
صنمانِ عاجيانِ ... قد ماجا ببحرٍ مضرم
صنمان .. إني أعبُدُ الأصنامَ رغم تـأثمي

فكي الغلالة .. واحسري عن نهدك المتضرم
لا تكبتي النارَ الحبيسة ، وارتعاشَ الأعظم
نار الهوى ، في حلمتيك ، أكولة كجهنم
خمريتان .. احمرتا بلظى الدمِ المتهجمِ ..
محروقتان .. بشوة تبكي ، وصبرٍ ملجم

نهداكِ وحشيان .. والمصباح مشدوه الفم
والضوء منعكس على مجرى الحليب المعتم

وأنا أمأدي .. وأسرق من حقول الأنجم
والحلمة الحمقاء .. ترصدني بظفر مجرم
وتغط إصبعها وتغمسها بحبر من دمي ..

يا صلبة النهدين .. يأبى الوهم أن تتوهمي
نهداك أجمل لوحتين على جدار المرسم ..
كرتان من زغب الحرير ، من الصباح الأكرام
فنقدمي ، يا قطتي الصغرى ، إلي تقدمي ..
وتحرري مما عليك .. وحطمني .. وتحطمني ..

مغرورة النهدين .. خلي كبرياءك وانعمي
بأصابعي ، بزوابعي ، برعونتي ، بتهجمي
فغداً شبابك ينطفي مثل الشعاع المضم
وغداً سيدوبني النهدي والشفقان منك .. فأقدمي
وتفكري بمصير نهداك .. بعد موت الموسم

لا تفزعي .. فاللثم للشعراء غير محرم
فكي أسيري صدرك الطفلين .. لا .. لا تظلمي
نهداك ما خلقنا للثم الثوب .. لكن .. للفم
مجنونة من تحجب النهدين .. أو هي تحتمي
مجنونة .. من مرَّ عهد شبابها لم تلتئم ..

.. وجذبتُ منها الجسمَ ، لم تنفر ولم تتكلم
مخمورة .. مالت عليَّ بقدها المتهدم
ومضتُ تعلنني بهذا الطافر المتكوم
وتقول في سكرٍ ، معرّبة ، بأرشق مبسم
" يا شاعري .. لم ألقَ في العشرين من لم يفطم .. "

أفيقي ..

أفيقي .. من الليلة الشاعلة
وردي عباءتك المائلة

أفيقي .. فإن الصباح المظلل

سيفضح شهوتك الشافله

مغامرة النهدي الغطاء
على الصدر والحلمة الآكلة

وأين ثيابك بعثرتها
لدى ساعة اللذة الهائلة

كفاك فخيخاً بصدر السرير
كما تنفخ الحية الصائلة

* * *

أفيقي فقد مرّ ليل الجنون
وأقبلت الساعة العاقلة

هو الطين .. ليس لطين بقاء
ولذاته ومضة زائلة ..

لقد غمر الفجر نهديك ضوءاً
فعودي إلى أمك الغافلة

* * *

ستمضي الشهور .. وينمو الجنين
ويضحك الطفل والقابلة ..

إلى عجوز

عبثاً جهودك .. بي الغريزة مطفأة
إني شبعتك جيفةً متقيئة

مهما كتمت .. ففي عيونك رغبة
تدعو .. وفي شفتيك تحترق امرأة

إني قرفتك ناهداً متدلياً
وقرفتُ تلك الحلمة المهترئة

أنا لا تحركني العجائزُ .. فارجعي
لكِ أربعونَ .. وأي ذكرى سيئه

* * *

أخت الأزقة .. والمضاجع .. والغوى
والغرفة المشبوهة المتلألئة ..

شفتاكِ عنقوداً دمٍ وحرارةٍ
شفةً أقبلُ أم أقبل مدفاه ؟

والإبط .. أية حفرةٍ ملعونةٍ
الدودُ يملأ قعرها والأوبئة ..

صيرتُ للزوارِ نديكِ مورداً
إما ارتوتِ فنةً .. عصرتِ إلى فنةً

فبكلِ ثغرٍ من حليبك قطرةً
وقرابةً في كل عرقٍ .. أو رئةً

إلى نرائرة

حسبي بهذا النفخ والهمهمة
يا رعشة الثعبان .. يا مجرمة

زلقتِ من أهلكِ لم تستحي
زحفاً إلى غرفتي الملهمة ..

مفكوكة الأزرار عن جائعٍ
يصبو إلى النجم لكي يقضمه

وشعرك المسفوح .. خصلاته
مهملة ، لا تعرف الللمة

أفي قميص النوم ، يا ذئبتي ؟
تائهة كالفكرة المبهمة

ونهدك الملفت في ريشه
كأرنب إلى يدني فمه

كالأرنب الأبيض في وثبه
الله .. كم حاولت أن أرسمه

هذا الذي يظفر في مخدعي
هل ظل شيء بعد ما حطمة ؟

آمنت بالذات مسلولة
تفور من مقتلتك المضرمة

وكم لدى المرأة من مطلب
في جوع عينيها له ترجمه

شهية العطر . أنا مارذ
محاذري أن تكسري قمقمه

ما أنت ؟ ما نهداك ؟ إن قهقهت
عواظفي ، وشهوتي الملجمه

لا يعرف الطوفان في جرفه
ما حلل الله .. وما حرمة ..

مدنسة الحليب

أطعميه .. من ناهديك أطعميه

واسكبي أكرَ الحليبِ بفيه

إتقي الله .. في رخامٍ معرَى
خشبُ المهدي كاد أن يشتهيهِ

نشفتُ فورةَ الحليبِ بثديك
طعاماً لزائرٍ مشبوهِ ..

زوجك الطيبُ البسيطُ .. بعيدُ
عنك ، يا عرضه وأمّ بنيه

ساذجُ ، أبيضُ السريرة ، أعطاك
سوادَ العينين كي تشربيه ..

يتركُ الدارَ خاليَ الظنِّ .. ماذا ؟
أيشكُّ الإنسانُ في أهليه ؟

أو آذاكِ يالئيمة .. حتى
في قداساتِ نسله تؤذيه ؟

كم غريبٌ أدخلتِ للمخدعِ الزوجي
يأبى الحياءُ أن تدخليه

إستغلي غيابه .. ربّ بيتِ
هدمته تلكِ المقمةُ فيه

* * *

والرضيعُ الزحّافُ في الأرضِ يسعى
كلُّ أمرٍ من حوله لا يعيه

أمه في ذراعِ هذا المسجى
إن يبكي الدهرَ سوفَ لا تأتيهِ

أبو الطفل .. ذلك الزائرُ الفظُّ
العميقُ العاهاتِ والتشويهِ ؟

أبوهُ هذا ؟ ويا ربَّ مولودِ
أبوهُ الضجيعُ .. غير أبيه ..

* * *

إن هذا الغذاء يفرزه ثدياكِ
مُلكُ الضغير .. لا تسرقيه

إن سقيت الزوار منه .. فقدماً
لعقَ الهرُّ من دماء بنيهِ ..

البغي

علّقتُ في بابها قنديلهَا
نازفَ الشريان ، محمّر الفتيله

في زقاقِ ضوأت أو كارهُ
كل بيتٍ فيه ، مأساةً طويله

غرفٌ .. ضيقةٌ .. موبوءةٌ
وعناوين لـ (ماري) و (جميله)

وبمقهى الحي .. حاكٍ هـرمُ
راح يجتر أغانيه الذليله

وعجوز خلف نرجيلتها
عمرها أقدم من عمر الرذيله

إنها أمرة البيت هنا ..
تشتم الكسلى .. وتسترضي العجوله

وأمام الباب .. صعلوك هوى
تافه الهيئة ، مسلوب الفضيلة

يعرضُ اللحم على قاضِمِه ..
مثلما يعرض سمسارٌ خيوله

" هذه .. جاءت حديثاً .. سيدي
ناهدٌ ما زال في طور الطفوله ..

أو إذا شئتَ .. فرافق هـذـه
إنها أشهى من الخمر الأصيلة .. "

أي رقّ .. مثل أنثى ترتمي
تحت شاريها ، بأوراق ضئيله

قيمة الإنسان ، ما أحقرها
زعموه غايةً .. وهو وسيله ..
* * *

لو ترى الردهة فيها اضجعت
كل بنتٍ كانفتاح الزهره

نهدها منتظرٌ جـزاره
صابر حتى يلاقي قدره

هذه المذهبة السن .. هنا
ترقب الباب بعين حذره

حسرت عن ركبةٍ شاحبةٍ
لونها لون الحياة المنكره

من سيأتي ؟ من سيأتي معها ؟
أي صعلوك . حقير ، نكـرـة ؟

وهناك .. انفردت واحدة
عطرنا أرخص من أن أنكره ..

حاجب بولغ في تخطيطه
وطلاء كجدار المقبره ..

وفم .. متسع .. متسع
كغلاف التينة المعتصره

الفضوليون من خلف الكوى
أعين ، جائعة مستعره

وشجار دائر في منزل
وسكاري .. ونكات قذره ..

من رأهن قوارير الهوى ؟
كنعاج بانتظار المجزره

كم صبايا ، مثل ألوان الضحى
أفسدتهن عجوز خطره
* * *

هذه المجدورة الوجه انزوت
كوباء .. كبعير نتن

أخرجت ساقاً لها معروقة
مثل ميت خارج من كفن ..

حفر في وجهها مربعة
تركتها عجالات الزمن ..

نهدها حبة تين .. نشفت
رحم الله زمان اللبن ..

فالعصافير التي كانت هُنَا
تتغذى بالشذا والسوسن

كلها طارت بعيداً .. عندما
لم يعد في الأرض غير الدمن

إنها الخمسون .. ماذا بعدها ؟
غير أمطار الشتاء المحزن

إنها الخمسون .. ماذا ظل لي ؟
غير هذا الوحل ، هذا العفن

غير هذي الكأس أستهلكها
غير هذا التبغ يستهلكني

غير تاريخ مدمى .. حيثما
سرت ، ألقى ظله يتبعني

غير أقدام الخطايا .. رجعت
تُحرق الغرفة بي .. تُحرقني

غير رب .. كنت لا أعرفه
وأراه الآن .. لا يعرفني ..
* * *

يا لصوص اللحم .. يا تجاره
هكذا لحم السبايا يؤكل

منذ أن كان على الأرض الهوى
أنتم الذئب .. ونحن الحمل

نحن الآت هوى مجهدة
تفعل الحُب ، ولا تتفعل ..

أُنْبِثُوا فِي جَثِّثِ فَاسِدَةٍ
سَارِقِ الْأَكْفَانِ لَا يَخْتَجِلُ

وَارْقِصُوا فَوْقَ نَهْدِ صُلْبَتِ
مَاتَ فِيهَا النُّورُ .. مَاتَ الْمُخْمَلُ

مَنْ أَنَا؟ إِحْدَى خَطَايَاكُمْ أَنَا
نَعْجَةٌ فِي دَمِكُمْ تَغْتَسِلُ

أَشْتَهِي الْأُسْرَةَ وَالطِّفْلَ .. وَأَنْ
يَحْتَوِينِي ، مِثْلَ غَيْرِي ، مَنْزِلُ

أَرْجُمُونِي .. سَدَدُوا أَحْجَارَكُمْ
كَلَكُمْ يَوْمَ سَقُوطِي بَطْلُ

يَا قِضَاتِي ، يَا رِمَاتِي ، إِنَّكُمْ
إِنَّكُمْ أَجِبْنَ مَنْ أَنْ تَعْدِلُوا ..

لَنْ تَخِيفُونِي فِ فِي شَرِّ عَتِكُمْ
يُنْصِرُ الْبَاغِي ، وَيَرْمِي الْأَعْزَلَ

تُسْأَلُ الْأُنْثَى إِذَا تَزَنَّى .. وَكُمْ
مَجْرَمِ دَامِي الزَّنَا .. لَا يُسْأَلُ

وَسَرِيرٌ وَاحِدٌ .. ضَمَّهُمَا
تَسْقُطُ الْبِنْتُ ، وَيَحْمِي الرَّجُلُ ..

***** النهاية *****



نزار قباني



هذا الكتاب تم تحميله **مجاناً** من :

Nizarqabbany.cjb.net

وبالمقابل نطلب عند نشره إعطاء ربط

الموقع

وليس ربط التحميل

راجين من الله أن تستمتعوا بقراءة هذه

القصائد

نزار قباني

قصائد

الطبعة الخامسة والعشرون

١٩٨١

الجنس ثورة ، والدافع الجنسي هو أهم دافع ثورة في الإنسان والإنسان
الذي لا يشتهي ، إنسان غير قادر على الثورة .

هربرت ماركوز

مرسالة حب صغيرة

حبيبتي :
لديّ شيءٌ كثيرٌ
أقولُهُ ،
لديّ شيءٌ كثيرٌ
من أينَ يا غاليتي أبتدي ؟
و كلُّ ما فيك أميرٌ .. أميرٌ
يا أنتِ ..
يا جاعلةٌ أحرفي
مما بها ، شرانقاً للحريزُ

هذي أغانيّ .. و هذا أنا
يضمُّنا هذا الكتابُ الصغيرُ

غداً .. إذا قلَّبتِ أوراقهُ
و اشتاقَ مصباحٌ ..
و غنى سريرُ

واخضوضرتُ من شوقها أحرفُ
و أوشتكتُ فواصلُ أن تطيرُ

فلا تقولي :
يا لهذا الفتى !!
أخبرَ عني المنحنى ، و الغديرُ

و اللوزَ .. و التوليبَ ..
حتى أنا ..
تسيرُ بي الدنيا .. إذا ما أسيرُ

و قالَ ما قالَ :
فلا نجمةٌ
إلا عليها من عبيري عبيرُ

غداً يراني الناسُ في شِعْرِهِ
فَمَا نَبِيذِيَا .. وَ شِعْراً قَصِيْرُ

* * *

دعي حكايا الناس ..
لَنْ تُصْبِحِي كَبِيْرَةً .. إِلاَّ بِحُبِّي الكَبِيْرُ

ماذا تصيرُ الأَرْضُ لو لم نكنُ
لو لم تكنُ عَيْنَاكَ ..
ماذا تصيرُ ؟؟

مع جريدة

إلى جاك برهفير

أخرج من معطفه الجريدة ..
وعلبة الثقاب
ودون أن يلاحظ اضطرابي
ودونما اهتمامـ
تناول السكر من أمامي
ذوّب في الفنجان قطعتين
ذوّبني ..
ذوّب قطعتين ..
وبعد لحظتين
ودون أن يراني
ويعرف الشوق الذي اعتراني
تناول المعطف من أمامي
وغاب في الزحامـ
مخلفاً وراءه .. الجريدة
وحيدة .. مثلي أنا وحيدة ...

٢٢ نيسان

المسا ، شلالُ فيروزِ ثري
وبعينيك ، أوفُ الصورـ

وأنا منتقلٌ بينهما
ضوءُ عينيكِ .. وضوءُ القمرِ...

بعينيكِ مرأيا اشتعلتُ
وبحارٌ ولدتُ من أبحرٍ

وانتفاحاتُ على صحو .. على
جزرٍ ليستُ ببالِ الجزرِ

رحلتي طالتُ .. أما من مرفأ
فيه أرسو ، عسلي الحجرِ ؟

أنا عيناكِ .. أنا كنتهما
قبلَ بدءِ البدءِ ، قبلَ الأعر

أنا بعثرتُ نجومِي فيهما
زمرٌ تسألني عن زمرِ

ما المصابيحُ التي لاحت على
فتحتي عينيكِ .. إلا فكري
* * *

إعقدي الشال .. فلو أنتِ معي
مرة ، غيرتُ مجرى القدرِ

المشاويرُ التي لمْ نمشها
بعدُ .. تدعوكِ ، فلا تفتكري

رجعَ الصيفُ لعينيكِ .. ولي
فالدُّنا مرسومةٌ بالأخضرِ

وأراجيحُ لنا معقودةٌ
إن تمسها بهذبٍ تطير ..

نحن منثور الربى .. زنبقها ..
شهقة النجمات في المنحدر

تعرف القمة من طرزها
بالأغاني .. برفوف الزهر

إنه أول صيفٍ مر بي
وسواه ، لم يكن من عمري
* * *

من تكونين أيا أغنيةً
دفننا فوق احتمال الوتر

أنت يا وعداً بصحوٍ مقبلٍ
بعطايا فوق وسع البيدر

الثواني ، قبل عينيك ، سدى
واقنكار بانائي جوهر ..

وتوقعك دهرأ .. فإذا
بك فوق المرتجى المنتظر ..

فوق ما يحلم ثلجٌ بذرى
وترابٌ برجوع المطر
* * *

لو معي حبك .. لاجتحت الذرى
ولحركت ضمير الحجر

ولجمعت الدنيا .. كل الدنيا
في عرى هذا القميص الأحمر

إنني أعبدُ عينيك فلا
تنبئي الليلَ بهذا الخبر

واتركيه .. واتركيني نبأ
لم يُجل بعد بفكر المضمّر ..

* * *

أيُّ فضلٍ لك في الدنيا إذا
أنت لم تحترقي كالشرر

ضلّ إزميلي .. إذا لم تُصبحي
قمرأ .. أو شرفةً في قمر ..

كربستيان ديومر

شذاي الفرنسيُّ .. هل أتملكُ ؟

حبيبي ،

فإني تطيبتُ لكُ

لأصغُرُ .. أصغرُ نقطةَ عطرٍ ..

ذراعُ تمدُّ ..

لتستقبلكُ ..

تناديك في الركن .. قارورةً

ويسألني الطيبُ ..

أن أسألكُ ..

لديّ مفاجأةٌ ..

فالتفتُ لي ...

ومررُ على عنقي أنمُلكُ

وقل لي بأنك ..

لا .. لا تقُل لي ..

وأبحرُ بشعري الذي ظللكُ

* *

صنعتُ لكُ الجوَّ ..

ريحاً .. وراحاً ..

وصدراً .. أتذكُرُ كم ذلكُ ؟

وشعراً قصيراً ..

لماذا شهقتَ ؟

أخيبُ شعري تُرى مأمُلكُ

شذالك المفضلُ شرشتهُ
على بدن طالما أذهلكِ ..
هنا .. عند نحري ..
هنا .. خلفَ أذني ..
شكوتك لليلِ .. ما أكسلكِ
أبخلُ بالطيبِ ..
لا كان صدري
إذا لم يكنْ مرةً مَشْتَكِ
يميناً .. أما يومَ تأتي إليَّ
سأبني على فلةٍ منزلكِ ..

لماذا؟

لماذا تخليت عني ؟
إذا كنتَ تعلمَ أني ..
أحبك أكبر مني
لماذا ؟

* *

لماذا .. بعينك هذا الوجومُ
و أمس ، بحضن الكرومُ
فرطت ألوف النجومُ
بدربي ..
وأخبرتني أن حبي يدومُ ..
لماذا ؟

* *

لماذا تُغرر قلبي الصبيِّ
لماذا كذبت عليَّ
و قلت تعود إليَّ
مع الأخضر الطالعِ
مع الموسم الراجعِ
مع الحقل و الزارعِ
لماذا ؟

* *

لماذا منحت لقلبي الهواءَ

فلما أضاء
بحب كعرض السماء
ذهبت بركب المساء
و خلفت هذي الصديقة
هنا .. عند سور الحديقة
على مقعدٍ من بكاءٍ ..
لماذا ؟

* *

لماذا تعودُ السنونو إلى سقفنا
و ينمو البنفسج في حوضنا
و ترقص في الضيعة (الميجنا)
و تضحك كل الدنيا
مع الصيف ، إلا أنا ... لماذا ؟؟

عودة أيلول

لا زيت .. لا قشنة
لا فحمة في الدار
جهاز وجاق النار
في حلمتي رعشه ..
أيلول للضم
فمد لي زندك
هل أخبروا أمي ؟
أن هنا عندك ..
ما أطيب الوحدة
وطقطقات الشوخ
والساعد المفتوح
وهذه الرعدة ..
* * *

تفرق الصبيان
في ساحة البلده
وصوح الزان
واصفرت الوردة ..
* * *

لا قدَّ .. لا زنارُ
معطرَ الضحكةُ
تلاشتِ الأقمارُ
في موطن (الدبكه)

* * *

إجلبُ قنانينا
من عتمة الرفِّ
تقطيرُ أيدينا
في كرمننا الصيفي ..

* * *

يا طيبَ أيلولا
يُلحن الأبوابُ
هل هذه الأحطابُ
كانتُ مواويلا ؟ ..
لو أدركَ الحطابُ
لأثرَ اللينا
من هذه الأخشابُ
كانتُ كراسينا ..

* * *

كنا مع النسماثُ
نُرطبُ التلةُ
ونحشرُ النجماتُ
في خاطر السلةُ

* * *

لا آه .. لا موالُ
يزركشُ القربةُ ..
يكحلُ الآجالُ
بمجد سورية ..
إذا مضى الصيفُ
وأفقرَ البيدرُ
فموطني يغفو
في بؤبؤٍ أخضرُ

يا بيتها

أَعْطِيكَ مِنْ أَجَلِّي وَعَيْنِيَا
يا بيتها .. في آخر الدنيا

أَمْشِي إِلَيْكَ . وَأَنْتَ تَمْلُونِي
وَيُنُّ بَابُكَ .. بَيْنَ جَنْبِيَا

يا ضائِعاً في الأَرْضِ ، يا نِعْماً
في غَابَةِ الشَّرِيبِينَ مَرْمِيَا

نَوَارُ مَرَّةً عَلَيْكَ ، وَاَنْفَتَحْتُ
أَزْرَارَهُ ، لَا فَيْكَ بَلْ فَيْيَا

بَابُ تَقْوَسَ تَحْتَ لَيْلِكَةِ
تَهْمِي سَمَاوِيَا .. سَمَاوِيَا

وَمِغَالِقُ الشُّبَاكِ مَشْرَعَةً
بَأَبِي أَنَا الشُّبَاكُ صَيْفِيَا ..

دَرَجَاتُهُ وَهَمُّ .. وَسَلْمُهُ
يَمْشِي .. وَلَكِنْ فَوْقَ جَنْبِيهَا
* * *

يا بيتها .. زَوَادَتِي بِيَدِي
وَالشَّمْسُ تَمْسُحُ وَجْهَ وَاْدِيَا

وَبِلَادُ آبَائِي مِغْمَسَةٌ
(بِالْمِجْنَا) وَ (الْأَوْفُ) وَ (الْلِيَا)

الْوَرْدُ جُورِيٌّ .. وَمَوْعِدُنَا
لَمَّا يَصِيرُ الْوَرْدُ جُورِيَا

العقدة الخضراء

يا عقدتى .. ارتقى مطل اخضرارُ
ويا نهارى ، قبل أن يكون نهارُ

يا رحلة فى الطيب ، لاتنتهى
قرارها الموعود ، أن لا قرارُ

ويا قلوب الصحو .. منشورةً
أجالت بالخفق ، غرور البحارُ

يصفق الشباك ، شباكنا
إذا تمرينَ .. ويسعى الستارُ

وتنهض التلةُ ترنو إلى
عش عصافيرٍ مع الصيف طارُ ..

تختبىء النحلاتُ فى ظلها
تظن فيها كرمة أو جدارُ

يعضها الحسونُ .. فى جريه
فبينها وبينه .. ألف تارُ

يعضها .. يعضها .. من جوى
ضلَّ . فما هذا زمان البذارُ

العقدة الخضراء .. فى قرىتى
حكاية تحكى وطيب مثارُ

قطعةُ صحوٍ .. رطبت سهلنا
فارتاح نبع ، واستلذ انحدارُ

للشرق - إما طفرت - ضحكة

وللنجيمات على انهمار ..

* * *

إن لحتِ قبلَ الشمسِ في بابنا
توقفي .. ولو لِمَ الإزارُ

لكل قرميدٍ لدينا يدُ
و كل شباكٍ لدينا انتظارُ ..

كُم الداتيل

يا كمها الثرثار .. يا مَسْتَلُ
رَفَهَ عن الدنيا ولا تبخلُ

ونقطِ الثلجَ على جرحنا
يا رائعِ التطريز .. يا أهدلُ

يا شفةً تفتيحها ممكنُ
ويا سؤالاً ، بعدُ ، لم يُسألُ ..

أقبلتَ يا صيفيُّ في جوقه
من السنونو ، والشذا المرسلُ

يا كمها المنشالَ عن ثروةٍ
إذهلُ .. فإن الخيرَ أن تذهلُ

أليسَ لي زاويةٌ رطبةٌ
بين حراجِ اللوز والصندلُ

يا كمها .. أنا الحريقُ الذي
أصبحَ في هنيهةٍ جدولُ

مساندُ التفاح ، مرفوعةٌ
أمامَ عيني ، كيفَ لا أقبُلُ ؟

والزنبقُ الأسودُ .. من شوقهِ
يقولُ : كُلُّ .. فزهرها يؤكلُ ..

قطعةُ " دنتيل " أنا مركبي
إن يرتحلُ مع الندى .. أرحلُ

جَدَّفَ بنا في قمرٍ أسودٍ
أرصده ، في كوكبٍ مهملُ

أيا شراعَ الخير ، لا تختجلُ
شرانقُ الحرير لا تخجلُ ..

غامرُ .. فإنَّ الریحَ شرقيةً
ما نحنُ ؟ إن لم نطلبِ الأجلُ ..

لنا ، بظلِّ الظلِّ ، فسقيةً
وألفُ ميعادٍ لنا أولُ ..

يا روعة الروعة ، يا كمها
يا مخملاً صلى على مخملاً ..

عيدُ ميلادها

بطاقةً من يدها
ترتعدُ
تفدي اليدي
تقول : عيدي الأحدُ
ما عمرها ؟
لو قلتُ ، غنى في حبيبي العددُ
إحدى ثوانيه إذا
أعطتُ ، عصوراً تلدُ
وبرهةً من عمرها
يكمنُ فيها .. أبدُ

* * *

تري
إذا جاء غدُ
وانشالَ (تولُّ) أسودُ
واندفعت حوامل الزهر ..
وطابَ المشهدُ
وردُ .. وحلوى .. وأنا
ياكلني الترددُ .
بأي شيء أفدُ
إذا يهل الأحدُ
بخاتمٍ ؟
بباقةٍ ؟
هيهات .. لا أفلدُ

* * *

أليس من يدلني ؟
كيف .. وماذا أقتني ؟
ليومها الملحن .
أحزمة من سوسن . ؟
أنجمة مقيمة في موطني ؟
أهدي لها
الله .. ما أقلها ؟ ..
من ينتقي ؟
لي من كروم المشرق .
من قمر محترق .
حقاً غريب العبق .
آنية مسحورة
خالقها لم يخلق .
أحملها
غداً لها
الله .. ما أقلها

* * *

لو بيدي الفرقدُ
والدُر والزمردُ
فصّلتها جميعها

رافعة لنهدها
ومحبسا لزندها
هدية صغيرة ..
تحمل نفسي كلها
لعلها
إذا أنا حملتها
غداً لها
ستسعدُ
يا مُرتجى .. يا أحدُ ..

عندنا

يولدُ الموالُ حراً
عندنا بين الضياعِ

من جبين الزارعِ الشيخِ
وأنفاسِ المراعي

من رُجاق النارِ .. مِنْ
جذعِ عتيقٍ متداعي

منْ خوايينا الطفيحَاتِ
ومنْ كرمِ مُشاعِ

كلُّ سقفٍ عندنا
يرشحُ رسداً .. كلُّ راعي

والمواويلُ لدينا
وُجِدَتْ قَبْلَ السماعِ

حَبَكْتُ أنوالنا
أولَ خيطٍ في شراعِ

لفتةُ العنقِ لدينا

لَفْتَةُ السِّيفِ الشُّجَاعِ

وبلادي ، شرفةُ الصَّحورِ
وميناءُ الشَّعاعِ ..

موطني ، من زرقاةِ الحِلمِ
ومن عزمِ القلاعِ ..

بَيْتِي ..

في حُرُجنا المَدروزِ شوحاً
سقفُ منزلنا اختفى

حرسُهُ خَمْسُ صنوبراتٍ
فانزوى .. وتصوّفاً

نسجَ التَّلوجَ عِباءَةً
لبسَ الزَّوابعَ معطفاً

وبدخنةٍ من غزلٍ مغزلهِ
اكتسى وتلففاً ..

الطيبُ بعضُ حدوده
أتريدُ أن لا يعرفاً ..

وحدودُ بيتي .. غيمةٌ
عبرتْ ، وجُنْحُ رفرفاً ..

حملتهُ أَلْفُ فراشةٍ
بيتي ، فلا ماتَ الوفاً

قرميدهُ ، حُضنَ المَواويلِ
الجريحةُ واكتفى ..

قطعُ الحصى في أرضه
ضوءٌ تجمّد أحرفاً ..

كمّ مرّةً ، مرّ الصبّاحُ
ببابه .. وتوقفاً ...

يا مجدهُ ! ملكَ المفارقِ
والمطلِّ المشرفاً ..

سقفًا ، ومدخنةً
وباباً ، ضارعاً ، متفلسفاً

يرقى إليه الدربُ
سكرانَ الخطي متعطفاً

حاذى الطريقَ .. وعندما
انتهتِ الطريقُ .. تخلفاً ..

كمّ نجمةً دخلت عليَّ
تظنُّ عندي متحفاً ..

تركتُ بسورِ حديقتي
شالَ الحريرِ مُنتفياً ..

ساعي البريد ..

أغلى العطور ، أريدها
أزهي الثيابُ
فإذا أطل بريدها
بعد اغترابُ
و طويتُ في صجرى الخطابُ
عمرتُ في ظني القبابُ
و أمرتُ أن يسقى المساءُ
معي الشرابُ ..

ووهبتُ لليلِ النجومَ ..
بلا حسابَ .. بلا حسابُ

* * *

أنا عند شباكي الذي
يتمصُ أوردة الغيابُ ..
وشجيرة النارج ..
يابسةٌ
مضيعةُ الشبابُ ..
وموزع الأشواق
يتركُ فرحةً في كلِّ بابٍ ..
خطواته

في أرض شارعنا
حديثُ مستطابُ
وحقيبةُ الامالِ
تعبقُ بالتحارير الرطابُ
هذا غلافي القرمزيُّ
يكادُ يلتهبُ التهابُ
وأكادُ ألتهمُ النقابَ الفستقيَّ
ولا نقابُ ..

أنا قبلَ أن كانَ الجوابُ
أعيشُ في وهم الجوابُ ..
طيبانِ لي . طيبُ الحروفِ
و طيبُ كاتبةِ الكتابِ ..
أطفو على الحرف الذي
صلى على يدها وتابُ
خط ..

من الضوء النحيتِ
فكل فاصلةٍ شهابُ
هذا غلافي - لا أشكُ -
يرف مجروح العتابُ
عنوانه
عنوانُ منزلنا المغمسِ بالسحابِ
عنواننا ..

عند النجوم الحافيات ..
على الهضاب

* * *

يا أنت ..
يا ساعي البريد ..
بيابنا ، هل من خطاب ؟
ويقهقه الرجل العجوز
ويختفي بين الشعاب
ماذا يقول ؟ يقول :
ليس لسيدي إلا التراب
إلا حروف من ضباب ..
أين الحقيقة ؟
أين عنواني ؟
سراب .. في .. سراب

إلى عينين شمالتين

استوقفتني ، والطريق لنا
ذات العيون الخضر .. تشكرني

كرمتني - قالت - بأغنية
والشعر يكرم إذ يكرمني

لا تشكريني ... واشكري أفقاً
نجماته نزلت تطوقني ..

وجنيئة خضراء .. إن ضحكت
فعلى حدود النجم تزرعي

شاء الصنوبر أن صورهُ
أرد مطلبه .. أيمكنني ؟

ونظرت في عيني محدثي
والمُدُّ يطويني .. وينشرني

فإذا الكروم هناك .. عارشة
وإذا القلوع الخضر .. تحملنى ..

هذي بحارٌ كنتُ أجهلها
لابرّ - بعد اليوم - يا سفني ..

معنا الرياح .. فقلْ لأشرعتي
عُبي المدى الزيتي ، واحتضني

خجلٌ .. إذا لم ترسُ صاريتي
فى مرفأين بأخرِ الزمنِ

ماذا ؟ أيتعبك المدى ؟ أبدأ
لأشيء فى عينيكِ يتعبنى

أرجو الضياع ، وأستريحُ له
يا ويلَ دربِ لا يضيعني ..

و تطلعتُ .. فطريقُ ضيعتنا
مازلتُ أعرفها وتعرفني

بيتي .. وبيتُ أبي .. وبيدنا
و شجيرةُ النارجِ تحضنني
* * *

تاھتُ بعينيها وما علمتُ
أني عبتُ بعينها .. وطني

القميص الأبيض

ألستَ تهنئنى يا بخيلُ ؟
بهذا القميص الجديدِ عليَّ

جديداً .. وتسكتُ عني وعنه

أأنت الءنونُ .. أأنت الوفي ؟

مءارزُ ءيطانه .. أءنياءُ
فياءاءَ الطيب ، قل أي شيء

ساءلك دءءعُ ءروري .. فإنَّ
ءمبلاً لءبك ، ءمبلاً لءيِّ

ءوسعَ عءء مساقطِ ءمي
وضاقَ .. وضاقَ على ناهءيِّ

ورشقُ التطاريز .. والنمنماءُ
ورشاءُ ضوء .. ورشاءُ في ..

ءبارءَ هءا القمبصُ ، ملاءُ
ظنوني نفاءً ، ملاءُ بءيِّ

سرقءَ نهارَ عبوني .. فءفوءاً ..
إءا ببسَ الضوءُ في ناظريِّ

ءءءرءُ ءفاعةً .. عءءنا
إءا أزهراءُ أمءرءنا ءليِّ
* * *

لأأنت رفبق الشموس .. رفبقي
ءأن عراء ءفءءن فيِّ

صباءُ اللأصاببء أنت ، ءوالءُ
نءوماً ، أبا ءصنَ لوزِ صبيِّ

على ءءر العبب .. صفقُ قمبصاً
نقبياً .. ءوءه بلاءب النقبب ..

مرحلة في العيون النمرق

أسوحُ يتلكَ العيونُ
على سفنٍ من ظنونُ

أنا فاتحُ الصحوِ .. فاتحُ
هذا النقاءِ الحنونُ

أشقُّ صباحاً .. أشقُّ
ضميراً من الياسمين

وتعلمُ عيناكِ أني
أجدفُ عبرَ القرونُ

أكونُ جزراً .. وأغرقُ
جزراً .. فهلُ تدركينُ؟

أنا أولُ المبحرينَ على
أزلٍ من لُحونُ

حبالي هناكَ .. فكيفَ
تقولينَ هذي جفونُ؟

أنا يومَ غنتُ صواريَّ
تجرحُ صدرَ السكونُ

تساءلتِ ، والفلكُ سكرى
وبحارتي ينشدونُ

أفي أيدٍ من نجومٍ
ستبحرُ؟ هذا جنونُ ..

* * *

قذفتُ قلوبَني إلى البحر
لو فكرتُ أنْ تهونُ

ويسعدني أنْ ألوبَ
على مرفأٍ لنْ يكونُ ..

عزائي إذا لمْ أعدْ
أنْ يقالَ : انتهى في عيونِ ..

مرباطُ العنقِ الأخضرِ

منها .. رباطُ العنقِ
فيا ضلوعي أورقي ..

أولى هداياها ، فما
أسلمَ ذوقَ المنتقي

سيدتي ، فضلكِ لا
فضلُ الربيعِ المونقِ

أسعى به .. وبني غرورُ
الطائرِ المزوقِ

فيا رياحُ صفقي
ويا نجومُ حدقي

ما دامَ مشدوداً إلى
صدري ، فماذا أتقي ؟

طوقي حريري فيا
لي من طليقٍ موثقِ

فراشةٌ كبرى هوتُ
على غديرٍ تستقي ..

جناحها أغربُ من
أسطورةٍ لم تخلقِ ..

أخافُ أن تمضي .. فيا
شفاهَ قلبي .. أطبقي

فجانحُ شالَ كموالٍ
بكي في المشرقِ.

وجانحُ غاصَ بأشواقِي
فلَمَّ يخلقِ
* * *

صدرُ على صدري .. فلا
خوفَ بالأنا نلتقي ..

المدخنة الجميلة

حارقة التبعِ .. اهدأي ، فالدجى
من هول ما أحرقتِ إعصارُ

شوهتِ طُهرَ العاج ، شوهته
وغابَ في الضبابِ إسوارُ ..

تلكَ الأصابعُ التي ضوأتُ
دنيايَ ، هل تمضي بها النارُ ؟

والتحفُ الحمسُ التي صغتها
تنهارُ من حولي .. فأنهارُ ..

وروعةُ الطلاء في ظفرها
تمضي ، فما للفجرِ آثارُ

أنا ملُّ تلك التي صفقتُ
أم أنها للرصدِ أنهارُ ..

المشروبُ الفضي ، ما بينها
مُقَطَّعُ الأنفاس ، ثرثارُ

على الشفاهِ الحمرِ .. ميناؤهُ
وصحبةُ الشفاهِ أقدارُ

يسرقُ فوقَ الثغرِ غيبوبةً
مادام ، بعدَ الليل ، إبحارُ

تعانقا .. حتى استجارَ الهوى
والتفَّ منقارُ .. ومنقارُ

لو كنتُ هذا المشربَ المنتقى
أختارُ هذا الثغرَ .. أختارُ
* * *

مذعورةَ السالفِ .. لا تيأسي
فلم يزلْ في السفحِ أزرارُ

النهدُ ، جلَّ النهدُ ، في مجده
منْ حوله ، تلمُّ أقمارُ ..

حسناً .. ما يشقيكِ من عالمٍ ؟
ما زال في عينيكِ يحتارُ

وأنتِ يا أغنى أساطيره
نواره ، إنْ غابَ نوارُ

صغيرةٌ أنتِ .. علامَ الأسي
والأرضُ موسيقا وأنوارُ

النارُ في يَمناكَ مشبوبةٌ
والوعدُ في عِينِكَ أطوارُ

لا تؤمنُ العيونُ إن سالتُ
صحوَ العيونِ الخضرِ .. أمطارُ

تلك اللفافاتُ التي أفنيتُ
خواطرُ تُفنى .. وأفكارُ ..

إن أطفأتها الريحُ .. لا تقلقي
أنا لها الكبريتُ والنارُ ..

إلى صديقة جديدة

ودعتك الأمس ، وُعدتُ وحدي
مفكراً ببوحك الأخير ..

كتبتُ عن عِينِكَ ألفَ شيءٍ
كتبتُ بالضوء وبالعبير ..

كتبتُ أشياءً بدون معنى
جميعها مكتوبةٌ بنورٍ

مَنْ أنتِ .. مَنْ رماكَ في طريقي ؟
مَنْ حركَ المياهَ في جذوري ؟

وكانَ قلبي قبلَ أنْ تلوحي
مقبرةً ميتةً الزهورِ

مشكلتي أني لستُ أدري
حداً لأفكاري ولا شعوري

أضعتُ تاريخي ، وأنتِ مثلي
بغير تاريخٍ ولا مصير ..

محبتي نارٌ .. فلا تُجَنِّي
لا تفتحي نوافذ السعيرِ .

شفتانِ معصيتانِ .. أصفحُ عنهما
ما دامَ يرشحُ منهما الياقوتُ

إنَّ الشفاهَ الصابراتِ أحبها
ينهارُ فوقَ عقيقها الجبروتُ

كرزُ الحديقةِ عندنا متفتحٌ
قبلتهُ في جرحه ونسيتُ

شفتانِ للتدميرِ ، يا لي منهما
بهما سعدتُ ، والأفُ ألفُ شقيتُ

شفتانِ مقبرتانِ ، شقهما الهوى
في كلِّ شطرٍ أحمرٍ تابوتُ

شفةٌ كأبارِ النبيذِ مليئةٌ
كم مرةٍ أفنيتها وفنيتُ

الفلقةُ العليا .. دعاءُ سافرُ
والدفءُ في السفلى .. فأين الموتُ ؟

إلى ساذجة ..

لا شكَّ .. أنتِ طيبةٌ
بسيطةٌ و طيبةٌ ..
بساطةَ الأطفالِ حينِ يلعبونُ
و أن عينيكِ هما بحيرتا سكونِ
لكنني ..
أبحثُ يا كبيرة العيونِ
أبحثُ يا فارغة العيونِ

عن الصلاتِ التعبه
عن الشفاهِ المخطئه
و أنتِ يا صديقتي
نقيه كاللؤلؤه
بارده كاللؤلؤه
و أنتِ يا سيدتي
من بعدِ هذا كله ، لستِ امرأه
هل تسمعينَ يا سيدتي
لستِ امرأه ..
و ذاكَ ما يحزنني
لأنني
أبحثُ يا عاديةَ الشفاه
أبحثُ يا ميتهَ الشفاه
عن شفهٍ تأكلني
من قبل أن تلمسني
عن أعينٍ ..
أمطارها السوداء .. لا تتركني
أرتاحُ ، لا تتركني
و أنتِ يا ذاتَ العيونِ المطفأه ..
طيبة كاللؤلؤه ..
طيبة كالأرنب الوديع
كالشمع .. كالألعباب .. كالربيع
هامده كالصقيع .. كالصقيع ..
و ذاكَ ما يؤسفني ..
لأنني ..
يا أرنبي الوديع ..
أضيق بالربيع
و أكره السيرَ على الصقيع ..
لأنه يتعبني ..
لأنه يُرهقني

* * *

وددتُ يا سيدتي
لو كنتُ أستطيعُ

حبك ياسيدتي .
لو كنت أستطيع ..

إلى ميتة ..

إنتهت قهوتنا
وانتهت قصتنا
وانتهى الحب الذي كنت اسميه عنيفا
عندما كنت سخيفا ..
وضعيفا ..
عندما كانت حياتي
مسرحاً للنثرهات
عندما ضيعتُ في حبك أزهى سنواتي .
بردت قهوتنا
بردت حجرتنا
فلنقل ما عندنا
بوضوح ، فلنقل ما عندنا
أنا ما عدتُ بتاريخك شيئاً
أنت ما عدتُ بتاريخي شيئاً
ما الذي غيرني ؟
لم أعد أبصرُ في عينيك ضوءاً
ما الذي حررني ؟
من حكاياك القديمة
من قضاياك السقيمة ..
بعد أن كنت أميرة ..
بعد أن صورك الوهم لعيني .. أميرة
بعد أن كانت ملايين النجوم
فوق أحداقك تغلي
كالعصافير الصغيرة ..

* * *

ما الذي حركني ؟
كيف مزقتُ خيوط الكفن ؟
وتمردتُ على الشوق الأجير ..
وعلى الليل .. على الطيب .. على جرّ الحرير .

بعد أن كان مصيري
مرةً ، يرسمُ بالشعر القصير ..
مرةً ، يرسمُ بالثغر الصغير ..
ما الذي أيقظني ؟
ما الذي أرجع إيماني إليها
ومسافاتي ، وأبعادي ، إليها ..
كيف حطمتُ إلهي بيديا ؟
بعد أن كادَ الصدا يأكلني
ما الذي صيرني ؟؟
لا أرى في حسنك العادي شيا
لا أرى فيك وفي عينيك شيا
بعد أن كنتَ لديا
قمةً فوقَ ادعاءِ الزمن ..
عندما كنتُ غيباً ..

عودة التنورة المنزركشة

ضيقي .. مع التيار ، واتسعي
وتفرقي ، ما شئتِ ، واجتمعي ..

طيري ، حقيبةً أنجمٍ ورؤىً
وعلى صباحِ عيوننا انزري ..

يا .. يا مغامرةً مصورةً ..
لتلمكِ الأحداقُ .. إن تقعي ..

وتثاءبي ، يا بوحَ مزرعةٍ
أنا والرياحُ عليكِ ، فارتفعي

وتمسكي بمحطٍ خاصةٍ
زنارها يبكي بلا وجعٍ

لما رأونا في الطريق معاً
قالوا : صنوبرةٌ تسير معي !

إن تحتمي من عصفِ عاصفةٍ
بيديك .. ما يحميك من طمعي ؟
* * *

جبليّةٌ .. نهبتُ مواسمنا
فبلادُ آبائي هناكَ تعي ..

شالَ الهواءُ ببيدرٍ مرحٍ
منَ موطنِ الموالِ منتزعٍ ..

زهراتُ ليمونٍ ، تطرزها
كُلُّ يا فضولي الخيطَ .. إن تجعِ ..

وامضغِ ثلوجَ الركبتينِ .. فإنْ
رحلتُ فصولُ الثلجِ .. فاخترعِ ..

الجورب المقطوع

طائشةَ المشيةِ .. لا تغضبي
تشميتني الطعنةُ في الجوربِ ..

عفواً .. وكرَّ الخيطُ في شهقةٍ
نادمةٍ .. في أسفِ مطربِ

فالقمرُ المرسومُ في سرعةٍ
يرضعني من جرحه المذهبِ ..

جزيرةٌ .. في صدفةٍ كونتُ
فاغرزُ هنا المرساةَ يا مركبي

ويا فمَ الجوربِ .. لا تنطبقُ
موسمنا أكثرُ من طيبِ ..
* * *

لا تأسفي عليه .. إني هنا
مرمى شبابيك على المغرب ..

أكومُ النجماتِ في سلتِي
لم يتعبِ الجرحُ ... ولم أتعبِ ..

نفاق

كفانا نفاقاً ! ..
فما نفعُهُ كلُّ هذا العناق ؟
ونحنُ انتهينا
وكلُّ الحكايا التي قد حكينا
نفاقٌ ..
نفاقٌ ..
إن قبلا تنكِ الباردة
على عنقي لا تطاقُ
وتاريخنا جثةٌ هامدة
أمام الوجاق

* * *

كفى ..
إنها الساعةُ الواحدةُ ..
فأينَ الحقيبةُ ؟ ..
أتسمعُ ؟ أين سرقتَ الحقيبةُ ؟
أجلُ . إنها تُعلنُ الواحدةُ ..
ونحنُ نلوكُ الحكايا الرتيبةُ
بلا فائدةُ ..
لنعترفِ الآنَ أننا فشلنا
ولم يبق منا
سوى مُقلٍ زائغهُ
تقلصُ فيها الضياءُ
وتجويفُ أعيننا الفارغهُ
تحجّرَ فيها الوفاءُ

* * *

كفانا ..

نحملكُ في بعضنا في غيابٍ
ونحكي عن الصدق والأصدقاء
ونزعمُ أن السماء ..
تجنتُ علينا ..
ونحنُ بكلتنا يدينا
دفنا الوفاء
وبعنا ضمائرنا للشتاء ..
وها نحنُ نجلسُ مثل الرفاقِ
ولسنا حبيبين .. لسنا رفاقُ
نعيدُ رسائلنا السالفة ..
ونضحكُ للأسطر الزائفة ..
لهذا النفاقُ
أنحُنُ كتبناه هذا النفاقُ ؟
بدون ترو .. ولا عاطفة ..
* * *
كفانا هراء ..
فأينَ الحقيقةُ ؟ .. أين الرداءُ ؟ ..
لقد دنتِ اللحظةُ الفاصلةُ
وعما قليلٍ سيطوي المساءُ
فصولَ علاقتنا الفاشلة ..

رسائل لم تكتب لها ..

١

مزقيها ..
كتبي الفارغةَ الجوفاءَ إن تستلميها ..
والعيني .. والعينيها
كاذباً كنتُ . وحيي لكِ دعوى أدعيها ..
إنني أكتبُ للهو .. فلا تعتقدي ما جاءَ فيها ..
فأنا - كاتبها المهووس - لا أنكرهُ
ما جاءَ فيها ..

٢

اقذفيها ..
اقذفي تلكَ الرسائلِ .. بسلِّ المهملات

واحذري ..
أن تقعي في الشرك المخبوء بين الكلمات
فأنا نفسي لا أدركُ معنى كلماتي ..
فكرتي تغلي ..
ولا بدّ لطوفانٍ ظنوني من قنّاة ..
أرسمُ الحرفَ
كما يمشي مريضٌ في سباتٍ
فإذا سوّدتُ في الليلِ تلالَ الصفحاتِ ..
فلأنّ الحرفَ ، هذا الحرفَ ..
جزءٌ من حياتي
ولأنّي رحلةٌ سوداءُ .. في موج الدواةِ
٣

أتلفيها ..
وادفني كل رسالتي بأحشاءِ الوقودِ
واحذري أن تخطئي ..
أن تقرأي يوماً بريدي ..
فأنا نفسي لا أذكرُ ما يحوي بريدي ! ..
وكتاباتي ،
وأفكاري ،
وزعمي ،
ووعودي ،
لم تكن شيئاً ، فحبي لك جزءٌ من شرودي
فأنا أكتبُ كالسكرانٍ ..
لا أدري اتجاهي وحدودي ..
أتلهى بكِ ، بالكلمة ، تمتصُّ وريدي ..
فحياتي كلها ..
شوقٌ إلى حرفٍ جديدٍ
ووجودُ الحرفِ من أبسطِ حاجاتِ وجودي
هل عرفتِ الآنَ ..
ما معنى بريدي ؟

طوق الياسمين

١

شكراً..
لطوق الياسمين
وضحكت لي .. وظننت أنك تعرفين
معنى سوار الياسمين
يأتي به رجل إليك ..
ظننت أنك تُدركين ..

٢

وجلست في ركن ركين
تتسرّحين
وثنّطين العطر من قارورة وتدمدمين
لحناً فرنسيّ الرنين
لحناً كأيامي حزين
قدماك في الحُفّ المُقَصَّب
جدولان من الحنين
وقصدت دولاب الملابس
تقلعين .. وترتدين
وطلبت أن أختار ماذا تلبسين
أفلي إذن ؟
أفلي إذن تتجملين ؟

٣

ووقفت ..
في دوامة الألوان ملتهب الجبين
الأسود المكشوف من كتفيه ..
هل تترددين ؟
لكنه لون حزين
لون كأيامي حزين
ولبسته ..
وربطت طوق الياسمين
وظننت أنك تعرفين
معنى سوار الياسمين

يأتي به رجلٌ إليك ..
ظننتُ أنكِ تُدركين ..

٤

هذا المساء ..
بحانةٍ صُغرى رأيتُك ترقصينُ
تتكسرينَ على زنودِ المُعجبينُ
تتكسرينَ ..
وئدممينَ ..
في أذنِ فارسِكِ الأمينُ
لحناً فرنسيَّ الرنينُ
لحناً كأيامي حزينُ

* * *

وبدأتُ أكتشفُ اليقينُ
وعرفتُ أنكِ للسوى تتجملينُ
وله ترشّينَ العطورَ ..
وتقلعينَ ..
وترتدينَ ..
ولمحتُ طوقَ الياسمينُ
في الأرضِ .. مكتومَ الأنينُ
كالجئةِ البيضاء ..
تدفعُهُ جموعُ الراقصينُ
ويهمُّ فارسُك الجميلُ بأخذه ..
فئمانعينَ ..
وئفقهينَ ..
" لا شيءَ يستدعي انحناءك ..
ذاك طوقُ الياسمين .. "

لن تطفئي مجدي

ثرثرت جداً .. فاتركيني
شيء يمزق لي جبينى

أنا في الجحيم .. وأنت لا
تدرين ماذا يعترينى

لن تفهمي معنى العذاب
بريشتي .. لن تفهميني ..

عمياء أنتِ .. ألم تري
قلبي تجمع في عيوني ؟

لأخافُ تأكلكِ الحروفُ
بجبهتي .. فتجذبيني ..

مات الحنينُ ، أسمعِين ؟
ومتُّ أنتِ مع الحنينِ .

لا تسأليني كيفَ قصتنا
إنتهتْ ، لا تسأليني ..

هي قصة الأصابِ ، والأفيون
والدمِ والجَنونِ ..

مرت .. فلا تتذكري
وجهي ، ولا تتذكريني

إن تنكريها ، فأقـرأي
تاريخ سخفك في غضونِي ..
* * *

أمريضة الأفكار .. يَأبى
الليلُ أن تستضعفيني

لن تطفئ مجدي على
قدح .. وضمة ياسمين

إن كان حبك أن أعيش
على هرائك فأكرهيني

حاولتِ حريقي .. فاحترقــــــــت
بنارِ نَفْسِكِ .. فاعذريني

لا تطلبي دمعي .. أنا
رجلٌ يعيش بلا جفونِـ

مزقتِ أجملَ ماكتبــــــــتُ
وغرتِ حتى من ظنوني

وكسرتِ لوحاتي .. وأضرمتِ
الحرائقَ في سكوني

وكرهنتي .. وكرهتِ فنأً
كنتُ أطعمهُ عيونني

ورأيتني أهبُ النجومَ
محبتني .. فوقفــــــــتِ دوني ..

حاولتُ أنْ أعطيكِ مَنْ
نفسني .. ومن نورِ اليقينِـ

فسخرتِ من جهدي .. ومن
ضرباتِ مطرقتي الحنونِـ

وبقيتِ ، رغم أناملــــــــي ،
طيناً تراكم فوق طينِـ

لا كنتِ شيئاً في حساب
الذكرياتِ .. ولن تكوني
* * *

شفتي سأنبرها .. ولن
أمشي إليكِ على جبينني ..

وجودية

كان اسمها جانين ..
لقبتها - أذكر - في باريسَ من سنينُ
أذكر في مغارة (التابو) .
وهي فرنسية ..
في عينها تبكي
سماءَ باريسَ الرمادية
وهي وجودية
تعرفها
من خفها الجميلُ
منه هسهساتِ الحلقِ الطويلُ
كأنه غرغرة الضوء بفسقية ..
تعرفها
من قصة الشعر الغلامية ..
من خصلة في الليل مزروعة
و خصلة .. لله مرمية

* * *

كان اسمها جانين
بنطالها سحبة كبرياء
خيمة حسنٍ تحتها .. يختبئُ المساءُ
وتولدُ النجومُ
و خفها المقطع الصغيرُ
سفينة مجهولة المصيرُ
تقولُ للجاز : ابتدي ..
أريدُ أن أطيرو ..
مع العصافير الشتائية ..
الى مسافاتٍ خرافية
أريدُ أن أصيرو
أغنية أو جرح أغنية
تمضى بلا اتجاه
تحت المصابيح المسائية
في حارة ضيقة ،

فى ليل باريسَ الرمادية

* * *

كان اسمها جانينُ ..
وهى وجودية
تعيشُ فى التابو .. وللتابو
وليلها جازٌ وسردابُ ..
صندلها المنسوج من رعودُ
يزيدُ من اغرائها
وكيسها الراقصُ من ورائها ..
صديقها فى رحلة الوجودُ
تقولُ للحنِ : انهمرُ
أريدُ أن أروُدُ
جزائراً فى الأرض منسية
جزائراً مرسومة بأدمع الورودُ
ليسَ لها سورٌ .. ولا بابٌ .. ولا حدودُ

* * *

كانتُ وجودية
لأنها إنسانةٌ حيةٌ ..
تريدُ أن تختارَ ما تراه
تريدُ أن تمزقَ الحياهُ ..
من حبها الحياهُ ..

* * *

كانتُ فرنسية
فى عينها تبكى سماءُ باريسَ الرمادية
كانَ اسمها جانينُ ..

مرسالة من سيدة حاقدة

" لا تَدْخُلِي .. "

وسدَدتَ فى وجهي الطريقَ بمرْفَقَيْكَ
وزعمتَ لي ..
أنَّ الرفاقَ أتوا إليك
أهمُّ الرفاقُ أتوا إليك ؟
أم أنَّ سيِّدةً لديك

تحتلُّ بعدي ساعديك ..
وصرخت مُحتدماً :

قفي !

والريحُ تمضغُ معطفي
والذلُّ يكسو موقفي
لا تعتذر يا نذلُّ . لا تتأسف .
أنا لستُ آسفةً عليك
لكن

على قلبي الوفي
قلبي الذي لم تعرف ..

* * *

ماذا ؟

لو ألك يا دني ..

أخبرتني

أني انتهى أمري لديك ..

فجميع ما وشوشنتني

أيام كنت نُحِبُّني

من أنني ..

بيتُ الفراشة مسكني

و غدي انفراطُ السوسن ..

أنكرته أصلاً

كما أنكرتني ..

* * *

لا تعتذر ..

فالإثمُ يحصدُ حاجبيك

وخطوطُ أحمرها ، تصيحُ بوجنتيك

ورباطك المشدوه .. يفضحُ

ما لديك .. ومن لديك ..

يا من وقفتُ دمي عليك

وذلتني

ونفضتني

كذُ بابةٍ عن عارضيك

ودعوتُ سيدهً إليك

وأهنتني ..
من بعد ما كنتُ الضياءَ بناظريكُ ..

* * *

إني أراها في جوار الموقدِ
أخذتُ هنالكَ مقعدي ..
في الرُّكنِ .. ذاتَ المقعدِ
وأراكَ تمنحُها يداً
مثلوجةً .. ذاتَ اليدي ..
سترددُ القصصَ التي أسمعني ..
ولسوفَ تخبرُها بما أخبرتني ..
وسترفعُ الكأسَ التي جرَّعتني
كأساً بها سممتني
حتى إذا عادتَ إليكُ
نشوى بموعدها الهني ..
أخبرتها أن الرِّفاقَ أتوا إليكُ
وأضعتَ رونقها
كما ضيَّعتني ..

عند واحدة ..

قلنا .. وناقنا .. ودخنا
لم نجدنا كلُّ الذي قلنا ..

الساعة الكبرى .. تطاردنا
دقاتها .. كم نحن ثرثرنا !

حسناً ، إن شفاهاً حطبُ
فلنعترف أننا تغيرنا ..

ما قيمة التاريخ ، ننبشه
ولقد دفنا الأمسَ وارتحنا ..

هذي الرطوبةُ في أصابعنا
هي من عويلِ الريح .. أم منا؟

أتلو رسائنا .. فتضحكني
أبمثل هذا السخف قد كنا ؟

هذي ثيابك في مشاجبها
بهتت .. فلست أعيرها شأننا ..

فالأخضر المضى أضيقُ به
و متى يُمل الأخضر المضى ؟

اللون مات .. أم ان أعيننا
هي وحدها لا تُبصر اللوننا ..

يبسَ الحنُّو .. على محاجرنا
فعيوننا حُفِرُ بلا معنى ..

ما بال أيدينا مشنجةً
فالتلج غمرٌ إن تصافحنا

ممشى البنفسج في حديقتنا
قفرٌ .. فما أحدٌ به يُعنى ..

مر الربيع على نوافذنا
ومضى ليخبر أننا متنا ..

ما للمقاعد لا تحس بنا
أهي التي اعتادت أم اعتدنا ..

أين الحرائق ؟ أين أنفسنا ؟
لما أضعنا نارنا ضعنا ..

كنا و أصبح حبنا خبراً
فليرحم الرحمن ما كُنا ..

يتنفس الوادي ، و زنبقهُ
وشقيقهُ ، إما تنفسنا ..

نبني المساء بجرٍ إصبعةٍ
فنجومه من بعض ما عَفْنَا ..

كتبي .. ومعزفك القديم هنا
كم رفهت أضلاعهُ عنا

و صحائفٌ للعزف شاحبةٌ
غبراءُ .. لا نلقي لها أذنا

هذا سجلُّ رسومنا .. تَرَبُّ
العنكبوتُ بنى له سجنا ..

هذا الغلام أنا .. وأنتِ معي
ممدودةٌ في جانبي .. لحنا

لا .. ليس يُعقلُ أن صورتنا
هذي .. ولسنا من حوتِ لسنا
* * *

قلنا .. وناقنا .. ودخنا
لم يُجدنا كل الذي قلنا

حسناً .. إن شفاهنا حطبُ
فلنعترف أننا تغيرنا ..

حُبلى

لا تَمْتَقِعْ !
هي كَلِمَةٌ عَجَلَى
إِني لأشعرُ أنني
حُبلى !!

وصرختَ كالمسلوع بي :
" كَلَّا " !

سئمرَّقُ الطفلا
وأخذتَ تشتُمُني
وأخذتَ تطرُدُني
لا شيءَ يُدهِشُني
فلقد عرفتُكَ دائماً ندلاً ..

* * *

وبعثتَ بالخدَّامِ يدفعُني
في وحشةِ الدربِ
يا مَنْ
زرَّعتَ العارَ في صُلبي
وكسرتَ لي قلبي
ليقولَ لي :
" مولايَ ليسَ هنا .. "
مولاهُ أَلْفُ هُنا ..
لكنَّهُ جَبُنا
لما تأكَّدَ أنَّني حُبلى

* * *

ماذا ؟
أتبصِّفُني ؟
والقيءُ في حَلقي يدمِّرُني
وأصابُ العُتَيانِ تخنُّفُني
ووريتُكَ المشؤومُ في بَدني
والعارُ يسحِّفُني
وحقيقَةُ سوداءُ .. تملؤني
هي أنُني .. حُبلى

* * *

ليرائكَ الخمسون .. تُضحِكُني
لِمَن النقودُ .. لِمَن ؟
لُتجهِضُني ؟
لتخيطَ لي كَفَني ؟
هذا إِدْنُ تَمَني ؟

ثمنُ الوفا يا بُورَةَ العَفَنِ
أنا لم أجنكَ لِمَالِكَ النِّينِ
" شكراً .. "
سأسقطُ ذلكَ الحَمَلا ..
أنا لا أريدُ لهُ أباً نَدَلا ..

أوعية الصديد

لا .. لا أريدُ
المرّة الخمسون .. إني لا أريدُ
ودفنتَ رأسكَ في المخذة يا بليدُ
وأدرتَ وجهكَ للجدار ..
أيا جداراً من جليدُ
وأنا وراءك ..
يا صغير النفس .. نابحة الوريدُ
شعري على كتفي بديدُ
والريح تفتل مقبض الباب الوصيدُ
ونباح كلبٍ من بعيدُ
والحارسُ الليليُّ ، والمزrab متصل النشيدُ
حتى الغطاء سرقتهُ ..
وطعنت لي الأملَ الوحيدُ
ألمي الذي مزقته .. ألمي الوحيدُ
ماذا أريدُ ؟
وقبيل ثانيتين كنتَ تجول كالثور الطريدُ
والآن أنت بجانبني
قفصٌ من اللحمِ القديدُ ..
ما أشنع اللحمِ القديدُ

* * *

ماذا أريدُ ؟
يا وارثاً عبد الحميدُ
والمتكي التركيُّ
النجيلة الكسلى تننُّ وتستعيدُ
والشركسياتُ السبايا حول مضجعه الرغيدُ
يسقطن فوق بساطه .. جيداً فجيدُ

وخليفة الإسلام ، والملك السعيد
يرمي ، ويأخذ ما يريد
لا .. لم يمت عبد الحميد
فلقد تقمص فيكم عبد الحميد
حتى هنا ..
حتى على السرر المقوسة الحديد
نحن النساء لكم عبيد
وأحط أنواع العبيد ..
كم مات تحت سياطكم نهد شهيد
وبكى من استناركم
خسر عميد ..

* * *

ماذا أريد ؟
لا شيء ..
يا سفاح . يا قرصان . يا قبو الجليد
فأنا وعاء للصديد
يا ويل أوعية الصديد
هي ليس تملك أن تريد ولا تريد !!

إلى أجيرة

بدراهمي ..
لا بالحديث الناعم
حطمت عزتك المنيعة كلها بدراهمي
وبما حملت من النفائس . والحريير الحالم
فأطعتني
وتبعني
كالقطة العمياء ، مؤمنة بكل مزاعمي
فاذا بصدرك ، ذلك المغرور ، ضمن غنائي
أين اعتدادك ؟
أنت أطوع في يدي من خاتمي
قد كان ثغرك مرّة
ربي ، فأصبح خادمي
أمنت بالحسن . الأجير وطأته بدراهمي

وركلته ..
وذلته ..
بدُمي ، بأطواق كوهم الواهم-
ذهبُ
وديباجُ
وأحجارُ تشعُّ .. فقاومي
أي المواضع منكِ
لم تهطل عليه غمائي
خيرات صدرك كلها
من بعض- بعض- مواسمي

* * *

بدراهمي !
بإناء طيبٍ فاغم-
ومشيت كالفار الجبان إلى المصير- الحاسم-
ولهوتُ فيكِ فما انتختُ
شفقتك تحت جرائمي
والأرنبان الأبيضان-
على الرخام الهاجم-
جبنا ..
فما شعرا بظلم الظالم- ..
وأنا أصب عليهما
ناري ، ونار شتائمي
ردي .. فلست أطيقُ حُسناً
لا يرد شتائمي !!

* * *

مسكينةُ ..
لم يبقَ شيء منكِ
منذ استعبدتكِ دراهمي ..

شمع

جسمك في تفتحه الأروع-
فانغرزي في الشمع يا إصبعي

في غابية ، أريجها موجعُ
ولوزها .. أكثر من موجع ..

كلي شمساً .. وامضغي أنجماً ..
لا تقنعي ، من أنتِ إن تقنعي ..

ولقطي الغروبَ عن حلمةٍ
كسلى ، بغير الورد لم تزرعِ

جادتُ وجادتُ ، حين شجعتها
وحينَ حطتُ .. لم أجدُ أضلعي

منزلقُ الإبط .. هنا .. فاحصدي
حشائشاً طازجة الملتع ..

الزغبُ الطفلُ على أمه
بيادراً .. فيا يدي قطعي ..

والنهدُ ، مشكاكُ النجومَ ، الذي
شالَ إلى الله ولم يرجع ..

عرفتهُ أصغرَ من قبضتي
أصغرَ مما يدعي المدعي

حُقا من اللؤلؤ .. كم جنته
أعجنه بالجرح والأدمع ..
* * *

تنقلي ، قطعة صيفٍ ، على
وسائدٍ ممدودة الأذرع ..

أثرتِ لوحاتي على نفسها
وفر من تاريخه .. مخدعي

والتفتَ الليلُ بأعصابِ
إلى أزرارٍ .. بعدُ لم ينزع ..

أينَ يدي .. لا خبرٌ عن يدي
قبلَ سقوطِ الثلجِ كانتُ معي ..

القصيدة الشريفة

مطرٌ .. مطرٌ .. وصديقتها
معها ، ولتشرينَ نواحُ

والبابُ تئنُ مفاصله
ويعربد فيه المفتاح

شيءٌ بينهما .. يعرفه
إثنان ، أنا والمصباح

وحكاية حب لا تحكى
في الحب ، يموت الإيضاحُ

الحجرة فوضى .. فحلي
تُرمى .. وحرير ينزاحُ

ويغادر زرُّ عروته
بفتورٍ ، فالليل صباحُ ..

الذئبةُ ترضعُ ذئبتها
ويدُّ تجتاحُ وتجتاحُ ..

ودثارٌ فرٌّ .. فواحدةُ
تُدنيه ، وأخرى ترتاحُ

وحوارٌ نهودٍ أربعة
تتهامس ، والهمس مباحُ

كطيور بيض في روض
تتناقِرُ .. والرِيشُ سلاحُ

حَبَاتُ العَقْدِينِ انفرطتْ
من لهُوٍ ، وانهدَّ وشاحُ

فالحَمُّ الطِفْلُ ، يمزقهُ
في العتمة ، ظفرُ سَفَاحُ

وجزارة شعر .. وانقطعتْ
فالصوتُ المهموسُ نباحُ

ويكسرُ نهدً واقعهُ ..
ويثورُ ، فلجرحُ جراحُ ..

ويموت الموتُ .. ويستلقي
مما عاناه المصباحُ ..

* * *

يا أختي ، لا .. لا تضطربي
إني لكِ صدرٌ وجناحُ

أتراني كونتُ امرأة
كي تمضغ نهدِي الأشباحِ ؟

أشدوذُ .. أختاه إذا ما
لثمَ التفاحَ التفاحُ

نحنُ امرأتان .. لما قممُ
ولنا أنواءُ .. ورياحُ ..

* * *

مطرٌ .. مطرٌ .. وصديقتها
معها ، ولتشرين نواحُ ..

والبابُ تئنُ مفاصلُهُ
ويعربُ فيه المفتاحُ ..

أبي

أما تَ أبوكَ ؟
ضلالٌ ! أنا لا يموت أبي
ففي البيت منه ..
روائح ربِّ ، وذكري نبي

هنا ركنه .. تلك أشياءه
تفتقُ عن ألف غصنٍ صبي

جريدته .. تبغهِ .. مُتكأه
كأن أبي ، بعدُ ، لم يذهب ..

وصحن الرماد .. وفنجانه
على حاله ، بعد لم يشرب

ونظارتاه .. أيسلو الزجاج
عيوناً ، أشف من المغرب ..

بقاياها ، في الحجرات الفساح
بقايا النسور على الملعب ..

أجول الزوايا عليه ، فحيث
أمر .. أمرٌ على مُعشب

أشد يديه .. أميل عليه
أصلي على صدره المتعب

أبي .. لم يزل بيننا ، والحديث
حديث الكؤوس على المشرب

يسامرنا ، فالدوالي الحبالى
توالد من ثغره الطيب ..

أبي ، خبراً كان من جنة
ومعنى من الأرحب الأرحب

وعينا أبي ملجأ للنجوم
فهل يذكر الشرق عيني أبي ؟

بذاكرة الصيف من والدي
كروم .. وذاكرة الكوكب ..
* * *

أبي .. يا أبي .. إن تاريخ طيب
وراءك يمشي ، فلا تعتب ..

على اسمك نمضي .. فمن طيب
شهي المجاني إلى أطيّب ..

حملتك في صحو عيني حتى
تهياً للناس أني أبي ..

أشيلك حتى بنبرة صوتي
فكيف ذهبت .. ولا زلت أبي ؟
* * *

إذا فلة الدار أعطت لدينا
ففي البيت ألف فم مذهب

فتحنا لتموز أبواننا
ففي الصيف ، لا بد ، يأتي أبي ..

***** النهاية *****

قصائد سياسية بلا ديوان

نزار قباني

مقدمة الناقل الإلكتروني

عندما بحثنا عن الدواوين الأربعة للشاعر الكبير نزار قباني والمكونة للأعمال السياسية الكاملة له وهي : قصائد مغضوب عليها ، تزوجتك أيتها الحرية ، الكبريت في يدي ودويلاتكم من ورق ، هوامش على الهوامش .. على الإنترنت. لم نجد منها سوى ديوان تزوجتك أيتها الحرية .. وأما الدواوين الثلاثة الأخرى فلم نعثر لها على أثر .. ولمعرفتنا بأسماء القصائد التي تحويها تلك الدواوين قمنا بجمعها قصيدة قصيدة لنكون تلك الدواوين .. وقد نجحنا في ذلك بعون الله وتوفيقه .. ووضعناها على الإنترنت ولم يبق إلا قصائد سياسية مبعثرة ليست في أي من تلك الدواوين ولكنها تدرج ضمن الأعمال السياسية الكاملة لشاعرنا الكبير .. فسوف نجعلها في هذا الكتاب . كما أننا أضفنا أربع قصائد : المهرولون ، المتنبى وأم كلثوم على قائمة التطبيع ، اليوميات السرية لبهية المصرية ، بلقيس. لأن الأولى والثانية لم تدرج في ديوان لنزار قط .. والثالثة ضمن ديوان ممنوع بمصر والرابعة نعتبرها سياسية لمحتواها.

ahmed15091981@yahoo.com

إيضاح إلى قراء شعري

ويقول عني الأغبياء:

إني دخلت إلى مقاصير النساء.. وما خرجت

ويطالبون بنصب مشنقتي.. لأنني

عن شؤون حبيبتني.. شعراً كتبت..

أنا لم أتاجر - مثل غيري - بالحشيش..

ولا سرقت.. ولا قتلت..

لكنني .. أحببت في وضح النهار ..

فهل تراني قد كفرت؟

ويقول عني الأغبياء:

إني بأشعاري، خرجت على تعاليم السماء
من قال إن الحب عدوان على شرف السماء

إن السماء صديقتي ..

تبكي إذا أبكي.. وتضحك إن ضحكت

وتزيد أنجمها بريقاً ..

إن أنا يوماً عشقت ..

ماذا إذا غنيت باسم حبيبتي

وزرعتها في كل عاصمة

كغابة كستناء..؟

سأظل أحترف المحبة..مثل كل الأنبياء ..

وأظل أحترف الطفولة، والبراءة، والنقاء ..

وأظل أكتب عن شؤون حبيبي ..

حتى أنوب شعرها الذهبي، في ذهب المساء

وأنا - وأرجو أن أظل كما أنا -

طفلاً يخربش فوق حيطان النجوم كما يشاء..

حتى يصير الحب في وطني بمرتبة الهواء..

وأصير قاموساً لطلاب الهوى..

وأصير فوق شفاهم..

ألفاً وباء..

خبز و حشيش و قمر..

عندما يولدُ في الشرق القمرُ ..

فالسطوحُ البيضُ تغفو

تحت أكداس الزهرِ ..

يترك الناسُ الحوانيت و يمضون زُمرَ

لملاقاة القمرِ ..

يحملون الخبزَ.. و الحاكي .. إلى رأس الجبالِ

و معدات الخدرِ ..

و يبيعون.. و يشرون.. خيالَ

و صورَ ..

و يموتونَ إذا عاش القمرُ ..

ما الذي يفعله قرصُ ضياء؟

ببلادي..

ببلاد الأنبياء..

و بلاد البسطاء..

ماضغي التبغ و تجار الخدر..

ما الذي يفعله فينا القمر؟

فنضيع الكبرياء..

و نعيش لنستجدي السماء..

ما الذي عند السماء؟

لكسالى..ضعفاء..

يستحيلون إلى موتى إذا عاش القمر..

و يهزون قبور الأولياء..

علها ترزقهم رزاً.. و أطفالاً..قبور الأولياء

و يمدّون السجاجيدَ الأنيقات الطررَ..

يتسلون بأفيونٍ نسميه قدرَ..

و قضاءً..

في بلادي.. في بلاد البسطاءِ..

أي ضعفًا و انحلالً ..

يتولّانا إذا الضوء تدفقُ

فالسجاجيدُ.. و آلاف السلالِ ..

و قداحُ الشاي .. و الأطفالُ .. تحتلُّ التلالُ

في بلادي

حيث يبكي السانجونُ

و يعيشونَ على الضوء الذي لا يبصرونُ ..

في بلادي

حيث يحيا الناسُ من دون عيونٍ ..

حيث يبكي الساذجونُ ..

و يصلونَ ..

و يزنونَ ..

و يحيونَ اتكالُ ..

منذ أن كانوا يعيشونَ اتكالُ ..

و ينادونَ الهلال:

" يا هلالُ ..

أيُّها النبع الذي يُمطر ماسُ ..

و حشيشاً .. و نعاسُ ..

أيُّها الرب الرخاميُّ المعلقُ

أيُّها الشيءُ الذي ليس يصدِّقُ .."

دمتَ للشرقِ .. لنا

عنقود ماسٌ

للملايين التي عطّلت فيها الحواسُ

في ليالي الشرق لَمَّا..

يبلغُ البدرُ تمامهً..

يتعرّى الشرقُ من كلِّ كرامه

و نضال..

فالملايينُ التي تركض من غير نعال..

و التي تؤمن في أربع زوجاتٍ..

و في يوم القيامة..

الملايين التي لا تلتقي بالخبز..

إلا في الخيال..

و التي تسكن في الليل بيوتاً من سُعال..

أبدأ.. ما عرفت شكل الدواء..

تتردّي جُنثًا تحت الضياء..

في بلادي.. حيث يبكي الأغبياء..

و يموتون بكاء..

كلّما حرّكهم عودٌ ذليلٌ.. و "ليالي"

ذلك الموتُ الذي ندعوه في الشرق..

"ليالي" .. و غناء

في بلادي..

في بلاد البسطاء..

حيث نجتُرُ التواشيح الطويلة..

ذلك السُلُّ الذي يفتكُ بالشرق..

التواشيح الطويلة..

شرقنا المجتُرُّ.. تاريخاً

و أحلاماً كسولة..

و خرافاتٍ خوالي..

شرقنا، الباحثُ عن كلِّ بطولة..

في أبي زيد الهلالي..

قصة راشيل شوارزنبيرغ

أكتبُ للصغار..

للعرب الصغار حيث يوجدون

لهم،

على اختلاف اللون،

والأعمار،

والعيون

أكتبُ للذين سوف يولدون

لهم أنا أكتب..

للصغار..

لأعين يركض في أحداقها النهار

أكتب باختصار

قصة إرهابية مجنونة

يدعونها (راشيل)

قضت سنين الحرب في زنزانة منفردة

شيدها الألمان في براغ

كان أبوها قدراً من أقدر اليهود

يزور النقود

وهي تدير منزلاً للفحش في براغ

يقصده الجنود

وآلت الحرب إلى ختام

وأعلن السلام

ووقع الكبار

أربعة.. يلقبون أنفسهم كبار

صك وجود الأمم المتحدة

وأبحرت من شرق أوروبا

مع الصباح...

سفينة تلغنها الرياح

وجهتها الجنوب

تغص بالجرذان، والطاعون، واليهود

كانوا خليطاً من سُقاة الشعوب

من أرض بولندا،

من النمسا..

من استمبول

من براغ..

من آخر الأرض، من السعير

جاؤوا إلى موطننا الصغير

موطننا المسالم الصغير

فلطخوا ترابنا

وأعدموا نساءنا

ويتموا أطفالنا

ولا تزال الأمم المتحدة

ولم يزل ميثاقها الخطير

يبحث في حرية الشعوب

وحق تقرير المصير

والمثل المجردة

فليذكر الصغار..

العرب الصغار حيث يوجدون

من ولدوا منهم، ومن سيولدون

قصة إرهابية مجنونة

يدعونها (راشيل)

حلت محل أمي الممددة

في أرض بيارتنا الخضراء في الجليل

أمي أنا الذبيحة المستشهدة..

وليذكر الصغار..

حكاية الأرض التي ضيعها الكبار..

والأمم المتحدة..

*

أكتب للصغار

قصة بئر السبع، والطررون، والخليل

هل يذكر الليمون في الرملة،

في اللد..

وفي الجليل

أختي التي علقها اليهود في الأصيل

من شعرها الطويل

أختي أنا نُوار

أختي أنا الهتيكة الإزار

أختي التي ما زال جرحها الطليل

ما زال بانتظار

نهار تار واحد

نهار تار..

على يد الصغار

جيل فدائي من الصغار

يعرف عن نُوار

وشعرها الطويل

وقبرها الضائع في القفار

أكثر مما يعرف الكبار..

*

أكتب للصغار

أكتب عن يافا، وعن مرفئها القديم

عن بقعة غالية الحجار

يضيء برتقالها كخيمة النجوم

تضم قبر والدي..

وإخوتي الصغار

هل تعرفون والدي؟

وإخوتي الصغار؟

إذ كان في يافا لنا، حديقة ودار..

يلفها النعيم..

وكان والدي الرحيم

مزارعاً شيخاً يحب الشمس والتراب

والله والزيتون والكروم

كان يحب بيته..

وزوجه..

والشجر المثقل بالنجوم

وجاء أغراب مع الغياب

من شرق أوروبا..

ومن غياهب السجون

جاؤوا كفوج جائع من الذئاب..

فأتلفوا الثمار..

وكسروا الغصون
وأشعلوا النيران في بيادر النجوم
والخمسة الأطفال في وجوم
والليل في وجوم..
واشتعلت في والدي كرامة التراب
فصاح فيهم: اذهبوا إلى الجحيم
لن تسلبوا أرضي يا سلالة الكلاب!!
ومات والدي الرحيم
بطلقة سددها كلب من الكلاب
عليه، مات والدي العظيم
في الموطن العظيم
وكفه مشدودة شداً إلى التراب

فليذكر الصغار

العرب الصغار حيث يوجدون

من ولدوا منهم.. ومن سيولدون

ما قيمة التراب

لأن في انتظارهم معركة التراب

رسالة جندي في جبهة السويس

الرسالة الأولى 1956/10/29

يا والدي!

هذي الحروفُ الثائرةُ

تأتي إليك من السويسُ

تأتي إليك من السويس الصابرةُ

إني أراها يا أبي، من خندقي، سفنُ اللصوصُ

محشودةٌ عندَ المضيقُ

هل عادَ قطاعُ الطريقِ؟

يتسلقونَ جدارنا..

ويهددونَ بقاءنا..

فبلادُ آبائي حريقُ

إني أراهم، يا أبي، زرقَ العيونِ

سودَ الضمائر، يا أبي، زُرقَ العيونِ

قرصاتهم، عينٌ من البللور، جامدَةُ الجفونِ

والجندُ في سطح السفينة.. يشتمون.. ويسكرون

فرغتُ براميلُ النبيذ.. ولا يزالُ الساقطون..

يتوعدون

الرسالة الثانية 1956/10/30

هذي الرسالة، يا أبي، من بورسعيد

أمرٌ جديدٌ..

لكتيبي الأولى ببدء المعركة

هبط المظليون خلف خطوطنا..

أمرٌ جديدٌ..

هبطوا كأرتال الجراد.. كسرب غربان مُبيدٌ

النصفُ بعدَ الواحدِ..

وعليَّ أنْ أنهي الرسالة

أنا ذاهبٌ لمهمّتي

لأردَّ قطاعَ الطريقِ.. وسارقي حرّيتي

لك.. للجميع تحيّتي.

الرسالة الثالثة 1956/10/31

الآن أفنينا فلول الهابطين

أبتاه، لو شاهدتهم يتساقطون

كثمار ممشة عجوز

يتساقطون..

يتأرجحون

تحت المظلات الطعينة

مثل مشنوق تدلى في سكون

وبنادق الشعب العظيم.. تصيدهم

زُرَقَ العيون

لم يبقَ فلاحٌ على محراثه.. إلا وجاء

لم يبقَ طفلٌ، يا أبي، إلا وجاء

لم تبقَ سَكِينٌ.. ولا فأسٌ..

ولا حجرٌ على كتفِ الطريقِ..

إلا وجاءَ

ليردَّ قطاعَ الطريقِ

ليخطَّ حرفاً واحداً..

حرفاً بمعركةِ البقاءِ

الرسالة الرابعة 1956/11/1

ماتَ الجرادُ

أبتاهُ، ماتتْ كلُّ أسرابِ الجرادِ

لم تبقَ سيِّدةٌ، ولا طفلٌ، ولا شيخٌ قعيدٌ

في الريف، في المدن الكبيرة، في الصعيد

إلا وشارك، يا أبي

في حرق أسراب الجراد

في سحقه.. في ذبحه حتى الوريد

هذي الرسالة، يا أبي، من بورسعيد

من حيثُ تمتزجُ البطولةُ بالجراح وبالحديدُ

من مصنع الأبطال، أكتبُ يا أبي

من بورسعيد..

جميلة بو حيرد

الاسم: جميلة بو حيرد

رقم الزنزانة: تسعوناً

في السجن الحربي بوهران

والعمر اثنان وعشرون

عينان كقنديلي معبد

والشعر العربي الأسود

كالصيف ..

كشلال الأحران

إبريق للماء .. وسجان

ويد تنضم على القرآن

وامرأة في ضوء الصبح
تسترجع في مثل البوح
آياتٍ مُحزنةٍ الإرنان
من سورة (مريم) و(الفتح)

*

الاسم: جميلة بوحيرد
اسمٌ مكتوبٌ باللهبِ ..
مغموسٌ في جرح السحبِ
في أدبِ بلادي. في أدبي ..
العمرُ اثنان وعشرون
في الصدر استوطن زوجُ حمام
والثغرُ الراقدُ غصنُ سلام

إمراة من قسطنطينه
لم تعرف شفتاها الزينه
لم تدخل حجرتها الأحلام
لم تلعب أبدأ كالأطفال
لم تُغرم في عقدٍ أو شال
لم تعرف كنساء فرنسا
أقبية اللدة في (بيغال)

*

الاسم: جميلة بوحيرد
أجمل أغنية في المغرب
أطول نخلة

لمحتها واحاتُ المغرب

أجملُ طفلةً

أتعبتِ الشمسَ ولم تتعب

يا ربّي . هل تحت الكوكب ؟

يوجدُ إنسانٌ

يرضى أن يأكلَ .. أن يشربَ

من لحم مُجاهدةٍ تُصلب ..

*

أضواءُ (الباستيل) ضئيلة

وسُعالُ امرأةٍ مُسئولة ..

أكلتُ من نهدِها الأغلال

أكلَ الأندال

(لاكوست) وآلاف الأندال
من جيش فرنسا المغلوبة
انتصروا الآن على أنثى
أنثى .. كالشمعة مصلوبه
القيد يعضُّ على القدمين
وسجائرُ تُطفأ في النهدين
ودمٌ في الأنفِ .. وفي الشفتين
وجراحٌ جميلةٌ بوحيرد
هيَ والتحريرُ على موعدِ

*

مقصلةٌ تنصبُ .. والأشرار

يلهونَ بأنثى دون إزار
وجميلةً بين بنادقهم
عصفورٌ في وسط الأمطار
الجسدُ الخمرىَّ الأسمر
تتفضهُ لمساتُ التيار
وحروقٌ في الثدي الأيسر
في الحلمةِ ..
في .. في .. يا للعار ..

*

الاسمُ: جميلةٌ بوحيردَ
تاريخُ: ترويه بلادي
يحفظهُ بعدي أولادي

تاريخ امرأة من وطني

جلدت مقصلة الجلاد ..

إمرأة دوخت الشمس

جرحت أبعاد الأبعاد ..

ثائرة من جبل الأطلس

يذكرها الليلك والنجس

يذكرها .. زهر الكباد ..

ما أصغر (جان دارك) فرنسا

في جانب (جان دارك) بلادي ..

الحب والبتروول

متى تفهم؟

متى يا سيدي تفهم؟

بأني لست واحدة كغيري من صديقاتك

ولا فتحة نساءياً يُضافُ إلى فتوحاتك

ولا رقماً من الأرقام يعبرُ في سجلاتك؟

متى تفهم؟

متى تفهم؟

أيا جملاً من الصحراءِ لم يُلجمْ

ويا مَنْ يأكلُ الجدرِيُّ منكَ الوجهُ والمعصمُ

بأني لن أكونَ هنا.. رماداً في سجاتك

ورأساً بين آلاف الرؤوس على مخدّاتك
وتمثالاً تزيد عليه في حمى مزاداتك
ونهداً فوق مرمره.. تسجّل شكل بصماتك
متى تفهم؟

*

متى تفهم؟
بانك لن تخدّرنى.. بجاهك أو إماراتك
ولن تملك الدنيا.. بنفطك وامتيازاتك
وبالبترول يعبق من عباواتك
وبالعربات تطرحها على قدمي عشيقاتك
بلا عدد.. فأين ظهور ناقاتك
وأين الوشم فوق يديك.. أين ثقوب خيماتك

أيا متشققَ القدمين.. يا عبدَ انفعالاتكُ

ويا مَنْ صارتِ الزوجاتُ بعضاً من هواياتكُ

تكدّسهنَّ بالعشراتِ فوقَ فراشِ لذاتكُ

تحنّظهنَّ كالحشراتِ في جدرانِ صالاتكُ

متى تفهمُ؟

*

متى يا أيها المُتخَمُ؟

متى تفهمُ؟

بأنّي لستُ مَنْ تهتمُّ

ببناركِ أو بجنّاتكُ

وأن كرامتي أكرمُ..

من الذهبِ المقدّسِ بينِ راحتكُ
وأن مناخَ أفكارِ غريبٍ عن مناخاتكُ
أيا من فرّخِ الإقطاعِ في ذرّاتِ ذرّاتكُ
ويا من تخجلُ الصحراءُ حتّى من مناداتكُ
متى تفهمُ ؟

*

تمرّغ يا أميرَ النفطِ.. فوقَ وحولِ لذاتكُ
كممسحةٍ.. تمرّغ في ضلالاتكُ
لكَ البترولُ.. فاعصره على قدمي خلياتكُ
كهوفُ الليلِ في باريسَ.. قد قتلتُ مروءاتكُ
على أقدامِ مومسةٍ هناكَ.. دفنتِ ثاراتكُ
فبعثَ القدسَ.. بعثَ اللهَ.. بعثَ رمادَ أمواتكُ

كأنَّ حَرَابَ إِسْرَائِيلَ لَمْ تُجْهَضْ شَقِيقَاتُكَ

وَلَمْ تَهْدَمْ مَنَازِلَنَا.. وَلَمْ تَحْرِقْ مَصَاحِفَنَا

وَلَا رَايَاتُهَا ارْتَفَعَتْ عَلَى أَشْلَاءِ رَايَاتِكَ

كَأَنَّ جَمِيعَ مَنْ صُلِبُوا..

عَلَى الْأَشْجَارِ.. فِي يَافَا.. وَفِي حَيْفَا..

وَبئْرَ السَّبْعِ.. لَيْسُوا مِنْ سُلَالَتِكَ

تَغْوَسُ الْقُدْسُ فِي دِمْهَا..

وَأَنْتَ صَرِيحُ شَهْوَاتِكَ

تَنَامُ.. كَأَنَّهَا الْمَآسَاءُ لَيْسَتْ بَعْضَ مَآسَاتِكَ

مَتَى تَفْهَمُ؟

مَتَى يَسْتَيْقِظُ الْإِنْسَانُ فِي ذَاتِكَ؟

هوامش على دفتر النكسة¹

1

أنعي لكم، يا أصدقائي، اللغة القديمة

والكتب القديمة

أنعي لكم..

كلامنا المثقوب، كالأحذية القديمة..

ومفردات العهر، والهجاء، والشتيمة

أنعي لكم.. أنعي لكم

نهاية الفكر الذي قاد إلى الهزيمة

¹ كتبت في أعقاب نكسة حزيران (يونيو) 1967

2

مالحة في فمنا القصائد

مالحة ضفائر النساء

والليل، والأستار، والمقاعد

مالحة أمامنا الأشياء

3

يا وطني الحزين

حولتني بلحظة

من شاعر يكتب الحب والحنين

لشاعر يكتب بالسكين

4

لأنَّ ما نحسُّه أكبرُ من أوراقنا

لا بدَّ أن نخجلَ من أشعارنا

5

إذا خسرنا الحربَ لا غرابه

لأننا ندخلها..

بكلِّ ما يملكُ الشرقيُّ من مواهبِ الخطابه

بالعنترياتِ التي ما قتلت ذبابه

لأننا ندخلها..

بمنطقِ الطبله والربابه

6

السرُّ في مأساتنا
صراخنا أضخمُ من أصواتنا
وسيفنا أطولُ من قاماتنا

7

خلاصة القضية
توجزُ في عبارة
لقد لبسنا قشرة الحضارة
والروحُ جاهليّةٌ...

8

بالنَّاي والمزمار..

لا يحدثُ انتصارُ

9

كلّفنا ارتجاننا

خمسينَ ألفَ خيمةٍ جديدةٍ

10

لا تلعنوا السماءَ

إذا تخلّت عنكمُ..

لا تلعنوا الظروفَ

فإنّ اللهَ يوئِي النصرَ من يشاءُ

وليسَ حدّاداً لديكمُ.. يصنعُ السيوفُ

11

يُوجَعُنِي أَنْ أَسْمَعَ الْأَنْبَاءَ فِي الصَّبَاحِ

يُوجَعُنِي.. أَنْ أَسْمَعَ النَّبَأِ..

12

مَا دَخَلَ الْيَهُودَ مِنْ حَدُودِنَا

وَإِنَّمَا..

تَسْرَبُوا كَالنَّمْلِ.. مِنْ عِيُوبِنَا

13

خَمْسَةَ آلَافِ سَنَةٍ..

وَنَحْنُ فِي السَّرْدَابِ

ذقوننا طويلاً

نقودنا مجهولة

عيوننا مرافقُ الذبابِ

يا أصدقائي:

جرّبوا أن تكسروا الأبوابُ

أن تغسلوا أفكاركم، وتغسلوا الأثوابُ

يا أصدقائي:

جرّبوا أن تقرؤوا كتاباً..

أن تكتبوا كتاباً

أن تزرعوا الحروفَ، والرُّمانَ، والأعنانَ

أن تبحروا إلى بلادِ الثلجِ والضبابِ

فالناسُ يجهلونكم.. في خارجِ السردابِ

الناسُ يحسبونكم نوعاً من الذئاب...

14

جلودنا ميتة الإحساسُ

أرواحنا تشكو من الإفلاسُ

أيامنا تدورُ بين الزار، والشطرنج، والنعاسُ

هل نحنُ "خيرُ أمةٍ قد أخرجت للناسُ"؟ ...

15

كانَ بوسعِ نطفنا الدافقِ بالصحاري

أن يستحيلَ خنجراً..

من لهبٍ ونار..

لكنه..

واخجلة الأشراف من قريش
وخجلة الأحرار من أوس ومن نزار
يراقُّ تحت أرجل الجواري...

16

نركضُ في الشوارع
نحملُ تحت إبطنا الحبالا..
نمارسُ السحلَ بلا تبصرٍ
نحطمُ الزجاجَ والأقفالا..
نمدحُ كالضفادع
نشتمُ كالضفادع
نجعلُ من أقزامنا أبطالاً..

نَجْعُلُ مِنْ أَشْرَافِنَا أَنْدَالَآ..

نَرْتَجِلُ الْبَطُولَةَ ارْتَجَالَآ..

نَقْعُدُ فِي الْجَوَامِعِ..

تَتَابِلَآ.. كُسَالَى

نَشْطُرُ الْأَبْيَاتَ، أَوْ نُوَلِّفُ الْأَمْثَالَآ..

وَنَشْحَدُ النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّنَا..

مَنْ عِنْدَهُ تَعَالَى...

17

لَوْ أَحَدٌ يَمْنَحُنِي الْأَمَانَ..

لَوْ كُنْتُ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقَابِلَ السُّلْطَانَ

قَالَتْ لَهُ: يَا سَيِّدِي السُّلْطَانَ

كَلَابِكَ الْمَفْتَرِسَاتُ مَزَّقَتْ رِدَائِي

ومخبروك دائماً ورأيي..

عيونهم ورأيي..

أنوفهم ورأيي..

أقدامهم ورأيي..

كالقدر المحتوم، كالقضاءِ

يستجوبونَ زوجتي

ويكتبونَ عندهم..

أسماءَ أصدقائي..

يا حضرةَ السلطانِ

لأنني اقتربتُ من أسوارك الصمّاءِ

لأنني..

حاولتُ أن أكشفَ عن حزني.. وعن بلائي

ضربتُ بالحداءِ..

أرغمني جندك أن آكلَ من حدائي

يا سيدي..

يا سيدي السلطانُ

لقد خسرتَ الحربَ مرتينُ

لأنَّ نصفَ شعبنا.. ليسَ لهُ لسانُ

ما قيمةُ الشعبِ الذي ليسَ لهُ لسانُ؟

لأنَّ نصفَ شعبنا..

محاصرٌ كالنملِ والجرذانُ..

في داخلِ الجدرانِ..

لو أحدٌ يمنحني الأمانُ

من عسكرِ السلطانِ..

قلتُ لهُ: لقد خسرتَ الحربَ مرتينُ..

لأنك انفصلتَ عن قضيةِ الإنسانِ..

18

لو أننا لم ندفن الوحدةَ في الترابِ

لو لم نمزّقْ جسمها الطّريّ بالحرابِ

لو بقيتْ في داخلِ العيونِ والأهدابِ

لما استباحتْ لحمنا الكلابِ..

19

نريدُ جيلاً غاضباً..

نريدُ جيلاً يفلحُ الآفاقَ

وينكشُ التاريخَ من جذوره..

وينكشُ الفكرَ من الأعماقُ

نريدُ جيلاً قادمًا..

مختلفَ الملامحِ..

لا يغفرُ الأخطاءَ.. لا يسامحُ..

لا ينحني..

لا يعرفُ النفاقَ..

نريدُ جيلاً..

رائدًا..

عملاقًا..

20

يا أيُّها الأطفالُ..

من المحيطِ للخليجِ، أنتمُ سنابلُ الآمالِ

وَأَنْتُمْ الْجِيلُ الَّذِي سَيَكْسُرُ الْأَغْلَالَ

وَيَقْتُلُ الْأَفْيُونََ فِي رُؤُوسِنَا..

وَيَقْتُلُ الْخِيَالَ..

يَا أَيُّهَا الْأَطْفَالُ أَنْتُمْ - بَعْدُ - طَيِّبُونَ

وِظَاهِرُونَ، كَالنَّدَى وَالثَّلْجِ، طَاهِرُونَ

لَا تَقْرَؤُوا عَن جِيلِنَا الْمَهْزُومِ يَا أَطْفَالَ

فَنَحْنُ خَائِبُونَ..

وَنَحْنُ، مِثْلَ قَشْرَةِ الْبَطِيخِ، تَافِهُونَ

وَنَحْنُ مَنْخُورُونَ.. مَنْخُورُونَ.. كَالنَّعَالِ

لَا تَقْرَؤُوا أَخْبَارَنَا

لَا تَقْتَفُوا آثَارَنَا

لَا تَقْبَلُوا أَفْكَارَنَا

فَنَحْنُ جِيلُ الْقِيءِ، وَالزُّهْرِيِّ، وَالسَّعَالِ
وَنَحْنُ جِيلُ الدَّجْلِ، وَالرَّقْصِ عَلَى الْحَبَالِ
يَا أَيُّهَا الْأَطْفَالُ:

يَا مَطَرَ الرَّبِيعِ.. يَا سَنَايِلَ الْأَمَالِ
أَنْتُمْ بَذُورُ الْخَصْبِ فِي حَيَاتِنَا الْعَقِيمَةِ
وَأَنْتُمْ الْجِيلُ الَّذِي سَيَهْزِمُ الْهَزِيمَةَ...

الممثلون

1

حين يصيرُ الفكرُ في مدينةٍ

مُسَطَّحاً كحدوةِ الحصانِ ..

مُدَوِّراً كحدوةِ الحصانِ ..

وتستطيعُ أيُّ بندقيّةٍ يرفعُها جَبَانُ

أن تسحقَ الإنسانَ

حينَ تصيرُ بلدةٌ بأسرها ..

مصيدةً .. والناسُ كالفئرانَ

وتصبحُ الجرائدُ الموجهةُ ..

أوراقَ نعي تملأُ الحيطانَ

يموتُ كلُّ شيءٍ

يموتُ كلُّ شيءٍ

الماءُ ، والنباتُ ، والأصواتُ ، والألوانُ

تُهاجرُ الأشجارُ من جذورها

يهربُ من مكانه المكانُ

وينتهي الإنسانُ

2

حينَ يصيرُ الحرفُ في مدينةٍ

حشيشةً يمنعها القانونُ

ويصبحُ التفكيرُ كالبغاءِ ، واللواطِ ، والأفيونِ

جريمةً يطأها القانونُ

حينَ يصيرُ الناسُ في مدينةٍ

ضفادعاً مفقوءة العيون
فلا يثورون ولا يشكون
ولا يغنون ولا يبكون
ولا يموتون ولا يحيون
تحترق الغابات ، والأطفال ، والأزهار
تحترق الثمار
ويصبح الإنسان في موطنه
أذلّ من صرصار ..

3

حين يصير العدل في مدينة
سفينة يركبها قرصان

ويصبحُ الإنسانُ في سريره

محاصراً بالخوفِ والأحزانِ

حينَ يصيرُ الدمعُ في مدينةِ

أكبرَ من مساحةِ الأجفانِ

يسقطُ كلُّ شيءٍ

الشمسُ ، والنجومُ ، والجبالُ ، والوديانُ

والليلُ ، والنهارُ ، والبحارُ ، والشيطانُ

واللهُ .. والإنسانُ

4

حينَ تصيرُ خوزةً .. كالربِّ في السماءِ

تصنعُ بالعبادِ ما تشاءُ

تمعسُهُم .. تهرسُهُم ..

تميئهم .. تبعثهم ..

تصنع بالعباد ما تشاء

حين يصير الحكم في مدينة نوعاً من البغاء

ويصير التاريخ في مدينة ..

ممسحة .. والفكر كالحذاء

حين تصير نسمة الهواء

تأتي بمرسوم من السلطان

وحبة القمح التي ناكلها ..

تأتي بمرسوم من السلطان

وقطرة الماء التي نشربها

تأتي بمرسوم من السلطان

حين تصير أمة بأسرها

ماشية تعلق في زريبة السلطان

يختنق الأطفال في أرحامهم

وتجهض النساء ..

وتسقط الشمس على ساحاتنا ..

مشنقة سوداء

5

متى سترحلون ؟

المسرح انهار على رؤوسكم ..

متى سترحلون ؟

والناس في القاعة يشتمون .. يبصقون

كانت فلسطين لكم ..

دجاجة من بيضها الثمين تأكلون

كانت فلسطين لكم ..

قميص عثمان الذي به تُتاجرون

طوبى لكم ..

على يديكم أصبحت حدودنا من ورق

فألف تُشكرون ..

على يديكم أصبحت بلادنا

امرأة مباحة .. فألف تُشكرون

6

حرب حُزيران انتهت ..

فكلُّ حربٍ بعدها ، ونحن طيبون

أخبارنا جيِّدة

وحائنا - والحمد لله - على أحسن ما يكون

جمرُ النراجيل ، على أحسن ما يكون

وظاولاتُ الزهر .. ما زالت على أحسن ما يكون

والقمرُ المزروعُ في سمائنا

مدورُ الوجهِ على أحسن ما يكون

وصوتُ فيروزَ ، من الفردوس يأتي : " نحنُ راجعونُ
"

تغلغلَ اليهودُ في ثيابنا ، و " نحنُ راجعونُ "

صاروا على مترين من أبوابنا ، و " نحنُ راجعونُ "

ناموا على فراشنا ، و "نحنُ راجعونُ "

وكلُّ ما نملكُ أن نقولهُ :

" إنا إلى الله نراجعونُ " ...

7

حربُ حزيرانَ انتهتْ

وحالنا - والحمدُ لله - على أحسن ما يكونُ

كُتِّبنا على رصيفِ الفكرِ عاطلونُ

من مطبخِ السلطانِ يأكلونُ

بسيفه الطويلِ يضربونُ

كُتِّبنا ما مارسوا التفكيرَ من قرونُ

لم يُقتلوا .. لم يُصلبوا ..

لم يقفوا على حدودِ الموتِ والجنونِ

كُتِّبنا يحيونَ في إجازةٍ ..

وخارجَ التاريخِ .. يسكنونُ ..

حربُ حزيرانَ انتهتْ

جرائدُ الصباحِ ما تغيّرتْ

الأحرفُ الكبيرةُ الحمراءُ .. ما تغيّرتُ
الصورُ العاريةُ النكراءُ .. ما تغيّرتُ
والناسُ يلهثونُ .. تحتَ سياطِ الجنسِ يلهثونُ
تحتَ سياطِ الأحرفِ الكبيرةِ الحمراءِ .. يسقطونُ
الناسُ كالثيرانِ في بلادنا ، بالأحمرِ الفاقعِ يُؤخذونُ ...

8

حربُ حزيرانِ انتهتُ ...
وضاعَ كلُّ شيءٍ ..
الشرفُ الرفيعُ ، والقلاعُ ، والحصونُ
والمالُ والبنونُ
لكننا .. باقونَ في محطةِ الإذاعةِ ..

" فاطمة تُهدي إلى والديها سلامها .. "

" وخالد يسأل عن أعمامه في غزة .. وأين يقطنون ؟
"

" نفيسة قد وضعت مولودها .. "

" وسامرٌ حازَ على شهادة الكفاءة .. "

" فطمئنوننا عنكم .. "

" عنواننا المخيم التسعون .. "

9

حربُ حزيرانَ انتهتْ ..

كأنَّ شيئاً لم يكنْ ..

لم تختلفْ أماننا الوجوهُ والعيونُ

محاكمُ التفتيشِ عادتْ .. والمفتشونُ

والدونكشوتيونَ .. ما زالوا يُشخِّصونُ

والناسُ من صعوبةِ البُكاءِ يضحكونُ

ونحنُ قانعونُ ..

بالحربِ قانعونُ .. والسلمِ قانعونُ

بالحرِّ قانعونُ .. والبردِ قانعونُ

بالعقمِ قانعونُ .. والنسلِ قانعونُ

بكلِّ ما في لوحنا المحفوظِ في السماءِ قانعونُ ..

وكل ما نملكُ أن نقولهُ :

" إنا إلى الله لراجعون " ...

10

إحترقَ المسرحُ من أركانهِ

ولم يمتَ - بعدُ - الممثلونُ ..

الاستجاب

1

مَنْ قَتَلَ الْإِمَامَ ؟

المُخْبِرُونَ يَمْلَأُونَ غُرْفَتِي

مَنْ قَتَلَ الْإِمَامَ ؟

أَحْذِيهِ الْجُنُودِ فَوْقَ رِقْبَتِي

مَنْ قَتَلَ الْإِمَامَ ؟

مَنْ طَعَنَ الدَّرُوَيْشَ صَاحِبَ الطَّرِيقَةِ ؟

وَمَزَّقَ الْجُبَّةَ ، وَالْكَشْكُولَ ، وَالْمِسْبَحَةَ الْأَنْيَقَةَ ؟

يَا سَادَتِي :

لَا تَقْلَعُوا أَظْفَارِي بَحْثًا عَنِ الْحَقِيقَةِ

في جثة القتيل ، دوماً ، تسكن الحقيقة .

2

من قتل الإمام ؟

عساكرٌ بكامل السلاح يدخلون

عساكرٌ بكامل السلاح يخرجون

محاضرٌ .. آلات تسجيلٍ .. مصورون

يا سادتي :

ما النفعُ من إفادتي ؟

ما دمتم - إن قلتُ وإن ما قلتُ - سوفَ تكتبون

ما تنفعُ استغاثتي ؟

ما دمتم - إن قلتُ وإن ما قلتُ - سوفَ تضربون

ما دمتم منذُ حكمتُم بلدي ..

عني تُفكِّرونَ ..

3

لستُ شيوعيًّا - كما قيلَ لكم - يا سادتي الكرامُ

ولا يمينيًّا - كما قيلَ لكم - يا سادتي الكرامُ

مسقطُ رأسي في دمشقَ الشامَ ..

هل واحدٌ من بينكم يعرفُ أينَ الشامُ ؟

هل واحدٌ من بينكم أدمنَ سُكنى الشامِ ؟

رواهُ ماءُ الشامِ .. كواهُ عشقُ الشامِ ؟

تأكّدوا يا سادتي

لن تجدوا في كلِّ أسواقِ الورودِ وردةً كالشامِ

وفي دكاكينِ الحلّى جميعها .. لأولوةٍ كالشامِ

لن تجدوا .. مدينةً حزينةً العينين مثلَ الشامِ ..

4

لستُ عميلاً قدراً ...

- كما يقولُ مخبروكم - يا سادتي الكرامُ

ولا سرقتُ قمحةً ، ولا قتلتُ نملةً

ولا دخلتُ مركزَ البوليسِ يوماً .. سادتي الكرامُ

يعرفني في حارتي الصغيرُ والكبيرُ

يعرفني الأطفالُ ، والأشجارُ ، والحمامُ

وأنبياءُ الله يعرفونني

عليهم الصلاة والسلامُ

الصلواتُ الخمسُ .. لا أقطعها يا سادتي الكرامُ ..

وخطبةُ الجمعةِ لا تفوتني .. يا سادتي الكرامُ ..

من ربع قرن وأنا أمارسُ الركوعَ والسجودَ

أمارسُ القيامَ والقعودَ

أمارسُ التشخيصَ خلفَ حضرةِ الإمامِ

يقولُ : (اللهمَّ إِمْحَقْ دولةَ اليهودِ)

أقولُ : (اللهمَّ إِمْحَقْ دولةَ اليهودِ)

يقولُ : (اللهمَّ شَتِّتْ شملَهُمْ)

أقولُ : (اللهمَّ شَتِّتْ شملَهُمْ)

يقولُ : (اللهمَّ إِقْطَعْ نسلَهُمْ)

أقولُ : (اللهمَّ إِقْطَعْ نسلَهُمْ)

يقولُ : (أغرقْ حرثَهُمْ وزرعَهُمْ)

أقولُ : (أغرقْ حرثَهُمْ وزرعَهُمْ)

وهكذا .. يا سادتي الكرامُ

قضيتُ عشرينَ سنةً ..

أعيشُ في حظيرةِ الأغنامِ

أعلفُ كالأغنامِ

أنامُ كالأغنامِ

أبولُ كالأغنامِ

أدورُ كحبةٍ في مسبحةِ الإمامِ

لا عقلَ لي .. لا رأسَ .. لا أقدامَ ..

أستنشقُ الزكامَ من لحيتِهِ ..

والسلَّ في العظامِ ..

قضيتُ عشرينَ سنةً

مكوماً كرزمةِ القشِّ على السجادةِ الحمراء

أجلدُ كلَّ جمعةٍ بخطبةٍ غراء

أبتلعُ البيانَ ، والبديعَ ، والقصائدَ العصماء

أبتلعُ الهُراءُ

عشرينَ عاماً .. وأنا يا سادتي

أسكنُ في طاحونةٍ

ما طحنتُ قطُّ سوى الهواءِ

5

يا سادتي

بخنجري هذا الذي تروئهُ

طعنُتهُ بالصدرِ والرقبةُ

طعنُتهُ في عقلهِ المنخورِ مثلَ الخشبِ

طعنُتهُ باسمي أنا ..

واسمُ الملايينِ من الأغانمِ

يا سادتي : أعرفُ أنَّ تُهمتي عقابُها الإعدامُ

لكنني قتلتُ إذ قتلتهُ

كلَّ الصراصير التي تنشدُ في الظلامِ

والمستريحينَ على أرصفةِ الأحلامِ

قتلتُ إذ قتلتهُ ..

كلَّ الطفيلياتِ في حديقةِ الإسلامِ

كلَّ الذينَ يطلبونَ الرزقَ من دُكَّانةِ الإسلامِ

قتلتُ إذ قتلتهُ ، يا سادتي الكرامِ

كلَّ الذينَ منذُ ألفِ عامٍ ..

يزنُّونَ بالكلامِ ...

فتح 2

1

وبعدما قتلنا

وبعدما صلوا علينا

وبعدما دفنا

وبعد أن تكلمت عظامنا

وبعد أن خشبت أقدامنا

وبعدما اهترأنا

وبعد أن جعنا وأن عطشنا

وبعدما أن تبنا وأن كفرنا

وبعدما .. بعدما

² هذه القصيدة في حركة فتح قبل أن تنخرط في فضيحة أوصلو بتشجيع من طاغية القاهرة حسني مبارك الخائن ومعه خائن الأردن الهالك حسين وخائن المغرب الهالك الحسن الثاني وخائن السعودية الهالك فهد وقبل أن تصبح سلطة عميلة في رام الله .

من يأسنا يئسنا

جاءت إلينا فتح

كوردة جميلة طالعة من جرح

كنبع ماء صافي يروي صحارى ملح

وفجأة ثرنا على أكفاننا وقمنا

وفجأة

كالسيد المسيح بعد موتنا نهضنا

2

مهما هم تأخروا فإنهم يأتون

في حبة الحنطة

أو في حبة الزيتون

يأتون في الأشجار والرياح والغصون

يأتون في كلامنا

يأتون في أصواتنا

يأتون في دموع أمهاتنا

في أعين الغالين من أمواتنا

مهما هم تأخروا فاتهم يأتون

من درب رام الله أو من جبل الزيتون

يأتون مثل المن والسلوى من السماء

ومن دمي الأطفال .. من أساور النساء

ويسكنون الليل والأحجار والأشياء

من حزننا الجميل ينبتون

أشجار كبرياء

ومن شقوق الصخر يولدون

باقعة أنبياء

ليس لهم هوية ليس لهم أسماء

لكنهم يأتون

لكنهم يأتون

3

يا فتح يا شاطننا من بعد ما فقدنا

يا شمس نصف الليل لاحت بعدما ضجرنا

يا رعدة الربيع فينا بعدما يبسنا

حين قرأنا عنكم كل الذي قرأنا

خمسين قرنا بكم كبرنا

وارتفعت قاماتنا

وازدهرت حياتنا

من بعدما نشفنا

يا فتح يا حساننا الجميلا

يحمل في غرته بيسان والجليلا

وغزة والقدس والطيور والحقولا

ويحمل البحار في نظرتة ويحمل السهولا

يا ماءنا يا ثلجنا يا ظلنا الظليلا

يا طفلنا الذي انتظرناه طويلا

يا فتح نحن مكة ننتظر الرسولا

4

يا فتح شاب الدمع في عيوننا

ولم يزل خنجر إسرائيل في ظهورنا

ولم نزل نبحت في الظلام عن قبورنا

ولم نزل كالأمس أغبياء

نردد الخرافة البلهاء

الصبر مفتاح الفرج

ولم نزل نظن أن الله في السماء

يعيدنا لدورنا

ولم نزل نظن أن النصر

وليمة تأتي لنا ونحن في سريرنا

ولم نزل نقعد من سنين

على رصيف الأمم المتحدة

نشد من لجائها الحليب والطحين

والذل والسردين والملابس المستعملة

ولم نزل نمضغ ساذجين

حكمتنا المفضلة

الصبر مفتاح الفرج

إن الرصاص وحده

لا الصبر مفتاح الفرج

5

يا ربنا : نرفض أن نكون بعد اليوم طيبين

فالطيبيون كلهم أنصاف ميتين

هم سرقوا بلادنا

هم قتلوا أولادنا

فاسمح لنا يا ربنا نكون قاتلين

يا ثأرنا

نرفض أن نكون كالخراف وادعين

يا طبلنا

يا زارنا

يا قاتنا³

نرفض أن نظل مسطولين دائخين

يا شعرنا كن غاضبا

يا نثرنا كن غاضبا

يا عقلنا كن غاضبا

فعضرنا الذي نعيش عصر غاضبين

يا حقدنا كن غاضبا

كي لا نصير كلنا قطع لاجئين

³ القات : نبات مخدر يمضغه اليمنيون .

شعراء الأرض المحتلة

1

شعراءَ الأرض المحتلةَ

يا مَنْ أوراقُ دفاتركمُ

بالدمع مغمّسة، والطينُ

يا مَنْ نبراتُ حناجركمُ

تشبهُ حشرةَ المشنوقينُ

يا مَنْ ألوانُ محابركمُ

تبدو كرقابِ المذبوحينُ

نتعلمُ منكم منذُ سنينُ

نحنُ الشعراءُ المهزومينُ

نحنُ الغرباءُ عن التاريخ،

وعن أحزان المحزونين

نتعلمُ منكم ..

كيفَ الحرفُ يكونُ له شكلُ السكينِ .

2

شعراءَ الأرضِ المحتلة

يا أجملَ طيرٍ يأتينا من ليلِ الأسرِ

يا حزناً شفافَ العينين،

نقيّاً مثلَ صلاةِ الفجرِ

يا شجرَ الوردِ النابتِ من أحشاءِ الجمرِ

يا مطراً يسقطُ .. رغمَ الظلمِ ، ورغمَ القهرِ

نتعلمُ منكم كيفَ يغني الغارقُ من أعماقِ البئرِ

نتعلمُ .. كيفَ يسيرُ على قدميه القبرُ

نتعلمُ كيفَ يكونُ الشعرُ ..

فلدينا .. قد مات الشعراءُ ، ومات الشعرُ ..

الشعرُ لدينا درويشٌ ..

يترنحُ في حلقاتِ الذكرِ

والشاعرُ يعملُ حوذاً لأميرِ القصرِ ..

الشاعرُ مخصيُّ الشفتينِ .. بهذا العصرِ

يمسحُ للحاكمِ معطفهُ ، ويصبُّ له أقداحَ الخمرِ

الشاعرُ مخصيُّ الكلماتِ ..

وما أشقى خصيانَ الفكرِ ...

3

شعراء الأرض المحتلة ..

يا ضوءَ الشمسِ الهاربَ من ثقبِ الأبوابِ

يا قرعَ الطبلِ القادمَ من أعماقِ الغابِ ..

يا كلَّ الأسماءِ المحفورةِ في ريشِ الأهدابِ

ماذا نخبركم يا أحبابُ ؟

عن أدبِ النكسةِ ، شعرِ النكسةِ ، يا أحبابُ ..

ما زلنا منذُ حزيران .. نحنُ الكُتابُ

نتمطى فوقَ وسائدنا ..

نلهو بالصرفِ وبالإعرابِ

يطأُ الإرهابُ جماجمنا

ونقبُّ أقدامَ الإرهابِ

نركبُ أحصنةً من خشبِ

ونقاتلُ أشباحاً وسراباً ..

ونُنادي : يا ربَّ الأربابُ

نحنُ الضعفاءُ ، وأنتَ المنتصرُ الغلابُ

نحنُ الفقراءُ ، وأنتَ الرزاقُ الوهابُ

نحنُ الجبناءُ ، وأنتَ الغفارُ التوابُ

شعراءَ الأرضِ المحتلةِ ..

ما عادَ لأعصابي أعصابُ

حُرُماتُ القدسِ قد انتهكتُ

وصلاحُ الدينِ من الأسلابُ

و ابنة دايانَ كمومسةٍ ..

تتعهرُ في ظلِ المحرابِ

ونسَمي أنفسنا كُتّابُ ؟

4

محمودَ الدرويش .. سلاما

توفيقَ الزياد .. سلاما

يا فدوى طوقان .. سلاما

يا مَنْ تَبْرُونَ عَلَى الْأَضْلَاعِ الْأَقْلَامَا ..

نَتَعَلَّمُ مِنْكُمْ ، كَيْفَ نَفَجِّرُ فِي الْكَلِمَاتِ الْأَلْغَامَا ..

شِعْرَاءَ الْأَرْضِ الْمُحْتَلَّةِ ..

مَا زَالَ دَرَاوِيشُ الْكَلِمَةَ

فِي الشَّرْقِ ، يَكْشُونُ حَمَامَا⁴ ..

⁴ يكش حمام أي يطرد أو يربي حماما .. ويسمي مربّي الحمام كشاش حمام ويعتبرونه كذابا ولا تقبل له شهادة. يطلق الناس على مربّي الحمام اسم كشاش حمام ، بينما يفضل مربوه تسمية حميماتي. لا يخفى أن المجتمع ينظر إلى الحميماتي نظرة خاصة ، ولاسيما في مدينة دمشق ، حيث يرفضون طلب زواجه إذا اشتهر أمره ، وقد يؤثر الأمر على شقيقاته ، فيتردد بعضهم في خطبة شقيقات الحميماتي .

أكثر من ذلك لا يقبل القاضي شهادة الحميماتي مع أنه لا يوجد نص قانوني يمنع شهادته ، لكن رد شهادة الحميماتي مسألة قديمة ، ويقال إن سبب رد شهادته أخذ حق غيره في حالة لجوء طير إليه وعدم رده إلى صاحبه ويحلف أحيانا أيمانا كاذبة .

يُحْسِنُونَ الشَّايَ الْأَخْضَرَ .. يَجْتَرُونَ الْأَحْلَامَ ..

لَوْ أَنَّ الشُّعْرَاءَ لَدِينَا ..

يَقْفُونَ أَمَامَ قِصَائِكُمْ ..

لَبَدَّوْا .. أَقْرَامًا .. أَقْرَامًا ..

القدس

بكيت.. حتى انتهت الدموع

صليت.. حتى ذابت الشموع

ركعت.. حتى ملني الركوع

سألت عن محمد، فيك وعن يسوع

يا قدس، يا مدينة تفوح أنبياء

يا أقصر الدروب بين الأرض والسماء

يا قدس، يا منارة الشرائع

يا طفلة جميلة محروقة الأصابع

حزينة عيناك، يا مدينة البتول

يا واحة ظليلة مر بها الرسول

حزينة حجارة الشوارع

حزينة مآذن الجوامع

يا قدس، يا جميلة تلتف بالسواد

من يقرع الأجراس في كنيسة القيامة؟

صبيحة الأحاد..

من يحمل الألعاب للأولاد؟

في ليلة الميلاد..

يا قدس، يا مدينة الأحران

يا دمة كبيرة تجول في الأجفان

من يوقف العدوان؟

عليك، يا لؤلؤة الأديان

من يغسل الدماء عن حجارة الجدران؟

من ينقذ الإنجيل؟

من ينقذ القرآن؟

من ينقذ المسيح ممن قتلوا المسيح؟

من ينقذ الإنسان؟

يا قدس.. يا مدينتي

يا قدس.. يا حبيبتي

غداً.. غداً.. سيزهر الليمون

وتفرح السنابل الخضراء والزيتون

وتضحك العيون..

وترجع الحمائم المهاجرة..

إلى السقوف الطاهرة

ويرجع الأطفال يلعبون

ويلتقي الآباء والبنون

على رباك الزاهرة..

يا بلدي..

يا بلد السلام والزيتون

منشورات فدائية

1

لن تجعلوا من شعبنا

شعبَ هنودٍ حُمْرٍ..

فنحنُ باقونَ هنا..

في هذه الأرض التي تلبسُ في معصمها

إسوارهً من زهرٍ

فهذه بلادنا..

فيها وُجدنا منذُ فجرِ العُمرِ

فيها لعبنا، وعشقنا، وكتبنا الشعرَ

مشرّشونَ نحنُ في خُلجانها

مثلَ حشيشِ البحرِ..

مشرشون⁵ نحن في تاريخها
في خبزها المرقوق، في زيتونها
في قمحها المصفر
مشرشون نحن في وجدانها
باقون في آزارها
باقون في نيسانها
باقون كالحفر على صلبانها
باقون في نبيها الكريم، في قرآنها..
وفي الوصايا العشر..

⁵ مشرش باللهجة الأردنية معناها خبير وربما بمعنى عميق و متمكن و متغلغل و باق و متأصل و ثابت و راسخ. فيقال تاريخ مشرش للساس .. و الزيتون مشرش في الأرض .. و الحب مشرش في نفسي.

2

لا تسكروا بالنصر...

إذا قتلتم خالدًا.. فسوف يأتي عمرو

وإن سحقتم وردة..

فسوف يبقى العطر

3

لأن موسى قطعت يداه..

ولم يعد يتقن فن السحر..

لأن موسى كسرت عصاه

ولم يعد بوسعه شق مياه البحر

لأنكم لستم كأمرىكا.. ولسنا كالهنود الحمر

فسوف تهلكون عن آخركم

فوق صحاري مصر...

4

المسجدُ الأقصى شهيدٌ جديدٌ

نُضيفهُ إلى الحسابِ العتيقِ

وليستِ النارُ، وليسَ الحريقُ

سوى قناديلٍ تضيءُ الطريقَ

5

من قصبِ الغاباتِ

نخرجُ كالجنِّ لكم.. من قصبِ الغاباتِ

من رُزمِ البريدِ، من مقاعدِ الباصاتِ

من عُلْبِ الدخانِ، من صفائحِ البنزينِ، من شواهدِ
الأمواتِ

من الطباشير، من الألواح، من ضفائر البنات

من خشب الصلبان، ومن أوعية البحور، من أغطية الصلاة

من ورق المصحف نأتيكم

من السطور والآيات...

فنحن مبهوثون في الريح، وفي الماء، وفي النبات

ونحن معجونون بالألوان والأصوات..

لن نُفَلتوا.. لن نُفَلتوا..

فكلُّ بيتٍ فيه بندقيه

من ضفة النيل إلى الفرات

6

لن تستريحوا معنا..

كلُّ قتيلٍ عندنا

يموتُ آلافاً من المرات... .

7

إنتبهوا.. إنتبهوا... .

أعمدةُ النور لها أظافرُ

وللشبابيكِ عيونٌ عشرُ

والموتُ في انتظاركم في كلِّ وجهٍ عابرٍ... .

أو لفتةٍ.. أو خصرُ

الموتُ مخبوءٌ لكم.. في مشطِ كلِّ امرأةٍ.. .

وخصلةٍ من شعرٍ.. .

8

يا آلَ إسرائيلَ.. لا يأخذكم الغرورُ

عقاربُ الساعاتِ إن توقفتُ، لا بدَّ أن تدورَ..

إنَّ اغتصابَ الأرضِ لا يُخيفنا

فالريشُ قد يسقطُ عن أجنحةِ النسورِ

والعطشُ الطويلُ لا يخيفنا

فالماءُ يبقى دائماً في باطن الصخورِ

هزمتُمُ الجيوشَ.. إلا أنكم لم تهزموا الشعورِ

قطعتُم الأشجارَ من رؤوسها.. وظلتِ الجذورُ

9

ننصحكم أن تقرأوا ما جاءَ في الزبورِ

ننصحكم أن تحملوا توراتكم

وتتبعوا نبيكم للطورِ..

فما لكم خبزاً هنا.. ولا لكم حضوراً

من بابِ كلِّ جامعٍ..

من خلفِ كلِّ منبرٍ مكسورٍ

سيخرجُ الحجَّاجُ ذاتَ ليلةٍ.. ويخرجُ المنصورُ

10

انتظرونا دائماً..

في كلِّ ما لا يُنتظرُ

فنحنُ في كلِّ المطاراتِ، وفي كلِّ بطاقاتِ السفرِ

نطلعُ في روما، وفي زوريخ، من تحتِ الحجرِ

نطلعُ من خلفِ التماثيلِ وأحواضِ الزَّهرِ..

رجائنا يأتونَ دونَ موعدٍ

في غضبِ الرعدِ، وزخاتِ المطرِ

يأتونَ في عباءةِ الرسولِ، أو سيفِ عُمرٍ..

نساؤنا.. يرسمنَ أحزانَ فلسطينَ على دمع الشجرِ

يقبرنَ أطفالَ فلسطينَ، بوجدان البشرِ

يحملنَ أحجارَ فلسطينَ إلى أرض القمرِ..

11

لقد سرقتمُ وطناً..

فصقّ العالمُ للمغامرة

صادرتمُ الألوفَ من بيوتنا

وبعتمُ الألوفَ من أطفالنا

فصقّ العالمُ للسماسرة..

سرقتمُ الزيتَ من الكنائس

سرقتمُ المسيحَ من بيتهِ في الناصرة

فصقّ العالمُ للمغامرةِ

وتتصبونَ ماتماً..

إذا خطفنا طائره

12

تذكروا.. تذكروا دائماً

بأنَّ أمريكا – على شأنها –

ليست هي الله العزيز القديرُ

وأنَّ أمريكا – على بأسها –

لن تمنعَ الطيورَ أن تطيرَ

قد تقتلُ الكبير.. بارودةً

صغيرةً.. في يدِ طفلٍ صغيرٍ

13

ما بيننا.. وبينكم.. لا ينتهي بعام

لا ينتهي بخمسة.. أو عشرة.. ولا بألف عام

طويلة معارك التحرير كالصيام

ونحن باقون على صدوركم..

كالنقش في الرخام..

باقون في صوت المزاريب.. وفي أجنحة الحمام

باقون في ذاكرة الشمس، وفي دفاتر الأيام

باقون في شيطنة الأولاد.. في خربشة الأقلام

باقون في الخرائط الملونة

باقون في شعر امرئ القيس..

وفي شعر أبي تمام..

باقون في شفاه من نحبهم

باقونَ في مخرج الكلام..

14

موعدنا حينَ يجيءُ المغيبُ

موعدنا القادمُ في تل أبيبُ

"نصرٌ من اللهٍ وفتحٌ قريبٌ"

15

ليسَ حزينانُ سوى يومٍ من الزمانُ

وأجملُ الورودِ ما ينبتُ في حديقةِ الأحرانِ..

16

للحزن أولادٌ سيكبرونُ..

للوجع الطويل أولادٌ سيكبرونُ

للأرض، للحاراتِ، للأبوابِ، أولادٌ سيكبرونُ

وهؤلاءِ كلُّهمُ..

تجمّعوا منذُ ثلاثينَ سنةً

في عُرفِ التحقيقِ، في مراكزِ البوليسِ، في السجونِ

تجمّعوا كالدمعِ في العيونِ

وهؤلاءِ كلُّهمُ..

في أيِّ.. أيِّ لحظةٍ

من كلِّ أبوابِ فلسطينَ سيدخلونُ..

17

..وجاءَ في كتابه تعالى:

بأنكم من مصرَ تخرجونُ

وأنكم في تيهها، سوفَ تجوعونَ، وتعطشونُ

وأنكم ستعبدونَ العجلَ دونَ ربكمُ

وأنكم بنعمةِ الله عليكم سوفَ تكفرونُ

وفي المناشير التي يحملها رجالنا

زدنا على ما قاله تعالى:

سطينَ آخريْن:

ومن ذرى الجولان تخرجونُ

وضقةِ الأردنِّ تخرجونُ

بقوةِ السلاح تخرجونُ..

18

سوفَ يموتُ الأعورُ الدجَّالُ

سوفَ يموتُ الأعورُ الدجَّالُ

ونحنُ باقونَ هنا، حدائقاً، وعطرَ برتقالٍ

باقونَ فيما رسمَ اللهُ على دفاترِ الجبالِ

باقونَ في معاصرِ الزيتِ.. وفي الأنوالِ

في المدِّ.. في الجزرِ.. وفي الشروقِ والزوالِ

باقونَ في مراكبِ الصيدِ، وفي الأصدافِ، والرمالِ

باقونَ في قصادِ الحبِّ، وفي قصادِ النضالِ

باقونَ في الشعرِ، وفي الأزجالِ

باقونَ في عطرِ المناديلِ..

في (الدبَّكة)⁶ و (الموَالِ)..

⁶ الدبكة وهي رقصة فولكلورية شعبية منتشرة في بلاد الشام وعند بعض الشعوب الأوروبية وهي تمثل التراث الفلكلوري لتلك البلدان. تمارس غالباً في المهرجانات والاحتفالات الأعراس. تتكون فرقة الدبكة من مجموعة تزيد عادة عن عشرة أشخاص يدعون دببكة وعازف اليرغول

في القصص الشعبيّ، والأمثالُ

باقونَ في الكوفيّةِ البيضاء، والعقالُ

باقونَ في مروءةِ الخيل، وفي مروءةِ الخيالُ

بالقونَ في (المهباج)⁷ والبُنّ، وفي تحيةِ الرجال للرجالُ

باقونَ في معاطفِ الجنودِ، في الجراح، في السُّعالُ

باقونَ في سنايلِ القمح، وفي نسائمِ الشمالُ

باقونَ في الصليبِ..

باقونَ في الهلالِ..

في ثورةِ الطلابِ، باقونَ، وفي معاولِ العمالُ

باقونَ في خواتمِ الخطبةِ، في أسيرةِ الأطفالُ

(نايان مجموعان بخيط وهي آلة فلسطينية) أو الشبابة (الناي) والطبل. والدبكة هي رقصة شرقية جماعية معروفة في لبنان، سورية، تركيا، الأردن، فلسطين، والعراق وكذلك شمال السعودية.

⁷ المهباج هو جرن القهوة الخشبي وتسميه العرب العزّام ، لأن دفته في بيوت شيوخ العرب كانت تعزم القوم لشرب قهوة الصباح.

باقونَ في الدموعِ..

باقونَ في الآمالِ

19

تسعونَ مليوناً من الأعرابِ خلفَ الأفقِ غاضبونُ

با ويلكمُ من ثأرهمُ..

يومَ من القمقمِ يطلعونُ..

20

لأنَّ هارونَ الرشيدَ ماتَ من زمانِ

ولم يعدْ في القصرِ غلمانُ، ولا خصيانُ

لأننا من قتلناه، وأطعمناه للحيتانِ

لأنَّ هارونَ الرشيدَ لم يعدْ إنسانُ

لأنَّه في تخته الوثير لا يعرفُ ما القدس.. وما بيسانُ

فقد قطعنا رأسه، أمسُ، وعلّقناه في بيسانُ

لأنَّ هارونَ الرشيدَ أرنبُ جبانُ

فقد جعلنا قصره قيادةً الأركان..

21

ظلَّ الفلسطينيُّ أعواماً على الأبواب..

يشحدُ خبزَ العدلِ من موائدِ الذنابِ

ويشتكي عذابه للخالق التوّابِ

وعندما.. أخرجَ من إسطنبولِ حصاناً

وزيَّتَ البارودةَ الملقاةَ في السردابِ

أصبحَ في مقدوره أن يبدأ الحساب..

22

نحنُ الذينَ نرسمُ الخريطةَ

ونرسمُ السفوحَ والهضابَ..

نحنُ الذينَ نبدأُ المحاكمةَ

ونفرضُ الثوابَ والعقابَ..

23

العربُ الذينَ كانوا عندكم مصدرِي أحلامٍ

تحولوا بعدَ حزيرانَ إلى حقلٍ من الألغامِ

وانتقلت (هانوي) من مكانها..

وانتقلت فييتنامَ..

24

حدائقُ التاريخِ دوماً تزهرُ..

ففي ذرى الأوراسِ قد ماجَ الشقيقُ الأحمرُ..

وفي صحاري ليبيا.. أورقَ غصنٌ أخضرُ..

والعربُ الذين قَلَّمُ عنهم: تحجّروا

تغيّروا..

تغيّروا

25

أنا الفلسطينيُّ بعد رحلةِ الضياعِ والسّرَابِ

أطلعُ كالعشبِ من الخرابِ

أضيءُ كالبرقِ على وجوهكم

أهطلُ كالسحابُ

أطلعُ كلَّ ليلةٍ..

من فسحةِ الدارِ، ومن مقابضِ الأبوابِ

من ورقِ التوتِ، ومن شجيرةِ اللبابِ

من بركةِ الدارِ، ومن ثرثرةِ المزرابِ

أطلعُ من صوتِ أبي..

من وجهِ أمي الطيبِ الجذابِ

أطلعُ من كلِّ العيونِ السودِ والأهدابِ

ومن شبابيكِ الحبيباتِ، ومن رسائلِ الأحبابِ

أفتحُ بابَ منزلي.

أدخلُهُ. من غيرِ أن أنتظرَ الجوابِ

لأنني أنا.. السؤالُ والجوابُ

26

محاصرونَ أنتمُ بالحقِّ والكرَاهيةُ

فمن هنا جيشُ أبي عبدةِ

ومن هنا معاويةُ

سلامكم ممزقٌ..

وبيئكم مطوقٌ

كبيتِ أيِّ زانيةٍ..

27

نأتي بكوفيَّاتنا البيضاءِ والسوداءِ

نرسمُ فوقَ جلدكم إشارةَ الفداءِ

من رحمِ الأيامِ نأتي كاتبثاقِ الماءِ

من خيمةِ الدُّل التي يعلُّها الهواءُ

من وجعِ الحسينِ نأتي.. من أسي فاطمة الزهراءُ

من أحدِ نأتي.. ومن بدرٍ.. ومن أحزانِ كربلاءُ

نأتي لكي نصحَّ التاريخَ والأشياءُ

ونطمسَ الحروفَ..

في الشوارعِ العبريةِ الأسماءِ..

عرس الخيول الفلسطينية⁸

بشارع (فردان) كانت تموت الخيول الجميلة

بصمت ..

وتختار ميبتها النادرة

يقولون : ان الخيول بفطرتها

تعاني من العشق أيضاً

وتعرف معنى الفراق ومعنى الشجن

وتقرأ أحسن منا جميعاً

كتاب الوطن ..

لماذا يسمونه مائماً ؟

لقد كان أروع عرس رآته المدينة

⁸ كتبت عن قادة المقاومة الفلسطينية كمال ناصر وكمال عدوان وأبي يوسف النجار وزوجته الذين اغتيلوا في منازلهم بشارع فردان في بيروت في نيسان 1973.

ويا أم يوسف أنتِ العروس

ونحن شهودك ليل زُففتِ لزين الشباب

ونحن رشقناكما بالملبس والورد

ونحن رقصنا أمامكما رقصة السيف والترس

نحن وضعناك فوق حصان العريس

وثوب زفافك كان يلامس

أشجار غزة والناصره

لماذا يقولون: إن الخيول - إذا قتلت - تفقد الذاكرة؟؟

لقد كان عرساً جميلاً ..

وكانت فلسطين تستقبل الناس في زيها الوطني

وكان رجال الصحافة يلتقطون تصاويرها

بين أولادها الأربعة

لقد زوجتهم جميعاً ..

وكانت جميع الخيول تمد إلى الشمس أعناقها العالية

وتركض .. تركض ..

تركض نحو حقول أريحا ..

وتلعب فوق بساتينها السندسية

لماذا يقولون: إن الخيول الكريمة

لا تعرف الحب .. والقصص العاطفية

صديقي كمال :

صديق الدفاتر .. والحبر .. والكلمات الجديدة

أكل الرصاص الذي أطلقوه عليك

لقتل قصيدة ؟

أكل الثقوب التي تركوها على شفثيك

لقتل قصيدة ؟

لقد كان عرساً جميلاً

وكنا نرفك بين رنين الدفوف

وضوء المشاعل

وكنت تغني

ونحن نلملم عن شفتيك ألوف السنايل

وكنت تعلمنا كيف نلغي المسافة

بين الأديب وبين المقاتل

وكنت تعلمنا يا صديقي

بأن المسدس لا يستطيع اغتيال البلايل

بشارع (فردان) كانت تموت الخيول الأصيلة

وكان رجال السياسة في الـ (دولتشي فيتا)⁹

⁹ الدولتشي فيتا هو مقهى شهير في بيروت على اسم فيلم للمخرج الإيطالي المشهور فيديريكو بازوليني، وتعني العبارة، باللغة الإيطالية، الحياة الجميلة وفيلم بازوليني جمع الممثلة السويدية وصاحبة أجمل ساقين، قبل ظهور جوليا روبرتس، أنيتا اكبرغ والممثل مارشيلو

يعيشون كالحزون الكسول على فضلات الجرائد

كانوا يسبون كل كبير ..

وكل صغير ..

وكل الحكومات والأنظمة ..

وكان رجال العقيدة يستشهدون بأفكار (ماو)¹⁰

ويحترفون النضال على علب (المارلبورو) الفارغة

وكان الجواسيس يصطحبون النساء علانية

ماستروياتي. بينما مقهى الدولتشي فيتا Dolce Vita الذي أنشأه السوري سيف الدين الخوجا وشريكه الحلبي عبد المعطي شاهين تمكن أن يجمع، في مساءاته، أصنافاً شتى من السياسيين والمنفيين ورجال المخابرات، فكان من رواده: ميشال عفلق وصلاح الدين البيطار وأكرم الحوراني ورشدي الكيخيا وعلي صالح السعدي ومنح الصلح ومحمد احمد المحجوب وزهير السعداوي مؤسس جمعية الندامي وغيرهم بالطبع. وكان هذا المقهى مقصداً للمخابرات اللبنانية والمصرية والسورية لكثرة إعداد اللاجئين السياسيين في بيروت آنذاك، الذين يتقاطرون، في كل ليلة، علي هذا المقهى للتداول في شؤون حياتهم. واشتهر الدولتشي فيتا بأنه وكر المؤامرات السياسية للسوريين والعراقيين. استطاع "الدولتشي فيتا" أن يحضن بين زواياه معظم مدبري انقلابات العالم العربي في تلك الأثناء. ويروي الذين عاصروا مجد ذلك المقهى ان قادة الانقلابات المنفيين من بلادهم كانوا يحددون ساعة الصفر في "الدولتشي فيتا" ويمضون إلى مصائرهم وهم يرتدون بيجاماتهم تحت سراويلهم، فإذا نجح الانقلاب صاروا حكاماً وإذا فشل وكان مصيرهم السجن خلعوا سراويلهم ومضوا إلى نوم طويل في السجون التي كان الداخل إليها مفقوداً والخارج منها مولوداً. وهناك في ذلك المقهى التقى معظم المنفيين العرب، من سوريا إلى مصر فالعراق فالأردن فالمملكة العربية السعودية فالسودان واليمن.

¹⁰ ماوتسي تونج (26 ديسمبر 1893 - 9 سبتمبر 1976) : ثائر وسياسي شيوعي صيني شهير. ورئيس جمهورية الصين الشعبية منذ قيامها 1949 حتى وفاته في عام 1976.

ويرتشفون نبيذ البقاع

ويستمتعون بشمس شواطئنا الساحرة

وكانت فلسطين بين المحيط وبين الخليج

تفتش عن غرفة شاغرة

دعوة اصطيفاف للخامس من حزيران¹¹

1

سنة خامسة.. تأتي إلينا

حاملاً كيسك فوق الظهر، حافي القدمين

وعلى وجهك أحزانُ السماواتِ، وأوجاعُ الحسين

سنلاقيك على كلِّ المطاراتِ.. بباقاتِ الزهورِ

وسنحسو - نخبَ تشريفك - أنهارَ الخمرِ

سنغنيك أغانينا..

ونُلقي أكذبَ الأشعار ما بينَ يديك

وستعتادُ علينا.. مثلما اعتدنا عليك..

¹¹ في الذكرى السنوية الخامسة لنكسة حزيران (يونيو) 1967.

2

نحنُ ندعوكَ لتصطافَ لدينا

مثلَ كلِّ السائحينُ

وسنعطيكَ جناحاً ملكياً

لكَ جهزناهُ من خمسِ سنينُ

سوفَ تستمتعُ بالليلِ.. وأضواءِ النيونُ

وبرقصِ الجيركِ..

والجازِ..

وأفلامِ الشذوذِ..

فهنا.. لا نعرفُ الحزنَ.. ولا من يحزنونُ

سوفَ تلقى في بلادي ما يسرُّكُ:

شققاً مفروشةً للعاشقينُ

وكووساً نُضدت للشاربينُ

وحرماً لأمير المؤمنين..

فلماذا أنت مكسور الجناح؟

أيها الزائر ذو الوجه الحزين

ولدينا الماء.. والخضرة.. والبيض الملاح

ونوادي الليل تبقى عندنا مفتوحة حتى الصباح..

فلماذا تتردد؟

سوف ننسيك فلسطين..

ونستأصل من عينيك أشجار الدموع

وسنلغي سورة (الرحمن).. و(الفتح)..

ونغتال يسوع..

وسنعطيك جوازاً عربياً..

شُطبت منه عبارات الرجوع...

3

سنة خامسة..

سادسة..

عاشرة..

ما تهمُّ السنوات؟

إنَّ كلَّ المدن الكبرى من النيل.. إلى شطِّ الفراتِ

ما لها ذاكرة.. أو ذكرياتُ

كلُّ من سافرَ في التيهِ نسيناهُ..

ومن قدَّ ماتَ ماتَ..

ما تهمُّ السنوات؟

نحنُ أعددنا المناديلَ، وهيأنا الأكاليلَ،

وألَّفنا جميعَ الكلماتِ

ونحتنا، قبلَ أسبوعٍ، رخامَ الشهاداتِ
أيها الشرقُ الذي يأكلُ أوراقَ البلاغاتِ..
ويمشي - كخروفٍ - خلفَ كلِّ اللافتاتِ
أيها الشرقُ الذي يكتبُ أسماءَ ضحاياهِ..

على وجهِ المرايا..

وبطونِ الرافصاتِ..

ما تهمُّ السنواتُ؟

ما تهمُّ السنواتُ؟

حوار مع أعرابي أضاع فرسه

1

لو كانت تسمعي الصحراءُ

لطلبتُ إليها أن تتوقف عن تفريخ ملايين الشعراءُ

وتحرّر هذا الشعب الطيبَ من سيفِ الكلماتُ

ما زلنا منذ القرن السابع ، نأكلُ أليافَ الكلماتُ

نتزحلقُ في صمغِ الرّاءاتُ

نتدحرجُ من أعلى الهاءاتُ

وننامُ على هجوِ جريرِ

ونفيقُ على دمعِ الخنساءُ

ما زلنا منذ القرن السابع .. خارجَ خارطةِ الأشياءُ

نترقبُ عنترَةَ العبسيِّ .. يجيءُ على فرسِ بيضاءُ

ليفرِّجَ عَنَّا كَرْبَتَنَا .. وَيُرِدَّ طَوَابِيرَ الْأَعْدَاءِ ..

ما زلنا نقضمُ كالفئران .. مواعظ سادتنا الفقهاءُ

نقرأ (معروفَ الإسكافيِّ) ونقرأ (أخبارَ الندماءِ)

ونكاتَ جُحا ..

و (رجوعَ الشيخ) ..

وقصَّة (داحسَ والغبراء) ..

يا بلدي الطيبَ ، يا بلدي

الكلمةُ كانتَ عصفوراً ..

وجعلنا منها سوقَ بغاءٍ ..

2

لو كانتَ نجدُ تسمعي

والربعُ الخالي يسمعي

لختمتُ أنا بالشَّمعِ الأحمرِ سوقَ عُكاظِ
وشنقتُ جميعَ النجَّارينَ .. وكلَّ بياطرةِ الألفاظِ
ما زلنا منذُ ولادتنا ..

تسحقنا عجلاتُ الألفاظِ

لو أعطى السُّلطةُ في وطني

لقلعتُ نهارَ الجمعةِ أسنانَ الخطباءِ

وقطعتُ أصابعَ من صبغوا .. بالكلمةِ أذيةَ الخلفاءِ

وجلدتُ جميعَ المنتفعينَ بدينارٍ .. أو صحنِ حساءِ

وجلدتُ الهمزةُ في لغتي .. وجلدتُ الياءُ

وذبحتُ السَّينَ .. وسوفَ .. وتاءَ التأنيثِ البلهاءِ

والزخرفَ والخطَّ الكوفيَّ ، وكلَّ الأعيبِ البُلغاءِ

وكنستُ غبارَ فصاحتنا ..

وجميعَ قصائدنا العصماءُ ..

يا بلدي ..

كيفَ تموتُ الخيلُ .. ولا يبقى إلا الشعراءُ ؟

3

لو أعطى السُّلطة في وطني

أعدمتُ جميعَ المنبطحينَ على أبوابِ مقاهينا

وقصصتُ لسانَ مغنينا

وفقأتُ عيونَ القمرِ الضاحكِ من أحزانِ ليالينا

وكسرتُ زجاجتَهُ الخضراءُ ..

وأرحتُكَ يا ليلَ بلادي ..

من هذا الوحشِ الآكلِ من لحمِ البُسطاءِ ..

4

يا بلدي الطيبَ .. يا بلدي

لو تنشفُ آبارُ البترولِ .. ويبقى الماءُ

لو يُخصى كل المنحرفينَ .. وكلُّ سماسرةِ الأثداءِ

لو تُلغى أجهزةُ التكييفِ .. من الغرفِ الحمراءِ

وتصيرُ يواقيتُ التيجانِ .. نعالاً في أقدامِ الفقراءِ ..

أو أمكُ كرباجاً بيدي ..

جردتُ قياصرةَ الصحراءِ من الأثوابِ الحضريَّةِ

ونزعتُ جميعَ خواتمهمْ

ومحوتُ طلاءَ أظافرهمْ

وسحقتُ الأحذيةَ اللماعةَ .. والساعاتِ الذهبيةَ

وأعدتُ حليبَ النوقِ لهمْ

وأعدتُ سروجَ الخيلِ لهمْ

وأعدتُ لهم ، حتى الأسماء العربية

5

لو يكتبُ في يافا الليمونُ .. لأرسلَ آلافَ القُبلاتُ

لو أنَّ بحيرةَ طبريا ..

تُعطينا بعضَ رسائلها ..

لاحترقَ القارئُ والصفحاتُ ..

لو أنَّ القدسَ لها شفةٌ ..

لاختتقت في فمها الصلواتُ

لو أنَّ .. وما تُجدي (لو أنَّ) .. ونحنُ نساغرُ في المأساة

ونمدُّ الأرضَ المحتلَّةَ .. حبلاً شعريَّ الكلماتُ

ونمدُّ ليافا منديلاً طرَّزَ بالدمع .. وبالذعواتُ

يا بلدي الطيب .. يا بلدي

ذبحتك ساكين الكلمات

جريمة شرف أمام المحاكم العربية

1

... وفقدت يا وطني البكارة

لم يكثر أحد ..

وسُجّلت الجريمة ضدّ مجهول ،

وأرخيت الستارة

نسيت قبائنا أظافرنا ،

تشابهت الأنوثة والذكورة في وظائفها ،

تحولت الخيول إلى حجارة ..

لم تبقَ للأمواس فائدة ..

ولا للقتل فائدة ..

فإنّ اللحم قد فقدَ الإثارة ..

2

دخلوا علينا ..

كانَ عنترةُ يبيعُ حصانَهُ بلفافتيّ تبغٍ ،

وقمصانٍ مشجّرةٍ ،

ومعجونٍ جديدٍ للحلاقةِ ،

كانَ عنترةُ يبيعُ الجاهليّةَ ..

دخلوا علينا ..

كانَ إخوانُ القتيلةِ يشربونَ (الجنّ)¹² بالليمون ،

يصطافونَ في لبنانَ ،

يرتاحونَ في أسوانَ ،

يبتاعونَ من (خان الخليليّ) الخواتمَ ..

¹² الجن Gin : هو مشروب كحولي قوي، يصنع من تقطير كحول البذور البيضاء وعنب الجونبير، الذي يمنحه طعمه الخاص. طعم الجن الطبيعي هو جاف جداً، ولهذا يخلط مع مشروبات أخرى.

والأساور ..

والعيونَ الفاطميَّة ..

3

ما زالَ يكتبُ شعرهُ العُدريَّ ، قيسُ

واليهودُ تسرَّبوا لفراشِ ليلى العامريَّة

حتى كلابُ الحيِّ لم تنبَحُ ..

ولم تُطلقْ على الزاني رصاصهُ بندقيَّة

" لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ " !

ونحنُ ضاجعنا الغزاة ثلاثَ مرّاتٍ ..

وضيَّعنا العفافَ ثلاثَ مرّاتٍ ..

وشيّعنا المروءةَ بالمراسمِ ، والطقوسَ العسكريَّة

" لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ " !

ونحنُ غيرنا شهادتنا ..

وأنكرنا علاقتنا ..

وأحرقنا ملقاتِ القضية ..

4

الشمسُ تشرقُ مرّةً أخرى ..

وعَمَّالُ النظافةِ يجمعونَ أصابعَ الموتى ،

والعابَ الصَّغارُ

الشمسُ تشرقُ مرّةً أخرى ..

وذاكرةُ المدائنِ ،

مثلُ ذاكرةِ البغايا والبحارِ

الشمسُ تشرقُ مرّةً أخرى ،

وتمتلىُّ المقاهي مرّةً أخرى ،

ويحتدمُ الحوارُ

- إنَّ الجريمةَ عاطفيّةً

- إنَّ النساءَ جميعهنَّ مغامراتٌ ، والشريعةُ

عندنا ضدَّ الضحيّةِ ..

- يا سادتي : إنَّ المخطّطُ كلّهُ من صنع أمريكا،

وبترولُ الخليج هو الأساسُ ، وكلُّ ما يبقى

أمرٌ جانبيّةٌ

- ملعونةٌ أمُّ السياسةِ .. نحنُ نحبُّ أزنافور¹³ ،

والوسكيّ بالثلجِ المكسّرِ ، والعطورَ الأجنبيّةَ

- إنَّ النساءَ بنصفِ عقلٍ ، والشريعةُ عندنا ضدَّ الضحيّةِ

¹³ شارل أزنافور Charles Aznavour. ولد في 22 مايو 1924 في باريس، فرنسا. هو مغني، كاتب أغاني وممثل فرنسي - أرمني. ويقطن بجنيف.

5

العالمُ العربيُّ ، يبلغُ حبةً (البثُّ المباشرُ) ..

(يا عيني عالصبر يا عيني عليه)

والعالمُ العربيُّ يضحكُ لليهودِ القادمينَ إليه

من تحتِ الأظافرِ ..

6

يأتي حزيرانُ ويذهبُ ..

والفرزدقُ يغرزُ السكّينَ في رئتَي جريرو

والعالمُ العربيُّ شطرنجٌ ..

وأحجارٌ مبعثرةٌ ..

وأوراقٌ تطيرُ ..

والخيلُ عطشى ،

والقبائلُ تُستجارُ ، فلا تُجيرُ ..

(الناطقُ الرسميُّ يعلنُ أنه في السّاعة الأولى وخمس دقائق ،

شربَ اليهودُ الشايَ في بيروتَ ، وارتاحوا قليلاً في فنادقها ،

وعادوا للمراكبِ سالمينُ)

- لا شيءَ مثلَ (الجنِّ) بالليمون .. في زمن الحروبِ

- وأجملُ الأثداءِ ، في اللمسِ ، المليءُ المستديرُ ..

(الناطقُ الرسميُّ يعلنُ أنهم طافوا بأسواقِ المدينة ،

واشترؤا صُحفاً وتقاحاً ، وكانوا يرقصونَ الجيركَ في حقدٍ ،

ويغتالونَ كلَّ الراقصينُ)

- إنَّ السّويديّاتِ أحسنُ من يمارسنَ الهوى

- والجنسُ في استوكهولمَ يُشربُ كالنبيذِ على الموائدِ ..

- الجنسُ يُقرأُ في السويدِ مع الجرائدِ

(الناطقُ الرسميُّ يعلنُ في بلاغٍ لاحقٍ ،

أنَّ اليهودَ تزوّجوا زوجاتنا ، ومضوا بهنَّ .. فبالرفاهِ
وبالبنينِ)

7

العالمُ العربيُّ غانيةٌ ..

تنامُ على وسادةٍ ياسمينٍ

فالحربُ من تقديرِ ربِّ العالمينِ

والسّلمُ من تقديرِ ربِّ العالمينِ °

8

قررتُ يا وطني اغتياك بالسفرُ
وحجرتُ تذكرتي ،
وودعتُ السّنابلَ ، والجداولَ ، والشجرُ
وأخذتُ في جيبِي تصاويرَ الحقولِ ،
أخذتُ إمضاءَ القمرِ
وأخذتُ وجهَ حبيبتي
وأخذتُ رائحةَ المطرِ ..
قلبي عليكِ .. وأنتَ يا وطني تنامُ على حجرٍ

9

يا أيّها الوطنُ المسافرُ ..
في الخطابةِ ، والقصائدِ ، والنصوصِ المسرحيّةِ

يا أيها الوطنُ المصورُّ ..

في بطاقاتِ السيّاحةِ ، والخرائطِ ، والأغاني المدرسيّة

يا أيها الوطنُ المحاصرُّ ..

بينَ أسنانِ الخلافةِ ، والوراثةِ ، والأماره

وجميعِ أسماءِ التعجّبِ والإشارة

يا أيها الوطنُ ، الذي شعراؤه

يضعونَ - كي يُرضوا السّلاطينَ -

الرموشَ المستعارة ..

10

يا سيّدي الجمهورَ .. إني مستقيلٌ

إنّ الروايةَ لا تُناسبني ، وأثوابي مرقعة ،

ودوري مستحيل ..

لم يبقَ للإخراج فائدة ..

ولا لمكبراتِ الصوتِ فائدة ..

ولا للشعرِ فائدة ، وأوزان الخليلِ

يا سيدي الجمهور .. سامحني ..

إذا ضيَّعتُ ذاكرتي ، وضيَّعتُ الكتابةَ والأصابعُ

ونسيتُ أسماءَ الشوارع ..

إني قتلْتُكَ ، أيها الوطنُ الممدد ..

فوقَ أختامِ البريدِ .. وفوقَ أوراقِ الطوابع ..

وذبحتُ خيلي المضرباتِ عن الصهيلِ

إني قتلْتُكَ .. واكتشفتُ بأنني كنتُ القليلُ

يا سيدي الجمهور .. سامحني

فدورُ مهرجِ السلطان .. دورُ مستحيلِ

الحاكم والعصفور

أَتَجَوَّلُ فِي الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ

لَأَقْرَأَ شِعْرِي لِلْجُمْهُورِ

فَأَنَا مُقْتَنِعٌ

أَنَّ الشَّعْرَ رَغِيفٌ يُخْبِزُ لِلْجُمْهُورِ

وَأَنَا مُقْتَنِعٌ - مِنْذُ بَدَأْتُ -

بِأَنَّ الْأَحْرَفَ أَسْمَاكُ

وَبِأَنَّ الْمَاءَ هُوَ الْجُمْهُورُ

*

أَتَجَوَّلُ فِي الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ

وَلَيْسَ مَعِيَ إِلَّا دَفْتَرُ

يُرْسَلَنِي الْمَخْفَرُ لِلْمَخْفَرِ

يَرْمِينِي الْعَسْكَرُ لِلْعَسْكَرِ

وَأَنَا لَا أَحْمَلُ فِي جَيْبِي إِلَّا عَصْفُورٌ

لَكِنَّ الضَّابِطَ يُوَقِّفُنِي

وَيُرِيدُ جَوَازاً لِلْعَصْفُورِ

تَحْتَاجُ الْكَلِمَةَ فِي وَطْنِي

لِجَوَازِ مَرُورٍ

*

أَبْقَى مَلْحُوشاً¹⁴ سَاعَاتٍ

مَنْتَظِراً فَرْمَانَ الْمَأْمُورِ

أَتَأَمَّلُ فِي أَكْيَاسِ الرَّمْلِ

وَدَمْعِي فِي عَيْنِيَّ بِحُورٍ

¹⁴ منتظرا بلا جدوى أو مرميا .. مثل كلمة مطوع في العامية المصرية. ملحوش في السجن .. ملحوش على الأرض .. ملحوش على الدكة.

وأمامي كانت لافتة

تتحدث عن (وطن واحد)

تتحدث عن (شعب واحد)

وأنا كالجرذ هنا قاعد

أتقياً أحزاني..

وأدوسُ جميعَ شعاراتِ الطيشور

وأظلُّ على بابِ بلادي

مرمياً..

كالقدح المكسور

الوصية

1

أفتح صندوقَ أبي

أمزقُ الوصيةَ

أبيعُ في المزادِ ما ورثتهُ :

مجموعةُ المسابحِ العاجيةِ

طربوشهُ التركيُّ ، والجواربُ الصوفيةُ

وعلبةُ النشوقِ ، السماورُ¹⁵ العتيقُ ، والشمسيةُ

أسحبُ سيفي غاضباً

وأقطعُ الرؤوسَ ، والمفاصلَ المرخيةَ

¹⁵ السماور Samovar أو بالروسية самовар أو كما يسميه البعض "السموار" كلمة روسية معناها يغلي من تلقاء نفسه أو كما يسميه البعض (البخاري) نسبة إلى بخارى من مدن دول آسيا الوسطى فيما يعرف بالإتحاد السوفييتي سابقا وقد أسماه البعض بالبخاري فهو غلاية مياه نسبة إلى طريقة طبخ الشاي بالبخار يستخدم جهاز السماور أو ((السماور)) البخاري في دول روسيا و بخارستان و ما جاورها و أفغانستان و العراق أيضا وما جاورها و تركيا التي اشتهرت أيضا بصناعة أنواع جيدة و باهظة الثمن من السماورات و أيضا إيران و التي يوجد و بكميات كبيرة.

وأهدمُ الشرقَ على أصحابه

تكيّة .. تكيّة ..

2

أفتحُ صندوقَ أبي

فلا أرى ..

الإدراويشَ ومولويّة

والعود، والقانون، والبشارف¹⁶ الشرقية

¹⁶ جمع بشرف Peşrev . هو شكل من أشكال التآليف الموسيقية يكون مبنياً على إيقاع 4/4 يتكون عادة من أربع حركات (خانات) وتسليم وجميعها مبنية على نفس الإيقاع. البشرف قطعة تركية والكلمة من أصل فارسي معناها الذهاب أمام. اقتبست للدلالة على المقدمة الموسيقية وقد أرجع الأستاذ زكريا يونس في كتاب له نشأتها إلى أبي نصر الفارابي في القرن العاشر الميلادي. ويعتقد أن هذه القطعة قد بعثت مع بداية الدولة العثمانية في تركيا في القرن الرابع عشر الميلادي وترعرعت عند انتقال هذه الدولة إلى إسطنبول وذلك ضمن الموسيقى العسكرية التي يعزفها المهتر. انتقل البشرف إلى الموسيقى الوترية في شكل قطعة موسيقية في مقام معين على وزن أو أكثر وبدون أي قيد والملاحظ أن جميع الأقطار العربية الشرقية لم يكن بها من المقدمات سوى البشارف التركية. ونجد في تونس والجزائر نوعاً خاصاً من البشارف لم يعثر عليها في التراث التركي وقد اتسمت هذه البشارف بطابع خاص تولد عن نوعية موسيقى هذين البلدين. وعن نوعية ما جلبه اللاجنون الأندلسيون. وهناك بشرفاً جزائرياً يدعى العرايسي خاص بمدينة قسنطينة. وفي تونس حافظ البشرف على قوته العسكرية وقد كان يعزف لدى طبالة الباشا. وإلى الآن يسمى الجزء الأخير من البشرف بالحربي. وقد انتقل البشرف إلى الموسيقى الوترية في القرن الماضي وقد كان لعازفي الكمان فيه جولات وتصرف وإرتجال قبل الحربي. وقد كان عازفوا الرباب يتحولون إلى عزف الكمنجة الغربية عند طرق

وقصّة الزير على حصانه ..

وعاطلين يشربون القهوة التركيّة

أسحبُ سيفي غاضباً

وأقتلُ المعلقاتِ العشرَ .. والألفيّة

وأقتلُ الكهوفَ، والدفوفَ،

والأضرحة الغبيّة ..

3

أفتحُ تاريخَ أبي

أفتحُ أيامَ أبي

البشرف. وهناك بشرفاً تونسياً خاصاً وهو بشرف النواصي وهو يتمييز بالقسم الأول من حربته حيث يعتبر الشاهد الوحيد من الموسيقى العربية والشرقية الذي لحن على إيقاع حرّ أي منوع الأجزاء وهي خاصيته إستعملها الغربيون في تلاحينهم المعاصرة ولم يصل البشرف التركي أوجه إلا في القرن التاسع عشر حيث ضببت له القواعد تجعله يتركب من أربع خانات أو قطع صغيرة تتخللها قطعة تسمى التسليم مع إمكانية تنويع المقامات في الخانات الثانية والثالثة والرابعة.

أرى الذي ليس يرى :

أدعية . مدائح دينية

أوعية . حشائش طبية

أدوية للقُدرة الجنسية

أبحثُ عن معرفةٍ تنفعني

أبحثُ عن كتابةٍ

تُخصُّ هذا العصرَ .. أو تخصُّني

فلا أرى حولي سوى ..

رملٍ وجاهليةٍ ..

4

أرفضُ ميراثَ أبي ..

وأرفضُ الثوبَ الذي البَسَنِي

وأرفضُ العلمَ الذي علَّمَنِي

وكلَّ ما أورثَنِي ..

من عُقدِ جنسيَّةِ

أرفضُ ألفَ ليلةٍ ..

والقمقمَ العجيبَ، والماردَ،

والسجادةَ السحريَّةَ

أرفضُ سيفَ الدولةِ المغرورَ

والقصائدَ الذليلةَ الغبيَّةَ

أحرقُ رسمَ أسرتي

أحرقُ أبجديَّتي

ومن فلسطينَ ومن صمودِها ..

من طَلقاتِ النارِ في جِرودها¹⁷ ..

من قَمحِها المغموسِ بالدمعِ ،

ومن وِرودها

أصنَعُ أبجديَّةً ..

5

أَدْخُلُ مِثْلَ البرقِ من نافذةِ الخليفةِ

أراهُ لا يِزالُ مِثْلما تركنُهُ

مِنذُ قرونٍ سبعةِ

مضاجعاً جاريةً روميَّةً

أقرأ آياتِ من القرآنِ فوقَ رأسِهِ

مكتوبةً بأحرفِ كوفيَّةٍ

¹⁷ الجرود جمع جارد وهي مصطلح مشهور في لبنان وسوريا خصوصا ومعناه قمم الجبال العالية المغطاة بالخضرة والأشجار. والحياة فيها صعبة ومن الصعب إيصال المياه إليها وزراعتها.

عن الجهادِ في سبيلِ الله ، والرسول ،

والشريعةِ الحنفيَّة

أقولُ في سريرتي

" تباركَ الجهادُ في النُّحورِ ، والأثداءِ

والمعاصمِ الطريَّة ..

يا حضرةَ الخليفة

أعبرُ من سراديقِ الحريمِ كالمنيَّة

أمشي على الأبدانِ ، والغلمانِ ،

والأساورِ المرميَّة

أمشي على ..

توجُّعِ الحريرِ والقطيقة

أدخلُ مثلَ الموتِ من نافذةِ الخليفة

يحسبُني مُرتزقاً

دَبَّجْتُ فِي مَدِيحِهِ قَصِيدَةً هَمْزِيَّةً

يَأْمُرُ لِي

مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُؤْمِنِينَ كُلِّ مَا أَطْلُبُهُ

عِبَاءَةً مِنْ قَصَبٍ

وَسَاعَةً مِنْ ذَهَبٍ

وَمِنْ نِسَاءِ قَصْرِهِ مُحَظِيَّةً

أَبْصِقُ فَوْقَ وَجْهِهِ

وَفَوْقَ وَجْهِ الدَّوْلَةِ الْعَلِيَّةِ

مَنْ أَنْتَ ؟

يَا سَيَّافُ .. إِقْطَعْ رَأْسَهُ

وَهَاتِ لِي الرَّأْسَ عَلَى صِينِيَّةٍ

يَا مَلِكَ الزَّمَانِ .. إِنْ قَتَلْتَنِي

فمستحيلٌ تقتلُ الحرِيَّةَ .

6

قُم يا طویلَ العُمرِ ..

من حُجرتِكَ الوردِيَّةَ

وافتحْ شبابِيكَ ..

للشمس ، وللعدل ، وللرعيَّة

فما رآكَ الشعبُ منذُ آخرِ أَيَّامِ بني أميَّةَ

هل أنتَ حقاً من بني أميَّةَ ؟

أخرجْ إلى الشارعِ يا أميرنا

واقراً ..

ولو صحيفةً يوميَّةَ

إقراً ..

عن السويس ، والأردن ، والجولان

والمدائن السبيّة

عن الذين يعبرون النهر ..

نحو الضقة الغربية

هل يا طويل العمر .. في بلاطكم

خريطة صغيرة ..

للضقة الغربية ؟

الخطاب

1

أوقفوني ..

وأنا أضحكُ كالمجنون وحدي

من خطابٍ كانَ يلقيه أميرُ المؤمنينُ

كلفتني ضحكتي عشرَ سنينُ

سألوني ، وأنا في غرفةِ التحقيقِ ، عمّن حرّضوني

فضحكتُ ..

وعن المالِ ، وعمّن مؤلّوني ..

فضحكتُ ..

كتبوا كلَّ إجاباتي .. ولم يستجوبوني .

قال عني المدعي العام ، وقال الجندي حين اعتقالني :

إنني ضد الحكومة

لم أكن أعرف أن الضحك يحتاج لترخيص الحكومة

ورسوم ، وطوابع ..

لم أكن أعرف شيئاً .. عن غسل المخ .. أو فرم
الأصابع

في بلادي ..

ممكن أن يكتب الإنسان ضد الله .. لا ضد الحكومة

فاعذروني ، أيها السادة ، إن كنت ضحكت

كان في ودي أن أبكي .. ولكني ضحكت

2

كنت بعد الظهر في المقهى .. وكان البهلوان

يلبسُ الطرطورَ بالرأس .. ويلقي كلَّ (ما يطلبه
المستمعونُ)

عن حزيرانَ الذي صارَ معَ الأيامِ .. (ما يطلبه
المستمعونُ)

واحتفالاً مثلَ عيدِ الفطر والأضحى ..

أراجيحَ ، وكعكاً ، وفطائرَ ..

وزياراتِ مقابرَ ..

كنتُ أسترجعُ أفكارِي ، وكانَ المخبرونُ

كالجراثيمِ .. على كلِّ الفناجينِ ، وفي كلِّ الصحونِ ..

كنتُ أصغي .. كأوفِ البسطاءِ الطيبينِ

لكلامِ البهلوانِ

وهوَ يحكي .. ثم يحكي .. ثم يحكي ..

مثلَ صندوقِ العجائبِ

.. وتذكّرتُ لياليَ رمضانَ

وأرجوازَ الذي كانَ له ألفُ لسانٍ ولسانُ

وتذكّرتُ فلسطينَ التي صارتُ حقيبه

ما لها في الأرضِ صاحبُ

كانَ في حنجرتي ملحٌ ، وحزني كانَ في حجمِ الكواكبِ

فاعذروني ، أيّها السّادهُ ، إن حطمتُ صندوقَ العجائبِ

وتقيّأتُ على وجهِ أميرِ المؤمنينِ

وكبيرِ الياورانِ

واسترحتُ ..

كانَ في ودّي أن أبكي ..

ولكنّي ضحكتُ ..

3

نشروا في صحفِ اليومِ تصاويري .. على أولِ صفحةٍ ..

واعترافاتي على أولِ صفحةٍ ..

فضحكتُ ..

قدّموني للإذاعاتِ طعاماً ، ولأسنانِ الصحافةِ

جعلوني - دونَ أن أدري - خُرَافَةً

ربطوني بالسّفاراتِ .. وأحلافِ الأجنبيّ

فضحكتُ ..

إنني لم أشتغلُ من قبلُ قوَّاداً .. ولا كنتُ حصاناً للأجنبيّ

أنا عبدٌ من عبادِ اللهِ مستورٌ ومغمورٌ ، ومحدودُ
المواهبِ

أسمعُ الأخبارَ كالنّاسِ .. وأستقبلُ مأمورَ الضرائبِ

زوجتي طيّبةُ القلبِ ، وعندي ولدانُ

وأبي حاربَ ضدَّ الثُّركِ في الشامِ .. وماتُ

أنا لا أفهمُ في النحوِ .. وفي الصرفِ .. وفي علمِ الكلامِ

غيرَ أني لم أعدُ أفهمُ - من بعدِ حزيران - الكلامَ ..

لم أعدُ أهضمُ حرفاً .. من أكاذيبِ أميرِ المؤمنينُ

صارت الألفاظُ مطاطاً ..

وصارت لغةُ الحكّامِ صمغاً وعجينُ

خدروني بملايينِ الشعاراتِ .. فنمتُ

وأروني القدسَ في الحلمِ ..

ولم أجدَ القدسَ ، ولا أحجارَها ، حينَ استفتتُ

فاعذروني ، أيّها السّادةُ ، إن كنتُ ضحكتُ

كانَ في ودّي أن أبكي .. ولكّني ضحكتُ

4

كنتُ في المخفر مكسوراً .. كبللور كنيسة

نافخاً (سورة ياسين) بوجهِ القتلين

لم أكنُ أملكُ إلا الصبرَ .. (واللهُ يحبُّ الصابرينُ)

وجراحي .. كبساتين أريحا ..

يمطرُ الياقوتُ منها .. ويضوعُ الياسمينُ

وفلسطينُ على الأرض .. حمامة

سقطتُ تحتَ نعالِ المخبرينُ ..

كنتُ وحدي ..

لم يزرني أحدٌ في السجنِ ..

إلا جبلُ الكرمِ ، والبحرُ ، وشمسُ الناصرة

كنتُ وحدي ..

وملوكُ الشرقِ كانوا جُثثاً فوقَ مياهِ الذاكرة

كنتُ مجروحاً .. ومطروحاً على وجهي ، كأكياس
الطحينُ

أيّها السّادةُ : لا تتدهشوا ..

كلّنا في نظر الحاكم .. أكياسُ طحينُ

كلّنا - بعد حزيران - خرافٌ

نتسلّى بحشيش الصبر .. (واللهُ يحبُّ الصابرينُ)

فأطالَ اللهُ في عمر أمير المؤمنينُ

نائبِ اللهِ على الأرض .. كبيرِ العادلينُ

5

أيّها السّادةُ :

إني وارثُ الأرض الخرابِ

كَلَّمَا جِئْتُ إِلَى بَابِ الْخَلِيفَةِ

سَائِلاً عَنْ (شَرْمِ الشَّيْخِ) وَعَنْ (حَيْفَا) ..

و (رَامَ اللَّهَ) وَ (الْجَوْلَانَ) أَهْدَانِي خُطَابٌ ..

كَلَّمَا كَلَّمْتُهُ - جَلَّ جَلَالُهُ -

عَنْ حَزِيرَانَ الَّذِي صَارَ حَشِيشاً .. نَتَعَاظُهُ صَبَاحاً
وَمَسَاءً

وَاحْتِفَالاً مِثْلَ عِيدِ الْفِطْرِ ، وَالْأَضْحَى ، وَذِكْرِ كَرْبَلَاءَ

رَكِبَ السَّيَّارَةَ الْمَكْشُوفَةَ السَّقْفِ .. وَغَطَّى صَدْرَهُ
بِالْأَوْسَمَةِ

وَرَشَانِي بِخُطَابٍ ..

كَلَّمَا نَادَيْتُهُ : يَا أَمِيرَ الْبَرِّ .. وَالْبَحْرِ .. وَيَا عَالِي الْجَنَابِ

سَيْفُ إِسْرَائِيلَ فِي رَقَبَتِنَا .. سَيْفُ إِسْرَاءَ .. سَيْفُ إِسْرَاءَ ..

رَكِبَ السَّيَّارَةَ الْمَكْشُوفَةَ السَّقْفِ .. إِلَى دَارِ الْإِذَاعَةِ

وَرَشَانِي بِخُطَابٍ ..

ورماني بينَ أسنانِ الجواسيس ، وأنيابِ الكلابِ
فاعذروني ، أيّها السّادةُ ، إن كنتُ كُفرتُ
وصفّوا لي صبرَ أيّوبَ دواءً .. فشربتُ
أطعموني ورقَ النشّافِ .. ليلاً ونهاراً .. فأكلتُ
أدخلوني لفلسطينَ على أنغامِ (ما يطلبه المستمعون)
أدخلوني في دهاليزِ الجنونِ ..
فاعذروني - أيّها السّادةُ - إن كنتُ ضحكتُ
كان في ودّي أن أبكي ..
ولكنّي ضحكتُ ..

بانتظار غودو¹⁸

1

ننتظرُ القطارُ

ننتظرُ المسافرَ الخفيَّ كالأقدارُ

يخرجُ من عباءةِ السنينِ

يخرجُ من بدرٍ ، من اليرموكِ ،

¹⁸ نسبة لمسرحية صموئيل بيكيت بانتظار غودو Waiting for Godot. من هو غودو هذا؟

أهو المنقذ، أم الشافي أم من يجعل الحلم حقيقة؟ من هو؟ أهو الأمل، الفرح، السعادة؟ أهو الموت، الفراغ، اللاجدوى؟ من هو هذا القادم الذي يقضي أبطال بيكيت حياتهم في انتظاره دون جدوى، وسط يأس كامل، وطبيعة جرداء: أهو الطفل الذي جاء لهم بعدة أخبار متناقضة، مرّة يقول إنه سيجيء، ومرّة يقول إنه لن يجيء اليوم؟ أهو (بوزو) القوي المستعبد لـ (لاكي) المستعبد الراضي باستعباده؟

من هو غودو: أهو الزمن الذي يحطم البشرية شيئاً فشيئاً، ويقودها، وهي ساهمة لاهية، لتشرب من كأس الموت؟ أم هو العيب: حيث لا شيء يحدث ولا أحد يجيء - كما تقول المسرحية - وحيث باطل الأباطيل باطل؟ ولماذا لا يجيء أبداً؟

إن لغزية هذا القادم الذي لا يجيء أبداً وسريته وغرانيبته وابهامه المطلق قد ألقى بظلال عميقة على مسرح صموئيل بيكيت (1906 - 1989). فهو، أي غودو، قد نسف تقاليد الدراما المتعارف عليها، مثلما نسف تقاليد الحوار وتطور الحكمة المسرحية وصولاً إلى الذروة. هنا الحوار مقطوع، مبهم، مرتبك، لا يوصل رسالة ما، أي رسالة كانت. والمتحاورون لا يقولون شيئاً مفيداً. ربما لأن فاجعتهم، أعني حياتهم (التي هي حياتنا دون أدنى شك) أكبر من أن توصف، وأكبر من أن يُعثر لها على حل ناجح. هكذا نراهم يتحدثون فقط، لتمضية الوقت أنهم يتحدثون عن أي شيء كان ليقتلوا الصمت. فالصمت مرعب وسط طبيعة جرداء، والانتظار أكثر رعباً.

من حطين ..

يخرج ..

من سيفِ صلاح الدين ..

من سنة العشرين

ونحنُ مرصوصون ..

في محطة التاريخ ، كالسردين ..

يا سيّداتي سادتي :

هل تعرفون ما حريّة السردين ؟

حينَ يكونُ المرءُ مضطراً

لأن يقولَ رَغَمَ أَنفِهِ : (أمين)

حينَ يكونُ الجرحُ مضطراً

لأن يُقبَلَ السكّينَ ..

يا سيّداتي سادتي :

من سنةِ العشرينُ

ونحنُ كالدجاج في أقاصنا

ننظرُ في بلاهةٍ

إلى خطوطِ سكةِ الحديدِ

أفقيّةٍ حياتنا ..

مثلَ خطوطِ سكةِ الحديدِ

ضيقةٍ .. ضيقةٍ

مثلَ خطوطِ السكةِ الحديدِ

ساعاتنا واقفةٍ

لا اللهُ يأتينا .. ولا موزعُ البريدِ

من سنةِ العشرينُ ، حتى سنةِ السبعينُ

نجلسُ في انتظارِ وجهِ الملكِ السعيدِ

كُلُّ الْمُلُوكِ يَشْبَهُونَ بَعْضَهُمْ
وَالْمَلِكُ الْقَدِيمُ ، مِثْلُ الْمَلِكِ الْجَدِيدِ

2

نَنْتَظِرُ الْقِطَارَ

وَنَحْمَلُ الْبِيَارِقَ الْحَمْرَاءَ ، وَالْأَزْهَارَ

تَمَضُّعُنَا مَكْبَرَاتُ الصَّوْتِ فِي اللَّيْلِ

وَفِي النَّهَارِ

تَنْشُرُنَا إِذَاعَةُ الدَّوْلَةِ بِالْمَنْشَارِ

إِنْتَبَهُوا !

إِنْتَبَهُوا !

خَمْسِينَ يَوْمًا - رَبِّمَا - تَأَخَّرَ الْقِطَارُ

خمسينَ عاماً - ربّما - تأخّرَ القطارُ

تقيّحتُ أفخادنا من كثرةِ الجلوسِ

تقيّحتُ ..

في رأسنا الأفكارُ

وصارَ لحمُ ظهرنا

جزءاً من الجدارِ

جاؤوا بنا عشرينَ ألفَ مرّةً

تحتَ عويلِ الريحِ والأمطارِ

واستأجروا الباصاتِ كي تنقلنا

ووزّعوا الأدوارَ ..

وعلمونا .. كالقروءِ الرقصِ

والعزفِ على المزمارِ

ودربونا ..

- كلاب الصيد - كيف تنحني

للقادم المسكون بالدهشة والأسرار

إذا أتى القطار ..

3

لم نره ..

لكن من رأوه فوق الشاشة الصغيرة

يبتلع الزجاج ..

أو يسير كالهنود فوق النار

ويُخرج الأرناب البيضاء من جيوبه

ويقلب الفحم إلى نضار¹⁹

¹⁹ النضار : الذهب.

يؤكدون أنه ..

من أولياء الله .. جل شأنه

وأن نور وجهه يحير الأبصار ..

وأنه سيحمل القمح إلى بيوتنا

والسمن .. والطحين .. بالقنطار

ويجعل العميان يبصرون

ويجعل الأموات ينهضون

ويزرع الحنطة في البحار

وأنه - في سنوات حكمه -

يُدخلنا الجنة ..

من تحتها تنسكب الأنهار

لم نره ..

ولم نقبل يده

لكنَّ مَنْ تبرَّكوا يوماً بهِ ..

قالوا بأنَّ صوتهُ

يُحرِّكُ الأحجارَ ..

وأنتهُ ..

وأنتهُ ..

هوَ العزيزُ الواحدُ القهارُ ..

4

ننتظرُ القطارَ

مكسورةٌ - منذُ أتينا - ساعةَ الزمانِ

والوقتُ لا يمرُّ ..

والثواني ما لها سيقانُ

تعلُّنا ..

تنهشنا ..

مكبراتُ الصوتِ بالأسنانِ ..

إنتبهوا !

إنتبهوا !

لا أحدٌ يقدرُ أن يغادرَ المكانَ

ليشتري جريدةً ..

أو كعكةً ..

أو قطعةً صُغرى من اللبانِ

لربِّه ، لا أحدٌ ، يقدرُ أن يقولَ :

(يا ربِّاه)

لا أحدٌ ..

يقدرُ أن يدخلَ ، حتَّى ، دورةَ المياهِ ..

تعالَ يا غودو ..

وخلصنا من الطغاة والطغيانُ

ومن أبي جهلٍ ، ومن ظلم أبي سُفيانُ

فنحنُ محبوبسونَ في محطةِ التاريخِ كالخرفانُ

أولادنا ناموا على أكتافنا ..

رئائنا .. تسممتُ بالفحمِ والدخانُ

والعروضحالاتُ التي نحملها

عن قلةِ الدواء ..

والغلاء ..

والحرمان ..

صَادِرَها مرافقو السلطانُ

تعالَ يا غودو .. وجفّف دمعنا

وَأُنقِذِ الْإِنْسَانَ مِنْ مَخَالِبِ الْإِنْسَانِ

5

تعالَ يا غودو ..

فقد تخشبت أقدامنا انتظاراً

وصارَ جلدُ وجهنا ..

كقطعةِ الآثارِ ..

تبخرتْ أنهارنا

وهاجرتْ جبالنا

وجفتِ البحارُ

وأصبحتْ أعمارنا ليسَ لها أعمارُ

تعالَ يا غودو .. فإنَّ أرضنا

ترفضُ أن تزورها الأمطارُ

ترفضُ أن تكُبرَ في ترابنا الأشجارُ

تعالَ .. فالنساءُ لا يحبُنَّ ..

والحليبُ لا يدرُّ في الأبقارُ

إن لم تجئْ من أجلنا نحنُ ..

فمن أجل الملايين من الصغارُ

من أجل شعبِ طيبٍ ..

ما زالَ في أحلامه

يُقرقشُ الأحجارُ

يقرقشُ المعلقاتِ العشرَ ..

والجرائدَ القديمة

ونشرة الأخبارِ ..

مورفين

اللفظة طابة²⁰ مطايط..

يقذفها الحاكم من شرفته للشارع..

وراء الطابة يجري الشعبُ

ويلهتُ.. كالكلبِ الجائعِ..

اللفظة، في الشرق العربيِّ

أرجوازُ بارعُ

يتكلمُ سبعةَ أسنةٍ..

ويطلُّ بقبعةٍ حمراءُ

ويبيعُ الجنّةَ للبسطاءُ

وأساورَ من خرزٍ لامعٍ

²⁰ الطابة هي الكرة.

ويبيعُ لهمْ..

فئراناً بيضاً.. وضافدعُ

اللفظةُ جسدٌ مهترئٌ

ضاجعةُ كتابٌ، والصحفيُّ

وضاجعةُ شيخُ الجامعِ..

اللفظةُ إبرةٌ مورفينٌ

يحققنها الحاكمُ للجمهورِ..

منَ القرنِ السابعِ

اللفظةُ في بلدي امرأةٌ

تحترفُ الفحشَ..

منَ القرنِ السابعِ..

قراءة أخيرة على أضرحة المجاذيب

-1-

أرفضكم جميعكم

وأختم الحوار

لم تبق عندي لغة

أضرمت في معاجمي

وفي ثيابي النار..

هربت من عمرو بن كلثوم..

ومن رائية الفرزدق الطويلة

هاجرت من صوتي، من كتاباتي

هاجرت من ولادتي

هاجرت من مدائن الملح

ومن قصائد الفخار

-2-

حملتُ أشجاري إلى صحرائكم

فانتحرتُ..

من يأسها الأشجار

حملتُ أمطاري إلى جفافكم

فشحتُ الأمطار

زرعتُ في أرحامكم قصائدي

فاختنقتُ..

يا رَحِمًا.. يحبل بالشوك والغبار..

-3-

حاولت أن أقلعكم

من دبق²¹ التاريخ..

من رزمانة الأقدار

ومن قفا نَبِكِ.. ومن عبادة الأحجار

حاولتُ..

أن أفك عن طروادة حصارها

حاصرني الحصار

²¹ الدَّبِقُ شيء يَلْتَزِقُ كالغراء يصاد به الطير. أو حمل شجر في جَوْفِهِ كالغراء لازق يَلْتَزِقُ بجناح الطائر فيُصاد به. أي بمعنى المادة الصمغية. أو هو جنس شجر قصير له ثمر مخاطي من فصيلة المحمليات. *Viscum album*. وهو نبات متطفل ويتطفل على أشجار اللوز والبلوط والهور والصفصاف والتفاح، يستخدم هذا النوع الماصات للحصول على الماء والأملاح المعدنية من النبات المضيف.

-4-

أرفضكم..

أرفضكم..

يا من صنعتم ربكم من عجوة

لكل مجذوب بنيتم قبة

وكل دجال أقمتم حوله مزار

حاولتُ أن أنقذكم

من ساعة الرمل التي تبلعكم

في الليل والنهار

من الحجابات على صدوركم..

من القراءات التي تتلى على قبوركم

من حلقات الذكر

من قراءة الكف

ورقص الزار

حاولتُ أن أدق في جلودكم مسمار

يئستُ من جلودكم

يئستُ من أظفري

يئستُ من سماكة الجدار

-5-

من مللي..

شنقتُ نفسي أمس.. في ضفائر الحبيبة

لم أستطع أن أفعل الحب.. كما عودتها

كانت خطوط جسمها غريبة

كان السرير بارداً..

والبرد كان بارداً..

ونهد من أحبها ليمونة كئيبة..

بعد حزيران أضعت شهوتي

سقطت فوق ساعدي حبيبتني

كالراية المثقوبة..

-6-

أنظر كالمشدوه.. في خريطة العروبة

في كل شبر أعلنت خلافة..

وحاكم بأمره..

وخيمة منصوبة..

تضحكني الأعلام ، والأختام، والممالك التركيبية

وسلطنات القش، والكرتون، والشرائع العجيبة

ومشيخات النفط..

والزواج بالمتعة..

والغرائز المشبوبة..

-7-

أمشي..

غريب الوجه في غرناطة..

أحتضن الأطفال، والأشجار

والمآذن المقلوبة..

فها هنا المرابطون رابطوا..

وها هنا الموحدون استوزروا..

وها هنا..

مجالس الشرب، والنساء، والغيوبة..

وها هنا عباءة دامية..

وها هنا.. مشنقة منصوبة..

-8-

تناثري..

كالورق اليابس، يا قبائل العروبة

واققتلي..

واختصمي..

يا طبعة ثانية من سيرة الأندلس المغلوبة..

حوار مع ملك المغول

يا ملك المغول ..

يا وارث الجزمة والكرباج عن جدك أرطغول²²

يا من ترانا كلنا خيول..

لا فرق- من نوافذ القصور-

بين الناس والخيول..

يا ملك المغول ..

يا أيها الغاضب من صهيلنا..

يا أيها الخائف من تفتح الحقول..

أريد أن أقول

من قبل أن يقتلني سيافكم مسرور..

²² أرطغول في التاريخ هو أبو عثمان الأول مؤسس الدولة العثمانية.

وقبل أن يأتي شهود الزور..

أريد أن أقول كلمتين

لزوجتي الحامل من شهور..

وأصدقائي كلهم..

وشعبي المقهور..

أريد أن أقول إني شاعر

أحمل في حنجرتي عصفور

أرفض أن أبيعه..

وأنت من حنجرتي

تريد أن تصادر العصفور..

يا ملك المغول..

يا قاهر الجيوش يا مدحرج الرؤوس..

يا مدوّخ البحور..

يا عاجن الحديد يا مفتت الصخور

يا آكل الأطفال

يا مغتصب الأبرار

يا مفترس العطور

واعجبي ... واعجبي

أنت ، والشرطة ، والجيش

على عصفور

إلى الجندي العربي المجهول²³

1

لو يُقْتَلُونَ مثلاً قُتِلْتِ..

لو يعرفونَ أن يموتوا.. مثلاً فعلتُ

لو مدمنو الكلام في بلادنا

قد بذلوا نصفَ الذي بذلتُ

لو أنهم من خلفِ طاولاتهم

قد خرجوا.. كما خرجتَ أنتِ..

واحترقوا في لهبِ المجدِ، كما احترقتُ

لم يسقطِ المسيحُ مذبحاً على ترابِ الناصرة

ولا استُبيحتُ تغلباً²⁴

²³ في ذكرى الجنرال الذهبي رئيس الأركان المصري عبد المنعم رياض الذي استشهد على جبهة القتال في السويس 1969.

وانكسر المناذرة...

لو قرأوا – يا سيدي القائد – ما كتبت

2

لكن من عرفتهم..

ظلوا على الحال الذي عرفت..

يدخنون، يسكرون، يقتلون الوقت

ويطعمون الشعب أوراق البلاغات كما علمت

وبعضهم.. يغوص في حوله..

وبعضهم..

يغص في بتروله..

وبعضهم..

قد أغلق الباب على حريمه..

ومنتهى نضاله..

جارية في التخت..

3

يا أشرفَ القتلى، على أجفاننا أزهرتْ

الخطوة الأولى إلى تحريرنا..

أنتَ بها بدأتِ..

يا أيّها الغارقُ في دمانه

جميعهم قد كذبوا.. وأنتَ قد صدقتَ

جميعهم قد هُزموا..

ووحدك انتصرتَ

طريق واحد

أريدُ بندقيةً..

خاتمُ أمي بعتهُ

من أجل بندقية

محفظتي رهنتُها

من أجل بندقيةً..

اللغة التي بها درسنا

الكتبُ التي بها قرأنا..

قصائدُ الشعر التي حفظنا

ليست تساوي درهماً..

أمامَ بندقيةً..

أصبحَ عندي الآنَ بندقيّة..
إلى فلسطينَ خذوني معكم
إلى ربّي حزيناً كوجهِ مجدليّة
إلى القبابِ الخضريّ.. والحجارةِ النبيّة
عشرونَ عاماً.. وأنا
أبحثُ عن أرضٍ وعن هويّة
أبحثُ عن بيتي الذي هناك
عن وطني المحاطِ بالأسلاك
أبحثُ عن طفولتي..
وعن رفاقِ حارتي..
عن كتبي.. عن صوري..
عن كلّ ركنٍ دافئٍ.. وكلّ مزهريّة..

أصبحَ عندي الآنَ بندقيّة

إلى فلسطينَ خذوني معكم

يا أيّها الرجال..

أريدُ أن أعيشَ أو أموتَ كالرجال

أريدُ.. أن أنبتَ في ترابها

زيتونةً، أو حقلَ برتقال..

أو زهرةً شديّة

قولوا.. لمن يسألُ عن قضيتي

بارودتي.. صارت هي القضية..

أصبحَ عندي الآنَ بندقيّة..

أصبحتُ في قائمةِ الثوّار

أفترشُ الأشواكَ والغبار

وألبسُ المنيةَ..

مشيئةُ الأقدار لا تردني

أنا الذي أُغيّرُ الأقدار

يا أيّها الثوّار..

في القدس، في الخليل،

في بيسانَ، في الأغوار..

في بيت لحم، حيثُ كنتم أيّها الأحرار

تقدموا..

تقدموا..

فقصةُ السلام مسرحيةٌ..

والعدلُ مسرحيةٌ..

إلى فلسطينَ طريقَ واحدٍ

يمرُّ من فوهةِ بندقيّةٍ..

لصوص المتاحف

نسطو على متاحف التاريخ في الظلام

ونسرق الخيول

والدروع

والأعلام

نسرق سيف خالد

نسرق ديوان أبي تمام..

ونسرق المجد الذي يخصهم

ونسرق الأيام..

خير لنا أن ندفن السذاجة

ونترك التاريخ في الثلجة..

تعريف غير كلاسيكي للوطن

وطني !

يفهمك السذج ريحاناً وراح²⁴

ويظنونك درويشاً يهز الرأس، أو رقص سماح²⁵

ويظنونك في غفلتهم

نعمة من بزق²⁶..

²⁴ الراح : الكأس أو القدح.

²⁵ نوع من الرقص العربي. اختلف الباحثون حول منشئه، فقال البعض أنه فارسي وقال آخرون أنه أندلسي أو صوفي، ولكن الأرجح أنه رقص سوري نشأ في بلدة منبج القريبة من حلب. أصل الكلمة طلب "السماح" للبدء بالرقص من صاحب الدار أو رئيس الفرقة، أو ربما تحريف لكلمة "السماع" وهو مصطلح كان يطلق على الموسيقى. والسماح رقص حشمة وأدب، تؤديه مجموعة تحت قيادة رئيس الفرقة. ويقوم على خطوات لليمين أو الشمال، أو للأمام والوراء، مع "سكنات" موقعة متناوبة يتلوها "نقر" برأس القدم أو الكاحل مع بسط القدم للأمام أو رفعها أو نهز الجسم كله ل فوق والنزول به ثم السكون في الموضع، أو دوران الجسم كاملاً أو نصف أو ربع دورة، إضافة إلى حركات انسيابية لليدين. ساهم كثير من الموسيقيين السوريين في إحياء رقص السماح وتطويره، ولعل أهمهم أبو خليل القباني وعلي الدرويش وعمر البطش.

²⁶ هي آلة موسيقية وترية تشبه العود ذات عنق طويل وجسم أصغر من العود. آلة البزق شبيهة بالساز التركي والبوزوكي اليوناني لكنها تختلف عنهم. تعتبر آلة البزق إحدى الآلات الموسيقية الرئيسية التي ركز الأخوان الرحباني استخدامها عليها. آلة البزق لا تعتبر آلة تقليدية في الموسيقى العربية أو الموسيقى التركية لكنها تدخل ضمن آلات الموسيقى العجربة في سورية ولبنان من أهم أعلامها الموسيقار علي معلا الدرکشلي.

وقناني عرق²⁷ ..

ومواويل تغنى للصباح..

وطني، يا أيها الصدر المغطى بالجراح

وطني من أنت؟ إن لم تتفجر

تحت إسرائيل صندوق سلاح..

²⁷ قنينات أو زجاجات من خمر العرق والعرق أو العرقى هو مشروب كحولي مقطر لا لون له محلى وغالباً ما يكون فيه يانسون. يتم صنعه في أغلبية الدول العربية في الشام والعراق ومصر ودول البحر المتوسط وإيران. ويصنع من العنب أو المولاس أو البرقوق أو التين أو الحبوب أو البطاطس أو الزبيب.

خطاب شخصي إلى شهر حزيران

كُنْ يا حُزيرانُ انفجاراً في جماجمنا القديمة

كُنْ أَوْفَ الْمُفْرَدَاتِ ..

وكُنْ الأَمْثَالَ ، وَالْحِكْمَ القَدِيمَةَ

مَزِقْ شَرِاشِفَنَا التي اصْفَرَتْ ..

وَمَزِقْ جِلْدَ أَوْجِهِنَا الدَّمِيمَةَ ..

وَكُنِ التَّغْيِيرَ ، وَالتَّطْرَفَ ، وَالخُرُوجَ عَلَى

الخطوطِ المُسْتَقِيمَةَ

أَطْلِقْ عَلَى المَاضِي الرِّصَاصَ ..

كُنِ المَسْدَسَ والجَرِيمَةَ ..

مَنْ بَعْدَ مَوْتِ اللَّهِ مَشْنُوقاً ، عَلَى بابِ المَدِينَةِ

لَمْ تَبِقَ لِلصَّلَاةِ قِيَمَةٌ ..

لَمْ يَبِقَ لِلإِيمَانِ أَوْ لِلْكَفْرِ قِيَمَةٌ ..

قصيدة اعتذار لأبي تمام²⁸

1

أحبائي

إذا جننا لنحضرَ حفلةً للزَّارِ .. منها يضجرُ الضجرُ

إذا كانتَ طبولُ الشَّعرِ .. يا سادَهُ

تفرَّقنا .. وتجمَعنا

وتعطينا حبوبَ النومِ في فمنا ..

وتسطننا ..

وتكسرنا ..

كما الأوراقُ في تشرينٍ تنكسرُ

فإني سوفَ أعتذرُ ..

²⁸ أُلقيت في مهرجان أبي تمام في الموصل، العراق، كانون الأول (ديسمبر) 1971.

2

أحبائي !

إذا كنا سنرُقِصُ دونَ سيقانِ كعادتنا

ونخطبُ دونَ أسنانٍ .. كعادتنا

ونؤمنُ دونَ إيمانٍ كعادتنا ..

ونشئُ كلَّ مَنْ جاءَ إلى القاعةِ

على حبلٍ طويلٍ من بلاغتنا

سأجمعُ كلَّ أوراقِي ، وأعتذرُ ..

3

إذا كنا سنبقى أيها السّادّة

ليوم الدّين .. مختلفين حول كتابة الهمزة

وحول قصيدة نُسبت إلى عمرو بن كلثوم

إذا كنا سنقرأ مرّة أخرى قصائدنا التي كنا قرأناها

ونمضغ مرّة أخرى

حروف النصب والجرّ التي كنا مضغناها

إذا كنا سنكذب مرّة أخرى

ونخدع مرّة أخرى الجماهير التي كنا خدعناها

ونرعد مرّة أخرى .. ولا مطر

سأجمع كلّ أوراقي .. وأعتذر ..

4

إذا كنا تلاقينا ..

لكي نتبادلَ الأَنخابَ أو نَسْكَرُ

ونستلقي على تختٍ من الريحان والعنبرُ

إذا كنا نَظنُّ الشعرَ راقصةً مع الأفراح تُستأجرُ

وفي الميلادِ .. والتأبين تُستأجرُ

ونتلوهُ كما نتلو كلامَ الزَّيرِ أو عَنترُ

إذا كانتْ همومُ الشعرِ يا سادهُ

هي الترفيهُ عن معشوقَةِ القيصِرُ

ورشوةُ كلِّ مَنْ في القصرِ من حرسٍ ومن عسْكَرُ ..

إذا كنا سنسرقُ خطبةَ الحجاجِ ، والحجاجَ ، والمنبرُ

ونذبحُ بعضنا بعضاً لنعرفَ مَنْ بنا أشعرُ
فأكبرُ شاعرٍ فينا هو الخنجرُ ..

5

أبا تمام . أين تكونُ ؟ أين حديثك العطرُ ؟

وأين يدُ مغامرة

تسافرُ في مجاهيل ، وتبتكرُ ؟ ..

أبا تمام . أرملة قصائدنا . وأرملة كتابتنا

وأرملة هي الألفاظ والصّور ..

فلا ماءً يسيلُ على دفاترنا ..

ولا رِيحٌ تهبُّ على مراكبنا ..

ولا شمسٌ .. ولا قمرٌ

أبا تمام . دارَ الشعرِ دورتهُ ..

وثارَ اللفظُ ، والقاموسُ ، ثارَ البدوُ والحضرُ

وملَّ البحرُ زُرقتَهُ ..

وملَّ جذوعَهُ الشجرُ

ونحنُ هنا ..

كأهل الكهفِ .. لا عِلْمٌ ولا خَبْرٌ

فلا ثوَّارُنَا ثاروا ..

ولا شعراؤُنَا شعروا ..

أبا تمام . لا تقرأ قصائدنا

فكلُّ قصورنا ورقٌ ..

وكلُّ دموعنا حَجَرٌ ..

6

أبا تمام ..

إنَّ الشعرَ في أعماقه .. سَفَرُ

وإبحارٌ إلى الآتي .. وكَشَفٌ ليسَ ينتظرُ

ولكنَّا جعلنا منه شيئاً .. يشبهُ الزَّفَّةَ

وإيقاعاً نحاسياً ، يدقُّ كأنَّهُ القَدْرُ ..

7

أميرَ الحرفِ سامِحنا ..

فقد حُنَّا جميعاً مهنةَ الحرفِ

وأرهقناه بالتشطير ، والتربيع ، والتخميس ، والوصفِ

أبا تمام . إنَّ النَّارَ تَأْكُلُنَا

وما زلنا نُجَادِلُ بعضنا بعضاً

عن المصروفِ ، والممنوع من صَرْفِ

وجيشُ الغاصبِ المحتلِّ ممنوعٌ من الصَّرْفِ ..

وما زلنا نُطْقِطُقُ عَظْمَ أَرْجُلِنَا

ونقعدُ في بيوتِ اللهِ ننتظرُ ..

بأن يأتي الإمامُ عليُّ .. أو يأتي لنا عُمَرُ

ولن يأتيوا .. ولن يأتيوا ..

فلا أحدٌ بسيفِ سواه يُنتصرُ

8

أبا تمام .

إِنَّ النَّاسَ بِالْكَلِمَاتِ قَدْ كَفَرُوا

وبالشعراءِ قد كفروا ..

وبالصلواتِ ، والدعواتِ ، والأمواتِ ، والموتِ

وبالحربِ التي تأتي . ولا تأتي

فقلْ لي أيّها الشاعرُ

لماذا شعرنا العربيُّ قد يبستْ مفاصلُهُ

من التكرارِ .. واصفرتْ سنابلُهُ

وقلْ لي أيّها الشاعرُ

لماذا الشعرُ - حينَ يشيخُ -

لا يستلُّ سكيناً .. وينتحرُّ ..

جمال عبد الناصر

1

قتلناك.. يا آخر الأنبياء

قتلناك..

ليسَ جديداً علينا

اغتيالُ الصحابةِ والأولياءِ

فكم من رسولٍ قتلنا..

وكم من إمامٍ..

ذبحناه وهو يصلي صلاة العشاء

فتاريخنا كله محنة

وأيامنا كلها كربلاء..

2

نزلت علينا كتاباً جميلاً

ولكننا لا نجيدُ القراءة..

وسافرتَ فينا لأرضِ البراءة

ولكننا.. ما قبلنا الرحيل..

تركناك في شمسِ سيناءِ وحدك..

تكلمُ ربكُ في الطورِ وحدكُ

وتعري..

وتشقى..

وتعطشُ وحدكُ..

ونحنُ هنا نجلسُ القرفصاءُ

نبيعُ الشعاراتِ للأغبياءُ

ونحشو الجماهيرَ تبناً وقشاً

ونتركهم يعلكون الهواءُ

3

قتلناك..

يا جبلَ الكبرياءُ

وآخرَ قنديلِ زيتٍ..

يضيءُ لنا في ليالي الشتاءِ

وآخرَ سيفٍ من القادسيه

قتلناك نحنُ بكلتا يدينا

وقلنا المنيةُ

لماذا قبلتَ المجيءَ إلينا؟

فمئتك كان كثيراً علينا..

سقيناك سمَّ العروبة حتى شبعت..

رميناك في نار عمان حتى احترقت

أريناك غدر العروبة حتى كفرت

لماذا ظهرت بأرض النفاق..

لماذا ظهرت؟

فحنُّ شعوب من الجاهلية

ونحنُ التقلب..

نحنُ التذبذب..

والباطنية..

نُبايعُ أربابنا في الصباح..

ونأكلهم حين تأتي العشيّة..

4

قَتَلْنَاكَ..

يَا حُبُّنَا وَهُوَانَا

وَكُنْتَ الصَّدِيقَ، وَكُنْتَ الصَّدُوقَ،

وَكُنْتَ أَبَانَا..

وَحِينَ غَسَلْنَا يَدِينَا.. اِكْتَشَفْنَا

بَأْنَا قَتَلْنَا مُنَانَا..

وَأَنَّ دِمَاءَكَ فَوْقَ الْوَسَادَةِ..

كَانَتْ دِمَانَا

نَفَضْتَ غِبَارَ الدَّرَاوِيشِ عَنَّا..

أَعَدْتَ إِلَيْنَا صِبَانَا

وَسَافَرْتَ فِينَا إِلَى الْمَسْتَحِيلِ

وعلمتنا الزهو والعفوانا..

ولكننا

حينَ طالَ المسيرُ علينا

وظالتَ أظافرنا وِلحانا

قتلنا الحِصانا..

فتبَّتْ يدانا..

فتبَّتْ يدانا..

أتينا إليكَ بعاهاتنا..

وأحقادنا.. وانحرافاتنا..

إلى أن ذبحنك ذبحاً

بسيفِ أسانا

فليتكَ في أرضنا ما ظهرت..

وليتكَ كنتَ نبيَّ سوانا..

5

أبا خالد²⁹ .. يا قصيدة شعر..

تقالُ

فيخضرُّ منها المدادُ..

إلى أين؟

يا فارسَ الحُلمِ تمضي..

وما الشوطُ ، حينَ يموتُ الجوادُ؟

إلى أين؟

كلُّ الأساطير ماتت..

بموتك.. وانتحرتُ شهرزادُ

وراءَ الجنازةِ.. سارتُ قريشُ

²⁹ كنية عبد الناصر باسم ابنه البكر خالد.

فهذا هشام..

وهذا زياد..

وهذا يريقُ الدموعَ عليكُ

وخنجره، تحتَ ثوبِ الحدادِ

وهذا يجاهدُ في نومه..

وفي الصحو..

يبكي عليه الجهاد..

وهذا يحاولُ بعدك مُلكاً..

وبعدك..

كلُّ الملوكِ رماد..

وفودُ الخوارج.. جاءتُ جميعاً

لتنظّمَ فيك..

ملاحمَ عشقٍ..

فمَن كَفَّروكَ..

ومَن خَوَّنوكَ..

ومَن صلبوكَ بِيابِ دَمَشقٍ..

أُناديَ عَلَيْكَ.. أبا خالِدِ

وأُعرفُ أَنّي أَنادي بُوادِ

وأُعرفُ أَنَّكَ لَنْ تُستجيبَ

وَأَنَّ الخوارقَ لِيستَ تُعاد...

الهرم الرابع³⁰

1

السيدُّ نامُ

السيدُّ نامُ

السيدُّ نامُ كنومِ السيفِ العائدِ من إحدى الغزواتِ

السيدُّ يرقدُ مثلَ الطفلِ الغافي.. في حُصنِ الغاباتِ

السيدُّ نام..

وكيفَ أُصدِّقُ أنَّ الهرمَ الرابعَ ماتَ ؟

القائدُ لم يذهبْ أبداً

بل دخلَ الغرفةَ كي يرتاحَ

وسيصحو حينَ تطلُّ الشمسُ..

³⁰ في ذكرى الزعيم العربي جمال عبد الناصر.

كما يصحو عطرُ التفاحِ..

الخبزُ سيأكلهُ معنا..

وسيشربُ قهوتَهُ معنا..

ونقولُ له..

ويقولُ لنا..

القائدُ يشعرُ بالإرهاقِ..

فخلّوه يغفو ساعاتٍ..

2

يا مَنْ تكونَ على ناصرٍ..

السيدُّ كانَ صديقَ الشمسِ..

فكفّوا عن سكبِ العبراتِ..

السيدُّ ما زالَ هنا..

يتمشّي فوقَ جُسورِ النيلِ..

ويجلسُ في ظلِّ النخلاتِ..

ويزورُ الجيزةَ عندَ الفجرِ..

ليلثمَ حجرَ الأهراماتِ.

يسألُ عن مصرِ.. ومَن في مصرِ..

ويسقي أزهارَ الشرفاتِ..

ويصلّي الجمعةَ والعيدِينِ..

ويقضي للناسِ الحاجاتِ

ما زالَ هنا عبدُ الناصرِ..

في طمي النيلِ، وزهرِ القطنِ..

وفي أطواقِ الفلاحاتِ..

في فرحِ الشعبِ..

وحزن الشعب..

وفي الأمثال وفي الكلمات

ما زال هنا عبدُ الناصر..

من قال الهرمُ الرابعُ مات؟

3

يا مَنْ يتساءلُ: أينَ مضى عبدُ الناصرِ؟

يا مَنْ يتساءلُ:

هلْ يأتي عبدُ الناصرِ..

السيدُ موجودٌ فينا..

موجودٌ في أرغفةِ الخُبزِ..

وفي أزهارِ أوانينا..

مرسومٌ فوقَ نجومِ الصيفِ،

وفوقَ رمالِ شواطئنا..

موجودٌ في أوراقِ المصحفِ

في صلواتِ مُصلِّينا..

موجودٌ في كلماتِ الحبِّ..

وفي أصواتِ مُغنِّينا..

موجودٌ في عرقِ العمَّالِ..

وفي أسوانٍ.. وفي سينا..

مكتوبٌ فوقَ بناقدنا..

مكتوبٌ فوقَ تحدينا..

السيدُ نامَ.. وإن رجعتُ

أسرابُ الطيرِ.. سيأتينا..

رسالة إلى جمال عبد الناصر

1

والدنا جمالَ عبدَ الناصرِ:

عندي خطابٌ عاجلٌ إليك..

من أرضِ مصرَ الطيبةِ

من ليها المشغول بالفيروز والجواهر

ومن مقاهي سيدي الحسين، من حدائق القناطر

ومن تُرع النيل التي تركتها..

حزينة الضفائر..

عندي خطابٌ عاجلٌ إليك

من الملايين التي قد أدمنت هواك

من الملايين التي تريدُ أن تراكُ

عندي خطابٌ كلُّه أشجانُ

لكنتي..

لكنتي يا سيدي

لا أعرفُ العنوانُ...

2

والدُّنا جمالَ عبدِ الناصرِ

الزرعُ في الغيطانِ، والأولادُ في البلدِ

ومولدُ النبيِّ، والمآذنُ الزرقاءُ..

والأجراسُ في يومِ الأحدِ..

وهذهِ القاهرةُ التي غفَّتْ..

كزهرةٍ بيضاءَ.. في شعرِ الأبدِ..

يسلمون كلهم عليك

يقبلون كلهم يدك..

ويسألون عنك كلَّ قادمٍ إلى البلد

متى تعود للبلد؟...

3

حمامُ الأزهر يا حبيبتنا.. تُهدي لك السلام

مُعدياتُ النيل يا حبيبتنا.. تُهدي لك السلام..

والقطنُ في الحقول، والنخيلُ، والغمامُ..

جميعها.. جميعها.. تُهدي لك السلام..

كرسيك المهجورُ في منشيّة البكري..

يبكي فارسَ الأحلام..

والصبرُ لا صبرَ له.. والنومُ لا ينامُ

وساعةُ الجدار.. من ذهولها..

ضيّعتِ الأيامُ..

يا مَنْ سكنتَ الوقتَ والأيامَ

عندي خطابٌ عاجلٌ إليك..

لكنتي...

لكنتي يا سيّدي.. لا أجدُ الكلامَ

لا أجدُ الكلامَ..

4

والدُّنا جمالَ عبدِ الناصرِ:

الْحَزَنُ مَرْسُومٌ عَلَى الْغُيُومِ، وَالْأَشْجَارُ، وَالسُّتَائِرُ

وَأَنْتَ سَافِرَةٌ وَلَمْ تَسَافِرِي..

فأنتَ في رائحةِ الأرضِ، وفي تفتحِ الأزاهرِ..

في صوتِ كلِّ موجةٍ، وصوتِ كلِّ طائرٍ

في كتبِ الأطفالِ، في الحروفِ، والدفاترِ

في خضرةِ العيونِ، وارتعاشةِ الأساورِ..

في صدرِ كلِّ مؤمنٍ، وسيفِ كلِّ ثائرٍ..

عندي خطابٌ عاجلٌ إليكِ..

لكنتي..

لكنتي يا سيدي..

تسحفتي مشاعري..

5

يا أيها المعلمُ الكبيرُ

كم حزُّنا كبيرٌ..

كم جرحُنا كبيرٌ..

لكننا

نقسمُ باللهِ العليِّ القديرِ

أن نحبسَ الدموعَ في الأحداقِ..

ونخنقَ العبرةَ..

نقسمُ باللهِ العليِّ القديرِ..

أن نحفظَ الميثاقَ..

ونحفظَ الثورةَ..

وعندما يسألنا أولادنا

من أنتم؟

في أيِّ عصرٍ عشتُمُ..؟

في عصر أيّ ملهم؟

في عصر أيّ ساحر؟

نجيبهم: في عصر عبدِ الناصر..

الله.. ما أروعها شهادةً

أن يوجدَ الإنسانُ في عصرِ عبدِ الناصر

إليه في يوم ميلاده³¹

زمانك بستانٌ ..

وعصرُك أخضرُ

وذكراك ، عصفورٌ من القلب ينقرُ

ملأنا لك الأقداحَ ،

يا من يحبه سكرنا ،

كما الصوفيّ بالله يسكرُ

دخلت على تاريخنا ذات ليلةٍ

فرائحةُ التاريخ مسكٌ وعنبرُ

وكنتَ ،

فكانت في الحقول سنابلُ

³¹ بمناسبة عيد الطفولة وهو عيد ميلاد الرئيس والزعيم الخالد جمال عبد الناصر الموافق 15 يناير 1918.

وكانت عسافيرٌ ..

وكان صنوبرٌ

لمستَ أمانينا ،

فصارتُ جداولاً وأمطرتنا حباً ،

ولا زلتَ تمطرُ

تأخرت عن وعد الهوى يا حبيبنا

وما كنت عن وعد الهوى تتأخرُ

سَهَدْنَا ..

وفكّرنا ..

وشاقت دموعنا

وشابت ليالينا ،

وما كنت تحضرُ

تعاودنى ذكراك كلّ عشيةٍ
ويورق فكري حين فيك أفكر ..
وتأبى جراحى أن تضمّ شفاهها
كان جراح الحبّ لا تتخثرُ
أحبّك لا تفسير عندى لصبوتى
أفسّر ماذا؟ والهوى لا يفسّر
تأخّرت يا أغلى الرجال ،
فليانا طويل ،
وأضواء القناديل تسهرُ
تأخّرت ..
فالساعات تاكل نفسها
وأيامنا فى بعضها تتعثرُ
أتسأل عن أعمارنا ؟

أنت عمرنا وأنت لنا المهدى ..

أنت المحررُ

وأنت أبو الثورات ،

أنت وقودها وأنت انبعاث الأرض،

أنت التغيّرُ

تضيّق قبور الميتين بمن بها

وفي كل يوم أنت في القبر تكبرُ

تأخرت عنا .. فالجياذ حزينه

وسيفك من أشواقه ، كاد يكفرُ

حصانك في سيناء يشرب دمه

ويا لعذاب الخيل ، إذ تتذكرُ

وراياتك الخضراء تمضغ دربها

وفوقك آلاف الأكاليل تُضْفَرُ

تأخرت عنا ..

فالمسيح معذبٌ هناك ،

وجرح المجدلية أحمرٌ ..

نساء فلسطين تكحّن بالأسى

وفى بيت لحم قاصراتٌ .. وقصرٌ

وليمونٌ يافا يابسٌ فى حقوله

وهل شجرٌ فى قبضة الظلم يزهرُ ؟

رفيق صلاح الدين .. هل لك عودة

فإن جيوش الروم تنهى وتأمُرُ

رفاقك فى الأغوار شدّوا سُروجهم

وجندك فى حطين ، صلّوا .. وكبرّوا ..

تُغنى بك الدنيا ..

كأنك طارقٌ على بركات الله ،

يرسو .. ويبحرُ

تناديك من شوق مآذن مَكَّةِ

وتبكيك بدرٌ ، يا حبيبي ، وخبيرُ

ويبكيك صفصاف الشام ووردها

ويبكيك زهرُ الغوطتين ، ودُمَّرُ

تعال إلينا ..

فالمروءات أطرقتُ

وموطن آبائي زجاج مكسَّرُ ..

هزمننا .. وما زلنا شتات قبائل

تعيشُ على الحقد الدفين وتثارُ

رفيق صلاح الدين .. هل لك عودةٌ

فإن جيوش الروم تنهى ، وتأمراً
يحاصرنا كالموت ألف خليفة
ففى الشرق هولاءكو .. وفى الغرب قيصر
أبا خالد أشكو إليك مواجعى
ومثلى له عذر .. ومثلك يعذر
أنا شجر الأحران ، أنزف دائماً
وفى الثلج والأنواع .. أعطى وأثمر
يثير حيران جنونى ونقمتى
فأغتال أوثانى .. وأبكى .. وأكفر
وأذبح أهل الكهف فوق فراشهم جميعاً ،
ومن بوابة الموت أعبى
وأترك خلفى ناقتى وعباءتى وأمشى ..
أنا فى رقبة الشمس خنجر

وأصرخُ : يا أرض الخرافاتِ..

أحبلى لعلّ مسيحاً ثانياً .. سوف يظهرُ ..

إفادة في محكمة الشعر³²

مرحباً يا عراقُ ، جئتُ أُغنيكَ

وبعضٌ من الغناءِ بكاءُ

مرحباً، مرحباً.. أتعرفُ وجهاً

حفرتهُ الأيامُ والأنواءُ؟

أكلَ الحبُّ من حشاشةِ قلبي

والبقايا تقاسمتها النساءُ

كلُّ أحبابي القدامى نسَوني

لا نُوارَ تجيبُ أو عفراءُ

فالشفاهُ المطيباتُ رمادُ

وخيامُ الهوى رماها الهواءُ

³² أُلقيت في مهرجان الشعر التاسع ببغداد عام 1969

سكنَ الحزنُ كالعصافيرِ قلبي
فالأسى خمرٌ وقلبي الإناءُ
أنا جرحٌ يمشي على قدميه
وخيولي قد هدَّها الإعياءُ
فجراحُ الحسينِ بعضُ جراحي
وبصدري من الأسى كربلاءُ
وأنا الحزنُ من زمانِ صديقي
وقليلٌ في عصرنا الأصدقاءُ
مرحباً يا عراقُ، كيفَ العباءاتُ
وكيفَ المها.. وكيفَ الأطباءُ؟
مرحباً يا عراقُ ... هل نسيّتي
بعدَ طولِ السنينِ سامراً؟

مرحباً يا جسورُ يا نخلُ يا نهرُ
وأهلاً يا عشبُ... يا أفياءُ
كيفَ أحبُّبنا على ضفةِ النهرِ
وكيفَ البساطُ والندماءُ؟
كان عندي هنا أميرةٌ حبُّ
ثم ضاعت أميرتي الحسناءُ
أينَ وجهُ في الأعظميةِ حلوُ
لو رأتَهُ تغارُ منه السماءُ؟
إنني السندبادُ... مزقةُ البحرِ
و عينا حبيبتِي الميناءُ
مضغَ الموجِ مركبي ... و جيني
ثقبتهُ العواصفُ الهوجاءُ

إنَّ في داخلي عصوراً من الحزن

فهل لي إلى العراق التجاءً؟

و أنا العاشقُ الكبيرُ... ولكن

ليس تكفي دفاتري الزرقاءُ

يا حزيرانُ. ما الذي فعلَ الشعرُ؟

وما الذي أعطى لنا الشعراءُ؟

الدواوينُ في يدينا طروحُ

والتعابيرُ كلُّها إنشاءُ

كلُّ عامٍ نأتي لسوقِ عُكاظِ

وعلينا العمائمُ الخضراءُ

ونَهزُ الرؤوسَ مثلَ الدراويشِ

...و بالنارِ تكتوي سيناؤُ

كلُّ عامٍ نأتي ... فهذا جريرُ

يتغنى.. وهذه الخنساءُ

لم نزل ، لم نزل نمصصُ قشراً

وفلسطينُ خضبتُها الدماءُ

يا حزيرانُ... أنتَ أكبرُ منا

وأبُّ أنتَ ما له أبناءُ

لو ملكنا بقيّةَ من إباءِ

لانتخبنا³³.. لكننا جبناءُ

يا عصورَ المعلقاتِ مللنا...

ومن الجسمِ قد يملُّ الرداءُ

نصفُ أشعارنا نقوشٌ وماذا

ينفعُ النقشُ حين يهوي البناءُ؟

المقاماتُ لعبةٌ ... والحريريُّ

³³ انتخى من النخوة وهو بمعنى تكبر وتعظم في الحرب. حركته النخوة .

حشيشٌ.. والغولُ والعنقاءُ
ذبحتنا الفسيفساءُ عصوراً
والدُّمى والزخارفُ البلهاءُ
نرفضُ الشعرَ كيمياءً وسحراً
قتلتنا القصيدةُ الكيمياءُ
نرفضُ الشعرَ مسرحاً ملكياً
من كراسيه يُحرّمُ البسطاءُ
نرفضُ الشعرَ أن يكونَ حصاناً
يمتطيه الطغاةُ والأقوياءُ
نرفضُ الشعرَ عتمةً ورموزاً
كيف تستطيعُ أن ترى الظلماءُ؟
نرفضُ الشعرَ أرنباً خشبياً
لا طموحَ له ولا أهواءُ

نرفضُ الشعرَ في قهوةِ الشعرِ..

دخانُ أيامهم.. وارتخاءُ

شِعْرُنَا اليومَ يحفرُ الشمسَ حفراً

بيديه.. فكلُّ شيءٍ مُضَاءُ

شِعْرُنَا اليومَ هجمةٌ واكتشافٌ

لا خطوطَ كوفيّةٍ ، وحاداً

كلُّ شعرٍ معاصرٍ ليسَ فيه

غضبُ العصرِ نملةٌ عرجاءُ

ما هو الشعرُ... إن غدا بهلواناً

يتسلّى برقصه الخُلفاءُ

ما هو الشعرُ... حينَ يصبحُ فأراً

كسرةُ الخبزِ - همّةُ - والغذاءُ

و إذا أصبح المفكرُ بوقاً
يستوي الفكرُ عندها والحذاءُ
يُصلبُ الأنبياءُ من أجل رأيٍ
فلماذا لا يُصلبُ الشعراءُ؟
الفدائيُّ وحده.. يكتبُ الشعرَ
و كلُّ الذي كتبناه هراءُ
إنه الكاتبُ الحقيقيُّ للعصرِ
ونحنُ الحُجَّابُ والأجراءُ
عندما تبدأُ البنادقُ بالعزفِ
تموتُ القصائدُ العصماءُ
ما لنا؟ ما لنا نلومُ حزيرانَ
و في الإثمِ كلُّنا شركاءُ؟
من هم الأبرياءُ؟ نحنُ جميعاً

حاملو عاره ولا استثناء
عقلنا ، فكرنا ، هزال أغانينا
روانا، أقوالنا الجوفاء
نثرنا، شعرنا، جرائدنا الصفراء
والحبر والحروف الإماء
البطولاتُ موقفٌ مسرحيٌّ
ووجه الممثلين طلاء
وفلسطينُ بينهم كمزادٍ
كلُّ شارٍ يزيد حين يشاء
وحدويون! و البلادُ شظايا
كلُّ جزءٍ من لحمها أجزاء
ماركسيون! والجماهيرُ تشقى

فلماذا لا يشبعُ الفقراءُ؟

قرشيون! لو رأتهم قريشُ

لاستجارت من رملها البيداءُ

لا يمينٌ يجيرنا أو يسارُ

تحتَ حدِّ السكين نحنُ سواءُ

لو قرأنا التاريخَ ما ضاعتِ القدسُ

وضاعت من قبلها "الحمراء" ³⁴..

يا فلسطينُ ، لا تزالين عطشى

وعلى الزيتِ نامتِ الصحراءُ

العباءاتُ.. كلُّها من حريرِ

والليالي رخيصةٌ حمراءُ

يا فلسطينُ، لا تنادي عليهم

³⁴ قصر الحمراء هو قصر أثري وحصن انتهى بناؤه في عصر بني الأحمر حكام غرناطة المسلمين في الأندلس بعد سقوط دولة الموحدين.

قد تساوى الأموات والأحياءُ
قتلَ النفط ما بهم من سجايا
ولقد يقتلُ الثريَّ الثراءُ
يا فلسطينُ ، لا تنادي قريشاً
فقريشٌ ماتت بها الخيلاءُ
لا تنادي الرجالَ من عبدِ شمسٍ
لا تنادي.. لم يبقَ إلا النساءُ
ذروة الموتِ أن تموتَ المروءاتُ
ويمشي إلى الوراءِ الوراءُ
مرَّ عامان والغزاةُ مقيمونَ
و تاريخُ أمّتي... أشلاءُ
مرَّ عامان.. والمسيحُ أسيرٌ

في يديهم.. و مريمُ العذراءُ
مرَّ عامان... والمآذنُ تبكي
و النواقيسُ كُلُّها خرساءُ
أيُّها الراكعونَ في معبدِ الحرفِ
كفانا الدوارُ والإغماءُ
مزَّقوا جُبَّةَ الدراويشِ عنكم
واخلعوا الصوفَ أيُّها الأتقياءُ
أتركوا أولياءنا بسلامٍ
أيُّ أرضٍ أعادها الأولياءُ؟
في فمي يا عراق.. ماءٌ كثيرٌ
كيفَ يشكو منَ كانَ في فيه ماءٌ؟
زعموا أنني طعنتُ بلادي
وأنا الحبُّ كُلُّه والوفاءُ

أيريدون أن أمصّ نزيقي؟

لا جدارٌ أنا ولا بيغاءُ!

أنا حرّيتي... فإن سرقوها

تسقطُ الأرضُ كلّها والسماءُ

ما احترفتُ النِّفاقَ يوماً وشعري

ما اشتراهُ الملوكُ والأمراءُ

كلُّ حرفٍ كتبتُهُ كانَ سيفاً

عربياً يشعُّ منه الضياءُ

و قليلٌ منَ الكلامِ نقيُّ

وكثيرٌ منَ الكلامِ بيغاءُ

كم أعاني ممّا كتبتُ عذاباً

ويعاني في شرقنا الشرفاءُ

وَجِعُ الحَرْفِ رَائِعٌ.. أَوْ تَشْكُو

للبساتين وردة حمراء؟

كُلُّ مَنْ قَاتَلُوا بِحَرْفٍ شَجَاع

ثُمَّ مَاتُوا.. فَإِنَّهُمْ شُهَدَاءُ

لَا تَعَاقِبْ يَا رَبِّ مَنْ رَجَمُونِي

وَاعْفُ عَنْهُمْ لِأَنَّهُمْ جُهَلَاءُ

إِنْ حَبِّي لِلأَرْضِ حُبٌّ بَصِيرٌ

وَهُوَ أَمُّ عَوَاطِفِ عَمِيَاءُ

إِنْ أَكُنْ قَدْ كَوَيْتُ لِحْمِ بِلَادِي

فَمِنْ الكَيِّ قَدْ يَجِيءُ الشِّفَاءُ

مِنْ بَحَارِ الأَسَى ، وَلَيْلِ الْيَتَامَى

تَطْلُعُ الآنَ زَهْرَةٌ بِيضَاءُ

وَ يَطْلُ الفِدَاءُ شَمْساً عَلَيْنَا

ما عسانا نكون.. لولا الفداء
من جراح المناضلين... وُلدنا
ومن الجرح تولدُ الكبرياءُ
قبلهم ، لم يكن هناك قبلُ
ابتداءُ التاريخ من يوم جاؤوا
هبطوا فوقَ أرضنا أنبياءَ
بعد أن ماتَ عندنا الأنبياءُ
أنقذوا ماءَ وجهنا يومَ لاحوا
فأضاعت وجوهنا السوداءُ
منحونا إلى الحياةِ جوازاً
لم تكُن قبلهم لنا أسماءُ
أصدقاءَ الحروفِ لا تعذلوني

إن تفجرت أيتها الأصدقاء
إنني أأخذ الرعود بصدري
مثلما يأخذ الرعود الشتاء
أنا ما جئت كي أكون خطيباً
فبلادي أضاعها الخطباء
إنني رافض زماني وعصري
ومن الرفض تولد الأشياء
أصدقائي، حكيت ما ليس يحكى
و شفيعي... طفولتي والنقاء
إنني قادم إليكم... و قلبي
فوق كفي حمامة بيضاء
إفهموني... فما أنا غير طفل
فوق عينيه يستحم المساء

أنا لا أعرفُ ازدواجية الفكر

فنفسي.. بحيرة زرقاء

لبلادي شعري.. ولستُ أبالي

رفضته أم باركته السماء..

من مفكرة عاشق دمشقي

فرشتُ فوقَ ثراكِ الطاهرِ الهدبا

فيا دمشقُ... لماذا نبدا العتبا؟

حبيبتي أنتِ... فاستلقي كأغنيةٍ

على ذراعي، ولا تستوضحي السببا

أنتِ النساءُ جميعاً.. ما من امرأةٍ

أحببتُ بعدك.. إلا خلثها كذبا

يا شامُ، إنَّ جراحي لا ضفافَ لها

فمَسَّحِي عن جِبِينِي الحزنَ والتعبا

وأرجعيني إلى أسوارِ مدرستي

وأرجعيني الحبرَ والطبشورَ والكتبا

تلكَ الزواريبُ³⁵ كم كنزٍ طمرتُ بها

وكم تركتُ عليها ذكرياتٍ صبا

وكم رسمتُ على جدرانها صوراً

وكم كسرتُ على أدراسها³⁶ لُعبا

³⁵ جمع زاروب وهي الأزقة وتفرعات الحارات الدمشقية الكثيرة والمتشعبة. التي يسميها أهل دمشق "محل ما ضيع القرد ابنه" ونسُميها في مصر "بيت جحا".

³⁶ أي درجات سلالمها الحجرية.

أتيتُ من رحم الأحران... يا وطني

أقبلُ الأرضَ والأبوابَ والشُّهبا

حُبِّي هنا.. وحبّياتي وُلْدنَ هنا

فمَن يعيدُ لي العُمَرَ الذي ذهبَا؟

أنا قبيلةُ عشّاقٍ بكاملها

ومِن دموعي سَقيتُ البحرَ والسَّحبا

فكُلُّ صفصافةٍ حَوَّلَتْها امرأةٌ

و كَلُّ مئذنةٍ رصَّعَتْها ذهبَا

هذي البساتينُ كانت بينَ أمتعتي

لما ارتحلتُ عن الفيحاءِ مُغترِباً

فلا قميصَ مِنَ القمصانِ ألبسهُ

إِلا وَجَدتُ على خِيطانِهِ عنباً

كم مُبحرٍ.. وهمومُ البرِّ تسكنهُ

وهاربٍ مِنَ قضاءِ الحبِّ ما هرباً

يا شامُ، أينَ هما عينا معاويةَ

وأينَ مَنْ زحموا بالمنكبِ الشُّهبا

فلا خيولُ بني حمدانِ راقصةَ

زُهوًا... ولا المتنبّي مالىُّ حَلَبًا

وقبرُ خالدٍ في حمصٍ نلامسهُ
فيرجفُ القبرُ من زوَّارهِ غضبا

يا رَبِّ حَيٍّ.. رخامُ القبرِ مَسْكَنُهُ
ورُبَّ مَيِّتٍ.. على أقدامه انتصبا

يا ابنَ الوليدِ.. ألا سيفٌ توجِّرهُ؟
فكُلُّ أسيافنا قد أصبحت خشبا

دمشقُ، يا كنزَ أحلامي ومروحتي
أشكو العروبة أم أشكو لكِ العربا؟

أدْمَتْ سِيَاطَ حَزِيرَانَ ظُهُورِهِمْ
فَأَدْمَنُواهَا.. وَبَاسُوا كَفًّا مَنَ ضَرْبَا

وَطَالَعُوا كُتُبَ التَّارِيخِ.. وَاقْتَنَعُوا
مَتَى الْبِنَادِقُ كَانَتْ تَسْكُنُ الْكُتُبَا؟

سَقُوا فِلَسْطِينَ أَحْلَامًا مَلُونَةً
وَأَطْعَمُواهَا سَخِيفَ الْقَوْلِ وَالْخَطْبَا

وَخَلَّفُوا الْقُدْسَ فَوْقَ الْوَحْلِ عَارِيَةً
تَبِيحُ عِزَّةَ نَهْدِيهَا لِمَن رَغِبَا..

هل من فلسطينَ مكتوبٌ يُطمئنني

عَمَّنْ كَتَبْتُ إِلَيْهِ.. وَهُوَ مَا كَتَبَا؟

وَعَنْ بَسَاتِينَ لَيْمُونٍ، وَعَنْ حَلْمٍ

يَزْدَادُ عَنِّي ابْتِعَادًا.. كُلَّمَا اقْتَرَبَا

أَيَا فِلَسْطِينُ.. مَنْ يَهْدِيكَ زَنْبَقَةً؟

وَمَنْ يَعِيدُ لَكَ الْبَيْتَ الَّذِي خَرَبَا؟

شَرَدْتَ فَوْقَ رَصِيفِ الدَّمْعِ بَاحِثَةً

عَنِ الْحَنَانِ، وَلَكِنْ مَا وَجَدْتَ أَبَا..

تَلَقَّتِي... تَجِدِينَا فِي مَبَاذِلِنَا..

مَنْ يَعْبُدُ الْجِنْسَ، أَوْ مَنْ يَعْبُدُ الذَّهَبَ

فَوَاحِدٌ أَعْمَتِ النُّعْمَى بِصِيرَتِهِ

فَللْخَنَى وَالْغَوَانِي كُلُّ مَا وَهَبَا

وَوَاحِدٌ بِبِحَارِ النَّفْطِ مَغْتَسِلٌ

قَدْ ضَاقَ بِالْخَيْشِ ثَوْبًا فَارْتَدَى الْقَصْبَا

وَوَاحِدٌ نَرَجَسِيٌّ فِي سَرِيرَتِهِ

وَوَاحِدٌ مِنْ دَمِ الْأَحْرَارِ قَدْ شَرَبَا

إِنْ كَانَ مَنْ ذَبَحُوا التَّارِيخَ هُمْ نَسْبِي

على العصور.. فإني أرفضُ النسباً

يا شامُ، يا شامُ، ما في جعبتي طربُ

أستغفرُ الشعرَ أن يستجديَ الطرباً

ماذا سأقرأ من شعري ومن أدبي؟

حوافرُ الخيلِ داست عندنا الأدبا

وحاصرتنا.. وأدتنا.. فلا قلمُ

قالَ الحقيقةَ إلا اغتيلَ أو صُلِبَا

يا من يعاتبُ مذبوحاً على دمه

ونزفِ شريانه، ما أسهل العتبا

مَنْ جَرَّبَ الكيَّ لا ينسى مواجهه

ومَنْ رأى السمَّ لا يشقى كمن شربا

حبُّ الفجيرة ملتفٌ على عنقي

مَنْ ذا يعاتبُ مشنوقاً إذا اضطرّبا؟

الشعرُ ليسَ حماماتٍ نُطيرها

نحوَ السماءِ، ولا نايأ.. وريحَ صبا

لكنّه غضبٌ طالت أظافره

ما أجبنَ الشعرَ إن لم يركبِ الغضبا

ترصيع بالذهب على سيف دمشقى

أتراها تحبني ميسون..؟

أم توهمت والنساء ظنون

كم رسول أرسلته لأبيها

ذبحته تحت النقاب العيونُ

يا ابنة العمّ... والهوى أمويٌّ

كيف أخفي الهوى وكيف أبين

كم قتلنا في عشقتنا وبعثنا

بعد موت وما علينا يمينُ

ما وقوفي في الديار وقلبي

كجبيني قد طرزته الغصونُ

لا ظباء الحمى رَدَدَنَ سلامي

والخلاخيلُ ما لهنَّ رنين

هل مرايا دمشق تعرف وجهي

من جديد أم غيرتني السنينُ؟

يا زماناً في الصالحية سمحاً

أين مني الغوى وأين الفتون؟

يا سريري.. ويا شراشف أمني

يا عصافير.. يا شذا، يا غصون

يا زواريب حارتي.. خبئني

بين جفنيك فالزمان ضنين

واعذريني إن بدوت حزيناً

إن وجه المحب وجه حزين

ها هي الشام بعد فرقة دهر

أنهر سبعة .. وحوار عين

النوافير في البيوت كلام

والعناقيد سكر مطحون

والسماءُ الزرقاءُ دفتر شعر

والحروف التي عليه .. سنونو ..

هل دمشق كما يقولون كانت

حين في الليل فكر الياسمين ؟

آه يا شام .. كيف أشرح ما بي

وأنا فيك دائماً مسكونُ

سامحيني إن لم أكاشفك بالعشق

فأحلى ما في الهوى التضمين

نحن أسرى معاً وفي قفص الحب

يعاني السجنانُ والمسجونُ

يا دمشقُ التي تقمصتُ فيها

هل أنا السروُ .. أم أنا الشربينُ ؟

أم أنا الفلُّ قى أباريق أمي

أم أنا العشبُ والسحابُ الهتون

أم أنا القطة الأثيرة في الدار

تلمي إذا دعاها الحنينُ؟

يا دمشق التي تفشى شذاها

تحت جلدي كأنه الزيفونُ

يا دمشق التي تفشى شذاها

تحت جلدي .. كأنه الزيفونُ

سامحيني إذا اضطربت فإني

لا مقىً حبي ولا موزونٌ

وازرعيني تحت الصفائر مشطاً

فأريك الغرام كيف يكونُ

قادم من مدائن الريح وحدي

فاحتضني، كالطفل، يا قاسيون³⁷

احتضني .. ولا تناقش جنوني

ذروة العقل يا حبيبي الجنونُ

³⁷ قاسيون هو جبل يطل على مدينة دمشق عاصمة سوريا، يعتبر جبل قاسيون امتداداً جغرافياً للسلاسل الجبال السورية الغربية. مثل المقطم عندنا في القاهرة بمصر.

احتضني .. خمسين ألفاً وألفاً

فمع الضم لا يجوزُ السكونُ

أهي مجنونة بشوقي إليها...

هذه الشام، أم أنا المجنون؟

حاملُ حبها ثلاثين قرناً

فوق ظهري وما هناك معينُ

كلما جنَّها أرددُ دُيوني

للجماليات حاصرتني الديونُ

إن تخلت كل المقادير عني

فبعيني حبيبتني أستعينُ

يا الهي جعلتَ عشقيَ بحرًا

أحرامٌ على البحار السكونُ

يا الهي هل الكتابةُ جرحٌ

ليس يُشفى أم مارِدٌ ملعونُ

كم أعاني في الشعر موتاً جميلاً

وثُعاني من الرياح السفينُ

جاء تشرين يا حبيبة عمري

أحسن وقت للهوى تشرين

ولنا موعد على جبل الشيخ³⁸

كم الثلج دافئ.. وحنونُ

³⁸ جبل الشيخ أو جبل حرمون هو جبل يقع في سوريا ولبنان. يمتد من بانياس وسهل الحولة في الجنوب الغربي إلى وادي القرن ومجاز وادي الحرير في الشمال الشرقي وهو بذلك يشكل القسم الأكبر والأهم والأعلى من سلسلة جبال لبنان الشرقية التي تمتد بين سوريا ولبنان. يحده من الشرق والجنوب منطقة وادي العجم وإقليم البلان وهضبة الجولان في سوريا، ومن الشمال والغرب القسم الجنوبي من سهل البقاع ووادي التيم في لبنان. فيه ثلاث قمم الأولى في الشرق وتعلو 2145م والثانية في الغرب وتعلو 2294م والثالثة، تسمى شارة الحرمون وهي الأعلى وتعلو 2814م. ويقع جبل الشيخ داخل الجولان السوري المحتل من قبل الصهاينة.

لم أعانقك من زمان طويل
لم أحدثك . والحديثُ شجونُ

لم أغازلُك والتغزلُ بعضي
للهوى ديبُهُ .. وللسيفِ دينُ

سنوات سبَع من الحزنِ مرت
مات فيها الصفصاف والزيتون

سنواتُ فيها استقلتُ من الحب
وجفت على شفاهي اللحونُ

سنواتٌ سبعٌ بها اغتالنا اليأسُ

وعلمُ الكلامِ .. واليانسونُ

فانقسمنا قبائلاً .. وشعوباً

واستبيحَ الحمى وضاع العرينُ

كيف أهواك حينَ حولٍ سريري

يتمشّي اليهودُ والطاعونُ؟

كيف أهواك والحمى مُستباحٌ

هل من السهل أن يحبَّ السجينُ؟

لا تقولي : نسيتَ .. لم أنس شيئاً

كيف تنسى أهدابهنَّ الجفونُ ؟

غير أن الهوى يصيرُ ذليلاً

كلما ذلَّ للرجال جبينُ ..

شام.. يا شام.. يا أميرة حبي

كيف ينسى غرامه المجنون؟

أوقدي النارَ فالحديثُ طويلُ

وطويلُ لمن نحب الحنينُ

شمس غرناطة أطلت علينا

بعد ياس وز غردت ميسلون³⁹

جاء تشرين.. إن وجهك أحلى

بكثير... ما سره تشرين؟

كيف صارت سنابلُ القمح أعلى

³⁹خان ميسلون : ميسلون هي منطقة في الجبال بالقرب من دمشق في سورية ، وفيها خان واستراحة ومحطة للمسافرين كانت على طريق العربات القديم الذي يربط ما بين دمشق وبيروت في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . يوجد في ميسلون استراحة وهو الخان المعروف بخان ميسلون وهو الاستراحة الأولى للمسافرين من دمشق أو للقادمين من بيروت في عربات السفر القديمة التي تجرها الخيل أو على ظهور الخيل. اشتهرت المنطقة بمعركة شهيرة : معركة ميسلون ، وهي معركة بين القوات السورية بقيادة وزير الحربية السوري البطل يوسف العظمة وبين القوات الفرنسية بقيادة هنري غورو في 20 يوليو 1920 دافع فيها البطل يوسف العظمة وزير الحربية ومن معه من الأبطال المجاهدين المتطوعين بشجاعة عن وطنهم ، ويوجد في ميسلون نصب تذكاري يخلد شهداء معركة ميسلون .وتعتبر معركة ميسلون معركة عزة وكرامة خاضها البطل يوسف العظمة الذي كان يعلم أن جيشه المتواضع جداً بمواجهة الجيش الجرار الذي كان يقوده غورو والمزود بطائرات ودبابات ومدافع وإمدادات لن يصمد طويلاً لكنه رفض أن يحتل الفرنسيون بلده دون قتال فتبقى وصمة عار في التاريخ، فكانت معركة ميسلون والتي قاوم فيها الجيش ببسالة معركة عزة وكرامة.

كيف صارت عيناك بيت السنونو ؟

إن أرض الجولان تشبه عينيك

فماءٌ يجري.. ولوز.. وتينٌ

كلُّ جرح فيها .. حديقة ورد

وربيعٌ .. ولؤلؤ مكنونٌ

يا دمشق البسي دموعي سواراً

وتمني .. فكلُّ شيء يهونُ

وضعي طرحة العروس لأجلي

إنَّ مَهْرَ المُنَاضِلَاتِ ثمينٌ

رَضِيَ اللهُ وَالرَّسُولُ عَنِ الشَّامِ

فَنَصَرَ آتٍ وَفَتَحَ مَبِينُ

مَرْقِي يَا دِمَشْقَ خَارِطَةَ الذَّلِّ

وَقَوْلِي لِلدَّهْرِ كُنْ فَيَكُونُ

اسْتَرَدْتُ أَيَامَهَا بِكَ بَدْرُ

وَاسْتَعَادْتُ شَبَابَهَا حَطِينُ

بِكَ عَزَّتْ قَرِيشٌ بَعْدَ هَوَانِ

وَتَلَاقَتْ قَبَائِلُ وَبَطُونُ

إِنَّ عمرو بنَ العاصِ يزحفُ للشرقِ

وللغربِ يزحفُ المأمونُ

كتبَ اللهُ أن تكوني دمشقاً

بكِ يبدأ وينتهي التكوينُ

لا خياراً أن يصبحَ البحرُ بحراً

أو يختارُ صوتَهُ الحسنُ

ذَاكَ عُمُرُ السِّيُوفِ .. لَا سَيْفَ إِلَّا

دَائِنٌ يَا حَبِيبَتِي أَوْ مَدِينٌ

هُزِمَ الرُّومُ بَعْدَ سَبْعِ عَجَافٍ

وَتَعَاثَى وَجَدَانَنَا الْمُطْعُونُ

وَقَتَلْنَا الْعَنْقَاءَ فِي (جَبَلِ الشَّيْخِ)

وَأَلْقَى أَضْرَاسَهُ التَّنِينُ

صَدَقَ السَّيْفُ وَعَدَهُ .. يَا بِلَادِي

فَالسِّيَاسَاتُ كُلُّهَا أَفْيُونُ

صدق السيفُ حاكماً وحكيماً

وحده السيفُ يا دمشقُ اليقينُ

اسحبي الذيلَ يا قنيطرة⁴⁰ المجدِ

وكحلّ جفنيك يا حرمونُ

⁴⁰ محافظة القنيطرة هي محافظة سورية في هضبة الجولان، يقع معظم المساحة التي حددت لها السلطات السورية غربي خط الهدنة المفروض حسب اتفاقية فك الاشتباك من 1974، أي فعلاً خارج السيطرة السورية. حتى حرب يونيو 1967 كانت هذه المحافظة في سيادة سورية كاملة، أما في تلك الحرب فاحتل الجيش الإسرائيلي معظم مساحة المحافظة، بما في ذلك مدينة القنيطرة التي كانت عاصمة المحافظة. هجرت غالبية سكان المحافظة منها ولجؤوا في ضواحي مدينة دمشق أثناء الحرب أو بعدها بقليل، ولكن بعض السكان العرب الدروز بقوا في قراهم وأصبحوا مقيمين في الأرض المحتلة من قبل إسرائيل حسب قوانينها، بينما ما زالت الجمهورية العربية السورية تعترف بهم كمواطنين سوريين وقد رفضوا الجنسية الإسرائيلية. بعد حرب أكتوبر 1973 وضمن اتفاقية فك الاشتباك استعاد السوريون من إسرائيل 60 كم مربع من المحافظة الواقعة فيها مدينة القنيطرة وكامل قرى الجيب الذي إحتلته إسرائيل في حرب 1973. أما سوريا فالتزمت في الاتفاق بإبعاد قواتها العسكرية من خط الهدنة والموافقة على مرابطة قوات دولية للأمم المتحدة (UNDOF) في شريط محاذاً لخط الهدنة. ومنذ عام 74 من القرن الماضي إلى اليوم شهدت محافظة القنيطرة تطورا كبيرا وخطوات متقدمة في مجال التنمية رغم المعوقات الكثيرة فقد كانت الأولوية لإعادة إعمار القرى التي انسحب منها الإسرائيليون ووضعت القيادة السياسية كل الإمكانيات لمؤسسة الإسكان العسكري للقيام بالمهمة التي أنجزت بشكل مرتجل فكانت المخرجات غير مقبولة وخضعت العملية لمزاجية الشباب المهندسون الجدد ممن لا يملكون أي خبرة عملية ودون ضوابط أو لوائح تحكم عملهم وبشكل عشوائي دون اعتماد مخططات هندسية أو مخططات تنظيمية والحقيقة أن سكان خرق 73 لم يحصلوا ولو على جزء يسير من حقوقهم ولكن مكرمة الرئيس الراحل المرحوم حافظ الأسد بالعمل على استصلاح كافة أراضي المحافظة بشكل مجاني كان لها دور هام وعظيم في إضفاء لمسة حضارية وفتح آفاق جديدة لقرى القنيطرة الحدودية.

سَبَقَتْ ظَلَّهَا خِيُولُ هَشَامِ
وَأَفَاقَتْ مِنْ نَوْمِهَا السَّكِينُ
عَلَمِينَا فَفَقَّهِ الْعَرُوبَةِ يَا شَامِ
فَأَنْتِ الْبَيَانِ وَالْتَبْيِينُ
عَلَمِينَا الْأَفْعَالِ قَدْ دَبَحْنَا
أَحْرَفُ الْجُرِّ وَالْكَلامِ الْعَجِينُ
عَلَمِينَا قِرَاءَةَ الْبَرْقِ وَالرَّعْدِ
فَنَصَفُ اللُّغَاتِ وَحُلَّ وَطِينُ

علمينا التفكير لا نصرَ يُرجى

حينما الشعب كله سردينُ

إن أقصى ما يُغضبُ اللهَ فكرُ

دجنوه ... وكاتبٌ عئينُ

وطني، يا قصيدة النار والورد

تغنت بما صنعتَ القرونُ

إن نهرَ التاريخ ينبع في الشام

أيلغي التريخَ طرحٌ هجينُ؟

نحن أصلُ الأشياءِ ... لا فوراً باق

فوق إيوانه ولا رابينُ

نحنُ عكا ونحنُ كرمل حيفا

وجبال الجليل .. والطرُونُ

كل ليمونة ستجب طفلاً

ومحالٌ أن ينتهي الليمونُ

شام يا شام غيري قدر الشمس

وقولي للدهر .. كن .. فيكون

إركبي الشمس يا دمشق حصاناً

ولك الله ... حافظ و أمين

ملاحظات في زمن الحب والحرب

1

ألاحظت شيئاً؟

ألاحظت أن العلاقة بيني وبينك ..

في زمن الحرب ..

تأخذ شكلاً جديداً

وتدخلُ طوراً جديداً

وأنتِ أصبحتِ أجملَ من أيِّ يومٍ مضى ..

وأني أحبُّك أكثرَ من أيِّ يومٍ مضى ..

ألاحظتِ؟

كيف اخترقنا جدارَ الزمنِ

وصارت مساحة عينيك
مثل مساحة هذا الوطن ..

2

ألاحظت ؟

هذا التحول في لون عينيك
حين استمعنا معاً .. لبيان العبور
ألاحظت ؟

كيف احتضنتك مثل المجانين ..

كيف عصرتك مثل المجانين ..

كيف رفعتك .. ثم رميتك ..

ثم رفعتك .. ثم رميتك ..

فاليوم عرس ..

وتشرينُ سيّدُ كلِّ الشّهورِ ..

ألاحظتِ ؟

كيفَ تجاوزتُ كلَّ ضفافي ؟

وكيفَ غمرتُكِ مثلَ مياهِ النهورِ

ألاحظتِ .. كيفَ اندفعتُ إليكِ ؟

كأني أراكِ لأولِّ مرّةٍ ..

ألاحظتِ كيفَ انسجمنا ..

وكيفَ لهثنا .. وكيفَ عرقنا ..

وكيفَ استحلنا رماداً .. وكيفَ بُعثنا ..

كأننا نمارسُ فعلَ الغرامِ ..

لأولِّ مرّةٍ ..

3

ألاحظتِ ؟

كيف تحررتُ من عقدة الذنب ..

كيف أعادتُ

لي الحربُ كلَّ ملامح وجهي القديمةُ

أحبُّكِ في زمن النصر ..

إن الهوى لا يعيشُ طويلاً

بظلِّ الهزيمة

4

هل الحربُ تُنقذنا بعدَ طول الضياع ؟

وتُضرمُ أشواقنا الغافية

فتجعلني بدويَّ الطِّباعِ

وتجعلك امرأةً ثانيةً

5

ألاحظتِ؟

كيف اكتشفنا طفولتنا

بعد ستِّ سنين

وكيف رجعنا أخيراً ..

لمملكةِ العشق والعاشقين

أحسستِ مثلي؟

بأنَّ رجالَ المظلاتِ كانوا ..

يحطونَ مثلَ الحمامِ على راحتينا

وأنَّ جنودَ المغاويرِ كانوا ..

يمرون فوق عروق يدينا ..

ألاحظتِ ؟

كيف نثرنا عليهم

عقود البنفسج والياسمين

وكيف ركضنا إليهم ..

وكيف انحنينا ..

أمام بنادقهم خاشعين

ألاحظتِ كيف ضحكنا ..

وكيف بكينا ..

وكيف عبرنا الجسورَ مع العابرين

6

تركتُ عصورَ انحطاطي ورائي ..

تركتُ عَصُورَ الْجَفَافِ

وجئتُ على فرسِ الرِّيحِ والكبرياءِ

لكي أشتري لكِ ثوبَ الزَّفَافِ ..

7

تصيرينَ في زمنِ الحربِ ..

مصقولةً كالمرايا

ومسحوبةً كالزرافةَ

وبينَ يدينا تذوبُ الحدودُ

وتُلغى المسافةُ

8

قرأتُ خرائطَ جسمكِ ..
في كُتبي المدرسيّةِ ..
ولا زلتُ أحفظُ أسماءَ كلِّ النهورِ ،
وأشكالَ كلِّ الصخورِ ،
وعاداتِ كلِّ البوادي
ولا زلتُ أحفظُ أعمارَ كلِّ الجيادِ
فكيفَ أفرِّقُ بينَ حرارةِ جسمكِ أنتِ ..
وبينَ حرارةِ أرضِ بلادِي ؟

9

وجدنا أخيراً .. حدودَ فَمِينَا
عثرنا على لغةٍ للحوارِ

وكان حزيناً يجلسُ فوقَ يدِينا

ويحبسُنا في كهوفِ العُبارِ

وكنْتُ أحبُّكَ ..

لكنَّ ليلَ الهزيمةِ صادَرَ مِنِّي النهارُ

وكنْتُ أريدُ الوصولَ إليكِ ..

ولكنَّهُم أنزلوني .. قبيلَ رحيلِ القطارِ ..

وكنْتُ أفكّرُ فيكَ كثيراً ..

وأحلمُ فيكَ كثيراً ..

وكنْتُ أهرّبُ شعري إليكِ

برغمِ الحصارِ

ولكنَّهُم أعدموني مراراً

وأرخوا عليَّ السّتارَ

ولكن برغم تعدد موتي

بقيتُ أحبُّكِ .. يا زهرة الجنار

10

أحبُّكِ أنتِ ..

وأكتبُ حُبِّي على وجهِ كلِّ غمامة

وأعطي مكاتيبَ عشقي ..

لكلِّ يمامة

أحبُّكِ في زمن العنفِ ..

من قالَ إنِّي أريدُ السلامةَ ؟

أحبُّكِ .. يا امرأةً من بلادي

وأنوي ، على شفقتك ، الإقامة

11

ألاحظتِ ؟

كم تشبهين دمشقَ الجميلةُ

وكم تشبهين المآذنَ ..

والجامعَ الأمويَّ ..

ورقصَ السّماحِ ..

وخاتمَ أمي ..

وساحةَ مدرستي ..

وجنونَ الطفولةُ

ألاحظتِ كم كنتِ أنثى ؟

وكم كنتِ ممتلئاً بالرجولةُ

ألاحظتِ ؟

كيف تألق وجهك .. تحت الحرائق

وكيف دبابيس شعرك ..

صارت بنادق ..

ألاحظت .. كيف تغير تاريخ عينيك ..

في لحظات قليلة ..

فأصبحت سيفاً بشكل امرأة

وأصبحت شعباً بشكل امرأة

وأصبحت كل التراث ..

وكل القبيلة ..

12

ألاحظت ؟

كم كنت رائعة الحُسن ، ذاك المساء

وكيفَ جِلسَتِ أَمَامِي ..

كعاصمةِ الكبرياءِ ..

وكيفَ تَغَيَّرَ إِيقَاعُ صَوْتِكَ

حتى تَصَوَّرْتُ صَوْتِكَ ..

ينبوعَ ماءٍ ..

وزهرةِ دَفْلَى⁴¹ ، على شَعْرِ المجدليَّةِ

ألاحظتِ ؟

أنَّكَ صرْتَ دَمَشِقَ ..

بكلِّ بيارقِها⁴² الأمويَّةِ

⁴¹ الدَّفْلَى شجيرة لأزهار الزينة المنزلية. وتنمو الدَّفْلَى في بعض الأحيان حتى يصل ارتفاعها إلى أربعة أمتار ونصف المتر. وتحمل الشجيرة أوراقاً جلديةً رمحية الشكل ووروداً جميلة. والنوعان الأكثر شيوعاً من هذه الشجيرات لهما زهور مثمرة حمراء أو بيضاء. وموطن الدفلى هو الأجزاء الدافئة في آسيا وإقليم البحر الأبيض المتوسط. ويزرع البستانيون الدفلى في الهواء الطلق في الأجواء الدافئة، ويزرعونها في أصص وأحواض في الأقاليم المعتدلة. ولأن كل أجزاء هذا النبات سامة إذا أكلت، لذا يجب تحذير الأطفال من أكلها. وإذا وضعت شتلات النبات في زجاجات بها ماء فإنها تكون جذوراً خلال أسابيع قليلة. وينمي البستانيون الدفلى من الشتلات. وبعد أن تتكون جذور الشتلات يجب نقلها إلى تربة رطبة غنية حيث تنمو جيداً.

⁴² جمع بيريقي وهي كلمة فارسية معناها الراية أو العلم الكبير.

ومِصرَ .. بكلِّ مساجِدِها الفاطميَّة

وصرتِ حصوناً ..

وأكياسَ رملٍ ..

ورتلًا طويلًا من الشِّهداءِ

ألاحظتِ ..

أنَّكِ صرتِ خلاصةَ كلِّ النساءِ

وصرتِ الكتابةَ والأبجديَّةَ ..

13

أحبُّكِ ..

عندَ اشتدادِ العواصفِ

لا تحتَ ضوءِ الشموعِ

ولا تحت ضوء القمر ..

وأعلن للناس أنني أعارض ضوء القمر

وأكره ضوء القمر ..

أحبك ..

حين تكون الشوارع مغسولة بدموع المطر

وحين تصير بلون النحاس

ثياب الشجر

أحبك ..

مزروعة في عيون الصغار

ومسكونة بهموم البشر

ومولودة في مياه البحار

وظالعة من ضمير الحجر ..

أحبك ..

حينَ يسافرُ شَعْرَكَ في الرّيحِ ..

دونَ جوازِ سفرٍ

وحينَ يغمغمُ نهدكِ ..

كالذئبِ .. في لحظاتِ الخطرِ

فهل تعرفينَ عشيقاً ؟

أحبكِ يوماً بهذا القدرِ

14

أحبكِ أيتها الغالية

أحبكِ أيتها الغالية

أحبكِ مرفوعة الرأسِ مثلَ قبابِ دمشقِ ..

ومثلَ مآذنِ مصرَ ...

فهل تسمحينَ بتقبيلِ جبهتكِ العالِيهْ ؟

وهل تسمحينَ بنسيانِ وجهي القديمِ ..

وشعري القديمِ ..

ونسيانِ أخطائيَ الماضيهْ

وهل تسمحينَ بتغييرِ ثوبكِ ؟

إنَّ حزيْرانَ ماتَ ..

وإني بشوقٍ لرؤيَهْ أثوابكِ الزَاهِيهْ ..

أحبُّكِ أكثرَ ممَّا ببالِكِ ..

أكثرَ ممَّا ببالِ البحارِ .. وبالِ المراكبِ

أحبُّكِ ..

تحتَ العُبارِ ، وتحتَ الدمارِ ، وتحتَ الخرائبِ

أحبُّكِ .. أكثرَ منِ أيِّ يومٍ مضى ..

لأنَّكِ أصبحتِ حُبِّي المحاربِ ..

حوار ثوري مع طه حسين⁴³

⁴³ قرب نهاية حقبة سبعينيات القرن الماضي صدر قرار تم بموجبه منع الأغنيات التي تنطلق علي حناجر المطربين والمطربات عبر أثير الإذاعة المصرية التي صاغ أشعارها الشاعر الكبير نزار قباني (21 مارس 1923 - 30 أبريل 1998) والذي أثري ديوان الشعر العربي بروائع من قصائده أدخل فيها من قاموسه كلمات رقيقة تماوجت مع الحالة الوجدانية للإنسان العربي في أفراحه وأتراحه ، كان نزار قباني يمثل واجهة للهم العربي الذي عاشه المواطن العربي من المشرق حتي المغرب وسط غلالة من السحب السوداء - خاصة بعد حرب يونيو 1967- وكتب نزار قباني أروع قصائده السرية والتي كانت تتداول بين أيدي الناس سراً ، ويخطها الناس بفرحة مضمخة بحزن شديد كانت تلك هي قصيدة " هوامش علي دفتر النكسة " ، وعاش نزار يحمل بين جوانحه هموم أمته كما أي عاشق لا يتوانى عن هذا الحب فيعبر عنه بطريقته الخاصة..

ومنعت الأغنيات ، ولكن الشعب العربي ظل يرددتها وبصوت عالٍ فقد كانت هناك ثمة عروة وثقي تشبه الحبل السري تربط بين هذا الجمهور العاشق المحب وبين الشاعر الجامح الذي أخلص لأمته وتناول فضايها من خلال شعره ونثره ، كان نزار قباني يعشق الحرية ، ويرى في الكلمة طائرا يلامس بجناحيه أجواز الفضاء ، وينتفش هذا الطائر مرفرفاً فوق الصخب والترهات ، كما كان نزار قباني عاشقاً حتي الثمالة لمصر ومتيماً بها وبأهلها ، فهي كما يقول الشاعر:

وكم ذا يكابد عاشق ويلقي في حب مصر كثيرة العشاق.

ولعل البعض ممن عايشوا فترة السبعينيات يعرفون سبب منع الأغنيات التي أخذت عن أشعار نزار قباني وهي كثيرة تغنت بها أم كلثوم وعبد الحليم ونجاة وغيرهم..

وحدث أن دعت مصر إلي الاحتفال بالذكرى الثالثة لرحيل عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين (ت 1973) ، كان ذلك هو العام 1976م ، وكانت مصر قد خاضت حرب أكتوبر 1973.

وبدأت الاحتفالية الكبيرة في ذكرى العميد ، ألقى الكلمات والقصائد ، حتي جاء الدور علي نزار ليلقي قصيدته التي تناول فيها مدي التردّي الذي أصاب الفكر العربي والحياة الأدبية وخاطب نزار طه حسين قائلاً:

أيها الأزهري ، يا سارق النار ويا كاسراً حدود الثواني
عد إلينا فإن عصرك عصر ذهبي ونحن عصر ثانٍ..

ولم يلبث وقت طويل حتي بدأت نذر التوتر تجتاح المكان ونزار قباني يهدر بصوته القوي واصفاً حالة الفكر بأنه قد سقط في بحر من النفاق السياسي وبأن الأديب أضحي وكأنه بهلوان أو أحد هؤلاء الذين يزينون الأمور مثل مضحك الملك ، وغضب السادات..

ضوءُ عَيْنِكَ أَمْ هُمْ نَجْمَتَانِ؟ كُلُّهُمْ لَا يَرَى .. وَأَنْتَ تَرَانِي

لَسْتُ أَدْرِي مِنْ أَيْنَ أبدأُ بَوَحِي

غضب السادات وظن أن نزار قباني يتناوله وخاصة أن البعض ممن كانوا وقتها يظنون أن كل الكتاب والشعراء سينبري ليمجد السادات ويشد من أزره بعد الانتصار المجيد الذي حققه جيش مصر تحت قيادة السادات..

كما غضب بعض حملة الأقلام وشنت الصحافة حملة شعواء علي نزار وكيلت في حقه المقالات التي تناولته وسن أصحابها الأقلام للنيل منه وعيروه بأن شعره لا يستحق كل ما يثار جوله من ضجة كما أنه يحض علي الفسوق والمجون .. (تماما كما يفعل رؤساء تحرير وصحفيو الجمهورية والأهرام وروز اليوسف والإذاعة والتلفزيون اليوم ضد السيد حسن نصر الله وضد الجزائر وحزب الله وحماس وقطر وسوريا).

وما لبث نزار إلا أن ختم قصيدته بقوله:

أيها الغاضب الكبير .. تأمل كيف صار الكُتَّابُ كالخرفان
قنعوا بالحياة شمساً ومرعي واطمأنوا للماء والغدران
إن أقسى الأشياء للنفس قلم في يد الجبان الجبان

اشتعل أوار الغضب في نفس الكثير من الحضور ، وانتهى الحفل وعلي أثره طار نزار بعد ساعات قليلة عبر طائرة أقلته خارج مصر ، ويردد بعض المقربين من نزار وقتها أن الكاتب الكبير يوسف إدريس هو الذي نصح صاحبه بالمغادرة علي أول طائرة..

ولم يجد كتاب النفاق السياسي المصريون سبيلا للانتقام من الشاعر الكبير سوى السعي لمنع كلمات نزار المغناة عبر حناجر كبار المطربين والمطربات..

شجرُ الدمع شاخَ في أجفاني

كُتِبَ العشقُ ، يا حبيبي ، علينا

فهو أبكاكَ مثلما أبكاني

عُمرُ جرحي .. مليونَ عامٍ و عامٍ

هل ترى الجرحَ من خلالِ الدُخانِ؟

نُقشَ الحبُّ في دفاترِ قلبي

كُلَّ أسمائهِ .. وما سَمَّاني

قالَ : لا بُدَّ أن تموتَ شهيداً

مِثْلَ كُلِّ الْعَشَّاقِ ، قَلْتُ عَسَانِي

وَطَوَيْتُ الدُّجَى أَسَائِلُ نَفْسِي

أَبْسَيْفٍ .. أَمْ وَرْدَةٍ قَدْ رَمَانِي ؟

كَيْفَ يَأْتِي الْهَوَى ، وَمَنْ أَيْنَ يَأْتِي ؟

يَعْرِفُ الْحُبُّ دَائِمًا عَنَوَانِي

صَدَقَ الْمَوْعِدُ الْجَمِيلُ .. أَحْيِرًا

يَا حَبِيبِي ، وَيَا حَبِيبَ الْبَيَانِ

مَا عَلَيْنَا إِذَا جَلَسْنَا بِرُكْنِ

وَفَتَحْنَا حَقَائِبَ الْأَحْزَانِ

وقرأنا أبا العلاء قليلاً
وقرأنا (رسالة العُقران)

أنا في حضرة العُصور جميعاً
فزمانُ الأديبِ .. كلُّ الزَّمانِ ..

*

ضوءُ عَيْنَيْكَ .. أم حوارُ المَرايا
أم هُما طَائِرانِ يحترقان ؟

هل عيون الأديب نهورٌ لهيبِ

أم عيون الأديب نهرٌ أغاني؟

آه يا سيدي الذي جعل الليلَ

نهاراً .. والأرضَ كالمهرجان ..

إرم نظارتَيْكَ كي أتملى

كيف تبكي شواطئَ المرجان

إرم نظارتَيْكَ ... ما أنتَ أعمى

إنّما نحنُ جوقَةُ العميان

*

أيها الفارسُ الذي اقتحمَ الشمسَ
وألقى رداءه الأرجواني

فعلَى الفجرِ موجةً من سهيلِ
وعلى النجمِ حافرٌ لحصانٍ ..

أزهرَ البرقُ في أناملكَ الخمسِ
وطارتَ للغربِ عُصفورتانِ

إتكَ النهرُ .. كم سقانا كؤوساً
وكسانا بالوردِ والأقحوانِ

لم يزل ما كتبتهُ يسكرُ الكونَ
ويجري كالشهدٍ تحتَ لساني

في كتابِ (الأيام) نوعٌ من الرّسمِ
وفيه التفكيرُ بالألوان ..

إنّ تلكَ الأوراقَ حقلٌ من القمحِ
فمن أينَ تبدأُ الشّفتان؟

وحدكُ المُبصرُ الذي كَشَفَ النَّفسَ
وأسرى في عُتمةِ الوجدانِ

ليسَ صعباً لقائنا بِإِلَهٍ ..
بَلْ لِقَاءُ الْإِنْسَانِ .. بِالْإِنْسَانِ ..

*

أَيُّهَا الْأَزْهَرِيُّ .. يَا سَارِقَ النَّارِ
وَيَا كَاسِرًا حُدُودَ الثَّوَانِي

عُدْ إِلَيْنَا .. فَإِنَّ عَصْرَكَ عَصْرٌ
ذَهَبِيٌّ .. وَنَحْنُ عَصْرٌ ثَانِيٌّ

سَقَطَ الْفِكْرُ فِي النِّفَاقِ السِّيَاسِيِّ

وَصَارَ الْأَدِيبُ كَالْبَهْلَوَانَ

يَتَعَاطَى التَّبْخِيرَ .. يَحْتَرِفُ الرَّقْصَ

وَيَدْعُو بِالنُّصْرِ لِلسُّلْطَانِ ..

عُدَّ إِلَيْنَا .. فَإِنَّ مَا يُكْتَبُ الْيَوْمَ

صَغِيرُ الرَّوْيِ .. صَغِيرُ الْمَعَانِي

ذُبِحَ الشُّعْرُ .. وَالْقَصِيدَةُ صَارَتْ

قَيْنَةً تُشْتَرَى كَكُلِّ الْقِيَانِ

جَرَدَوْهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .. وَأَدْمَوْا

قَدَمَيْهَا .. بِاللِّفِّ وَالذُّورَانِ

لَا تَسَلْ عَنْ رَوَائِعِ الْمُتَتَبِّي
وَالشَّرِيفِ الرَّضِيِّ ، أَوْ حَسَّانِ ..

مَا هُوَ الشَّعْرُ ؟ لَنْ تُلَاقِي مُجِيباً
هُوَ بَيْنَ الْجَنُونِ وَالْهَذْيَانِ

*

عُدْ إِلَيْنَا ، يَا سَيِّدِي ، عُدْ إِلَيْنَا
وَانتَشِلْنَا مِنْ قَبْضَةِ الطَّوْفَانِ

أنتَ أَرْضَعْتَنَا حَلِيبَ التَّحَدِّي
فَطَحْنَا النُّجُومَ بِالأَسْنَانِ ..

وَأَقْتَلَعْنَا جُلُودَنَا بِيَدَيْنَا
وَفَكَّكْنَا حِجَارَةَ الأَكْوَانِ

وَرَفَضْنَا كُلَّ السَّلَاطِينِ فِي الأَرْضِ
رَفَضْنَا عِبَادَةَ الأَوْثَانِ

أَيُّهَا الغَاضِبُ الكَبِيرُ .. تَأَمَّلْ
كَيْفَ صَارَ الكُتَّابُ كالأَخْرِفَانِ

قَنَعُوا بِالأَحْيَاءِ شَمْسًا .. وَمَرَعَى

و اطمأنوا للماءِ و العُذْرانِ

إنَّ أقسىَ الأشياءِ للنفسِ ظلماً ..

قَلَمٌ في يَدِ الجَبانِ الجَبانِ ..

يا أميرَ الحُرُوفِ .. ها هيَ مصرٌ

وردةٌ تَسْتَحِمُّ في شِرياني

إنني في حُمى الحُسَيْنِ، وفي الليلِ

بقايا من سورةِ الرَّحْمَنِ ..

تَسْتَبِدُّ الأَحْزانُ بي ... فَأنادي

آه يا مصرُ من بني قحطان

تاجروا فيك.. ساوموك.. استباحوك

وباعوك كاذباتِ الأماني

حبسوا الماءَ عن شفاهِ اليتامى

وأراقوه في شفاهِ العواني

تركوا السيفَ والحصانَ حزينين

وباعوا التاريخَ للشيطان

يشترونَ القصورَ .. هل ثمَّ شارٍ

لقبورِ الأبطالِ في الجولانِ ؟

يشترون النساء .. هل ثمَّ شارِ
لدموع الأطفال في بيسان ؟

يشترون الزوجات باللحم والعظم
أيشرى الجمال بالميزان ؟

يشترون الدنيا .. وأهل بلادي
ينكشون الثراب كالديان ...

آه يا مصر .. كم تُعائِن منهم
والكبير الكبير .. دوماً يُعاني

لِمَنْ الْأَحْمَرُ الْمُرَاقُ بِسَيَاءَ

يُحَاكِي شَقَائِقَ النُّعْمَانِ ؟

أَكَلْتُ مِصْرَ كِبْدَهَا .. وَسِوَاهَا

رَافِلُ بِالْحَرِيرِ وَالطَّيْسَانَ ..

يَا هَوَانَ الْهَوَانَ .. هَلْ أَصْبَحَ النِّفْطُ

لَدَيْنَا .. أَغْلَى مِنَ الْإِنْسَانِ ؟

أَيُّهَا الْغَارِقُونَ فِي نِعَمِ اللَّهِ ..

وَنُعْمَى الْمُرَبَّرَاتِ الْحِسَانَ ...

قَدْ رَدَدْنَا جَافِلَ الرُّومِ عَنْكُمْ

وَرَدَدْنَا كِسْرَى أُنُوشِرُونَ

وَحَمَيْنَا مُحَمَّدًا .. وَعَلِيًّا

وَحَقَّقْنَا كَرَامَةَ الْقُرْآنِ ..

فَادْفَعُوا جَزِيَةَ السَّيِّوفِ عَلَيْكُمْ

لَا تَعِشُوا السَّيِّوفُ بِالْإِحْسَانِ ..

*

سَامِحِينِي يَا مِصْرُ إِنِّ جَمَحَ الشُّعْرُ

فَطْعَمُ الْحَرِيقِ تَحْتَ لِسَانِي

سَامِحِينِي .. فَأَنْتِ أُمُّ الْمَرْوَعَاتِ

وَأُمُّ السَّمَّاحِ وَالْعُفْرَانِ ..

سَامِحِينِي .. إِذَا احْتَرَقْتُ وَأَحْرَقْتُ

فَلَيْسَ الْحَيَادُ فِي إِمْكَانِي

مِصْرُ .. يَا مِصْرُ .. إِنَّ عِشْقِي خَطِيرٌ

فَاغْفِرِي لِي إِذَا أَضَعْتُ اتِّزَانِي ...

مرسوم بإقالة خالد بن الوليد

سرقوا منا الزمان العربي

سرقوا فاطمة الزهراء من بيت النبي

يا صلاح الدين باعوا النسخة الأولى من القرآن

باعوا الحزن في عينيّ عليّ

يا صلاح الدين باعوك

وباعونا جميعا في المزاد العلني

سرقوا منا الطموح العربي

عزلوا خالد في أعقاب فتح الشام

سموه سفيرا في جنيف

يلبس القبعة السوداء

يستمتع بالسيجار والكافيار

يرغي بالفرنسية

يمشي بين شقراوات أوربا كديك ورقي

أتراهم دجنوا هذا الأمير القرشي

هكذا تُخصى البطولات لدينا يا بني

سرقوا من طارق معطفه الأندلسي

سرقوا منه النياشين أقالوه من الجيش

أحالوه الى محكمة الأمن أدانوه بجُرم النصر

هل جاء زمان

صار فيه النصر محظوراً علينا يا بني

ثم هل جاء زمان

يقف السيف به متهماً

عند أبواب القضاء العسكري

ثم هل جاء زمان

فيه نستقبل إسرائيل بالورد

وآلاف الحمائم و النشيد الوطني

لم أعد أفهم شيئاً يا بني

لم أعد أفهم شيئاً يا بني

لم أعد أفهم شيئاً يا بني

رهنوا الشمس لدى كل المرابين

وباعوا بالملايم القمر

باعوا سيف عمر

شنقوا التاريخ من رجليه

باعوا الخيل و الكوفية البيضاء

باعوا أنجم الليل وأوراق الشجر

سرقوا الكحل من العين

وباعوا في عيون البدويات الحور

أجهضونا قبل أن نحبل

أعطونا حبوباً تمنع التاريخ أن ينجب أولاداً

وأعطونا لقاحاً يمنع الشام أن تصبح بغداداً

وأعطونا حبوباً تمنع الجرح الفلسطيني

أن يصبح بستان نخيل

وماريغوانا لقتل الخيل أو قتل الصهيل

وسقونا من شراب يجعل الإنسان من غير موافق

ثم أعطونا مفاتيح الولايات

و سمونا ملوكاً للطوائف

يا صلاح الدين

هل تسمع تعليق الإذاعات

وهل تصغي إلى هذا البغاء العلني

أكلوا الطعم وبالوا فوق وجه العنفوان العربي

ما الذي يجري على المسرح؟

مَن يجذب خيطان الستار المخملي؟

مَن هو الكاتب؟

لا ندري مَن هو المخرج!

لا ندري ولا الجمهور يدري يا بني!

إنهم خلف الكواليس

وهم يغتصبون امرأة تدعى الوطن

يبيعون الخلاخيل برجليها

يبيعون البساتين بعينيها

يبيعون العصافير

التي تسكن في نافذة التهدين منذ بدء الزمن

ويبيعون بكأسين من الويسكي أملاك الوطن

سرقوا منا الزمان العربي

أطفئوا الجمر الذي يحرق صدر البدوي

علقوا لافتة البيع على كل الجبال

سلموا الحنطة و الزيتون

و الليل و عطر البرتقال

فهل جاء زمان

صار فيه كل من يحمل صندوق سلاح

كالذي يحمل صندوق حشيش يا بني

ثم هل جاء زمان

صار فيه الحرف ضد الشفتين يا بني

يا صلاح الدين

هذا زمن الردة و المد الشعوبي القوي

أحرقوا بيت أبي بكر

وألقوا القبض في الليل على آل النبي

فشريفات قريش

صرن يغسلن صحون الأجنبي

يا صلاح الدين

ماذا تنفع الكلمة في هذا الزمان الباطني

ولماذا نكتب الشعر وقد نسي العرب الكلام العربي

مواويل دمشقية إلى قمر بغداد⁴⁴

أَيُقِظُّنِي بَلْقِيسٌ⁴⁵ فِي زُرْقَةِ الْفَجْرِ

وَعَنْتَ مِنْ الْعِرَاقِ مَقَامَا

أَرْسَلْتَ شَعْرَهَا كَنْهَرَ (دِيَالِي)⁴⁶

أَرَأَيْتُمْ شَعْرًا يَقُولُ كَلَامَا

كَانَ فِي صَوْتِهَا الرِّصَافَةُ وَالكَرْحُ⁴⁷

⁴⁴ أُلْقِيَتْ فِي الْمَهْرَجَانِ الَّذِي أَقَامَهُ الْإِتِّحَادُ الْعَامُ لِنِسَاءِ الْعِرَاقِ فِي بَغْدَادِ فِي 10/2/1979 تَحْتَ شِعَارِ (مِنْ أَجْلِ شَعْرِ يَتَرَجَّمُ طُمُوحَاتِ الْأُمَّةِ فِي وَحْدَتِهَا). وَبِمُنَاسَبَةِ الْعَمَلِ الْوَحْدَوِيِّ بَيْنَ سُورِيَا وَالْعِرَاقِ.

⁴⁵ بَلْقِيسُ الرَّائِي : زَوْجَةُ الشَّاعِرِ الثَّانِيَةِ وَهِيَ عِرَاقِيَّةٌ تَزَوَّجَتْ لِعَشْرِ سِنُونٍ وَأَنْجَبَ لَهُ زَيْنَبٌ وَعَمْرٌ وَاسْتَشْهَدَتْ فِي انفِجَارِ السَّفَارَةِ الْعِرَاقِيَّةِ فِي بَيْرُوتِ فِي دَيْسَمْبَرِ 1981.

⁴⁶ نَهْرُ دِيَالِي الَّذِي يُطْلَقُ عَلَيْهِ الْأَكْرَادُ تَسْمِيَةَ نَهْرِ سَيْرَوَانَ يُعْتَبَرُ مِنْ أَحَدِ رَوَافِدِ نَهْرِ دَجْلَةَ. يَمُرُّ النُّهْرُ عِبْرَ إِبْرَانَ وَالْعِرَاقِ وَيَبْلُغُ طَوْلَهُ الْإِجْمَالِي 445 كَم. يَنْبَعُ النُّهْرُ مِنْ جِبَالِ زَاكْرُوسَ وَيَصُبُّ فِي دَجْلَةَ جَنُوبِي الْعَاصِمَةِ الْعِرَاقِيَّةِ بَغْدَادَ.

يُطْلَقُ اسْمُ دِيَالِي أَيْضًا عَلَى إِحْدَى الْمَحَافِظَاتِ الْعِرَاقِيَّةِ.

⁴⁷ الْكَرْحُ هُوَ أَحَدُ قَسَمِي مَدِينَةِ بَغْدَادِ عَلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ لِنَهْرِ دَجْلَةَ. وَيُوجَدُ فِيهِ الْعَدِيدُ مِنَ الْمَنَاطِقِ الْحَيَوِيَّةِ لِلْعَاصِمَةِ الْعِرَاقِيَّةِ وَمِنْهَا الْمَنْصُورُ وَالكَاطِمِيَّةُ وَالصَّالِحِيَّةُ وَشَارِعُ حَيْفَا وَالْعَامْرِيَّةُ. الْقِسْمُ الثَّانِي هُوَ الرِّصَافَةُ عَلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ لِلنُّهْرِ وَفِي كِلَا الْجَزَائِنِ نَجْدُ الْمَبَانِي الْحَدِيثَةِ وَعَلَى جَانِبِ آخِرِ الشُّوَارِعِ الضِّيْقَةِ وَالْمَحَلَّاتِ الْقَدِيمَةِ. مَا يَشْبَهُ الْقَاهِرَةَ عَلَى ضَفَةِ النَّيْلِ الشَّرْقِيَّةِ وَالْجِيزَةَ عَلَى ضَفَةِ النَّيْلِ الْغَرْبِيَّةِ عِنْدَنَا فِي مِصْرَ.

وشمسٌ وحِنطةٌ وخُزَامِي
حملتُ لي جرائدَ اليوم والشاي
وفاضت أمومةً وابتساما
ما لها زوجتي تطارحني الحب
وكان الهوى علينا حراما
لك عندي بشارةٌ يا حبيبي
فعل البعث ما فعلنا تماما
ذكروني - قالت - بليلة عرسي
ورفيفِ المنى ، وظرفِ الندامي
قبل عصر التوحيد نحن اتحدنا
وجعلنا (راوا) دمشقَ الشاما
أخذوا الحُب والصبايةَ عنا

ونسوا أننا اخترعنا الغراما
إن يكونوا تعلموا لغة العشق
فحن المتيمون القدامى
إلتزامي أنا بوجه حبيبي
أوليس الحبُّ الكبير التزاما ؟
تهمة الحب لا تزال ورائي
لا رأني ربي أردُّ اتهاما
..وتزوجت زوجتي من جديد
وضحكنا وقبل كنا يتاما
يا شراعاً وراء دجلة يجري
إقترب إنني أموت هياما
لي على الشط نخلة تيمثني
بهواها..فاقرأ عليها السلامًا

كيف أنسى في (الأعظمية)⁴⁸ ظبياً

أشعل النار في دمائي .. وناماً

تلك بغداد.. بعد عشر سنين

تلبس الماء والنجوم حزاماً

دجلة عاشق يزور دمشقاً

وكريم أتى يزور كراماً..

إن كف المأمون في كف مروان

وماء الفرات صار مُداماً

بابل ضوأت.... وقبر عليّ

ترك الأرض واستحال غماماً

⁴⁸ الأعظمية مركز قضاء ومنطقة (حي) تقع شمال مركز مدينة بغداد على الجانب الشرقي لنهر دجلة. صورة جامع الإمام الأعظم في الأعظمية في عهد الدولة العثمانية عام 1890 تقريباً سميت بالأعظمية على اسم الإمام الأعظم، أبو حنيفة النعمان، ومنطقة الأعظمية تضم جامع الإمام الأعظم والمقبرة الملكية وكلية الإمام الأعظم وساعة الأعظمية. إضافة إلى معالم قديمة وحديثة متعددة منها جمعية منتدى الإمام أبي حنيفة التي تأسست عام 1968م. وكذلك يوجد فيها الكثير من المحال القديمة والعريقة والعديد من المدارس القديمة والحديثة النموذجية الابتدائية والثانوية. وأيضاً عدد من الكليات والمعاهد والجامعة الإسلامية. وهي المنطقة التي كانت تعيش فيها بلقيس وعائلتها.

انتظرنا هذا الزفاف طويلاً

وشربنا دموعنا أعواماً

لا يريدُ المحبوبُ يأتي إلينا

لا.. ولا النوم قابلُ أن يناما

حُلمٌ مُدهشٌ .. أخافُ عليهِ

فَلَكُمْ كَسْرُوا لَنَا أَحلاماً

بَرْدَى⁴⁹ يا أبا نُهُورِ جميعاً

يا حصاناً يسابقُ الأيامِ

⁴⁹ نهر بردى نهر في دمشق العاصمة السورية ينبع من بحيرة نبع بردى في جنوب الزبداني على سلسلة الجبال السورية شمال غرب دمشق ويصب في بحيرة العتبية جنوب شرق مدينة دمشق، مارا بمدينة دمشق ودمشق القديمة والغوطة. ينبع نهر بردى من الجنوب الغربي لوهدة الزبداني، من نبع فوكلوزي غزير عند أقدام جبل الشير منصور، على ارتفاع يزيد عن 1100م. يسير بعدها متعرجاً بضعة كيلو مترات حتى مزرعة التكية، حيث يدخل في وادي عميق شديد الانحدار شهير باسم وادي بردى. ويتابع سيره حتى يدخل مدينة دمشق عند الربوة، بعد أن تكون تفرعت منه ستة فروع. عن يساره (يزيد وثورا) وعن يمينه (المزاوي، الديراني، قنوات، بانياس) مرتبة من المستوى الأعلى إلى المستوى الأدنى في الجريان، حيث تعبر هذه الأقنية خانق الربوة على مناسيب مختلفة، ثم تتباعد على شكل مروحة تغطي جميع أحياء مدينة دمشق، وبعد خروجها من دمشق تنتشر في جميع مناطق غوطة دمشق مشكلة بهذه الشريانات شبكة ري الغوطة. وفي مجرى النهر عند وادي بردى، يتلقى النهر عدة ينابيع أهمها نبع عين الفيحة الذي يضاعف في غزارة وحجم مياه بردى. ويخترق المجرى الأصلي لبردى، دمشق والغوطة في اتجاه الشرق والشمال الشرقي، حتى يصل إلى سبخة العتبية، بعد أن يكون النهر قد قطع بين منبعته ومصبه مسافة 71كم.

كُنْ بتاريخنا الحزين نبياً
يتلقى من ربه الإلهاما
الملايين بايعتك أميراً
عربياً .. فصل فيها إماماً
وتزوج نخل العراق.. وأنجب
خالداً ثانياً.. وأنجب هشاماً..
يا عيون المهابادية الشام
أطلي .. هذا زمان الخزامى
حبسوكُن في الخيام طويلاً
فغزلنا من الدموع خياما
واستردوا (الجسر المعلق) منّا
واستردوا الغروب والأنساما

شَهِدَ اللَّهُ مَا حَنَّتْنَا بَوَعْدِ
أَوْ خَقَرْنَا لِمَنْ نَحِبُ الدِّمَامَا
غَيْرَ أَنْ الرِّيَّاحَ هَبَتْ عَلَيْنَا
وَرَمَّتْنَا عَلَى الخَلِيجِ حُطَامَا
عَلَّمُونَا أَنْ لَا نُحِبُ . فَخَقَرْنَا
لَوْ فَعَلْنَا أَنْ نَسْتَحِيلَ رُخَامَا
وَاعْتَدَرْنَا عَنْ أَيِّ حُبِّ بَدِيلِ
وَرَفَضْنَا التَّخْوِيفَ وَالْإِرْغَامَا
كُلُّ هَذَا الخِصَامِ كَانَ افْتِعَالًا
حِينَ يَقْوَى الهَوَى يَصِيرُ خِصَامَا
يَكْبُرُ البَعَثُ حِينَ يَسْمُو عَلَى النَفْسِ
وَكَانَ الْإِنْسَانُ كِي يَتَسَامَى.....

يا شذا (الرازقي)⁵⁰ في ليل بغداد

عشقنا... فمن يرد السهاما؟؟

يا سؤال الورد الدمشقيّ عني

يا حقولاً ركضت فيها غلاما

سنواتٌ عشرٌ نسيت حروفي

ودواتي ، كما نسيت الكلاما...

ما كتبنا... وكيف يكتب شعراً

من يُعاني تمزقاً وانفصاما ؟

⁵⁰ الفل أو الياسمين العربي ، وباصطلاح العراقيين (الرازقي)..من الزهور الجميلة عبقة الرائحة.. يحمل الفل بين ثناياه معاني الجمال والحب والأنس. ففيه الهدوء والسحر والتأمل والسكون مع تفجر الحياة والتطلع إلى الأمام عبر التداخل والانسجام مع الإنسان. وفيه أسرار ورموز يتملاها المحبين، وتأخذهم رائحته إلى ينابيع الإلهام والأحلام الملأى بالجمال والبسمة. وفيه امتداد الأشياء التي تتألق لدى رؤيته وتأجج العطاء الذي ولا ينتهي. ألوانها كألوان الياسمين.. يعطرها الشذي الفواح وخاصة في المساءات العراقية الصافية، وبلونها الابيض الناصع، تلهم زهرة الرازقي، المحبين نشوة امل بديمومة الحب والعلاقات النقية الصافية، غير ان مشكلة الرازقي هي حاجتها الى الحنان والمداراة الفائقة، فهي تسود، ثم تذبل وتموت سريعا اذا لم تجد من يرعاه.

سامح الله مَنْ على غير قصدٍ

سرقوا من طفولتي أعواماً

لي حبيبان ، يملآن حياتي

أتعباني تنافراً وانسجاماً

لم نفرق ما بين بعثٍ وبعثٍ

كيف يرضى لونُ السماء انقساماً؟

وطنٌ واحدٌ رسمناه قمحاً

ونخيلاً ، وأنجماً ، ويماماً

نينوى.. البُوكمال⁵¹.. طرطوس.. حمص²⁸

⁵¹ البوكمال : مدينة سورية تقع شرق البلاد تابعة لمحافظة دير الزور على ضفاف نهر الفرات وهي منطقة حدودية يمر عبرها نهر الفرات ، عدد سكانها 200,000 نسمة. تأسست مدينة البوكمال عام 1864 م بعد أن كانت قرية صغيرة تسمى النحامة وتقع في منطقة سهلية على الضفة اليمنى لنهر الفرات في الجهة الشرقية من سوريا وترتفع عن سطح البحر بمقدار 165 متر وعلى خط عرض 532 شمال خط الاستواء ومناخها شبه صحراوي ومعدل أمطارها

بابل^{٢٨} ، كربلاء^{٢٩} ، رُدي السلاما...

وطن^{٢٨} واحد^{٢٩} .. ولا كان شعري

لو يُغني قبيلة^{٢٨} أو نظاماً

هل أتتك^{٢٨} الأخبار^{٢٩} يا مُتنبّي

أنّ كافور^{٢٨} فكك^{٢٩} الأهراما؟

سقطت مصر^{٢٨} في يدي قروي^{٢٩}

لم يجد ما يبيع^{٢٨} إلا (التراما)

مسرحي الطموح^{٢٨} ، يلبس^{٢٩} وجهاً

للكوميديا^{٢٨} وثانياً للدراما

هو فاروق... شهوة^{٢٨} ، وغروراً

السنوي 150 مم ومساحتها 2000 هكتار وعدد سكانها 40 ألف نسمة. ويصل عدد سكان مدينة البوكمال وضواحيها إلى ما يقرب 280 ألف نسمة.

والخديوي...تسلُّطا وانتقاما

وعد الناس بالرحيق وبالشَّهد

ولكن سقاہم الأوهاما

ساق من فكَرُوا لمحكمة الأمن

وألغى المدادَ والأقلاما....

وظَّف النيل مستشارا لديه

والملايين ، ساقها أغناما

أضرم النار في منازل عبس

وتميم ، و أنكر الأرحاما....

عصبيُّ ...يصيحُ في مصرَ كالديك

وفي القدس يمسح الأقدام...

جردوه من كل شيء..ولمّا

استهلكوه ... ألقوا إليه العظاما

مصرُ أمُّ الدنيا ... وجزء من القلب

وليس السادات إلا مناما.....

وليس السادات إلا كابوسا

وليس السادات إلا للأمريكان عبدا وخداما

غير الثائرون خارطة الأرض

وشدّوا من حولها الألغاما

واستفقتنا مع الذين استفاقوا

فأمنحونا حُرِّيَّة... وطعاماً

لم تُغَيِّر حضارة النفط ظفراً

من أظافرنا ولا إبهاما

قد حببنا بالنفط ... دون زواج

ووضعنا ، بعد المخاض سُخاماً..

زهر اللوز ، في حدائق شيراز⁵²

وأنهى المعتذبون الصياما...

ها هم الفرس قد أطاحوا بكسرى

بعد قهر ... وزلزلوا الأصناما

⁵² شيراز هي مدينة تقع في جنوب غرب إيران، وهي عاصمة محافظة فارس. تقع على ارتفاع 1486 متراً فوق مستوى سطح البحر، وسط جبال زاغروس

شيعة... سنة... جياع.. عطاش..

كسروا قيدهم ... وفكّوا اللجاما

شاه مصر ... يبكي على شاه إيران

فأسوان ... منزل لليتامى

والخميني ... يرفع الله سيفا

ويهني النبي والإسلاما

هكذا تصبح الديانة .. خلقا

مستمرا ، وثورة ، واقتحاما

موال دمشقي

لقد كتبتنا .. وأرسلنا المراسيلا
وقد بكينا .. وبلىنا المناديا
قل للذين بأرض الشام قد نزلوا
قتيلكم لم يزل بالعشق مقتولا
يا شام ، يا شامة الدنيا ، ووردتها
يا من بحسبك أوجعت الأزاميلا
وددت لو زر عوني فيك منذنة
أو علقوني على الأبواب قنديلا
يا بلدة السبعة الأنهار⁵³ .. يا بلدي
ويا قميصاً بزهر الخوخ مشغولا

⁵³الأنهار السبعة هي : بردى، يزيد، تورا، القنوت، بانياس، الديراني وعقربا.

ويا حصاناً تخلى عن أعنته
وراح يفتح معلوماً ومجهولاً
هواك يا بردى كالسيف يسكنني
وما ملكت لأمر الحب تبديلاً
أيام في دمر⁵⁴ كنا .. وكان فمي
على ضفائرها .. حقرأ .. وتنزيلاً
والنهر يسمعنا أحلى قصائده
والسرو يلبس بالساق الخلاخيل
يا من على ورق الصفصاف يكتبني
شعراً ... وينقشني في الأرض أيلولاً
يا من يعيد كراريسي .. ومدرستي
والقمح ، واللوز ، والزرق المواويل

⁵⁴ دمر هو اسم منطقة في دمشق.

يا شامُ إن كنتُ أخفي ما أكابدهُ

فأجملُ الحبَّ حُبًّا - بعدَ ما قيلَ

موال بغدادي

مُدِّي بساطي.. واملئي أكوابي
وانسي العتاب، فقد نسيتُ عتابي
عيناك يا بغداد، منذ طفولتي
شمسان نائمتان في أهداي
لا تُتكري وجهي .. فأنتِ حبيبتي
ووردُ مائدتي، وكأس شرابي
بغداد.. جنُّك كالسفينه مُتعباً
أخفي جراحاتي وراء ثيابي
ورميتُ رأسي فوق صدر أميرتي
وتلاقتِ الشفتان بعد غياب
أنا ذلك البحارُ أنفقَ عمره

في البحث عن حبّ.. وعن أحبابِ
بغدادٍ.. طرْتُ على حريرِ عباءةٍ
وعلى ضفائرِ زينبٍ وربابِ
وهبطتُ كالعصفورِ يقصدُ عُشَّهُ
والفجرُ عرسُ مآذنِ وقبابِ
حتى رأيتكِ قطعةً من جوهرِ
ترتاحُ بين النخلِ والأعنابِ
حيثُ التَّقْتُ، أرى ملامحَ موطني
وأشمُّ في هذا الترابِ ترابي
لم أَعْتَرِبْ أبداً.. فكلُّ سحابةٍ
زرقاءٌ.. فيها كبرياءُ سحابي
إنَّ النجومَ الساكناتِ هضابكمُ

ذاتُ النجومِ الساكناتِ هضابي
بغدادُ عشتُ الحُسنَ في ألوانهِ
لكنَّ حُسنك، لم يكن بحسابي
ماذا سأكتبُ عنك في كتب الهوى
فهواك لا يكفيه ألفُ كتابٍ
يغتالني شعري.. فكلُّ قصيدةٍ
تمتصني.. تمتصُ زيتَ شبابي
الخنجرُ الذهبيُّ.. يشربُ من دمي
وينامُ في لحمي، وفي أعصابي
بغدادُ.. يا هزج⁵⁵ الأساورِ والحلى

⁵⁵ الهَزَجُ: صوتٌ مُطربٌ؛ وقيل: صوتٌ فيه بَحْحٌ؛ وقيل: صوتٌ دقيقٌ مع ارتفاعٍ. وكلُّ كلامٍ مُتقاربٍ مُتداركٍ: هَزَجٌ، والجمعُ أهزاجٌ. والهَزَجُ: نوعٌ من أعرابِ الشعرِ، وهو مفاعيلن مفاعيلن، على هذا البناءِ كله أربعة أجزاء، سمي بذلك لتقاربِ أجزائه، وهو مُسَدَّسُ الأصلِ، حملاً على صاحبيه في الدائرة، وهما الرجزُ والرملُ إذ تركيبُ كل واحدٍ منهما من وتدٍ مجموعٍ وسببٍ خفيفين. وهَزَجٌ: تَعَنَّى. الهَزَجُ: من الأغانِي وفيه تَرْتَمٌ. التَّهَزُّجُ تردُّدُ التحسينِ في الصوتِ؛ وقيل: التَّهَزُّجُ صوتٌ مُطوَّلٌ غيرُ رفيعٍ. والهَزَجُ: تداركُ الصوتِ في خِفَّةٍ وسرعةٍ؛ يقال: هو هَزَجٌ الصوتُ هُزَمِجُهُ أي مُداركُهُ. والهَزَجُ: الرِّثَّةُ.

يا مخزنَ الأضواءِ والأطيابِ
لا تظلمي وترَ الرِّبابةِ في يدي
فالشوقُ أكبرُ من يدي وربابي
قبلَ اللقاءِ الحلو.. كنتِ حبيبتِي
وحبيبتِي تبقيْنَ بعدَ ذهابي

أوراق إسبانية

(1)

الجسر

إسبانيا ..
جسرٌ من البكاء ..
يمتد بين الأرض والسماء ..

(2)

سوناتا

على صدر قيثارة باكية
تموت ..
وتولد إسبانية ..

(3)

الفارس والوردة

إسبانيا ..
مراوح هفافة²⁸

تمشط الهواء ..
وأعينٌ سوداء ..
لا بدءٌ لها .. ولا انتهاءً
قبعةٌ ترمى أمام شرفة الحبيبة .
ووردة رطبية ..
تطير من مقصورة النساء
تحمل في أوراقها الصلاة والدعاء
لفارس من الجنوب .. أحمر الرداء
يداعب الفناء ..
وكل ما يملكه ..
سيفٌ .. وكبرياءً ..

(4)

بيت العصافير

باشبيلية
تعلق كل جميله
على شعرها وردةً قانية
تحطُّ عليها مساءً
جميع عصافير إسبانية

(5)

مراوح الاسبانيات

إذا لملمَ الصيفُ أشياءهُ

ومات الربيع على الراية
تفتح ألف ربيع جديد
على ألف مروحة زاهية ..

(6)

الؤلؤ الأسود

شوارع غرناطة في الظهيرة
حقول من اللؤلؤ الأسود ..
فمن مقعدي ..
أرى وطني في العيون الكبيرة
أرى منذات دمشق
مصورة ..
فوق كل صغيرة

(7)

دونيا ماريا

تمزقني .. دونيا مارية
بعينين أوسع من بادية
ووجه عليه شمس بلادي
وروعة آفاقها الصاحية ..
فأذكر منزلنا في دمشق
ولثغة بركته الصافية
ورقص الظلال بقاعاته

وأشجار ليمونه العالية
وباباً قديماً .. نقشت عليه
بخط رديء .. حكاياتيه
بعينيك .. يا دونيا مارية
أرى وطني مرةً ثانية ..

(8)

القرط الطموح

على أذني هذه الغانية
تأرجح قرطٌ رفيعٌ
كما يضحك الضوء في الآنية
يمد يديه .. ولا يستطيع
وصولاً . إلى الكتف العارية ..

(9)

الثور

برغم النزيف الذي يعتريه ..
برغم السهام الدفينة فيه ..
يظل القتل على ما به ..
أجل .. وأكبر .. من قاتليه ..

(10)

نزيف الأنبياء ..

كوريدا ..

كوريدا ..

ويندفع الثور نحو الرداء

قويًا .. عنيدا ..

ويسقط في ساحة الملعب ..

كأي شهيد ..

كأي نبي ..

ولا يتخلى عن الكبرياء ..

(11)

بقايا العرب

فلامنكو ..

فلامنكو ..

وتستيقظ الحانة الغافية
على قهقهات صنوج الخشب

وبحة صوت حزين ..

يسيل كنافورة من ذهب

وأجلس في زاوية

ألمٌ دموعي ..

ألمٌ بقايا العرب ..

أحزان في الأندلس

كتبت لي يا غالية..

كتبت تسألين عن إسبانية

عن طارق، يفتحُ باسم الله دنيا ثانية..

عن عقبة بن نافع

يزرع شتلَ نخلة..

في قلب كلِّ رابية..

سألت عن أمية..

سألت عن أميرها معاوية..

عن سرايا الزاهية

تحملُ من دمشق.. في ركايبها

حضارةً وعافية..

لم يبقَ في إسبانية

مناً، ومن عصورنا الثمانية

غيرُ الذي يبقى من الخمر،

بجوف الآنية..

وأعينٍ كبيرةٍ.. كبيرةٍ

ما زال في سوادها ينامُ ليلُ البادية..

لم يبقَ من قرطبةٍ

سوى دموعُ المئذنتِ الباكية

سوى عبير الورود، والنارنج والأصاليه..

لم يبق من ولادةٍ ومن حكايا حُبها..

قافيةً ولا بقايا قافية..

لم يبقَ من غرناطةٍ

ومن بني الأحمر.. إلا ما يقول الراوية

وغيرُ "لا غالبَ إلا الله"

تلقاك في كلِّ زاوية..

لم يبقَ إلا قصرُهم

كامرأةٍ من الرخام عارية..

تعيشُ - لا زالت - على

قصةٍ حُبِّ ماضية..

مضت قرونٌ خمسة

مذ رحلَ "الخليفة الصغيرُ" عن إسبانية

ولم تزل أحقادنا الصغيرة..

كما هي..

ولم تزل عقلية العشيرة

في دمنا كما هيه
حوارنا اليومي بالخناجر..
أفكارنا أشبه بالأظافر
مضت قرونٌ خمسة
ولا تزال لفظة العروبة..
كزهرة حزينه في آنية..
كطفلة جائعة وعارية
نصلبها على جدار الحقد والكراهية..
مضت قرونٌ خمسة.. يا غالية
كأننا.. نخرجُ هذا اليومَ من إسبانية..

غرناطة

في مدخل الحمراء كان لقائنا

ما أطيّب اللقيا بلا ميعاد

عينان سوداوان في جحريهما

تتوالد الأبعاد من أبعاد

هل أنت إسبانية؟ ساءلتها

قالت: وفي غرناطة ميلادي

غرناطة؟ وصحت قرون سبعة

في تينك العينين.. بعد رقاد

وأمية راياتها مرفوعة

وجيادها موصولة بجياد

ما أغرب التاريخ كيف أعادني

لحفيدة سمراء من أحفادي

وجه دمشق رأيتُ خلاله

أجفان بلقيس وجيد سعاد

ورأيتُ منزلنا القديم وحجرة

كانت بها أمي تمد وسادي

والياسمينه رُصعتْ بنجومها

والبركة الذهبية الإنشاد

*

ودمشق، أين تكون؟ قلت: ترينها

في شعرك المنساب.. نهر سواد

في وجهك العربي، في الثغر الذي

ما زال مختزناً شمس بلادي
في طيب "جنات العريف"⁵⁶ ومائها
في الفل، في الريحان، في الكباد⁵⁷

*

سارت معي.. والشعر يلهث خلفها
كسنابل تُركت بغير حصاد
يتألق القرط الطويل بجيدها
مثل الشموع بليلة الميلاد..
ومشيت مثل الطفل خلف دليلتي

⁵⁶ هي حدائق في قصر الحمراء في غرناطة.

⁵⁷ الكباد هو الأترج والأترج Citron or Citrus Medica Cedrata من الحمضيات، ومن أسمائه تفاح العجم وليمون اليهود. وهناك اختلاف بين المؤلفين. هل هو نفسه ما يدعى بالكباد (في ديار الشام) أو أن الكباد هو نوع قريب من نفس الفصيلة البرتقالية Aurantiaceae يزرع في المناطق المعتدلة الحارة وثمره كالليمون الكبار ذهبي اللون، ذكي الرائحة حامض الماء. وقد جاء ذكره في سفر اللاويين من التوراة: (تأخذون لأنفسكم ثمر الأترج بهجة) وورد في الأحاديث النبوية أيضاً.

وورائي التاريخ كوم رماد
الزخرفات.. أكاد أسمع نبضها
والزركشات على السقوف تنادي
قالت: هنا "الحمراء" زهو جدودنا
فاقرأ على جدرانها أمجادي
أمجادهما؟ ومسحت جرحاً نازفاً
ومسحت جرحاً ثانياً بفؤادي
يا ليت وارثتي الجميلة أدركت
أن الذين عندهم أجدادي

*

عانقت فيها عندما ودعتها

رجلاً يسمى "طارق بن زياد"

يا ست الدنيا يا بيروت

1

يا ستّ الدنيا يا بيروت...

مَنْ باعَ أسوارك المشغولة بالياقوت؟

من صادر خاتمك السحريّ،

وقصّ ضفائرِكِ الذهبية؟

من ذبحَ الفرَحَ النَّائمَ في عينيكِ الخضرواين؟

من شطبَ وجهكِ بالسّكين،

وألقى ماءَ النارِ على شفّتكِ الرائعتين؟

من سمّمَ ماءَ البحر،

ورشَّ الحقدَ على الشيطانِ الوردية؟

ها نحنُ أتينا.. معذرين.. ومعترفينُ

أنا أطلقنا النارَ عليكِ بروحِ قبليّةٍ..
فقتلنا امرأةً.. كانت تُدعى (الحرية)...

2

ماذا نتكلّمُ يا بيروتُ..
وفي عينيكِ خلاصةُ حزنِ البشريّةِ
وعلى نهديكِ المحترقين.. رماذُ الحربِ الأهليّةِ
ماذا نتكلّمُ يا مروحةَ الصّيفِ،
ويا وردتَهُ الجوريّةِ؟
من كانَ يفكّرُ أن نتلاقى
- يا بيروتُ - وأنتِ خرابٌ؟

من كان يفكر أن تنمو للوردة

آلاف الأنياب؟

من كان يفكر أن العين تقاتل

في يومٍ ضدَّ الأهداب؟

ماذا نتكلم يا لؤلؤتي؟

يا سنبلتي..

يا أقلامي..

يا أحلامي..

يا أوراقِي الشعريّة..

من أين أتتكِ القسوةُ يا بيروت،

وكنتِ برقةٍ حوريّة؟

لا أفهمُ كيف انقلبَ العصفورُ الدوريُّ..

لقطةٍ ليلٍ وحشيّة..

لا أفهمُ أبداً يا بيروتُ
لا أفهمُ كيف نسيتِ اللهَ..
وعدتِ لعصرِ الوثنيَّةِ..

3

قومي من تحتِ الموجِ الأزرقِ، يا عِشتارُ
قومي كقصيدةٍ وردٍ ..
أو قومي كقصيدةٍ نارٍ
لا يوجدُ قبلكِ شيءٌ .. بعدكِ شيءٌ .. مثلكِ شيءٌ ..
أنتِ خلاصاتُ الأعمارِ ..
يا حقلِ اللؤلؤِ ..
يا ميناءَ العشقِ ..

ويا طاووسَ الماءِ..

قومي من أجل الحبِّ، ومن أجل الشّعراءِ

قومي من أجل الخبزِ، ومن أجل الفقراءِ

الحبُّ يريدكِ.. يا أحلى الملكاتِ..

والربُّ يريدكِ.. يا أحلى الملكاتِ..

ها أنتِ دفعتِ ضريبةَ حُسنكِ

مثل جميع الحسناتِ

ودفعتِ الجزيةَ عن كلِّ الكلماتِ..

4

قومي من نومكِ..

يا سُلطانةَ، يا نوارهَ،

يا قنديلاً مشتعلاً في القلبِ

قومي كي يبقى العالمُ يا بيروتُ..

ونبقى نحنُ..

ويبقى الحبُّ...

قومي..

يا أحلى لؤلؤةٍ أهداها البحرُ

الآن عرفنا ما معنى ..

أن نقتلَ عصفوراً في الفجرِ

الآن عرفنا ما معنى ..

أن ندلقَ فوقَ سماءِ الصَّيفِ زجاجةَ حبرٍ

الآن عرفنا ..

أنا كُنَّا ضدَّ اللهِ .. وضدَّ الشَّعرِ ..

5

يا ستّ الدنيا يا بيروت ..
يا حيثُ الوعدُ الأوّلُ .. والحبُّ الأوّلُ ..
يا حيثُ كتبنا الشعرَ ..
وخبّأناه بأكياسِ المخملِ ..
نعترفُ الآنَ .. بأنّا كُنّا يا بيروتُ،
نُحبُّكَ كالبدو الرُّحَلِ ..
ونُمارسُ فعلَ الحبِّ .. تماماً
كالبدو الرُّحَلِ ...
نعترفُ الآنَ .. بأنَّكَ كُنْتَ خليلتنا
نأوي لفراشكِ طولَ الليلِ ...
وعندَ الفجرِ، نهاجرُ كالبدو الرُّحَلِ
نعترفُ الآنَ .. بأنّا كُنّا أميينَ ..

وَكُنَّا نَجْهَلُ مَا نَفْعَلُ ..

نَعْتَرِفُ الْآنَ، بَأْنَا كُنَّا مِنْ بَيْنِ الْقَتْلَةِ ..

وَرَأَيْنَا رَأْسَكَ ..

يَسْقُطُ تَحْتَ صَخُورِ الرَّوْشَةِ⁵⁸ كَالْعَصْفُورِ

نَعْتَرِفُ الْآنَ ..

بَأْنَا كُنَّا - سَاعَةَ نُقَدُّ فَيْكَ الْحُكْمُ -

شَهُودَ الزُّورِ ..

6

نَعْتَرِفُ أَمَامَ اللَّهِ الْوَاحِدِ ..

أَنَا كُنَّا مِنْكَ نَغَارُ ..

⁵⁸ صخرة الروشة معلم سياحي لبناني عبارة عن صخرتين كبيرتين قريبة من شاطئ منطقة الروشة في بحر بيروت الغربي. وهي التي ظهرت في فيلم أبي فوق الشجرة في المشهد الذي يعانق فيه عبد الحليم حافظ نادية لطفي على متن اليخت.

وكانَ جمالكِ يؤذينا ..

نعترفُ الآنَ ..

بأنّا لم نَنصقْ .. ولم نَعذركِ .. ولم نفهمكِ ..

وأهديناكِ مكانَ الوردَةِ سِغينا ...

نعترفُ أمامَ اللهِ العادلِ ...

أنا راودناكِ ..

وعاشرناكِ ..

وضاجعناكِ ..

وحملناكِ معاصينا ..

يا ستَّ الدنيا، إن الدنيا بعدكِ ليستْ تكفينا ..

الآنَ عرفنا .. أنّ جذوركِ ضاربةٌ فينا ..

الآنَ عرفنا .. ماذا اقترفتْ أيدينا ..

7

الله .. يفتش في خارطة الجنة عن لبنان
والبحر يفتش في دفتره الأزرق عن لبنان
والقمر الأخضر ..
عاد أخيراً كي يتزوج من لبنان ..
أعطيني كفاً يا جوهرة الليل، وزنبقة البلدان
نعترف الآن ..
بأننا كنا ساديين، ودمويين ..
وكنا وكلاء الشيطان
يا ست الدنيا يا بيروت ..
قومي من تحت الردم، كزهرة لوز في نيسان
قومي من حزنك ..

إِنَّ الثَّورَةَ تُولدُ مِنْ رَحْمِ الْأَحْزَانِ

قومي إكراماً للغاباتِ ..

وللأنهارِ ..

وللوديانِ ..

قومي إكراماً للإنسانِ ..

إنا أخطأنا يا بيروتُ ..

وجئنا نلتمسُ الغفرانَ ..

8

ما زلتُ أحبُّكِ يا بيروتُ المجنونةُ ..

يا نهرَ دماءٍ وجواهرٍ ..

ما زلتُ أحبُّكِ يا بيروتُ القلبِ الطيبِ ..

يا بيروتُ الفوضى ..

يا بيروتُ الجوعُ الكافرُ .. والشَّبَعُ الكافرُ ..
ما زلتُ أُحِبُّكَ يا بيروتُ العَدلُ ..
ويا بيروتُ الظلمُ ..
ويا بيروتُ السَّبِيّ ..
ويا بيروتُ القاتلُ والشاعرُ ..
ما زلتُ أُحِبُّكَ يا بيروتُ العَشقُ ..
ويا بيروتُ الذبحُ من الشَّرِيانِ إلى الشَّرِيانِ ..
ما زلتُ أُحِبُّكَ رَغَمَ حَمَاقَاتِ الْإِنسانِ
ما زلتُ أُحِبُّكَ يا بيروتُ ..
لماذا لا نبتدئُ الآن؟

سبع رسائل ضائعة في بريد بيروت

1

يا حبيبة:

بعد عامين طويلين من الغربة والنفي..

تذكرتك في هذا المساء..

كنت مجنوناً بعينيك..

ومجنوناً بأوراقِي..

ومجنوناً لأنَّ الحبَّ جاء..

ولأنَّ الشعرَ جاء..

كنت أبكي ضاحكاً مثل المجاذيب.. لأنِّي

أستطيع الآن، يا سيّدي، أن أتذكّر..

مدهشٌ أن أتذكّر..

مدهشٌ أن أتذكر..

ليس سهلاً في زمان الحرب أن يسترجع الانسان

وجه امرأةٍ يعشقها..

فالحرب ضدّ الذاكرة..

ليس سهلاً في زمان القبح..

أن أجمع أزهار المانوليا..

والفراشات التي تخرجُ ليلاً من شبابيك العيون الماطرة

قدفتني هذه الحرب بعيداً عن محيط الدائرة..

ألغيت الخط الحليبيّ الذي ينزل من ثديك..

نحو الخاصرة..

2

يا صديقة:

عائِدُ من زمن اللاشعر.. عاري القدمين

عائِدُ دون شفاهٍ..

عائِدُ دون يدين..

إنَّ حرب السنّتين⁵⁹

كسرتني..

كسرت سنبله القمح التي تنبتُ بين الشفتين..

جعلتني عاطلاً عن عمل الحبّ...

فلم أقرأ مزاميري لعينيك..

ولا قابلتُ عصفوراً غريباً...

أو قصيدة...

أفقدتني ذلك الظهر الطفوليّ الذي يدخلني مملكة الله

⁵⁹ حرب السنّتين، هو المصطلح الذي أطلق على المرحلة الأولى من الحرب الأهلية اللبنانية بين الحركة الوطنية اللبنانية والفلسطينيين من جهة واليمين اللبناني الذي ساندته السوريون فيما بعد من جهة أخرى. امتدت حرب السنّتين بين 13 أبريل 1975 تاريخ إندلاع شرارة المواجهات بعد حادثة عين الرمانة، و21 أكتوبر 1976 تاريخ اتفاق وقف إطلاق النار وقرار مؤتمر الرياض إرسال قوات ردع عربية.

ويعطيني مفاتيح اللغات النادرة..

فاعذريني.. إن تأخرت عن الوعد قليلا..

قلقد كان وصولي مستحيلا..

وبريدي مستحيلا..

إنَّ آلاف الحواجز

وقفت ما بين عينيك.. وبينني..

أطلقوا النار على الحُلم فأردوه قتيلا..

أطلقوا النار على الحبّ فأردوه قتيلا..

أطلقوا النار على البحر، على الشمس، على الزرع،

على كُتب الأطفال، قصّوا شعر بيروت الطويل..

سرقوا العمر الجميلا...

3

يا بعيدة:

أيّ أخبارٍ تريدين عن الشعر وعني؟...

أخذوا بيروت مني..

أخذوا بيروت، يا سيّدي، منكٍ ومي..

سرقوا (منقوشة الزعتر) من بين يدينا..

سرقوا (الكورنيش).. والأصداف..

والرمل الذي كان يغطي جسدنا..

سرقوا منا زمان الشعر، يا لؤلؤتي،

والكتابات التي تسقط مثل الكرز الأحمر

من بين الأصابع..

سرقوا رائحة البنّ..

وأحلام المقاهي.. وقناديل الشوارع

ذلك الصوت الذي يصدر عني ليس صوتي..

انني أكتبُ من داخل موتي..

أين أنتِ الآن.. يا من لم أجد في هذه الغابة..

صدراً يحتويني.. غير أنت؟..

سرقوا مني طواحيني.. وفرساني.. وفرشاتي..

وألواني... وأشياي الصغيرة..

واليواقيت التي جئتُ بها

من آخر الدنيا لفستان الأميرة..

لم أكن أعلم يا سيديتي..

أنّ أشياي الصغيرة..

هي أشياي الكبيرة..

4

يا رقيقة:

جاءني هاتفك اليوم خجولا مثل عطر البرتقال

سائلاً عني.. وهل أجمل من هذا السؤال؟..

إنني أحياء..

ولكن ما الذي يعنيه يا سيدي

أن يكون المرء موجوداً على قيد الحياة؟..

إن تحبيني اسأليني كيف حال الكلمات

دخلت في جسد الشعر.. ألوف الطلقات..

نحن من عامين.. لم نزهر..

ولم نوراق.. ولم نطرح ثمر..

نحن من عامين لم نبرق.. ولم نرعد..

ولم نركض كمجنونين

- يا سيّدي - تحت المطر..

نحن من عامين..

لم نخرج عن المألوف في العشق..

ولم نخرج على اليوميّ والعادي..

لم ندخل أقاليم الغرابة..

آه.. كم عانيت من داء الكآبة

آه.. كم عانيت من موت الكتابة

شنقوني بخيوط المفردات

طردوني..

خلف أسوار اللغات..

أغلقوا في وجه حبي الطرقات..

فتّشوني..

لم أكن أحمل إلا وردة الشعر..

وحزني..

وجنوني..

لم أكن أحمل

- إلا أنت يا سيدتي - بين عيوني..

ولهذا أرجعوني

كنت، يا سيدتي، في موقع الحب..

لهذا لم أكن في جملة المنتصرين..

كنت يا سيدتي، في جانب الشعر.. لهذا ..

صنفوني بوزجوازيماً صغيراً..

وأضافوني إلى قائمة المنحرفين..

لم أكن في زمن القبح قبيحاً..

إنما كنت صديق الياسمين...

5

يا أثيرة:

أين أنت الآن

يا من لم أجد عنوان عينيك على كل الخرائط..

أين أنت الآن

يا من لم أجد آثار أقدامك في كل الفنادق

لم أعد أعرف شيئاً عنك..

في أي بلاد أنت؟

ماذا تفعلين اليوم؟

ماذا تشعرين الآن؟

هل ضيّعت إيمانك مثلي بجميع الآلهة..

وتقاليد القبائل؟

هل تحبين كما كنتِ؟

وتهتمين بالشعر كما كنتِ؟

وتشترين للشوق كما كنتِ؟

أم أنّ الحرب داست ورق الورد.. وأعناق السنايل؟

بعثرتنا هذه الحرب اللئيمة..

بشعّتنا.. شوّهتنا..

أحرقت كلّ الملفات القديمة..

فملايين من الأشياء في داخلنا..

جرفتها الحرب فيما جرفت..

والسؤال الآن

هل في قدرة الإنسان أن يدخل في حبّ كبير..

وعلاقاتٍ حميمة؟..

لا تجيبيني.. إذا كانت سوالاتي غريبة..

كلُّ ما يشغل بالي يا حبيبة..

أن تكوني أنتِ في خيرٍ.. وعيناك بخير..

6

أين بيروتُ التي تختال بالقبَّعة الزرقاء مثل الملكة ؟

أين بيروت التي كانت على أوراقنا..

ترقص مثل السمكة..

ذبحوها..

ذبحوها..

وهي تستقبل ضوء الفجر مثل الياسمينه..

من هو الراجح من قتل مدينة ؟

ضَّعوا بيروت، يا سيِّدتي

ضَيِّعُوا أَنْفُسَهُمْ إِذْ ضَيَّعُوهَا.

سقطت كالحاتم السحري في الماء.. ولم يلتقطوها..

طاردها مثل عصفور ربيعي إلى أن قتلوها...

هذه الورديةُ الجسم

التي تلبس في معصمها البحر سوارا

كم قطفنا البُنَّ من أشجار نهديها..

وحوّلنا جبال الثلج نارا..

واكتشفناها رصيفاً.. فرصيفاً..

وبنيناها جداراً فجداراً...

كم دخلنا بيتها البحريّ أطفالاً صغاراً..

فلعبنا.. ورقصنا..

وخرجنا نحمل الشمس بأيدينا..

وأسماكاً.. وخبزاً.. ومحاراً...

فلماذا قتلوها؟

هذه الأنثى التي كانت ترشُّ الماء..

في وجه الصحاري؟

7

آه يا بيروت.. يا أنثاي من بين ملايين النساء.

يا رحيلاً برتقالياً على وردٍ.. وبرقوقٍ.. وماء..

يا طموحي - عندما أكتب أشعاري - لتقريب السماء

أيّ أخبارٍ تريدين عن الحبّ.. وعني..

ومكاتيبي رماداً..

وأحاسيسي رماداً..

سرقوا مني مساحاتٍ من الزرقة ليست تستعاد

ومساحاتٍ من الدهشة ليست تستعاد..

واحتمالاتٍ طيورٍ سوف تأتي..

واحتمالاتٍ كلامٍ.. سوف يأتي..

واحتمالاتٍ لعشقٍ ما أتى بعد..

ولكن سوف يأتي...

سوف يأتي ...

سوف يأتي...

بيروت محظيتكم .. بيروت حبيبتني

1

سامحيننا..

إن تركناكِ تموتينَ وحيدةً ..

وتسللنا إلى خارجِ الغرفةِ نبكي كجنودِ هاربينَ

سامحيننا ..

إن رأينا دمكِ الوردِيَّ ينسابُ كأنهارِ العقيقِ

وتفرّجنا على فعلِ الزنا ..

وبقينا ساكتينَ ..

2

آه .. كم كُنَّا قبيحين، وكُنَّا جُبْناءً ..

عندما بعناك، يا بيروت، في سوق الإمام

وحجزنا الشققَ الفخمة

في حيِّ (الإليزيه) وفي (مايفير) لندن ...

وغسلنا الحزنَ بالخمرة، والجنس، وقاعاتِ القمارِ

وتذكّرنا - على مائدةِ الروليتِ، أخبارَ الديارِ

وافتقدنا زمنَ الدِقْلَى بلُبنانٍ ..

وعصرَ الجُنَّارِ ..

وبكينا مثلما تبكي النساءُ ..

3

آه .. يا بيروت،
يا صاحبة القلب الذهب
سامحينا ...
إن جعلناك وقوداً وحطباً
للخلافات التي تنهش من لحم العرب
منذ أن كان العرب !

4

طمئني عنك ...
يا صاحبة الوجه الحزين
كيف حال البحر ؟
هل هم قتلوه برصاص القنص مثل الآخرين ؟

كَيْفَ حَالُ الْحَبِّ ؟

هل أصبح أيضاً لاجئاً ..

بين ألوفِ اللاجئين ؟

كَيْفَ حَالُ الشَّعْرِ ؟

هل بعدك - يا بيروت - من شعرٍ يُغنى ؟

ذبحتنا هذه الحربُ التي من غيرِ معنى ..

أفرغتنا من معانينا تماماً ..

بعثرتنا في أقاصي الأرض ..

منبوذين ..

مسحوقين ..

مرضى ..

متعبين ..

جعلتُ منا - خلافاً للنبوءات ..

يهوداً تائِهينُ ...

5

هذهِ المرّةُ .. لم يغدرُ بنا

جيشُ إسرائيلُ ..

لكنا انتحرنا ...

6

إصفي، سيّدي بيروتُ، عنا

نحنُ لم نهجرِكِ مختارينَ .. لكنا قرفنا ..

من مراحيضِ السّياسه ..

وملنا ..

من ملوكِ السّيرِكِ .. والسيرِكِ .. وغشّ اللاعبينُ
وكفرنا..

بالدكاكين التي تملأ أرجاء المدينة ..

وتبيعُ الناسَ حقداً وضغينةً ..

وبطاطينَ .. وسجاداً .. وبنزيناً مهرباً ..

آه يا سيّدي كم نتعذبُ ..

عندما نقرأ أنّ الشّمسَ في بيروت، صارتْ

كُرّةً في أرجل المرتزقين ...

7

ما الذي نكتبُ، يا سيّدي ؟

نحنُ محكومونَ بالموتِ، إذا نحنُ صدّقنا ..

ثمّ محكومونَ بالموتِ، إذا نحنُ كذّبنا

ماذا نكتبُ يا سيّدي ؟

نحنُ لا نملكُ أن نحتجَّ ..

أو نصرخُ ..

أو نبصقَ ..

أو نكشفَ عن خيبتنا ..

أو نتمنّى ..

أخرسنا هذه الحربُ التي من غير معنى ...

8

طلبوا منّا بأن ندخلَ في مدرسةِ القتلِ ..

ولكنّا رفضنا ..

طلبوا أن نشطرَ الربَّ لنصفينِ ..

ولكنّا اختجلنا ..

إننا نوّمنُ باللهِ ..

لماذا جعلوا اللهَ هنا .. من غير معنى ؟

طلبوا منا بأن نشهدَ ضدَّ الحبِّ ..

لكنّ ما شهدنا ..

طلبوا منا .. بأن نشتمَ بيروتَ التي قمحاً .. وحبّاً

وحناناً .. أطعمتنا ...

طلبوا ..

أن نقطعَ الثديَ الذي من خيرهِ، نحنُ رضِيعنا ..

فاعتذرنّا ..

ووقفنا ضدَّ كلِّ القاتلينِ

وبقينا مع لبنانَ سهولاً .. وجبالاً ..

وبقينا مع لبنانَ جنوباً .. وشمالاً ..

وبقينا مع لبنان صليباً .. وهلالاً ..

وبقينا مع لبنان الينابيع ..

ولبنان العناقيد ..

ولبنان الصبابة ..

وبقينا مع لبنان الذي علمنا الشعر ..

وأهدانا الكتابة

أه يا سيدي بيروت ..

لو جاء السلام

ورجعنا، كالعصافير التي ماتت من العربة والبرد ..

لكي نبحت عن أعاشنا بين الحطام ..

ولكي نبحت عن خمسين ألفاً ..

قتلوا من غير معنى ..

ولكي نبحتَ عن أهلِ وأحبابِ لنا

ذهبوا من غير معنى ..

وبيوتٍ .. وحقولٍ .. وأراجيحٍ .. وأطفالٍ ..

وألعابٍ .. وأقلامٍ .. وكُرّاساتٍ رسمٍ ..

أحرقْتُ من غير معنى ...

آهٍ .. يا سيّدي بيروتُ ..

لو جاءَ السلامُ

ورجعنا ..

كطيور البحر، مذبحوينَ شوقاً وحنينا

وبنا شوقاً إلى (منقوشةِ الزّعتر) .. واللّيلُ ..

ومن كانوا يبيعونَ عقودَ الياسمينِ

فمنَ الجائز، يا بيروتُ، أن لا تعرفينا ..

قد تغيّرتِ كثيراً ..

وتغيرنا كثيرا ..

وكبرنا نحن - في عامين - آلاف السنين

10

إحتملنا نفينا عشرين شهرا ..

وشربنا دمعا عشرين شهرا ..

وبحثنا في زوايا الأرض عن عشق جديد

غير أنا ما عشقنا ..

وشربنا الخمر من كل الدوالي ..

غير أنا ما سكرنا ..

وبحثنا عن بديل لك،

يا أعظم بيروت ..

ويا أطيّبَ بيروتَ ..

ويا أطهرَ بيروتَ ..

ولكنّ ما وجدنا

ورجعنا ..

نلثمُ الأرضَ التي أحجارُها تكتبُ شعرا ..

والتي أشجارُها تكتبُ شعرا ..

والتي حيّطائها تكتبُ شعرا ..

وأخذناكِ إلى الصّدر ..

حقولاً .. وعصافيرَ .. وكورنيشاً .. وبحرا ..

وصرخنا كالمجانين على سطح السفّينة :

أنتِ بيروتُ ..

ولا بيروتُ أخرى

إلى بيروت الأنثى مع الاعتذار

كَانَ لُبْنَانُ لَكُمْ مَرَوَحَةً
تَنْشُرُ الْأَلْوَانَ وَالظِّلَّ الظَّلِيلَا
كَمْ هَرَبْتُمْ مِنْ صَحَارِكُمْ إِلَيْهِ
تَطْلُبُونَ الْمَاءَ وَالْوَجْهَ الْجَمِيلَا
وَاعْتَسَلْتُمْ بِنَدَى غَابَاتِهِ
وَاخْتَبَأْتُمْ تَحْتَ جَفْنِيهِ طَوِيلَا
وَتَسَلَّقْتُمْ عَلَى أَشْجَارِهِ
وَسَرَحْتُمْ فِي بَرَارِيهِ وَعُؤُلَا
وَشَرَبْتُمْ مِنْ خَوَائِيهِ⁶⁰ نَبِيدَا
وَسَمِعْتُمْ مِنْ شَوَادِيهِ⁶¹ هَدِيدَا

⁶⁰ خَائِيَّة : والجمع خَوَائِي، وهو وعاء يُحفظ فيه الماء.

وَقَطَفْتُمْ مِنْ رَوَائِيهِ الْخُزَامِي
وَالْعُيُونِ الْخُضْرَ وَالْخَدَّ الْأَسِيْلَا
وَاقْتَنَيْتُمْ شَمْسَهُ لَوْلُوَّةَ
وَرَكِبْتُمْ أَنْجُمَ اللَّيْلِ خِيُولَا
إِنَّهُ عَلَّمَكُمْ أَنْ تَعْشَقُوا
لَمْ يَكُنْ لُبَّانُ فِي الْعُشْقِ بِخِيَلَا
إِنَّهُ عَلَّمَكُمْ أَنْ تَقْرَأُوا
هَلْ تَقُولُونَ لَهُ : شُكْرًا جَزِيْلَا؟
أَه يَا عَشَّاقَ بَيْرُوتَ الْقُدَامِي
هَلْ وَجَدْتُمْ بَعْدَ بَيْرُوتَ الْبَدِيْلَا؟
إِنَّ بَيْرُوتَ هِيَ الْأَنْثَى الَّتِي
تَمْنَحُ الْخَصْبَ وَتُعْطِينَا الْفُصُولَا

⁶¹ جمع شادي وهو الطائر المغرد.

إِنْ يَمُتْ لُبْنَانٌ ... مِثْمَ مَعَهُ
كُلُّ مَنْ يَقْتُلُهُ ... كَانَ الْقَتِيلَ
كُلُّ قُبْحٍ فِيهِ ... قُبْحٌ فِيكُمْ
فَأَعِيدُوهُ كَمَا كَانَ جَمِيلاً
إِنَّ كَوْنَنَا لَيْسَ لِبْنَانٍ فِيهِ
سَوْفَ يَبْقَى عَدَمًا أَوْ مُسْتَحْيَا
كُلُّ مَا يَطْلُبُهُ لُبْنَانٌ مِنْكُمْ
أَنْ تُحِبُّوهُ تُحِبُّوهُ قَلِيلاً

أنا يا صديقة متعبٌ بعروبتى⁶²

يا تونس الخضراء جنّتك عاشقا

وعلى جيبني وردة وكتاب

إني الدمشقي الذي احترف الهوى

فاخضوضرت بغنائه الأعشاب

أحرقّت من خلفي جميع مراكبي

إن الهوى ألا يكون إياب

أنا فوق أجفان النساء مكسر

قطع فعمري الموج والأخشاب

لم أنس أسماء النساء .. وإنما

⁶² هذه القصيدة الرائعة كتبها نزار قباني في تونس عند زيارته لها بمناسبة مهرجان الشعر بمدينة القيروان عام 1980.

للحسن أسباب ولي أسباب

يا ساكنات البحر في قرطاجة

جف الشذى وتفرق الأصحاب

أين اللواتي حبهن عبادة

وغيابهن وقربهن عذاب

اللابسات قصائدي ومدامعي

عاتبتهن فما أفاد عتاب

أحبتهن وهن ما أحببني

وصدقتهن ووعدهن كذاب

إني لأشعر بالدوار فناهذ

لي يطمئن وناهد يرتاب

هل دولة الحب التي أسستها

سقطت عليّ وسددت الأبواب

تبكي الكؤوس ، فبعد ثغر حبيبتني

حلفت بالأُسكر الأُغاب

أيصدني نهد تعبت برسمه؟

وتخونني الأقران والأثواب؟

ماذا جرى لمماليكي وبيارقني؟

أدعو رباب فلا تجيب رباب

أحاسب امرأة على نسيانها

ومتى استقام مع النساء حساب

ما تبت عن عشقي ولا استغفرته

ما أسخف العشاق لو هم تابوا

قمر دمشقي يسافر في دمي

وبلايل وسنابل وقباب

الفل يبدأ من دمشق بياضه

وبعطرها تتطيب الأطياب

والماء يبدأ من دمشق فحيثما

أسندت رأسك جدول ينساب

والشعر عصفور يمد جناحه

فوق الشام وشاعر جواب

والحب يبدأ من دمشق فأهلنا

عبدوا الجمال وذوبوه وذابوا

والخيل تبدأ من دمشق مسارها

وتشد للفتح الكبير ركاب

والدهر يبدأ من دمشق وعندها

تبقى اللغات وتحفظ الأنساب

ودمشق تعطي للعروبة شكلها

وبأرضها تتشكل الأحقاب

بدأ الزفاف فمن تكون مضيفتي

هذا المساء ومن هو العراب

أنا مغني القصر يا قرطاجة

كيف الحضور وما علي ثياب

ماذا أقول ؟ فمي يفتش عن فمي

والمفردات حجارة وتراب

فمآدب عربية .. وقصائد

همزية .. ووسائد وحباب

لا الكأس تنسينا مساحة حزننا

يوما ولا كل الشراب شراب

من أين يأتي الشعر يا قرطاجة

والله مات وعادت الأنصاب

من أين يأتي الشعر ؟ حين نهارنا

قمع وحين مساؤنا إرهاب

سرقوا أصابعنا . وعطر حروفنا

فبأي شيء يكتب الكتاب

والحكم شرطي يسير وراءنا

سرا فنكهة خبزنا استجواب

الشعر رغم سياطهم وسجونهم

ملك وهم في بابه حجاب

من أين أدخل في القصيدة يا ترى

وحقائق الشعر الجميل خراب

لم يبق في دار البلايل بلبل

لا البحتري هنا ولا زرياب

شعراء هذا اليوم جنس ثالث

فالقول فوضى والكلام ضباب

يتكلمون مع الفارغ فما هم

عجم إذا نطقوا ولا أعراب

اللاهثون على هوامش عمرنا

سيان إن حضروا وإن هم غابوا

يتهمون على النبيذ معتقا

وهم على سطح النبيذ ذباب

الخمير تبقى إن تقادم عهدها

خمرا وقد تتغير الأكواب

من أين أدخل في القصيدة يا ترى

والشمس فوق رؤوسنا سرداب

إن القصيدة ليس ما كتبت يدي

لكنها ما تكتب الأهداب

نار الكتابة أحرقت أعمارنا

فحياتنا الكبريت والأحطاب

ما الشعر؟ ما وجع الكتابة؟ ما الرؤى؟

أولى ضحايانا هم الكتاب

يعطوننا الفرح الجميل وحظهم

حظ البغايا ما لهن ثواب

يا تونس الخضراء هذا عالم

يثرى به الأمي والنصاب

فمن الخليج إلى المحيط .. قبائل

بَطِرَت فلا فكر ولا آداب

في عصر زيت الكاز يطلب شاعر

ثوبا وترفل بالحرير قحاب !!

هل في العيون التونسية شاطيء

ترتاح فوق رماله الأعصاب

أنا يا صديقة متعب بعروبتى

فهل العروبة لعنة وعقاب

أمشى على ورق الخريطة خائفا

فعلى الخريطة كلنا أعراب

أتكلم الفصحى أمام عشيرتى

وأعيد .. لكن ما هناك جواب

لولا العباءات التى التفوا بها

ما كنت أحسب أنهم أعراب

يتقاتلون على بقايا تمرّة

فخناجر مرفوعة وحراب

قبلاتهم عربية .. مَنْ ذا رأى

فيما رأى قُبلاً لها أنياب

يا تونس الخضراء كأسى علقم

أعلى الهزيمة تشرب الأنخاب؟

وخريطة الوطن الكبير فضيحة

فحواجز ومخافر وكلاب

والعالم العربي إما نعمة

مذبوحة أو حاكم قصاب

والعالم العربي يرهن سيفه

فحكاية الشرف الرفيع سراب

والعالم العربي يخزن نبطه

في خصيته وربك الوهاب

والناس قبل النفط أو من بعده

مستنزون فسادة ودواب

يا تونس الخضراء كيف خلاصنا

لم يبق من كتب السماء كتاب

ماتت خيول بني أمية كلها

خجلا وظل الصرف والإعراب

فكأنا كتب التراث خرافة

كبرى فلا عمر ولا خطاب

وبيارق ابن العاص تمسح دمعها

وعزيز مصر بالفصام مصاب

مَنْ ذا يصدق أن مصر تهودت

فمقام سيدنا الحسين يباب⁶³

ما هذه مصر فإن صلاتها

عبرية وإمامها كذاب

ما هذه مصر فإن سماءها

صغرت وإن نساءها أسلاب

⁶³ اليباب: الخالي لا شئ فيه .. الجذب .. الخراب.

إن جاء كافور فكم من حاكم

قهر الشعوب وتاجه قبقاب

بحرية العينين يا قرطاجة

شاخ الزمان وأنت بعد شباب

هل لي بعض البحر نصف جزيرة

أم أن حبي التونسي سراب

أنا متعب ودفاتري تعبت معي

هل للدفاتر يا ترى أعصاب؟

حزني بنفسجة يبيلها الندى

وضفاف جرحي روضة معشاب

لا تعذّليني إنْ كشفتُ مواجعي

وجه الحقيقة ما عليه نقاب

الجنون وراء نصف قصائدي

أوليس في بعض الجنون صواب؟

فتحملي غضبي الجميل فربما

ثارت على أمر السماء هضاب

فإذا صرختُ بوجه مَنْ أحببتهم

فلك يعيش الحب والأحباب

وإذا قسوتُ على العروبة مرة

فلقد تضيق بكحلها الأهداب

فلربما تجد العروبة نفسها
ويضيء في قلب الظلام شهاب
ولقد تطير من العقال حمامة
ومن العباءة تطلع الأعشاب
قرطاجة قرطاجة قرطاجة
هل لي لصدرك رجعة ومتاب؟
لا تغضبي مني إذا غلب الهوى
إن الهوى في طبعه غلاب
فذنوب شعري كلها مغفورة
والله جل جلاله التواب

المهرون⁶⁴

-1-

سقطت آخر جدران الحياءُ.

و فرحنا.. و رقصنا..

و تباركنا بتوقيع سلام الجبناءُ

لم يعد يُرعبنا شيءٌ..

و لا يُخجلنا شيءٌ..

فقد يبستَ فينا عُروق الكبرياءِ...

-2-

سقطت.. للمرةِ الخمسينِ عذريتنا..

⁶⁴ عن اتفاقية أوسلو الشهيرة في عام 1995 وتصلح عموماً عن التطبيع واتفاقيات الاستسلام والخيانة مع العدو الصهيوني منذ كامب ديفيد السادات حتى خارطة الطريق وما قبلها وما بعدها

دون أن نهتّز.. أو نصرخ..

أو يرعبنا مرأى الدماء..

و دخلنا في زمان الهرولة..

و وقفنا بالطوابير، كأغنامٍ أمام المقصلة.

و ركضنا.. و لهتنا..

و تسابقنا لتقبيل حذاء القتلة..

-3-

جَوَّعوا أطفالنا خمسينَ عاماً.

و رَمَوْا في آخر الصوم إلينا..

بصلة...

-4-

سَقَطتْ غرناطة

- للمرة الخمسينَ - من أيدي العرب.

سَقَطَ التَّارِيخُ مِنْ أَيْدِي الْعَرَبِ..

سَقَطَتْ أَعْمَدَةُ الرُّوحِ، وَ أَفْخَاذُ الْقَبِيلَةِ..

سَقَطَتْ كُلُّ مَوَاوِيلِ الْبَطُولَةِ..

سَقَطَتْ كُلُّ مَوَاوِيلِ الْبَطُولَةِ..

سَقَطَتْ إِشْبِيلِيَّةٌ..

سَقَطَتْ أَنْطَاكِيَّةٌ..

سَقَطَتْ حِطِّينٌ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ..

سَقَطَتْ عَمُّورِيَّةٌ..

سَقَطَتْ مَرِيْمٌ فِي أَيْدِي الْمَيْلِيشِيَّاتِ

فَمَا مِنْ رَجُلٍ يَنْقُذُ الرَّمْزَ السَّمَاوِيَّ

وَ لَا تَمَّ رُجُوعَةٌ...

سَقَطَتْ آخِرُ مَحْظِيَاتِنَا

فِي يَدِ الرُّومِ، فَعَنْ مَاذَا نُدَافِعُ؟

لَمْ يَعُدْ فِي قَصْرِنَا جَارِيَةٌ وَاحِدَةٌ

تَصْنَعُ الْقَهْوَةَ وَ الْجِنْسَ..

فَعَنْ مَاذَا نَدَافِعُ؟؟

-6-

لَمْ يَعُدْ فِي يَدِنَا

أَنْدَلِسٌ وَاحِدَةٌ نَمْلِكُهَا..

سَرَقُوا الْأَبْوَابَ

وَ الْحَيْطَانَ وَ الزَّوْجَاتِ، وَ الْأَوْلَادَ،

وَ الزَّيْتُونَ، وَ الزَّيْتَ

وَ أَحْجَارَ الشَّوَارِعِ.

سَرَقُوا عَيْسَى بْنَ مَرْيَمَ

و هو ما زالَ رضيعاً..
سرقوا ذاكرةَ الليمون..
و المشمش.. و النعناع منّا..
و قناديلَ الجوامع...

-7-

تركوا عُلبةَ سردينِ بأيدينا
تُسمى (عزّة)..
عظمةَ يابسة تُدعى (أريحا)..
فندقاً يُدعى فلسطين..
بلا سقفٍ لا أعمدة..
تركونا جسداً دونَ عظامٍ
و يداً دونَ أصابع..

-8-

لم يَعدُ ثَمَّةَ أَطلالٍ لَكي نَبكي عَليها.

كيف تَبكي أُمَّة

أَخذوا مِنها المَدامعُ؟؟

-9-

بَعدَ هَذا العَزلِ السَريِّ في أوسلُو

خَرجنا عاقَرينُ..

وهبونا وَطناً أصغرَ مِن حَبَّةِ قَمحٍ..

وَطناً نبلَعُه مِن غيرِ ماءٍ

كحبوبِ الأَسيرينُ!!..

-10-

بَعدَ خَمسينَ سَنَةٍ..

نَجلسُ الآنَ، عَلى الأَرضِ الخَرابِ..

ما لنا مأوى

كآلاف الكلاب!!..

-11-

بعدَ خمسينَ سنة

ما وجدنا وطناً نسكنه إلا السراب..

ليس صلحاً،

ذلك الصلحُ الذي أُدخِلَ كالخنجرِ فينا..

إنه فعلٌ إغتصابٌ!!..

-12-

ما تُفيدُ الهرولة؟

ما تُفيدُ الهرولة؟

عندما يبقى ضميرُ الشعبِ حياً

كفتيل القنبلة..

لن تساوي كل توقعاتِ أوْسئو..

خردلة!!..

-13-

كم حلمنا بسلامٍ أخضر..

و هلالٍ أبيض..

و ببحرٍ أزرق.. و قلوبٍ مرسلّة..

و وجدنا فجأة أنفسنا.. في مزبلة!!..

-14-

مَنْ تُرى يسألهم عن سلام الجبناء؟

لا سلام الأقوياء القادرين.

من ترى يسألهم

عن سلام البيع بالتقسيط..

و التأجير بالتقسيط..

و الصفقات..

و التجار و المستثمرين؟.

من ترى يسألهم

عن سلام الميَّتين؟

أسكتوا الشارعَ

و اغتالوا جميع الأسئلة..

و جميع السائلين...

-15-

... و تزوجنا بلا حبّ..

مِن الأنثى التي ذاتَ يومٍ أكلت أولادنا..

مضغتُ أكبادنا..

و أخذناها إلى شهر العسل..

و سكرنا.. و رقصنا..

و استعدنا كلَّ ما نحفظ من شعر الغزل..

ثم أنجبنا، لسوء الحظِّ، أولاد معاقينَ

لهم شكلُ الضفادعِ..

و تشردنا على أرصفةِ الحزن،

فلا ثمة بلدٍ نحضُّه..

أو من ولدٍ!!

-16-

لم يكن في العرسِ رقصٌ عربيٌّ.

أو طعامٌ عربيٌّ.

أَوْ غَنَاءَ عَرَبِيٍّ.

أَوْ حَيَاءَ عَرَبِيٍّ.

فَلَقَدْ غَابَ عَنِ الزَّيْفَةِ أَوْلَادَ الْبَلَدِ..

-17-

كَانَ نِصْفُ الْمَهْرِ بِالْدُولَارِ..

كَانَ الْخَاتَمُ الْمَاسِيُّ بِالْدُولَارِ..

كَانَتْ أُجْرَةُ الْمَأْدُونِ بِالْدُولَارِ..

وَ الْكَعْكَةُ كَانَتْ هِبَةً مِنْ أَمْرِيكَ..

وَ غَطَاءُ الْعُرْسِ، وَ الْأَزْهَارُ، وَ الشَّمْعُ،

وَ مُوسِيقَى الْمَارِينزِ..

كُلُّهَا قَدْ صُنِعَتْ فِي أَمْرِيكَ!!..

-18-

و انتهى العرس..

و لم تحضر فلسطين الفرخ.

بل رأت صورتها مبنوثة عبر كل الأقنية..

و رأت دمعها تعبر أمواج المحيط..

نحو شيكاغو.. و جيرسي.. و ميامي..

و هي مثل الطائر المذبوح تصرخ:

ليس هذا الثوب ثوبي..

ليس هذا العار عاري..

أبدأ .. يا أمريكا..

أبدأ .. يا أمريكا..

أبدأ .. يا أمريكا..

المتنبي و أم كلثوم على قائمة التطبيع

- 1 -

وصل قطار التطبيع الثقافي

إلى مقاهينا ...

و صالوناتنا ...

و غرف نومنا المكيفة الهواء ...

و نزل منه أشخاص غامضون

يحملون معهم معاجم ... ودواوين شعر

ومصاحف مكتوبة باللغة العبرية ...

و يحملون معهم جرائد تقول

إن شاعر العرب الأكبر ..

أبا الطيب المتنبى

صار وزيراً للثقافة في حكومة حزب العمل !!

و أن مطربة العرب الأولى

السيدة أم كلثوم

سوف تغني قصيدة جديدة لشاعر إسرائيلي

و هكذا يستقبل الشعر العربي من كبريائه

وتتسى عسافيرنا

غناء المقامات و التواشيح !!

- 2 -

هذا زمن التطبيع ... يا سيدتي

يهجم علينا بكل سماسرته ... وشيكاته ...

و مافياته ...

ليجردنا من آخر ورقة توت ... تستقر بها

أجسادنا ...

آخر قصيدة ندافع بها عن أنفسنا ..

هذا زمن (التركيع) .. يا سيدتي

يدخل علينا ...

مرة بشكل فيلسوف ..

ومرة بشكل كاهن

و مرة بشكل جنرال

و مرة بشكل كومسيونجي .

إلى أن يصبح الوطن العربي

مركزا للصرافة ...

وبيتا للدعارة !! ..

- 3 -

تطبيع في الصباح و تطبيع في المساء

و تطبيع في الشارع

وتطبيع في المقهى

حتى صرنا (طبعة ثانية)

صادرة باللغة العبرية ..

من كتاب الأغاني !! ..

- 4 -

لذلك فكرت في تطبيع علاقاتنا العاطفية ...

قبل أن يصل المقاولون ...

و المتعهدون ...

و تجار الشنطة

و مندوب صندوق النقد الدولي ..

و ممثل G . A . T . T⁶⁵

وقائد حلف الناتو ...

و أميرال الأسطول السادس .

ورئيس مجلس إدارة النظام العالمي الجديد

وعندئذ ... يكون كل شيء جاهزا

للتوقيع على شهادة وفاة التاريخ العربي

بالسكتة القومية !! ! ...

- 5 -

⁶⁵ الجات General Agreement on Tariffs and Trade اختصار الاتفاقية العامة
للتعريفة الجمركية والتجارة .

أريد أن أطبع علاقتي ...

مع امرأة من لحمي و دمي ...

تعبق بشرتها

رائحة النرجس ، و الريحان ، و الورد البلدي

و الصابون النابلسي ...

و تتجمع في صوتها ... أسراب الحمام ...

و شتول الياسمين الدمشقي ...

- 6 -

أريد أن أشرب قهوة الكابوتشينو ... معك ...

و أكل مناقيش الزعتر معك ...

و أتحدث في السياسة معك

وفي الثقافة معك ...

وفي الحب معك ...

و لا مع البولونيات ... و الهنغاريات ...

و التشيكيات ... و الروسيات ...

القادمة إلينا من حقائب أمريكية ...

ومعهن .. كل عناوين البيوت الفلسطينية !! ! ..

- 7 -

أريد أن ألتصم يديك ...

قبل أن تفرغ أكواز العسل

و أن أتصالح مع شففتيك .

قبل أن يرحل موسم شقائق النعمان ..

و أن أعلمك أوزان الشعر

قبل أن يقتلوا الخليل بن أحمد الفراهيدي !! ...

- 8 -

أريد ...

أن أنام في جوف راحتك الصغيرتين ...

قبل أن نصبح - أنت و أنا -

أعضاء في نادي العراة

و أقلية مضطهدة

في وطن يتدحرج ككرة البلياردو

تحت سواحل البحر الميت .

- 9 -

أريد ...

أن أسمعك قصيدة حب واحدة ..

فهذه فرصتي الثقافية الأخيرة

قبل أن يسجلوا صوتي

و يراقبوا هاتفي ..

و يراقبوا هاتفي ...

ويختموا بالشمع الأحمر ذاكرتي ...

هذه فرصتي الأخيرة ...

حتى أدافع عنك ... وعن حرיתי

وعن زمن الشعر ... و الياسمين ...

- 10 -

أريد أن أحتفظ بآخر قميص كبرياء ألبسه

قبل أن يرموني كيوسف في غيابة الجب ...
و يكتموا خبر موتي ... عن أبي ...

- 11 -

أريد أن ألتصق بك قليلا ..
حتى أشعر بشيء من الدفاع
وشيء من الأمان
وشيء من الكبرياء
و حتى أشعر أن هناك امرأة ...
تستطيع أن ترمم هذا الخراب
الذي يتراكم فوق قلبي ...
وفوق دفاتري ..

- 12 -

ربما كان الحب يا سيدتي
تعويضاً عادلاً .. عن هذا السقوط القومي
الكبير ...

وربما كان زورق النجاة الأخير ...
في بحر الكراهية العربي ...
وطوفان الشعبوية الجديدة ...

- 13 -

إن العالم كله يدور من حولي
و الصفقات المالية تعقد من ورائي
و المفاوضون يملأون فنادق المنطقة ...

و البيع و الشراء في أوجه

و الدولارات تتناثر ...

و الضمان تتناثر ...

و السماسرة يعدون الوثائق الرسمية ...

ليبيع التاريخ ...

- 14 -

إن المشهد سينمائي حقا ...

فتمة دولة من أقاصي الخليج

لم يسبق لها أن جرحت إصبعها

في أية حرب مع إسرائيل ...

تتبرع بكتابة أول رسالة غزل مكشوف إليها ...

قبل عيد فالنتاين بوقت طويل ...

- 15 -

وثمة دول ...

أخذتها نوبة من النوستالجيا

إلى رحاب المسجد الأقصى

فرمت سفراءها بالباراشوت ...

ليحطوا سلاما على حائط المبكى ...

باعتبارهم من أهل العروس !! ...

حتى لا تضيع عليهم علبة الملابس ...

وفرصة التقاط الصور التذكارية !! ...

- 16 -

هذا هو مسرح اللامعقول
بل هذا هو المسرح التجريبي
الذي أدخل الجمهور العربي ...
في مرحلة الكوما⁶⁶ ... و الصرع ...
و انهيار الأعصاب ...

- 17 -

الذين زاروا أخيرا ...
قبر صلاح الدين الأيوبي في دمشق
قالوا بأنه مصاب بحالة اكتئاب ...
و ممتع عن قراء الصحف ... ومشاهدة

التلفزيون

⁶⁶ الغيبوبة بالإنجليزية Coma

و إنه يرفض إجراء أي حوار مع الصحافة

العالمية

حول التطبيع ... و المطبعين

و (الهرولة) ... و (المهرولين)

- 18 -

اسمحي لي يا سيدتي

أن ألمس قفطان البروكار الدمشقي⁶⁷ الذي تلبسينه ...

حتى أستعيد توازني النفسي ... و القومي

فأنا لا أفهم ...

لماذا لا يُطَبَّع العرب مع العرب ... أولاً ؟

⁶⁷ يعتبر قماش البروكار الدمشقي أشهر وأفخر أنواع الأقمشة والمنسوجات في العالم. ويصنع القماش من خيوط الذهب والفضة والحريير الطبيعي. وتنفرد به مدينة دمشق في سورية منذ القدم وله حرفيه وصناعة المتخصصين والمشهورين ويقترن البروكار عالمياً باسم دمشق.

و لماذا يتقاتل التاريخ مع التاريخ ؟

و القبيلة مع القبيلة ؟

و اللغة مع اللغة ؟ ..

- 19 -

أريد أن أسأل ...

لماذا في بلادنا ، تتقاتل الأفعال مع الأسماء ...

و الألف مع الباء ...

و الحليب مع الأثداء ...

و تقف النساء ضد حرية النساء ؟

- 20 -

ثم لماذا يفترس الإسلام نفسه ؟

و تتفجر العروبة من داخلها ...

كسيارة مفخخة ؟ ؟ ...

- 21 -

متى أتعلم الواقعية ؟

أو ما فوق الواقعية ؟

و أركض مع الراكضين

للحصول على شريحة لحم من كتف الوطن ؟

حيث الذبائح كثيرة

و الذابحون أكثر

و أنا أتطلع إلى المنسف الكبير

و لا أتجرأ على مد أصابعي

لأن أمي - رحمها الله - ولدتني نباتيا

يأكل حشيش الشعر ...

و حشيش الحب ...

و حشيش الأحلام ...

- 22 -

لماذا لم أتعلم من السلاحف فضيلة الزحف ؟

و من أسماك القرش ... فضيلة الانقراض ؟

و من العلق ... فضيلة مص الدماء ؟

و من بعض الشعراء ... فضيلة الشحاذة ؟

ومن المستبدين العرب

فضيلة أكل شعوبهم .

- 23 -

متى سأستقيل من المدرسة الرومانسية ؟

التي بقيت فيها خمسين عاما ...

بهلولا يتسلى بكتابة الشعر !

ولم أحصل على صفقة واحدة ...

أو على رشوة واحدة ...

أو على فيلا واحدة ...

أو على امرأة واحدة ...

تتزوجني لوجه الشعر ...

أو لوجه الأدب العربي ...

أو لوجه الانحطاط العربي ؟ ؟ .

- 24 -

متى سوف أتوب عن الحب ... و عن الصراخ

و عن الكتابة ؟

لا جواب عندي الآن لهذه الأجوبة المستحيلة .

و لكنني سوف أجيبكم بعد موتي !! ...

- 25 -

هل تعرفين الآن يا سيدتي ؟

لماذا أريد تطبيع علاقاتي العاطفية معك ؟

لأنني أريد أن أحب امرأة عربية ...

امرأة عربية واحدة

لا تحمل على جسدها آثار التطبيع !! ...

لندن 1996

اليوميات السرية لبهية المصرية

كان اسمه

كما يقال أنور السادات

كان اسمه المأساة

والعلم عند الله والرواة

و كان يمشي

خلف عبد الناصر العظيم

مثل الشاة

منحنيا.. منكسرا نصفين

وشاحبا.. وصامتا.. وزائغ العينين

وكان أقصى حلمه

في أول الثورة أن يهتم بالحقائب
وأن يقول للرئيس آخر النكات

*

كنا نراه دائما
يجلس في سيدنا الحسين
يستغفر الله

ويتلو سورة الرحمن
كنا نظنه أنه يرتل القرآن
لكنه فاجأنا... وأخرج التوراة

*

كنا نظن أنه
سيدخل القدس على حصانه
و يستعيد المسجد الأقصى من الأسر

ويدعو الناس للصلاة

لكنه فاجأنا

وسلم الأرض من النيل إلى الفرات

هل أصبحت راشيل في تاريخنا خديجة؟

و صار موسى... أنور السادات

و يا للعجب

*

كان اسمه

من قبل أن يرتد عن شريعة الاسلام

محمدا.. و صار أبراهام

*

كان اسمه سيدنا الشيخ

وكان دائم الصلاة والصيام

وكان في جبينه علامة

من كثرة الركوع والقيام

وكان كالأطفال يبكى

إن تذكر الرسول

أو جاء ذكر الله.. ذي الجلال والإكرام

*

كان تقيا.. ورعا

يخاف أن يدوس النمل

أو يروع الحمام

و كان أهل مصر يقصدونه

ليطرد الشيطان عن أولادهم

و يحمل الفول إلى صحنهم

و يحمل الطعمية

لكنه فاجأنا

يلبس في نيويورك جبة الحاخام

ويقرأ القرآن بالعبرية

و يرفع الأذان بالعبرية

و يهدم الملك الذي أسسه هشام

و يغرس الخنجر في صدر بني أمية

فكيف يا سيدنا الإمام؟

من أجل عبرانية عشقتها

ذبحت أولادك في الظلام

وأمهم بهية

ويا للعجب

*

كان اسمه عنتره

في سالف الزمان

ويدعي بأنه من تغلب

كان من قحطان

وأنه تعلم الدين على الشيخ أبي حنيفة

والشعر عن حسان

كان يقول أنه يؤمن بالحرية

والحب والإنسان

وأنه يعشق بنتا حلوة مثل القمر

يدعوها بهية

لكنه فاجأنا

من بعدما أعطاه عبد الناصر الأمان

فافترس الحرية

وافتسر الإنسان

وظلق البنت التي يدعونها بهية

وحارب الأنصار والصحابة

وأرجع الأوثان

وارتد عن عبادة الله

إلى عبادة الشيطان

فكيف يا عنتره؟

أصبحت في جراحة صغيرة

حاييم.. أو ناتان

و كيف في جراحة صغيرة؟

أصبحت مخصيا من الخصيان

ويا للعجب

*

كان اسمه

في المتحف المصري أخناتون

سحنته سحنة أخناتون

جبهته جبهة أخناتون

لهجته لهجة أخناتون

وكان في أعماقه

أشياء من خوفو و فرعون

لكن عبد الناصر العظيم

ألبسه عباءة المأمون

فباعها

وأحرق العقال والكوفية

وأطلق النار من الخلف على ابن العاص

وأحرق الحنطة.. والغلال

والبيادر الخصيبة

وأحرق العروبة

فكيف زوجوك يا بهية؟

من ذلك المجنون

وكيف خدروك يا بهية؟

بالخمر

والحشيش

والأفيون

وكيف أرغموك يا بهية؟

أن تحملي الخمر إلى مليكهم داوود

وكيف علموك يا بهية؟

أن تقرأي التلمود

وتصبحي راقصة في حارة اليهود

و يا للعجب

*

كان اسمه الفني

في مسارح المدينة

زوربا

وكان يعشق الظهور

وكان من أحلامه أن يصبح المطرب والعازف

والممثل المشهور

و كان يسمى نفسه

العزيز

والعظيم

والقوي

والعلي

والقدير

والمعصوم

والغفور

وصانع العبور

كان اشتراكيا

يعيش عيشة الأباطرة

ويعشق السلطان

وعنده مزرعة كبيرة.. كبيرة

تعرف باسم القاهرة

وعنده.. كل سرايات بني عثمان

كان (ترافولتا) عصره

في روعة الرقص

وفي أناقة الخطوات

وكان شعبيا بأمریکا

وكان كوكب الشاشات

فكيف يا محمد.. يا أنور السادات

من أجل عبرانية عشقتها

تغدر بالأحياء والأموات

وتدعي أن النبي مات

وكيف.. يا.. أنور المأساة

تصبح إسرائيل في طنطا

وفي بنها

وفي إيلات

ويا للعجب

*

يا مصر

يا قصيدة المياه، والجسور

والمآذن الوردية

يا زهرة اللوتس

يا كتابة زرقاء فاطمية

أيتها الصابرة، الصامتة

الطيبة، النقية

أيتها القاهرة، المقهورة

الضعيفة، القوية

يا من يداها ذهب

وصوتها حرير

ماذا جرى؟

من بعد عبد الناصر الكبير

من مسح الحنة عن يديك يا بهية؟

من سرق النجوم من ليل العيون السود؟

ماذا جرى لجيمك الملحنة؟

والعسل المسكوب

من لهجتك المصرية

ماذا جرى؟

للحكك.. والأطفال.. والموالد الشعبية

والحزن في الشوارع الخلفية

يا مصر

يا حبيبة ابن العاص
وعشقه الأول والأخير
لن يستطيع الرجل الصغير
أن يطفىء الشمس، وأن يزور القضية
فأنت مهما ضاقت الحياة
أو جاء كافور إلى الحكم، أو السادات
باقية في القلب يا بهية
باقية في القلب يا بهية
باقية في القلب يا بهية

بلقيس

شكرا لكم..

شكرا لكم..

فحبيبتى قتلت.. وصار بوسعكم

أن تشربوا كأسا على قبر الشهيدة

وقصيدتى اغتيلت..

وهل من أمةٍ في الأرض..

-إلا نحن- نغفال القصيدة؟

*

بلقيس..

كانت أجمل الملكات في تاريخ بابل

بلقيس.. كانت أطول النخلات في أرض العراق

كانت إذا تمشي..

ترافقها طواويس..

وتتبعها أيائل..

*

بلقيس.. يا وجعي..

ويا وجع القصيدة حين تلمسها الأنامل

هل يا ترى..

من بعد شَعْرِكِ سوف ترتفع السنابل؟

*

يا نينوى الخضراء..

يا عجريت الشقراء..

يا أمواج دجلة..

تلبسُ في الربيع بساقها

أحلى الخلاخل..

*

قتلوكِ يا بلقيسُ..

أيةُ أمةٍ عربيةٍ..

تلكَ التي

تغتال أصوات البلايل؟

*

أين السموأل؟

والمههل؟

والغطاريف الأوائل؟

فقبائلٌ أكلتُ قبائل..

وئعالب قتلل ئعالب..

وعناكب قتلل عناكب..

*

قسماً بعينيك اللتين إليهما..

تاوي ملايين الكواكب..

سأقول، يا قمري، عن العرب العجائب

فهل البطولة كذبة²⁸ عربية²⁹؟

أم مثلنا التاريخ كاذب؟.

*

بلقيس

لا تتغيبني عني

فإن الشمس بعدك
لا تضيءُ على السَّواحلِ..

*

سأقول في التحقيق:
إن اللصَّ يرتدي ثوب المقاتل
وأقول في التحقيق:
إن القائد الموهوب أصبح كالمقاول..

*

وأقول:
إن حكاية الإشعاع، أسخف نكتة قيلت..

فنحن قبيلة بين القبائل

هذا هو التاريخ.. يا بلقيس..

كيف يُفرق الإنسان..

ما بين الحقائق والمزابل

*

بلقيس..

أيتها الشهيدة.. والقصيدة..

والمطهرة النقية..

سبأ تفتش عن مليكتها

فردى للجماهير التحية..

*

يا أعظم الملكات..

يا امرأة تجسد كل أمجاد العصور السومرية

*

بلقيس..

يا عصفورتي الأحدى..

ويا أيقونتي الأعلى

ويا دمعا تناثر فوق خد المجدلية

*

أتراي ظلمتك إذ نقلتك

ذات يوم.. من ضفاف الأعظمية

بيروت.. تقتل كل يوم واحداً منا..

وتبحث كلَّ يومٍ عن ضحية

*

والموتُ.. في فنجان قهوتنا..

وفي مفتاح شفتنا..

وفي أزهار شُرُفتنا..

وفي ورق الجرائد..

والحروف الأبجدية..

*

ها نحن.. يا بلقيس..

ندخل مرةً أخرى لعصر الجاهلية..

ها نحن ندخل في التوحش..

والتخلف.. والبشاعة.. والوضاعة..
ندخل مرةً أخرى.. عصور البربرية..

*

حيث الكتابةُ رحلةٌ
بين الشظية.. والشظية
حيث اغتيال فرَاشةٍ في حقلها..
صار القضية..

*

هل تعرفون حبيبتى بلقيس؟
فهي أهم ما كتبوه في كتب الغرام

كانت مزيجاً رائعاً

بين القطيفة والرخام..

كان البنفسج بين عينيها

ينام ولا ينام..

*

بلقيس..

يا عطرا بذاكرتي..

ويا قبراً يسافر في الغمام..

قتلوك، في بيروت، مثل أي غزاةٍ

من بعدما.. قتلوا الكلام..

بلقيسُ..

ليست هذه مرثيةٌ

لكنّ..

على العرب السلام

*

بلقيس..

مشتاقون.. مشتاقون.. مشتاقون..

والبيتُ الصغير..

يسائل عن أميرته المعطرةِ الذبول

نصفي إلى الأخبار.. والأخبار غامضةٌ

ولا تروي فضول..

بلقيسُ..

مذبوحون حتى العظم..

والأولاد لا يدرون ما يجري..

ولا أدري أنا .. ماذا أقول؟

*

هل تقرعين الباب بعد دقائق؟

هل تخلعين المعطف الشتوي؟

هل تأتين باسمه ..

وناضرة ..

ومشرقةً كأزهار الحقل؟

*

بلقيس..

إن زُرُوعك الخضراء..

ما زالت على الحيطان باكية..

ووجهك لم يزل متنقلاً..

بين المرايا والستائر

حتى سجارتك التي أشعلتها..

لم تنطفئ..

ودخانها

ما زال يرفضُ أن يسافر

*

بلقيس..

مطعونون.. مطعونون في الأعماق..

والأحداق يسكنها الذهول

بلقيس..

كيف أخذتِ أيامي.. وأحلامي..

وألغيتِ الحدايقَ والفصول..

*

يا زوجتي..

وحبيبتي.. وقصيديتي.. وضياء عيني..

قد كنتِ عصفوري الجميل..

فكيف هربتِ يا بلقيس مني؟..

*

بلقيس..

هذا موعد الشاي العراقيّ المعطرّ..

والمعّق كالسلافة..

فمن الذي سيوزع الأقداح.. أيتها الزرافة؟

ومن الذي نقل الفرات لبيتنا..

وورود دجلة والرصافة؟

*

بلقيس..

إن الحزن يثقبني..

وبيروت التي قتلتك.. لا تدري جريمتها

وبيروت التي عشقتك..

تجهل أنها قتلت عشيقته..

وأطفأت القمر..

*

بلقيس..

يا بلقيس..

يا بلقيس..

كل غمامةٍ تبكي عليك..

فمن ترى يبكي علياً..

بلقيس.. كيف رحلت صامتةً

ولم تضيدي يدك.. على يدياً؟

*

بلقيس..

كيف تركتنا في الريح..

نرجفُ مثل أوراق الشجر؟

وتركتنا نحن الثلاثة - ضائعين

كريشة تحت المطر..

أتراك ما فكّرت بي؟

وأنا الذي يحتاج حبك.. مثل (زينب) أو (عمر)

*

بلقيس..

يا كنزاً خرافياً..

ويا رمحاً عراقياً..

وغابة خيزران..

يا من تحدّيتِ النجوم ترفعاً..

من أين جئت بكل هذا العنفوان؟

*

بلقيس..

أيها الصديقة.. والرفيقة..

والرفيقة مثل زهرة أقحوان..

ضاقت بنا بيروت.. ضاق البحر..

ضاقت بنا المكان..

بلقيس: ما أنت التي تتكررين..

فما لبلقيس اثنتان..

*

بلقيس..

تذبحني التفاصيل الصغيرة في علاقتنا..

وتجلدني الدقائق والثواني..

فكل دبوسٍ صغيرٍ.. قصةٌ

ولكل عقد من عقودك قصتان

*

حتى ملاقط شعرك الذهبي..

تغمرنني، كعادتها، بأمطار الحنان

ويعرش الصوت العراقيّ الجميل..

على الستائر..

وعلى المقاعد..

والأواني..

*

ومن المرايا تطلعين..

من الخواتم تطلعين..

من القصائد تطلعين..

من الشموع..

من الكؤوس..

من النبيذ الأرجواني..

*

بلقيس.. يا بلقيس..

لو تدرين ما وجع المكان..

في كل ركن.. أنت حائمة^{٢٨} كعصفور..

وعابقة^{٢٩} كغابة بيلسان..

*

فهنالك.. كنتِ تدخّنين..

هنالك.. كنتِ تطالعين..

هنالك.. كنتِ كنخلةٍ تتمشّطين..

وتدخلين على الضيوف..

كأنك السيف اليماني..

*

بلقيس..

أين زجاجة (الغيرلان)⁶⁸؟

والولاعة الزرقاء..

أين سيجارة الـ (كنت) التي

ما فارقت شفتيك؟

أين (الهاشمي) مغنياً..

فوق القوام المهرجان..

تتذكر الأمشاط ماضيها..

فيكرج⁶⁹ دمعها..

هل يا ترى الأمشاط من أشواقها أيضا تعاني؟

⁶⁸ الغيرلان Guerlain : ماركة عطر شهيرة لليوم.

⁶⁹ كرج الدمع على الخد يعني ينساب الدمع على الخد بسهولة .. و بسرعة.

بلقيس: صعبٌ أن أهاجر من دمي..

وأنا المُحاصرُ بين أسنة اللهب..

وبين أسنة الدخان..

*

بلقيس: أيتها الأميرة

ها أنت تحترقين.. في حرب العشيرة والعشيرة

ماذا سأكتب عن رحيل مليكتي؟

إن الكلام فضيحتي..

*

ها نحن نبحث بين أكوام الضحايا..

عن نجمةٍ سقطت..

وعن جسدٍ تناثر كالمرايا..

ها نحن نسأل يا حبيبة..
إن كان هذا القبرُ قبرك أنت
أم قبرَ العروبة..

*

بلقيس..
يا صفصافةً أرخت ضفائرها عليّ..
ويا زرافة كبرياء..
بلقيس:

إن قضاءنا العربي أن يغتالنا عربٌ..
ويأكل لحمنا عربٌ..
ويبقر بطننا عربٌ..

ويفتح قبرنا عرباً..

فكيف نفرّ من هذا القضاء؟

فالخنجر العربيُّ.. ليس يقيم فرقا

بين أعناق الرجال..

وبين أعناق النساء..

*

بلقيس:

إن هم فجروك.. فعندنا

كل الجنائز تبتي في كربلاء..

وتنتهي في كربلاء..

*

لن أقرأ التاريخ بعد اليوم

إنَّ أصابعي اشتعلت..

وأثوابي تغطيها الدماء..

ها نحن ندخل عصرنا الحجريّ..

نرجعُ كلَّ يومٍ ، ألف عام للوراء..

*

البحر في بيروت..

بعد رحيل عينيك استقال..

والشعر.. يسأل عن قصيدته

التي لم تكتمل كلماتها..

ولا أحدٌ.. يجيب على السؤال

*

الحزن يا بلقيس..

يعصر مهجتي كالبرتقالة..

الآن.. أعرف مأزق الكلمات

أعرف ورطة اللغة المحالة..

وأنا الذي اخترع الرسائل..

لست أدري.. كيف أبتدئ الرسالة..

*

السيف يدخل لحم خاصرتي

وخاصرة العبارة..

كلُّ الحضارة، أنت يا بلقيس، والأنثى حضارة..

بلقيس: أنت بشارتي الكبرى..

فمن سرق البشارة؟

أنت الكتابة قبلما كانت كتابة..

أنت الجزيرة والمنارة..

*

بلقيس:

يا قمري الذي طمروه ما بين الحجاره..

الآن ترتفع الستارة..

الآن ترتفع الستارة..

*

سأقول في التحقيق..

إني أعرف الأسماء.. والأشياء.. والسجناء..

والشهداء.. والفقراء.. والمستضعفين..

وأقول إني أعرف السيّاف قاتل زوجتي..

ووجوه كل المخبرين..

وأقول: إن عفافنا عهر..

وتقوانا قذارة..

وأقول: إن نضالنا كذبٌ

وأن لا فرق..

ما بين السياسة والدعارة!!

*

سأقول في التحقيق:

إني قد عرفت القاتلين

وأقول:

إنَّ زماننا العربيّ مختصُّ بذبح الياسمين

وبقتل كلِّ الأنبياء..

وقتل كلِّ المرسلين..

*

حتى العيون الخضراء..

يأكلها العرب

حتى الضفائر.. والخواتم

والأساور.. والمرايا.. واللُّعب..

حتى النجوم تخاف من وطني..

ولا أدري السبب..

*

حتى الطيور تفرُّ من وطني..

ولا أدري السبب..

حتى الكواكب.. والمراكب.. والسحب

حتى الدفاتر.. والكتب..

وجميع أشياء الجمال..

جميعها.. ضدَّ العرب..

*

لَمَّا تناثر جسمك الضوئي

يا بلقيس،

لؤلؤةً كريمة

فكَّرت: هل قتل النساء هوايةً عربيةً

أم أنا في الأصل، محترفو جريمة؟

*

بلقيس..

يا فرسي الجميلة.. إنني

من كلّ تاريخي خجول

هذي بلادٌ يقتلون بها الخيول..

هذي بلادٌ يقتلون بها الخيول..

*

من يوم أن نحروك..

يا بلقيس..

يا أهلك وطن..

لا يعرف الإنسان كيف يعيش في هذا الوطن..

لا يعرف الإنسان كيف يموت في هذا الوطن..

*

ما زلت أذفع من دمي..

أعلى جزاء

كي أسعد الدنيا.. ولكن السماء

شاءت بأن أبقى وحيداً..

مثل أوراق الشتاء

*

هل يولد الشعراء من رحم الشقاء؟

وهل القصيدة طعنة

في القلب.. ليس لها شفاء؟

أم أنني وحدي الذي

عيناه تختصران تاريخ البكاء؟

*

سأقول في التحقيق:

كيف غزالتني ماتت بسيف أبي لهب

كيف اللصوص من الخليج إلى المحيط

يدمرون.. ويحرقون..

وينهبون.. ويرتشون..

ويعتدون على النساء..

كما يريد أبو لهب..

*

كل الكلاب موظفون..

ويأكلون..

ويسكرون..

على حساب أبي لهب..

*

لا قمحة في الأرض..

تتبت دون رأي أبي لهب

لا طفل يولد عندنا

إلا وزارت أمه يوما..

فراش أبي لهب!!...!!

*

لا سجن يفتح..

دون رأي أبي لهب..

لا رأس يقطع

دون أمر أبي لهب..

*

سأقول في التحقيق:

كيف أميرتي اغتصبت

وكيف تقاسموا فيروز عينيها

وخاتم عرسها..

وأقول كيف تقاسموا الشعر الذي

يجري كأنهار الذهب..

*

سأقول في التحقيق:

كيف سطوا على آيات مصحفها الشريف

وأضرموا فيه اللهب..

سأقول كيف استنزفوا دمها..

وكيف استملكوا فمها..

فما تركوا به ورداً.. ولا تركوا عنب

*

هل موت بلقيس..

هو النصر الوحيد

بكل تاريخ العرب؟؟...

*

بلقيس..

يا معشوقتي حتى الثمالة..

الأنبياء الكاذبون..

يُقرِفون..

ويركبون على الشعوب

ولا رسالة..

*

لو أنهم حملوا إلينا..
من فلسطين الحزينة..
نجمة..
أو برتقالة..

*

لو أنهم حملوا إلينا
من شواطئ غزّة
حجراً صغيراً
أو محارة..

*

لو أنهم من ربع قرن حرّروا..

زيتونة..

أو أرجعوا ليمونة

ومحوا عن التاريخ عاره

لشكرت من قتلوك.. يا بلقيس..

يا معبودتي حتى الثمالة..

لكنهم.. تركوا فلسطين

ليغتالوا غزاة!!...!

*

ماذا يقول الشعر، يا بلقيس..

في هذا الزمان؟

ماذا يقول الشعر؟

في العصر الشعبيّ..

المجوسيّ..

الجبان..

*

والعالم العربيّ..

مسحوقٌ.. ومقموعٌ..

ومقطوع اللسان..

نحن الجريمة في تفوقها

فما (العقد الفريد).. وما (الأغاني)؟؟

*

أخذوك أيتها الحبيبة من يدي..

أخذوا القصيدة من فمي..

أخذوا الكتابة.. والقراءة..

والطفولة.. والأمان

*

بلقيس.. يا بلقيس..

يا دمعاً ينقُط فوق أهداب الكمان..

علّمت من قتلوك أسرار الهوى

لكنهم.. قبل انتهاء الشوط

قد قتلوا حصاني

*

بلقيس:

أسألك السماح، فربّما

كانت حياتك فديةً لحياتي..

إنّي لأعرف جيّداً..

أن الذين تورطوا في القتل، كان مرادهم

أن يقتلوا كلماتي!!!

*

نامي بحفظ الله.. أيتها الجميلة

فالشعر بعدك مستحيل..

والأنوثة مستحيلة

*

ستظلُّ أجيالٌ من الأطفال..

تسأل عن صفائك الطويلة..

وتظلُّ أجيالٌ من العشاق

تقرأ عنك.. أيتها المعلِّمة الأصبيلة..

*

وسيعرف الأعراب يوماً..

أنهم قتلوا الرسول..

قتلوا الرسول..

ق.. ت.. ل.. و.. ا

ال.. ر.. س.. و.. ل.. ة

1982

الفهرس

4 مقدمة الناقل الإلكتروني
7 إيضاح إلى قراء شعري
11 خبز وحشيش وقمر
18 قصة راشيل شوارزنبيرغ
28 رسالة جندي في جبهة السويس
34 جميلة بوحيرد
41 الحب والبتروول
46 هوامش على دفتر النكسة
62 الممثلون
74 الاستجواب
82 فتح
90 شعراء الأرض المحتلة
97 القدس
101 منشورات فدائية
124 عرس الخيول الفلسطينية
130 دعوة اصطياف للخامس من حزيران
135 حوار مع أعرابي أضاع فرسه
142 جريمة شرف أمام المحاكم العربية
153 الحاكم والعصفور
156 الوصية
166 الخطاب
176 بانتظار غودو
188 مورفين
190 قراءة أخيرة على أضرحة المجاذيب
198 حوار مع ملك المغول
201 إلى الجندي العربي المجهول
204 طريق واحد
209 لصوص المتاحف
210 تعريف غير كلاسيكي للوطن

212	خطاب شخصي إلى شهر حزيران
214	قصيدة اعتذار لأبي تمام
223	جمال عبد الناصر
232	الهرم الرابع
237	رسالة إلى جمال عبد الناصر
244	إليه في يوم ميلاده
252	إفادة في محكمة الشعر
269	من مفكرة عاشق دمشقي
279	ترصيع بالذهب على سيف دمشقي
302	ملاحظات في زمن الحب والحرب
319	حوار ثوري مع طه حسين
337	مرسوم بإقالة خالد بن الوليد
344	مواويل دمشقية إلى قمر بغداد
358	موال دمشقي
361	موال بغدادي
365	أوراق أسبانية
370	أحزان في الأندلس
374	غرناطة
379	يا ست الدنيا يا بيروت
391	سبع رسائل ضائعة في بريد بيروت
406	بيروت محظيتكم .. بيروت حبيبتي
418	إلى بيروت الأثني مع الاعتذار
421	أنا يا صديقة متعب بعروبتى
438	المهرولون
450	المتنبى وأم كلثوم على قائمة التطبيع
471	اليوميات السرية لبهية المصرية
486	بلقيس

جميع حقوق النقل الإلكتروني محفوظة لـ:

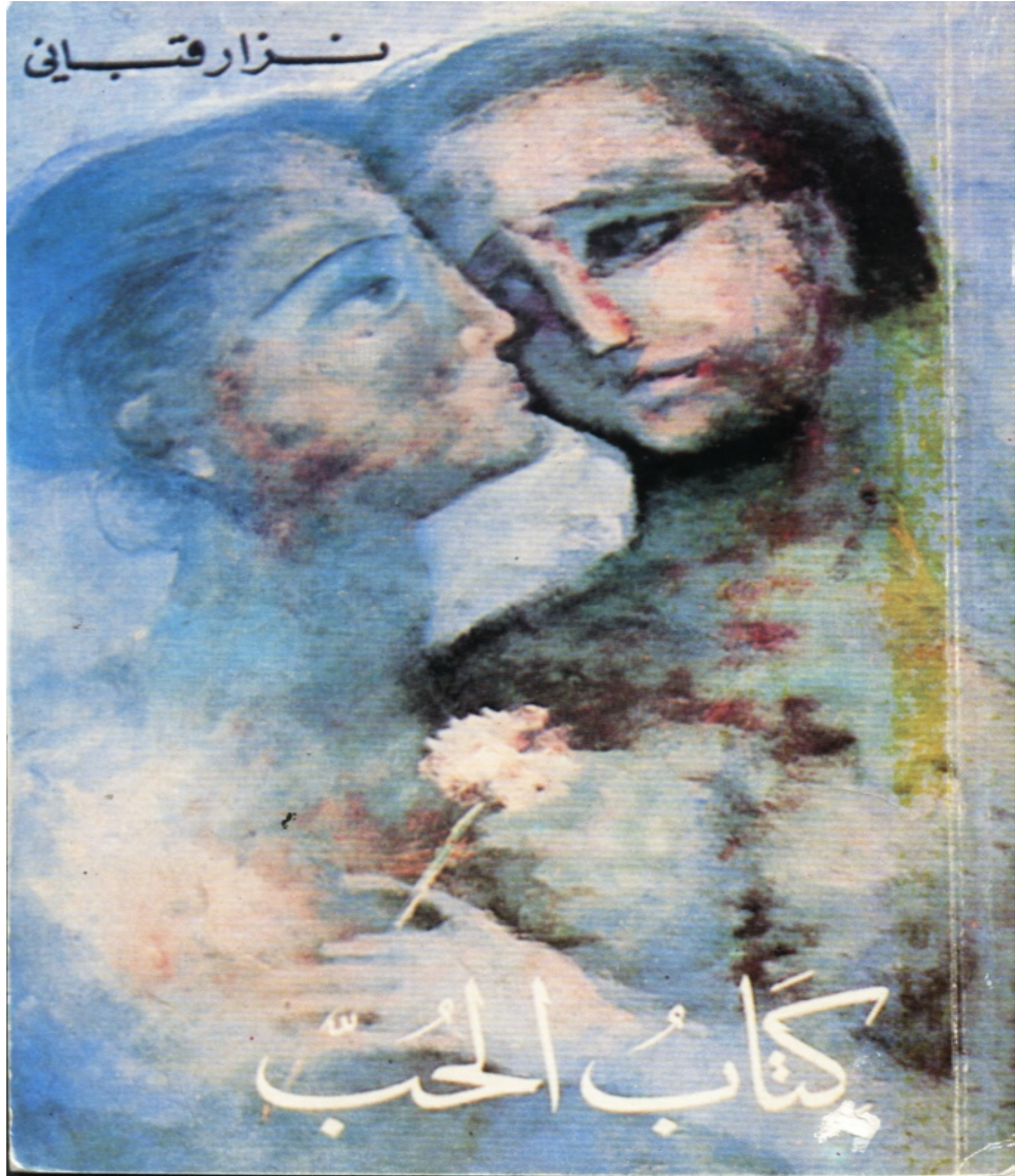
ahmed15091981@yahoo.com

ومدونة العلم هو القوة

<http://nermeen.nireblog.com>

نزار قباني

كتاب الحب



إلى نروجتى الغالية

بلقيس

مرفقة العمر

ومرفقة الشعر

نرام

(كتاب الحب) محاولة لكتابة القصيدة العربية بشكل جديد ، وإلباسها ثوباً عصرياً ومريحاً وعملياً ، بعد أن أرهق جسد القصيدة العربية طوال عصور بأثواب مفرطة في طولها واتساعها ورداءة قصتها .
والواقع أن القطاع الأكبر من شعرنا العربي التقليدي استهلك من القماش اللغوي ما يكفي لكساء كل سكان الصين ...
هذا التبذير في استعمال اللغة إلى درجة الإنهاك ، جعل قصائدنا – كعباءتنا – لا يسكن فيها جسد صاحبها فحسب ، وإنما جسد القبيلة كلها .
ويا طالما بحثت منذ أن بدأت في كتابة الشعر ، عن معادلة شعرية يكون فيها اللابس والملبوس قطعة واحدة ليس فيها تنوعات ، ولا حواشي . ولا زوائد بلاغية متهذلة .
كنت دائماً أحلم بشعر عربي تكون فيه مساحة الكلمة بمساحة الانفعال ، وحجم الصوت الشعري بحجم فم الشاعر .. وبحجم هواجسه .
كنت أؤمن أن الشعر لمطّ صوته بطريقة مسرحية ، ومدّ انفعاله على سطح أوسع يخرج من حديقة الشعر ويدخله في سراديب الثرثرة الشعرية .
الثرثرة الشعرية هي فجيعة شعرنا العربي .. ونظرة واحدة إلى أهرامات القصائد العربية القديمة توضح لنا أننا تكلمنا أكثر من اللازم ..
الشعر هو خلاصة الخلاصة .. كما قلت .
لذلك كان أعظم الشعراء هم أولئك الذين كتبوا بيت شعر واحداً .. وماتوا بعد كتابته مباشرة ..
ليس من وظيفة الشعر أن يشرح كل شيء وبكلمة أدق .. أن يقتل كل شيء ..
الشرح الطويل عمل من أعمال البيغوات ، والعجائز ، ونشرات الأخبار ..
وظيفة الشعر هي أن يعطيك بطاقة سفر .. دون أن يتدخل في تفاصيل الرحلة ، ومواعيد القطارات التي ستركبها ، وأسماء الفنادق التي ستنزل فيها ..
وظيفة الشعر .. هي أن يضع أمامك الزجاجاة والكأس .. ويتركك تسكر على طريقتك ..
وظيفة الشعر أن يضع في إصبعك خاتم سليمان .. وعليك أنت أن تستحضر المارد .. وتطلب منه ما تريد من لبن وعسل وحوريات ..

اللغة الشعرية .. لغة إشارات ضوئية . واللاعب الكبير فيها هو الذي يحتفظ بالقدرة على الصمت ويعرف متى يلقي ورقة الدهشة .
الكلام الكثير على طاولة الشعر .. كالكلام الكثير على طاولة القمار .. لا يجلب سوى الخراب .

الكلام الكثير فيه مقتلنا .. هذا شيء معروف . ومعروف أيضاً ، أن القوائد الأكثر فشلاً في تاريخنا الشعري هي القوائد التي تحولت إلى نوع من الجرائد اليومية .. إلى نوع من أجهزة الإعلام . هي القوائد التي تعطل جهاز الرقابة الداخلية فيها .

*

في هذا الكتاب تؤدي اللقطة الشعرية عمل جهاز الإضاءة الـ Flash في كاميرا التصوير .. ويصبح الشعر إضاءة سريعة عمرها ثانية أو جزء من أجزاء الثانية .

اللقطة الشعرية هنا .. برق .. ورفعة جفن .. والتماعة سيف . إنها طيران عصفور .

ربما لم يتعود القارئ العربي المرتبط تاريخياً ووراثياً بالألفيات ، والمعلقات .. على طيران العصافير .. هذا لا يهم . إنه سيتعود عليه ..
ومثلما قبل الذوق العربي ، تلك الثورة المدهشة التي قام بها الشعر العربي على نفسه ، خلال العشرين عاماً الأخيرة وغير بها جلده وثيابه .. فإنه سيرحب حتماً بكل حركة شعرية تزيد ارتباطه بالعصر .

من ذا الذي يرفض وثوب الخيل .. وطيران العصافير ؟

*

والحب في قصائد هذا الكتاب ليس الحب القديم الذي يقف أمام خيمة الحبيبة ، أو تحت شباكها عشر ساعات .. حتى تمل الحبيبة .. ويمل الشباك ..
الحب هنا ، بحمل كل ملامح عصرنا من سرعة وإيجاز .. وتوتر .. وكثافة ..
الحب هنا ، ليس لديه الوقت لكتابة المكاتيب .. وفتح الفناجين .. إن يستعمل الأسلوب البرقي في مخاطبة الحبيبة ..
لغة العشق في هذا الكتاب مكثفة ومضغوطة كما لم يحدث في تاريخ العشق وتاريخ البوح ..

وربما قصدت من كتابة هذا الكتاب ، أن يكون قاموساً موجزاً وعصرياً للعشق ، يرجع إليه العشاق المعاصرون ليتعلموا منه كيف يقولون بكلمة واحدة .. ما كانوا يقولونه لحبيباتهم بكلمات ..

" قاموس العشق "

قد أكون طموحاً أكثر من اللازم ، ومغروراً أكثر من اللازم ..

ولكنني لا أراجع عن أحلامي بسهولة . فأنا منذ طفولتي أحلم بكتابة (نشيد
إنشاد) يحمل توقيعي .. وقد ظللت أطارد هذا الحلم حتى حولته إلى حقيقة .. من
الحبر و الورق ..
*

وبعد ، فهذا هو (نشيد إنشادي) ..
وأقول لكم ، بكل صدق و صفاء ، إنه أتعبني واستهلكني . لقد اشتغلت عليه كما
لم أشتغل على أي كتاب صد لي من قبل .
مزقت عشرات المسودات ، ورميت عشرات التصاميم التي لم تكن على درجة
من التركيز والكثافة تسمح لها بدخول هذا الكتاب المكون بالغرابة .
إن قصيدة تتألف من بيتين .. كانت تأخذ مني شهرين من العمل . ومن خلال
عملية الشطب ، والقص ، والتمزيق .. عرفت وجعاً جديداً لم أعرفه في كل
تاريخي الشعري . إنه وجع الإيجاز .. وجع إدخال الحياة كلها في خرم إبرة ..
هذا هو " نشيد إنشادي " أتركه على وسائد المحبين .. وأطفئ القنديل ..
وأنسحب .

نزار

-١-

ما دمت يا عصفورتي الخضراء
حبيبتي

إذن . . فإن الله في السماء

-٢-

تسألني حبيبتني :

ما الفرق بيني وما بين السماء ؟

الفرق ما بينكما

أنتك إن ضحكت يا حبيبتني

أنسى السماء

-٣-

الحب يا حبيبتني

قصيدة جميلة مكتوبة على القمر

الحب مرسوم على جميع أوراق الشجر

الحب منقوش على ..

ريش العصافير ، وحببات المطر

لكنّ أي امرأة في بلدي

إذا أحببت رجلاً

ترمى بجمسين حجر ..

-٤-

حين أن سقطت في الحب

تغيرت ..

تغيرت مملكة الرب

صار الدجى ينام في معطفي

وتشرق الشمس من الغرب ..

-٥-

يا رب . قلبي لم يعد كافياً
لأن من أحبها . . تعادل الدنيا
فضع بصدري واحداً غيره
يكون في مساحة الدنيا

-٦-

مازلت تسألني عن عيد ميلادي
سجل لديك إذن . . ما أنت تجهله
تاريخ حبك لي . . تاريخ ميلادي

-٧-

لو خرج المارد من قمقمه
وقال لي : لبيك
دقيقة واحدة لديك
تختار فيها كل ما تريده

من قطع الياقوت والزمرد
لاخترت عينيك . . بلا تردد . .

-٨-

ذات العينين السوداوين
ذات العينين الصاحيتين الممطرتين
لا أطلب أبداً من ربي
بإلا شيئين . .
أن يحفظ هاتين العينين
ويزيد بأيامي يومين
كي أكتب شعراً
في هاتين اللؤلؤتين . .

-٩-

لو كنت يا صديقتي

بمستوى جنوني . .

رميت ما عليك من جواهر

وبعت ما لديك من أساور

ونمت في عيوني

- ١٠ -

عدي على أصابع اليدين ، ما يأتي

فأولاً : حبيبتى أنت

وثانياً : حبيبتى أنت

وثالثاً : حبيبتى أنت

ورابعاً وخامساً

وسادساً وسابعاً

وثامناً وتاسعاً

وعاشراً . . حبيبتى أنت . .

- ١١ -

لأن كلام القواميس مات
لأن كلام المكاتيب مات
لأن كلام الروايات مات
أريد اكتشاف طريقة عشق
أحبك فيها . . بلا كلمات

- ١٢ -

أنا عنك ما أخبرتهم . . لكنهم
لمحوك تغتسلين في أحداقي
أنا عنك ما كلمتهم . . لكنهم
قرأوك في حبري وفي أوراقني
للحب رائحة . . وليس بوسعها
أن لا تفوح . . مزارع الدراق

-١٣-

أكره أن أحب مثل الناس
أكره أن أكتب مثل الناس
أود لو كان فمي كنيسة
وأحرفي أجراس ..

-١٤-

أشكوك للسماء
أشكوك للسماء
كيف استطعت كيف ، أن تختصري
جميع ما في الأرض من نساء

-١٥-

ذوبت في غرامك الأقلام
من أزرق .. وأحمر .. وأخضر ..

حتى انتهى الكلام
علقت حبي لك في أساور الحمام
ولم أكن أعرف يا حبيبي
أن الهوى يطير كالحمام

-١٦-

حبك يا عميقة العينين
تطرف
تصوف
عبادة
حبك مثل الموت والولادة
صعب بأن يعاد مرتين

-١٧-

عشرين ألف امرأة أحببت ..

عشرين ألف امرأة جربت
وعندنا التقت فيك يا حبيبي
شعرت أنني الآن قد بدأت . .

-١٨-

لقد حجزت غرفة في بيت القمر
نقضي فيه نهاية الأسبوع يا حبيبي
فنادق العالم لا تعجبني
الفندق الذي أحب أن أسكنه هو القمر
لكنهم هناك يا حبيبي
لا يقبلون زائراً يأتي بغير امرأة . .
فهل تجيئين معي . .
يا قمري . . إلى القمر ؟

-١٩-

لن تهربي مني . . فأني رجل مقدر عليك . .
لن تخلصي مني . . فإن الله قد أرسلني إليك . .
فمرة . . أطلع من أرنبتى أذنيك
ومرة أطلع من أساور الفيروز في يديك
وحين يأتي الصيف يا حبيبتى
أسبح كالأسماك في بحيرتي عينيك

- ٢٠ -

لو كنت تذكرين كل كلمة
لفظتها في فترة العامين
لو أفتح الرسائل الألف . . التي
كتبت في عامين كاملين
كنا بأفاق الهوى
طرنا حمامتين

وأصبح الخاتم في
إصبعك الأيسر . خاتمين

- ٢١ -

لماذا .. لماذا .. منذ صرت حبيبتى
يضيء مدادى .. والدفاتر تعشب
تغيرت الأشياء منذ عشقتنى
وأصبحت كالأطفال .. بالشمس أعب
ولست نبياً مرسلاً غير أنى
أصير نبياً .. عندما عنك أكتب .

- ٢٢ -

أحبتنى شاعراً طارت قصائده
فحاولى مرة أن تفهمى الرجال
وحاولى مرة أن تفهمى مللى

قد يعرف الله في فردوسه المملا
لي شهوتي مثلما للناس شهوتهم
ولست رباً خرافياً ولا بطلاً ..

- ٢٣ -

محفورة أنت على وجه يدي ..
كأسطر كوفية
على جدار مسجد ..
محفورة في خشب الكرمي .. يا حبيبتى
وفي ذراع المقعد ..
وكلما حاولت أن تبغدي
دقيقة واحدة
أراك في جوف يدي ..

- ٢٤ -

لا تحزني ..

إن هبط الرواد في أرض القمر

فسوف تبقيين بعيني دائماً

أحلى قمر ..

-٢٥-

حين أكون عاشقاً

أشعر أنني ملك الزمان

أمتلك الأرض وما عليها

وأدخل الشمس على حصاني

-٢٦-

حين أكون عاشقاً

أجعل شاه الفرس من رعيتي

وأخضع الصين لصولجاني

وأنتقل البحار من مكانها

ولو أردت أوقف الثواني

- ٢٧ -

حين أكون عاشقاً

أصبح ضوءاً سائلاً

لا تستطيع العين أن تراني

وتصبح الأشعار في دفاتري

حقل ميموزا وأقحوان

- ٢٨ -

حين أكون عاشقاً

تفجر المياه من أصابعي

وينبت العشب على لساني

حين أكون عاشقاً

أغدو زماناً خارج الزمان

- ٢٩ -

إني أحبك عندما تبكيننا
وأحب وجهك غائماً وحرزينا
الحزن يصهرنا معاً ويذنبنا
من حيث لا أدري ولا تدرينا
تلك الدموع الهاميات أحبها
وأحب خلف سقوطها تشرينا
بعض النساء وجوههن جميلة
وتصير أجمل .. عندما يبكيننا

- ٣٠ -

عمر وجهي ..
مثل عمر الأرض .. آلاف العصور

عمر حزني

مثل عمر الله . . أو عمر البحور

يوم ميلادي ، أنا أجهله

فالذي يحسب يا سيدتي

ليس عمري . . إنما عمر شعوري

- ٣١ -

أخطأت يا صديقتي بفهمي . .

فما أعاني عقدة

ولا أنا أوديب في غرائزي وحلمي

لكن كل امرأة أحببتها

أردت أن تكون لي

حببتي وأمي . .

من كل قلبي أشتهي

لو تصبحين أُمي . .

- ٣٢ -

جميع ما قالوه عني . . صحيح

جميع ما قالوه عن سمعتي

في العشق والنساء . قول صحيح

لكنهم لم يعرفوا أنني

أنزف في حبك مثل المسيح

- ٣٣ -

يحدث أحياناً أن أبكي

مثل الأطفال بلا سبب

يحدث أن أسأم من عينيك الطيبتين

بلا سبب . .

يحدث أن أتعب من كلماتي . .

من أوراقى . . من كئى
يحدث أن أتعب من تعبى . .

-٣٤-

عيناك مثل الليلة الماطرة
مراكبى غارقة فيها . .
كتاباتى منسية فيها . .
إن المرايا ما لها ذاكرة . .

-٣٥-

كئبت فوق الريح
إسم التى أحبها
كئبت فوق الماء
لم أدر أن الريح
لا تحسن الإصغاء

لم أدر أن الماء
لا يحفظ الأسماء ..

-٣٦-

ما زلت يا مسافرة
ما زلت بعد السنة العاشرة
مزروعة كالرمح في الخاصرة

-٣٧-

كرمال هذا الوجه والعينين
قد زارنا الربيع هذا العام مرتين
وزارنا النبي مرتين

-٣٨-

أهطل في عينيك كالسحابة
أحمل في حقائي إليهما

كنزاً من الأحزان والكتابة
أحمل ألف جدول
وألف ألف غابة
وأحمل التاريخ تحت معطفي
وأحرف الكتابة

- ٣٩ -

أروع ما في حبنا أنه
ليس له عقل ولا منطق
أجمل ما في حبنا أنه
يمشي على الماء ولا يغرق

- ٤٠ -

لا تقلقي . . يا حلوة الحلوات
ما دمت في شعري وفي كلماتي

قد تكبرين مع السنين . . وإنما
لم تكبري أبداً . . على صفحتي

-٤١-

ليس يكفيك أن تكوني جميلة
كان لا بد من مرورك يوماً
بذراعي . .

كي تصيري جميلة

-٤٢-

وكلما سافرت في عينيك يا حبيبي
أحس أنني أركب سجادة سحرية
فغيمة وردية ترفعني
وبعدها . . تأتي البنفسجية
أدور في عينيك يا حبيبي

أدور مثل الكرة الأرضية ..

-٤٣-

كم تشبهين السمكة
سريعة في الحب .. مثل السمكة
جبانة في الحب .. مثل السمكة
قلت ألف امرأة .. في داخلي
وصرت أنت الملكة ..

-٤٤-

أني رسول الحب ..
أحمل للنساء مفاجاتي
لو أنني بالخمر .. لم أغسلهما
نهداك .. ما كانا على قيد الحياة
فإذا استدارت حلمتك

فتلك أصغر معجزاتي . .

-٤٥-

أجمل ما فيك هو الجنون

أجمل ما فيك - إذا سمحت لي -

خروج نهديك على القانون . .

-٤٦-

تعري . . فمنذ زمان طويل

على الأرض لم تسقط المعجزات

تعري . . تعري

أنا أخرس

وجسمك يعرف كل اللغات

-٤٧-

كان نهداك . . في العصور الخوالي

ينشدان السلام مثل الحمامة
كيف ما بين ليلة وضحاها
صار نهداك .. مثل يوم القيامة ؟

-٤٨-

ضعي أظافرك الحمراء .. في عنقي
ولا تكوني معي شاةً .. ولا حملاً
وقاوميني ، بما أوتيت من حيلٍ
إذا أتيتك كالبركان مشتعلاً
أحلى الشفاه التي تعصي .. وأسوأها
تلك الشفاه التي دوماً تقول : بلى

-٤٩-

كم تغيرت بين عام وعام
كان همي أن تخلعي كل شيء

وتظلي كغابة من رخام
وأنا اليوم لا أريدك إلا
أن تكوني . . إشارة استفهام

-٥٠-

. . وكلما انفصلت عن واحدة
أقول في سذاجة :
" سوف تكون المرأة الأخيرة "
" والمرأة الأخيرة . . "
وبعدها . . سقطت في الغرام ألف مرة
ومت ألف مرة . .
ولم أزل أقول :
" تلك المرة الأخيرة . . "

-٥١-

عبثاً ما أكتب سيدتي
إحساسي أكبر من لغتي
وشعوري نحوك يتخطى
صوتي .. يتخطى حنجرتي
عبثاً ما أكتب .. ما دامت
كلماتي .. أوسع من شفتي
أكرها كل كتاباتي
مشكلتي أنك مشكلتي

-٥٢-

لأن حبي لك فوق مستوى الكلام
قررت أن أسكت ..
والسلام ..

***** النهاية *****

NIZARQ.COM



موقع الشاعر السوري



نزار قباني

هذا الكتاب تم تحميله **مجاناً** من :



وبالمقابل نطلب عند نشره إعطاء
ربط الموقع
وليس ربط التحميل

راجين من الله أن تستمتعوا بقراءة
هذه القصائد

ترا قباني



الطبعة الثالثة عشرة

كانون الثاني (يناير) ١٩٩٩

لأنني لا أمسحُ الغبارَ عن أحذية القياصره
لأنني أقاومُ الطاعونَ في مدينتي المحاصره
لأن شعري كلهُ ..
حربٌ عل المغول ، والتتار ، والبرابره
يشتمني الأقرام والسماسره ..

نزار

جمال عبد الناصر

(١)

قتلناك .. يا آخر الأنبياء
قتلناك ..
ليس جديداً علينا
اغتيال الصحابة والأولياء
فكم من رسول قتلنا ..
وكم من إمام ..
ذبحناه وهو يصلي صلاة العشاء
فتاريخنا كله محنة
وأيماننا كلها كربلاء ..

(٢)

نزلت علينا كتاباً جميلاً
ولكننا لا نجد القراءه ..
وسافرت فينا لأرض البراءه
ولكننا .. ما قبلنا الرحيل ..
تركناك في شمس سيناء وحدك ..
تكلم ريك في الطور وحدك
وتعري ..
وتشقى ..
وتعطش وحدك ..
ونحن هنا .. نجلس القرفصاء
نبيع الشعارات للأغبياء
ونحشو الجماهير تبناً وقشاً
ونتركهم يعلكون الهواء ..

(٣)

قتلناك ..
يا جبل الكبرياء
وآخر قنديل زيت ..
يضيء لنا في ليالي الشتاء

وآخرَ سيفٍ من القادسيه
وقلنا المنية ..
لماذا قبلتَ المجيءَ إلينا ؟
فمثلكَ كان كثيراً علينا ..
سقيناكَ سمَّ العروبة حتى شبعتُ ..
رميناكَ في نارِ عمّانَ .. حتى احترقتُ
أريناكَ غدرَ العروبة حتى كفرتُ
لماذا ظهرتَ بأرضِ النفاق ..
لماذا ظهرتَ ؟
فنحن شعوبٌ من الجاهليه
ونحن التقلبُ ..
نحن التذبذبُ ..
والباطنيه ..
نبايعُ أربابنا في الصباح
ونأكلهم حين تأتي العشيّة ..

(٤)

قتلناكَ ..
يا حبنا وهوانا ..
وكننتَ الصديقَ ، وكننتَ الصدوقَ ،
وكننتَ أبانا ..
وحينَ غسلنا يدينا .. اكتشفنا
بأننا قتلنا منانا ..
وأنّ دمائكَ فوق الوسادة ..
كانتُ دمانا
نفضتَ غبارَ الدراويشِ عنا
أعدتَ إلينا صباناً ..
وسافرتَ فينا إلى المستحيلِ
وعلمتنا الزهو والعنفوانا ..
ولكننا ..
حينَ طال المسيرُ علينا
وطالتْ أظفارنا .. ولحاننا
قتلنا الحصاناً ..

فتبت يدانا ..
فتبت يدانا ..
أتينا إليك .. بعاهاتنا ..
وأحقادنا .. وانحرافاتنا ..
إلى أن ذبحناك ذبحاً
بسيف أسانا ..
فليتك في أرضنا ما ظهرت ..
وليتك كنت نبي سوانا ...

(٥)

أبا خالد .. يا قصيدة شعر ..
تقال ..
فيخضر منها المداد ..
إلى أين ؟
يا فارس الحلم تمضي ..
وما الشوط . حين يموت الجواد ؟
إلى أين ؟
كلّ الأساطير ماتت ..
بموتك .. وانتحرت شهرزاد
وراء الجنازة .. سارت قريش
فهذا هشام ..
وهذا زياد ..
وهذا يريق الدموع عليك
وخنجره ، تحت ثوب الحداد
وهذا يجاهد في نومه ..
وفي الصحو ..
يبكي عليه الجهاد ..
وهذا يحاول بعدك ملكاً ..
وبعدك ..
كلّ الملوك رماذ ..
وقود الخوارج .. جاءت جميعاً
لتنظم فيك ..
ملاحم عشق ..

فمن كفروك ..
ومن خونوك ..
ومن صلبوك بباب دمشق ..
أنادي عليك .. أبا خالد
وأعرف أني أنادي بواذ
وأعرف أنك لن تستجيب
وأن الخوارق ليست تعاد ..

مرسالة إلى جمال عبد الناصر

(١)

والدُّنا جمالَ عبدَ الناصرُ :
عندي خطابٌ عاجلٌ إليك ..
من أرض مصرَ الطيبة
من ليلها المشغول بالفيروز والجواهر
ومن مقاهي سيدي الحسين ، من حدائق القناطر
ومن تُرع النيل التي تركتها ..
حزينة الضفائر ..
عندي خطابٌ عاجلٌ إليك
من الملايين التي قد أدمنت هوائك
من الملايين التي تريدُ أن تراك
عندي خطابٌ كلُّه أشجانُ
لكّني ..
لكّني يا سيدي
لا أعرفُ العنوانُ ...

(٢)

والدُّنا جمالَ عبدَ الناصرُ :
الزرعُ في الغيطان، والأولادُ في البلدُ
ومولدُ النبيّ، والمآذنُ الزرقاءُ ..
والأجراسُ في يوم الأحد ..
وهذه القاهرةُ التي غفّت ..
كزهرةٍ بيضاء.. في شعر الأبد ..
يسلمون كلهم عليك
يقبلون كلهم يديك ..
ويسألون عنك كلَّ قادمٍ إلى البلدُ
متى تعودُ للبلد؟ ...

(٣)

حمائمُ الأزهر يا حبيبنا .. تُهدي لكَ السلامَ
مُعديّاتُ النيل يا حبيبنا .. تُهدي لكَ السلامَ ..
والقطنُ في الحقول ، والنخيلُ ، والغمامُ ..
جميعُها .. جميعُها .. تُهدي لكَ السلامَ ..
كرسيكُ المهجورُ .. في منشيّةِ البكري ..
يبكي فارسَ الأحلامِ ..
والصبرُ لا صبرَ له .. والنومُ لا ينامُ
وساعةُ الجدار .. من ذهولها ..
ضيّعتِ الأيامُ ..
يا مَنْ سكنتَ الوقتَ والأيامَ
عندي خطابٌ عاجلٌ إليك ..
لكّني ...
لكّني يا سيّدي .. لا أجدُ الكلامَ ..
لا أجدُ الكلامَ ..

(٤)

والدُنا جمالَ عبدِ الناصرُ :
الحننُ مرسومٌ على الغيومِ ، والأشجارِ ، والستائرِ
وأنتَ سافرتَ ولم تسافرِ ..
فأنتَ في رائحةِ الأرضِ، وفي تفتُّحِ الأزاهرِ ..
في صوتِ كلِّ موجةٍ ، وصوتِ كلِّ طائرٍ
في كتبِ الأطفالِ، في الحروفِ ، والدفاترِ
في خضرةِ العيونِ، وارتعاشةِ الأساورِ ..
في صدرِ كلِّ مؤمنٍ، وسيفِ كلِّ ثائرٍ ..
عندي خطابٌ عاجلٌ إليك ..
لكّني ..
لكّني يا سيّدي ..
تسحقّني مشاعري ..

(٥)

يا أيها المعلمُ الكبيرُ
كم حزُّنا كبيرُ ..
كم جرحُنا كبيرُ ..
لكننا

نقسمُ باللهِ العليِّ القديرِ
أن نحبسَ الدموعَ في الأحداقِ ..
ونخنقَ العبرةَ ..
نقسمُ باللهِ العليِّ القديرِ ..
أن نحفظَ الميثاقَ ..
ونحفظَ الثورةَ ..
وعندما يسألنا أولادنا
من أنتم؟

في أيِّ عصرٍ عشتُمُ..؟
في عصرٍ أيِّ ملهم؟
في عصرٍ أيِّ ساحر؟

نجيبُهُم: في عصرِ عبدِ الناصر ..
الله .. ما أروعها شهادةً
أن يوجدَ الإنسانُ في عصرِ عبدِ الناصر ..

الهرم الرابع

(١)

السيدُ نامُ
السيدُ نامُ
السيدُ نامُ كنومِ السيفِ العائدِ من إجدى الغزواتِ
السيدُ يرقدُ مثلَ الطفلِ الغافي.. في حُصنِ الغاباتِ
السيدُ نامُ ..
وكيفَ أُصدّقُ أنّ الهرمَ الرابعَ مات؟
القائدُ لم يذهبُ أبداً ..
بل دخلَ الغرفةَ كي يرتاحُ
وسيصحو .. حينَ تطلُّ الشمسُ
كما يصحو عطرُ التفاحِ ..
الخبزُ سيأكلهُ معنا ..
وسيشربُ قهوتَهُ معنا ..
ونقولُ له ..
ويقولُ لنا ..
القائدُ يشعرُ بالإرهاقِ ..
فخلوهُ يغفو ساعاتُ ..

(٢)

يا مَنْ تبكونَ على ناصرٍ ..
السيدُ كانَ صديقَ الشمسِ ..
فكفّوا عن سكبِ العبراتِ ..
السيدُ ما زالَ هنا ..
يتمشّي فوقَ جسورِ النيلِ ..
ويجلسُ في ظلِّ النخلاتِ ..
ويزورُ الجيزةَ عندَ الفجرِ ..
ليلثمَ حجرَ الأهراماتِ ..
يسألُ عن مصرٍ .. ومَنْ في مصرٍ ..
ويسقي أزهارَ الشرفاتِ ..
ويصلي الجمعةَ والعيدينِ ..
ويقضي للناسِ الحاجاتِ

ما زالَ هُنَا عَبْدُ النَّاصِرِ ..
في طمي النيل، وزهر القطن ..
وفي أطواق الفلاحات ..
في فرح الشعب ..
وحزن الشعب ..
وفي الأمثال ، وفي الكلمات ..
ما زالَ هُنَا عَبْدُ النَّاصِرِ ..
من قالَ الهرمُ الرابعُ مات؟

(٣)

يا مَنْ يتساءلُ : أينَ مضى عبدُ الناصرِ ؟
يا مَنْ يتساءلُ :
هلْ يأتي عبدُ الناصرِ ..
السيدُ موجودٌ فينا ..
موجودٌ في أرغفة الخبز ..
وفي أزهار أوانينا ..
مرسومٌ فوقَ نجومِ الصيفِ،
وفوقَ رمالِ شواطئنا ..
موجودٌ في أوراقِ المصحفِ ..
في صلواتِ مُصلينا ..
موجودٌ في كلماتِ الحبِّ ..
وفي أصواتِ مُغنيننا ..
موجودٌ في عرقِ العمالِ ..
وفي أسوانٍ .. وفي سينا ..
مكتوبٌ فوقَ بناقدنا ..
مكتوبٌ فوقَ تحدينا ..
السيدُ نامَ .. وإن رجعتُ
أسرابُ الطيرِ .. سيأتينا ..

الحاكم والعصفور

أتجولُ في الوطن العربيّ
لأقرأ شعري للجمهور
فأنا مقتنِعُ
أنَّ الشعرَ رَغيفٌ يُخبزُ للجمهور
وأنا مقتنِعُ – منذُ بدأتُ –
بأنَّ الأحرفَ أسماكُ
وبأنَّ الماءَ هوَ الجمهورُ

*

أتجولُ في الوطن العربيّ
وليسَ معي إلا دفتري
يُرسلني المخفرُ للمخفرُ
يرميني العسكرُ للعسكرُ
وأنا لا أحملُ في جيبِي إلا عصفورُ
لكنَّ الضابطُ يوقفني
ويريدُ جوازاً للعصفورُ
تحتاجُ الكلمةُ في وطني
لجوازِ مرورُ

*

أبقى ملحوشاً ساعاتٍ
منتظراً فرمانَ المأمورُ
أتأملُ في أكياسِ الرملِ
ودمعي في عينيَّ بحورُ
وأمامي كانتُ لافتةُ
تتحدّثُ عن (وطنٍ واحدٍ)
تتحدّثُ عن (شعبٍ واحدٍ)
وأنا كالجرذِ هنا قاعدُ

أَتْقِيأُ أَحْزَانِي ..
وَأَدُوسُ جَمِيعَ شَعَارَاتِ الطَّبْشُورِ
وَأُظَلُّ عَلَى بَابِ بِلَادِي
مَرْمِيًّا ..
كَالْقَدْحِ الْمَكْسُورِ

مورفين

اللفظة طابة مطاط ..
يقذفها الحاكم من شرفته للشارع ..
وراء الطابة يجري الشعب
ويلهث .. كالكلب الجائع ..

*

اللفظة ، في الشرق العربي
أراجوز بارع
يتكلم سبعة ألسنة ..
ويطل بقبعة حمراء
ويبيع الجثة للبسطاء
وأساور من خرز لامع
ويبيع لهم ..
فئراناً بيضاً .. وضافدع
اللفظة جسد مهترئ
ضاجعه كتاب ، والصحفي
وضاجعه شيخ الجامع ..

*

اللفظة ابرة مورفين
يحققها الحاكم للجمهور ..
من القرن السابع
اللفظة في بلدي امرأة
تحترف الفحش ..
من القرن السابع ..

الوصية

(١)

أفتح صندوقَ أبي
أمزقُ الوصيةَ
أبيعُ في المزادِ ما ورثتهُ :
مجموعةَ المسابحِ العاجيةِ
طربوشهُ التركيِّ ، والجواربُ الصوفيةِ
وعلبهُ النشوقِ ، السماورُ العتيقُ، والشمسيةِ
أسحبُ سيفي غاضباً
وأقطعُ الرؤوسَ ، والمفاصلَ المرخيةِ
وأهدمُ الشرقَ على أصحابهِ
تكيَّةً .. تكيَّةً ..

(٢)

أفتحُ صندوقَ أبي
فلا أرى ..
إلا دراويشَ ومولويةَ
والعودَ، والقانونَ، والبشارفَ الشرقيةِ
وقصَّةَ الزيرِ على حصانهِ ..
وعاطلينَ يشربونَ القهوةَ التركيةِ
أسحبُ سيفي غاضباً
وأقتلُ المعلقاتِ العشرَ .. والألفيةَ
وأقتلُ الكهوفَ، والدفوفَ،
والأضرحةَ الغبيةَ ..

(٣)

أفتحُ تاريخَ أبي
أفتحُ أيامَ أبي
أرى الذي ليسَ يُرى :
أدعيةٌ . مدائحُ دينيةِ
أوعيةٌ . حشائشُ طبيةِ
أدويةٌ للقدرةِ الجنسيةِ

أبحثُ عن معرفةٍ تنفعُنِي
أبحثُ عن كتابَةٍ
تُخصُّ هذا العصرَ .. أو تخصُّني
فلا أرى حولي سوى ..
رملٍ وجاهليَّةٍ ..

(٤)

أرفضُ ميراثَ أبي ..
وأرفضُ الثوبَ الذي ألبسُنِي
وأرفضُ العلمَ الذي علَّمَنِي
وكلَّ ما أورتَنِي ..
من عُقدٍ جنسيَّةٍ
أرفضُ ألفَ ليلةٍ ..
والقمقمَ العجيبَ ، والماردَ ،
والسجادةَ السحريَّةَ
أرفضُ سيفَ الدولةِ المغرورَ
والقصائدَ الذليلةَ الغبيَّةَ
أحرقُ رسمَ أسرتي
أحرقُ أبجديَّتِي
ومن فلسطينَ ومن صمودِها ..
من طلقاتِ النارِ في جروديها ..
من قمحِها المغموسِ بالدمعِ ،
ومن ورودِها
أصنعُ أبجديَّةً ..

(٥)

أدخلُ مثلَ البرقِ من نافذةِ الخليفةِ
أراهُ لا يزالُ مثلما تركنهُ
منذُ قرونٍ سبعةٍ
مضاجعاً جاريةً روميَّةَ
أقرأُ آياتٍ من القرآنِ فوقَ رأسِهِ
مكتوبةً بأحرفِ كوفيَّةٍ
عن الجهادِ في سبيلِ اللهِ ، والرسولِ ،

والشريعة الحنفيَّة
أقولُ في سريرتي :
" تباركَ الجهادُ في النُّحورِ ، والأثداءِ
والمعاصمِ الطريَّةِ ..
يا حضرةَ الخليفةُ
أعبرُ من سراديقِ الحريمِ كالمنيَّةِ
أمشي على الأبدانِ ، والغلمانِ ،
والأساورِ المرميَّةِ
أمشي على ..
توجُّعِ الحريرِ والقטיפَةِ
أدخلُ مثلَ الموتِ من نافذةِ الخليفةِ
يحسبني مُرتزقاً
دَبَّجتُ في مديحِهِ قصيدةً همزيَّةً
يأمرُ لي
من بيتِ مالِ المؤمنينَ كلَّ ما أطلبُهُ
عباءةً من قَصَبِ
وساعةً من دَهَبِ
ومن نساءِ قصرِهِ محظيَّةُ
أبصقُ فوقَ وجهِهِ
وفوقَ وجهِ الدولةِ العليَّةِ
من أنتَ ؟
يا سيِّافُ .. إقطعُ رأسَهُ
وهاتِ لي الرأسَ على صينيَّةِ
يا مَلِكَ الزمانِ .. إنْ قتلْتني
فمستحيلٌ تقتلُ الحريَّةَ .

(٦)

فم يا طويلَ العُمرِ ..
من حُجرتِكَ الورديةِ
وافتحُ شبابيكَكَ ..
للشمسِ ، وللعدلِ ، وللرعيَّةِ
فما رآكَ الشعبُ منذُ آخرِ أيامِ بني أميَّةِ
هل أنتَ حقاً من بني أميَّةِ ؟

أخرج إلى الشارع يا أميرنا
واقراً ..
ولو صحيفةً يوميةً
إقرأ ..
عن السويس ، والأردن ، والجولان
والمدائن السبيّة
عن الذين يعبرون النهر ..
نحو الضقة الغربية
خريطة صغيرة ..
للضقة الغربية ؟

بانتظار غودو

١

ننتظرُ القطارُ
ننتظرُ المسافرَ الخفيَّ كالأقدارُ
يخرجُ من عباءةِ السنينُ
يخرجُ من بدرٍ ، من اليرموكِ ،
من حطينٍ ..
يخرجُ ..
من سيفِ صلاحِ الدينِ ..
من سنةِ العشرينِ
ونحنُ مرصوصونَ ..
في محطةِ التاريخِ ، كالسردينِ ..
يا سيّداتي سادتي :
هل تعرفونَ ما حُرّيّةُ السّردينِ ؟
حينَ يكونُ المرءُ مضطراً
لأن يقولَ رَغَمَ أنفهَ : (أمينُ)
حينَ يكونُ الجرحُ مضطراً
لأن يُقبَلَ السكّينُ ..
يا سيّداتي سادتي :
من سنةِ العشرينِ
ونحنُ كالدجاجِ في أقفاصنا
ننظرُ في بلاهةٍ
إلى خطوطِ سكةِ الحديدِ
أفقّيّةً حيائناً ..
مثلَ خطوطِ سكةِ الحديدِ
ضيقةٌ .. ضيقةٌ
مثلَ خطوطِ السكةِ الحديدِ
ساعاتنا واقفةٌ
لا الله يأتينا .. ولا موزعُ البريدِ
من سنةِ العشرينِ ، حتى سنةِ السبعينِ
نجلسُ في انتظارِ وجهِ الملكِ السعيدِ

كلُّ الملوكِ يشبهونَ بعضهم
والملكُ القديمُ ، مثلُ الملكِ الجديدِ

٢

ننتظرُ القطارُ
ونحملُ البيارقَ الحمراءً ، والأزهارُ
تمضُنا مكبراتُ الصوتِ في الليلِ
وفي النهارِ
تنشرُنا إذاعةُ الدولةِ بالمنشارِ
إنتبهوا !
إنتبهوا !
خمسِينَ يوماً - ربّما - تأخّرَ القطارُ
خمسِينَ يوماً - ربّما - تأخّرَ القطارُ
تقيّحتُ أفخادُنا من كثرةِ الجلوسِ
تقيّحتُ ..
في رأسنا الأفكارُ
وصارَ لحمُ ظهرنا
جزءاً من الجدارِ
جاؤوا بنا عشرينَ ألفَ مرّةً
تحتَ عويلِ الريحِ والأمطارِ
واستأجروا الباصاتِ كي تنقلنا
ووزّعوا الأدوار ..
وعلمونا .. كالقروِدِ الرقصِ
والعزفِ على المزمارةِ
ودربّونا ..
- ككلابِ الصيدِ - كيفَ ننحني
للقادِمِ المسكونِ بالدهشةِ والأسرارِ
إذا أتى القطارُ ..

٣

لم نرهُ ..
لكنَّ من رأوه فوقَ الشاشةِ الصغيرةِ
يبتلعُ الزجاجَ ..

أو يسيرُ كالهنودِ فوقَ النارِ
ويُخرجُ الأرانِبَ البيضاءَ من جيوبه
ويقلبُ الفحمَ إلى نُصارِ
يؤكِّدونَ أنَّه ..
من أولياءِ الله .. جلَّ شأنه
وأنَّ نورَ وجهه يحيرُ الأبصارَ ..
وأنَّه سيحملُ القمحَ إلى بيوتنا
والسمنَ .. والطحينَ .. بالقنطارِ
ويجعلُ العميانَ يبصرونَ
ويجعلُ الأمواتَ ينهضونَ
ويزرعُ الحنطةَ في البحارِ
وأنَّه - في سنواتِ حكمه -
يُدخلنا الجنةَ ..
من تحتها تنسكبُ الأنهارُ
لم نره ..
ولم نقبلُ يدهُ
لكنَّ مَنْ تبرَّكوا يوماً به ..
قالوا بأنَّ صوتهُ
يُحركُ الأحجارَ ..
وأنَّه ..
وأنَّه ..
هوَ العزيزُ الواحدُ القهارُ ..

٤

ننتظرُ القطارَ
مكسورةً - منذُ أتينا - ساعةَ الزمانِ
والوقتُ لا يمرُّ ..
والثواني ما لها سيقانُ
تعلُّنا ..
تنهئنا ..
مكبراتُ الصوتِ بالأسنانِ ..
إنتبهوا !
إنتبهوا !

لا أحدٌ يقدرُ أن يغادرَ المكانَ
ليشتري جريدةً ..
أو كعكةً ..
أو قطعةً صُغرى من اللبانِ
لربِّه ، لا أحدٌ ، يقدرُ أن يقولَ :
(يا ربِّاه)
لا أحدٌ ..
يقدرُ أن يدخلَ ، حتَّى ، دورةَ المياهِ ..
تعالَ يا غودو ..
وخلصنا من الطغاةِ والطغيانِ
ومن أبي جهلٍ ، ومن ظلمِ أبي سُفيانِ
فحنُّ محبوسونَ في محطةِ التاريخِ كالخرفانِ
أولادنا ناموا على أكتافنا ..
رئائنا .. تسممتُ بالفحمِ والدخانِ
والعرَضَحالاتُ التي نحملها
عن قلةِ الدواءِ ..
والغلاءِ ..
والحرمانِ ..
صاَدَرها مرافقو السلطانِ
تعالَ يا غودو .. وجفِّفْ دمعنا
وأنقذِ الإنسانَ من مخالبِ الإنسانِ

٥

تعالَ يا غودو ..
فقد تخشبتُ أقدامنا انتظارُ
وصارَ جلدُ وجهنا ..
كقطعةِ الآثارِ ..
تبخرتُ أنهارنا
وهاجرتُ جبالنا
وجفَّتِ البحارُ
وأصبحتُ أعمارنا ليسَ لها أعمارُ
تعالَ يا غودو .. فإنَّ أرضنا
ترفضُ أن تزورها الأمطارُ

ترفضُ أن تكبرَ في تراينا الأشجارُ
تعالَ .. فالنساءُ لا يحبلنَ ..
والحليبُ لا يدرُ في الأبقارُ
إن لم تجئُ من أجلنا نحنُ ..
فمن أجل الملايين من الصغارُ
من أجل شعبِ طيبٍ ..
ما زالَ في أحلامه
يُقرقشُ الأحجارُ
يقرقشُ المعلقاتِ العشرَ ..
والجرائدَ القديمة
ونشرة الأخبارِ ..

قراءة أخيرة على أضرحة المجاذيب

(١)

أرفضكم جميعكم
وأختمُ الحوارُ
لم تبقَ عندي لغةٌ
أضرمتُ في معاجمي
وفي ثيابي النارُ ..
هربتُ من عمرو بن كلثوم
ومن رائية الفرزدق الطويلة
هاجرتُ من صوتي ، ومن كتابتي
هاجرتُ من ولادتي
هاجرتُ من مدائن الملح ،
ومن قصائد الفخارُ

(٢)

حملتُ أشجاري إلى صحرائكم
فانتحرتُ ..
من يأسها الأشجارُ
حملتُ أمطاري إلى جفافكم
فشحتُ الأمطارُ
زرعتُ في أرحامكم قصائدي
فاختنقتُ ..
يا رحماً .. يحبلُ بالشوك وبالغبارُ ..

(٣)

حاولتُ أن أقلعكم
من دبق التاريخ ..
من رزنامة الأقدارُ
ومن (قفا نبك) .. ومن عبادة الأحجار
حاولتُ ..
أن أفكَّ عن طروادة حصارها
حاصرني الحصارُ

(٤)

أرفضكم ..
أرفضكم ..
يا من صنعتم ربكم من عجوة
لكل مجذوب بنيتم قبةً
وكلّ دجال أقمتم حوله مزاراً
حاولتُ أن أنقذكم
من ساعة الرمل التي تبلعكم
في الليل والنهار
من الحجابات على صدوركم ..
من القراءات التي تتلى على قبوركم
من حلقات الذكر ،
من قراءة الكف ،
ورقص الزار
حاولتُ أن أدق في جلودكم مسماراً
يئسْتُ من جلودكم
يئسْتُ من أظفاري
يئسْتُ من سماكة الجدار ..

(٥)

من مللي ..
شنتُ نفسي أمس .. في ضفائر الحبيبة
لم أستطع أن أفعل الحبّ .. كما عودتها
كانت خطوط جسمها غريبة
كان السرير بارداً ..
والبردُ كان بارداً ..
ونهدُ من أحبها ليمونةً كئيبةً ..
بعد حزيران أضعتُ شهوتي
سقطتُ فوق ساعدي حبيبتني
كالراية المثقوبة ..

(٦)

أنظر كالمشدوه .. في خريطة العروبة

في كل شبر أعلنت خلافة ..

وحاكم بأمره ..

وخيمة منصوبه ..

تضحكني الأعلام ، والأختام ، والممالك التركيبية

وسلطات القش ، والكرتون ، والشرائع العجيبه

ومشيخات النفط ..

والزواج بالمتعة ..

والغرائز المشبوهة ..

أمشي ..

غريب الوجه في غرناطة ..

أحتضن الأطفال ، والأشجار ،

والمآذن المقلوبه ..

فهاهنا المرابطون رابطوا ..

وهاهنا الموحدون استوزروا ..

وهاهنا ..

مجالسُ الشراب ، والنساء ، والغيبوبه ..

وهاهنا عبادةٌ دامية ..

وهاهنا .. مشنقةٌ منصوبه ..

تتاثري ..

كالورق اليابس ، يا قبائل العروبة

واقنتلي ..

واختصي ..

يا طبعة ثانية من سيرة الأندلس المغلوبه

حوامر مع ملك المغول

يا ملكَ المغول ..
يا وارث الجزمة ، والكرباج ، عن جدك أرطغرول
يا من ترانا كلنا خيول ..
لا فرق – من نوافذ القصور –
بين الناس والخيول ..

*

يا ملكَ المغول ..
يا أيها الغاضب من صهيلنا ..
يا أيها الخائف من تفتح الحقول ..
أريدُ أن أقولُ :
من قبلي أن يقتلني سيافكم مسرور ..
وقبل أن يأتي شهودُ الزور ..
أريدُ أن أقولَ كلمتين
لزوجتي الحامل من شهر ..
وأصدقائي كلهم ..
وشعبيَ المقهور ..
أريدُ أن أقولُ إني شاعرُ
أحملُ في حنجرتي عصفور ..
أرفض أن أبيعهُ ..
وأنتَ من حنجرتي
تريدُ أن تصادرَ العصفور ..
يا ملكَ المغول ..
يا قاهر الجيوش ، يا مدحرجَ الرؤوس ..
يا مسدوخَ البحور ..
يا عاجن الحديد ، يا مفتت الصخور
يا آكل الأطفال ..
يا مغتصب الأبقار ..
يا مفترس العطور ..
واعجبي .. واعجبي ..
أنتَ ، والشرطة ، والجيش ..
على عصفور ..

ايضاح إلى قراء شعري

ويقولُ عني الأغياءُ :
إني دخلتُ إلى مقاصير النساء .. وما خرجتُ
ويطالبونَ بنصب مشنقتي .. لأنني
عن شؤون حبيبتني .. شعراً كتبتُ ..
أنا لم أتاجر – مثل غيري – بالحشيش ..
ولا سرقت .. ولا قتلتُ ..
لكنتني .. أحببتُ في وضح النهار ..
فهل تراني قد كفرتُ ؟

ويقولُ عني الأغياءُ :
إني بأشعاري ، خرجتُ على تعاليم النساءُ
من قالَ إن الحبَّ على شراف السماء
إن السماء صديقتي ..
تبكي إذا أبكي .. وتضحكُ إن ضحكتُ
وتزيدُ أنجمها بريقاً ..
إن أنا يوماً عشقتُ ..
ماذا إذا غنيتُ باسم حبيبتني
وزرعتها في كلِّ عاصمةٍ
كغابة كستناء ؟

سأظلُّ أحترفُ المحبةَ .. مثل كل الأنبياء ..
وأظلُّ أحترفُ الطفولةَ ، والبراءةَ ، والنقاء ..
وأظلُّ أكتبُ عن شؤون حبيبتني ..
حتى أدوب شعرها الذهبيَّ ، في ذهب السماء
وأنا – وأرجو أن أظلُّ كما أنا –
طفلاً يخربشُ فوق حيطان النجوم كما يشاء ..
حتى يصيرَ الحبُّ في وطني بمرتبة الهواء ..
وأصيرُ فوق شفاههم ..
ألفاً وباءً ..

طريق واحد

أريدُ بندقيته ..
خاتمُ أمي بعته
من أجل بندقيه
محفظتي رهنها
من أجل بندقيه ..
اللغة التي بها درسنا
الكتب التي بها قرأنا ..
قصائد الشعر التي حفظنا
ليست تساوي درهماً ..
أمام بندقيه ..

أصبحَ عندي الآنَ بندقيه ..
إلى فلسطينَ خذوني معكم
إلى ربي حزينه كوجه مجديته
إلى القباب الخضر .. والحجارة النبيه
عشرون عاماً .. وأنا
أبحثُ عن أرضٍ وعن هويّه
أبحثُ عن بيتي الذي هناك
عن وطني المحاط بالأسلاك
أبحثُ عن طفولتي ..
وعن رفاق حارتي ..
عن كتبي .. عن صوري ..
عن كلِّ ركنٍ دافئ .. وكلِّ مزهرية ..

أصبحَ عندي الآنَ بندقيته
إلى فلسطينَ خذوني معكم
يا أيها الرجال ..
أريدُ أن أعيشَ أو أموتَ كالرجال
أريدُ .. أن أنبتَ في ترابها
زيتونة، أو حقلَ برتقال ..
أو زهرةً شديه

قولوا.. لمن يسأل عن قضيتي
بارودتي.. صارت هي القضيه ..

أصبحَ عندي الآنَ بندقيّه ..
أصبحتُ في قائمةِ الثوّار
أفترشُ الأشواكَ والغبار
وألبسُ المنيه ..
مشيئةُ الأقدار لا تردني
أنا الذي أُغيّرُ الأقدار

يا أيّها الثوار ..
في القدس، في الخليل،
في بيسان، في الأغوار ..
في بيت لحم، حيثُ كنتم أيّها الأحرار
تقدموا ..
تقدموا ..
فقصةُ السلام مسرحيّه ..
والعدلُ مسرحيّه ..
إلى فلسطينَ طريقٌ واحدٌ
يمرُّ من فوهة بندقيّه ..

مرسالة إلى عبد المنعم رياض

لو يُقتلونَ مثلما قُتلتُ ..
لو يعرفونَ أن يموتوا .. مثلما فعلتُ
لو مدمنو الكلامِ في بلادنا
قد بذلوا نصفَ الذي بذلتُ
لو أنهم من خلفِ طاولاتهمُ
قد خرجوا .. كما خرجتُ أنتُ ..
واحترقوا في لهبِ المجدِ ، كما احترقتُ
لم يسقطِ المسيحُ مذبحاً على ترابِ الناصرة
ولا استُبيحتُ تغلبُ
وانكسرَ المناذرةُ ...
لو قرأوا - يا سيدي القائدَ - ما كتبتُ ..

لكنَّ من عرفتهمُ ..
ظلُّوا على الحال الذي عرفتُ ..
يدخنونَ، يسكرونَ، يقتلونَ الوقتَ
ويطعمونَ الشعبَ أوراقَ البلاغاتِ كما علمتُ
وبعضهمُ .. يغوصُ في وحوله ..
وبعضهمُ ..
يغصُّ في بتروله ..
وبعضهمُ ..
قد أغلقَ البابَ على حريمه ..
ومنتهى نضاله ..
جاريةً في التختِ ..

يا أشرفَ القتلى ، على أجفاننا أزهرتُ
الخطوةُ الأولى إلى تحريرنا ..
أنتَ بها بدأتُ ..
يا أيُّها الغارقُ في دمانه
جميعهمُ قد كذبوا .. وأنتَ قد صدقتُ
جميعهمُ قد هُزموا ..
ووحدهُ انتصرتُ

دفاتر فلسطينية

(١)

حين رأيتُ الله .. في عمّانَ
مذبوحاً ..
على أيدي رجال البادية
غطيتُ وجهي بيدي ..
وصحتُ : يا تاريخُ !
هذي كربلاءُ الثانيةُ

(٢)

يا مجهضي الثورة ..
وهي بعدُ .. في ملابس العروسِ
يا قاتلي الربيع في أوله ..
يا سارقي الشمسِ
هل أنتمُ – كما ادعيتُمُ – عربُّ
أم أنكمُ مجوسُ ..

(٣)

كلّ الكتابات التي أكتبها ..
تغسلها الكأبه ..
فبعد أن تمزقت دفاتري
صارَتْ فلسطينُ هي الكأبه ..

(٤)

بقدر ما يتسع الفداء
تنسع السماء ..
مساحةُ النصر الذي نطلبهُ ..
تكون في مساحة العطاء

(٥)

كلّ أديبٍ عندنا لا يحملُ الصليبُ
يصيرُ حمالاً على مرفأ تل أبيب ..

لصوص المتاحف

نسطو على متاحف التاريخ في الظلام
ونسرقُ الخيولَ ،
والدروعَ ،
والأعلامَ .
نسرقُ سيفَ خالدٍ
ونسرقُ ديوانَ أبي تمامٍ ..
ونسرقُ المجدَ الذي يخصهمُ
ونسرقُ الأيامَ ..
خيرُ لنا أن ندفنَ السذاجةَ
ونتركَ التاريخَ في الثلجةِ ..

تعريف غير كلاسيكي للوطن

وطني !
يفهمك السداج ريحاناً وراخ
ويظنونك درويشاً يهزّ الرأسَ ، أو رقص سماخ
ويظنونك في غفلتهم
نغمةً من بزقٍ ..
وقناني عرقٍ ..
ومواويل تغنى للصباح ..
وطني ، يا أيها الصدر بالجراح
وطني . من أنت؟ إن لم تنفجر
تحت إسرائيل صندوق سلاح ..

خطابٌ شخصيٌّ إلى شهر حزيران ..

كنْ يا حزيرانُ انفجاراً في جماجمنا القديمة
كنسُ ألوفَ المفردات ..
وكنسُ الأمثالَ ، والحكم القديمه
مزق شرانقنا التي اصفرت ..
ومزق جلدَ أوجهننا الدميمه ..
وكن التغيير ، والتطرف ، والخروج على الخطوط المستقيمه .
أطلقُ على الماضي الرصاص ..
كنِ المسدسَ والجريمة ..
من بعد موت الله ، مشنوقاً ، على باب المدينة
لم تبقَ للصلوات قيمة ..
لم يبقَ للإيمان أو للكفر قيمة ..

***** النهاية *****

NIZARQ.COM



موقع الشاعر السوري



نزار قباني

هذا الكتاب تم تحميله **مجاناً** من :



Nizar Qabbani's web site

NIZARQ.COM

وبالمقابل نطلب عند نشره إعطاء ربط
الموقع
وليس ربط التحميل

راجين من الله أن تستمتعوا بقراءة هذه
القصائد

نزار قباني



لا غالبَ إلا الحُبُّ

الطبعة الثانية

١٩٩٢م

كيف يمكننا تأسيس حضارة؟

ونحن نستعمل

المسدسات الكاتمة للحب . . .

نزار

لا غالب إلا الحب

١
رغم ما يثور في عيني من زوابع
ورغم ما ينام في عينيك من أحزان
برغم عصر ،
يطلق النارَ على الجمال ، حيث كان ..
والعدل ، حيث كان ..
والرأي حيثُ كانُ
أقولُ : لا غالب إلا الحبُ
أقولُ : لا غالب إلا الحب
للمرة المليون ..
لا غالب إلا الحب
فلا يغطينا من اليباس ،
إلا شجر الحنان .

٢
برغم هذا الزمن الخرابُ
برغم عصر يقتل الكتابة ..
ويقتل الكُتابُ ..
ويطلق النار على الحمام .. والورود ..
والأعشاب ..
ويدفن القصاصد العصماء ..
في مقبرة الكلابُ ..
أقولُ : لا غالب إلا الفكرُ
أقولُ : لا غالب إلا الفكرُ
للمرة المليون ،
لا غالب إلا الفكرُ ..
ولن تموت الكلمة الجميله
بأي سيف كان ..
وأي سجن كان ..
وأي عصر كان ...

٣
بالرغم ممن حاصروا عينيك ..
يا حبيبتي ..

وأحرقوا الخضرة والأشجار
بالرغم ممن حاصروا نوار
أقول : لا غالب إلا الورد ..
يا حبيبتى ..
والماء ، والأزهارُ .
برغم كل الجذب في أرواحنا
وندرة الغيوم والأمطارُ
ورغم كل الليل في أحداقنا
لا بدَّ أن ينتصر النهارُ ...

٤

في زمنٍ تحول القلبُ فيه
إلى إناءٍ من خشبٍ ..
وأصبح الشِعْرُ بهِ ،
قصيداً من الخشب
في زمن اللاعشق .. واللاحلم .. واللابحر ..
واستقالة الأوراق ، والأقلام ، الكتبُ
أقول : لا غالب إلا النهْد ..
أقول : لا غالب إلا النهْد ..
للمرة المليون ،
لا غالب إلا النهْد ..
فبعد عصر النفط ، والمازوت
لا بد أن ينتصر الذهبُ ...

٥

برغم هذا الزمن الغارق في الشذوذ
والحشيش ..
والإدمان ..
برغم عصر يكره التمثالَ ، واللوحة ،
والعطورَ ..
والألوان ..
برغم هذا الزمن الهارب ..
من عبادة الله ..
إلى عبادة الشيطان ..
برغم من قد سرقوا أعمارنا

وانتشلوا من جيبنا الأوطانُ
برغم ألفٍ مُخبرٍ محترفٍ
صممه مهندس البيت مع الجدرانُ
برغم آلاف التقارير التي
يكتبها الجرذان للجرذان
أقولُ : لا غالب إلا الشعبُ
أقولُ : لا غالب إلا الشعبُ
للمرة المليون ،
لا غالب إلا الشعب .
فهو الذي يُقدِّرُ الأقدارُ
وهو العليمُ، الواحدُ، القهارُ ...

خمسة نصوص عن الحب

١

حبك ..
حدثُ تاريخي من أحداق الكون،
وعرسٌ للأزهار وللأعشاب .
وحيُّ ينزل .. أو لا ينزلُ ..
طفل يولد .. أو لا يولدُ ..
برق يلمع .. أو لا يلمع ..
قمر يطلع أو لا يطلعُ ..
من بين الأهداب .

٢

حبك ..
نص مسماري ،
آشوري ،
فينيقي ،
سرياني ،
فرعوني ،
هندوكي ،
نص لم يكتب في أي كتاب .

٣

حبك ..
وقتٌ بين السلم ، وبين الحرب
وليسَ هنالك حربٌ
أسوأ من حرب الأعصاب.

٤

حبك .. سردابٍ سحريُّ
فيه ملايين الأبواب.
فإذا ما أفتح باباً ..
يغلق بابٌ ..
وإذا قبلت شفاهك،
يهطل من شفتي الشهدُ،
ويجري السكر والعنابُ.
وإذا غازلتك يوماً، يا سيدتي
يقتلني الأعرابُ ...

٥

حبك .. يطرح ألف سؤالٍ
ليس لها في الشعر .. جواب.

أحاولُ إنقاذَ آخرِ أنثى قبيل وصول التتار ...

١

أعدُّ فناجين قهوتنا الفارغات،
وأمضغُ ..
آخر كسرة شِعْرٍ لديَّ
وأضربُ جمجمتي بالجدار ..
أعدك .. جزءاً فجزءاً ..
قبيل انسحابك مني ، وقبل رحيل القطار.
أعدُّ .. أناملك الناحلات ،
أعد الخواتم فيها ..
أعدُّ شوارع نهديك بيتاً فبيتاً ..
أعد الأرانب تحت عطاء السرير ..

أعد ضلوعك ، قبل العناق .. وبعد العناق ..
أعد مسامات جلدك .. قبل دخولي ، وبعد خروجي
وقبل انتحاري.

٢

أعدُّ أصابع رجلك ..
كي أتأكد أن الحرير بخير ..
وأن الحليب بخير ..
وأن بيانو (موزارت) بخير ..
وأن الحمام الدمشقي ..
ما زال يلعبُ في صحن داري.

٣

أعدُّ تفاصيل جسمك ..
شبراً .. فشبراً ..
وبراً .. وبحراً ..
وساقاً .. وخصراً ..
ووجهاً .. وظهراً ..
أعدُّ العصافير ..
تسرقُ من بين نهديك ..
قمحاً ، وزهراً ..
أعدُّ القصيدة ، بيتاً فبيتاً
قبيل انفجار اللغات ،
وقبل انفجاري.
أحاولُ أن أتعلق في حلمة الثدي،
قبل سقوط السماء عليّ،
وقبل سقوط الستار.
أحاولُ إنقاذَ آخر نهدي جميلٍ
وآخر أنثى ..
قبيل وصول التتار ..

٤

أقيس مساحة خصرك
قبل سقوط القديفة فوق زجاج حروفي
وقبل انشطاري.
أقيسُ مساحة عشقي ، فأفشلُ

كيف بوسع شراع صغيرٍ
كقلبي،
اجتياز أعالي البحار؟
أقيس الذي لا يقاس
فيا امرأةً من فضاء النبوءات،
هل تقبلين اعتذاري؟

٥

أعدُّ قناني عطورك فوق الرفوف
فتجتاحني نوبةً من دوارٍ ..
وأحصي فساتينك الرائعات،
فأدخل في غابةٍ
من نحاس ونار ..
سنابل شعرك تشبه أبعادَ حرיתי
وألوانُ عينيك،
فيها انفتاح البراري.

٦

أيا امرأةً .. لا أزال أعد يديها
وأخطيء ..
بين شروق اليمين .. وبين شروق النهار.
أيا ليتني ألتقيك لخمس دقائق
بين انهيارٍ .. وبين انهيارٍ.
هي الحروب .. تمضغ لحمي ولحمك ..
ماذا أقول؟
وأي كلام يليق بهذا الدمار؟
أخافُ عليك . ولستُ أخافُ عليَّ
فأنتِ جنوني الأخيرُ
وأنتِ احترافي الأخيرُ ..
وأنتِ ضريحي .. وأنتِ مزارٍ ..

٧

أعدك ..
بدءاً من القرط ، حتى السوار ..
ومن منبع النهر .. حتى خليج المحار ..
أعدُّ فناجين شهوتنا

ثم أبدأ في عدها من جديد
لعلي نسيتُ الحساب قليلاً
لعلي نسيتُ الحساب كثيراً
ولكنني ما نسيت السلام
على شجر الخوخ في شفتيكِ
ورائحة الورد ، والجلنار .

٨

أحبكِ ..
يا امرأة لا تزال معي، غي زمان الحصار
أحبكِ ..
يا امرأة لا تزال تقدم لي فمها وردةً
في زمان الغبار.
أحبكِ حتى التقمص ، حتى التوحد ،
حتى فنائي فيكِ ، وحتى اندثاري.
أحبكِ ..
لا بد لي أن أقول قليلاً من الشعرِ
قبل قرار انتحاري.
أحبكِ ..
لا بد لي أن أحرر آخر أنثى
قبيل وصول التتار ..

كتاب يديك

١

كتبُ يديك .. أمير الكتبُ
ففيه قصائد مطلية بالذهب
وفيه نصوص مطعمة بخيوط القصبِ.
وفيه مجالس شعرٍ
وفيه جدول خمرٍ
وفيه غناءً
وفيه طربٍ.
يدالكِ سريرٌ من الريش ..
أغفو عليه،
إذا ما اعتراني التعبُ

يداكِ ..
هما الشعرُ ، شكلاً ومعنى
ولولا يداكِ ..
لما كان شعرُ
ولا كان نثرُ
ولا كان شيءٌ يسمى أدباً .

٢

كتب يدك
كتابٌ صغيرٌ .. صغيرٌ ..
ولكنه صار موسوعتي
فما تعلمت ،
كيفَ النحاسُ الدمشقيُّ يطرقُ
كيفَ تحاك خيوط الحريرُ
ومنه تعلمتُ ،
كيفَ الأصابع تكتب شعراً
وأن حقولاً من القطن
يمكنها أن تطيرُ ..

٣

كتاب يدك ، كتابٌ ثمينٌ
يذكرني بكتاب (الأغاني) ،
(طوق الحمامة) ،
(مجنون إزنا) ،
وأشعار لوركا
وبابلو نيرودا ،
ومن أشعلوا في الكواكب
نار الحنين ..
كتاب يدك ..
يشابه أزهار أمي
فأول سطر من الياسمين
وآخر سطر من الياسمين
يداكِ ..
كتابُ التصوف ، والكشف ،
والرقص في حلقات الدراويش

والحالمين ..
إذا ما جلستُ لأقرأ فيه
أصلي على سيد المرسلين ...

٤

كتاب يديك
طريق إلى الله،
يمشي عليه الألوفاً من المؤمنين
وبرق يضيء السماء
وعزف جميل على المندولين.
كتاب يديك ، كتاب أصول
وشعر .. وحب ..
وفقه .. ودين ..
تخرجت من إماماً
وعمرى ثلاث سنين ...

٥

كتاب يديك
يوزع خبز الثقافة كل نهار
على الجائعين.
ويعطي دروس المحبة للعاشقين
ويلمع كالنجم ، في عتمة الضائعين
وكنت أنا ضائعاً ، مثل غيري
إلى أن قرأت كتاب يديك
فأدركت نور اليقين.

٦

حديث يديك،
خلال العشاء
يغير طعم النبيذ،
وشكل الأواني.
أحاول فهم حوار يديك
ولا زلت أبحث عما وراء المعاني
فإصبعة تستثير خيالي
وأخرى تزلزل كل كياني.
حمام ..

حمامٌ ..
يحطُّ على كتفي
فمن أينَ هذا الحمامُ أتاني ؟
و (موزارت) يصحو .. ويرقد
فوقَ مفاتيحِ هذا البيان
ويغسلني بحليبِ النجوم
وينقلني من حدودِ المكان..

٧

لماذا أضيِّعُ
أمامَ يديكِ اتزانِي ؟
إذا ما لعبتِ بزرِ قميصي
تحولتُ فوراً ،
إلى غيمةٍ من دخانٍ ...

١٩٨٩/٤/٢٠

حبيبتي تقرأ أعمال فرويد

١

عقدني حبك ، يا سيدتي
يا امرأةً ، طباعها أشبهُ بالفصولِ
فثمَّ نهْدُ صامتٌ
وثمَّ نهْدُ يقرعُ الطبولَ ..
ومرةً ،
حدائقُ مفتوحةٌ
ومرةً ،
عواصفُ مجنونةٌ
ومرةً ، سيولٌ ..
فكلما أشرقتِ الشمسُ على نوافذي
بكي على شراشفي أيلولُ.
نسيتُ تاريخي ، وجغرافيتي
فلا أنا على خطوطِ العرضِ
ولا أنا على خطوطِ الطولِ.

٢

يا امرأةً تضجر من ثيابها

ومن مرآياها ..
ومن قهوتها ..
ومن شرايين يدي ..
فهل أنا ؟
عن ضجر العالم ، يا سيدتي ،
مسؤول ؟
ماذا جرى ؟
ماذا جرى ؟
صوتك لا معقول
تجمع الأمطار في عينيك ..
لا معقول ..
يا امرأة تحمل حثفي بين عينيها
وترميني من المجهول للمجهول
توقفي .. عن المرور في دمي ، كطلقة
فإنني أعرف منذ البدء ،
أنني مقتول ..

٣

دوخني حبك ، يا سيدتي
فمرة ، أدخل من بوابة الخروج
ومرة ، أخرج من بوابة الدخول
سفينة أنت .. بلا بوصلة
لا يعرف الراكب فيها ساعة الإقلاع
أو ساعة الوصول ..
يا امرأة .. تجهل أين نهدها ؟
تجهل أين عقدها ؟
تجهل أين مشطها ؟
تجهل أين عقلها ؟
وتجهل الفاعل والمفعول ..

٤

يا امرأة ..
تريدني ، بشهوة الأنثى ، ولا تريدني
يا امرأة تمارس الحب معي
من غير أن تلمسني

يا امرأة ..
تحمل مني عشر مرات ..
ولا تعرفني ..
ثم تقولُ :
إنها بتولُ !!
وتشتهي لي ليلةً واحدةً
ثم يموتُ ، بعدها ، الفضولُ .
يا امرأة ..
تسهل مثل مهرةٍ جميلةٍ
وبعدها ،
تمل من سهيلها الخيولُ
يا امرأة ..
تقتلني ، من غير أن تقتلني
فليتني أدري من القاتل ، يا سيدتي
ومن هو المقتولُ ؟

من بدويٍّ .. مع أطيّب التمنيات

أنا آسفٌ جداً ..
إذا عكرتُ سهرتك الجميلةَ ،
آسفٌ جداً ..
إذا أظهرتُ كل توحشي .. وخشونتي
هذا المساءُ ..
أنا آسفٌ جداً
إذا ما كنتُ منطوياً على نفسي
ومكتئباً .. ومنسحقاً ..
ومكسوراً المشاعر ، كالإناء ..
أنا آسفٌ جداً ..
إذا خالفتُ آدابَ السلوك
فما اهتمت بربطة العنقِ الوقورة ..
والحذاء ..
من قال إن قصائد الشعراء ،
تنتعلُ الحذاء ؟

فأنا أتيتُ من العراء .. إلى العراء
لا تخجلي مني ..
ومن عشقي البدائي البسيط،
فإن أكابر العشق
كانوا خارجين عن الحياء ..

٢

أنا آسف جداً ..
إذا لم أنتبه لجمالِك الأخاذ ..
هذه غلطة كبرى بتاريخي ،
ونقص في الحضارة ، والسلوك ،
ومن علامات الغباء ..
هل ممكن أن يهمل الإنسان وجهاً
تلتقي فيه السماء مع السماء ؟
أنا آسف جداً .. لفرط جهالتي
أنا شاعر الحبّ الذي
لا يتقن الإعلان عن نزوته أبداً ،
فإن عواطفي ، ليست ثياباً في الهواء
أنا بطني - ربما - حتى العياء .
ومضرج بغمومه حتى العياء .
قد لا أكون مهذباً ، مثل الذين عرفتهم
ومعذباً مثل الذين عرفتهم
ومشجعاً .. وملمعاً ..
مثل الذين عرفتهم .
لكنني أعطي دمي ،
من أجل لحظة كبرياء ...

٣

أنا آسف جداً ..
إذا أفسدت ليلتك المثيرة ،
آسفٌ .. إن كنتُ لوثتُ الهواءَ
فأنا عدائي .. عُصابي ..
أناني .. شتائي ..
فماذا تفعلين مع الشتاء ؟
أنت الجميلة .. والصغيرة ..

والمليئة بالطموح وبالرجاء ..
فتحملي فوضاي ..
إني لم أكن عضواً قديماً
في نوادي الحاكمين ..
ولا نوادي الأغنياء ..

٤

لا تنظري لي هكذا ..
وكأنني من كوكب المريخ .. جنئت
وعصر رواد الفضاء ..
أنا ضائع بين العصور كمركب
في البحر ، تقذفه الرياح كما تشاء
أنا آخر العشاق في زمن التلوث ،
آخر الكلمات ، في زمن التعهر والغباء
والحب .. آخر طلقة في الرأس .. أطلقها
فلا تمشي على بقع الدماء ..

٥

عفواً ..
إذا لخبطت عطلة آخر الأسبوع
إن طبيعتي تأبى التصنع .. والرياء
أنا لست أعرف ما أحب ..
ومن أحب ..
فسامحيني إن حملت حقيقتي
وتركت معركة الخواتم .. والأساور .. والفراء ..
أنا هكذا .. أنا هكذا ..
أمشي على قدمين من نار .. وماء
تتقاطع الأفكار في رأسي ..
ويختلط الدخان ، مع النبيذ ، مع النحاس ، مع العقيق ..
مع الأمام ، مع الورا ..
هل كانت العينان قبل الدمع ،
أم في الأصل ، قد كان البكاء ؟
هل ناهدك خطيئتان عظيمتان .. كما رروا
أم نهداك يصحان جميع أخطاء السماء ؟
هل يا ترى الأشجار تمشي وهي واقفة

وهل حرية الإنسان كانت .. قبل أن كان الفضاء ؟
والحب . هل هو حالة عقلية ؟
أما حالة جسدية ؟
أم أنه شيء يُركبُ كالدواء .

٦

هل كنتِ قبل قصائدي موجودةً
أم أنني بالشعرِ ، أوجدت النساءِ ؟؟

لابسةُ الكيمونو ..

١

أعدُّ لسيدة لا تجيء ..
وتهرب من كل أسمائها
كيمينو من الصين ،
حتى يليق بتفاحها الملكيِّ
ويبدعُ في رسم أعضائها ..
أعدُّ لسيدة السيدات
فضاءً جميلاً من الكلمات .
وأجلسُ ،
مشتعلاً باشتعالي
ومشتعلاً بالقصائدِ ،
مشتعلاً باللغاتِ ..
ومشتعلاً بالعصافير ،
تهجمُ من شرق عينيكِ ..
تهجمُ من غرب عينيكِ ..
تنقرني من جميع الجهاتِ ..

٢

أعدُّ لسيدة .. لم أشاهدُ يديها
ألوفَ الخواتمِ .
وأكتبُ أسماءَ ربي عليها .
أعدُّ لسيدة البحر ، بحرأ ..
نغسل المتاعب عن قدميها
أعدُّ مفاجأة للأرنب ،
وهي تحاول أن تتخبأ في ناهديها .

أعد نبيذاً قوياً .
يساعدني كي أسافرَ
منها .. إليها ...

٣

أعدّ لسيدة المستحيل
كلاماً جميلاً .. وأنسى كلامي .
وأفتح في الفجر ، أقفاص كل الحمام .
وينتثر القطن شرقاً .. وغرباً ..
ويلمُعُ برقٌ ورائي .
ويسقط نجم أمامي .
ويتركني الشعرُ ،
إن القصائد ليست بهذا المقام .
وإن طموح العبارة ،
دون طموح الرخام ...

٤

أعدّ لسيدة الوقت ، وقتاً
ألغي زماني ..
وأدخل في وردة الشفتين ،
فتصبح ذاكرتي في لساني ..
يمر الكيمونو ، أمام فضول المرايا
فأفقد ، حين يمر ، اتزاني .
وأبحرُ من جزر اللازورد
لأرسو في جزر الأرجوان ..
لماذا النبيذ الفرنسي .. يشعل وهمي ؟
فأسمع خلف الكيمونو
صهيل حصان؟؟

٥

أيا امرأة ..
أشعلت في حياتي البروقَ
تراني ، أشم دخان الكيمونو ،
أم أنني أشم دخاني ؟

الهروب من هيروشيما

١

بكل احترامٍ ..
سأستأذن الآن بالإنصرافُ
فما عاد لي موقع في حياتك
إن الزمان بغرناطة قد تولى
ولم يبقَ وردٌ ، ولا بيلسانُ .
سأترك هذا المكانَ إليكِ ..
لكي أتناثر في اللامكانُ .
هذا الزمان المربع ..
هذا الزمان المثلث ..
هذا الزمان الذي قد توقف
في ناظريك عن الدورانُ ...

٢

سأحمل تبغي ..
وحزني .. وموتي ..
وأرفع قبعتي شاكرًا ..
وأرحلُ تحت ستار الظلامُ .
دعيني .. أفتش عن عملٍ آخر ..
يحررني من حراسة نهديكِ ..
أنا قد تعبتُ كثيراً .
وضيعتُ في لعبة الجنس ..
وقتاً كثيراً ..
وما عاد يمكنني أن أقدم شايَ الصباح
لسيدتي .. في سرير الغرام .

٣

لماذا بقائي ؟
كتمثالٍ شمعٍ .. لماذا بقائي ؟
ولم يبقَ شيءٌ يثير حنيني
ولم يبقَ شيءٌ يثير اشتهايي ...
فكيفَ أشمُ عطور فرنسا عليكِ ؟
ونجدُ .. وصنعاءُ .. تحت ردائي ..

وكيفَ ، أَعْطِيكَ بالفرو .. والریش ..
حين تكون حياتي ، بغير غطاء؟ ..

٤

سأرحل شرقاً ..
سأرحل غرباً ..
فلم يبقَ شيءٌ هنا ..
يستحق البكاء ..
وأما النساءُ ..
فهن حشيشةُ كل العصور ..
وأقسمت - بعدك -
لن أتعاظي النساءَ ...

٥

سأدخلُ ..
غابة نهديك ليلاً ..
لأقتل كل الطيور التي تتخبأ بين الشجرِ
وأرمي الرسائل ،
أرمي المكاحل ،
أرمي الأساور ،
أرمي الصورُ ...
وأحرق آخر ثوبٍ ، رأيتك فيه
وأغمد سيفي ..
بلحم القمرِ ..

٦

سأرحلُ ..
ليس يهم لأين ..
فكل تراب سأمشي عليه
يصير سماءً ..
وكل غمامٍ ،
سأكتبُ شعري عليه
سيمطرُ خمراً .. وماءً ...

الصفحة الأولى

١

تتجولين في هذا الكتابُ
كغابةٍ مشتعلةٍ
تشعلين الحبرُ ...
تشعلين اللغه ...
تشعلين يدي ..
إصبعاً ...
إصبعاً ...
حتى أصيرَ شمعداناً
في كنيسة بيزنطة ..

٢

تفتحين مسامات القصيدة
وتدخلينَ فيها ..
كما تفتح الراقصة الإسبانية
شريان الليل ،
وتدخلُ فيه ..
تطعنين الورقَ الأبيض في خاصرته
ينزف الورقُ حمماً أبيضاً ..
قطناً أبيضاً ..
حزناً أبيضاً ..
وموسيقى بيضاء ..
وتنسحبين في آخر الليل من لحمي
كخنجر متوحش ...
لا أريدُ أن يغادرني ..

٣

تأتين من لا وجهه
أعني ، من كل الجهاتِ تأتين
وفي يدك ..
أزهارُ طازجه
ووطن مجففٌ
وفي حقيبتك ،
نهدان موضوعان في كيسٍ من البلاستيك

وأنوثة مؤجله ...

٤

تطلبين مني ، توصية للبحرُ
حتى يجعلك سمكةً ...
وتوصية للعصافيرُ
حتى تعلمك الحرية ..
وتوصية لقاضي القضاء
حتى يعترف ، بأنك امرأة ..
وتوصية للسياف مسرورُ
حتى يؤجل موعدَ ذبحك ...

٥

أفتح لك اللغةَ على مصراعها
أفتح لك توركواز البحرُ
وفضائاتِ القوائد المستحيله
أعطيك نصفَ سريري ...
ونصفَ بطانيتي ..
وأشاركك خبزَ المنفى
ونبيذَ الحرية ...

أحبك .. حتى ترتفع السماءُ قليلاً ..

١

أريدُ أن أحبك ، يا سيدتي
كي أستعيد عافيتي
وعافيةَ كلماتي .
وأخرجَ من حزام التلوثِ
الذي يلفُ قلبي .
فالأرضُ بدونك
كذبةٌ كبيرةٌ ..
وتفاحةٌ فاسدةٌ ...

٢

أريدُ أن أحبك

حتى أدخلَ في دين الياسمين
وأمارسَ طقوسَ الشعرِ ...
وزرقةَ البحرِ ...
واخضرارَ الغاباتِ ...

٣

أريدُ أن أحبكِ
حتى أطمئن ..
أن غاباتِ النخيلِ في عينيكِ
لا تزال بخيرٍ ..
وأعشاشِ العصافيرِ بين نهديكِ
لا تزال بخيرٍ ..
وأسماكِ الشعرِ التي تسبح في دمي
لا تزال بخيرٍ ...

٤

أريدُ أن أحبكِ ..
حتى أتخلص من يباسي ..
وملوحتي ..
وتكلس أصابعي ..
وأستعيد جداولي ،
وسنابلي ،
وفراشاتي الملونة
وأؤكد من قدرتي على الغناء
وقدرتي على البكاء ...

٥

أريدُ أن أحبكِ
حتى أسترجع تفاصيل بيتنا الدمشقي
غرفة .. غرفة ...
بلاطة .. بلاطة ..
حمامةً .. حمامةً ..
وأتكلم مع خمسينَ صفيحةً فلَّ
كانت أُمي تستعرضها كل صباح
كما يستعرض الصانع
ليراته الذهبيةً ...

٦

أريدُ أن أحبك ، يا سيدتي
في زمنٍ ..
أصبحَ فيه الحب معاقاً ..
واللغةُ معاقَةٌ ..
فلا الأشجار قادرة على الوقوف على قدميها
ولا العصافير قادرة على استعمال أجنحتها .
ولا النجوم قادة على التنقل
بدون تأشيرات دخولٍ

٧

أريدُ أن أحبك ..
قبل أن ينقرض آخر غزالٍ
من غزلان الحرية ..
وأخر رسالةٍ
من رسائل المحبين
وتشنعُ آخر قصيدة
مكتوبة باللغة العربية ...

٨

أريدُ أن أحبك ..
قبل أن يصدر مرسوم فاشستي
بإقفال حدائق الحب ..
وأريدُ أن أتناول فنجاناً من القهوة معك ..
قبل أن يصادروا البنَّ .. والفناجين
وأريدُ أن أجلس معك .. لدقيقتين
قبل أن تسحب الشرطة السرية من تحتنا الكراسي ..
وأريدُ أن أعانقك ..
قبل أن يلقوا القبض على فمي .. وذراعيَّ
وأريدُ أن أبكي بين يديك
قبل أن يفرضوا ضربية جمركية
على دموعي ...

٩

أريدُ أن أحبك ، يا سيدتي
حتى أمتطي عربة الوقت

وأغيرَ التقاويم
وأعيدَ تسميةَ الشهور والأيام
وأضبطُ ساعات العالم ..
على إيقاع خطواتك
ورائحة عطرك ..
التي تدخل إلى المقهى ..
قبل دخولك ...

١٠

إني أحبك يا سيدتي
دفاعاً عن حق الفرس ..
في أن تصهل كما تشاء ..
وحق المرأة .. في أن تختار فارسها
كما تشاء ..
وحق السمكة .. في أن تسبح كما تشاء
وحق الشجرة في أن تغير أوراقها
كما تشاء ..
وحق الشعوب في أن تغير حكامها
متى تشاء

١١

أريد أن أحبك ..
حتى أعيد إلى بيروت ، رأسها المقطوع
وإلى بحرها ، معطفه الأزرق
وإلى شعرائها .. دفاترهم المحترقة
أريد أن أعيد
لنشايكوفسكي .. بجعته البيضاء
ولبول ايلوار .. مفاتيح باريس
ولفان كوخ .. زهرة (دوار الشمس)
ولأراغون .. (عيون إلزا)
ولقيس بن الملوح ..
أمشاط ليلي العامرية

١٢

أريدك ، أن تكوني حبيبتني
حتى تنتصر القصيدة .

على المسدس الكاتم للصوت .
وينتصر التلاميذُ
على الغازات المسيلة للدموع
وتنتصر الوردة ..
على هراوة رجل البوليس
وتنتصر المكتبات
على مصانع الأسلحة ...

١٣

أريدُ أن أحبكِ
حتى أستعيد الأشياء التي تشبهني
والأشجارَ التي كانت تتبعني
والقطط الشامية التي كانت تخرمشني
والكتابات .. التي كانت تكتبني ..
أريدُ .. أن أفتح كل الجواريرُ
التي كانت أُمي تخبئُ فيها
خاتم زواجها ..
وأساورها الذهبية المبرومة ..
وخصلة من شعري الذهبي .
بقيت تحتفظ بها ..
منذ يوم ولادتي ..

١٤

كل شيء يا سيدتي
دخل في (الكوما)
فالأقمار الصناعية
إنتصرت على قمر الشعراء
والحاسبات الالكترونية
تفوقت على نشيد الإنشاد ..
وقصائد لوركا .. وماياكوفسكي ..
وبابلو نيرودا ...

١٥

أريدُ أن أحبكِ ، يا سيدتي ..
قبل أن يصبحَ قلبي ..
قطعة غيار تباعُ في الصيدليات

فأطباء القلوب في (كليفلانذ)
يصنعون القلوبَ بالجملة
كما تصنع الأحذية

١٦

السماءُ يا سيدتي ، أصبحت واطئة ..
والغيوم العالية ..
أصبحت تتسكع على الأسفلت ..
وجمهورية أفلاطون .
وشريعة حامورابي .
ووصايا الأنبياء .
وكلام الشعراء .
صارت دون مستوى سطح البحر
لذلك نصحني السحرة ، والمنجمون ،
ومشايق الطرق الصوفية ..
أن أحبك ..
حتى ترتفع السماء قليلاً

افتراضات رمادية ..

١

صعبٌ عليّ
صعب علي كثيرأ .
أن أتصور عالماً لا تكونين فيه .
صعب علي أن أتصور
بحراً لا يلبس قبعته الزرقاء ..
أو قمرأ لا يستحم برغوة الحليب ..
أو بجعةً ، لا تحترف رقص (الباليه) ..

٢

صعبٌ جداً ...
أن تدور الكواكبُ،
دون إشارة منك ..
وان ترتفع السنابل ،
وتتكاثر الأسماك،
وتثرثر الضفادع النهريّة ،

وتغني صراصير الغابة ،
وتستجير أكواز الصنوبر ،
وتشتعل أشجار الكرز ،
دون إشارة منك .
صعبٌ جداً .
أن يكون هناك فصولٌ أربعة ..
إذا لم تقراي عليها مزاميرك ..

٣

صعبٌ جداً ..
أن تنجح ثورة ،
لا تحمل بصمات أهدابك ..
أو يشتهر رجلٌ
خارج بركاتِ أنوثتك ..
أو تطير حمامة
دون إرادة نهديك ..
صعبٌ جداً ..
إن يسقط مطرٌ
خارج أقاليمك ..
ويصبح ديكٌ ، لا يقف كالملك
على بياض ركبتيك ...

٤

صعبٌ علي .
صعبٌ علي كثيراً .
أن أتصور تاريخاً ، لا يؤرخك ..
وكتابةً لا تكتبك ..
ولغةً ، لا تتغلغلين في مفرداتها
وقصيدةً ، لا تشكلين إيقاعها الرئيسي
صعبٌ ، أن أتصور حضارةً
لا تشرب من ينابيعك ..
أو عملاً تشكلياً لا يستلهمك
أو منحوتة من البرونز ، أو الحجر ..
لا تكون على مقياس جسدك ..

٥

صعب علي .
صعب علي كثيراً .
أن أتصور بلبلاً ..
لا يدخل إلى الكونسرفاتوار ..
أو فراشة ..
لا تدخل أكاديمية الفنون الجميلة
أو حمامة ..
لا تتكلم سبع لغات
أو وردة لا تشترك
في انتخاب ملكة جمال الكون ..

٦

صعبٌ علي .
صعب علي كثيراً ..
أن أتصور نهذاً ..
لا ينقط ذهباً ..
وامرأة .. لا تنقط أنوثة ..
وعيوناً لا تمطر كحلاً ..
وقصيدة لا تمطر موسيقى ..

٧

صعبٌ علي .
صعبٌ علي كثيراً .
أن أتصور زماناً لا تملأين ثوانيه ..
أو مكاناً لا تملأين أبعاده ..
صعبٌ علي أن أتصور مقهى،
لا يحمل رائحتك ..
وشاطناً رملياً
لا يحمل آثار أقدامك .

٨

صعبٌ علي .
صعبٌ علي كثيراً
أن أتصور
كيف يأتي الربيع ، ولا تكونين معه

وكيف يتشكل قوس قزح ..
ولا تكونين معه ..
وكيف يشرق الشروق ، ولا تكونين معه ..
وكيف يغرب الغروب ، ولا تكونين معه ..
وكيف تعلن الحمام زفافها على شبابيكنا
ولا تكونين معي ...

٩

صعبٌ ..
أن تحدث حادثة عشقٍ ، في أيامنا
لا تكونين وراءها ..
وصعبٌ أن يوجد نص روماني ناجح
لم تشتركي في كتابته ..
وصعب ، أن تتفوق عاشقة على نفسها
لم تتلمذ على يديك ...

١٠

صعبٌ ..
أن يجلس رجل وامرأة على طاولة
ولا تتدخلين في صياغة حوارهما
وأن يتبادلا قبلة طويله
لا تتدخلين في توقيتها ..

١١

صعبٌ ..
أن يقبل عمال النسيج
في دمشق ..
أن يصنعوا قميصاً من الحرير
إلا لكسوة نهديك ..

١٢

صعبٌ ..
أن يكون في العالم عطر
لا يستقطر من أزهارك
وأن يكون هناك نبيدٌ
لا يتدفق من عناقيدك

١٣

صعبٌ ..
أن يكتشف علماء الآثار
أبجدية ..
ليس فيها حروف اسمك ...

١٤

صعبٌ ..
أن مايكل أنجلو
أن يجد جسداً نموذجياً للنحت
أكمل من جسدك ...

١٥

صعب علي أن أتصور ..
ماذا تفعل المشهور والأعوام .. بدونك
وماذا تفعل أيام الأحاد .. بدونك
وماذا تفعل مقاعد الحدائق ..
والمكتبات ..
وأكشاك بيع الجرائد
ومقاهي الرصيف ..
بدونك ..
صعبٌ علي أن أتصور ..
ماذا تفعل يداي .. بدونك ..

١٦

صعبٌ عليّ - يا سيدتي -
صعب جداً ..
أن أتصور شكل الشعرِ ،
بدونك ..
وشكل الحرية ..
بدونك ...

الشعرُ الأسود

لا تمسّطي شعركِ
على مقربة مني ...

حتى لا يهرهر الليلُ
على ثيابي

التوقيع

هذا العطرُ ..
الذي تضعينه على جسدكُ
هو موسيقى سائلهُ
وهو توقيعكُ الخصوصي
الذي لا يمكن تقليدهُ

البرق

لن أقولَ لكِ
(أحبكِ) ..
إلا مرة واحدة
لأن البرق لا يكرر نفسه ...

عندما

عندما ترفعين يديكِ
عن دفاتري ...
أصبحُ قصيدةً من الخشبِ ...

قبلة

لا أريد ..
أن أقبلَ شفَتِكَ كثيراً ..
حتى لا تحسبيني ..
ريقكِ

الليل

لم يبقَ في شوارع الليلِ
مكانٌ أتجول فيه ..
أخذت عيناكِ .

كل مساحة الليل ..

بريد

مني رسالة حب
ومنك رسالة حب
ويتشكل الربيع ..

بدون تنقيط

" أحبك "

ولا أضع نقطة في آخر السطر

لغة

عطرُ الوردة ..
هو لغتها ..
لذلك ، لا تضطر الوردة
إلى استعمال القاموس ...

سؤال

لا تسأليني : كيفَ حالي ؟
إذا كنتِ تحبينني حقاً ...
إسألني :
كيفَ حالُ أصابعي ؟

صمت

هل تسمعين أشواقي
عندما أكونُ صامتاً ؟
إن الصمت ، يا سيدتي ،
هو أقوى أسلحتي ...

رائحة

الشجرة تفقد أوراقها

والشفة تفقد استدارتها
والأنوثة تفقد أنوثتها ...
إلا رائحتك ..
فهي ترفض أن تمر
من ثقب الذاكرة ...

رقم قياسي

أنت أول لعبة
قاومت بين يدي
أكثر من أربع وعشرين ساعة

ديانة

حين يقول،
العاشق لمعشوقته
(إنني أعبدك)
فإنه يؤكد - دون أن يدري -
أن الحب ديانة ثانية

سمك

لا أريد ..
أن أحتفظ بك في ذاكرتي
كسمكة مجلدة ...
أريدك أن تكوني
مشتعلة بالأسئلة ..
ودائمة التحولات ، كالبحر ...

عن المقاهي ...

مقاهي العالم
هي الأكاديميات التي يتخرج منها العشاق
وحين تقفل هذه الأكاديميات أبوابها
تنتهي ثقافة الحب

ثقافة

لأنني أحبك ..
أريدُ أن تكوني
الحرفَ التاسعَ والعشرينُ
من أبجديتي ..

المكافأة

كانت أُمي
حين أبوس يديها
تعطيني قرشاً
وإذا قبلتُ امرأةً من شفتيها
تعطيني قرشينُ ...

الشقيقتان

تجلس المرأة ، على ركة القصيدة
لالتقاط صورةٍ تذكاريةٍ
فيحسبها المصور الفوتوغرافي
شقيقتينُ

ستراتيجية

القتال معك .. بين الحين والحين
والإشتباك مع نهديكِ
بالسلاحِ الأبيض ...
ضرورة ستراتيجية ..
حتى تظل سرايين الحب مفتوحة
وحتى لا يصاب القلبُ
بجلطة عاطفيةٍ

عواصفنا الجميلة

لنا مزاجية البحر
وجنونه .. وتحولاته

ولنا أيضاً .. مراهقة الزبد ..
وحماقة الأمواج ..
نقاتل بعضنا بعضاً
ونكسرُ بعضنا بعضاً
وعندما تهدأ العاصفة
نتدحرج على الرمل
كطفلين في عطلتها المدرسية

في فن المعماري

أنتِ النص الذي لم يكتب مثله .. بعد ...
وبقية النساء هوامش.
أنتِ الجسد المدروس
نقطة نقطة
وخطاً خطاً .
وزاوية زاوية
وبقية الأجساد
محاولات معمارية متواضعة
أنتِ السمفونية الكبرى
وبقية النساء ،
دوزناتٌ

طموح الوردية

لو كان لدى الوردية ،
مطبعة ...
وناشر ..
لأصدرت ديوان شعرٍ ...

عطر

عطرُ المرأة
فضيحة علنية
لا تهتم بتكذيبها

نداء .. نداء .. نداء ..

أنا واقع في ورطتين كبيرتين
فحاولي ، أن تنقذيني
إن الطريق إلى الكتابة ،
كالطريق إلى الجنون !!

لكي أتذكر باقي النساء ...

حرامٌ عليكِ ..
حرامٌ عليكِ ..
أخذت ألوفَ العصافير مني
ولون السماء ..
وصادرت من رثتي الهواء
أرديكِ ..
أن تمنحيني قليلاً من الوقتِ ،
كي أتذكر باقي النساء ...

المعلم

لشعركِ
فضلٌ عظيمٌ عليّ
يشابه فضل السحابه
فمنه تعلمت علم الكلام
وعنه أخذت أصولَ الكتابة ...

إلى صديقةِ خائفة

لا تعبأي ..
إن رددوا أسماءنا
في هذه المدينةِ الثرثرة .. الواشية ..
القبيحة ..
فليسَ في العالم ما يطربني
أكثر من أن يقرعوا من حولنا
كل صباحٍ ،
جرسَ الفضيحة ...

إذا ...

إذ قالت امرأةٌ
إنها ستحبك حتى الأبد ..
وإنك زينُ الرجالِ
فلا قبلك كانَ أحدٌ
ولا بعدك ..
سوف يكون أحدٌ ..
فلا تطمئن كثيراً إليها ،
لأن الدقيقة عند النساء ،
أبدٌ ...

الثقوب

يسقطُ الرجلُ
في أول حفرةٍ نسائيةٍ تصادفه
إن تاريخ الرجلُ
هو تاريخ السقوط في الثقوب ...

الحصار

الشعرُ محلولٌ على آخره
والنهدُ ، ديكٌ أحمرُ المنقار
وإنني محاصرٌ من الجهاتِ الأربعة
بالكحل .. والأساور ..
والخوخ .. والرمان .. والأنهار
وأسأل الله تعالى ،
أن يديم نعمة الحصارِ

الدمية

أخاطبُ عقلك من غير طائل ..
أخاطبُ فكري من غير طائل ...
أخاطبُ فيك الثقافة ..
من غير طائل ..
ولكنني ، لا أرى غير جسمٍ مثيرٍ

وأسمعُ في قدميكِ
رنينَ الخلاخلِ ...

على الطبيعة

محاضراتك الطويلة عن الحب
وأنت متمددة أمامي على شاطئ البحر
كسنبلة من الذهب ..
تشوش أفكارني .
أسكتني قليلاً ..
حتى أتمكن من مذاكرة دروسي
على الطبيعة ...

نبيذ

لا أدري ،
من منكما يشرب الآخر ؟
أنت التي تشربين النبيذ ؟
أم هو الذي يشربك ؟؟

سفر

الورقة البيضاء ..
أمامي .
تذكرة مفتوحة
للسفر حول العالم ...

ذهبت .. ولم تعد ..

في تعاملني مع النساء ..
كنت دائماً
من أنصار المدرسة الإنطباعية
كل امرأة .
حدثتها عن جمال الفكر الصرفي
وتجليات جلال الدين الرومي .
وفريد الدين العطار .

ومحي الدين بن عربي
ذهبت .. ولم تعد

شموس

تذهب المرأة السويدية
إلى البحر ..
لتصبغ جلدها كالنساء الإفريقيات ..
من الذي يستطيع أن يقنعها
أن صباغ الجلد
مختلف عن صباغ الأعماق
وأن أشعة الشمس وحدها ،
لا تصنع امرأة

الغابة السوداء

عيناك ..
مجهولان نائمان في عباءة المجهول .
وغابة مقفلة ..
لا أحد يعرف ما يحدث في داخلها ،
فبعضهم ،
يقول فيها أمم منسية
وبعضهم ،
يقول في أعماقها ، جنية
وبعضهم ، يقول فيها غول ...
لا أحد ..
يعرف ما يحدث في الغابة من عجائب
لا أحد يجرو أن يقول
فالليل فيها ضائع
والذئب فيها ضائع
والرجل الأبيض ، فوق رمحه ، مقتول ...

طموح

أنت .. لست امرأة عادية
تملك الفتنة ، والقدر المليحا

إنك الأصل الذي أنقل عنه ،
والذي فجرني شعراً ، وروحا
أنت أعلى قمة في رحلتي
ليس من طبعي أن أهوى السفوحا
فأحبيني كثيراً .. أو قليلاً ..
كي تزيدني ارتفاعاً وطموحا
أنت .. لاتدرين ، يا سيدتي
كم يكون الكون ، لولاك قبيحا
ما تعودت بأن أرفض موتي
فاصليبي ، بين نهديك ، مسيحا ..

وصايا إلى امرأة عاقلة ..

١

أوصيك بجنوني خيراً ..
فهو الذي يمنح نهدك
شكله الدائري
ويوم ، ينحسر عنك نهر جنوني
سيصبح نهدك مكعباً ..
مثل صندوق البريد ..

٢

أوصيك بجنوني خيراً ..
فهو الذي يغسلك
بالماء .. والعشب .. والأزهار
ويوم أرفع عنك يد جنوني
سنتحولين ،
إلى امرأة من خشب ...

٣

أوصيك بجنوني خيراً ..
فطالما أنا عُصّابي ..
ومكتئب ..
ومتوتر الأعصاب
فأنت جميلة جداً ...
وصغيرة جداً .

وحين تزول أعراض جنوني
ستدخلين في الشيخوخة

٤

أوصيكِ بجنوني خيراً ..
فهو رصيدك الجمالي
و ثروتك الكبرى
ويومَ أسحبُ منكِ
كفالة جنوني ..
سيشهرن إفلاسك ..
أوصيكِ بجنوني خيراً ..
فهو التاج الذي به تحكمين العالم
ويومَ تغيبُ شمسُ جنوني
سيسقط تاجك
ويجردك الشعبُ من جميع سلطاتك ..

المعطف

عندما تقررين
أن تذهبي مع رجل آخر
لا تنسي أن تأخذي معك
معطف المطر ..
فالجو متقلبٌ ...
والرياحُ بارده ..
وأخشى ، أن ينسى صديقك الجديد
أن يضعك في جيب معطفه ..
كما كنتُ أفعلُ

صنع في طوكيو ..

أيا امرأةً ..
من زجاج وقطن ..
سأرمي بنفسي من الطابق المنتين
اكتئاباً .. وغربة
فماذا سأفعل فيك ؟

أيا امرأةً وضعوها بعُلبهٖ ..
صحيحٌ .. بأن ثيابك أثواب لعبهٖ ..
ومكياج وجهك .. مكياج لعبهٖ ..
ولكنني لستُ أخط
بين أمور الفراش ..
وبين أمور المحبةٖ .
أيا امرأةً ..
وصلتني بكيس البريد ..
أحاولُ تحريضَ عقلك ..
من دون جدوى،
وكيفَ أحاولُ تثقيفَ لعبهٖ؟؟
أيا امرأةً ..
صنعوها بطوكيو
لأعرفُ أنكِ وحش جميلٌ ..
وكنز جميلٌ ..
وصيدٌ جميلٌ ..
ولكنني لا أحسُ بأية رغبةٍ
أنا آسفٌ ..
إن جرحت شعوركِ
لكنني ...
لا أحسُ بأية رغبةٍ ..
فعودي إلى علبهٖ المخمل القرمزي
فإن شروطيَ في الحب صعبةٌ ...

المسلخ

هنا الجنس ..
ليس سوى مسلخ للنساء
هنا الديك يحكم وحدهٖ .
كما الثور يحكم وحدهٖ .
كما القرد يحكم وحدهٖ .
كما الحاكمُ الفرد في العالم العربيِّ
يغني .. ويسمع وحدهٖ .

فلا من حوار ..
ولا من سؤال ..
ولا من جواب ..

٢

هنا الجنس ..
معتقل عسكري
ففيه غسيل دماغ
وكسر عظام
وفيه سياط ..
وجلد ..
وفيه اغتصاب ..

٣

هنا ..
مصنع جاهلي قديم
لتعليب لحم الطيور ..
وتجليد شدو الحمام ..
هنا ..
يتطاير ريش الدجاج
وتلمع ، فوق الفراش
عيون الذئاب ..
هنا الجنس
أشبه في حفلات (الكوريدا)
فتطعن فيه النهود ..
وتسفك فيه الدماء ..
هنا .. يذبحون المها ..
وعيون المها ..
ولا يسمحون لها بالبكاء ..

٤

هناك رجال ..
يرون النساء مجرد ثقب ..
وحفلة جنس ..
هناك رجال ..
يطنون أن اقتحام البكارة

لعبة سيف وترس ..
وتمّ نساءً ..
يضاجعن كل ذكور القبيلة
دون رضاءٍ .. ودون اشتها .
ومن غير نفس ..

ه

هناك رجالٌ .
يحبون مثل الجواميس
من غير فكرٍ ..
ومن غير حسٍ ..
أنا لست من هؤلاء الرجال
فصعبٌ عليّ ممارسة الحب
من غير رأسي ..

فولكلور

أسمعُ بخشوع
موسيقى برامزٍ .
وبيتهوفن .
وشوبانٍ .
ورحمانينوفٍ .
لكن البدويّ في داخلي
يظل يشتاقي إلى صوت الربابة

أنا والفصول

لم يكن الربيع صديقي
في يوم من الأيام
ولا تحمست
لطبقات الطلاء الأحمر ، والأزرق
التي يضعها على وجهه ..
ولا للأشجار التي تقلد
راقصات الـ (فولّي بيرجير)
الخريفُ وحده ..

هو الذي يشبهني .

المبدعون

كل المبدعين الكبار
كانوا في حالة صدامٍ مع العالم .
من كافكا ،
إلى فان كوخ ،
إلى صاموئيل بيكيت
إلى سيلفادور دالي
إلى عروة بن الورد
والذين لا يصطدمون بشيء ..
لا يبدعون شيئاً ...

عنواني

ليس لي إقامة دائمة
في أي مكان .
إن إقامتي الدائمة
هي على ورقة الكتابة ...

إسترجاع السماء

هل يكفي كل ما نكتبه من شعر؟
لاسترجاع سننمتر واحد
من هذه السماء الزرقاء

الأقنعة

ليسَ عندي قصائد سرية
أحتفظ بها في جواريري .
إن القصيدة التي لا أنشرها
عي زائدة شعرية ..
مهدة بالانفجار كل لحظة

عيناك وأسلحتي

١

استعملت معك ..
كل الأسلحة التقليدية
وكل الأسلحة المتطورة
من قوس النشاب ...
إلى الخنجر اليماني ..
إلى الرمح الإفريقي
إلى الصاروخ العابر للقارات .
استعملت حتى أظفري
لكسر جدار كبريائك

٢

وبعدما خسرتُ خيولي ..
وجنودي ..
وأوسمتي ..
قعدت على مدافعي أبكي
لأنني اكتشفتُ
أن جميع خرائطي قد سرقتُ
وجميع برقياتي السرية قد كشفت
وأن أشجع رجالي
تركوني
والتجأوا إلى عينيك السوداوين ...

السفر الملحن

يعجبني
ركوب قطارات السكة الحديدية
إنها نوع من السفر الملحن ...

ليبرالية

لا أسمح لك ..
أن تمارسي سلطاتك عليّ
باسم الحب

أو باسم الأمومة ..
أو تحت أي شعار عاطفي آخر
فأنا منذ أن خلقتني الله ..
في حرب دائمة مع السلطة ...

إحباط

أردت ..
أن أكون سفيرَ الكلمات الجميلة
فغلبني القبح ..
وأردت تشجير الصحراء
فأكلني الملح ...

الشمس

الشاعر والديك
مصابان بجنون العظمة°
فهما مقتنعان
أن شمس الصباح
تطلع من حنجرتيهما ..

الديك يشرب القهوة

صوتُ الديك .
مليء بالرجولة ..
ولذلك ، فإن كل صبايا القرية
يتركن فراشهن المبلل بالأحلام
ليصنعن له ، قهوته الصباحية ...

إستجواب

سألني ضابط الحدود .
كم عمرك ؟
قلتُ : خمس وستون قصيدة ..
قال : يا الله .. كم أنت طاعن في السن ..

قلت : تقصد .. كم أنا طاعنٌ في الحرية ...

حضارة الكتابة

الورقة البيضاء
جسدٌ ..
وعلى الشاعر الذي يريد
أن يمارس الحب معها ..
أن يكون على مستواها الحضاريّ ..

تحرش

إذا لم تستطع أن تكون مدهشاً
فإياك ..
أن تتحرش بورقه الكتابة .

صيدُ العصافير

الشاعرُ .
يتمنى أن يكونَ عصفوراً .
أما العصفور
فيرفض أن يكونَ شاعراً
حتى لا تصطادهُ ..
الأنظمة العربية ..

التنصت على الله ...

ذهبَ الشاعر يوماً إلى الله ..
ليشكو له ما يعانيه من أجهزة القمع ..
نظر الله تحت كرسيه السماوي
وقال له : يا ولدي .
هل أفتلت الباب جيداً ؟؟

محاكم التفتيش

لا يستطيع أحد أن يستجوب قصيدة ..

ويسألها : أين كانت ؟
ومع من كانت ؟
وفي أي ساعة رجعت إلى البيت ؟
القصيدة ، هي التي تطرح أسئلتها
وتستجوب مستجوبها

إستراحة المحارب

في الشعر ..
لا يوجد شيء اسمه استراحة المحارب
ولا يوجد إجازات صيفية
ولا إجازات مرضية
ولا إجازات إدارية
فإما أن تكون متورطاً
حتى آخر نقطة من دمك
وإما أن تخرج من اللعبة ..

مشنقة

هو شاعرٌ جماهيري ..
إذن ..
لا بد من شنقه
على أهداب محبيه ..

حروبي الجميلة

كلما كتبتُ قصيدة ناجحةً
بدأ القصف المدفعي
عليّ .. وعليها ..
إن أكثر ما يضايقني في الشعر
هو معاهدات الصلح ..
واتفاقيات الهدنة ...

أعراس

كل قصائدي ...

تزوجت - والحمد لله -
ولم يبقَ عندي في البيت
قصيدة واحدة ، لم يأت نصيبها
لذلك يكرهني .. كل من لديه
بنتٌ عانسٌ ..
أو قصيدةٌ عانسٌ ...

التنظير

لا أحدَ يطلبُ من الوردية
أن تعقد مؤتمراً صحفياً
تتحدث فيه عن تاريخها
وفصيلة دمها ..
وطبقها المفضل ..
فلماذا نطلب من القصيدة
أن ترتكب هذه حماقة ؟

المتنبي

تستطيع بئر النفط ...
أن تضخ عشرة ملايين برميل يومياً
ولكنها ، لا تستطيع أن تضخ ...
متنبياً واحداً !!!

الثقافة المفخخة ...

كل شيء في حياتنا
صار مفخخاً ..
السيارات .. والرسائل .. والطرود البريدية
حتى الثقافة العربية
صارت مفخخةً ...

تصحيح

أنا لا أطيق الحربَ
على جنس العرب

وإنما أعلنها ،
على عرب الجنس !!.

الطيور السويسرية

حملتُ جرائدي العربية
وجلستُ لأقرأها
على ضفاف بحيرة جنيف
فجأة ..
هربت مئات الطيور ، مذعورة
كأنها خافت على ثقافة أولادها
من عناوين جرائدي ..
وأخبار بلادي ...

ياسمين دمشق

الياسمين الدمشقي
له أظافر بيضاء ..
تنقب جدران الذاكرة ...

أمي

في أيام الصيف ..
أذهب إلى حديقة النباتات في جنيف
لأزور أمي ...
فهي تعمل بستانية لدى الحكومة السويسرية
وتقبض عشرة فرنكات
عن كل وردةٍ شاميةٍ
تزرعها لهم ...

مسرح

المرأة بطبيعتها
تحب الرجلَ الذي يتكلم دونَ توقف ..
ويكذب دونَ توقف
لذلك ، يخسر جميع الرجالُ

الذين لا يجيدون فن الدراما ،
والإلقاء المسرحي

الزواج

المأذون ..
هو الطاهي الذي
يحولُ علاقات الحب الجميلة
إلى أسماك مثلجة ...

البدعة

١

البدعة ..
هي أن تنفض عنك
غبارك الصحراوي
وتأخذ دوشاً ..
صباح كل يوم .

٢

البدعة ..
هي أن تخرج من بطن آلة التسجيل
وترتجل نصك

٣

البدعة عند العرب
معناها ..
أن تهرب من المقبرة الجماعية
وتسكن في فيلا على البحر ...

٤

البدعة ..
هي أن تخرج من علبة السرددين
التي انتهت مدة استعمالها
وترمي نفسك
كالسمكة في البحر ...

٥

البدعة
هي أن تخلع قنبارك ..
وقبقابك ...
وطربوشك العثماني
وتصهل كحصان
في براري الحرية ..

في الشعر

١

هو شاعر
إنه يثقب الفضاء
بإبرة الشعر ...

٢

هو شاعر
البرق منزله
والبحر سيرته الذاتية ...

٣

هو شاعر
كلما خرج من فندق كلماته
وجد سيارة البوليس بانتظاره ...

٤

هو شاعر
ينزل من بطن أمه
وفي يده ..
عريضة احتجاج
وعلبة كبريت ...

٥

هو شاعر
يحرق كل يوم ذاكرته
ويتدفأ عليها ...

٦

هو شاعر

يركب دراجة الطفولة
ويمد لسانه
لكل إشارات المرور ..

٧

هو شاعر
إنه يقنع الأشياء
أن تغير عاداتها ...

٨

هو شاعر
يعلم أشجار الغابة .
أن تسير في مظاهرة
من أجل الحرية ...

٩

هو شاعر
كلما ظهر في أمسية شعرية
أطلقوا عليه القنابل
المسيلة للأحزان ...

١٠

هو شاعر
تزوج الحرية زواجاً مدنياً
وأنجب أولاداً
شعرهم بلون السنابل
وعيونهم بلون البحر ...

١١

هو شاعر
لذا ، يطلبون منه ، أن يقدم تقريراً
عن عدد أصابعه ..
كل يوم ...

١٢

هل الشعراً ،
هو ديوان العرب
أم هو محكمتهم العسكرية؟؟

١٣

باستثناء بعض الكبار
في تاريخنا الشعري
فإن الشعراء العرب
كتبوا قصيدة واحدة
ووقعوا عليها جميعاً
بالأحرف الأولى ...

١٤

في تاريخ الشعر العربي
ثمة مراحل هابطة
كان فيها الشعراء
ينزلون في فندق واحد ..
ويأكلون من صحن واحد ..
وينامون في سرير واحد ..
وينجبون أولاداً متشابهين ...

١٥

في الشعر ..
لسنا بحاجة إلى لباس موحد
وقماش موحد ..
ولون موحد ..
فالشعراء ليسوا جنوداً .. ولا ممرضات
ولا مضيفات طيران ...
إن اللباس الموحد في الشعر
سيجعل من الشعراء العرب
فريقاً لكرة القدم ...

١٦

الشاعرُ الحديثُ ..
هو الذي يستقيل من الجوقة الموسيقية
وسلطة الإيقاع العام ..
ليؤلف قصيدته الخاصة ...

في النرجسية

١

هو شاعر نرجسي
لأنه يتمرى بماء قصيدته.
ويمشي وحيداً ، على ضفاف لغته .
ويصنع فنجاناً من القهوة
يقدمه لنفسه ...
ويهدي نفسه وردة واحدة .. كل يوم
إذا لم يجد من تُهديه وروداً ...

٢

هو شاعر نرجسي
ينام على ذراع كلماته
إذا لم يجد ذراع امرأة
ينام عليها ..

٣

النرجسية ..
هي أن يؤمن الشاعر
بأن قصيدته
هي نقطة ارتكاز الكرة الأرضية

٤

الشاعر النرجسي
يتصور ..
أنه هو الذي يعين الملوك ...
وهو الذي يقيلهم ..
وهذا الوهم الجميل
هو الذي قتل شاعراً كبيراً
كالمتنبي ..

سايكولوجية قطة ...

١

فيك كل طباع القطط المتوحشة

وعدوانية سمك القرش ..
ليس لك وطن نهائي ..
ولا رجل نهائي ..
شهواتك مؤقتة
وعشاقك مؤقتون
وإقامتك المعروفة
هي تحت معاطف الرجال ..
وفي غمائم التبغ ..
ورائحة القهوة ...

٢

نهداك .. لا يعترفان بالجغرافيا ...
ولا يلتزمان بقواعد المرور ..
ليس من السهل تعليمك
لأن الريح لا تعلب .
ولا من الممكن اعتقال أنوثتك
لأن البرق .. لا يوضع في قارورة
لا تستقرين على غصن شجرة
ولا على ذراع رجل ..
تلهئين وراء كل القطارات
وليس لك أرصفة ..
وتبحرين على كل السفن ..
وليس لك موانئ ..
وتصاحبين قبائل من الرجال
ولكنهم في آخر الليل
ينامون في حقيبة يدك ..

٣

لا أريد تحديد إقامتك
فصعب جداً ..
تحديد إقامة العصافير ..
ولا أرغب في رسم مساراتك
فنهذاك يقتحمان البحر بلا بوصلة.
وعطرك يخترق رجولة الرجال
كأشعة الليزر ...

٤

لست بحاجة إلى معارفي
فأنت موسوعة عشق ...
ولست بحاجة إلى حكمتي
وأيديولوجياتي المسروقة من الكتب
إن جسدك يصنع قوانينه
كما يفرز الثدي حليبه ...
والنحلة عسلها ..
والقصيدة موسيقاها ...

٥

لا أريدك أن تتخلي
عن شعرة واحدة من بوهيميتك
أو عن ظفر واحد ..
من أظفرك المتوحشة
لا أريدك أن تستبدلي جلدك
بجلد جديد ..
أو أن تتخلي عن فصيلة دمك
وفوضاك الرائعة ...
ففوضاك نظام ...
وجنونك ...
هو أرقى حالة من حالات العقل ...

٦

إنني أقبلك كما أنت ..
بخبيثك ..
ومكرك ..
وبهلوانياتك ..
وتعدديتك ..
لن يفيد معك اللطف .. ولا العنف ...
ولا إصلاحيات الأحداث ..
فقد خلقتك الله هكذا ...
وخلقتك الشعر هكذا ...
وأية محاولة لقتلك
ستكون قتلاً للحرية

واغتيالاً للشعر ...

٧

إرمي جميع كلماتي في البحر
وتصرفي بحماقة زلزال ..
فبين نهديك .. نيران اسبانية
لا أستطيع مقاومتها .
وبين شفتيك .. قبائل بدائية
لا أريد تحضيرها ..
وعلى حلمتيك .. كتابات سريالية
لا قدرة لي على شرحها ..
وداخل سرتك .. آبار أرتوازيه
لا أريد اكتشافها ..

٨

لست بحاجة إلى ثورتي
لتغيري هذا العالم ..
ولست بحاجة إلى شعري
لتغيري لون البحر ..
فمن أنوثتك يبدأ كل شيء .
وبأنوثتك ينتهي كل شيء ..

**إنهم يخطفون اللغة ..
إنهم يخطفون القصيدة ..**

١

في زمن اللاكتابة ..
لا أدري ماذا أكتب إليك ؟
وفي زمن اللاحوار ..
لا أعرف كيف أحاور يديك الجميلتين .
وفي زمن الحب البلاستيكي
لا أجد في كل لغات الدنيا
جملة مفيدة
أزين بها شعري الطري ..
كصوف الكشمير ...

فالأشجار ترتدي الملابس المرقطة
والقمر ..
يلبس خوذته المعدنية كل ليلة
ويقوم بدورية الحراسة
خلف شبابيكنا ..

٢

العالم يا حبيبتى
مخفر بوليس كبير
وعلينا أن نقف في الطابور كل يوم
لكي نثبت :
أنا لا تقرب النساء ..
ولا نتعاطى إلا العنف والماء ..
ولا نعرف شيئاً عن زرقة البحر
وتوركواز السماء .
وأننا لا نقرأ الكتب المقدسة
وليس في بيوتنا
مكتبة .. ولا دفاتر .. ولا أقلام رصاص
وأننا لا نزال
(أمواتاً عند ربهم يرزقون)

٣

في هذا الزمن الذي باع كل أنبيائه
ليشتري مكيفاً للهواء
وباع كل شعرائه
ليقتني جهاز فيديو ..
في هذا الزمن
الذي يقايض الوردة .. بساعة (سايكو)
وقصيدة الشعر .. بحذاء ..
في هذا الزمن المدجج بموسيقى الجهل
وسراويل الجينز ..
وشيكات (الأميركيان إكسبرس)
في هذا الزمن الذي يعتبر سيلفستر ستالوني
أعظم من الإسكندر المقدوني ..
ويصبح فيه مايكل جاكسون

أكثر شعبية من السيد المسيح ..
أشعرُ بحاجة للبكاء على كتفيك
قبل أن يفترسنا عصر الفورمايكا
وعصرُ تأجير الأرحام ..
أشعرُ بحاجةٍ ، يا حبيبتى ،
لقراءة آخر قصيدة حب ، كتبتها
قبل أن تصبحي آخر النساء ..
وأصبحَ أنا ..
آخر حيوان يقرض الشعر ...

٤

في زمن الميليشيات المثقفة ..
والكتابات المفخخة
والنقد المسلح ..
في زمن الأيديولوجيات الكاتمة للصوت
والمذاهب الكاتمة للصوت
والفتاوى الكاتمة للصوت
في زمن خطف القصيدة ..
بسبب أنوثتها ..
وخطف المرأة
بسبب شموخ نهديها ..
وخطف اللغة
بسبب أسفارها الكثيرة إلى أوروبا
وخطفِ الشاعرِ ..
بسبب علاقاته المشبوهه
مع رامبو .. وفيرلين .. وبول ايلور .. ورينه شار
وغيرهم من الشعراء الصليبيين
في زمن المسدس الذي لا يقرأ .. ولا يكتب
أقرأ في كتاب المعتقل السياسي
كتاباً ممنوعاً عن الحرية
وكما يفرح المسجون
بعلبة سجائرٍ مهربةٍ ...

٥

في زمن هذا الإيدز الثقافي

الذي أكل نصف أصابعنا .. ونصف دفاترنا ..
ونصف ضمائرنا ..
في زمن التلوث الذي لم يترك لنا غصناً أخضر
ولا حرفاً أخضر ..
في زمن الكتبة الخارجين من رحم النفط
والصحافة التي فقدت بكارتها مليون مرة ..
والبقية تأتي ...
في زمن ..
صار فيه (وول ستريت)
أهم من سوق عكاظ
وسلطان بروناي
أهم من أبي الطيب المتنبي ..
التجيء إلى ذراعيك المفتوحتين
كما تلجئ الحمامة إلى برج كاتدرائيها
وكما تتخبأ غزالة بين القصب
من بواريد الصيادين ...

٦

في عصر أدب الأنابيب ..
والأدباء .. الذين ترببهم السلطة في الأنابيب .
في زمن صار فيه الغزل بالكومبيوتر ..
واللواط الفكري بالكومبيوتر
وهز الأرداف .. بالكومبيوتر ..
وهز الأقدام .. بالكومبيوتر ..
في هذا الزمن الذي تساوت فيه تسعيرة الكاتب
وتسعيرة المومس ...
أحاول أن أهرب إلى مرافئ عينيك ..
حيث السباحة لا تزال ممكنة ..
وكتابة الشعر .. لا تزال ممكنة

٧

في زمن يخاف في القلم من الكلام مع الورقة
ويخاف في الرضيع من الاقتراب من ثدي أمه ..
ويخاف فيه الليل من أن يمشي وحده في الشارع
وتخاف فيه الوردية من رائحتها ..

والنهدان من حلمتيهما ..
والكتب من عناوينها ..
في زمن .. لا فضل في لعربي على عربي
إلا بالقدرة على الخوف ..
والقدرة على البكاء ..
أنادي عليك ..
بكل الكلمات التي أحفظها من زمن الطفولة
والتي كتبتها على دفاتر مدرستي صغير
طمرته في حديقة البيت ..
حتى لا يسقط بين أنياب المتوحشين ...

٨

في زمن ..
سافر فيه الله .. دون أن يترك عنوانه
أتوسل إليك ..
أن تظلي معي .
حتى تظل السنابل بخير
والجداول بخير ...
والحرية بخير ...
وجمهورية الحب .. رافعة أعلامها ...

١٩٨٨/٦/٧

***** النهاية *****

عذاب

Simpo PDF Merge and Split Unregistered Version - <http://www.simpopdf.com>



أحبك..

والبقية .. تأتي

نزار قباني

الطبعة السابعة

١٩٩٣

الرسوم الداخلية

للفنان مراكنا دبدوب



كونشرتو البيانو

١

كل شيء ممكن ..
في ذلك الليل الذي يثقبه صوت المطر
كل شيء ممكن ..
حين يكون المرء بالكونياك مغسولاً
وبالأحزان مغسولاً
وبالمجهول مسكوناً
وحين المرء لا يرضى بأن يبقى حجر ..
فلماذا ؟

تستشيرين الفناجين ، لماذا ؟
تطرحين الأسئلة ..
ولماذا ؟

جئت صوب البحر ،
إن كنت تخافين السفر ..

٢

كل شيء ممكن ..
ما بين تشرين ، وتشرين ،
وما يحدث في داخل نهديك طبيعي
كهذا السكر الدافق من قلب الثمر ..
فاتركي أمرك لله .. ونامي
إن نهديك يجيئان إلى الدنيا قضاءً وقدر ..
ويموتان قضاءً وقدر ..

٣

سوف يأتي الحب في موعده ..
فالبسي قفطانك المصري ..
لا أدري لماذا ..
أذكر الآن حقول القطن في الدلتا ..
وشمس القاهرة ..
فاجلسي حيث تحبين ..
فكونشرتو البيانو
سوف يلغي الوقت ..

يلغيك ..
ويلغيني
ويلغي العُقدَ الأولى التي نحملها منذ الولادة
سيجيءُ الحبُّ في موعده ..
ويجيءُ الجنسُ في موعده ..
إن كونشرتو البيانو
يمسحُ الأشياءَ بالكافور والزيتِ ،
يذيبُ الثلجَ عن وجه البحيراتِ ..
ويأتي بالفرشاتِ الغريباتِ ،
ويأتي بالحقولِ ..
فاتركي الأمرَ طبيعياً .. وسهلاً ..
إن كونشرتو البيانو
يتولى هو إيجادَ الحلولِ ..
سيجيءُ الحبُّ في موعده ..
والبيانو ..
سيناديننا إلى غرفته المائية الشكلِ ،
ولا أعلمُ ما سوفَ يقولُ ..

٤

كلُّ شيءٍ ممكنٌ ..
في ذلك الليل الذي يثقبه صوتُ المطرِ
إن تشايكوفسكي ..
يمر الآن كالعصفور من ساحاتِ بطرسبرغِ ،
يأتي من ممراتِ جبال الألبِ ،
ينساب كحلمٍ أخضرٍ من حيِّ مونبارناسِ ،
تشايكوفسكي ..
يمرُّ الورقَ الأصفرَ من غاباتِ أوروبا ..
يُصلي في أياصوفيا ..
ويبكي في رحابِ النجفِ الأشرفِ ،
ما بين المرايا .. والقبابِ الذهبية ..

٥

كلُّ شيءٍ ممكنٌ ..
في ذلك الليل الذي يثقبه صوتُ المطرِ ..
فالبسي قُفطانكِ الكرديَّ ..

لا أدري لماذا ..
أذكرُ الموصلَ أيامَ الربيعِ
وحقولَ القضيبيِّ المائيِّ في الأهوارِ ،
لا أدري لماذا ..
تحضر الآن إلى بالي بساتينُ الرصافةِ
و (الشناشيلُ) التي تملأُ شطَّ الأعظميةِ
والكتاباتُ التي يكتبها اللهُ .. بورديٍّ وذهبٍ ..
عند لحظاتِ الغروبِ ..
فوق شَعْرِ النخلِ في شطِّ العربِ ..

٦

يا صباحَ الفلِّ .. هل أنتِ بخيرٍ ؟
إنَّ كونشرتو البيانو
أشعلَ النارَ لنا .. ثم ذهبَ ..

البرقالة

١

يُقشرنِي الحبُّ كالبرقالةِ ..
يفتحُ في الليلِ صدري ،
ويتركُ فيه :
نبيذاً ، وقمحاً ، وقنديلاً زيتاً
ولا أتذكرُ أني انذبتُ
ولا أتذكرُ أني نزفتُ
ولا أتذكرُ أني رأيتُ ..

٢

يُبعثرنِي الحبُّ مثلَ السحابةِ ،
يلغي مكانَ الولادةِ ،
يلغي سنسنَ الدراسةِ ،
يلغي الإقامةَ ، يلغي الديانةَ ،
يلغي الزواجَ ، الطلاقَ ، الشهودَ ، المحاكمَ ،
يسحبُ مني جوازَ السفرِ ..
ويغسلُ كلَّ غبارِ القبيلةِ عني
ويجعلني ..
من رعايا القمرِ ..

٣

يُغِيرُ حَبْكَ طَقَسَ الْمَدِينَةِ ، لَيْلَ الْمَدِينَةِ ،
تَغْدُو الشَّوَارِعُ عِيداً مِنْ الضَّوءِ تَحْتَ رِذَاذِ الْمَطَرِ
وتغدو الميادينُ أكثرَ سحراً
ويغدو حمامُ الكنائسِ يكتبُ شعراً
ويغدو الهوى في مقاهي الرصيفِ
أشدَّ حماساً ، وأطولَ عمراً ..
وتضحكُ أكشاكُ بيعِ الجرائدِ حينَ تراكِ ..
تجيبينَ بالمعطفِ الشتويِ إلى الموعدِ المنتظرِ ..
فهل صدفةٌ أن يكونَ زمانكِ
مرتبطاً بزمانِ المطرِ ؟ ..

٤

يُعلمني الحبُّ ما لستُ أعلمُ ،
يكشفُ لي الغيبَ ، يجترحُ المعجزاتِ
ويفتحُ بابي ويدخلُ ..
مثلَ دخولِ القصيدةِ ،
مثلَ دخولِ الصلاةِ ..
وينثرني كعبيرِ المانوليا بكلِّ الجهاتِ
ويشرحُ لي كيف تجري الجداولُ ،
كيف تموجُ السنابلُ ،
كيف تُغني البلبَلُ والقبرَاتُ
ويأخذُ مني الكلامَ القديمَ ،
ويكتبني بجميعِ اللغاتِ ..

٥

يقاسمني الحبُّ نصفَ سريري ..
ونصفَ طعامي ،
ونصفَ نبيذي ،
ويسرقُ مني الموانيءَ والبحرَ ،
يسرقُ مني السفينةَ
وينقرُ كالديكٍ وجهَ الشراشفِ ،
يصرخُ فوقَ قبابِ المساجدِ .
يصرخُ فوقَ سطوحِ الكنائسِ ..
يوقظُ كلَّ نساءِ المدينةِ ..

٦

يعلمني الحبُّ كيف تكونُ القصائدُ مائةَ اللونِ ،
كيف تكونُ الكتابةُ بالياسمينِ ..
وكيف تكونُ قراءةُ عينيكِ ..
عزفاً جميلاً على الماندولينِ
ويأخذني من يدي .. ويريني بلاداً
نهوّدُ جميلاتها من نحاسٍ ..
وأجسادهنَّ مزارعُ بُنٍّ ..
وأعينهنَّ غناءً فلامنكو حزينُ
وحينَ أقولُ : تعبتُ
يمدُّ عباةً تحت رأسي
ويقرأ لي ما تيسرَ من سورةِ الصابرينِ

٧

يفاجئني الحبُّ مثلَ النبوءة حين أنامُ
ويرسمُ فوق جبينِي
هلالاً مضيئاً ، وزوجَ حمامٍ
يقولُ : تكلمْ !!
فتجري دموعي ، ولا أستطيعُ الكلامَ
يقولُ : تألمْ !!
أجيبُ : وهل ظلُّ في الصدر غير العظامِ
يقولُ : تعلمْ !!
أجوبُ : يا سيدي وشفيعي
أنا منذ خمسينَ عاماً
أحاولُ تصريفَ فعل الغرامِ
ولكنني في دروسي جميعاً رسبتُ
فلا في الحروب ربحتُ ..
ولا في السلامِ ..

تجليات صوفية

١

عندما تسطع عيناكِ كقنديلِ نحاسي ،
على باب ولي من دمشق
أفرشُ السجادةَ التبريزَ في الأرض وأدعو للصلاة ..

وأنادي ، ودموعي فوق خدي : مدد
يا وحيداً .. يا أحد ..
أعطني القوة كي أفنى بمحوبي ،
وخذ كل حياتي ..

٢

عندما يمتزج الأخضر ، بالأسود ، بالأزرق ،
بالزيتي ، بالوردي ، في عينيك ، يا سيدتي
تعتريني حالة نادرة ..
هي بين الصحو والإغماء ، بين الوحي والإسراء ،
بين الكشف والإيماء ، بين الموت والميلاد ،
بين الورق المشتاق للحب .. وبين الكلمات ..
وتناديني البساتين التي من خلفها أيضاً بساتين ،
الفراديس التي من خلفها أيضاً فراديس ،
الفوانيس التي من خلفها أيضاً فوانيس ..
التي من خلفها أيضاً زوايا ، وتكايا ، ومريدون ،
وأطفال يغنون .. وشمع .. وموالذ ..
وأرى نفسي ببستان دمشق ..
ومن حولي طيور من ذهب ..
وسماء من ذهب
ونوافير يثرثرن بصوت من ذهب
وأرى ، فيما يرى النائم ، شباكين مفتوحين ..
من خلفهما تجري ألوف المعجزات ..

٣

عندما يبدأ في الليل ، احتفال الصوت والضوء ..
بعينيك .. وتمشي فرحاً كل المآذن ..
يبدأ العرس الخرافي الذي ما قبله عرس ..
وتأتي سفن من جزر الهند ، لتهديك عطوراً وشموساً ..
عندها ..
يخطفني الوجد إلى سبع سماوات ..
لها سبعة أبواب ..
لها سبعة حراس ..
بها سبع مقاصير ..
بها سبع وصفات ..

يقدمنَ شراباً في كؤوسٍ قمريةٍ ..
ويقدمنَ لمن مات على العشقِ ،
مفاتيحَ الحياةِ السرمديهِ ..
وإذا بالشامِ تأتيني .. نهوراً .. ومياهاً ..
وعيوناً عسليهِ ..
وإذا بي بين أمي ، ورفاقي ،
وفروصي المدرسيةِ ..
فأنادي ، ودموعي فوق خدي :
مددُ !

يا وحيداً ، يا أحدُ
أعطني القدرةَ كي أصبحَ في علم الهوى ..
واحداً من أولياء (الصالحية) ...

٤

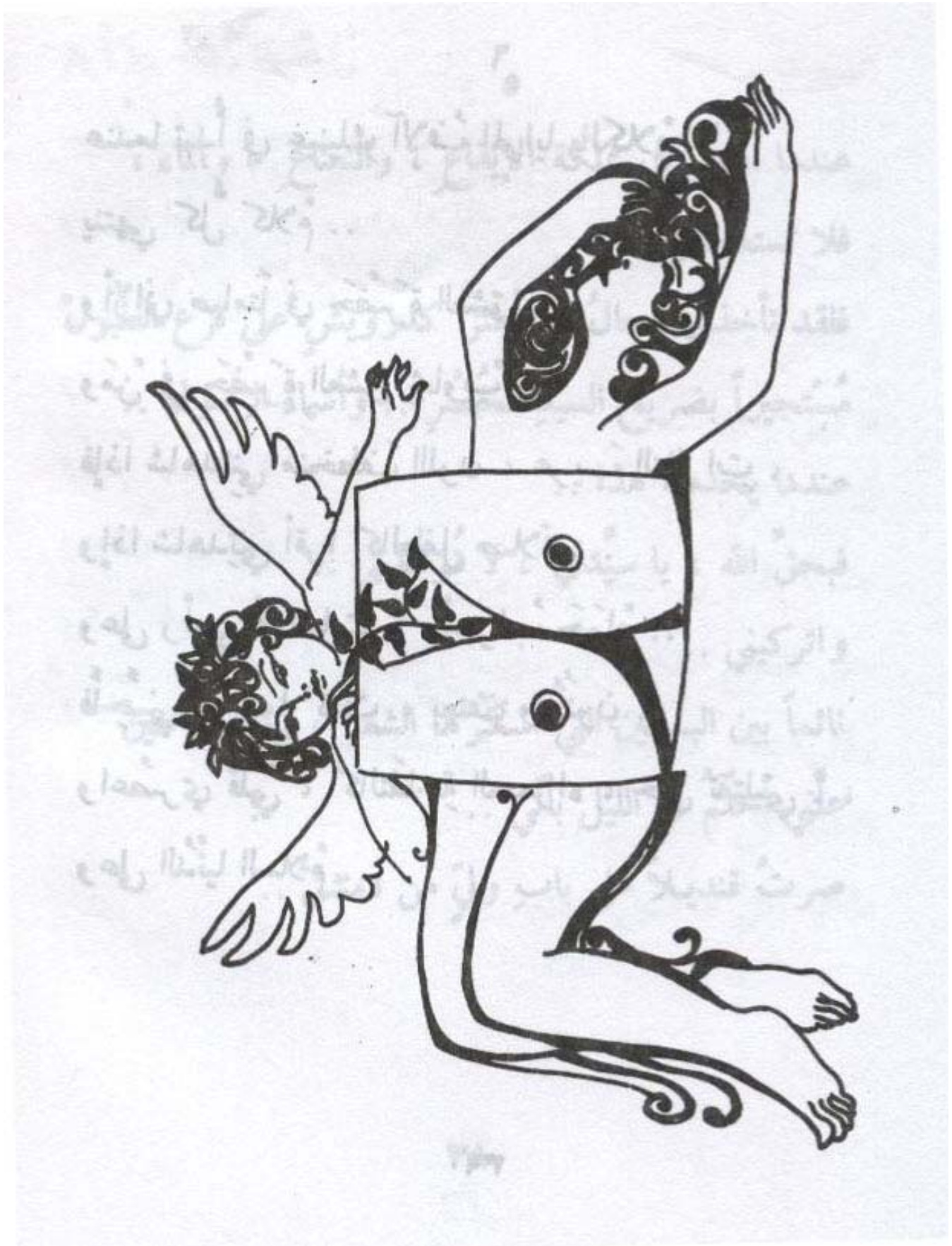
عندما يرتفعُ البحرُ بعينيكِ كسيفٍ أخضرٍ في الظلماتِ
تعتريني رغبةٌ للموتِ مذبوحةً على سطح المراكبِ
وتناديني مسافاتٌ ..
تناديني بحيراتٌ ..
تناديني كواكبٌ ..
عندما يشطرنِي البحرُ إلى نصفينِ ..
حتى تصبحَ اللحظةُ في الحبِ ، جميعَ اللحظاتِ ..
ويجيءُ الماءُ كالمجنون من كل الجهاتِ ..
هادماً كل جسوري ..
ماحياً كل تفاصيل حياتي ..
يتولاني حنين للرحيلِ
حيث خلف البحر بحرٌ ..
ووراءَ الجزر مدٌ .. ووراءَ المدِّ جزرٌ ..
ووراءَ الرمل جناتٌ لكل المؤمنينِ
ومناراتٌ ..
ونجمٌ غيرٌ معروفٍ ..
وعشقٌ غيرٌ مألوفٍ ..
وشعرٌ غيرٌ مكتوبٍ ..
ونهدٌ .. لم تمزقهُ سيوفُ الفاتحينِ

٥

عندما أدخل في مملكة الإيقاع ، والنعناع ، والماء ،
فلا تسعجيني ..
فقد تأخذني الحال ، فأهتزُّ كدرويشٍ على قرع الطبول
مستجيراً بضريح السيد الخضر .. وأسماء الرسول ..
عندما يحدث هذا ..
فبحقّ الله ، يا سيدتي ، لا توقظيني ..
واتركيني ..
نائماً بين البساتين التي أسكرها الشعرُ ، وماء الياسمين
عني أحلمُ في الليل بآني ..
صرت قنديلاً على باب ولي من دمشق ..

٦

عندما تبدأ في عينيك آلاف المرايا بالكلام
ينتهي كلُّ كلامٍ ..
وأراني صامتاً في حضرة العشق ،
ومن في حضرة العشق يجاوبُ ؟
فإذا شاهدتني منخطفَ اللون ، غريب النظراتِ ..
وإذا شاهدتني أقرأ كالطفل صلاتي ..
وعلى رأسي فراشاتٌ ، وأسراب حمامٍ ..
فأحبيني ، كما كنتِ ، بعنفٍ وجنونٍ ..
واعصري قلبي ، كالتفاحة الحمراء ، حتى تقتليني ...
وعلى الدنيا السلام ...



حين أحبك ...

يتغيرُ - حين أحبك - شكلُ الكرة الأرضية ..
تتلاقى طرقُ العالم فوق يديك .. وفوق يديه
يتغيرُ ترتيبُ الأفلاك
تتكاثرُ في البحر الأسماك
ويسافرُ قمرٌ في دورتي الدموية
يتغيرُ شكلي :
أصبحُ شجراً .. أصبحُ مطراً ..
أصبحُ ضوءاً أسوداً ، داخلَ عينِ إسبانية ..
* * *

تتكونُ - حين أحبك - أوديةٌ وجبالُ
تزدادُ ولاداتُ الاطفالُ
تتشكلُ جزرٌ في عينيك خرافة ..
ويشاهدُ أهلُ الأرضِ كواكبَ لم تخطرُ في بالِ
ويزيدُ الرزقُ ، يزيدُ العشقُ ، تزيدُ الكتبُ الشعرية ..
ويكونُ اللهُ سعيداً في حجرته القمرية ..
تتحضرُ - حين أحبك - آلافُ الكلماتُ
تتشكلُ لغةٌ أخرى ..
مدنٌ أخرى ..
أممٌ أخرى ..
تُسرعُ أنفاسُ الساعاتُ
ترتاحُ حروفُ العطفِ .. وتحبلُ تاءاتُ التأنيثِ ..
وينبتُ قمحٌ ما بين الصفحاتِ
وتجيءُ طيورٌ من عينيك .. وتحملُ أخباراً عسليه
وتجيءُ قوافلٌ من نهديك .. وتحملُ أعشاباً هندية
يتساقطُ ثمرُ المانغو .. تشتعلُ الغاباتُ
وتدقُ طبولُ نوبية ..
* * *

يمتلئُ البحرُ الأبيضُ - حين أحبك - أزهاراً حمراءُ
وتلوحُ بلادٌ فوق الماءِ
وتغيبُ بلادٌ تحت الماءِ
يتغيرُ جلدي ..

تخرج منه ثلاث حمامات بيضاء
وثلاث ورودٍ جورية
تكتشف الشمس أنوثتها ..
تضع الأقراط الذهبية
ويهاجر كل النحل إلى سرتك المنسية
وبشارع ما بين النهدين ..
تتجمع كل المدينة ..

* * *

يستوطن حزن عباسي في عينيك ..
وتبكي مدن شيعية
وتلوح مآذن من ذهب
وتضيء كشوف صوفية
وأنا الأشواق تحولني
نقشاً .. وزخارف كوفية
أتمشى تحت جسور الشعر الأسود ،
أقرأ أشعاري الليلية
أتخيل جزراً دافئةً
ومراكب صيد وهمية
تحمل لي تبغاً ومحاراً .. من جزر الهند الشرقية ..

* * *

يتخلص نهدك - حين أحبك - من عقده النفسية
يتحول برقاً . رعداً . سيفاً . عاصفةً رمليه ..
تتظاهر - حين أحبك - كل المدن العربية
تتظاهر ضد عصور القهر ،
و ضد عصور النار ،
و ضد الأنظمة القبلية ..
وأنا أتظاهر - حين أحبك - ضد القبح ،
و ضد ملوك ملح ،
و ضد مؤسسة الصحراء ..
ولسوف أظل أحبك حتى يأتي زمن الماء ...
ولسوف أظل أحبك حتى يأتي زمن الماء ...

قراءة في نهدين إفريقيين

أعطيني وقتاً ..
كي أستقبلَ هذا الحب الآتي من غير استئذانٍ
أعطيني وقتاً ..
كي أتذكرَ هذا الوجهَ الطالعَ من شجر النسيانِ
أعطيني وقتاً ..
كي أتجنبَ هذا الحبَّ الواقفَ في نصفِ الشريانِ
أعطيني وقتاً ..
حتى أعرفَ ما اسمك ..
حتى أعرفَ ما اسمي ..
حتى أعرفَ أين ولدتُ ،
وأين أموتُ ،
وكيفَ سأبعثُ عصفوراً بين الأجنانِ
أعطيني وقتاً ..
حتى أدرسَ حالَ الريحِ ،
وحالَ الموجِ ،
وأدرسَ خارطةَ الخلجانِ ..

* * *

يا امرأةً تسكنُ في الآتي ..
يا حبَّ الفلفلِ والرمانِ ..
أعطيني وطناً يُنسيني كلَّ الأوطانِ
أعطيني وقتاً ..
كي أتقادي هذا الوجهَ الأندلسيَّ ، وهذا الصوتَ الأندلسيَّ ،
وهذا الموتَ الأندلسيَّ ..
وهذا الحزنَ القادمَ من كلِّ مكانٍ ..
أعطيني وقتاً يا سيدتي
كي أتنبأ بالطوفانِ ..

* * *

يا امرأةً ..
كانوا كتبوها في كتب السحرِ
من قبلكِ كان العالمُ نثرأ ..
ثم أتيتِ فكان الشعرُ

أعطيني وقتاً ..
كي أستوعبَ هذا النهْدَ الرَاكضَ نحوِي مثلَ المهرِ ..
كرويُّ نهدِكِ مثلَ النقطةِ فوقَ السطرِ ..
بدوي .. مثلَ جبوبِ الهالِ ،
ومثلَ القهوةِ فوقَ الجمرِ ..
وقديمٌ مثلَ نحاسِ الشامِ ..
قديمٌ مثلَ معابدِ مصرِ ..
وأنا مهتمٌّ بالتاريخِ ،
وعصرٍ يُخرجني من هذا العصرِ
وأنا بدويُّ .. أأخزنُ في رثتي الرياحَ ،
وأأخزنُ في شفتي الشمسَ ،
وأأخزنُ في أعصابي الثأرَ ..
فانكسري فوقَ سريرِ الحبِ ، انكسري
مثلَ دواةِ الحبرِ ..
وانتشري .. كالعطرِ الهنديِّ
فإني اللحمُ .. وأنتِ الظفرُ ..

* * *

أعطيني الفرصةَ ..
كي ألتقطَ السمكَ السابِحَ تحتَ مياهِ الخصرِ
قدماكِ على وبرِّ السجادةِ .. حالةُ شعْرٍ
ويداكِ .. على البطنِ المتحمسِ للأطفالِ ،
قصيدةُ شعْرٍ ..
أعطيني الفرصةَ ..
كي أكتشفَ الحدَّ الفاصلَ بينَ يقينِ الحبِّ ..
وبينِ الكفرِ ..
أعطيني الفرصةَ ..
حتى أقنعَ أني قد شاهدتُ النجمَ
وكلمني سيدنا الخُضرُ ..

* * *

يا امرأةً .. يسقطُ من فخذِها البلحُ الأشقرُ ..
مثلَ النخلةِ في الصحراءِ ..
يتكلمُ نهدكِ سبعَ لغاتٍ ..
وأنا أحترفُ الإصغاءَ ..

أعطيني الفرصة ..
كي أتجنب هذا الحبّ العاصف ،
هذا الحبّ الجارف ..
هذا الحبّ الشتويّ الأجواء
أعطيني الفرصة حتى أقتنع ، حتى أوّمن ، حتى أكفر .
حتى أدخل في لحم الأشياء ...
أعطيني الفرصة .. حتى أمشي فوق الماء ..
* * *

أعطيني الفرصة ..
كي أنهياً قبل نزول البحر ..
فكثيفٌ ملحُ البحر العالقُ بين السُرةِ .. والنهدين
وكثيفٌ سمكُ القرش القادم .. لا أدري من أين ؟
أعطيني الفرصة كي أتتفس ..
إن حشيشَ البحر خرافيُّ تحت الإبطين
أعطيني الفرصة ..
حتى أقرأ حظّي في عينيكِ المغلقتين ..
فأنا سيدتي لم أعود ..
أن أقمصَ في رجلين ..
* * *

يا ذات الوجه الإفريقيّ ، المأساوي ، السنجابي ..
يا امرأةً تدخل في تركيب النار ، وفي تركيب الأعشاب ..
أعطيني الفرصة كي أنهياً ..
كي أتأقلم ..
كي أعود ..
كي أتأكد من ماهية إعجابي ..
أعطيني عشرَ دقائق .. خمسَ دقائق ..
حتى يهدأ زبدُ الجنس ، وتهدأ حربُ الأعصاب ..
* * *

أعطيني الفرصة كي أرتاح ..
وعند الفجر ، سأعطيكِ جوابي ..



أحبك .. أحبكِ .. والبقية تأتي

حديثك سجادة فارسية ..
وعيناك عصفورتان دمشقيتان ..
تطيران بين الجدار وبين الجدار ..
وقلبي يسافرُ مثل الحمامة فوق مياه يديكِ ،
ويأخذ قبولةً تحت ظل السوار ..
وإني أحبكِ ..
بكن أخاف التورطَ فيكِ ،
أخافُ التوحدَ فيكِ ،
أخافُ التقمصَ فيكِ ،
فقد علمتني التجارب أن أتجنب عشق النساء ،
وموجَ البحار ..
أنا لا أناقشُ حبكِ .. فهو نهاري
ولستُ أناقشُ شمسَ النهارِ
أنا لا أناقشُ حبكِ ..
فهو يقرر في أي يوم سيأتي . وفي أي يومٍ سيذهبُ ..
وهو يحددُ وقتَ الحوارِ ، وشكلَ الحوارِ ..
* * *

دعيني أصب لك الشاي ،
أنتِ خرافية الحسن هذا الصباح ،
وصوتكِ نقشٌ جميلٌ على ثوب مراكشيه
وعقدكِ يلعبُ كالطفل تحت المرايا ..
ويرتشفُ الماء من شفة المزهرية
دعيني أصب لك الشاي ، هل قلتُ إني أحبكِ ؟
هل قلتُ إني سعيدٌ لأنكِ جئتِ ..
وأن حضوركِ يُسعدُ مثلَ حضور القصيدة
ومثل حضور المراكب ، والذكريات البعيدة ..
* * *

دعيني أترجم بعض كلام المقاعد وهي ترحب فيكِ ..
دعيني ، أعبُرُ عما يدور ببال الفناجين ،
وهي تفكر في شفقتكِ ..
وبالِ الملاعقِ ، والسُكُريةِ ..

دعيني أضيفك حرفاً جديداً ..
على أحرف الأبجدية ..
دعيني أناقضُ نفسي قليلاً
وأجمعُ في الحب بين الحضارة والبربرية ..
* * *

- أَعْجَبُكَ الشايُ ؟
- هل ترغبتُ ببعض الحليبِ ؟
- وهل تكتفين كما كنتِ دوماً - بقطعة سُكَّرٍ ؟
- وأما أنا فأفضل وجهك من غير سُكَّرٍ ..

.....
.....
.....

أكرر للمرة الألفِ أني أحبك ..
كيف تريدني أن أفسرَ ما لا يُفسرُ ؟
وكيف تريدني أن أقيسَ مساحةَ حزني ؟
وحزني كالطفل .. يزدادُ في كل يوم جمالاً ويكبرُ ..
دعيني أقولُ بكل اللغات التي تعرفين ولا تعرفين ..
أحبك أنتِ ..
دعيني أفتشُ عن مفرداتٍ ..
تكون بحجم حنيني إليك ..
وعن كلماتٍ .. تغطي مساحةَ نهديك ..
بالماء ، والعشب ، والياسمينُ
دعيني أفكرُ عنك ..
وأشتاقُ عنك ..
وأبكي ، وأضحكُ عنك ..
وألغي المسافةَ بين الخيال وبين اليقين ..
* * *

دعيني أنادي عنك ، بكل حروف النداء ..
لعلي إذا ما تغنيت باسمك ، من شفتي تولدين
دعيني أؤسس دولة عشقٍ ..
تكونين أنتِ المليكة فيها ..
وأصبحُ فيها أنا أعظم العاشقين ..
دعيني أقودُ انقلاباً ..

يوطدُ سلطةَ عينيكِ بين الشعوبِ ،
دعيني .. أغيرُ بالحب وجهَ الحضارةِ ..
أنتِ الحضارةُ .. أنتِ التراثُ الذي يتشكل في باطن الأرض
منذ أوفٍ السنينِ ..

* * *

أحبكِ ..
كيفَ ترديني أن أبرهن أن حضورك في الكون ،
مثل حضور المياه ،
ومثل حضور الشجرِ
وأنتِ زهرةُ دوار الشمسِ ..
وبستان نخلٍ ..
وأغنيةُ أبحرت من وترٍ ..
دعيني أقولك بالصمتِ ..
حين تضيقُ العبارةُ عما أعاني ..
وحين يصيرُ الكلامُ مؤامرةً أتورط فيها .
وتغدو القصيدةُ أنيةً من حجرٍ ..

* * *

دعيني ..
أقولك ما بين نفسي وبينني ..
وما بين أهداب عيني ، وعيني ..
دعيني ..
أقولك بالرمزِ ، إن كنتِ لا تثقين بضوء القمرِ ..
دعيني أقولك بالبرقِ ،
أو برداذ المطرِ ..
دعيني أقدمُ للبحر عنوانَ عينيكِ ..
إن تقبلي دعوتي للسفرِ ..
لماذا أحبكِ ؟
إنَّ السفينةَ في البحرِ ، لاتتذكرُ كيف أحاط بها الماءُ ..
لا تتذكرُ كيف اعترأها الدوارُ ..
لماذا احبكِ ؟
إن الرصاصةَ في اللحم لا تتساءلُ من أين جاءتْ ..
وليست تُقدمُ أيَّ اعتذارٍ ..

* * *

لماذا أحبك .. لا تسأليني ..
فليس لديّ الخيار .. وليس لديك الخيار ..

تناقضات ن . ق الرائعة

١
وما بين حبّ وحبّ .. أحبك أنتِ ..
وما بين واحدةٍ ودعتني ..
وواحدةٍ سوف تأتي ..
أفتنّسُ عنكِ هنا .. وهناك ..
كأنّ الزمانَ الوحيدَ زمانكِ أنتِ ..
كأنّ جميعَ الوعودِ تصبُّ بعينيكِ أنتِ ..
فكيفَ أفسّرُ هذا الشعورَ الذي يعتريني
صباحَ مساءً ..
وكيفَ تمرينَ بالبالِ ، مثلَ الحمامةِ ..
حينَ أكونُ بحضرةِ أحلى النساءِ ؟

٢
وما بينَ وعدينِ .. وامرأتينِ ..
وبينَ قطارٍ يجيءُ وآخرَ يمضي ..
هنالكَ خمسُ دقائقُ ..
ادعوكِ فيها لفنجانِ شايٍ قبيلَ السفرِ ..
هنالكَ خمسُ دقائقُ ..
بها أطمئنُ عليكِ قليلاً ..
وأشكو إليكِ همومي قليلاً ..
وأشتمُ فيها الزمانَ قليلاً ..
هنالكَ خمسُ دقائقُ ..
بها تقبلينَ حياتي قليلاً ..
فماذا تسمينَ هذا الشتتَ ..
هذا التمزقَ ..
هذا العذابَ الطويلاً الطويلاً ..
وكيفَ تكونُ الخيانةُ حلاً ؟
وكيفَ يكونُ النفاقُ جميلاً ؟ ...

٣
وبين كلامِ الهوى في جميع اللغات

هناك كلامٌ يقالُ لأجلِكِ أنتِ ..
وشعرٌ .. سيربطه الدارسونَ بعصرِكِ أنتِ ..
وما بين وقتِ النبيذِ ووقتِ الكتابةِ .. يوجد وقتٌ
يكونُ به البحرُ ممتلئاً بالسنايلُ
وما بين نقطةِ حبرٍ ..
ونقطةِ حبرٍ ..
هنالكِ وقتٌ ..
ننامُ معاً فيه ، بين الفواصلِ ..

٤

وما بين فصلِ الخريفِ ، وفصلِ الشتاءِ
هنالكِ فصلٌ أسمىهِ فصلُ البكاءِ
تكونُ به النفسُ أقربَ من أيِّ وقتٍ مضى للسماءِ ..
وفي اللحظاتِ التي تتشابهُ فيها جميعُ النساءِ
كما تتشابهُ كلُّ الحروفِ على الآلةِ الكاتبةِ
وتصبحُ فيها ممارسةُ الجنسِ ..
ضرباً سريعاً على الآلةِ الكاتبةِ
وفي اللحظاتِ التي لا مواقفَ فيها ..
ولا عشقَ ، ولا كرهَ ، لا برقَ ، لا رعدَ ، لا شعراً ، لا نثرَ ،
لا شيءَ فيها ..
أسافرُ خلفكِ ، أدخلُ كلَّ المطاراتِ ، أسألُ كلَّ الفنادقِ عنكِ ،
فقد يتصادفُ أنكِ فيها ...

٥

وفي لحظاتِ القنوطِ ، الهبوطِ ، السقوطِ ، الفراغِ ، الخواءِ ..
وفي لحظاتِ انتحارِ الأمانِ ، وموتِ الرجاءِ
وفي لحظاتِ التناقضِ ،
حين تصيرُ الحبيباتُ ، والحبُّ ضدِّي ..
وتصبحُ فيها القصائدُ ضدِّي ..
وتصبحُ - حتى النهودُ التي بايعتني على العرشِ - ضدِّي
وفي اللحظاتِ التي أتسكعُ فيها على طرقِ الحزنِ وحدي ..
أفكرُ فيكِ لبضعِ ثوانٍ ..
فتغدو حياتي حديقةً وردٍ ..

٦

وفي اللحظاتِ القليلةِ ..

حين يفاجئني الشعرُ دونَ انتظارٍ
وتصبحُ فيها الدقائقُ حُبلى بألفِ انفجارٍ
وتصبحُ فيها الكتابةُ فعلَ خلاصٍ ..
وفعلَ انتحارٍ ..

تطيرينَ مثلَ الفراشةِ بينَ الدفاترِ والإصبعينَ
فكيفَ أقاتلُ خمسينَ عاماً على جبهتينِ ؟
وكيفَ أبعثرَ لحمي على قارتينِ ؟
وكيفَ أجاملُ غيركِ ؟
كيفَ أجالسُ غيركِ ؟
كيفَ أضاجعُ غيركِ ؟ كيفَ ..
وأنتِ مسافرةٌ في عروقِ اليدينِ ...

٧

وبينَ الجميلاتِ من كلِّ جنسٍ ولونٍ ..
وبينَ مئاتِ الوجوهِ التي أقنعتني .. وما أقنعتني
وما بينَ جرحٍ أفتشُ عنه ، وجرحٍ يفتشُ عني ..
أفكرُ في عصركِ الذهبي ..
وعصرِ المانوليا ، وعصرِ الشموعِ ، وعصرِ البخورِ
وأحلمُ في عصركِ الكانَ أعظمَ كلِّ العصورِ
فماذا تسمينَ هذا الشعورُ ؟
وكيفَ أفسرُ هذا الحضورَ الغيابَ ، وهذا الغيابَ الحضورُ
وكيفَ أكونُ هنا .. وأكونُ هناكِ ؟
وكيفَ يريدونني أن أراهمُ ..
وليسَ على الأرضِ أنثى سواكِ

٨

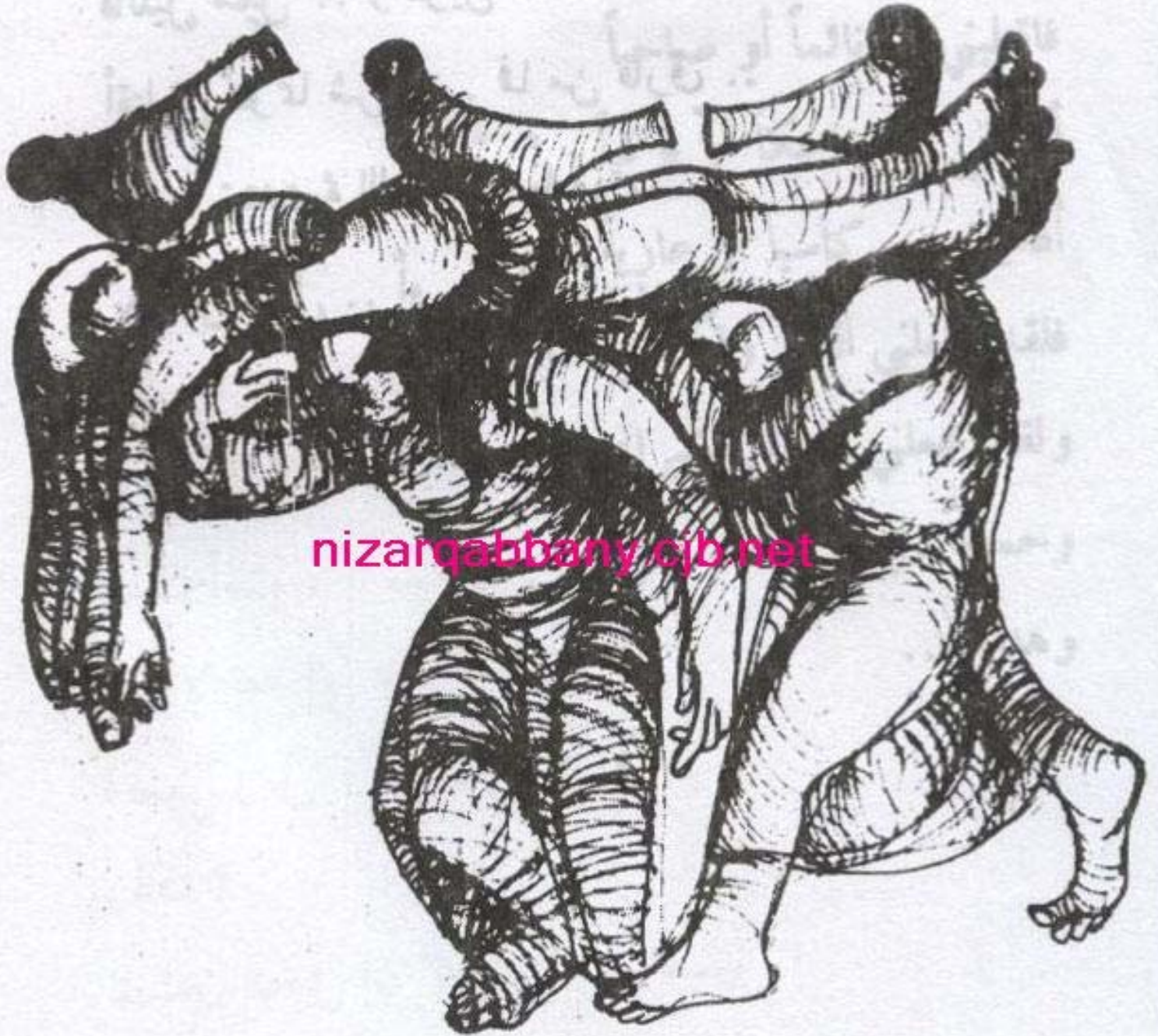
أحبكِ .. حينَ أكونُ حبيبَ سواكِ ..
وأشربُ نخبكِ حينَ تصاحبني امرأةٌ للعشاءِ
ويعثرُ دوماً لساني ..
فأهتفُ باسمكِ حينَ أنادي عليها ..
وأشغلُ نفسي خلالَ الطعامِ ..
بدرسِ التشابهِ بينَ خطوطِ يديكِ ..
وبينَ خطوطِ يديها ..
وأشعرُ أنني أقومُ بدورِ المهرجِ ..
حينَ أركزُ شالَ الحريرِ على كتفيها ..

وأشعرُ أني أخونُ الحقيقةَ ..
حين أقارنُ بين حنيني إليك ، وبين حنيني إليها ..
فماذا تسمين هذا ؟
ازدواجاً .. سقوطاً .. هروباً .. شذوذاً .. جنوناً ..
وكيف أكونُ لديكِ ؟
وأزعم أني لديها ..



دعوة إلى حفلة قتل

ما لعينيكِ على الأرضِ بديلُ
كلُّ حبٍّ غيرُ حبي لكِ ، حبٌّ مستحيلُ
فلماذا أنتِ ، يا سيدتي ، باردةٌ ؟
حين لا يفصلني عنكِ سوى
هضبتِي رملٍ .. وبستاني نخيلُ
ولماذا ؟
تلمسينَ الخيلَ إن كنتِ تخافين الصهيلُ ؟
طالما فنتشتُ عن تجربةٍ تقتلني
وأخيراً .. جئتِ يا موتي الجميلُ ..
فاقتليني .. نائماً أو صاحياً
أقتليني .. ضاحكاً أو باكياً
أقتليني .. كاسياً أو عارياً ..
فلقد يجعلني القتلُ ولها مثل كلِّ الأولياءِ
ولقد يجعلني سنبلَةً خضراءَ .. أو جدولَ ماءٍ ..
وحماماً ...
وهديلاً ..
أقتليني الآنَ ...
فالليلُ مملٌ .. وطويلٌ ..
أقتليني دونما شرطٍ .. فما من فارقٍ ..
عندما تبتدىءُ اللعبةُ يا سيدتي ..
بين من يَقتلُ .. أو بين القتيلُ ...



قصة قصيرة ..

لا تقنطي أبداً من رحمة المطر ..
فقد أحبك في الخمسين من عمري ..
وقد أحبك ، والأشجارُ يابسةً
والثلج يسقطُ في قلبي ، وفي شعري
وقد أحبك ، حين الصيفُ غادرنا
فالأرضُ من بعده ، تبكي على الثمر
وقد أحبك ، يا عُصفورتي ، وأنا
محاصرٌ بجبال الحزن والضجر ..
قد تحملُ الريحُ أخباراً مطمئنةً
لناهديك ، قبيلَ الفجر ، فانتظري ..
لن تخرجي من رهان الحبّ خاسرةً
عندي تراثي .. وعندي حكمةُ الشجر ..
فاستمعي بالحضارات التي بقيتُ
على شفاهي ، فإني آخرُ الحضر ..

* * *

قرأتُ شعري عليها .. وهي نائمةً
فما أحسستُ بتجريدي ، ولا صوري
ولا تحمّسَ نهداها لقاويةً
ولا استجاباً لقيثارٍ ولا وتر ..
هزرتها من ذراعيها .. فما انتبهتُ
ناديتُ : يا قطتي البيضاء .. يا عمري
قومي .. سأهديك تيجاناً مُرصعةً
وأشتري لك ما في البحر من درر ..
وأشتري لك بلداناً بكاملها ...
وأشتري لك ضوءَ الشمس .. والقمر ..

* * *

ناديتُ .. ناديتُ .. لكن لم يُجب أحدٌ
في مخدع الحبّ ، غيرُ الريحِ
أزحتُ أثوابها عنها .. فما أكثرثتُ
كأنها يئستُ مني .. ومن خطري ..

* * *

وكان ليلي طويلاً .. مثلَ عادتهِ
وكنْتُ أبكي على قبرينِ من حجرٍ ..

الحبّ في الجاهلية

شاءتِ الأقدارُ ، يا سيدي ،
أن نلتقي في الجاهلية !! ..
حيثُ تمتدُّ السماواتُ خطوطاً أفقيةً
والنباتاتُ ، خطوطاً أفقيةً
والطباتُ ، الدياناتُ ، المواويلُ ، عروضُ الشعرُ ،
والأنهارُ ، والأفكارُ ، والأشجارُ ،
والأيامُ ، والساعاتُ ،
تجري في خطوطٍ أفقيةً ..

* * *

شاءتِ الأقدارُ ..
أن أهواك في مجتمع الكبريتِ والملحِ ..
وأن أكتبَ الشعرَ على هذي السماءِ المعدنيةِ
حيثُ شمسُ الصيفِ فأسٌ حجريةُ
والنهاراتُ قطاراتُ كآبةُ ..
شاءتِ الأقدارُ أن تعرفَ عيناكِ الكتابهَ
في صحارى ليس فيها ..
نخاةُ ..
أو قمرٌ ..
أو أبجديةُ ...

* * *

شاءتِ الأقدارُ ، يا سيدي ،
أن تمطري مثلَ السحابةِ
فوق أرضٍ ما بها قطرةُ ماءٍ
وتكوني زهرةً مزروعةً عند خطِ الإستواءِ ..
وتكوني صورةً شعريّةً
في زمانٍ قطعوا فيه رؤوسَ الشعراءِ
وتكوني امرأةً نادرةً
في بلادٍ طردتْ من أرضها كلَّ النساءِ ..

* * *

أه يا سيدتي ..
يا زواجَ الضوءِ والعتمة في ليل العيون الشركسية ..
يا ملايينَ العصافير التي تنقرُ الزمانَ ..
من تتورة أندلسية ..
شاءتِ الأقدارُ أن نعشقَ بالسرِّ ..
وأن نتعاطى الجنسَ بالسرِّ ..
وأن تنجبي الأطفالَ بالسرِّ ..
وأن أنتمي - من أجل عينيك -
لكلِّ الحركاتِ الباطنية ...

* * *

شاءتِ الأقدارُ يا سيدتي ..
أن تسقطي كالمجدلية ..
تحت أقدام المماليك ..
وأسنان الصعاليك ...
ودقات الطبول الوثنية ..
تكوني فرساً رائعةً ..
فوق أرضٍ يقتلون الحبَّ فيها ..
والخيول العربية ...

* * *

شاءتِ الأقدارُ أن نذبحَ يا سيدتي
مثل آلاف الخيول العربية ..



nizarqabbany.cjb.net

وصفة عربية لمداواةالعشق

تصورتُ حبك ..
طفحاً خفيفاً على سطح جلدي ..
أدوايه بالماء .. أو بالكحول
وبررته باختلاف المناخ ..
وعلته بانقلاب الفصول ..
وكنتُ إذا سألوني ، أقول :
هو اجسُ نفسٍ ..
وضربةُ شمسٍ ..
وخدشٌ صغيرٌ على الوجه .. سوف يزولُ ...
* * *

تصورتُ حبك .. نهراً صغيراً ..
سيحيي المراعي .. ويروي الحقول ...
ولكنه اجتاح بر حياتي ..
فأغرق كلَّ القرى ..
وأتلف كلَّ السهول ..
وجرَّ سريري ..
وجدران بيتي ..
وخلفني فوق أرض الدهول ..
* * *

تصورتُ في البدء ..
أن هوائك يمرُّ مرورَ الغمامة
وأنتك شطُّ الأمان
وبرُّ السلامة ..
وقدرتُ أن القضيةَ بيني وبينك ..
سوف تهونُ ككلِّ القضايا ..
وأنتك سوف تذوبين مثلَ الكتابة فوق المرايا ..
وأن مرورَ الزمان ..
سيقطعُ كلَّ جذور الحنان
ويغمرُ بالتلج كلَّ الزوايا
* * *

تصورتُ أن حماسي لعينيك كان انفعالاً ..

كأي انفعال ..
وأن كلامي عن الحب ، كان كأي كلام يُقال
وأكتشف الآن .. أني كنت قصير الخيال
فما كان حبك طفحاً يُداوى بماء البنفسج واليانسون ..
ولا كان خدشاً طفيفاً يُعالج بالعشب أو بالدهون ..
ولا كان نوبة برد ..
سترحل عند رحيل رياح الشمال ..
ولكنه كان سيفاً ينام بلحمي ..
وجيش احتلال ..
وأول مرحلة في طريق الجنون ..

إن الأنوثة من علم مربي ..

١

يزوب الحنان بعينيك مثل دوائر ماء
يزوب الزمان ، المكان ، الحقول ، البيوت ،
البحار ، المراكب ،
يسقط وجهي على الأرض مثل الإناء
وأحمل وجهي المكسر بين يدي ..
وأحلمُ بامرأة تشتريه ..
ولكن من يشترون الأواني القديمة ، قد أخبروني
بأن الوجوه الحزينة لا تشتريها النساء

* * *

٢

وصلنا إلى نقطة الصفر ..
ماذا أقول ؟ وماذا تقولين ؟
كل المواضع صارت سواء ..
وصار وراء أماماً ..
وصار الأمام وراء ..
وصلنا إلى ذروة اليأس .. حيث السماء رصاص ..
وحيث العناق قصاص ..
وحيث ممارسة الجنس ، أقسى جزاء ..

* * *

٣

تُحِبِّينَ .. أو لا تحبينَ ..
إنَّ القضيةَ تعنيكِ أنتِ على أيِّ حالٍ
فلستُ أجيدُ القراءةَ في شفتيكِ ..
لكي أتنبأ في أيِّ وقتٍ ..
سينفجرُ الماءُ تحت الرمالِ
وفي أيِّ شهرٍ تكونينَ أكثرَ عُشْباً ..
وأكثرَ خصباً ..
وفي أيِّ يومٍ تكونينَ قابلةً للوصالِ

* * *

٤

تريدينَ .. أو لا تريدينَ ..
إنَّ الأنوثةَ من علم ربي ..
ولو كنتُ أملكُ خارطةَ الطقسِ ،
كنتُ قرأتكِ سطرأ .. فسطراً
وبرأ .. وبحراً ..
ونهدأ .. وخصراً ..
وكنتُ تأكدتُ من أي صوبٍ ..
تهبُّ رياحُ الجنوبِ ،
ومن أيِّ صوبٍ ، تهبُّ رياحُ الشمالِ
وكنتُ اكتشفتُ طريقي
إلى جزرِ التبغِ ، والشايِ ، والبرتقالِ ..

* * *

تُحِبِّينَ .. أو لا تحبينَ ..
إنَّ السنسنَ ، الشهرَ ، الأسابيعَ ،
تمرقُ كالرملِ من راحتينا ..
أحاولُ تفسيرَ هذا التشابهِ في الحزنِ في نظريتنا ..
أحاولُ تفسيرَ هذا الخرابِ ..
الذي يتراكمُ شيئاً .. فشيئاً على شفتينا ..
أحاولُ أن أتذكرَ عصرَ الكلامِ الجميلِ
وعصرَ المياهِ وعصرَ النخيلِ
أحاولُ ترميمَ حبكِ .. رغمَ اقتناعي
بأنَّ التصاقَ الزجاجِ المكسّرِ ضربٌ من المستحيلِ ..

* * *

تجيبين .. أو لا تجيبين ..
إنّ القضيةَ لا تستحقُّ الوقوفَ لديها طويلاً ..
ولا تستحقُّ الغضبَ ..
لقد أصبحَ الماءُ مثلَ الخشبِ
لقد أصبحَ الماءُ مثلَ الخشبِ
وكلُّ النساءِ دخلنَ حياتي
أتينَ .. ورحنَ .. بغيرِ سببٍ !!

تكذيبُ رسمي لسيدة ثمرات ..

لماذا تقولينَ للناسِ إنني حبيبكِ ؟ ...
في حين لا أتذكرُ أني ...
وتروينَ أشياءَ مرتَ بظنكِ أنتِ ،
ولكنها لم تمر بظني ؟

* * *

لماذا تقولينَ ما لا يقالُ ؟
وتبنينَ كل قصوركِ فوق الرمالِ
وتستمتعينَ بنسجِ أقاصيصَ فاقتِ حدودَ الخيالِ
لماذا تقولينَ : إنني خدعتكِ ..
إنني ابتزرتكِ ..
إنني اغتصبتكِ ..
في حين لا أتذكرُ أني ..
فهل تفعلينَ الذي تفعلينَ ؟
تري من قبيل التمني ..

* * *

لماذا تغشينَ في ورق الحبِّ ؟
تحترفينَ الفضيحةَ ،
تحترفينَ الإشاعةَ ،
تحترفينَ التجني ..
لماذا تقولينَ :
إن بقايا الأظافرِ فوق ذراعكِ مني ...
وإن النزيفَ الخفيفَ بزاويةِ الثغرِ مني ...
وإن شظايا الزجاجِ المكسرِ ما بين نهديكِ .. مني ..

* * *

لماذا تقولين هذي الحماقات ؟
في حين لا أتذكرُ أني رأيتكِ ..
لا أتذكرُ أني اشتهيتكِ ..
لا أتذكرُ أني لمستكِ ...
لا أتذكرُ أني ..
فهل تفعلينَ الذي تفعلينَ ؟
تُرى من قبيل التمني ..

* * *

لماذا تسيئينَ فهمَ حناني ؟
وتخترعينَ كلاماً عن الحبِّ ما مرَّ فوقَ لساني
وتخترعينَ بلاداً إليها ذهبنا ..
وتخترعينَ فنادقَ فيها نزلنا ..
وتخترعينَ بحاراً ..
وتخترعينَ مواني
وتخترعينَ لنفسك ثوباً
من الورد ، والنار ، والأرجوان ..
لماذا ، على الله سيدتي ، تكذبينَ ؟
وهل تفعلينَ الذي تفعلينَ ؟
تُرى من قبيل التمني ..

* * *

لماذا تقولينَ ؟
إن ثلاثةَ أرباع شعري ..
عن الحبِّ ، كانت إليك ..
وإني اقتبستُ حروفَ الكتابة من شفنتيك ..
وإني تربيتُ مثلَ خروفٍ صغيرٍ على ركبتيك ..
لماذا تجيدينَ فن الرواية ؟
تختلقينَ الزمانَ ..
المكانَ ..
الوجوهَ ..
الحوارَ ..
الثيابَ ..
المشاهدَ ..

في حين لا أتذكر وجهك بين حطام الوجوه ،
وبين حطام السنين ..
ولا أتذكر أني قرأتك ..
في كتب الورد والياسمين
فهل تكتبين السيناريو الذي تشتهين ؟
لكي تطمئني ..
وهل تفعلين الذي تفعلين ؟
تُرى ، من قبيل التمني ...

* * *

لماذا تقولين بين الصديقات والأصدقاء ؟
بأنني اختطفتك ..
- رغم احتجاج رجال القبيلة ،
رغم نباح الكلاب ، وسخط السماء -
لماذا تعانين من عقدة النقص ؟
تختلقين الأكاذيب ..
تنتحرين بقطرة ماء ..
وتستعملين ذكاءك حتى الغباء ..
لماذا تحبين تمثيل دور الضحية ؟
في حين ليس هناك دليل ..
وليس هناك شهود ..
وليس هنا دماء ..

* * *

لماذا تقولين :
إنك مني حملت .. وأجهضت ..
في حين لا أتذكر أني تشرفت يوماً بهذا اللقاء
ولا أتذكر من أنت .. بين زحام النساء
ولا ربطَ الجنسُ بيني وبينك ..
لا في الصباح .. ولا في المساء
ولا في الربيع .. ولا في الشتاء
فكيف إذن تزعمين
بأنني .. وأنني .. وأنني .
وهل كان حملك مني
تُرى من قبيل التمني ؟ ...



سأبدأ من أول السطر ..

سأبدأ من أول السطر .. إن كنت تعتقدين
بأنني سقطتُ أمام التحدي الكبير !!
سأبدأ من أول الخصر .. إن كنت تعتقدين
بأنني تلعثمتُ ، مثل التلاميذ ، فوق السرير ..
سأبدأ من قمة الصدر .. إن كنت تعتقدين
بأنني تصرفتُ كالأغبياءُ
أمام دموع المرايا .. وشكوى الحرير ..
سأبدأ من شفتيك نزولاً ..
إذا كنت تخشين من غربة الليل والزمهريرُ
سأبدأ من قدميك صعوداً ..
إذا كان لا بدَّ لي أن أموتَ ..
لأربحَ هذا الرهانَ الكبير !!

مراسبوتين العربي

صراخكُ دونما طائلُ
ورفضكُ دونما طائلُ
أنا القاضي بأمرِ الله ، والناهي بأمرِ الله ،
فامنتلي لأحكامي ،
فحبي دائماً عادلُ ..
أنا المنحازُ كلياً إلى نهديك ..
والعصريُّ والحجريُّ ..
والمدنيُّ والهمجيُّ ..
والروحيُّ والجنسيُّ ..
والوثنيُّ والصوفيُّ ..
والمتناقضُ الأبدِيُّ ..
والمقتولُ والقاتلُ ..
أما المكتوبُ بالكوفيِّ .. فوق عباءة العشاق ..
والعلنيُّ والسريُّ ..
والمرئيُّ والمخفيُّ ..
والمجذوبُ ، والمسلوبُ ، والحشاشُ ، والمتعهرُ الفاضلُ .

أنا الممتدُّ مثل القوس بين الثلج والتفاح ،
بين النار والياقوتِ ،
بين البحر والخلجانِ ..
والموجودُ والمفقودُ
والمولودُ كالأسماء عند سواحل الكلمات
أنا المتسكعُ العجريُّ تأخذني خطوطُ الطولِ
في سفرٍ إلى الأعلى .. وتأخذني خطوط العرضِ
في سفرٍ إلى الأحرى .. فأسقط مثلَ درويشٍ
أما تقاطع الفخدينِ .. والطرقَاتِ ..
وأستلقي على ظهري
وتنزلُ فوقِي الآياتُ ...
أنا القديسُ تأتيني نساءُ العالم الثالثِ
فأغسلهنَّ بالكافور والحنَّةِ ..
وأغمرهنَّ بالبركاتِ ..
وأعطي كلَّ واحدةٍ بنفسجيةً .. وموالاً ..
وأرزفهنَّ أطفالاً ..
وأزرعهنَّ كالأشجار في الغاباتِ
وأوصيهنَّ أن يحفظنَّ أشعاري
فشعري يُدخلُ الجنَّةَ ...

الإستقالة

١

.. وحاولتُ بعد ثلاثين عاماً من العشق أن أستقيلاً
وأعلنتُ في صفحات الجرائد أنني اعتزلتُ قراءةَ ما في عيون النساءِ ..
وما في رؤوس النساءِ .. وما تحت جلد النساءِ ..
وأغلقتُ بابي .. لعلِّي أنام قليلاً ..
وأغمدتُ سيفي .. وودعتُ جندي ..
وودعتُ خيلي التي رافقتني زماناً طويلاً ..
وسلّمتُ مفتاحَ مكتبتي للصغارِ
وأوضحتُ كيف يُصرفُ فعلُ الهوى
وكيف تصيرُ الحبيبةُ شمساً ..
وكيف تصيرُ يداها نخيلاً ..

٢

وحاولتُ إقناعَ شَعْرِكِ أن لا يطولَ كثيراً على كتفكِ ..
وأن لا يكونَ جداراً من الحزن فوق حياتي ..
ولكنَّ شَعْرِكِ خيَّبَ كلَّ الظنونِ ، وظلَّ طويلاً ..
وأوصيتُ جسمكِ أن لا يثيرَ خيالَ المرايا ..
ولكنَّ جسمكِ خالفَ كلَّ الوصايا .. وظلَّ جميلاً ..
وحاولتُ إقناعَ حُبكِ أنَّ إجازةَ عامٍ ..
على البحرِ .. أو في أعالي الجبالِ .. تُفيدُ الرصيفُ
ولكنَّ حُبكِ ألقى الحقائقَ فوق الرصيفُ
وأخبرني أنه لا يريدُ الرحيلَ ..

٣

وحاولتُ إقناعَ نهديكِ .. باللين حيناً .. وبالعنف حيناً ..
بأنِّي خسرتُ الرهانَ ..
وأنَّ الحصانَ الذي كان يحرثُ أرضَ الكواكبِ ..
ملَّ الوثوبَ .. وملَّ الصهيلَ ..
ولكنَّ صدركِ ظلَّ يُقاتلُ شبراً فشبراً ..
وبراً وبحراً .. إلى أن رماني قتيلاً ..

٤

وحاولتُ أن أستريحَ ككلِّ الخيولِ التي أنهكتها الحروبُ
أليس له الحقُّ أن يستريحَ المحاربُ ؟
وحاولتُ حذفَ مدينةَ بيروتَ من ذكرياتي
وإلغاءَ كلِّ الشوارعِ فيها ..
وكلِّ المطاعمِ .. كلِّ المسارحِ فيها ..
وحاولتُ أن أتجنبَ كلَّ المقاهي التي عرفتنا كلينا
وتشعرُ بالشوق نحو كلينا
وتحفظُ - رغم مرور الزمانِ - خطوطَ يدينا
وحاولتُ نسيانَ كلِّ الضواحي الجميلةِ ما بين صيدا وبين جبيلَ ،
ونسيانَ رائحةِ البرتقالِ ، وصتِ الجنادبُ
ولكنَّ حُبكِ ما زال يرفضُ كلَّ الحلولِ
ويقتحمُ النفسَ في آخر الليلِ ، مثلَ صفير المراكبِ ..

٥

كتبتُ خطاباً طويلاً لبيروتَ ..
أعلمتها فيه ، أني اتخذتُ قراري

وسلمتُ مفتاحَ بيتي إليها .. ومفتاحَ داري ..
وأعطيتُ دوري لغيري ،
وأعلنتُ أنني استقلتُ من المسرحية
وودعتُ وجهَ حبيبي المصوّرَ فوق قماش الصواري
وفوق الرمالِ ، وفوق المحارِ
وقلتُ وداعاً :
أيا وردةَ الليل ، يا دفترَ الحلم ، يا خاتمَ الشمسِ ،
يا بحرُ ، يا شعرُ ، يا أبجديةُ
وداعاً لكلِّ الحبيباتِ في رأسِ بيروت .. والأشرفية ..

٦

شرحتُ لبيروتَ
أنَّ ثلاثينَ عاماً من العشق تكفي ..
ولكنها اعتذرتُ عن قبول اعتذاري ..

يوميات مريض ممنوع من الكتابة ..

١

ممنوعةٌ أنتِ من الدخولِ ، يا حبيبتي ، عليّ ..
ممنوعةٌ أن تلمسي الشرِ اشفَ البيضاءً ، أو أصابعي الثلجيةَ
ممنوعةٌ أن تجلسي .. أو تهمسي .. أو تتركي يديك في يديه
ممنوعةٌ أن تحملي من بيتنا في الشامِ ..
سرباً من الحمامِ
أو فلةً .. أو وردةً جوريةً ..
ممنوعةٌ أن تحملي لي دميةً أحضنها ..
أو تقرأي لي قصةَ الأقرامِ ، والأميرةِ الحسناءِ ، والجنيةِ
ففي جناحِ مرضى القلبِ يا حبيبتي ..
يصادرون الحبَّ ، والأشواقَ ، والرسائلَ السريةَ ..

٢

لا تشهقي .. إذا قرأتِ الخبرَ المثيرَ في الجرائد اليوميةِ
قد يشعر الحسانُ بالإرهاقِ يا حبيبتي
حين يدقُّ الحافرَ الأولَ في دمشقَ
والحافرَ الآخرَ في المجموعة الشمسية ..

٣

تماسكي .. في هذه الساعاتِ يا حبيبتي

فعندما يقررُ الشاعرُ أن يثقب بالحروف ..
جلد الكرة الأرضية ..
وأن يكون قلبه تفاحةً
يقضمها الأطفالُ في الأزقة الشعبية ..
وعندما يحاولُ الشاعرُ أن يجعل من أشعاره
أرغفةً .. يأكلها الجياغ للخبز وللحريه
فلن يكون الموتُ أمراً طارئاً ..
لأن من يكتبُ يا حبيبتى ..
يحملُ في أوراقه ذبحته القلبية ..

٤

أرجوك أن تبتسمي .. أرجوك أن تبتسمي ..
يا نخلة العراق ، يا عصفورة الرصافة الليلية
فذبحة الشاعر ليست أبداً قضيةً شخصيةً
أليس يكفي أنني تركتُ للأطفال بعدي لغةً
وأنني تركتُ للعشاق أبجدية ..

٥

أغطيتي بيضاءً ..
والوقتُ ، والساعاتُ ، والأيامُ كلها بيضاءً
وأوجه الممرضات حولي كتبُ أوراقها بيضاءً
فهل من الممكن يا حبيبتى ؟
أن تضعي شيئاً من الأحمر فوق الشفة الملساء
فمنذ شهرٍ وأنا .. أحلم كالأطفال أن تزورني
فراشةً كبيرةً حمراءً ..

٦

أطلب أقلاماً فلا يعطونني أقلاماً ...
أطلبُ أيامي التي ليس لها أيامُ
أسألهم برشامةً تدخلني في عالم الأحلام
حتى حبوب النوم قد تعودت مثلي على الصحو .. فلا تنام ..

٧

إن جئنتي زائرةً ..
فحاولي أن تلبسي العقود ، والخواتم الغريبة الأحجار
وحاولي أن تلبسي الغابات والأشجار ..
وحاولي أن تلبسي قبعةً مفرحةً كمعرض الأزهار

فإنني سئمتُ من دوائر الكلسِ .. ومن دوائر الحوَّارِ ..

٨

ما يفعلُ المشتاقُ يا حبيبتي في هذه الزلزلة الفردية
وبيننا الأبوابُ ، والحراسُ ، والأوامرُ العرفية ..
وبيننا أكثرُ من ألفِ سنةٍ ضوئية ..
ما يفعله المشتاقُ للحبِّ ، وللعزف على الأنامل العاجية
والقلبُ لا يزالُ في الإقامة الجبرية ..

٩

لا تشعرني بالذنب يا صغيرتي .. لا تشعرني بالذنب ..
فإنَّ كلَّ امرأةٍ أحببتها ..
قد أورتنتي ذبحةً في القلب ..

١٠

وصيةُ الطبيب لي :
أن لا أقولَ الشعرَ عاماً كاملاً ..
ولا أرى عينيكِ عاماً كاملاً ..
ولا أرى تحولاتِ البحر في العين البنفسجية
الله .. كم تضحكني الوصية ..

إلى الأمير الدمشقيّ توفيق قباني

(١٩٤٩-١٩٧٣)

***** النهاية *****



الطبعة السادسة عشر

١٩٩٢ م

هذه المختامرات

أحلى قصائدي !
هل هذا ممكن ؟ وهل يستطيع شاعر على وجه الأرض أن يقرر بمثل
هذه السهولة والرعونة ، ما هي أحلى قصائده .
وإذا كانت القصائد التي اخترتها هي أحلى القصائد من وجهة نظري ،
فهل هي كذلك بالنسبة للآخرين ؟
إن ذوق الشاعر ، على أهميته ، يبقى ذوقه الخاص ، وارتباطه الشخصي
ببعض قصائده ، والظروف التاريخية والنفسية والإنسانية التي كتب تحت
تأثيرها هذه القصائد ، تلعب دوراً رئيسياً في لعبة الاختيار .
إن ورائي ثلاثين عاماً من التجارب الشعرية ، وأمامي عشرون كتاباً هي
تذكرة ميلادي ، وجواز سفري ، وعمرى كله .
فكيف أستطيع أن ألتقط من هذا البحر ، ثلاثين صدفه أقول عنها إنها
البحر ..
وكيف أسمح لنفسي أن ألتقط من الشمس ثلاثين شعاعاً وأدعي أنني
سرقت النار ؟ ..
إن كل عملية اختيار بحد ذاتها مرعبة . وعملية اختيار الشعر ممن كتبه
هي ذروة الرعب ..
وإذا كان لا يستحيل على الإنسان أن يختار أثوابه ، وعطوره وأثاث بيته
، ولون ستائره ، فمن المستحيل عليه أن يختار انفعالاته ..
الشعر هو أرض الانفعال .
هو وطن الأشياء المنقلبة دائماً على نفسها ، والأشكال الهاربة من شكلها
.
وعلى هذه الأرض الحبلى بالدهشة والمفاجآت ، لا ثبات لشيء ، ولا
يقين لشيء ..
فكيف يختار الشاعر حصانه بين ألوف المتسابقة على حدقتي عينيه ؟ .
الاختيار كان دائماً يعذبني . والتميز بين هذه القصيدة وتلك ، كان دائماً
وجعي الأكبر .
وبالرغم من طول صحبتي للشعر ، وسكناي معه وفيه ، فإنني كلما
دعيت إلى أمسية شعرية ، أقف أمام أوراقى خائفاً ومتردداً كالطفل عشية
الامتحان .
إن فكرة إصدار مختارات شعرية لي فكرة قديمة . ولكنني كنت دائماً
أؤجلها وأخشأها ، كما يخشى المتهم قرار المحكمة .

إلا أن مواجعتي اليومية للجمهور . ووقوفي أمامه فاعلاً ومنفعلاً وردود
الفعل المختلفة التي كانت تواجه بها قصائدي . أكسبتني بعض الخبرة في
معرفة القصائد – المفاتيح في شعري . وأعني بالقصائد – المفاتيح . تلك
القصائد التي تركت ورائها أسئلة .. وحرائق .. وناراً .. ودخاناً .
واليوم . وقد قررت أن أدخل قاعة المحاكمة . أود أن أهمس في آذان
المحلفين . إن اختيار بضعة أشجار من غابة . لا يمثل حقيقة الغابة . وأن
قطف ثلاثين زهرة . ووضعها في أنية .. فيه ظلم كبير للبستان ..

نزار قباني

نيسان ١٩٧١

إختاري

إني خيّرُك .. فإختاري
ما بينَ الموتِ على صدري ..
أو فوقَ دفاترِ أشعاري ..
إختاري الحبَّ .. أو اللاحبَّ
فجُبِنُ ألا تختاري ..
لا توجدُ منطقةً وسطي
ما بينَ الجبّةِ والنارِ ..

*

إرمي أوراقكِ كاملةً ..
وسأرضى عن أيِّ قرارٍ ..
قولي . إنفعلي . انفجري
لا تقفي مثلَ المسمارِ ..
لا يمكنُ أن أبقى أبداً
كالقشّةِ تحتَ الأمطارِ
إختاري قدراً بينَ اثنين
وما أعنفها أقداري ..

*

مُرّهقةً أنتِ .. وخائفةً
وطويلُ جداً .. مشواري
غوصي في البحرِ .. أو ابتعدي
لا بحرٌ من غيرِ دوارٍ ..
الحبُّ .. مواجهةً كبرى
إبحارُ ضدَّ التيارِ
صلبٌ .. وعذابٌ .. ودموعُ
ورحيلٌ بينَ الأقمارِ ..
يقتلني جبُّك .. يا امرأةً
تتسلى من خلفِ ستارٍ ..
إني لا أومنُ في حبِّ
لا يحملُ نزقَ الثوارِ ..
لا يكسرُ كلَّ الأسوارِ
لا يضربُ مثلَ الإعصارِ ..

آه .. لو حُبُّكَ يبلعني
يقلعني .. مثلَ الإعصار ..

*

إني خيرتك .. فاختاري
ما بينَ الموتِ على صدري
أو فوقَ دفاترِ أشعاري
لا توجدُ منطقةً وسطي
ما بينَ الجنةِ والنار ..

مرسالة من تحت الماء

إن كنتَ صديقي .. ساعدني
كي أرحلَ عنك ..
أو كُنتَ حبيبي .. ساعدني
كي أشفى منك
لو أنني أعرفُ أنَّ الحُبَّ خطيرٌ جداً ..
ما أحببت
لو أنني أعرفُ أنَّ البحرَ عميقٌ جداً
ما أبهرت ..
لو أنني أعرفُ خاتمتي
ما كنتُ بدأتُ ...

إشتقتُ إليك .. فعلمني
أن لا أشتاق
علمني ..
كيفَ أفصُّ جذورَ هوائكَ من الأعماق
علمني ..
كيفَ تموتُ الدمعةُ في الأحداق
علمني ..
كيفَ يموتُ القلبُ وتنتحرُ الأشواق

*

إن كنتَ نبياً .. خلصني
من هذا السحر ..
من هذا الكفر

حبك كالكفر .. فطهرني
من هذا الكفر ..
إن كنتَ قوياً .. أخرجني
من هذا اليمِّ ..
فأنا لا أعرفُ فنَّ العوم
الموجُ الأزرقُ في عينيك .. يُجرِّبني نحوَ الأعماقِ
وأنا ما عندي تجربةٌ
في الحُبِّ .. ولا عندي زورقٌ ..
إن كنتُ أعزُّ عليك .. فَخُذْ بيديَّ
فأنا عاشقَةٌ من رأسي .. حتَّى قَدَمَيَّ
إني أتَنَفَّسُ تحتَ الماءِ ..
إني أغرق ..
أغرق ..
أغرق ..

نهر الأحران

عيناكِ .. كنهري أحزان
نهري موسيقى حملاني
لوراء .. وراء الأزمان
نهري موسيقى قد ضاعا
سببتي ، ثمَّ أضاعاني
الدمعُ الأسودُ .. فوقهما
يتساقطُ أنغامُ بيان
عيناكِ .. وتبغني .. وكحولي ..
والقدحُ العاشرُ أعماني
وأنا في المقعدِ .. محترقٌ
نيرانني تأكلُ نيرانني
أقولُ أحبُّكِ .. يا قمري؟
أه لو كان بإمكانني
فأنا لا أملكُ في الدنيا
إلا عينيكِ .. وأحزاني
* * *

سفني في المرفأ باكيه

تتمزقُ فوقَ الخلجان
ومصيري الأصفرُ حطمني
حطّمَ في صدري إيماني
أسافرُ دونك ليلا كتي
يا ظللَ الله بأجفاني
يا صيفي الأخضرَ .. يا شمسي
يا أجملَ .. أجملَ ألواني
هل أرحلُ عنك؟ وقصّتنا
أحلى من عودة نيسان
أحلى من زهرة غاردينيا
في عتمة شعر إسباني
يا حبي الأوحده .. لا تبكي
فدموعك تحفرُ وجداني
إنني لا أملكُ في الدنيا
إلا عينيكَ .. وأحزاني
* * *

أقولُ أحبّك .. يا قمري
آه لو كان بإمكانني
فأنا إنسانٌ مفقودٌ
لا أعرفُ في الأرض مكاني
ضيّعني دربي .. ضيّعني
إسمي .. ضيّعني عنواني
تاريخي؟ مالي تاريخ
إنني نسيان النسيان
إنني مرساة لا ترسو
جرحٌ بلامح إنسان
ماذا أعطيك؟ أجيبني
قلقي؟ الحادي؟ غثياني؟
ماذا أعطيك سوى قدر
يرقصُ في كفّ الشيطان
أنا ألفُ أحبّك .. فابتعدي
عني .. عن ناري ودُخاني

فأنا لا أملكُ في الدنيا
إلا عينيكَ .. وأحزاني

شؤون صغيرة

- ١ -

شؤون صغيرة
تمر بها أنت .. دون التفات
تساوي لدي حياتي
جميع حياتي ..
حوادث .. قد لا تثير اهتمامك
أعمر منها قصور
وأحيا عليها شهور
وأغزل منها حكايا كثيرة
وألّف سماء .. وألّف جزيره
شؤون .. شؤونك تلك الصغيره ...
* * *

- ٢ -

فحين تدخن أجنو أمامك
كقطتك الطيبه ..
وكلي أمان
الأحق مزهوه معجبه
خيوط الدخان
توزعها في زوايا المكان
دوائر .. دوائر
وترحل في آخر الليل عني
كنجم، كطيب مهاجر
وتتركني يا صديق حياتي
لرائحة التبغ .. والذكريات
وأبقى أنا .. في صقيع انفرادي ..
وزادي أنا .. كل زادي
حطام السجائر ..
وصحن .. يضم رماداً ..

يضم رمادي...

* * *

- ٣ -

وحين أكون مريضه ..
وتحمل أزهارك الغاليه
صديقي ، إلي
وتجعل بين يديك يدي
يعود لي اللون والعافيه
وتلتصق الشمس في وجنتي
وأبكي .. وأبكي .. بغير إرادته
وأنت ترد غطائي علي
وتجعل رأسي فوق الوساده
تمنيت كل التمني .. صديقي .. لو أني ..
أظل .. أظل عليه ..
لتسأل عني ..
لتحمل لي كل يوم وروداً جميلاً .

* * *

- ٤ -

وإن رن في بيتنا الهاتف
إليه أطيّر ..
أنا .. يا صديقي الأثير
بفرحة طفل صغير
بشوق سنونوةٍ شاردته
وأحتضن الآلة الجامده
وأعصر أسلاكها الباردة
وأنتظر الصوت .. صوتك يهمني عليّ
دفيئاً .. مليئاً .. قويّ ..
كصوت نبيّ ..
كصوت ارتطام النجوم ، كصوت سقوط الحلي
وأبكي .. وأبكي .. لأنك فكرت فيّ ..
لأنك من شرفات الغيوب .. هتفت إليّ ..

* * *

- ٥ -

ويوم أجيء إليك لكي أستعير كتاب ..
لأزعم أنني أتيت لكي أستعير كتاب ..
تمد أصابعك المتعبه
إلى المكتبه ..
وأبقى أنا في ضباب الضباب
كأنني سؤال بغير جواب
أحدق فيك .. وفي المكتبه ..
كما تفعل القطة الطيبه ..
تراك اكتشفت ؟
تراك عرفت ؟
بأنني جنئت لغير الكتاب
وأنني لست سوى كاذبه !!
* * *

- ٦ -

.. وأمضي سريعاً إلى مخدعي
أضم الكتاب إلى أضلعي
كأنني حملت الوجود معي ..
وأشعل ضوئي .. وأسدل حولي الستور
وأنبش بين السطور ، وخلف السطور
وأعدو وراء الفواصل .. أعدو وراء نقاط تدور
.. ورأسي يدور ..
كأنني عصفورة جائعه
تفتش عن فضلات البذور
لعلك يا .. يا صديقي الأثير
تركت باحدى الزوايا .. عبارة حب قصيره ..
جنينة شوقٍ صغيره ..
لعلك بين الصحائف خبأت شيئاً
سلاماً صغيراً .. يعيد السلام إليها ..

- ٧ -

.. وحين نكون معاً في الطريق
وتأخذ - من غير قصد - ذراعي
أحسُّ أنا يا صديق
بشيء عميق

بشيّ يشابهه طعم الحريق
على مرفقي ..
وأرفع كفيّ نحو السماء
لتجعل دربي بغير انتهاء ..
وأبكي .. وأبكي .. بغير انقطاع ..
لكي يستمر ضياعي ..

- ٨ -

وحين أعود مساءً إلى عرفتي ..
وأنزع عن كتفيّ الرداء ..
أحس - وما أنت في غرفتي -
بأن يديك ..
تلفان في رحمة مرفقي ..
وأبقى لأعبد يا مرهقي
مكان أصابعك الدافئات
على كم فستاني الأزرق ..
وأبكي .. وأبكي .. بغير انقطاع
كأن ذراعي ليست ذراعي ..

طوق الياسمين

شكراً ..
لطوق الياسمين
وضحكت لي ..
وظننت أنك تعرفين
معنى سوار الياسمين
يأتي به رجل إليك ..
ظننت أنك تُدركين ..
.. وجلست في ركن ركين
تتمشين
وثنقطين العطر من قارورة
وتدممين
لحناً فرنسيّ الرنين
لحناً كأيامي حزين
قدماك في الخُفّ المُصَّب ..

جَدولانَ مِنَ الحَنِينِ
وقصدتِ دِولابَ المِلابسِ ..
تَقْلَعينَ .. وترتدينَ
وطلبتِ أن أختارَ ماذا تلبسينَ
أفلي إذن؟
أفلي إذن تتجملينَ؟
ووقفتُ .. في دوامةِ الألوانِ ملتهبَ الجبينِ
الأسودُ المكشوفُ من كتفيه .. هل تترددينَ؟
لكِنَّهُ لونٌ حزينٌ!
لونٌ كأيامي حزينٌ
ولبسته .. وربطتِ طوقَ الياسمينِ
وظننتُ أنَّكَ تُعرفينَ ..
معنى سوارِ الياسمينِ
يأتي بهِ رجلٌ إليكِ ..
ظننتُ أنَّكَ تُدركينَ ..

*

هذا المساءُ ..
بحانةِ صُغرى رأيتُكِ ترقصينَ
تتكسرينَ على زنودِ المُعجَبينَ
تتكسرينَ ..
وئدممينَ ..
في أذنِ فارسِكِ الأمينِ
لحناً فرنسيَّ الرنينِ ..
لحناً كأيامي حزينِ ..
وبدأتُ أكتشفُ اليقينَ
وعرفتُ أنَّكَ للسَّوى تتجملينَ
وله ترشَّينَ العطورَ ..
وتقلعينَ .. وترتدينَ ..
ولمحتُ طوقَ الياسمينِ ..
في الأرضِ مكتومِ الأنينِ
كالجُنةِ البيضاء .. تدفعُهُ جموعُ الراقصينَ
ويهمُّ فارسُكِ الجميلُ بأخذه ..
فئمانعينَ ..

وئفقهين ..
" لا شيء يستدعي انحناءك ..
ذاك طوق الياسمين .. "

قصيدة الحزن

علمني حُبك أن أحزن
وأنا مُحْتَاجٌ منذُ عصور
لامرأةٍ تجعلني أحزن
لامرأةٍ أبكي بين ذراعيها
مثل العصفور ..
لامرأةٍ تجمعُ أجزاءي
كشظايا البلور المكسور
علمني حُبك .. سيديتي
أسوأ عادات
علمني أفتحُ فنجاني
في الليلة آلاف المرّات
وأجربُ طبَّ العطارين ..
وأطرقُ بابَ العرّافات
علمني .. أخرجُ من بيتي
لأمشطُ أرصفة الطرقات
وأطاردَ وجهك ..
في الأمطار، وفي أضواء السيّارات
وأطاردَ طيفك ..
حتى .. حتى ..
في أوراق الإعلانات ..
علمني حُبك ..
كيف أهيمُ على وجهي ساعات
بحثاً عن شعيرٍ غجريٍّ
تحسدهُ كلُّ العجريات
بحثاً عن وجهٍ .. عن صوتٍ ..
هو كلُّ الأوجه والأصوات

*

أدخلني حُبك سيديتي

مُدُنَ الأَحْزَانِ
وأنا من قبلكِ لم أدخل
مُدُنَ الأَحْزَانِ ..
لم أعرفُ أبداً .. أن الدمعَ هو الإنسان
أن الإنسانَ بلا حزنٍ ..
ذكرى إنسان ..
علمني حبكِ ..
أن أتصرفَ كالصبيّان
أن أرسمَ وجهك ..
بالطباشور على الحيطان
وعلى أشرعة الصيادين ..
على الأجراس ..
على الصُّلبان ..
علمني حبكِ ..
كيف الحبُّ يغيّرُ خارطة الأزمان
علمني .. أنّي حينَ أحبُّ
تكفُّ الأرضُ عن الدوران ..
علمني حبُّكِ أشياءً ..
ما كانت أبداً في الحُسبان
فقرأتُ أقاصيصَ الأطفال ..
دخلتُ قصورَ ملوكِ الجان
وحلمتُ بأن تتزوجني
بنتُ السلطان
تلكَ العيناها .. أصفى من ماء الخُلجان
تلكَ الشفتاها .. أشهى من زهر الرُّمان
وحلمتُ بأنّي أخطفُها ..
مثلَ الفُرسان ..
علمني حبُّكِ ، يا سيّدي ، ما الهذيان
علمني .. كيفَ يمرُّ العُمر ..
ولا تأتي بنتُ السلطان ..
علمني حبكِ ..
كيف أحبكِ في كل الأشياء
في الشجر العاري ..

في الأوراق اليابسة الصفراء
في الجو الماطر ، في الأنواء
في أصغر مقهى ..
نشرب فيه ، مساءً ، قهوتنا السوداء
علمني حبك أن أوي ..
لفنادق ليس لها أسماء ..
وكنائس ليس لها أسماء ..
ومقاه ليس لها أسماء ..
علمني حبك ..
كيف الليل يضخم أحزان الغرباء
علمني .. كيف أرى بيروت
إمرأة .. طاغية الإغراء
إمرأة .. تلبس كل مساء
أجمل ما تملك من أزياء
وترش العطر .. على نهديها ..
للبحارة والأمراء ..
علمني حبك ..
أن أبكي من غير بكاء
علمني .. كيف ينام الحزن
كغلام مقطوع القدمين
في طرق " الروشة " و " الحمراء " ..
علمني حبك أن أحزن ..
وأنا محتاج منذُ عصور
لامرأة .. تجعلني أحزن
لامرأة .. أبكي بين ذراعيها ..
مثل العصفور ..
لامرأة .. تجمعُ أجزاءي
كشظايا البلور المكسور ..

قائمة الفئجان

جَلَسْتُ .. والخوفُ بعينيها
تتأملُ فئجاني المقلوب
قالت :

يا ولدي .. لا تَحْزَن
فالحُبُّ عَلَيْكَ هَوَ المكتوب
يا ولدي
قد ماتَ شهيداً ..
من ماتَ على دينِ المحبوب
فنجانك .. دنيا مرعبة
وحياتك أسفارٌ وحروب ..
سُحِبُ كثيراً يا ولدي ..
وتموتُ كثيراً يا ولدي ..
وستعشقُ كُلَّ نساءِ الأرض ..
وترجعُ كالملاكِ المغلوب ..

*

بحياتك يا ولدي ، امرأةٌ ..
عيناها ، سبحانَ المعبود
فمُها .. مرسومٌ كالعنقود
ضحكتها ، موسيقى و ورود
لكنَّ سماءك ممطرةٌ ..
وطريقك مسدودٌ .. مسدود
فحبيبةُ قلبك .. يا ولدي
نائمةٌ في قصرٍ مرصود
والقصرُ كبيرٌ يا ولدي
وكلابٌ تحرسُهُ .. وجنود
وأميرةُ قلبك نائمةٌ ..
من يدخلُ حُجرتها مفقود ..
من يطلبُ يَدَها .. من يدنو ..
من سورِ حديقتها مفقود
من حاولَ فكَّ ضفائرِها
يا ولدي ..
مفقودٌ .. مفقودٌ .. مفقود ..

*

بصرتُ .. ونجّمت كثيراً
لكني .. لم أقرأ أبداً
فجاناً يشبهُ فجانك

لم أعرف أبداً يا ولدي
أحزاناً تشبه أحزانك
مقدورك .. أن تمشي أبداً
في الحب .. على حدّ الخنجر
وتظّل وحيداً كالأصداف
وتظّل حزينا كالصفصاف
مقدورك أن تمضي أبداً
في بحر الحبّ بغير قُلوغ
وتُحبُّ .. ملايين المرّات ..
وترجع كالملك المخلوع ..

صديقتي وسجائري

واصل تدخينك .. يغريني
رجل في لحظة تدخين
هي نقطة ضعفي كامرأة
فاس تثمر ضعفي وجنوني
ما شهي تبغاك ، والذني
تستقبل أول تشريين
والقهوة .. والصحف الكسلى
وروى .. وحطام فناجين
دخن لا أروع من رجل
يفنى في الركن .. ويفنني
رجل .. تتضم أصابعه
وتفكر من غير جبين ..
أشعل واحدة من أخرى ..
أشعلها من جمر عيوني
ورمادك ضعه على كفي
نيرانك ليست تؤذني
فأنا كامرأة .. يرضيني
أن ألقى نفسي في مقعد
ساعات في هذا المعبد
أتأمل في الوجه المجهد
وأعد .. أعد .. عروق اليد

فعروق يديك تسليني
وخيوط الشيب هنا .. وهنا ..
تنهي أعصابي .. تنهيني
دخن .. لا أروع من رجل
يفنى في الركن .. ويفيني
* * *

أحرقني .. أحرق بي بيتي
وتصرف فيه كمجنون ..
فأنا كامرأة .. يعجبني
أن أشعر أنك تحميني
أن أشعر أن هناك يبدأ
تتسلل من خلف المقعد ..
كي تمسح رأسي وجبيني
تتسلل من خلف المقعد
لتداعب أذني بسكون
ولتترك في شعري الأسود
عقداً من زهر الليمون
* * *

دخن .. لا أروع من رجل
يفنى في الركن .. ويفيني

إلى تلميذة

قل لي - ولو كذباً - كلاماً ناعماً
قد كاد يقتاني بك التمثال
مازلت في فن المحبة .. طفلة
بيني وبينك .. أبحر وجمال
لم تستطعي ، بعد ، أن تفهمي
أن الرجال جميعهم أطفال
إنني لأرفض أن أكون مهرجاً
قزماً ، على كلماته يحتال
فإذا وقفت أمام حسنك صامتاً
فالصمت في حرم الجمال .. جمال
كلماتنا في الحب .. تقتل حبنا

إن الحروف تموت حين تقال ..
قصص الهوى قد أفسدتك .. فكلها
غيبوبة .. وخرافة .. وخيال
الحب ليس رواية شرقية
بختامها يتزوج الأبطال
لكنه الإبحار دون سفينة
وشعورنا أن الوصول محال
هو أن تظل على الأصابع رعدة
وعلى الشفاه المطبقات سؤال
هو جدول الأحزان في أعماقنا
تتمو كروم حوله وغلال ..
هو هذه الأزمات تسحقنا معاً ..
فموت نحن .. وتزهر الآمال
هو أن نثور لأي شيء تافه
هو يأسنا .. هو شكنا القتال
هو هذه الكف التي تغتالنا
ونقبل الكف التي تغتال

*

لا تجرحي التمثال في إحساسه
فلكم بكى في صمته تمثال
قد يطلع الحجر الصغير براعماً
وتسيل منه جداول وظلال
إنني أحبك من خلال كآبتي
وجهاً كوجه الله .. ليس يطال
حسبي .. وحسبك .. أن تظلي دائماً
سراً يمزقني .. وليس يقال ..

لوليتا

- ١ -

صار عمري خمس عشره
صرت أحلى ألف مره
صار حبي لك أكبر
ألف مره ..

ربما من سنتين
لم تكن تهتم في وجهي المدور
كان حسني بين .. بين ..
وفساتيني تغطي الركبتين
كنت آتيك بثوبي المدرسي
وشريطي القرمزي
كان يكفيني بأن تهدي إليّ
دمية .. قطعة سكر ..
لم أكن أطلب أكثر ..

- ٢ -

... وتطور
بعد هذا كل شيء
لم أعد أقنع في قطعة سكر
ودمي .. تطرحها بين يدي
صارت اللعبة أخطر ..
ألف مره ..
صرت أنت اللعبة الكبرى لديّ
صرت أحلى لعبة بين يدي
صار عمري خمس عشره ..

- ٣ -

صار عمري خمس عشره
كل ما في داخلي غنى .. وأزهر
كل شيء صار أخضر ..
شفتي خوخ .. وياقوت مكسر
وبصدري ضحكت قبة مرمر ..
وينابيع ، وشمس ، وشنوبر
صارت المرأة ، لو تلمس نهدي ، تتخدر
والذي كان سوياً قبل عامين تدور .. فتصور ..
طفلة الأمس التي كانت على بابك تلعب ..
والتي كانت على حضنك تغفو حين تتعب
أصبحت قطعة جواهر ..
لا تقدر ..

- ٤ -

صار عمري خمس عشره
صرت أجمل ..
وستدعوني إلى الرقص .. وأقبل
سوف ألتف بشال قصبي
وسأبدوا كالأميرات ببهو عربي
أنت بعد اليوم ، لن تخجل في ..
فلقد أصبحت أطول ..
آه .. كم صليت كي أصبح أطول
إصبعاً .. أو إصبعين ..
آه .. كم حاولت أن أظهر أكبر
سنةً .. أو سنتين ..
آه .. كم ثرت على وجهي المدور ..
وذؤاباتي .. وثوبي المدرسي
وعلى الحب بشكل أبوي
لا تعاملني بشكل أبوي
فلقد أصبح عمري خمس عشره ..

الرسم بالكلمات

لا تطلبي مني حساب حياتي
إن الحديث يطول يا مولاتي ..
كل العصور أنا بها . فكأنما
عمري ملايين من السنوات
تعبت من السفر الطويل حقائبي
وتعبت من خيلي ومن غزواتي
لم يبق نهد أبيض .. أو أسود
إلا زرعت بأرضه راياتي ..
لم تبق زاوية بجسم جميله
الا ومرت فوقها عرباتي
فصلت من جلد النساء عباءة
وبنيت اهراما من الحلمات ..
وكتبت شعرا .. لا يشابه سحره
إلا كلام الله في التوراة

*

...واليوم اجلس فوق سطح سفيني
كاللص ، ابحت عن طريق نجاه
وأدير مفتاح الحريم ... فلا أرى
في الظل ، غير جماجم الأموات
أين السبايا ؟ أين ما ملكت يدي؟
أين البخور يذوق من حجراتي؟
اليوم .. تنتقم النهود لنفسها
وترد لي الطعنات بالطعنات..

*

مأساة هارون الرشيد مريرة
لو تدركين مرارة المأساة
إني كمصباح الطريق .. صديقي
أبكي ، ولا احد يرى دمعاتي
الجنس .. كان مسكنا جربته
لم ينه أحزاني ، ولا أزماتي
والحب .. أصبح كله متشابها
كتشابه الأوراق في الغابات
أنا عاجز عن عشق أية نملة
أو غيمة ، عن عشق أي حصة
مارست ألف عبادة وعبادة
فوجدت أفضلها عبادة ذاتي !

*

فمك المطيب .. لا يحل قضيتي
فقضيتي في دفثري ودواتي ..
كل الدروب أمامنا مسدودة
وخلصنا في الرسم بالكلمات ..

إلى رجل ما ..

١

يا سيدي العزيز ..
هذا خطاب امرأة حمقاء ..
هل كتبت إليك قبلي امرأة حمقاء ؟
اسمي أنا ؟

دعنا من الأسماء

رانية ، أم زينب ، أم هند ، أم هيفاء
اسخف ما نحملة - يا سيدي - الأسماء ..

٢

يا سيدي !

أخاف أن أقول ما لدي من أشياء
أخاف - لو فعلت - أن تحترق السماء

فشرقكم يا سيدي العزيز

يصادر الرسائل الزرقاء

يصادر الأحلام من خزائن النساء

يستعمل السكين .. والساطور ..

كي يخاطب النساء ..

ويذبح الربيع ، والأشواق ، والصفائر السوداء

و شرقكم يا سيدي العزيز

يصنع تاج الشرف الرفيع .. من جماجم النساء ..

٣

لا تنتقدي سيدي ..

إن كان خطي سيئاً ..

فإنني أكتب .. والسياف خلف بابي

وخارج الحجرة صوت الريح والكلاب

يا سيدي !

عنتره العبسي خلف بابي

يذبحني .. إذا رأى خطابي

يقطع رأسي ..

لو رأى الشفاف من ثيابي ..

يقطع رأسي .. لو أنا عبرت عن عذابي

فشرقكم يا سيدي العزيز

يحاصر المرأة بالحرايب ..

وشرقكم ، يا سيدي العزيز

يبايح الرجال أنبياء

ويطمر النساء في التراب ..

٤

لا تنزعج !

يا سيدي العزيز .. من سطوري
لا تنزعج !
إذا كسرت القمقم المسدود من عصور
إذا نزعت خاتم الرصاص عن ضميري
إذا أنا هربت من أقبية الحريم في القصور
إذا تمردت على موتي ، على قبوري ، على جذوري
و المسلخ الكبير ..
لا تنزعج يا سيدي
إذا أنا كشفت عن شعوري
فالرجل الشرقي .. لا يهتم بالشعر و لا الشعور
الرجل الشرقي - واغفر جرأتي -
لا يفهم المرأة إلا داخل السرير ..

٥

معذرة يا سيدي
إذا تطاولت على مملكة الرجال
فالأدب الكبير - طبعاً - أدب الرجال
والحب كان دائماً .. من حصة الرجال ..
والجنس كان دائماً
مخدراً يباع للرجال
خرافة حرية النساء في بلادنا
فليس من حرية أخرى ، سوى حرية الرجال ..
يا سيدي !
قل ما تريده عني .. فلن أبالي
سطحية .. غبية .. مجنونة .. بلهاء ..
فلم أعد أبالي
لأن من تكتب عن همومها
في منطق الرجال ، تدعى امرأة حمقاء
ألم أقل في أول الخطاب ..
إني امرأة حمقاء ..

رسالة من سيدة حاقدة

" لا تَدْخُلِي " ..
وسدّدتَ في وجهي الطريقَ بمرْفَقَيْكَ

وزعمتَ لي ..
أنَّ الرفاقَ أتوا إليك ..
أهمُ الرفاقُ أتوا إليك ؟
أم أنَّ سيِّدةً لديك
تحتلُّ بعدي ساعديك ؟
وصرختَ مُحتدماً :

" قفي " !!

والريحُ تمضُ معطفي
والذلُّ يكسو موقفي
لا تعتذر ، يا نذلُّ ، لا تتأسف .
أنا لستُ آسفةً عليك ..
لكنْ على قلبي الوفي
قلبي الذي لم تعرف ..

*

ماذا ؟ لو انك يا دني
أخبرتني ..
أني انتهى أمري لديك
فجميعُ ما وشوشنتني ..
أيامَ كنتَ نُحِبُّني ..
من أنني ..
بيتُ الفراشةِ مسكني
وغدي انفراطُ السوسن ..
أنكرتهُ أصلاً .. كما أنكرتني ..

*

لا تعتذر ..
فالإثمُ يحصدُ حاجبيك
وخطوطُ أحمرها .. تصيحُ بوجنتيك
ورباطك المشدوه ..
يفضحُ ما لديك .. ومنْ لديك
يا مَنْ وقفتُ دمي عليك
وذللنتني ..
ونفضتني
كدُّبابةٍ عن عارضيك

ودعوتَ سيِّدةً إليك
وأهنتني ..
من بعد ما كنتُ الضياءَ بناظريك ..

*

إني أراها في جوار الموقدِ
أخذتُ هنالكَ مقعدي ..
في الرُّكنِ .. ذاتِ المقعدِ ..
وأراكَ تمنحُها يداً ..
مثلوجةً ..
ذاتِ اليدِ ..
سترددُ القصصَ التي أسمعني
ولسوفَ تخبرُها بما أخبرتني ..
وسترفعُ الكأسَ التي جرَّعتني
كأساً بها سممتني ..
حتى إذا عادتُ إليك
نشوى بموعدها الهني ..
أخبرتها " أن الرِّفاقَ أتوا إليك .. "
وأضعتَ رونقها كما ضيَّعتني ..

حُبلى

لا تَمْتَقِعْ !
هي كَلِمَةٌ عَجَلَى
إني لأشعرُ أنني حُبلى ..
وصرختُ كالمسلوعِ بي .. " كلا " ..
سئمزقُ الطفلاً ..
وأخذتُ تشتمني ..
وأردتُ تطردني ..
لا شيءَ يُدهشني ..
فلقد عرفتكُ دائماً ندلاً ..

*

وبعثتَ بالخدَّامِ يدفعني ..
في وحشةِ الدربِ
يا مَنْ زَرَعْتَ العارَ في صُلبي

وكسرتَ لي قلبي ..
ليقولَ لي :
" مولايَ ليسَ هُنا .. "
مولاهُ أَلْفُ هُنا ..
لكنَّهُ جَبْنا ..
لما تأكَّدَ أَنني حُبلى ..

*

ماذا .. أتبصِّفُني ؟
والقيءُ في حَلقي يدمِّرُني
وأصابعُ العَنَيانِ تخنُقُني ..
ووريتُكَ المشوومُ في بَدَني
والعارُ يسحِّقُني ..
وحقيقةُ سوداءُ .. تملؤني
هي أَنني حُبلى ..

*

ليراثكَ الخمسون ..
تُضحِكُني ..
لَمَنَ النقودُ .. لِمَنَ ؟
لُتجهِضَني ؟
لتخيطَ لي كَفَني ؟
هذا إِذْ نَمَني ؟
ثمنُ الوفا يا بُورَةَ العَفَنِ ..
أنا لم أَجِئكَ لِمالِكَ النَتِنِ ..
" شكراً .. "
سأسقِطُ ذلكَ الحَمَلا
أنا لا أريدُ لَهُ أَباً نَدَلا ..

أوعية الصِّدي

" لا .. لا أريد .. "
" المرةُ الخمسون .. إِنني لا أريد .. "
ودفنتَ وجهكَ للجدار .. أيا جداراً من جليد
وأنا وراءك - يا صغير النفس - نابحة الوريد
شعري على كتفي بديد ..

والريح تفنل مقبض الباب الوصيد
ونباح كلبٍ من بعيد
والحارسُ الليليُّ ، والمزrab متصل النشيد ..
حتى الغطاء .. سرقة
وطعنت لي الأملَ الوحْدُ
ألمي الذي مزقته ..
ألمي الوحيد ..
ماذا أريدُ ؟
وقبيل ثانيتين ..
كنت تجول كالثور الطريد
والآن ..
أنت بجانبني ..
قفصٌ من اللحم القديد ..
ما أشنع اللحم القديد ..
ماذا أريدُ ؟
يا وارثاً عبد الحميد ..
والمتكى التركيُّ ، والنرجلية الكسلى تئن وتستعيد
والشركسيات السبايا حول مضجعه الرغيدُ
يسقطن فوق بساطه ..
جيداً فجيذاً ..
وخليفة الإسلام ، والملك السعيدُ
يرمي .. ويأخذ ما يريد ..
لا .. لم يمت عبد الحميدُ
فلقد تقمص فيكم عبد الحميدُ
حتى هنا . حتى على السرر المقوسة الحديدُ
نحن النساء لكم عبيدُ
وأحظ أنواع العبيد ..
كم ماتت تحت سياطكم نهد شهيدُ
وبكى من استنارهم خصرٌ عميدُ ..
*

ماذا أريدُ ؟
لا شيء . يا سفاح . يا قرصان . يا قبو الجليدُ
فأنا وعاءٌ للصديدُ ..

يا ويل أوعية الصديق ..
هي ليست تملك .. أن تريد ولا تريد ..

إلى قديسة

ماذا إذن تتوقعين ؟
يا بضعة امرأة .. أجيبني .. ما الذي تتوقعين ؟
أظنُّ أصداد الذباب هنا ؟ وأنتِ تدخنين
أجترّ كالحشاش أحلامي ..
وأنتِ تدخنين ..
وأنا أمام سريرك الزاهي كقطّ مستكين ..
ماتت مخالبه ، وعزته ، وهدّته السنين
أنا لن أكون - تأكدي - القطّ الذي تتصورين ..
قطاً من الخشب المجوّف .. لا يحركه الحنين
يغفو على الكرسيّ إذ تتجردين
ويردّ عينيه .. إذا انحسرت قباب الياسمين ..

* * *

تلكَ النهاية ليس تدهشني ..
فما بالك تُدهشين ؟
هذا أنا .. هذا الذي عندي ..
فماذا تأمرين ؟
أعصابي احترقت .. وأنتِ على سريركِ تقرأين
أصوم عن شفّتك ؟
فوق رجولتي ما تطلبين ..
ما حكمتي ؟
ما طبيّتي ؟
هذا طعام الميتين ..
متصوف ! من قال ؟ إني آخر المتصوفين
أنا لستُ يا قدّستي الربّ الذي تتخيلين
رجلٌ أنا كالآخرين
بطهارتي ..
بنذالتي ..
رجلٌ أنا كالآخرين

فيه مزايا الأنبياء ، وفيه كفر الكافرين
وداعة الأطفال فيه ..
وقسوة المتوحّشين ..

* * *

رجل أنا كالأخرين ..
رجل يحبّ - إذا أحبّ - بكلّ عنف الأربعين
لو كنت يوماً تفهمين
ما الأربعون .. وما الذي يعنيه حبّ الأربعين
يا بضعة امرأة .. لو أنك تفهمين ..

إلى أجيرة

بدراهمي !
لا بالحديث الناعم
حطمت عزتك المنبوعة كلها .. بدراهمي
وبما حملت من النفائس ، والحرير الحالم
فأطعتني ..
وتبعني ..
كالقطة العمياء مؤمنة بكل مزاعمي ..
فاذا بصدرك - ذلك المغرور - ضمن غنائي
أين اعتدادك ؟
أنت أطوع في يدي من خاتمي ..
قد كان ثغرك مرّة ..
ربي .. فأصبح خادمي
آمنت بالحسن الاجير .. وطأته بدراهمي ..
وركلته ..
وذللته ..
بدمي ، بأطواق كوهم الواهم ..
ذهب .. وديباج .. وأحجار تشعّ فقاومي !!
أي المواضع منك .. لم تهطل عليه غمائي
خيرات صدرك كلها ..
من بعض .. بعض مواسمي ..
بدراهمي !
باناء طيب فاعم

ومشيت كالفأر الجبان إلى المصير الحاسم
ولهوتُ فيك .. فما انتختُ شفتاك تحت جرائمي
والأرنبتن الأبيضان .. على الرخام الهاجم
جبنا .. فما شعرا بظلم الطالم ..
وأنا أصب عليهما ..
ناري .. ونار شتائمي ..
ردي .. فلست أطيّقُ حسناً ..
لا يرد شتائمي ..

*

مسكينة ..

لم يبق شيء منك .. منذ استعبدتكِ دراهمي !!

لن تظفني مجدي

ثرثرت جداً .. فاتركيني
شيء يمزق لي جبينني
أنا في الجحيم ، وأنت لا
تدرين ماذا يعتريني
لن تفهمي معنى العذاب
بريشتي .. لن تفهميني
عمياء أنت .. ألم تري
قلبي تجمع في عيونني ؟
مات الحنين .. أسمعين ؟
ومتّ أنت مع الحنين
لا تسأليني .. كيف قصتنا
إنتهت ، لا تسأليني
هي قصة الأعصاب ، والأفيون
والدم .. والجنون
مررت .. فلا تتذكري
وجهي .. ولا تتذكريني
إن تنكريها .. فأقري
تاريخ سخفك .. في غضونني

*

أمريضة الأفكار .. يابى

الليل أن تستضعفيني
لن تطفئي مجدي على
قدح .. وضمة ياسمين
إن كان حبك .. أن أعيش
على هرائك .. فأكرهيني ..
*

حاولت حرقني .. فاحترقت
بنار نفسك .. فأعذريني
لا تطلبي دمعي ، أنا
رجل يعيش بلا جفون
مزقت أجمل ما كتبت
وغرت حتى من ظنوني
وكسرت لوحاتي ، وأضرمت
الحرائق في سكوني
وكرهنتي .. وكرهت فنأ
كنت أطعمه عيوني
ورأيتني أهب النجوم
محبتي فوقفت دوني
حاولت أن أعطيك من
نفسي ، ومن نور اليقين
فسخرت من جهدي ، ومن
ضربات مطرقتي الحنون
وبقيت - رغم أناملني -
طيناً تراكم فوق طين
لا كنت شيئاً .. في حساب
الذكريات ، ولن تكوني
*

شفتي سأقطعها .. ولن
أمشي إليك على جبينني ..

إلى زهدين مغرومين

عندي المزيد من الغرور .. فلا تبيعي غرورا
إن كنت أرضى أن أحبك ..

فاشكري المولى كثيرا ..
من حُسن حظك ..
أن عَدَوْتُ حبيبي .. زمناً قصير
فأنا نفخت النارَ فيك ..
وكنت قبلي زمهريرا ..
وأنا الذي أنقذت نهدك من تسكعه ..
لأجعله أميرا ..
وأدرته .. لولا يداي .. أكان نهدك مستديرا ؟
وأنا الذي حرضتُ حلمتكِ الجبانة كي تثورا
وأنا الذي ..
في أرضك العذراء .. ألقيتُ البذورا
فتفجرتُ .. ذهباً ، وأطفالاً ، وياقوتاً مثيرا

مِنْ حُسنِ حظكِ .. أن تحبيني
ولو كذباً وزورا ..
فأنا بأشعاري فتحت أمامك البابَ الكبيراً
وأنا دلتُ على أنوثتكِ .. المراكبَ والطيوراً
وجعلتُ منكِ مليكةً
ومنحتكِ التاجَ المرصع ، والسريرا
حسبي غروراً أنني علمتُ نهديكِ الغرورا
فلتشكري المولى كثيرا ..
أني عشقتكِ ذاتَ يومٍ ..
أشكُري المولى كثيرا ..

الخرافة

حين كنا ..
في الكتاتيب صغارا
حقنونا بسخيف القول ليلاً ونهاراً
درسونا :
" ركبة المرأة عوره .. "
" ضحكة المرأة عوره .. "
" صوتها – من خلف ثقب الباب – عوره .. "
صوروا الجنس لنا ..

غولاً بأنيابٍ كبيرة
يخنقُ الأطفالَ ، يقتات العذارى
خوفونا ..
من عذاب الله ، إن نحن عشقنا
هددونا ..
بالسكاكين .. إذا نحن حلمنا
فنشأنا ..
كنباتات الصحارى
نلعقُ الملحَ ، ونستافُ الغبارا

يوم كان العلمُ في أيامنا ..
فلقةً تُمسكُ رجلينا .. وشيخاً .. وحصيرا
شوهونا ..
شوهوا الإحساس فينا والشعورا
فصلوا أجسادنا عنا .. عصوراً وعصورا
صوروا الحب لنا .. باباً خطيرا
لو فتحناه .. سقطنا ميتين ..
فنشأنا ساذجين
وبقينا ساذجين
نحسب المرأة شاةً أو بعيرا
ونرى العالم جنساً وسريرا ..

القصيدة المتوحشة

أحبيني بلا عقدٍ ..
وضياعي في خطوط يدي
أحبيني لأسبوع ، لأيام ، لساعاتٍ ..
فلست أنا الذي يهتم بالأبد ..
أنا تشرينُ ..
شهر الريح ، والأمطار ، والبرد ..
أنا تشرينُ .. فانسحقي
كصاعقة على جسدي ..

أحبيني . بكل توحش التتر

بكل حرارة الأدغال ، كل شراسة المطر
ولا تبقي .. ولا تذري
ولا تتحضري أبداً ..
فقد سقطت على شفتيكِ كل حضارة الحضرة

أحبيني كزلزال ..
كموت غير منتظر ..
وخلي نهدك المعجون بالكبريت والشرر
يهاجمني .. كذئبٍ ، جائعٍ ، خطر ..
وينهشني .. ويضربني
كما الأمطار تضرب ساحل الجزر ..
أنا رجل بلا قدر ..
فكوني أنت لي قدري ..
وأبقيني على نهديك مثل النقش في الحجر ..

أحبيني .. ولا تتساءلي كيفاً
ولا تتلعثمي خجلاً .. ولا تتساقطي خوفاً ..
فحين الحب يضربنا ..
فلا (لماذا) ولا (كيفاً) ..
أحبيني .. بلا شكوى
أيشكو الغمد إذ يستقبل السيفا
وكوني البحر والميناء ، كوني الأرض والمنفى
وكوني الصحو والإعصار ..
كوني اللين والعنفا
أحبيني .. بألف وألف أسلوب
ولا تتكرري كالصيف .. إنني أكره الصيف ..
أحبيني .. وقوليها
لأرفض أن تحبيني بلا صوتٍ
وأرفض أن أوري الحب في قبرٍ من الصمتِ
أحبيني ..
بعيداً عن بلاد القهر والكبت ..
بعيداً عن مدينتنا التي شبعنا من الموت ..
بعيداً عن تعصبها ..

بعيداً عن تخشبها
أحبيبي .. بعيداً عن مدينتنا
التي من يوم أن كانت
إليها الحب لا يأتي ..
إليها الله لا يأتي ..

أحبيبي ..
ولا تخشي على قدميك ، سيدتي ، من الماء
فلن تتعمدي امرأة ..
وجسمك خارج الماء ..
وشعرك خارج الماء ..
فنهك بطة بيضاء .. لا تحيا بلا ماء
أحبيبي بطهري أو بأخطائي ..
بصحوي أو بأنوائي ..
وغطيني ، أيا سقفاً من الأزهار ، يا غابات حناء
تعري .. واسقطي مطراً على عطشي وصحرائي
وذوبي في فمي كالشمع .. وانعجني بأجزائي ..
تعري .. واشطري شفتي
إلى نصفين .. يا موسى بسيناء ..

نهداك

سمراء .. صبي نهدك الأسمر في دنيا فمي
نهداك نبعاً لذة حمراء تشعل لي دمي
متمردان على السماء ، على القميص المنعم
صنمان عاجيان .. قد ماجا ببحرٍ مضرم
صنمان .. إني أعبدُ الأصنامَ رغم تـأثمـي

فكي الغلالة .. واحسري عن نهدك المتضرم
لا تكبتي النارَ الحبيسة ، وارتعاشَ الأعظم
نار الهوى ، في حلمتيك ، أكولة كجهنم
خمريتان .. احمرتا بلظى الدم المتهجم ..
محروقتان .. بشوة تبكي ، وصبرٍ ملجم

نهداك وحشيان .. والمصباح مشدوه الفم
والضوء منعكس على مجرى الحليب المعتم
وأنا أمدي .. وأسرق من حقول الأنجم
والحلمة الحمقاء .. ترصدني بظفر مجرم
وتغط إصبعها وتغمسها بحبر من دمي ..

يا صلبة النهدين .. يأبى الوهم أن تتوهمي
نهداك أجمل لوحتين على جدار المرسم ..
كرتان من زغب الحرير ، من الصباح الأكرام
فتقدمي ، يا قطتي الصغرى ، إلي تقدي ..
وتحرري مما عليك .. وحطمني .. وتحطمني ..

مغرورة النهدين .. خلي كبرياءك وانعمي
بأصابعي ، بزوابعي ، برعونتي ، بتهجمي
فغداً شبابك ينطفي مثل الشعاع المضم
وغداً سيدوبني النهدي والشفتان منك .. فأقدمي
وتفكري بمصير نهداك .. بعد موت الموسم

لا تفزعي .. فاللثم للشعراء غير محرم
فكي أسيري صدرك الطفلين .. لا .. لا تظلمي
نهداك ما خلقنا للثم الثوب .. لكن .. للفم
مجنونة من تحجب النهدين .. أو هي تحتمي
مجنونة .. من مرَّ عهد شبابها لم تآثم ..

.. وجذبتُ منها الجسم ، لم تنفر ولم تتكلم
مخمورة .. مالت عليَّ بقدها المتهدم
ومضتُ تعلاني بهذا الطافر المتكوم
وتقول في سكرٍ ، معرودة ، بأرشق مبسم
" يا شاعري .. لم ألقَ في العشرين مَنْ لم يفطم .. "

القصيدة الشريفة

مطرٌ .. مطرٌ .. وصديقتها
معها .. ولتشرين نواحُ

والباب تنن مفاصله
ويعربد فيه المفتاح
شيء بينهما .. يعرفه
إثنان .. أنا والمصباح
وحكاية حب لا تحكى
في الحب يموت الإيضاح ..
الحجرة فوضى .. فحلي
تُرمى ، وحرير ينزاحُ
ويغادر زرُّ عروته
بفتور ، فالليل صباح
الذئبة ترضعُ ذئبتها
ويدُّ تجتاحُ .. وتجتاحُ
ودثارُ فرَّ .. فواحدةُ
تُدنيه ، وأخرى ترتاح
وحوارُ نهودٍ أربعةٍ
تتهامس .. والهمس مباحُ
كطيور بيض .. في روض
تتناقِرُ .. والریشُ سلاحُ
حَبَّاتُ العقدین .. انفرطتُ
من لهوٍ ، وانهدَّ وشاحُ
فاللحمُ الطفلُ ، يمزقهُ
في العنمة ، ظفرُ سفاحُ
وجزارة شعر .. وانقطعتُ
فالصوتُ المهموسُ نباحُ
ويكسرُ نهْدُ واقعهُ
ويثورُ .. فلجرح جراحُ
ويموت الموتُ .. ويستلقي
مما عاناه المصباحُ

*

يا أختي . لا .. لا تضطربي
إني لك صارُ وجناحُ
أتراني كونت امرأة
كي تمضغ نهدي الأشباح ؟

أشذوذ ، أختاه ، إذا ما
لثم التفاح التفاح ؟
نحن امرأتان .. لما قمم
ولنا أنواءً ورياح ..

مطر .. مطر .. وصديقتها
معها .. ولتشرين نواح
والباب تنن مفاصله
ويعربد فيه المفتاح ..

البعي

١

علقت في بابها قنديلها
نازف الشريان ، محمّر الفتيله
في زقاق ضوأت أو كاره
كل بيت فيه ، مأساةً طويله
غرف .. ضيقه .. موبوءه
وعناوين لـ (ماري) و (جميله)
وبمقهى الحي .. حاك هـرم
راح يجتر أغانيه الذليله
وعجوز خلف نرجياتها
عمرها أقدم من عمر الرذيله
إنها أمرة البيت هنا ..
تشم الكسلى ، وتسترضي العجوله
وأمام الباب .. صعلوك هوى
تافه الهيئه ، مسلوب الفضيله
يعرض اللحم على قاضيه ..
مثلما يعرض سمسار خيوله
" هذه .. جاءت حديثاً .. سيدي
ناهد ما زال في طور الطفوله ..
أو إذا شئت .. فرافق هـذه
إنها أشهى من الخمر الأصيله .. "
أي رق .. مثل أنثى ترتمي

تحت شاريها ، بأوراق ضئيلة
قيمة الإنسان ، ما أحقرها
زعموه غايةً .. وهو وسيلة ..

٢

لو ترى الردهة فيها اضجعت
كل بنتٍ كأنفتاح الزهره
نهدها منتظرٌ جزاره
صابر حتى يلاقي قدره
هذه المذهبة السن .. هنا
ترقب الباب بعين حذره
حسرت عن ركبةٍ شاحبةٍ
لونها لون الحياة المنكره
من سيأتي؟ من سيأتي معها؟
أي صعلوكٍ حقيقير ، نكرة؟
وهناك .. انفردت واحدةً
عطرنا أرخص من أن أذكره ..
حاجب بولغ في تخطيطه
وطلاء كجدار المقبره ..
وفمٌ .. متسعٌ .. متسعٌ
كغلاف التينة المعتصره
الفضوليون من خلف الكوى
أعينٌ ، جائعة مستعره
وشجارٌ دائرٌ في منزلٍ
وسكاري .. ونكاتٍ قذره ..
من رأهن .. قوارير الهوى
كنعاجٍ بانتظار المجزره
كم صبأيا ، مثل ألوان الضحى
أفسدتهن عجوزٌ خطرة

٣

هذه المجدورة الوجه انزوت
كوباءٍ .. كبعير نتن
أخرجت ساقاً لها معروقة
مثل ميتٍ خارجٍ من كفن ..

حفرٌ في وجهها مُرعبةٌ
تَرَكتها عَجَلات الزمن ..
نهدها حبة تينٍ .. نشفت
رَحِمَ الله زمان اللبِن ..
فالعصافير التي كانت هُنَا
تتغذى بالشذا والسوسن
كلها طارت بعيداً .. عندما
لم يعد في الأرض غير الدِمنِ
إنها الخمسون .. ماذا بعدها ؟
غير أمطارِ الشتاء المحزن
إنها الخمسون .. ماذا ظل لي ؟
غير هذا الوَحْلِ ، هذا العفنِ
غير هذي الكأس أستهلكها
غير هذا التبغ يستهلكني
غير تاريخٍ مُدمى .. حيثما
سرتُ ، ألقى ظله يتبعني
غير أقدامِ الخطايا .. رجعت
تُحرقُ الغرفة بي .. تُحرقني
غيرُ ربٍّ .. كنتُ لا أعرفه
وأراه الآن .. لا يعرفني ..

٤

يا لصوص اللحم .. يا تُجاره
هكذا لحمُ السبايا يؤكلُ
منذ أن كان على الأرض الهوى
أنتمُ الذئب .. ونحن الحمل
نحن الآتُ هوىً مجهدةً
تفعلُ الحُبَّ ، ولا تتفعلُ ..
أنبشوا في جثثِ فاسدة
سارق الأكفانِ لا يختجـل
وارقصوا فوق نهودٍ صُلبت
مات فيها النورُ .. مات المخمل
من أنا ؟ إحدى خطاياكم أنا
نعجةٌ في دمكم تغتسل

أشتهي الأسرةَ والطفـلَ .. وأن
يحتويني ، مثل غيري ، منزل
أرجموني .. سدّدوا أحجاركم
كلكم يوم سقوطي بطلُ
يا قضاتي ، يا رماتي ، إنكم
إنكم أجبن من أن تعدلوا ..
لن تخيفوني ففي شر عتكم
يُنصرُ الباغي ، ويرمى الأعزل
تُسألُ الأنثى إذا تزني .. وكم
مجرمٍ دامي الزنا .. لا يُسألُ
تسقطُ البنتُ ، ويحـمى الرجلُ ..

الحب والبترول

متى تفهم ؟
متى يا سيدي تفهم ؟
بأني لستُ واحدةً ..
كغيري ، من صديقاتك
ولا فتحاً نسائياً ..
يُضافُ إلى فتوحاتك
ولا رقماً من الأرقام يعبرُ في سجلاتك ..
متى تفهم ؟
متى تفهم ؟
أيا جملاً من الصحراء لم يلجم ..
ويا من يأكلُ الجدرى منك الوجهَ والمعصمُ
بأني لن أكونَ هنا ..
رماداً في سجاتك
ورأساً ، بين آلاف الرؤوس ، على مخداتك
وتمثالاً تزيدُ عليه ، في حمى مزاداتك
ونهداً فوق مرمره ..
تسجّلُ شكلاً بصماتك ..
متى تفهم ؟
متى تفهم ؟

بأنك لن تخدّرنى بجاهك أو إماراتك
ولنَ تتملكَ الدنيا .. بنفطك وامتيازاتك
وبالبتروول يعبقُ من عباءاتك ..
وبالعربات .. تطرحُها على قدمي عشيقاتك
بلا عددٍ .. فأينَ ظهورُ ناقاتك ؟
وأينَ الوشمُ فوقَ يديك ، أينَ ثقبُ خيماتك ؟
أيا متشققَ القدمين .. يا عبدَ انفعالاتك
ويا منَ صارتِ الزوجاتُ بعضاً منَ هواياتك
تكدّسهنَّ بالعشراتِ .. فوقَ فراشِ لذاتك
تحنّطنَّ كالحشراتِ .. في جدرانِ صالاتك
متى تفهمُ ؟

متى يا أيها المتخمُ ؟
متى تفهمُ ؟
بأنّي لستُ منَ تهتمُّ ..
بنارك أو بجنّاتك ..
وأن كرامتي أكرمُ ..
منَ الذهبِ المكدّسِ بينَ راحاتك
وأن مناخَ أفكارِي غريبٌ عنَ مناخاتك
أيا منَ فرّخَ الإقطاعِ في ذرّاتِ ذرّاتك
ويا منَ تخجلُ الصحراءُ حتّى منَ مناداتك ..
متى تفهمُ ؟

تمرّغُ .. يا أميرَ النفطِ ، فوقَ وحولِ لذاتك
كممسحةٍ .. تمرّغُ في ضلالاتك
لكَ البتروولُ .. فاعصرهُ
على قدمي خلياتك
كهوفُ الليلِ في باريسَ .. قد قتلتُ مروءاتك
على أقدامِ مومسةٍ هناك ..
دفنتَ ثاراتك ..
فبعثَ القدسَ .. بعثَ اللهَ .. بعثَ رمادَ أمواتك
كأنَّ حرابَ إسرائيلَ لم تُجهضْ شقيقاتك
ولم تهدمُ منازلنا

ولم تحرق مصاحفنا
ولا راياتها ارتفعت على أشلاء راياتك ..

كأنَّ جميعَ من صلُّوا ..
على الأشجار في يافا ..
وفي حيفا ..
وبئرَ السبع .. ليسوا من سلالاتك
تغوصُ القدسُ في دمها
وأنتَ صريعُ شهواتك
تنامُ .. كأنما المأساة ليستَ بعضَ مأساتك
متى تفهمُ ؟
متى يستيقظُ الإنسانُ في ذاتك ؟

خمس رسائل إلى أمي

١

صباحُ الخير يا حلوه ..
صباحُ الخير يا قديستي الحلوه
مضى عامان يا أمي
على الولدِ الذي أبحر
برحلته الخرافيه
وخبأ في حقائبه
صباحَ بلاده الأخضر
وأنجمها، وأنهرها، وكلَّ شقيقها الأحمر
وخبأ في ملبسه
طرابيناً من النعناع والزعتر
وليلكة دمشقية ..

٢

أنا وحدي ..
دخانُ سجائري يضجر
ومني مقعدي يضجر
وأحزاني عصافير ..
تفتشُ بعدُ - عن بيدر
عرفتُ نساءً أوروباً ..

عرفتُ عواطفَ الإسمنتِ والخشبِ
عرفتُ حضارةَ التعبِ..
وظفتُ الهندَ، طفتُ السندَ، طفتُ العالمَ الأصفر
ولم أعرِ..
على امرأةٍ تمشطُ شعريَ الأشقر
وتحملُ في حقيبتها..
إليَّ عرائسَ السكر
وتكسوني إذا أعرى
وتنشئني إذا أعر
أيا أمي..
أيا أمي..
أنا الولدُ الذي أبحر
ولا زالت بخاطره
تعيشُ عروسهُ السكر
فكيفَ.. فكيفَ يا أمي
غدوتُ أبا..
ولم أكبر؟

٣

صباحُ الخير من مدريدَ
ما أخبارها الفلّة؟
بها أوصيكِ يا أمّاهُ..
تلكَ الطفلةُ الطفله
فقد كانت أحبَّ حبيبةٍ لأبي..
يدلّها كطفلتِهِ
ويدعوها إلى فنجان قهوته
ويسقيها..
ويطعمها..
ويغمرها برحمته..
.. وماتَ أبي
ولا زالت تعيشُ بحلم عودته
وتبحثُ عنه في أرجاءِ غرفته
وتسألُ عن عباءته..
وتسألُ عن جريدته..

وتسألُ -حينَ يأتيَ الصيفُ-
عن فيروزِ عينيه..
لتنتثرَ فوقَ كفيهِ..
دنانيراً منَ الذهبِ..

٤

سلاماتٌ..
سلاماتٌ..
إلى بيتِ سقانا الحبِّ والرحمة
إلى أزهاركِ البيضاء.. فرحة "ساحة النجمة"
إلى تحتي..
إلى كتبي..
إلى أطفالِ حارتنا..
وحيطانِ ملأناها..
بفوضى من كتابتنا..
إلى قططِ كسولاتِ
تنامُ على مشارقنا
وليلكةِ معرشةِ
على شبَّاكِ جارتنا
مضى عامان.. يا أمي
ووجهُ دمشق،
عصفورٌ يخربشُ في جوانحنا
يعضُّ على ستائرنا..
وينقرنا..
برفقٍ من أصابعنا..

٥

مضى عامان يا أمي
وليلُ دمشقَ
فلُ دمشقَ
دورُ دمشقَ
تسكنُ في خواطرننا
مآذنها.. تضيءُ على مراكبنا
كأنَّ مآذنَ الأمويِّ..
قد زُرعت بداخلنا..

كأنَّ مشاتلَ التفاحِ..
تعبقُ في ضمائرنا
كأنَّ الضوءَ، والأحجارَ
جاءت كلها معنا..

أتى أيلولُ يا أمأه..
وجاء الحزنُ يحملُ لي هداياهُ
ويتركُ عندَ نافذتي
مدامعهُ وشكواهُ
أتى أيلولُ.. أينَ دمشقُ؟
أينَ أبي و عيناهُ
وأينَ حريرُ نظرتِه؟
وأينَ عبيرُ قهوتِه؟
سقى الرحمنُ مثواهُ..
وأينَ رحابُ منزلنا الكبير..

وأينَ نُعماه؟
وأينَ مدارجُ الشمشير..
تضحكُ في زواياهُ
وأينَ طفولتي فيه؟
أجرجرُ ذيلَ قطتهِ
وآكلُ من عريشتهِ
وأقطفُ من (بنفشاهُ)

دمشقُ، دمشقُ..
يا شعراً
على حدقاتِ أعيننا كتبناهُ
ويا طفلاً جميلاً..
من صفائرنا صلبناهُ
جثونا عند ركبتهِ..
وذبنا في محبتهِ
إلى أن في محبتنا قتلناهُ...

أبي

أما ت أبوك ؟
ضلالاً ! أنا لا يموت أبي .
ففي البيت منه
روائح ربّ .. وذكرى نبي
هنا ركنه .. تلك أشيأوه
تفتّق عن ألف غصنٍ صبي
جريدته . تبغّه . مُتكأه
كأن أبي - بعدُ - لم يذهب ..

وصحن الرماد .. وفنجانه
على حاله .. بعد لم يشرب
ونظارتاه .. أيسلو الزجاج
عيوناً أشف من المغرب ؟
بقاياها . في الحجرات الفساح
بقايا النور على الملعب
أجول الزوايا عليه ، فحيث
أمرٌ .. أمرٌ على مُعشب
أشد يديه .. أميل عليه
أصلي على صدره المتعب
أبي .. لم يزل بيننا ، والحديث
حديث الكؤوس على المشرب
يسامرنا .. فالدوالي الحبالى
توالد من ثغره الطيب ..
أبي خيراً كان من جنة
ومعنى من الأرحب الأرحب ..

وعينا أبي ملجأ للنجوم
فهل يذكر الشرق عيني أبي
بذاكرة الصيف من والدي
كروم ، وذاكرة الكوكب ..

أبي يا أبي .. إن تاريخ طيبٍ
وراءك يمشي ، فلا تعتب ..
على اسمك نمضي ، فمن طيبٍ
شهي المجاني ، إلى أطيّبِ
حملتك في صحو عيني .. حتى
تهيأ للناس أني أبي ..
أشيلك حتى بنبرة صوتي
فكيف ذهبت .. ولا زلت أبي ؟

إذا فلة الدار أعطت لدينا
ففي البيت ألف فم مذهب
فتحنا لتموز أبوابنا
ففي الصيف لا بد يأتي أبي ..

لو كنت في مدريد ..

لو كنت في مدريد في رأس السنة
كنا سهرنا وحدنا
في حانة صغيرة
ليس بها سوانا
تبحث في ظلامها عن بعضها يدانا ..
كنا شربنا الخمر في اوعية الخشب
كنا اخترعنا - ربما - جزيرة
أحجارها من الذهب
أشجارها من الذهب
تتوقين فيها اميرة ..
لو كنت في مدريد في رأس السنة
كنا راينا كيف في اسبانيا ..
أيتها الصديقة الاثيرة
تشتعل الحرائق الكبيرة
في الاعين الكبيرة
كيف تنام الوردة الحمراء في الضفيرة
كنا عرفنا لذة الضياع في الشوارع
وجوهنا تحت المطر ..

ثيابنا تحت المطر
كنا رأينا في مغارات الغجر
كيف يكون الهمس بالأصابع
والبوح ، والعتاب ، بالأصابع
وكيف للحب هنا ..
طعم البهار اللاذع ..

لو كنت في مدريد في رأس السنة
كنا ذهبنا آخر الليل للكنيسة
كنا حملنا شمعنا .. وزيتنا
بيد السلام والمحبة
كنا شكونا حزننا اليه .
كنا ارحنا رأسنا لديه
لعله في السنة الجديدة
ايتها الحبيبة البعيدة
يجمعني اليك بعد غربة
في منزل ، جدرانه محبة
وخبزه محبة ..

لو كنت في مدريد في رأس السنة
كنا ملأنا المدخنة
عرائسا ملونة ..
لطفلة دافئة العيون
نعيش يا حبيبي بوهما ..
من قبل ان تكون ..
نبحث يا حبيبتى عن اسمها
من قبل ان تكون ..
كنا صنعنا تختها الصغير من ظنون
تختنا من الاحلام .. والقטיפه الملونة
تمام فيها – ربما – بعد سنة ..
لو كنت في مدريد في رأس السنة .

في مدخل (الحمراء) .. كان لقائنا
ما أطيّب اللقيا بلا ميعاد
عينان سوداوان .. في جحريهما
تتوالد الأبعاد من أبعاد ..
هل أنت إسبانية ؟ ساءلتها
قالت : وفي غرناطة ميلادي
غرناطة ! وصحت قرون سبعة
في تينك العينين .. بعد رقاد
وأمية راياتها مرفوعة
وجيادها موصولة بجياد
ما أغرب التاريخ .. كيف أعادني
لحفيدة سمراء .. من أحفادي
وجه دمشقي ، رأيت خلاله
أجفان بلقيس ، وجيد سعاد
ورأيت منزلنا القديم ، وحجرة
كانت بها أُمي تمد وسادي
والياسمينية رصعت بنجومها
والبركة الذهبية الإنشاد ..
ودمشق . أين تكون ؟ قلت ترينها
في شعرك المنساب .. نهر سواد
في وجهك العربي ، في الثغر الذي
ما زال مختزناً شمس بلادتي
في طيب (جنات العريف) ، ومائها
في الفل ، في الريحان ، في الكباد

سارت معي .. والشعر يلهث خلفها
كسنا بل تركت بغير حصاد ..
يتألق القرط الطويل بجيدها
مثل الشموع بليلة الميلاد ..
ومشيت مثل الطفل خلف دليلتي
وورائي التاريخ كوم رماد
الزخرفات .. أكاد أسمع نبضها
والزركشات .. على السقوف تنادي

قالت : هنا (الحمراء) .. زهو جدودنا
فاقرأ على جدرانها أمجادي
أمجادها !! ومسحت جرحاً نازفاً
ومسحت جرحاً ثانياً بفؤادي
يا ليت وارثتي الجميلة .. أدركت
أن الذين عندهم أجدادي ..

عانقت فيها عندما ودعتها
رجلاً يسمى (طارق بن زياد) ..

خبز وحشيش وقمر

عندما يُولَدُ في الشرق القمرُ
فالسُّطوحُ البيضُ تغفو ..
تحت أكداس الزَّهرِ
يتركُّ الناسُ الحوانيتَ .. ويمضونَ زُمرُ
لملاقاة القمرِ ..
يحملونَ الخبزَ ، والحاكي ، إلى رأس الجبالِ
ومعدَّاتِ الخدرِ ..
ويبيعونَ ، ويشرونَ .. خيالُ
وصُورُ ..
ويموتونَ إذا عاشَ القمرُ ..

٢

ما الذي يفعله قرصُ ضياءٍ ؟
ببلادي ..
ببلادِ الأنبياءِ ..
وببلادِ البسطاءِ ..
ماضغي التبغِ ، وتجارِ الخدرِ
ما الذي يفعله فينا القمرُ ؟
ففضيعةُ الكبرياءِ
ونعيشُ لنستجدي السماءَ
ما الذي عندَ السماءِ ؟
لكسالى ضعفاءِ
يستحيلونَ إلى موتى ..

إذا عاشَ القمرُ ..
ويَهزُّونَ قبورَ الأولياءِ
علَّها ..
ترزفهم رزاً وأطفالاً ..
قبورُ الأولياءِ ..
ويمدّونَ السجاجيدَ الأنثىقاتِ الطُررُ
يتسلّونَ بأفيونٍ ..
نسميهِ قدرٌ ..
وقضاءٌ ..
في بلادي ..
في بلادِ البسطاءِ ..

٣

أيُّ ضعفٍ وانحلالٍ ؟
يتولانا إذا الضوءُ تدفّقُ
فالسجاجيدُ ، وآلافُ السلالِ
وقداحُ الشاي .. والأطفال .. تحتلُّ التلالِ
في بلادي ..
حيثُ يبكي السانجونُ
ويعيشونَ على الضوء الذي لا يبصرونُ
في بلادي ..
حيثُ يحيا الناسُ من دون عيون
حيثُ يبكي السانجونُ
ويصلّونَ ، ويزنونَ ، ويحيونَ ائكالُ
منذُ أن كانوا .. يعيشونَ ائكالُ
وينادونَ الهلالُ :
" يا هلالُ ..
أيها النبعُ الذي يمطرُ ماسُ
وحشيشاً .. ونُعاسُ
أيها الربُّ الرخاميُّ المعلقُ
أيها الشيءُ الذي ليسَ يُصدّقُ
دُمتَ للشرقِ .. لنا ..
عنقودَ ماسُ
للملايين التي قد عُطّلت فيها الحواس " .

في ليالي الشرق .. لمّا
يبلغُ البدرُ تمامه ..
يتعرّى الشرقُ من كلِّ كرامه
ونضال ..
فالملايينُ التي تركضُ من غير نعال ..
والتي تؤمنُ في أربع زوجاتٍ ..
وفي يوم القيامة ..
الملايينُ التي لا تلتقي بالخبر .. إلا في الخيال
والتي تسكنُ في الليل بيوتاً من سعال ..
أبدأ .. ما عرفتُ شكلَ الدواء ..
تتردّي ..
جُنتاً تحتَ الضياء ..

في بلادي ..
حيثُ يبكي الساجونُ
ويموتونَ بكاءً
كلّما طالعهم وجهُ الهلال
ويزيدونَ بكاءً
كلّما حرّكهم عودٌ ذليلٌ .. و " ليالي " ..
ذلك الموتُ الذي ندعوه في الشرق ..
" ليالي " .. وغناءً
في بلادي ..
في بلادِ البُسطاء ..

حيثُ نجترُ التواشيحَ الطويلة ..
ذلك السلُّ الذي يفتكُ بالشرق ..
التواشيحُ الطويلة
شرفنا المجترُّ .. تاريخاً .. وأحلاماً كسولة
وخرافاتٍ خوالي ..
شرفنا ، الباحثُ عن كلِّ بطولة
في (أبي زيد الهلالي) ..

***** النهاية *****

تزار خباني

الرسم بالكلمات



عَشْرُونَ عَامًا فَوْقَ دَرَجِ الطُّورِ

وَاللَّيْلِ وَالنَّجْمِ وَالسَّمَاءِ

فَسِرَّةً كُنْتُ أَنَا قَائِلًا

وَأَكْثَرَ الْمُرَاتِ مَقْبُولًا

عَشْرُونَ عَامًا .. بِأَكْثَابِ الطُّورِ

وَالْحُزْنِ فِي الصَّفْحَةِ الْأُولَى

فَنَزَارَ

مدخل

إذا تصفحت يوماً يا بنفسجتي
هذا الكتاب الذي لا يشبهه الكتاب

تباركي بحروقي .. كل فاصلة
كتبتها عنك يوماً .. أصبحت أدبا ..

كتبت بالضوء عن عينيك . هل أحد
سواي بالضوء عن عينيك قد كتب؟

وكنت مجهولة حتى أتيت أنا ..
أرمي على صدرك الأفلاك والشهب

أنا .. أنا .. بانفعالاتي وأخيلتي
تراب نهديك قد حولته ذهباً ..

الرسم بالكلمات

لا تطلبي مني حساب حياتي
ان الحديث يطول يا مولاتي!

كل العصور انا بها ... فكأنما
عمري ملايين من السنوات ...

تعبت من السفر الطويل حقائبي
وتعبت من خيلي ومن غزواتي ...

لم يبق نهد ... اسود او ابيض
الا زرعت بارضه راياتي ...

لم تبق زاوية بجسم جميله

الا ومرت فوقها عرباتي...

فصلت من جلد النساء عباءة
وبنيت اهراما من الحلمات...

وكتبت شعرا .. لا يشايه سحره
الا كلام الله في التوراة...

...واليوم اجلس فوق سطح سفيني
كاللص .. ابحت عن طريق نجاه

وادير مفتاح الحريم ... فلا ارى
في الظل غير جماجم الاموات

اين السبايا ؟ .. اين ما ملكت يدي؟
اين البخور يذوق من حجراتي؟

اليوم تنتقم النهود لنفسها..
وترد لي الطعنات بالطعنات..

ماساة هارون الرشيد مريرة
لو تدركين مرارة الماساة

اني كمصباح الطريق .. صديقي
ابكي .. ولا احد يرى دمعاتي..

الجنس كان مسكنا جربته
لم ينه احزاني ولا ازماتي

والحب .. اصبح كله متشابها
كتشابه الاوراق في الغابات..

انا عاجز عن عشق ايه نملة

او غيمة .. عن عشق اي حصة

مارست الف عباده وعباده
فوجدت افضلها عبادة ذاتي

فمك المطيب .. لا يحل قضيتي
فقضيتي في دفنري وداواتي..

كل الدروب امامنا مسدودة
وخلصنا .. في الرسم بالكلمات..

أحلى خبر

كَتَبْتُ (أحْبُكَ) فوقَ جدارِ القَمَرِ
(أحْبُكَ جَدًّا)
كما لا أَحْبَبُكِ يوماً بَشَرُ
ألمَ تَقْرَأِيها؟ بَخْطُ يَدِي
القَمَرُ فوقَ سُوْر
..و فوقَ كراسِي الحَدِيقَةِ
فوقَ جَذوعِ الشَّجَرِ
..فوقَ الجَدَاوِلِ ، فوقَ الثَّمَرِ وفوقَ السَّنَابِلِ ،
..و فوقَ الكَوَاكِبِ تَمسُحُ عنها... غُبَارَ السَّفَرِ
حَفَرْتُ (أحْبُكَ) فوقَ عَقِيقِ السَّحَرِ
..القَدَرُ حَفَرْتُ حُدُودَ السَّمَاءِ ، حَفَرْتُ
ألمَ تُبْصِرِيها؟
على وَرَقَاتِ الزَّهْرِ
، و المَنحَدِرِ على الجَسْرِ ، و النَهْرِ
على صَدَفَاتِ البَحَارِ ، على قَطْرَاتِ المَطَرِ
؟ ألمَ تَلْمَحِيها
على كُلِّ غِصَنِ ، و كُلِّ حِصَاةٍ ، و كُلِّ حِجْرٍ
كَتَبْتُ على دَفْتَرِ الشَّمْسِ
..أحلى خَبِرُ

(أحبك جداً)
فأنتك كنت قرأت الخبر

صباحك سكر

إذا مرَّ يومٌ . ولم أتذكّر
به أن أقول : صباحك سكر
ورحتُ أخطُ كطفلٍ صغيرٍ
كلاماً غريباً على وجه دفتر
فلا تضجري من ذهولي وصمتي
ولا تحسبي أن شيئاً تغير
فحين أنا . لا أقول : أحبُّ
فمعناه أني أحبُّك أكثر
إذا جئتني ذات يومٍ بثوبٍ
كعشب البحيرات .. أخضر .. أخضر
وشعرُك ملقىً على كتفيك
كبحر .. كأبعاد ليلٍ مبعثر
ونهدك .. تحت ارتفاع القميص
شهية .. شهية .. كطعنة خنجر
ورحتُ أعبُّ دخاني بعمق
وأرشف حبرَ دواتي وأسكر
فلا تتعيني بموت الشعور
ولا تحسبي أن قلبي تحجر
فبالوهم أخلق منك إليها
وأجعلُ نهدك .. قطعةً جوهر
وبالوهم .. أزرعُ شعرك دقلى
وقمحا .. ولوزاً .. وغابات زعفران ..
إذا ما جلست طويلاً أمامي
كمملكةٍ من عبيرٍ ومرمر
وأغمضتُ عن طبيباتك عيني
وأهملتُ شكوى القميص المعطر
فلا تحسبي أنني لا أراك

فبعضُ المواضع بالذهن يُبصر
ففي الظلِّ يغدو لعطركِ صوتٌ
وتصبحُ أبعادُ عينيكِ أكبر
أحبُّكِ فوقَ المحبَّةِ .. لكن
دعيني أراكِ كما أتصوّر...

حقائب البكاء

إذا أتى الشتاء ..
وحركت رياحه ستائري
أحس يا صديقتي
بحاجة إلى البكاء
على ذراعيك ..
على دفاتري ..
إذا أتى الشتاء
وانقطعت عندلة العنادل
وأصبحت ..
كل العصافير بلا منازل
يبتدئ النزيف في قلبي .. وفي أناملي ..
كأنما الأمطار في السماء
تهطل يا صديقتي في داخلي ..
عندئذ .. يغمرني
شوق طفولي إلى البكاء ..
على حرير شعرك الطويل كالسنابل ..
كمركب أرهقه العياء
كطائر مهاجر ..
يبحث عن نافذة تضاء
يبحث عن سقف له ..
في عتمة الجداول ..

إذا أتى الشتاء ..
واغتال ما في الحقل من طيوب ..

وخبأ النجوم في روائه الكئيب
يأتي إلى الحزن من مغارة المساء
يأتي كطفل شاحب غريب
مبلل الخدين والرداء..
وأفتح الباب لهذا الزائر الحبيب
أمنحه السرير .. والغطاء
أمنحه .. جميع ما يشاء

من أين جاء الحزن يا صديقتي؟
وكيف جاء؟
يحمل لي في يده..
زنابقاً رائعة الشحوب
يحمل لي..
حقائب الدموع والبكاء..

حبك طير أخضر

حبك طير أخضر
طير غريب أخضر
يكبر يا حبيبتي كما الطيور تكبر
ينفر من أصابعي
ومن جفوني ينفر
كيف أتى
متى أتى الطير الجميل الأخضر
لم أفكر بالأمر يا حبيبتي
إن الذي يحب لا يفكر
حبك طفل أشقر
يكسر في طريقه ما يكسر
يزورني حين السماء تمطر
يلعب في مشاعري وأصبر
حبك طفل متعب
ينام كل الناس يا حبيبتي ويسهر

طفل على دموعه لا أقدر

*

حبك ينمو وحده
كما الزهور تزهر
كما على أبواننا
ينمو الشقيق الأحمر
كما على السفوح ينمو اللوز والصنوبر
كما بقلب الخوخ يجري السكر
حبك كالهواء يا حبيبتى
يحيط بي
من حيث لا أدري به أو أشعر
جزيرة حبك لا يطالها النخيل
حلم من الأحلام
لا يحكى ولا يفسر

*

حبك ما يكون يا حبيبتى
أزهرة أم خنجر
أم شمعة تضيء
أم عاصفة تدمر
أم أنه مشيئة الله التي لا تقهر

*

كل الذي أعرف عن مشاعري
أنك يا حبيبتى حبيبتى
وأن من يحب
لا يفكر

القصيدة البحرية

في مرفأ عينيك الأزرق
أمطار من ضوء مسموع
وشموس دائخة وقلوع
ترسم رحلتها للمطلق
في مرفأ عينيك الأزرق
شباك بحري مفتوح
وطيور في الأبعاد تلوح
تبحث عن جزر لم تخلق
في مرفأ عينيك الأزرق
يتساقط ثلج في تموز
ومراكب حبلى بالفيروز
أغرقت الدنيا ولم تغرق
في مرفأ عينيك الأزرق
أركض كالطفل على الصخر
أستنشق رائحة البحر
وأعود كعصفور مرهق
في مرفأ عينيك الأزرق
أحلم بالبحر وبالإبحار
وأصيد ملايين الأقمار
وعقود اللؤلؤ والزنبق
في مرفأ عينيك الأزرق
تتكلم في الليل الأحجار
في دفتر عينيك المغلق
من خبأ آلاف الأشعار ؟
لو أني لو أني بحار
لو أحد يمنحني زورق
أرسيت قلو عي كل مساء
في مرفأ عينيك الأزرق

الحسنة و الدفتر

قالت: أ تسمح أن تزين دفترى
بعبارة أو بيت شعر واحد..
بيت أخبئه بليل ضفائري

و أريحه كالطفل فوق و سائدي
قل ما تشاء فإن شعرك شاعري
أغلى و أروع من جميع قلائدي

ذات المفكرة الصغيرة.. أعذري
ما عاد مارذك القديم بمارد
من أين؟ أحلى القارئ أتييتي
أنا لست أكثر من سراج خامد..
أشعاري الأولى .. أنا أحرقتها
ورميت كل مزاهري وموائدي
أنت الربيع .. بدفئه و شموسه
ماذا سأصنع بالربيع العائد؟
لا تبحتني عني خلال كتابتي
شتان ما بيني وبين قصائدي
أنا أهدم الدنيا ببيتٍ شاردٍ
و أعمر الدنيا ببيتٍ شارد
بيدي صنعت جمال كل جميلةٍ
و أثرت نخوة كل نهدي ناهد
أشعلت في حطب النجوم حرائقاً
وأنا أمامك كالجدار البارد
كتبي التي أحببتها و قرأتها
ليست سوى ورقٍ.. و حبرٍ جامد
لا تُخدعي ببروقها و رعودها
فالنار ميتةٌ بجوف مواقدي
سيفي أنا خشبٌ .. فلا تتعجبي
إن لم يضمك , يا جميلة , ساعدي
إني أحارب بالحروف و بالرؤى
ومن الدخان صنعت كل مشاهدي
شيدت للحب الأنيق معابداً
وسقطت مقتولاً .. أمام معابدي
قزحية العينين .. تلك حقيقتي
هل بعد هذا تقرأين قصائدي؟

أصبحت جزءاً من يدي ..
جزءاً من انسيابها
من جوها الماطر
من سحابها
كأنما ..
في لحمها ، حُفِرَتْ
في أعصابها ..
*

أصبحت جزءاً من يدي
أراك في عروقها ،
في غيمها الأزرق ،
في ضبابها ،
أراك في هدوئها
أراك في اضطرابها
في حزنها ،
في صمتها الطويل ،
في اكتئابها ،
أراك في الدمع الذي
يقطر من أهدابها ..
أراك يا حبيبتني
على يدي نائمةً ..
كطفلة نامت على كتابها ..
*

أصبحت جزءاً من يدي
إسمك مكتوب على أبوابها
وجهك مرسوم على ترابها
تذكري ..
كم مرة .. لعبت بالثلج على هضابها
وضيغت كالنجمة في أعشابها
كم مرة ..
دفأت كفيك على أخطابها
*

لا .. لست جزءاً من يدي
أنت يدي .
بشمسها .. وبحرها
وطهرنا .. وكفرها ..
ونثرها .. وشعرها ..
وحبك المحفور ، بالسكين ،
في أعصابها ..

بعد العاصفة

أتحبني . بعد الذي كنا ؟
إني أحبك رغم ما كنا

ماضيك . لا أنوي إثارته
حسبي بأنك هاهنا الآن ..

تتبسمي .. وتمسكي يدي
فيعود شكّي فيك إيماناً ..

عن أمس .. لا تتكلمي أبداً ..
وتألقي شعراً .. وأجفانا

أخطأوك الصغرى .. أمر بها
وأحوط الأشواك ريحانا ..

لولا المحبة في جوانحه
ما أصبح الإنسان إنساناً ..
*

عام مضي . وبقيت غالية
لا هنت أنت ولا الهوى هانا ..

إني أحبك . كيف يمكنني ؟
أن أشعل التاريخ نيراناً

وبه معابدنا ، جرائدنا ،
أقداح قهوتنا ، زوايانا

طفلين كنا .. في تصرفنا
وغرورنا ، وضلال دعوانا

كلماتنا الرعناء . مضحكة
ما كان أغباها .. وأغانا

فلکم ذهبتي وأنتِ غاضبةٌ
ولکم قسوتُ عليكِ أحياناً ..

ولربّما انقطعتُ رسائلنا
ولربّما انقطعتُ هدايانا ..

مهما غلّونا في عداوتنا
فالحب أكبر من خطايانا ..

*

عيناك نَيْسَانان .. كيف أنا
أغتال في عينيك نيسانا ؟

قدر علينا أن نكون معاً
يا حلوتي رغم الذي كانا

إن الحديقة لا خيارَ لها
إن أطلعت ورقاً وأغصانا ..

هذا الهوى ضوءٌ بداخلنا
ورفيقنا .. ورفيق نجوانا

طفلاً نداريه ونَعْبُدُهُ
مهما بكى معنا .. وأبكانا ..

أحزاننا منه .. ونسأله
لو زادنا دمعاً .. وأحزاننا ..
*

هاتي يدَيْكِ .. فأنتِ زنبقتي
وحبيبتي . رغم الذي كانا ..

الدخول إلى هيروشيما

مبللٌ . مبللٌ
قلبي . كمنديل سَفَرُ
قطائرٍ ..
ظل قروناً ضائعاً تحت المطر ..
زجاجةٌ ..
تدفعها الأمواج في بحر القَدَرِ
سفينة مثقوبة
تبحث عن خلاصها ،
تبحث عن شواطئ لا تُنتظرُ ..
*

قلبي يا صديقتي !
مدينةٌ مغلقةٌ ..
يخاف أن يزورها ضوء القمر
يضجر من ثيابه فيها الضجرُ ..
أعمدةٌ مكسورةٌ
أرصفةٌ مهجورةٌ
يغمرها الثلج وأوراق الشجرِ ..
قبلكِ يا صغيرتي ..
جاءت إلى مدينتي
جحافل الفُرسِ . وأفواج التتَرِ
وجاءها أكثر من مغامرٍ ..
ثم انتحر ..
فحاذري أن تلمسي جدرانها
وحاذري أن تقربي أوثانها
فكل من لامسها ..
صار حجرٌ ..

*

مدينتي ..
مالك من مدينتي ؟
فليس في ساحاتها ..
سوى الدُّباب والحُفْرُ ..
وليس في حياتها
سوى رقيقٍ واحدٍ .
هو الضجرُ ..

إلى تلميذة

قل لي - ولو كذباً- كلاماً ناعماً
قد كاد يقتلني بك التمثال
مازلت في فن المحبة .. طفلة
بيني وبينك أبحر وجبال
لم تستطعي - بعد - أن تفهمي
أن الرجال جميعهم أطفال
إني لأرفض أن أكون مهرجاً
قزماً .. على كلماته يحتال
فاذا وقفت أمام حسنك صامتاً
فالصمت في حرم الجمال .. جمال
كلماتنا في الحب .. تقتل حبنا
إن الحروف تموت حين تقال
قصص الهوى قد أفسدتك .. فكلها
غيبوبة .. وخرافة .. وخيال
الحب ليس رواية شرقية
بختامها يتزوج الأبطال
لكنه الإبحار دون سفينة
وشعورنا أن الوصول محال
هو أن تظل على الأصابع ريشة
وعلى الشفاه المطبقات سؤال
هو جدول الأحران في أعماقنا

تنمو كروم حوله .. و غلال
هو هذه الأزمات تسحقنا معاً
فنموت نحن .. وتزهر الآمال
هو أن نثور لأي شيء تافه
هو يأسنا .. هو شكنا القتال
هو هذه الكف التي تغتالنا
ونقبل الكف التي تغتال
لا تجرحي التمثال في إحساسه
فلكم بكى في صمته .. تمثال
قد يطلع الحجر الصغير براعماً
وتسيل منه جداول وظلال
إني أحبك .. من خلال كآبتي
وجهاً كوجه اااا ليس يطال
حسبي وحسبك .. أن تظلي دائماً
سراً يمزقني .. وليس يقال

يوميات قرصان

عزيزتي ،
إذا رجعت لحظة لنفسي
أشعر أن حبنا جريمة
وأني مهرج عجوز
يقذفه الجمهور بالصفير والشتيمة
أشعر أني سارق
يسطو على لؤلؤة جريمة
أشعر في قراراتي
أن العبارة التي ألفظها جريمة
أن انتصاراتي التي أزعمها
ليست سوى هزيمة
فما أنا أكثر من جريدة قديمة
وأنت يا صغيرتي
مازلت .. تحتاجين للأمومة

إذا رجعت لحظة لنفسي
أدرك يا عزيزتي
تفاهة انتصاري
أشعر أن حبنا
تجربة انتحار
وأنا
ننكش كالأطفال في هياكل المحار
أشعر أن ضحكتي
نوع من القمار
وقبلتي
نوع من القمار
أشعر أن نهدك المزروع في جوارى
كخنجر مفضض
ككوكب مدارى
يشتمني
يجلدني
يشعرني بعاري
إذا رجعت لحظة لنفسي
أشعر أن حبنا
حماقة كبيرة
وأني حاو من الحواة
يخرج من جيوبه الأرانب المثيرة
وأني كتاجر الرقيق
يبيع كل امرأة ضميره
أشعر في قرارتي
أن يدي في يديك الصغيرة
قرصنة حقيرة
أن يدي
كخيط عنكبوت
تلتف حول الخصر و الضفيرة
أشعر في قرارتي
أنك . بعد ، نعجة غريرة

أما أنا .. فمركب عتيق
يواجه الدقائق الأخيرة

حصان

حاذري أن تقعي بين يديا
إن سمي كله في شفتيا
إنني أرفض أن أبقى هنا
رجلَ كرسيٍّ .. و تمثالاً غيبيا
حاذري أن ترفعي السوط .. ألم
تركبي قبل .. حصاناً عربيا
نخزةً منك على خاصرتي
تجعل الحقد بصدري بربريا
أنا شمشون .. إذا أوجعتني
قلت : يا ربي .. عليها .. و عليا

ثمن قصائدي

" لقد أحببت شاعراً "
و تمضغ النساء في المدينة القديمة ..
قصتنا العظيمة ..
ويرفع الرجال في الهواء
قبضاتهم .. وتشخذ الفؤوس ..
وتقرع الكؤوس بالكؤوس ..
كأنها .. كأنها جريمة ..
بأن تحبي شاعراً ...
فراشي ..
يا لبيت باستطاعتي
أن لا أكون شاعراً ..
يا ليتني ..
أقدر أن أكون شيئاً آخرأ
مرايبياً ، أو سارقاً ..
أو قاتلاً ..
أو تاجراً

يا ليتني أكون يا صديقتي الحزينه ..
لصاً على سفينه ..
فربما تقبلني المدينة ..
مدينة القصدير والصفيح ، والحجر .
تلك التي سماؤها لا تعرف المطر ..
وخبزها اليومي ..
حقد وضجر ..
تلك التي .. تطارد الحرف ..
وتغتال القمر ..
يا ليت باستطاعتي ..
يا نجمتي ،
يا كرمتي ،
يا غابتي ،
أن لا أكون شاعراً ..
لكنما السعر قدر ..
فكيف ، يا لؤلؤتي وواحتي ..
أهرب من هذا القدر ؟

*

الناس في بلادنا السعيدة ..
لا يفهمون الشعرا ..
يرونه مهرجاً يحرك المشاعرا ..
يرون قرصاناً به
يقتنص الكنوز .. والنساء .. والحرائرا
يرون فيه ساحرا ..
يحول النحاس في دقيقة
إلى ذهب ..
ما أصعب الأدب !
فالشعر لا يقرأ في بلادنا لذاته ..
لحرسه ..
أو عمقه ..
أو محتوى لفظاته ..
فكل ما يهمننا ..
من شعر هذا الشاعر ..

ما عدد النساء في حياته ؟
وهل له صديقة جديدة ؟
فالناس ..
يقرأون في بلادنا القصيده ..
ويذبحون صاحب القصيده ..
أعطيت هذا الشرق من قصائدي بيادرا
علقت في سمائه .. النجوم والجواهر
ملأت يا حبيبيتي ..
بحبه الدفاترا ..
ورغم ما كتبتة ..
ورغم ما نشرته
ترفضني المدينة الكئيبة ..
تلك التي سماؤها لا تعرف المطر ..
وخبزها اليومي .. حقد وضجر ..
ترفضني المدينة الرهيبة ..
لأنني .. بالشعر يا حبيبه .
غيرت تاريخ القمر ..

مرثاة قطة

رقتك من عامين .. ينبوع طيبة
ووجهاً بسيطاً كان وجهي المفضلاً
وعينين أنقى من مياه غمامة
وشعراً طفولي الضفائر مرسلاً
وقلباً كأضواء القناديل صافياً
وحباً كأفراخ العصافير أولاً
أصابعك الملساء كانت مناجماً
ألمم عنها لؤلؤاً وقرنفلاً
وأثوابك البيضاء كانت حمائماً
ترشرش ثلجاً - حيث طارت - ومخملاً
عرفتك صوتاً ليس يسمع صوته
وثغراً خجولاً كان يخشى المقبلاً

فأين مضت تلك العذوبة كلها
وكيف مضى الماضي .. وكيف تبدلا
توحشت حتى صرت قطة شارع
وكنت على صدري تحومين بلبلا
فلا وجهك الوجه الذي قد عبدته
ولا حسنك الحسن الذي كان منزلا
وداعتك الأولى استحالت رعونة
وزينتك الأولى استحالت تبذلا
أيمكن أن تغدو المليكة هكذا ؟
طلاء بدائياً .. وجفناً مكحلاً
أيمكن أن يغتال حسنك نفسه
وأن تصبح الخمر الكريمة حنظلاً
يروعني أن تصبني عجرية
تنوء يداها بالأساور و الحلى
تجولين في ليل الأزقة .. هرة
وجودية .. ليست تثير التخيل
سلام على من كنتها يا صديقتي
فقد كنت أيام البساطة أجملاً

ماذا أقول له؟

ماذا أقول له لو جاء يسألني ..
إن كنت أكرهه أو كنت أهواه؟
ماذا أقول : إذا راحت أصابعه
تلملم الليل عن شعري وترعاه؟
وكيف أسمح أن يدنو بمقعده؟
وأن تنام على خصري ذراعاه؟
غدا إذا جاء .. أعطيه رسائله
ونطعم النار أحلى ما كتبناه
حبيبتي! هل أنا حقاً حبيبته؟
وهل أصدق بعد الهجر دعواه؟
أما انتهت من سنين قصتي معه؟

ألم تمت كخيوط الشمس ذكراه؟
أما كسرنا كؤوس الحب من زمن
فكيف نبكي على كأس كسرناه؟
رباه.. أشياؤه الصغرى تعذبني
فكيف أنجو من الأشياء رباه؟
هنا جريدته في الركن مهملة
هنا كتاب معا .. كنا قرأناه
على المقاعد بعض من سجائره
وفي الزوايا .. بقايا من بقاياها..
ما لي أحق في المرأة .. أسألها
بأي ثوب من الأثواب ألقاه
أدعي أنني أصبحت أكرهه؟
وكيف أكره من في الجفن سكناه؟
وكيف أهرب منه؟ إنه قدرني
هل يملك النهر تغييرا لمجراه؟
أحبه .. لست أدري ما أحب به
حتى خطاياها ما عادت خطاياها
الحب في الأرض . بعض من تخلينا
لو لم نجده عليها .. لاخترناه
ماذا أقول له لو جاء يسألني
إن كنت أهواه. إنني ألف أهواه..

المجد للصفائر الطويلة

.. وكان في بغداد يا حبيبتني ، في سالف الزمان
خليفة له ابنة جميلة ..
عيونها .
طيران لأخضران ..
وشعرها قصيدة طويله ..
سعى لها الملوك والقيصره ..
وقدموا مهراً لها ..
قوافل العبيد والذهب
وقدموا تيجانهم
على صحافٍ من ذهب ..

ومن بلاد الهند جاءها أميرٌ ..
ومن بلاد الصين جاءها الحريرُ ..
لكنما الأميرةُ الجميلةُ
لم تقبلِ الملوكَ والقصورَ والجواهرِ ..
كانت تحبُّ شاعراً ..
يلقي على شرفها
كل مساءٍ وردةً جميلةً
وكلمةً جميلةً ..
تقولُ شهرزادُ :
.. وانتقم الخليفةُ السفّاح من ضفائر الأميرة
فقصها ..
ضفيرةً .. ضفيرةً ..
وأعلنت بغداد - يا حبيبي - الحدادُ
عامين ..
أعلنت بغدادُ - يا حبيبي - الحدادُ
حُزناً على السنابل الصفراء كالذهبُ
وجاعت البلادُ ..
فلم تُعدُّ تهتَزُّ في البيادرِ
سنبلَةٌ واحدةٌ ..
أو حبةٌ من العنبُ ..
وأعلن الخليفةُ الحقودُ
هذا الذي أفكاره من الخشبِ
وقلبه من الخشبِ
عن ألف دينارٍ لمن يأتي برأس الشاعرِ ..
وأطلق الجنودُ ..؟
ليحرقوا ..
جميع ما في القصر من ورودٍ ..
وكلَّ ما في مدن العراق من ضفائرِ .
*

سيمسح الزمانُ ، يا حبيبي ..
خليفةُ الزمانِ ..
وتنتهي حياتهُ
كأي بهلوانٍ ..

فالمجدُ .. يا أميرتي الجميلةُ ..
يا مَنْ بعينيها ، غفا أخضرانُ
يظل للصفائر الطويلةُ ..
والكلمةِ الجميلةُ ..

لو كنت في مدريد

لو كنت في مدريد في رأس السنة
كنا سهرنا وحدنا
في حانة صغيرة
ليس بها سوانا
تبحث في ظلامها عن بعضها يدانا
كنا شربنا الخمر في أوعية الخشب
كنا اخترعنا ربما-جزيرة
أحجارها من الذهب
أشجارها من الذهب
تتوقين فيها أميرة
لو كنت في مدريد في رأس السنة
كنا رأينا كيف في أسبانيا
أيتها الصديقة الأثيرة
تشتعل الحرائق الكبيرة
في الأعين الكبيرة
كيف تنام الوردة الحمراء في الضفيرة
كنا عرفنا لذة الضياع في الشوارع
وجوهنا تحت المطر
ثيابنا تحت المطر
كنا رأينا في مغارات الغجر
كيف يكون الهمس بالأصابع
والبوح والعتاب بالمشاعر
وكيف للحب هنا طعم البهار اللاذع
لو كنت في مدريد في رأس السنة
كنا ذهبنا آخر الليل للكنيسة

كنا حملنا شمعنا وزيتنا
بيد السلام والمحبة
كنا شكونا حزننا إليه.
كنا أرحنا رأسنا لديه
لعله في السنة الجديدة
أيتها الحبيبة البعيدة
يجمعني إليك بعد غربة
في منزل جدرانه محبة
وخبزه محبة
لو كنت في مدريد في رأس السنة
كنا ملأنا المدخنة
عرائنا ملونة
لطفلة دافئة العيون
نعيش يا حبيبي بوهما
من قبل أن تكون
نبحث يا حبيبتني عن اسمها
من قبل أن تكون
كنا صنعنا تختها الصغير من ظنون
تختنا من الأحلام .. والقטיפفة الملونة
تنام فيها ربما بعد سنة
لو كنت في مدريد في رأس السنة.

بريدها الذي لا يأتي

تلك الخطابات الكسولة بيننا
خير لها .. خير لها .. أن تقطعا
إن كانت الكلمات عندك سخرة
لا تكتبي . فالحب ليس تبرعاً
أنا أرفض الإحسان من يد خالقي
قد يأخذ الإحسان شكلاً مفاجئاً
إني لأقرأ ما كتبت فلا أرى
إلا البرودة ... والصقيع المفزعا

عفوية كوني .. و إلا فاسكتي
فلقد مللت حديثك المتميعا
حجرية الإحساس .. لن تتغيري
إني أخاطب ميتاً لن يسمعا
ما أسخف الأعدار تبتدعيتها
لو كان يمكنني بها أن أقنعا
سنة مضت . وأنا وراء ستائري
أستنظر الصيف الذي لن يرجعا
كل الذي عندي رسائل أربع
بقيت - كما جاءت - رسائل أربعاً
هذا بريد أم فتات عواطف
إني خدعت .. ولن أعود فأخذعا
يا أكسل امرأة .. تخط رسالة
يا أيها الوهم الذي ما أشبعا
أنا من هواك .. ومن بريدك متعب
وأريد أن أنسى عذابكما معا
لا تتعبي يدك الرقيقة
إنني أخشى على البلور أن يتوجع
إني أريحك من عناء رسائل
كانت نفاقاً كلها .. وتصنعاً
الحرف في قلبي نزيف دائم
والحرف عندك .. ما تعدى الإصبعاً

تريدين

تريدين مثلَ جميعِ النساءِ ..
كنوز سليمان ..
مثلَ جميعِ النساءِ
وأحواضِ عطرٍ
وأمشاطِ عاجٍ
وسرِّبِ إماءٍ
تريدين مولى ..
يسبِّحُ باسمك كالبيغاء
يقولُ : (أحبك) عند الصباح

يقولُ : (أحبكِ) عند المساء
ويغسل بالخمير رجلكِ ..
يا شهرزاد النساء ..
*

تريدين مثل جميع النساء
تريدين مني نجوم السماء
وأطباق من ..
وأطباق سلوى ..
وَحُفَيْنٍ من زهر الكستناء ..
تريدين ..
من شنغهاي الحرير ..
ومن أصفهان
جلود الفراء ..
وليس نبياً من الأنبياء ..
لألقي عصايا ..
فينشق بحر ..
ويولد بين الغمام قصر
جميع حجارته من ضياء ..
تريدين مثل جميع النساء ..
مراوح ريش
وكحلاً ..
وعطراً ..
تريدين عبداً شديد الغباء
ليقرأ عند سريرك شعرا .
تريدين ..
في لحظتين اثنتين
بلاط الرشيد
وإيوان كسرى ..
وقافلة من عبيد وأسرى
تجر ذيولك ..
يا كليوبترا ...
ولست أنا ..
سندباد الفضاء ..

لأحضر بابل بين يديك
وأهرام مصر ..
وأيوان كسرى
وليس لدي سراج علاء ..
لآتيك بالشمس فوق إناء ..
كما تتمنى .. جميع النساء ..
*

وبعد ..
أيا شهرزاد النساء ..
أنا عاملٌ من دمشق .. فقيرٌ
رغيفي أغمسه بالدماء ..
شعوري بسيط
وأجري بسيط
وأؤمن بالخبز والأولياء ..
وأحلم بالحب كالأخرين ..
وزوجٌ تخطيط ثقوبَ ردائي ..
وطفلٍ ينام على ركبتيَّ
كعصفور حقلٍ
كزهرة ماءٍ ..
أفكر بالحب كالأخرين ..
لأن المحبة مثل الهواء ..
لأن المحبة شمس تضيء ..
على الحالمين وراء القصور ..
على الكادحين ..
على الأشقياء ..
ومن يملكون سريرَ حريرٍ
ومن يملكون سريرَ بكاءٍ ..
*

تريدين مثل جميع النساء ..
تريدين ثامنة المعجزات ..
وليس لدي ..
سوى كبريائي ..

لا تحبيني

هذا الهوى .. ما عاد يغريني!
فلتستريحى.. ولتريحيني
إن كان حبك .. في قلبه
ما قد رأيت .. فلا تحبيني
حبي .. هو الدنيا بأجمعها
أما هوأك فليس يعنيني
أحزاني الصغرى .. تعانقتي
و تزورني .. إن لم تزوريني
ما همني .. ما تشعرين به
إن افتكاري فيك يكفيني
فالحب وهم في خواطرنا
كالعطر ، في بال البساتين
عيناك .. من حزني خلقتهما
ما أنت ؟ ما عيناك ؟ من دوني
فمك الصغير.. أدرته بيدي
و زرعتة أزهار ليمون
حتى جمالك ليس يذهلني
إن غاب من حين إلى حين
فالشوق يفتح ألف نافذة
خضراء.. عن عينيك تغنيني
لا فرق عندي يا معذبتني
أحببتني ، أم لم تحبيني
أنت استريحي .. من هواي أنا
لكن سألتك .. لا تريحيني

إغضب

إغضبُ كما تشاءُ..
واجرحُ أحاسيسي كما تشاءُ

حطم أواني الزهر والمرايا
هدد بحب امرأة سوايا..
فكل ما تفعله سواء..
كل ما تقوله سواء..
فأنت كالأطفال يا حبيبي
نحبهم.. مهما لنا أساؤوا..

إغضب!
فأنت رائع حقاً متى تثور
إغضب!
فلولا الموج ما تكونت بحور..
كن عاصفاً.. كن ممطراً..
فإن قلبي دائماً غفور
إغضب!
فلن أجيب بالتحدي
فأنت طفل عابث..
يملؤه الغرور..
وكيف من صغارها..
تنتقم الطيور؟

إذهب..
إذا يوماً مللت مني..
واتهم الأقدار واتهمني..
أما أنا فإني..
سأكتفي بدمعي وحزني..
فألصمت كبرياء
والحزن كبرياء
إذهب..
إذا أتعبك البقاء..
فالأرض فيها العطر والنساء..
وعندما تحتاج كالطفل إلى حناني..
فعد إلى قلبي متى تشاء..
فأنت في حياتي الهواء..

وأنتَ .. عندي الأرضُ والسماءُ ..

إغضبُ كما تشاءُ
واذهبُ كما تشاءُ
واذهبُ .. متى تشاءُ
لا بدَّ أن تعودَ ذاتَ يومٍ
وقد عرفتَ ما هوَ الوفاءُ ...

يجوز أن تكوني

يجوز أن تكوني
واحدةً من أجمل النساء ..
دافئةً ..
كالفحم في مواعد الشتاء ..
وحشيةً ..
كقطعة تموء في العراء ..
أمرّةً .. ناهيةً
كالربِّ في السماء ..
يجوز أن تكوني
سمراء .. إفريقية العيون
عنيذةً ..
كالفرس الحرون ..
عنيفةً ..
كالنار ، كالزلال ، كالجنون ..
يجوز أن تكوني ..
جميلةً ، ساحقة الجمال ..
مثيرةً للجد ، للأعصاب ، للخيال ..
وتتقنين اللهو في مصائر الرجال ..
يجوز أن تصطحبي أمامي ..
عاريةً ..
كالسيف في الظلام ..
مليسةً كريشة النعام ..
نهدك مهرٌ أبيضٌ

بجري ..
بلا سرجٍ ولا لجامٍ ..
يجوز أن تبقي عام ..
عاماً وبعض عام ..
فلا يثير حسنك المدمر اهتمامي ..

ك

أنما ..

ليست هناك امرأةٌ .. أمامي ..

يجوز أن تكوني

سلطانةَ الزمان والعصور ..

وأن أكون أبلهاً .. معقد الشعور ..

يجوز أن تقولي

ما شئت عن جُبنِي .. وعن غروري .

وأني .. وأني ..

لا أستطيع الحبَّ .. كالحصان في القصور

يجوز أن تهددي ..

يجوز أن تعربدي ..

يجوز أن تثوري ..

لكن أنا ..

رغم دموع الشمع والحرير ..

وعقدة (الحريم) في ضميري .

لا أقبل التزوير في شعوري ..

يجوز أن تكوني

شفافةً كأدمع الربابة

رقيقةً كنجمةٍ ،

عميقةً كغابةٍ ..

لكنني أشعر بالكآبه ..

فالجنس – في تصوري –

حكاية انسجامٍ ..

كالنحت ، كالتصوير ، كالكتابة ..

وجسمك النقيُّ . كالقشطة والرخام

لا يُحسن الكتابةً ..

تعود شعري عليك

تعود شعري الطويل عليك
تعودت أرخيه كل مساءً
سنابل قمح على راحتك
تعودت أتركه يا حبيبي..
كنجمة صيفٍ على كتفك..
فكيف تملُّ صداقة شعري؟
و شعري ترعرع بين يديك..

ثلاث سنين..

ثلاث سنين..

أخذرني بالشؤون الصغيرة
وتصنع ثوبي كأبي أميره..
من الأرجوان .. من الياسمين
وتكتب إسمك فوق الضفائر
وفوق المصابيح .. فوق الستائر..
ثلاث سنين..

و أنت تردد في مسمعي..

كلاماً حنوناً .. كلاماً شهياً

و تزرع حبك في رثتي..

وها أنت .. بعد ثلاث سنين

تبيع الهوى .. وتبيع الحنين

وتترك شعري..

شقيماً .. شقيماً

كطير جريحٍ .. على كتفيا

حبيبي أخاف إعتياد المرايا عليك..

و عطري ، و زينة و جهي عليك..

أخاف اهتمامي بشكل يديك..

أخاف اعتياد شفاهي..

مع السنوات ، على شفثيك

أخاف أموت ، أخاف أنوب
كقطعة شمع على ساعدك ..
فكيف ستنسى الحرير؟
وتنسى .. صلاة الحرير على ركبتيك؟

لأنني أحبك ، أصبحت أجمل
وبعثرت شعري على كتفي ..
طويلاً .. طويلاً .. كما تتخيل ..
فكيف تمل سنابل شعري؟
و تتركه للخريف وترحل
و كنت تريح الجبين عليه
وتغزله باليدين فيغزل ..
و كيف سأخبر مشطي الحزين؟
إذا جاءني عن حنانك يسأل ..
أجيني ، ولو مرة يا حبيبي
إذا رحت ..
ماذا بشعري سأفعل؟؟

خمسة رسائل إلى أمي

1

صباح الخير .. يا حلوة ..
صباح الخير .. يا قديستي الحلوة ..
مضى عامان يا أمي ،
على الولد الذي أبحر
برحلته الخرافية ..
وخبأ في حقائبه ..
صباح بلاده الأخضر
وأنجمها، وأنهرها، وكل شقيقها الأحمر ..
وخبأ في ملابسه
طرايينا من النعناع والزعتر ..
وليلكة دمشقية ..

2

أنا وحدي..
دخان سجائري يضجر
ومني مقعدي يضجر
وأحزاني عصافير، تفتش بعد عن بيدر
عرفت نساء أوروبا..
عرفت عواطف الإسمنت والخشب
عرفت حضارة التعب..
وطفت الهند، طفت السند،
طفت العالم الأصفر..
ولم أعثر..
على امرأة تمشط شعري الأشقر
وتحمل في حقيبتها إلى عرائس السكر
وتكسوني إذا أعرى
وتنشلني إذا أعثر
أيا أمي .. أنا الولد الذي أبحر..
ولا زالت بخاطره
تعيش عروسة السكر
فكيف .. فكيف .. يا أمي
غدوت أبا .. ولم أكبر؟

3

صباح الخير من مدريد..
ما أخبارها الفلة؟
بها أوصيك يا أماه
تلك الطفلة الطفلة..
فقد كانت أحب حبيبة لأبي.
يدلها كطفته..
ويدعوها إلى فنجان قهوته..
ويسقيها، ويطعمها
ويغمرها برحمته..
ومات أبي..
ولا زالت تعيش بحلم عودته

وتبحث عنه في أرجاء غرفته..
وتسأل عن عباةته..
وتسأل عن جريدته..
وتسأل حين يأتي الصيف عن فيروز عينيهِ
لتنتثر فوق كفيه..
دنائيرا من الذهب..

4

سلامات.. سلامات..
إلى بيت سقانا الحب والرحمة..
إلى أزهارك البيضاء..
فرحة " ساحة النجمة " ..
إلى تختي، إلى كتبي،
إلى أطفال حارتنا..
وحيطان ملأناها بفوضى من كتابتنا...
إلى قطط كسولات
تنام ع لي مشارقنا..
وليلكة معرشة على شباك جارتنا..
مضى عامان.. يا أمي
ووجه دمشق..
عصفور يخربش في جوانحنا
يعض على ستائرنا..
وينقرنا ، برفق، من أصابعنا..
مضى عامان يا أمي..
وليل دمشق .. فل دمشق..
دور دمشق..
تسكن في خواطرننا..
مأذنها .. تضيء على مراكبنا..
كأن مأذن الأموي قد زرعت بداخلنا
كأن مشاتل التفاح تعبق في ضمائرنا
كأن الضوء والأحجار..
جاءت كلها معنا..

5

أتى أيلول أماه..
وجاء الحزن يحمل لي هداياه
ويترك عند نافذتي..
مدامعه وشكواه
أتى أيلول أين دمشق؟
أين أبي وعيناه؟
وأين حرير نظرتة، وأين عبير قهوته
سقى الرحمن مثواه..
وأين رحاب منزلنا الكبير .وأين نعماه؟
وأين مدراج الشمشير .. تضحك في زواياه؟
وأين طفولتي فيه..
أجر جر ذيل قطته..
وأكل من عريشته
وأقطف من " بنفشاه"
دمشق . دمشق .
يا شعرا..
على حدقات أعيننا كتبناه..
ويا طفلا جميلا
من صفائره صلبناه
جثونا عند ركبته
وذبنا في محبته
إلى أن في محبتنا قتلناه..

إلا معي

ستذكرين دائماً أصابعي..
لو ألف عام عشت .. يا عزيزتي
ستذكرين دائماً أصابعي..
فضاجعي من شئت أن تضاجعي..
ومارسي الحب .. على أرصفة الشوارع
نامي مع الحوذي , واللوطي

والإسكاف.. والمزارع
نامي مع الملوك و اللصوص
والنساك في الصوامع
نامي مع النساء ، لا فرق،
مع الريح ، مع الزوابع..
فلن تكوني امرأة..
إلا معي.. إلا معي..

ساعة الصفر

أنت لا تحتملين!!
كل أطوارك فوضى
كل أفكارك طين..
صوتك المبحوح و حشي ، غريزي الرنين
خنجر يأكل من لحمي ، فهلا تسكتين
يا صداعاً عاش في رأسي
سنيماً و سنين
يا صداعي
كيف لم أقتلك من خمس سنين؟
إننا في ساعة الصفر..
فما تقترحين؟
أصبحت أعصابنا فحماً
فما تقترحين؟
علب التبغ رميناها و أحرقنا السفين..
و قتلنا الحب في أعماقنا وهو جنين..
سبع ساعات..
تكلت عن الحب الذي لا تعرفين
و أنا أمضغ أحزاني
كعصفور حزين
سبع ساعات..
كسنجاب لئيم .. تكذابين
و أنا أصغي إلى الصوت الذي أدمنته

خمس سنين..
ألعن الصوت الذي أدمنته خمس سنين..

معطفي هاتيه .. ماتنتظرين؟
فمع الأمطار و الفجر الحزين
أنتهي منك و مني تنتهين
إنني أتركك الآن .. لزيف الزائفين
ونفاق المعجبين..
فاجعلي من بيتك الحالم مأوى التافهين
و اخطري جاريةً بين كؤوس الشاربين
كيف أبقى ؟
عابراً بين ألوف العابرين؟
كيف أرضى ؟
أن تكوني في ذراعي..
و ذراع الآخرين..
كيف يا مُلكي و مُلك الآخرين
كيف لم أقتلك
من خمس سنين؟

أبعدي الوجه الذي أكرهه..
أنت عندي..في عداد الميتين..

مهرجة

أتريدين إذ وجدت العشيقا
أتريدين أن أكون صديقا؟
و تقولينها بكل غباءٍ
بؤبؤاً جامداً .. ووجهاً صفيقا
موقفي تعرفينه.. فتواري
عن طريقي يامن أضعت الطريقا
مضحك ما اقترحت يا بهلواناً

يستحق الرثاء لا التصفيقا

أصديق .. وبعد خمس سنين
كنت فيها الشذا وكنت الرحيقا
ياله منطق النساء أمثلي
يقبل الآن أن يكون صديقا؟
إسألني ناهدك عن بصماتي
كل نهدٍ أشعلت فيه حريقاً
هكذا بين ليلةٍ و ضحاها
نتلاقى شقيقةً و شقيقا
فكأنني لم أملأ الصدر لوزاً
وعلى الثغر ما سكبت العقيقا

إطمئني.. فلن أزور نفسي
قدر النسر أن يظل طليقا
أبدأ.. لن أكون قطاً أليفاً
تستضيفينه.. و ثوباً عتيقا
سيداً كنت في مقاصير حبي
ومن الصعب أن أصير رقيقا

التفكير بالأصابع

ماذا يهمك أن أكون ؟
حجر .. كتاب .. غيمة ..
ماذا يهمك من أكون ؟
خليك في وهمي الجميل ..
فسوف يقتلك اليقين ..
ماذا يهمك من أنا ؟
مادمت أحرث كالحصان على السرير الواسع ..
مادمت أزرع تحت جلدك ألف طفل رائع ..
مادمت أسكب في خليجك ..
رغوتي و زوابعي ..

ما شأن أفكارى ؟ دعيها جانباً ..
إنى أفكر عادةً بأصابعى ..

النقاط على الحروف

لا تكونى عصبية !!
لن تثيرينى بتلك الكلمات البربرية
ناقشيني بهدوءٍ ووديه
من بنا كان غيباً ؟
يا غيبه ..
إنزعى عنك الثياب المسرحية ..
وأجيبى ..
من بنا كان الجبانا ؟
من هو المسؤول عن موت هوانا ؟
من بنا قد باع الثانى .. القصور الورقية ؟
من هو القاتل فىنا والضحية ؟
من ترى أصبح منا بهلوانا .. ؟
بين يوم وعشيه ؟
*

إمسحى دمع التماسيح ..
وكونى منطقية ..
أزمة الشكّ التى نجتازها
ليس تنهيهما الحلول العاطفية ..
أنت نأفقت كثيراً ..
وتجبرت كثيراً ..
ووضعت النار فى كل الجسور الذهبية
أنت منذ البدء ، يا سيدتى
لم تعيشى الحب يوماً .. كقضية
دائماً . كنت حائرةً فى أبجديّة ..
قشةً تطفو ..
على وجه المياه الساحليه .
كائناً ..
من غير تاريخٍ .. ومن غير هوية ...
لا تكونى عصبية !

كل ما أرغب أن أسألهُ .
من بنا كان غيباً ...
يا غيبه ؟

دموع شهر يار

ما قيمة الحوار ؟
ما قيمة الحوار ؟
ما دمت ، يا صديقتي قانعة
بأنني و ريث شهر يار ..
أذبح كالدجاج كل ليلة
ألفاً من الجوار ي ..
أدحرج النهود كالثمار ..
أذيب في الأحماض .. كل امرأة
تنام في جوار ي ..
لا أحد يفهمني ..
لا لأحد يفهم ما مأساة شهر يار
حين يصير الجنس في حياتنا
نوعاً من الفرار ..
مخدراً نشمه في الليل والنهار ..
ضريبة ندفعها
بغير ما اختيار ..
حين يصير نهدك المعجون بالبهار
مقصلتي .. و صخرة ا نتحاري ..

صديقتي

مللت من تجارة الجوار ي ..
مللت من مراكبي
مللت من بحاري ..
لو تعرفين مرة
بشاعة الإحساس بالدوار ..
حين يعود المرء من حريمه ..

منكمشاً كدودة المحار..
وتافهاً كذرة الغبار..
حين الشفاه كلها..
تصير من و فرتها..
كالشوك في البراري..
حين النهود كلها..
تدق في رتابة كساعة الجدار..

لن تفهمي أبداً..
لن تفهمي أحزان شهريار..
فحين ألف امرأة..
ينمن في جواربي..
أحس أن لا أحد..
ينام في جواربي..

إمرأة من زجاج

عيناك .. كلهما تحدي
ولقد قبلت أنا التحدي !!

يا أجبن الجبناء .. اقتربي
فبرقك دون رعد

هاتي سلاحك .. واضربي
سترين كيف يكون ردي ..

إن كان حقدك قطرة
فالحقد كالطوفان عندي

أنا لست أغفر كال المسيح
ولن أدير إليك خدي

السوط .. أصبح في يدي

فتمزقي بسياط حقي

يا آخر امرأة .. تحاول
أن تسد طريق مجدي

جدران بيتك من زجاج
فاحذري أن تستبدي !

سنرى غداً .. سنرى غداً
من أنت بعد ذبول وردي
*

أتهدين بحبك الثاني ..
وزند غير زندي ؟

إني لا أعرف ، يا رخيصة ،
أنني ما عدت وحدي ..

هذا الذي يسعى إليك الآن ..
لا أرضاه عبدي ..

فليمضغ النهدي الذي
خلفته أنقاض نهدي ..

يكفيه ذلاً .. أنه
قد جاء ما البئر .. بعدي

ديك الجن الدمشقي

إني قتلتك و استرحت
يا ارحص امرأة عرفت
أغمدت في نهديكي سكينتي
وفي دمك اغتسلت
وأكلت من شفة الجراح

ومن سلاقتها.... شربت
وطعنت حبك في الوريد
طعنته..... حتى شبع
ولفاتي بفمي فلا انفل
الدخان..... ولا انفلت
ورميت للأسماك لحمك
لا رحمت.... ولا غفرت
لا تستغيثي.. وانزفي
فوق الوساد كما نزفت
نفذت فيكي جريمتي
ومسحت سكيني... ونمت
ولقد قتلتك عشر مرات
ولكني..... فشلت
وظننت والسكين تلمع
في يدي..... إني انتصرت
وحملت جثتك الصغيرة
طي أعماقي.... وسرت
وبحثت عن قبر لها
تحت الظلام فما وجدت
وهربت منك وراعني
إني إليك... أنا هربت
في كل زاوية أراك
وكل فاصلة..... كتبت
في الطيب في غيم السجائر
في الشراب.... إذا شربت
أنت القتيلة.... أم أنا
حتى بموتك ما استرحت
حسناً... لم أقتلك أنت
وإنما..... نفسي قتلت

من منكما أحلى؟

شعري ووجهك .. قطعنا ذهب
وحمامتان . وزهرتا دفلى ..

ما زلت محتاراً .. أمامكما ..
من منكما .. من منكما أحلى ؟

قبل وبعد

قصائدي قبلك . يا حلوتي
كانت كلاماً .. مثل كل الكلام
وحين أحببتك صار الذي
أكتبه للناس أحلى الكلام ..

أخاف

أخاف أن أقول أنني أحبها
(أحبها)
فالخمر في جوارها
تخسر شيئاً
عندما نصبها ..

ماذا ستفعل

لا تقبلي بعنف ..
زهرة الرمان ليست تتحمل ..
لا تقبلي ..
فلو ذاب فمي ..
ماذا ستفعل ؟

حديث يديها

قليلاً من الصمت ..
يا جاهله ..
فأجمل من كل هذا الحديث
حديث يديك
على الطاولة ..

إستحالة

ليس هناك امرأة
تغتصب اغتصاب
هل ممكن أن يقرأ الإنسان في كتاب
حين يكون مغلقاً
أمامه الكتاب ؟
أوراق إسبانية

(١) الجسر

إسبانيا ..
جسرٌ من البكاء ..
يمتد بين الأرض والسماء ..

(٢) سوناتا

على صدر قيثارة باكيه
تموت ..
وتولد إسبانيه ..

(٣) الفارس والوردة

إسبانيا ..
مراوح هفهافة
تمشط الهواء ..
وأعينٌ سوداء ..
لا بدءٌ لها .. ولا انتهاء
قبعةٌ ترمى أما شرفة الحبيبه .
ووردة رطيبه ..
تطير من مقصورة النساء
تحمل في أوراقها الصلاة والدعاء
لفارس من الجنوب .. أحمر الرداء

يداعب الفناء ..
وكل ما يملكه ..
سيفٌ .. وكبرياءٌ ..

(٤)
بيت العصافير

باشبيلية
تعلق كل جميلة
على شعرها وردةً قانيةً
تحطُّ عليها مساءً
جميع عصافير إسبانية

(٥)
مراوح الاسبانيات

إذا لملمَ الصيفُ أشياءهُ
ومات الربيع على الرابيه
تفتح ألف ربيع جديد
على ألف مروحةٍ زاهيةٍ ..

(٦)
اللؤلؤ الأسود

شوارع غرناطةٍ في الظهيره
حقول من اللؤلؤ الأسود ..
فمنٌ مقعدي ..
أرى وطني في العيون الكبيرة
أرى منذونات دمشقَ
مصورةً ..
فوق كل ضفيره

(٧)
دونيا ماريا

تمزقني .. دونيا مارية
بعينين أوسع من بادية

ووجه عليه شمس بلادي
وروعةً آفاقها الصاحية ..
فأذكر منزلنا في دمشق
ولثغةً بركته الصافية
ورقص الظلال بقاعاته
وأشجار ليمونه العالية
وباباً قديماً .. نقشت عليه
بخط رديء .. حكاياتيه
بعينيك .. يا دونيا ماريه
أرى وطني مرةً ثانيةً ...

(٨) القرط الطموح

على أذني هذه الغانية
تأرجح قرطٌ رفيعٌ
كما يضحك الضوء في الآنية
يمد يديه .. ولا يستطيع
وصولاً . إلى الكتف العارية ..

(٩) الثور

برغم النزيف الذي يعتريه ..
برغم السهام الدفينة فيه ..
يظل القتل على ما به ..
أجل .. وأكبر .. من قاتليه ..

(١٠) نزيف الأنبياء ..

كوريدا ..
كوريدا ..
ويندفع الثور نحو الرداء
قوياً .. عنيدا ..
ويسقط في ساحة الملعب ..

كأي شهيدٍ ..
كأي نبي ..
ولا يتخلى عن الكبرياء ..

(١١) بقايا العرب

فلامنكو ..
فلامنكو ..
وتستيقظ الحانة الغافية
على قهقهات صنوج الخشب
وبحة صوتٍ حزينٍ ..
يسيل كنافورة من ذهب
وأجلس في زاوية
ألمٌ دموعي ..
ألمٌ بقايا العرب ..

أحزان في الأندلس

كتبت لي يا غاليه ..
كتبت تسألين عن إسبانيه
عن طارق، يفتحُ باسم الله دنيا ثانيه ..
عن عقبه بن نافع
يزرع شتلَ نخلة ..
في قلب كلِّ رابيه ..
سألت عن أمية ..
سألت عن أميرها معاويه ..
عن السرايا الزاهيه
تحملُ من دمشق .. في ركاياها
حضارةٌ وعافيه ..

لم يبقَ في إسبانيه
مناً، ومن عصورنا الثمانيه
غيرُ الذي يبقى من الخمر،
بجوف الآنيه ..

وأعينٍ كبيرةٍ.. كبيرةٍ
ما زال في سوادها ينامُ ليلُ البادية..
لم يبقَ من قرطبةٍ
سوى دموعُ المئذنتِ الباكية
سوى عبيرِ الورود، والنارنج والأضالية..
لم يبقَ من ولادةٍ ومن حكايا حُبها..
قافيةٌ ولا بقايا قافية..

لم يبقَ من غرناطةٍ
ومن بني الأحمر.. إلا ما يقول الراوية
وغيرُ "لا غالبَ إلا الله"
تلقاك في كلِّ زاوية..
لم يبقَ إلا قصرُهم
كامرأةٍ من الرخام عارِيه..
تعيشُ - لا زالت - على
قصةٍ حُبٍّ ماضيه..

مضت قرونٌ خمسةُ
مذ رحلَ "الخليفةُ الصغيرُ" عن إسبانيه
ولم تنزل أحقادنا الصغيره..
كما هيّه..
ولم تنزل عقليةُ العشيره
في دمنا كما هيّه
حوارُنا اليوميُّ بالخناجر..
أفكارُنا أشبهُ بالأظافر
مَضت قرونٌ خمسةُ
ولا تزال لفظَةُ العروبه..
كزهرةٍ حزينةٍ في أنيه..
كطفلةٍ جائعةٍ وعارِيه
نصلبُها على جدارِ الحقدِ والكرَاهيه..

مَضت قرونٌ خمسةُ.. يا غاليه
كأننا.. نخرجُ هذا اليومَ من إسبانيه..

غرناطة

في مدخل الحمراء كان لقائنا
ما أطيّب اللقيا بلا ميعاد

عينان سوداوان في جحريهما
تتوالد الأبعاد من أبعاد

هل أنت إسبانية؟ ساءلتها
قالت: وفي غرناطة ميلادي

غرناطة؟ وصحت قرون سبعة
في تينك العينين.. بعد رقاد

وأمية راياتها مرفوعة
وجيادها موصولة بجياد

ما أغرب التاريخ كيف أعادني
لحفيدة سمراء من أحفادي

وجه دمشقي رأيت خلاله
أجفان بلقيس وجيد سعاد

ورأيت منزلنا القديم وحجرة
كانت بها أُمي تمد وسادي

والياسمينه رصعت بنجومها
والبركة الذهبية الإنشاد

ودمشق، أين تكون؟ قلت ترينها
في شعرك المنساب.. نهر سواد

في وجهك العربي، في الثغر الذي
ما زال مختزناً شمس بلادتي

في طيب "جنات العريف" ومائها
في الفل، في الريحان، في الكباد

سارت معي.. والشعر يلهث خلفها
كسنا بل تركت بغير حصاد

يتألق القرط الطويل بجيدها
مثل الشموع بليلة الميلاد..

ومشيت مثل الطفل خلف دليلتي
وورائي التاريخ كوم رماد

الزخرفات.. أكاد أسمع نبضها
والزركشات على السقوف تنادي

قالت: هنا "الحمراء" زهو جدودنا
فاقرأ على جدرانها أمجادي

أمجادها؟ ومسحت جرحاً نازفاً
ومسحت جرحاً ثانياً بفؤادي

يا ليت وارثتي الجميلة أدركت
أن الذين عننتهم أجدادي

عانقت فيها عندما ودعتها
رجلاً يسمى "طارق بن زياد"

***** النهاية *****

حلسى



عذاب

زارقباڤ

أكبر من كل الكلمات

سيدتي ! عندي في الدفتر
تـرقص آلاف الكلمات
واحدة .. في ثوب أصفر
واحدة .. في ثوب أحمر
يحرق أطراف الصفحات
أنا لست وحيداً في الدنيا
عائلتي .. حزمة أبيات
أنا شاعر حب جوال
تعرفه كل الشرفات
تعرفه كل الحلوات
عندي للحب تعابير
ما مرت في بال دواة

الشمس فتحت نوافذها
وتركت هالك مرساتي
وقطعت بحاراً .. وبحاراً
أنبش أعماق الموجات
أبحث في جوف الصدقات
عن حرف كالقمر الأخضر
أهديه لعيني مولاتي

سيدتي ! في هذا الدفتر
تجدين ألوف الكلمات
الأبيض منها .. والأحمر
الأزرق منها .. والأصفر
لكنك يا قمري الأخضر
أطلى من كل الكلمات
أكبر من كل الكلمات

حبيتي

حبيبتي . إن يسألوك عني
يومًا ، فلا تفكري كثيرًا
قولي لهم بكل كبرياء :
" يحبني .. يحبني كثيرًا .. "
صغيرتي . إن عاتبوك يومًا
كيف قصصت شعرك الحريرا
وكيف حطمت إنياء طيب
من بعد ما ربيتِه شهورًا
وكان مثل الصيف في بلادي
يوزع الظلال والعبيرا
قولي لهم : " أنا قصصت شعري
لأن من أحبه .. يحبه قصيرًا "

أميرتي . إذا معًا رقصنا
على الشموع لحننا الأثيرا
وحول البيان في ثوان
وجودنا أشعة ونورًا
وظنك الجميع في ذراعي
فراشة تهتم أن تطيرا
فواصل رقصك في هدوء
واتخذي من أضلعي سريرًا
وتمتعي بكل كبرياء
" يحبني .. يحبني كثيرًا "

حبيبتي . إن أخبروك أنني
لا أملك العبيد والقصورا
وليس في يدي عقد ماس
به أحيط جيدك الصغيرا
قولي لهم بكل عنفوان
يا حبي الأول والأخيرا
قولي لهم : كفاني
بأنه يحبني كثيرًا ...

حبيبتى .. يا ألف حبيبتى
حبي لعينيك أنا كبير
وسوف يبقى دائماً كبيراً ...

شؤون صغيرة

- ١ -

شؤون صغيرة
تمر بها أنت .. دون التفات
تساوي لدي حياتي
جميع حياتي ..
حوادث .. قد لا تثير اهتمامك
أعمر منها قصور
وأحيا عليها شهور
وأغزل منها حكايا كثيرة
وألف سماء .. وألف جزيره
شؤون .. شؤونك تلك الصغيره ...
* * *

- ٢ -

فحين تدخن أجتو أمامك
كقطتك الطيبه ..
وكلي أمان
ألاحق مزهوه معجبه
خيوط الدخان
توزعها في زوايا المكان
دوائر .. دوائر
وترحل في آخر الليل عني
كنجم، كطيب مهاجر
وتتركني يا صديق حياتي
لرائحة التبغ .. والذكريات
وأبقى أنا .. في صقيع انفرادي ..
وزادي أنا .. كل زادي
حطام السجائر ..
وصحن .. يضم رماداً ..

يضم رمادي...

* * *

- ٣ -

وحين أكون مريضه ..
وتحمل أزهارك الغالية
صديقي ، إلي
وتجعل بين يديك يدي
يعود لي اللون والعافيه
وتلتصق الشمس في وجنتي
وأبكي .. وأبكي .. بغير إرادته
وأنت ترد غطائي علي
وتجعل رأسي فوق الوساده
تمنيت كل التمني .. صديقي .. لو أني ..
أظل .. أظل عليه ..
لتسأل عني ..
لتحمل لي كل يوم وروداً جميلاً .

* * *

- ٤ -

وإن رن في بيتنا الهاتف
إليه أظير ..
أنا .. يا صديقي الأثير
بفرحة طفل صغير
بشوق سنونوةٍ شارده
وأحتضن الآلة الجامده
وأعصر أسلاكها البارده
وأنتظر الصوت .. صوتك يهمني عليّ
دفيئاً .. مليئاً .. قويّ ..
كصوت نبيّ ..
كصوت ارتطام النجوم ، كصوت سقوط الحلبي
وأبكي .. وأبكي .. لأنك فكرت فيّ ..
لأنك من شرفات الغيوب .. هتفت إليّ ..

* * *

- ٥ -

ويوم أجيء إليك لكي أستعير كتاب ..
لأزعم أنني أتيت لكي أستعير كتاب ..
تمد أصابعك المتعبه
إلى المكتبه ..
وأبقى أنا في ضباب الضباب
كأنني سؤال بغير جواب
أحدق فيك .. وفي المكتبه ..
كما تفعل القطة الطيبه ..
تراك اكتشفت ؟
تراك عرفت ؟
بأنني جنيت لغير الكتاب
وأنني لست سوى كاذبه !!
* * *

- ٦ -

.. وأمضي سريعاً إلى مخدعي
أضم الكتاب إلى أضلعي
كأنني حملت الوجود معي ..
وأشعل ضوئي .. وأسدل حولي الستور
وأنبش بين السطور ، وخلف السطور
وأعدو وراء الفواصل .. أعدو وراء نقاط تدور
.. ورأسي يدور ..
كأنني عصفورة جائعه
تفتش عن فضلات البذور
لعلك يا .. يا صديقي الأثير
تركت بإحدى الزوايا .. عبارة حب قصيره ..
جنينة شوقٍ صغيره ..
لعلك بين الصحائف خبأت شيئاً
سلاماً صغيراً .. يعيد السلام إليها ..

- ٧ -

.. وحين نكون معاً في الطريق
وتأخذ - من غير قصد - ذراعي
أحسُّ أنا يا صديق
بشيء عميق

بشيّ يشابه طعم الحريق
على مرفقي ..
وأرفع كفيّ نحو السماء
لتجعل دربي بغير انتهاء ..
وأبكي .. وأبكي .. بغير انقطاع ..
لكي يستمر ضياعي ..

- ٨ -

وحين أعود مساءً إلى عرفتي ..
وأنزع عن كتفيّ الرداء ..
أحس - وما أنت في غرفتي -
بأن يديك ..
تلفان في رحمة مرفقي ..
وأبقى لأعبد يا مرهقي
مكان أصابعك الدافئات
على كم فستاني الأزرق ..
وأبكي .. وأبكي .. بغير انقطاع
كأن ذراعي ليست ذراعي ..

فستان التفّتا

أمس انتهى فستاني (التفّتا) ..
أرأيت فستاني ؟
حققتُ فيه جميع ما شئتَ
وشياً .. ونمنمةً .. وطرائفاً شتى ..
أرأيت فستاني ؟
أرأيتني ؟ أنا بعض نيسان .. أنا كلّ نيسان ..
صنّعه حائكتي ..
من دمع تشرين ..
من غصن ليمون ..
من صوت حَسّون ..
اخترته لوناً حشيشياً ..
لوناً يشابه لون عينيّ ..
فصلته شكلاً أثيرياً ..
فأنا به أخفى من الرؤيا ..

ومشيت .. لم أسأل عن الدنيا ..
ما همّني الدنيا ؟ أنا الدنيا ..
* * *

... ورجعت أحمله إلى البيت
وأخذت أمسحه .. وأطويه ..
أسقيه .. أطعمه .. أغنيه ..
لأجيء فيه ليلة السبت
لتكون .. أول من الأقيه ..
* * *

أمس انتهى .. فستاني (التفنا)
من عند حائكتي ..
أكامه عشب البحيرات
أزراره كقطيع نجومات
أمس انتهى .. لم تدر والدتي
فيه ، ولم أخبر رفيقاتي ..
* * *

ما قصّتي ؟
أثلاث ساعات ؟
وأنا أدور أمام مرآتي
أقصيه عن صدري .. وأدنيه ..
أرجوه .. أسأله .. أناديه ..
وأعدّه للموعد الآتي ..
حتى تراني حلوة فيه ...
أمس انتهى فستاني (التفنا) ..
ما همّني رأي الرفيقات
يكفي .. إذا أحببته أنت !!

كلمات

يُسمعي .. حين يراقصني
كلمات ، ليست كالكلمات

يأخذني من تحت ذراعي
يزرعني في إحدى الغيمات

والمطرُ الأسودُ في عيني
يتساقطُ زخاتٍ .. زخاتٍ

يحملني معه .. يحملني
لمساءٍ وردي الشرفات

وأنا كالطفلةٍ في يدهِ
كالريشةِ تحملها النسمات

يحملُ لي سبعةَ أقمارٍ
بيديه ، وحزمةَ أغنيات

يهديني شمساً .. يهديني
صيفاً .. وقطيعَ سنونوات

يخبرنني أنني تحفتهُ
وأساوي آلافَ النجمات

و بأنني كنزٌ .. وبأنني
أجملُ ما شاهدت من لوحات

يروني أشياءَ تدوخي
تتسببني المرقصَ والخطوات

كلماتٍ .. تقلبُ تاريخي
تجعلني امرأةً في لحظات

يبيني لي قصرأ من وهمٍ
لا أسكنُ فيه سوى لحظات

وأعودُ .. أعودُ لطاولتي
لا شيءَ معي .. إلا كلمات ...

شعري سرير من ذهب

شعري .. سرير من ذهب ..
فرشته لمن أحب ..
غمسته في الشمس .. أوجعت الشهب
بعثرته ..
أحس أن الله من شعري اقترب
جملته .. شكته .. زهراً وتفتاً وقصب
شعري أنا قصيدة من الذهب ..
داخت عصافير به
بطوله .. شعري الذهب
فأين من شعري له .. أين ذهب ؟

لواحد أحبه ..
ربيته ، هذا الطويل المنسكب
سقيته .. من خفقة الضوء ورعشات اللهب
خبأت تموز به .. قمحاً ولوزاً وعنب
له .. له .. أطلته
جعلته بطول مدات الطرب
تعبت في تطويله ..
تعبت في تدليله ..
تعبت كي ينسى التعب
* * *

لواحد .. لواحد ..
أقعد في الشمس أنا .. من سنة
أقتل أسلاك الذهب ..

لوليتا

- ١ -

صار عمري خمس عشره
صرت أحلى ألف مره
صار حبي لك أكبر

ألف مره ..
ربما من سنتين
لم تكن تهتم في وجهي المدور
كان حسني بين .. بين ..
وفساتيني تغطي الركبتين
كنت أتيك بثوبي المدرسي
وشريطي القرمزي
كان يكفيني بأن تهدي إليّ
دمية .. قطعة سكر ..
لم أكن أطلب أكثر ..

- ٢ -

... وتطور
بعد هذا كل شيء
لم أعد أقنع في قطعة سكر
ودمي .. تطرحها بين يدي
صارت اللعبة أخطر ..
ألف مره ..
صرت أنت اللعبة الكبرى لديّ
صرت أحلى لعبة بين يدي
صار عمري خمس عشره ..

- ٣ -

صار عمري خمس عشره
كل ما في داخلي غني .. وأزهر
كل شيء صار أخضر ..
شفتي خوخ .. وياقوت مكسر
وبصدري ضحكت قبة مرمر ..
وينابيع ، وشمس ، وصنوبر
صارت المرأة ، لو تلمس نهدي ، تتخدر
والذي كان سوياً قبل عامين تدور .. فتصور ..
طفلة الأمس التي كانت على بابك تلعب ..
والتي كانت على حضنك تغفو حين تتعب
أصبحت قطعة جواهر ..
لا تقدر ..

- ٤ -

صار عمري خمس عشرة
صرت أجمل ..
وستدعوني إلى الرقص .. وأقبل
سوف ألتف بشال قصبي
وسأبدوا كالأميرات بيهو عربي
أنت بعد اليوم ، لن تخجل في ..
فلقد أصبحت أطول ..
آه .. كم صليت كي أصبح أطول
إصبعاً .. أو إصبعين ..
آه .. كم حاولت أن أظهر أكبر
سنةً .. أو سنتين ..
آه .. كم ثرت على وجهي المدور ..
وذؤاباتي .. وثوبي المدرسي
وعلى الحب بشكل أبوي
لا تعاملني بشكل أبوي
فلقد أصبح عمري خمس عشرة ..

صديقتي وسجائري

واصل تدخينك .. يغريني
رجل في لحظة تدخين
هي نقطة ضعفي كامرأة
فاستثمر ضعفي وحنوني
ما شهي تبغاك ، والذنيما
تستقبل أول تشريين
والقهوة .. والصحف الكسلى
وروى .. وحطام فناجين
دخن لا أروع من رجل
يفنى في الركن .. ويفنني
رجل .. تنضم أصابعه
وتفكر من غير جبين ..
أشعل واحدة من أخرى ..
أشعلها من جمر عيوني

ورمادك ضعه على كفي
نير انك ليست تؤذني
فأنا كامرأة .. يرضيني
أن ألقى نفسي في مقعد
ساعات في هذا المعبد
أتأمل في الوجه المجهد
وأعد .. أعد .. عروق اليد
فعروق يديك تسليني
وخيوط الشيب هنا .. وهنا ..
تنهي أعصابي .. تنهيني
دخن .. لا أروع من رجل
يفنى في الركن .. ويفيني
* * *

أحرقني .. أحرق بي بيتي
وتصرف فيه كمجنون ..
فأنا كامرأة .. يعجبني
أن أشعر أنك تحميني
أن أشعر أن هناك يداً
تتسلل من خلف المقعد ..
كي تمسح رأسي وجبيني
تتسلل من خلف المقعد
لتداعب أذني بسكون
ولتترك في شعري الأسود
عقداً من زهر الليمون
* * *

دخن .. لا أروع من رجل
يفنى في الركن .. ويفيني

عندما تمطر فيرونياً

لا تسأليني .. هل أحبهما ؟
عينيك .. إني منهما لهما

ألدك مـرأتان من ذهب ؟

ويقال لي ، لا أعتني بهما

أستغفر الفيروز .. كيف أنا
أنسى الذي بيني وبينهما ؟

أ بلحظة تنسين ، سيديتي
تاريخي المرسوم فوقهما ؟

وجميع أخباري مصورة
يوماً فيوماً ، في اخضرارهما

نهران من تبغ .. ومن عسل
ما فكرت شمس بمثلهما

وساتارتان .. إذا تحركتا
أبصرت وجه الله خفهما
* * *

عام .. وبعض العام سيديتي
وأنا أضيء الشمع حولهما

كم جئت أمسح فيهما تعبي
كم نمت .. كم صليت عندهما

كوخان عند البحر .. هل سنة
إلا قضيت الصيف تحتهما

أحشو جيوبي كلها صدفاً
وأذيب حزني في مياههما
* * *

عاد الشتاء بكل قسوته
يمتص أيامي فأين هما ؟

الشمس ، منذ رحلت مطفأة

والأرض ، غير الأرض ، بعدهما

الآن أدرك حيث لا قمر
ماذا أنا؟ ماذا .. بدونهما

أَيُّظَنُّ ؟

أَيُّظَنُّ أَنِّي لَعْبَةٌ بِيَدَيْهِ ؟
أنا لا أفكر في الرجوع إليه ..

اليوم عاد .. كأن شيئاً لم يكن
وبراءة الأطفال في عينيه ..

ليقول لي : إنني رفيقة دربه
وبأنني الحي الوحيد لديه

حمل الزهور إليّ .. كيف أردته
وصباي مرسوم على شفثيه

ما عدت أذكر .. والحرائق في دمي
كيف التجأت أنا إلى زنديه

خبأت رأسي عنده .. وكأنني
طفل أعادوه إليّ أبويه

حتى فساتيني التي أهملتها
فرحت به .. رقصت على قدميه

* * *

سامحته .. وسألت عن أخباره
وبكيت ساعات على كتفيه

وبدون أن أدري .. تركت له يدي
لتنام كالعصور بين يديه ..

ونسيت حقدى كله في لحظة
من قال إنى قد حقدت عليه؟

كم قلت إنى غير عائدة له
ورجعت .. ما أحلى الرجوع إليه ..

نهر الأحران

عيناك .. كنهري أحزان
نهري موسيقى حملاني
لوراء .. وراء الأزمـان
نهري موسيقى قد ضاعا
سيديتي ، ثم أضاعاني
الدمع الأسود .. فوقهما
يتساقط أنغام بيان
عيناك .. وتبغى .. وكحولي ..
والقدح العاشر أعماني
وأنا في المقعد .. محترق
نيرانى تأكل نيرانى
أقول أحببك .. يا قمري؟
أه لو كان بإمكانى
فأنال أملك فى الدنيا
إلا عينيـك .. وأحزاني
* * *

سفنى فى المرفأ باكية
تتمزق فوق الخـلجان
ومصيري الأصفر حطمني
حطم فى صدري إيماني
أسافر دونك ليلى
يا ظلل الله بأجفاني
يا صيفى الأخضر .. يا شمسي
يا أجمل .. أجمل ألوانى
هل أرحل عنك؟ وقصتنا
أحلى من عودة نيسان

أحلى من زهرة غاردينيا
في عتمة شعر إسباني
يا حبي الأوحـد .. لا تبكي
فدموعك تحفر وجداني
إنني لا أملك في الدنيا
إلا عينيـك .. وأحزاني
* * *

أقول أحبـك .. يا قمري
أه لو كان بإمكانني
فأنا إنسان مفقود
لا أعرف في الأرض مكاني
ضيّعني دربي .. ضيّعني
إسمي .. ضيّعني عنواني
تاريخي؟ مالي تاريخ
إنني نسيان النسيان
إنني مرساة لا ترسو
جرح بلامح إنسان
ماذا أعطيك؟ أجيبني
قلقي؟ إلحادي؟ غثياني؟
ماذا أعطيك سوى قدر
يرقص في كفّ الشيطان
أنا ألف أحبـك .. فابتعدي
عني .. عن ناري ودخاني
فأنا لا أملك في الدنيا
إلا عينيـك .. وأحزاني

تلفون

صوتك القادم من خلف الغيوم
سكب النار على الجرح القديم

مدّ لي أرجوحة من نغم
ورماني نجمة بين النجوم

من ترى يطلبني؟ مخطئة ..
فاتركيني لدخاني وهمومي

أنا جرح مطبق أجفانه
فلماذا جئت تحيين هشيمي؟

رقمي . من أين جئت به؟
تحت عصف الريح في الليل البهيم

بعد أن عاش غريباً مهملاً
بين أوراقك .. كالطفل اليتيم

كيف .. من بعد شهر خمسة
عدت يا صاحبة الصوت الرخيم؟

حُبنا .. كان عظيمًا مرة
وطوينا قصة الحب العظيم

أتقولين : (أنا آسفة ..)
بعدما ألقيت حبي في الجحيم؟

لم أعد أخدع ، يا سيدتي
بالحديث الحلو .. والصوت النغم

صوتك العائد .. لا أعرفه
كان يومًا جئتني .. كان نعيمي

حُلوتي .. بالرغم مما قلته
فأنا - بعد - على حبي القديم

داعبي كل مساء رقمي
واصدحي مثل عصافير الكروم

كلمة منك .. ولو كاذبة
عمّرت لي منزلاً فوق النجوم ..

ثلاث بطاقات من آسيا

من آسيا ..
عليك يا صديقتي السلام
فبعد عينيك أنا ، لا أعرف السلام
قطعتُ في تشرّدي الطويل
يا قمري .. يا أرني الجميل
يا رغبة الحليب والرخام ..
قطعتُ ألف عام
بدون عينيك .. بلا خبز .. ولا طعام
تصوّري ! أنّي بلا عينيك .. ألف عام
بدون مصباحين أخضرين ..
بدون شمعتين ..
بينهما أنام .
فيروزي :
ما زلتُ في سفينتي
أصارع الشمس ، واللصوص ، والدوار
نزلتُ في مرافيء موبوءة المياه
صلبتُ في معابد ليس لها إله
وأرخص الخمور ذقت .. أرخص الشفاه
فُتلتُ ألف مرة ..
غرقتُ ألف مرّة ..
صلبت فوق حائط النهار
وسبعة قطعها .. من أوسع البحار
من أخطر البحار ..
لمست سقف الشمس ، كانت رحلتي انتحار ..
تصوّري ..
أنّي بلا عينيك ، يا حبيبتني ، قرون
لا كوكب في الأفق ، لا منار
بحارتي في السطح ميّتون
وخبزي الإسفنج والمحار

تصوّري الأرض وما تكون
يا أرنبى الحنون
بدون عينيك ، بلا فُسْقِيَّةٍ اخضرار
بدون شاطئين مقمرين ..
بدون غابتين ..
أنشد في حماهما القرار
من آخر الدنيا .
ومن جدارها القصيِّ
بطاقتي تأتيك ، يا اعزّ ما لديّ
يا كل ما لديّ
الشمس فوق آسيا ..
كحقل برتقال
كلوحة لا تُشترى بمال
والليل في هونكونغ صندوق من الحليّ
بعثره الله على الجبال
والبحر يا صديقتي
شال بنفسجي ..
يشهق من تطريزه الخيال
* * *

من آسيا
أمدّ يا أميرتي يديّ
أسأل عن عينيك ، يا أعزّ ما لديّ
عن قطعتي حليّ
ما لهما مثيل
في اللون والنقاء
أميرتي :
أعرف أنّ مركبي
يغصّ بالكنوز ، والبخور ، والفراء
وأنّ عندي مئة من أجمل الإماء
من أندري الإماء ..
أعرف أنّي عائد بالذهب الكثير
بالخزف الصينيّ ، بالسجاد ، بالحرير
بألف كنز مذهل مثير ..

لكنني .. يا أرنبى الصغير
برغم ما جمعته فقير
بدون عينيك .. بدون ماستين
ما لهما نظير
يا كنزى الأول .. والأخير

أوريانتيا

أوريانتيا ..
صديقة من آسيا
الأنف من شيراز ، والعينان من قفقاسيا
والشفتان .. زهرتا أضاليا
أوريانتيا ، تكونت من رغوة البحار
من نكهة المانغو ، من الأصداف والمحار
من كل ما في الهند .. من طيب .. ومن بهار
أوريانتيا .. شاحبة .. جملت الشحوب
دافئة .. كالبن في مزارع الجنوب
تائبة ! من قال ؟
جلّ الحسن أن يتوب ..
* * *

أوريانتيا ..
نهدان واقفان
كقبتي نحاس
في ذهب المغيب
صحنان صينيّان رائعتان
قلعتان من لهيب
تزودا من آسيا .. بزهرتي غاردينيا
بعنبر .. بفلفل بطيب ..
وحبتي زبيب ..
* * *

أوريانتيا
شاحبة جملت الشحوب
أوريانتيا
أحرّ ما عرفت من توابل الجنوب

الرسائل المحترقة

أحَقًا .. رسالاتي إليك تمزقت
وهنَّ حبيباتي .. وهنَّ روائعي

أنكر ما فيهنَّ ؟ لا يا صديقتي
عليهنَّ أسلوب ، عليهنَّ طابعي

عليهنَّ أحداقي ، وزرقة أعيني
وروعة أسحاري ، وسحر مطالعي

حروفي . سفيراتي . مرايا خواطري
وأطيب طيب في زوايا المخادع

وأجمل ما غنيتُ .. ما طررَّتْ يَدُ
وأكرم ما أعطت أنامل صانع

بأعصاب أعصابي ، رسمتُ حروفها
وأطعمتها من صحتي ، من مدامعي

وأنفقت أيامي ، أصوغ سطورها
بدقة مثال .. وأشواق راع

* * *

أجيبني .. أجيبني .. ما مصير رسائلي ؟
فإني مُدُّ ضيعتها ألف ضائع

ألم تترك النيران منها بقية
ألم ينجُ حتى مقطع من مقاطعي ؟

حصيلة عام .. تنتهي في دقائق
وتلتهم النيران كل مزارعي

وتذهب أوراقتي التي استهلكت دمي

فلا رجع موّال .. ولا صوت زارع
* * *

أطعممة النيران .. أحلى رسائلي
جمالِكِ ماذا كان ؟ لولا روائعي

فثغرك بعض من أناقة أحرفي
وصدركِ بعض من عويل زوابعي

أنا بعض هذا الحبر .. ما عدتُ ذاكرًا
حدود حروفي .. من حدود أصابعي

قصة خلافاتنا

- ١ -

برغم .. برغم خلافاتنا
برغم جميع قراراتنا
بأن لا نعود
برغم العدا .. برغم الجفاء ..
برغم البرود
برغم انطفاء ابتساماتنا
برغم اتقطاع خطاباتنا
فتمّة سرّ خفيّ
يوحد ما بين أقدارنا
ويدني مواطية أقدامنا
ويفنيك في ..
ويصهر نار يديك بنار يديّ

- ٢ -

برغم جميع خلافاتنا
برغم اختلاف مناخاتنا
برغم سقوط المطر
برغم استعادة كل الهدايا ..
وكل الصور ..
برغم الإناء الجميل الذي قلت عنه انكسر
برغبة رتابة ساعاتنا ..

برغم الضجر ..
فلا زلت أو من أنّ القدر
يصرّ على جمع أجزاءنا
ويرفض كل اتهاماتنا ..

- ٣ -

برغم خريف علاقاتنا
برغم النزيف بأعماقنا
وإصرارنا ..
على وضع حدّ لمأساتنا
بأي ثمن ..
برغم جميع ادعاءاتنا
بأنّي لن ..
وأنتك لن ..
فإنّي أشك بإمكاننا
فنحن برغم خلافاتنا
ضعيفان في وجه أقدارنا
شبيهان في كلّ أطوارنا
دقاتنا .. لون أوراقنا ..
وشكل يدينا .. وأفكارنا ..
فحتّى نقوش ستاراتنا ..
وحتى اختيار اسطواناتنا
دليل عميق ..
على أننا ..
رفيقا مصير ، رفيقا طريق
برغم جميع حماقاتنا ..

الكبريت والأصابع ..

أخذ الكبريت .. وأشعل لي
ومضى كالصيف المرتحل
وجمدت بأرضي ، وابتدأت
تأكلني النار على مهل

من هذا الفارس ؟ طار له
في صدري .. زوج من حَجَل

لم أعرف منه سوى يده
قالت عيناه .. ولم يقل ..

رجل يمنحني شعاعته
ما أطيب رائحة الرجل

بيده تتحدث دون فم
كجوار الشمع المشتعل

وعروق زرق نافرة
ضيعها الليل .. فلم تصل
* * *

راقبتُ نحول أصابعه
ودرست تعابير يديه

وأحطتُ بأشواقِي ظفراً
آثار التدخين عاينه

وعبدتُ بقيّة إرهاب
تحتلّ جوانب عينيه

والتعاب الأزرق تحتهمَا
وهطول الثلج بصدغيه
* * *

ووقفتُ أمام رجولته
كصغير ضيّع أبويه

كالأرنب .. ما .. أصغرني
يا ربي بين ذراعيه ..

أتعلق فيه .. وأتبعه
وأغوص بريش جناحيه

أحبُّ يَدًا .. لا أعرفها
ماذا يربطني بيديه ؟

خطاب من حبيتي

- ١ -

شكرًا ..

على خطابك الأخير ..

سفيرك الموعود .. يا لرقّة السفير

قرأته .. لأربعين مرّة .. قرأته

أعدته .. لأربعين مرّة .. أعدته

غرقتُ في طيوبه

بكيّت من أسلوبه

بكيّت كالأطفال في سريري

نبشّته .. عصرته ..

عصرتُ كلّ نقطة فيه ، إلى الجذور .

- ٢ -

هذا خطاب منك ..

ما أخطأني شعوري

عرفته ..

من خطك المنمنم الصغير

من حبرك الأخضر .. من أسلوبك الأمير ..

من رشّة النقاط في أواخر السطور ..

من اسمك النائم عنقودًا من العبير

في آخر الصفحة ..

عنقودًا من العبير ..

- ٣ -

عندي خطاب منك ..

يا للنبا المثير

داختُ به وسائدي ..

داختُ به ستوري

أودّ لو قرأته
للنهر ، للنجمة ، للغدير
للريح ، للغابات ، للطيور
أودّ لو نقشته ..
في أضلع الصخور
- ٤ -

ثلاث صفحاتٍ منمّقاتٍ
كأنها مدراج الزهور
تصحو معي .. تغفو معي ..
تنام في ضميري ..
ثلاث صفحاتٍ معطّراتٍ
كأنها وسائد الحرير
ما أروع النوم على الحرير ..
*

عندي خطاب أزرق
ما مرّ في ذاكرة البحور
عندي أنا لؤلؤة ..
أين غرور الله من غروري ؟

يد

يذكّك التي حطّت على كتفي
كحمامةٍ .. نزلت لكي تشرب

عندي تساوي ألف مملكةٍ
يا ليتّها تبقى ، ولا تذهب

تلك السبيكة .. كيف أرفضها ؟
من يرفض السكنى على كوكب ؟

لهت الخيال على ملاستها
وانهار عند سوارها المذهب

الشمس .. نائمة على كتفي

قَبْلُهَا أَلْفًا .. وَلَمْ أَتَعَبْ

نَهْرٌ حَرِيرِيٌّ .. وَمَرَّوَحَةٌ
صَيْنِيَّةٌ .. وَقَصِيدَةٌ تُكْتَبُ ..

يَدُكَ الْمَلِيسَةَ ، كَيْفَ أَقْبَعُهَا ؟
أَنْتِي بِهَا .. أَنْتِي بِهَا مُعْجَبٌ ؟

قَوْلِي لَهَا تَمْضِي بِرِحْلَتِهَا
قَلْبًا جَمِيعٌ .. جَمِيعٌ مَا تَرْغَبُ

يَدُكَ الصَّغِيرَةَ .. نَجْمَةٌ هَرَبَتْ
مَاذَا أَقُولُ لِنَجْمَةٍ تَلْعَبُ ؟

أَنَا سَاهِرٌ .. وَمَعِي يَدُ امْرَأَةٍ
بِيضَاءُ .. هَلْ أَشْهَى .. وَهَلْ أَطِيبُ ؟

أَخْبِرُونِي

أَخْبِرُونِي بِأَنْ حَسَنَاءٌ غَيْرِي
يَا صَدِيقِي ، لَدَيْكَ حَلَّتْ مَحَلِّي

أَخْبِرُونِي بِالْأَمْسِ ، عَنْكَ وَعَنْهَا
فَلِمَاذَا يَا سَيِّدِي .. لِمَ تَقُلْ لِي ؟

أَلْفَ شُكْرٍ .. يَا ذَابِحًا كَبِيرِيَّيْ
أَوْ هَذَا جَوَابَ حَبِّي وَبَذَلِي ؟

أَنَا أَعْطَيْتُكَ الَّذِي لَيْسَ يَعْطَى
مَنْ حَيَاتِي ، وَأَنْتَ حَاوَلْتَ قَتْلِي

يَا رَخِيصَ الْأَشْوَاقِ .. خَمْسَ سَنِينَ
كُنْتُ أَبْنِي عَلَى دَخَانٍ .. وَرَمَلٍ ..

كان عطري لديك .. أجمل عطر
كان شعري عليك شلال ظل

كان ثوبي البنفسجي ربيعاً
كم على زهرة جلست تصلي

وأنا اليوم ، لستُ عندك شيئاً
أين عيناى ؟ أين طيبي وكحلي ؟

* * *

لا تلامس يدي بغير شعور
عندك الآن .. من تحلّ محلي

سأصلي .. لكي تكون سعيداً
في هواها ، فهل تُصلي لأجلي ؟

أنت طفلي الصغير .. أنت حبيبي
كيف أقسو على حبيبي وطفلي ؟

هي في غرفة انتظارك .. فاذهب
بين أحضانها ستعرف فضلي

يا صديقي شكراً .. أنا أتمنى
لو وجدت التي تحبّك مثلي ...

قطبي الغضبي

للمرة العشرين .. كررتها
" هل في حياتي رجل آخر ؟ "
نعم .. نعم .. فهل تصورتني
مقبرةً ليس لها زائر ؟
ما أكثر الرجال .. يا سيدي
لا روضة ، إلا لها طائر
تجربة كانت .. وهما أنني
نجوت من سحرك يا ساحر

شفيتُ من ضعفي ومن طبييتي
طيبة النفس لها آخر

تحبني؟ ليتك ما قاتها
هذا حديث غابر غابر ..
منذ متى أصبحت تهتم بي؟
منذ متى هذا الهوى الغامر؟
هل كنت إلا مقعدًا مهملاً
يضمه أثاثك الفاخر
مزرعة .. نهبت خيراتها
لا ذمة تنهى ، ولا زاجر

يا أيها الباكي على ملكه
لقد تداعى ملكك الزاهر
كانت لك الجنات مفتوحة
ثمارها ، وعشبهها الناضر
واليوم .. لا نار ولا جنة
هذا جزاء الكفر ، يا كافر

لو كنت إنسانًا معي .. مرة
ما كان هذا الرجل الآخر

الرجل الثاني

أنا هنا .. بعد عام من قطيعتنا
ألا تمدّين لي بعد الرجوع يدًا؟

ألا تقولين : ما أخبارها سفني؟
أنا المسافر في عينيك دون هدى

حملتُ من طبيبات الصين قافلة
وجئتُ أطعم عصفورين قد رقدا

وجئتُ أحمل تاريخي على كتفي

وحاضرًا مرهق الأعصاب ، مضطهدًا

ماذا أصابك ؟ هل وجهي مفاجأة
وهل توهمت أنني لن أعود غدًا ؟

ما للمرايا على جدرانها اختلجت
لما دخلت ، وما للطيب قد جمدا

تركتُ صدرك في تفتيحه ولدًا
وحين عدتُ إليه .. لم يعد ولدًا

وناهداك .. أجيبني ، من أنلهما ؟
ويوم كنتُ أنا .. لله ما سجدا

كانا أميرين .. كانا لعبتي خزف
تقوم دنيا إذا قاما .. وإن قعدا

يا مدفن الثلج .. هل غيري يزاحمني ؟
وهل سرير الهوى ما عاد منفردًا

جريدة الرجل الثاني .. ومعطفه
وتبعه .. لم يزل في الصحن متقدًا

ما لون عينيك ؟ إنني لستُ أذكره
كأنني قبلُ لم أعرفهما أبدًا

إنني لأبحثُ في عينيك عن قدري
وعن وجودي ، ولكن لا أرى أحدًا ..

إلى قديسة

ماذا إذن تتوقعين ؟
يا بضعة امرأة .. أجيبني
ما الذي تتوقعين ؟

أأظُلُّ أصطاد الذباب هنا .. وأنتِ تدخينين ؟
أجترُّ كالحشّاش أحلامي ..
وأنتِ تدخينين ..
وأنا .. أمام سريرك الزاهي .. كقطّ مستكين
ماتت مخالبه .. وعزته .. وهدّته السنين
أنا لن أكون - تأكدي -
القطّ الذي تتصورين
قطاً من الخشب المجوّف لا يحركه الحنين
يغفو على الكرسيّ إذ تتجردين
ويردّ عينيه .. إذا انحسرت قباب الياسمين ..
* * *

تلكَ النهاية ليس تدهشني
فما بالكُ تُدهشين ..
هذا أنا ..
هذا الذي عندي .. فماذا تأمرين ؟
أعصابي احترقت وأنتِ على سريركِ تقرأين ..
أأصوم عن شفّتيك ؟ فوق رجولتي ما تطلبين
ما حكمتي ؟ ما طيبتي ؟ هذا طعام الميتين ..
متصوف ؟؟
من قال ؟ إني آخر المتصوّفين ..
أنا لستُ يا قديستي الربّ الذي تتخيلين
رجلٌ أنا كالآخرين
بطهارتي ..
بندالتي ..
رجل أنا كالآخرين
فيه مزايا الأنبياء ، وفيه كفر الكافرين
وداعة الأطفال فيه ..
وقسوة المتوحّشين ..
* * *

رجل أنا .. كالآخرين ..
رجل يحبّ - إذا أحبّ - بكلّ عنف الأربعين
لو كنتِ يوماً تفهمين
ما الأربعون ؟ .

وما الذي يعنيه حبّ الأربعين
يا بضعة امرأة .. لو أنك تفهمين ..

إلى مراهقة ..

" رجل أنتَ ؟ " .. قلّتها في تحدّ
ضاع مئّي فمي .. ماذا أجيب

لا تكوني حمقاء .. ما زال للنسر
جناح .. على الذرى مسحوب

لم أتبْ عنك يا غبيّة ، عجزاً
ومتى كانت النسور تتوب ؟

لا تمسي رجولتي .. لو أنا شئتُ
طعاماً .. لكنتُ منه أصيب

كنتُ أستطيع أن أحيلكِ جمرًا
فأذيب الرخام .. ثمّ أنوب ..
* * *

منطق الأربعين .. يلجم أعصابي
فغفواً .. إن لم تُثّرني الطيوب

ما أنا فاعل بخمسة عشر
شهد الله أنّهُ تعذّب

شفتاك الصغيرتان أمامي
وضميري عليهما مصلوب

وثب الأرنبان نحوي .. فمالي
كجدار الجليد لا أستجيب ؟

كلما فكرتُ يداي بقطف
ردّني الطهر عنهما .. والحليب

أذهبى .. فالصداع يحفر رأسى
والرؤى .. والدخان .. والمشروب

لا تصبى الكحول فوق جراحي
فالصرع الذي أعاني رهيب

لكِ عمر ابنتي .. ولين صباها
وتقاطيعها .. فكيف الهروب؟

اليدان الشمعيتان .. يداها
والفمّ الطفل .. سكر وزبيب

كلما طفت في مكان جلوسي
طاف بي وجهها الصغير الحبيب

أين أنجو من عقدتي؟ كيف أنجو؟
من ورائي .. ومن أمامي اللهب
* * *

أذهبى .. أذهبى .. كسرت سلاحى
ضاع مئى فمى .. فماذا أجيب؟

صوتٌ من الحريم

- ١ -

" تحبني " !
الجملة الجوفاء ذاتها ..
" تحبني " !!
اللفظة البلهاء ذاتها ..
" تحبني " !!
النعمة القديمة التي بها دوختني
أول ما عرفنتي ..
أضعتُ إحساسى بها
فلم تعد تهزني ..

- ٢ -

" تحبني " !
كأيّ .. أي امرأة تحبني
وجه أنا .. وجه من الوجوه في دفترك الملون
جريدة صفراء تطويني إذا قرأتني
سوسنة تضيفها إلى أوف السوسن
ولعبة من خزف ..
تشيلني ..
تحطني ..
فإذا رأيت لعبة جديدة
حطمتني ..

- ٣ -

" تحبني " !
لا .. لا تعدها مرّة أخرى ..
فقد أضحككتني
يا لاعباً في السرك .. يا مهرجاً ..
بألف وجه مستعار .. ألف دور متقن ..
كفى .. كفى .. فتلك مسرحيّة
مثلتها أول ما رأيتني
وعشتُ عامين بها ..
مأخوذة بكل ما أسمعني
بالضوء ، بالحوار ، بالجوّ الروائي الغني
فمشهد يقيمني ..
ومشهد يقعدني ..
وأنت ، فوق المسرح المضاء تستثيرني
بالجمل الجوفاء .. بالحرف الذي يؤمن ..
ما أرخص الحرف إذا لم يؤمن ..

- ٤ -

" تحبني " !
معزوفة .. معادة .. رخيصة الملحن ..
تديرها .. تديرها لكل وجه حسن
قل غيرها .. أتلفت أعصابي بها .. أتلفتني ..
قل غيرها .. قل تشتهي طيبي .. ودفء مسكني

قل إنني .. جميلة .. وسهلة .. وإنني ..
أعطيتُ في بلاهة جميع ما سألتني ..
وأأسفي .. جميع ما سألتني ..

- ٥ -

تريدني .. محظية جديدة
تدفنها .. وراء جدران الحريم المزمّن
أما أنا فإنني ..
أبحث يا مُستثمري .. عن رجل يحبّني ..
وأنت لا تعرف أن تحب .. أن تحبني ..
فأنت غاوي تحفٍ
ميدانك العيون .. لا ما وراء الأعين ..
وأنت طفل لاعب بالحرز الملون ..

***** النهاية *****



طفولة نهد

عذاب

نزار قباني

الطبعة الثالثة والعشرون

نيسان (أبريل) ١٩١٩

في الشعر

حكاية الشعر كحكاية الورد التي ترتجف على الراية ، مخدةً من العبير .. وقميصاً من الدم ..
إنك تحبها هذه الكتلة الملتهبة من الحرير التي تغمز إصبعك ، وأنفك ، وخيالك ، وقلبك ، دون أن يدور في خلدك أن تمزقها ، وتقطع قميصها الأحمر ، لتقف على سر هذا الجهاز الجميل الذي يحدث لك هذه الهزة العجيبة ، وهذه الحالة السمحة ، القريرة ، التي تغرق فيها
وحين تفكر في هذا الإثم يوماً ، فتشقق هذه اللفائف المعطورة ، وتذبح هذه الأوراق الصبية ، لتمد أنفك في هذا الوعاء الأنيق ، الذي يفرز لك العطر ، ويعصر لك قلبه لوناً ، حين تدور في رأسك هذه الفكرة المجرمة ، لا يبقى على راحتك غير جثة الجمال .. وجنازة العطر .
وفي الفن ، كما في الطبيعة ، وفي القصيدة كما في الورد وكما في اللوحة البارعة ، يجب أن لا نعد إلى تقطيع القصيدة ، هذا الشريط الباهر الندي من المعاني ، والأصباغ ، والصور ، والدندنة المنغومة .
حرام أن نمزق القصيدة لنحصى (كمية) المعاني التي تنضم عليها ، ونحصر عدد تفاعيلها ، وخفي زحافاتهما ، ونقف على (لون) بحرهما ..
فالإحصاء ، والسحاب ، والتحليل ، والفكر المنطقي يجب أن تتوارى كلها ساعة التلقين المبدع . لأن كل هذه الملكات العقلانية الحاسبة ، فاشلة في ميدان الروح ..
فالقمر .. هذا الينبوع المفضض الذي بذر على الكون جدائل الياسمين .. يحدث لك ولي ولكل إنسان حالة حبيبة ملائمة . إنك تفتح قلبك له ، وتغمس أهدابك في سائله الزنبيقي دون أن تعرف عن هذا (الجميل) أكثر من أنه قمر .
ولو اتفق أن أوضح لك فلكي سر القمر ، وأجواءه ، وجباله الجرداء ، وقممه المرعبة ، وأدار لك الحديث عن معادنه ، ودرجة حرارته ورطوبته ، إذن لأشفقت على قلبك ، وأسدت ستارتك ..
إذن ، فنقرأ كما ننظر إلى القمر .. بطفولة ، وعفوية ، واستغراق .
فالتذوق الفني كما قال الفيلسوف الإيطالي كروتشه في كتابه (المجمل في فلسفة الفن) هو عبارة عن (حدس غنائي) . والحدس Intuition هو الصورة الأولى للمعرفة ، وسابق لكل معرفة ، وهو من شأن المخيلة ، وهو بتعبير آخر الإدراك الخالي من أي عنصر منطقي .

إذن فكل أثرٍ فني يجب أن يُستقبل عن طريق (الإدراك الحدسي) لا (المنطقي) أو (الذهني) ، لأن هذا النوع الأخير من الإدراك ميدانه العلم والظواهر المادية .
يقول كروتشه :

" .. على الناقد أن يقفَ أمام مبدعات الفنّ موقفَ المتعبد لا موقف القاضي ، ولا موقفَ الناصح ، وما الناقدُ إلا فنانٌ آخر يُحسُّ ما أحسه الفنان الأول فيعيش حدسه مرةً ثانيةً ، ولا يختلف عنه إلا في أنه يعيش بصورةٍ واعيةٍ ما عاشه الفنان بصورةٍ غي واعيةٍ .. "

ومتى تم انتقال هذه السيالة الدافئة من الأصباغِ ، والنغم ، والغريزةِ والإنفعال .. إليك ، تنتهي مهمة الشعر ، فهو ليس أكثر من (كهربة جميلة) تصدم عصبك ، وتنقلك إلى واحاتٍ مضيئةٍ مزروعة على أجفان السحاب .

*

مهمة القصيدة كمهمة الفراشة .. هذه تضع على فم الزهرة دفعةً واحدة جميع ما جنته من عطرٍ ورحيق ، منتقلةً بين الجبل والحقل والسياح .. وتلك – أي القصيدة – تفرغ في قلب القارئ شحنةً من الطاقة الروحية تحتوي على جميع أجزاء النفس ، وتتنظّم الحياة كلها .

يجب أن لا نطلب من الشعر أكثر من هذا . ويتجنى على الشعر الذين يريدون منه أن يغلّ غلة ، ويُنْتج ريعاً . فهو زينةٌ وتحفة باذخة فحسب .. كآنية الورد التي تستريح على منضدتي ، لست أرجو منها أكثر من صحبة الأناقة .. وصدقة العطر ..

لذلك نشأت على كرهٍ عنيد للشعر الذي يُراد من نظمه إقامة ملجأ .. أو بناءً تكيّة .. أو حصرُ قواعد اللغة العربية ، أو تأريخ ميلاد صبي ، أو تعدادُ مآثر الميت على رخامة قبره .

قرأتُ في طفولتي تعاريفَ كثيرة للشعر ، وأهزلُ هذه التعاريف " الشعر هو الكلامُ الموزونُ المُقفَى "

أليس من المخجل أن يلقن المعلمون العرب تلاميذهم في هذا العصر ، عصر فلقِ الذرة ، ومرادِ القمر ، مثل هذه الأكذوبة البلهاء ؟
ماذا تقول للشاعر ، هذا الرجل الذي يحمل بين رثتيه قلبَ الله ، ويضطربُ على أصابعه الجحيم ، وكيف نعتذر لهذا الإنسان الإله الذي تداعب أشواقه النجوم ، وتفزع تنهداته الليل ، ويتكى على مخدته الصباح ، كيف نعتذر له بعد أن نقول له عن قصيدته التي حبكها من وهج شرايينه ، ونسجها من ريش أهدابه " إنها كلام " !

وكلمة (كلام) هذه .. تقفُ في قلبي يابسةً كالشوكة ، لأن ما يدور بين
الباعة على رصيف الشارع هو كلام . والضجة التي ترتفع في سوق
البورصة هي مجموعةٌ من الكلام الموزون .. أيضاً .
فهل الشعرُ عند سادتنا العروضيون هو هذا النوع من الكلام ، دون أن
يكون ثمةَ فرقٌ بين كلامٍ (ممتاز) وكلامٍ (رخيص) ؟
ويقالُ في تعريف ثابٍ للشعر إنه تصوير للطبيعة . وأنا أقولُ إن الفن هو
صنع الطبيعة مرة ثانية ، على صورةٍ أكمل ، نسق أروع .
الطبيعة وحدها ، فقيرةٌ ، عاجزة ، مقيدة بأبدية القوانين المفروضة عليها
هذه الزهرة تنبت في شهر كذا .. وهذا النبع يتفجر إذا انعقدت السحبُ مطراً
، وهذا النوعُ من العصافير يرحل عن البيادر في أوائل الشتاء .
أما في الفنِّ فإنك تشمُّ رائحةَ الأعشاب لمجرد تصفحك ديوانَ ابن زيدون
، وإنك لتستطيع أن تستمع إلى وشوشة الينابيع وأنتَ أمام الموقد ، تقرأ ما
كتب البحترى وابن المعتزِّ .
أستطيع في أي موسم أن أغلق نافذتي ، وأمد يدي إلى مكتبي لأنعم بالورد
والماء وبالعطر وبزقزقة العصافير المغنية ، وهي تنفجر من دواوين
المتنبي ، وبولدير ، وبول فيرلين ، وأبي نواس ، وبشار ، فتُحيلُ مخدعي
إلى مزرعةٍ يصلي على ترابها الضوء والعبير .
الوردةُ الحمراء على الرابية تموت . ولكن الوردةُ المزروعةُ في قصيدة
فلانٍ لا تزال توزع عطرها على الناس وتقطر دمعها على أصابعهم .

*

إننُ فما هو الشعر ؟

كلّ ما قيل في هذا الموضوع لا يتعدى دراسة مظاهر التجربة الخارجية
لا التجربة ذاتها ، كما يدرس العالم النفسي نتائج الغضب والانفعال
والسرور على جسد الإنسان ، وكما يدرس علماء الفيزياء آثار التيار
الكهربائي من ضوء وحرارة وحركة .
وجميع ما قرأته من نظريات المعنى ، والفكرة ، والصورة ، واللفظ ،
والخيال ، ونسبة كل منها في البيت ، إنما تدرس آثار التجربة الشعرية في
العالم الخارجي ، أي بعد انتقالها من جبين الشاعر إلى الورق .
لا أجرؤ على تحديد جوهر الشعر .. لأنه يهزأ بالحدود . ثم ماذا يضيرُ
الشعر إذا لم نجد له تعريفاً ؟
ألَسنا نتقبل أكثرَ الأشياء التي تحيط بنا دون مناقشة ؟ فالروائح ، والألوان
، والأصوات التي يسبحُ كياننا فيها .. تبعثُ اللذةَ فينا دون أن نعرف شيئاً

عن مادتها وتركيبها . وهل تخسرُ الوردةُ شيئاً من فتنتها إذا جهلنا تاريخَ حياتها ؟

لنتواضع إذن على القول : إن الشعرَ كهربةٌ جميلةٌ ، لا تعمر طويلاً ، تكون النفسُ خلالها بجميع عناصرها من عاطفةٍ ، وخيالٍ ، وذاكرةٍ ، وغريزةٍ ، مسربةٌ بالموسيقا .

ومتى اكتستِ الهنيهةُ الشعريةُ ريشَ النغم ، كان الشعرُ . فهو بتعبير موجز (النفسُ الملحنة) .

لا تعرف هذه الهنيهةُ الشاعرةُ موسماً ولا موعداً مضروباً ، فكأنها فوق المواسم والمواعيد . وأنا لا أعرف مهنةً يجهل صاحبها ماهيتها أكثر من هذه المهنة التي تغزل النار

والذي أقرره ، أن الشعرَ يصنع نفسه بنفسه ، وينسج ثوبه بيديه وراء ستائر النفس ، حتى إذا نمت له أسباب الوجود ، واكتسى رداء النغم ، ارتجف أحرفاً تلهت على الورق ..

ولقد اقتنعتُ أن جهدي لا يقدم ولا يؤخر في ميعاد ولادة القصيدة ، فأنا على العكس أعيقُ الولادة إذا حاولتُ أن أفعل شيئاً .

كم مرة .. ومرة .. إتخذتُ لنفسِي وضعاً من يريد أن ينظم ، وألقيتُ بنفسِي في أحضان مقعدٍ وثير ، وأمسكتُ بالقلم ، وأحرقتُ أكثر من لفافة .. فلم يفتح الله عليّ بحرفٍ واحدٍ . حتى إذا كنتُ أعبرُ الطريق بين ألوف العابرين ، أو كنتُ في حلقةٍ صاخبةٍ من الأصدقاء ، دغدغني ألفُ خاطر أشقر .. وحملتني ألفُ أرجوحةٍ إلى حيثُ تقنى المسافات .

*

والشعرُ يحيطُ بالوجود كله ، وينطلقُ في كل الاتجاهات ، فترسم ريشته المليحَ والقبيحَ ، وتتناولُ المترفَ والمبتذلَ ، والرفيعَ والوضيع . ويخطئُ الذين يظنون أنه خطٌ صاعدٌ دائماً ، لأن الدعوة إلى الفضيلة ليست مهمة الفن بل مهمة الأديان وعلم الأخلاق . وأنا أو من بجمال القبح ، ولذة الألم ، وطهارة الإثم . فهي كلها أشياء صحيحة في نظر الفنان .

تصوير مخدع موسى ، واردٌ في منطق الفنِّ ومعقول ، وهو من أسخى مواضيع الفنِّ وأغزرها ألواناً . أما المومسُ من حيثُ كونها إناءً من الإثم ، خطأ من أخطاء المجتمع ، فهذا موضوع آخر تعالجه المذاهبُ الاجتماعية وعلمُ الأخلاق .

يقولُ مروتشه في نقد المذهب الأخلاقي في الفنِّ : " إن العملَ الفني لا يمكن فعلاً نفعياً يتجه إلى بلوغ لذة أو استعباد ألم ، لأن الفنَّ من حيثُ هو فنٌّ لا شأن له بالمنفعة . وقد لوحظَ من قديم الأزمان أن الفنَّ ليس ناشئاً عن

الإرادة . ولئن كانت الإرادة قوامَ الإنسان الخير ، فليست قوامَ الإنسان الفنان . فقد تعبرُ الصورة عن فعلٍ يُحمد أو يذم من الناحية الخلقية ، ولكن الصورة من حيث هي صورة لا يمكن أن تحمد أو تذم من الناحية الأخلاقية؟ لأنه ليس ثمة حكمٌ أخلاقي يمكن أن يصدر عن عاقلٍ ، ويكون موضوعه صورة .

" إن الفنان فنان لا أكثر ، أي إنسان يُحبُّ ويعبرُ ، ليس الفنان من حيث هو فنان عالماً ، ولا فيلسوفاً ولا أخلاقياً . وقد تنصبُّ عليه صفةُ التخلق من حيث هو إنسان ، أما من حيث هو فنان خلاق ، فلا نستطيع أن نطلب إليه إلا شيئاً واحداً ، هو التكافؤ التام بين ما يُنتج وما يشعر به .. " .
لو صح لنا أن نقبل ما زعمته المدرسة الأخلاقية في الفنِّ لمات الفنِّ مختنقاً بأبخرة المعابد ، ولوجب أن نحطم كل التماثيل العارية التي نحتها ميشيل أنجلو ، والصور البارعة التي رسمها رفايل .. لأنها إثم يجب أن لا تقع فيه العين .

لو ذهبنا مع أشياخ هذه المدرسة إلى حيث يريدون ، لوجب أن نُخرج من حظيرة الجيد قصيدةَ النابغة التي قالها في زوجة النعمان وقد انزلق منزرها عن نهديها .. شابين .. مرتعشين :

سقط النصفُ ولم تردْ إسقاطهُ

فتناولته واتفقنا باليــــدِ ...

ولكان علينا أن نلعنَ النابغة ، ونعتبره ضالاً لا يستحق أن نقرأ سيرته وأشعاره .

*

وبعدُ .. وبعدُ .. ففي يد القارئ حروفٌ دافئة تتحرك على بياض الورق ، وتتسلق أصابعهُ لتعانق قلبه .

هذه الأحرف لم أكتبها لفئةٍ خاصةٍ من الناس رَوْضوا خيالهم على تذوق الشعر ، وهياتهم ثقافتهم لهذا .

لا .. إنني أكتبُ لأي (إنسان) مثلي يشترك معي في الإنسانية ، وتوجد بين خلايا عقله ، خليةٌ تهتزُّ للعاطفة الصافية ، وللواحات المزروعة وراء مدى الظن ..

أريد أن يكون الفنُّ ملكاً لكل الناس كالهواء ، وكالماء ، وكغناء العصفير ، يجب أن لا يُحرمَ منها أحد .

إذن ، يجب أن نعممَ الفنَّ ، وأن نجعله بعيدَ الشمول . ومتى كان لنا ذلك استطعنا أن نجلب الجماهير المتهالكة على الشوك ، والطين ، والمادة الفارغة ، إلى عالمٍ أسواره النجوم ، وأرضه مفروشةٌ بالبريق .

متى جذبنا الجماهير إلى قمتنا ، نبذوا أنانيتهم ، وتخلوا عن شهوة الدم ،
وخلعوا أثواب رداءهم ، وهكذا يغمر السلام الأرض ، وينبت الريحان في
مكان الشوك .

إنني أحلمُ (بالمدينة الشاعرة) لتكون إلى جانب مدينة الفارابي
(الفاضلة). وحينئذ فقط . يكتشف الإنسان نفسه ، ويعرفُ الله ..
وفي سبيل هذه الفلسفة ، فلسفة الغناء العفويّ ، حاولت فيما كتبتُ أن أردّ
قلبي إلا طفولته ، وأتخير ألفاظاً مبسطة ، مهموسة الرنين ، وأختار من
أوزان الشعر أطفها على الأذن .
فإذا أحسّ القارئ بأن قلبي صار مكان قلبه ، وانتفض بين أضلاعه هو ،
وأنه يعرفني قبل أن يعرفني ، وأني صرتُ فماً له وحنجرة ، فلقد أدركتُ
غاييتي ، وحققتُ حلمي الأبيض ، وهو أن اجعلَ الشعر يقومُ في كلّ منزل
إلى جانب الخبز والماء ...

نزار قباني

١٩٤٧

مَنِّي

إن رفَّ يوماً .. كتابي
حديقةً في يديك
وقالَ صديكُ : شعرٌ
يقالُ في عينيكَ ..
لا تخبري الوردَ عني
إني أخافُ عليكِ
ولا تبوحِي بسري
ومن أكونُ لديكِ
ولتقرأيه بعمقٍ
ولتُسبلي جفنيكَ
ولتجعليه بركنٍ
مُجاورٍ نهديكَ
هذي وريقاتُ حُبِّ
نمتُ على شفتيكَ
عاشتُ بصدرِي سنيماً
لكي تعودَ إليكِ

أنهار

وتلكَ بضعةُ أزرارٍ .. لقد كسرت
على جداري .. فبيتي كله عبقُ

تعانقتُ عند شباكي .. فيا فرحي
غداً .. تسدُّ الربى بالورد .. والطرقُ

ما هذه العُلبُ الحمراء .. قد فُتحتُ
مع الصباحِ ، فسالَ الوهجُ والألقُ

لي عُرفةٌ .. في دروب الغيمِ عائمةٌ
على شريطِ ندى ، تطفو وتنزلقُ

مبنيةٌ من غُيِّماتٍ مُنْتَفَةٍ
لي صاحبان بها .. العصفورُ .. والشفقُ

أمام بابي .. نجوماتٌ مَكْـوَمَةٌ
فتستريحُ لدينا .. ثم تنطلقُ ..

فَللصباحِ مرورٌ تحسّتِ نافذتي
وفي جوارِ سريري ، يرتمي الأفقُ

كم نجمةٍ حرةٍ .. أمسكتها بيدي
وللتطلعِ غيري ، ما له عُنُقُ

يقصّرُ الشعرُ من عُمرِي ويتلفني
إذا سعيتُ ، سعى بي العظمُ والخرقُ

النارُ في جبهتي .. النارُ في رئتِي
وريشتي بسعالِ اللونِ تختنقُ ..

نهرٌ من النارِ في صدغي يعذبني
إلى متى ، وطعامي الحبرُ والورقُ ؟

وما عتبتُ على النيرانِ تأكلني
إذا احترقتُ ، فإن الشهبَ تحترقُ

إني أضأتُ .. وكم خلقٍ أتوا ومضوا
كأنهم في حسابِ الأرضِ ما خلَقوا ..

* * *

غداً ستحتشدُ الدنيا لتقرأني
ونخبَ شعري ، يدورُ الوردُ .. والعرقُ

اليومَ بضعةَ أزرارٍ .. ستعقبها أخرى
وفي كلِّ عامٍ ، يطلعُ الورقُ ..

بلادي

مِنْ لثَغَةِ الشَّحْرُورِ ، مِنْ
بَحَّةِ نَيْيِ مُحْزَنَةٍ

مِنْ رَجْفَةِ الْمُوَالِ .. مِنْ
تَنْهَاتِ الْمُنْذَنَةِ ..

مِنْ غَيْمَةٍ تَحْبِكُهَا
عِنْدَ الْغُرُوبِ الْمَدْخَنَةِ

وَجُرْحِ قِرْمِيدِ الْقَرْيِ
الْمَنْثُورَةِ الْمَزِينَةِ ..

مِنْ وَشُوشَاتِ نَجْمَةٍ
فِي شَرْقِنَا مَسْتَوْطِنَةٍ

مِنْ قِصَّةِ تَدْوُرٍ
بَيْنَ وَرْدَةٍ .. وَسَوْسَنَةٍ

وَمِنْ شَذَا فَلَاحَةٍ
تَعْبِقُ مِنْهَا (الْمِجَنَّةُ)

وَمِنْ لِهَاتِ حَاطِبِ
عَادِ بَفَاسٍ مُوهَنَةٍ ..

جِبَالِنَا .. مَرْوَحَةٍ
لِلشَّرْقِ .. غَرْقِي ، لِيِنَّةِ

تُوزَعُ الْخَيْرَ عَلَى الدُّنْيَا
ذُرَانَا الْمُحْسِنَةِ

يطيبُ للعصفور أنْ
يبني لدينا مسكنه ..

ويغزلُ الصفصافُ ..
في حُضن السواقي موطنه

حدودنا بالياسمينِ
والندى محصنه

ووردنا مُفتحُ
كالفكرِ الملوننه ..

و عندنا الصخورُ تهوى
والدوالي مُذمنه

وإنْ غضبنا .. نزرع
الشمسَ سيوفاً مؤمنه ..

* * *

بلادنا كانت .. وكانت
بعدَ هذا الأزمنه ..

على الغيمِ

قرشتُ أهدابي .. فلن تتعبي
نزهتنا على دمِ المغربِ

في غيمةٍ ورديةٍ .. بيتنا
نسبحُ في بريقها المذهبِ

يسوقنا العطرُ كما يشتهي
فحيثما يذهبُ بنا .. نذهبُ .

خذي ذراعي .. دربنا فضةً
ووعدنا في مخدعِ الكوكبِ

أرجوك .. إن تمسحت نجمة
بذيل فستانك ، لا تغضبي ..

فإنها صديقة .. حاولت
تقبيل رجلك ، فلا تعتبي
* * *

ثقي بحبي .. فهو أقصوصة
بأدمع النجوم لم تكتب

حبي .. بلون النار، إن مرة
وشوشة عنه الحب، يستغرب

لا تسأليني .. كيف أحببتني ؟
يدفعني إليك .. شوق نبي ..

و الله .. إن سألتني نجمة
قلعتها من أفقها .. فاطلبي ..

هل كان ينمو الورد .. في قمتي ؟
لو لم تهلي أنت في ملعب

و مطلبي لديك ما يطلب
العصفور عند الجدول المعشب

و أنت لي .. ما العطر للوردة
الحمراء .. لا أكون إن تذهبي ..

وشوشة

في ثغرها ابتهاج
يهمس لي : تعال

إلى انعتاقٍ أزرَقِ
حدودهُ المحالُ

نشرُدُ تيّاري شَذَا
لم يخفقا ببالُ

لا تستحي .. فالورد في
طريقنا تـلالُ

ما دمت لي .. مالي وما
قيلَ ، وما يُقالُ ..
* * *

وشوشةٌ كريمةٌ
سخيةٌ الظلالُ

ورغبةٌ مبجوحةٌ
أرى لها خيالُ

على فمٍ يجوعُ في
عروقه السؤالُ ..

يهتفُ بي عقيقهُ
غداً لك النوالُ
* * *

أنا كما وشوشتني
ملقىً على الجبالُ

مخدتي طافيةٌ
على دمِ الزوالُ

زرعتُ ألفَ وردةٍ
فدى انفلاتِ شالُ

فدى قميصٍ أخضرٍ
يوزعُ الغلالُ ..

قومي إلى أرجوحةٍ
غريقةٍ الحبالُ

نأكل من كرومنا
ونطعمُ السلالُ

ونشربُ الفمَ الصغيرَ
سُكراً حلالُ

إن أَلِثمَ اليمينَ منك
قلتِ : والشمالُ ؟

لا تسألِي : تُحِبِنِي ؟
كنتُ ولا أزالُ

بيت

قالتُ : حرامٌ أن يكونَ لنا
على أراجيحِ الضيا .. بيتٌ ؟

يغسلُ البريقُ شباكهُ
وسقفهُ طرزهُ النبتُ

وفيه آلاتُ الهوى كلها
الكوبُ .. والقربةُ .. والتختُ ..

كمنزلِ العصفورِ .. أرضى به
فيه الطعامُ السمحُ .. والصمتُ

أقولُ فيه كلَّ شيءٍ .. فلا
بُحِتَ بما كان .. ولا بُحِتُ

وبعدها ... لا بأسَ أن ننظفي
كالعطر ، لا حسٌ .. ولا صوتٌ ..

لولاك

أفكرُ .. لولاك
لو لم يَبْحُ عن عبيرك عيبُ
لو ان اشقارَ صباحي .. لم ينزرع فيه هُذبٌ ..
ولولا نعومةُ رجلكِ ..
هل طرَزَ الأرضَ عُشبٌ ؟
تدوسين أنتِ ..
فللصبحِ نفسٌ .. وللصخرِ قلبُ
تُرى يا جميلةُ ، لولاكِ ، هل ضجَّ بالوردِ دربُ ؟
ولولا اخضرارُ بعينيكِ ثرُّ المواعيد ، رحبُ
أيسبِحُ بالضوءِ شرقٌ .. ؟
أبيتلُّ باللونِ غربُ ؟
أكانتِ تذرُّ البريقَ الرماديَّ ، لولاكِ ، شُهْبُ ؟
أكانتِ ألوفُ الفراشاتِ في الحقلِ ، طيباً تعبُ ؟
لو أني لستُ أحبكِ أنتِ ..
فماذا أحبُّ ؟

على البيادر

وتقولين لي : أجيءُ مع الضوءِ
بحضنِ البيادرِ الميعادُ ..

أنا ملقى على بساطِ بريقٍ
حولِي الصحوُ .. والمدى .. والحصادُ

جئتُ قبل العبيرِ ، قبلَ العصافيرِ ،
فللطلِّ في قميصي احتشادُ

مقعدي ، غيمةٌ تطلُّ على الشرقِ
وأفقي تحرُّرٌ وامتدادُ

أتملى خلفَ المسافات .. وجهاً
برعمتُ من مروره ، الأبعادُ ..

وتأخرتِ .. هل أعاقك عنيّ
كومُ الزهرِ ، أم همُ الحسادُ ؟

أم نسيتِ المكانَ حيثَ درجنا ؟
منزلُ الوردِ بيتنا المعتادُ

والجدارُ العتيقُ وكرُ حكايانا
إذا نحنُ في الهوى أولادُ ..

نحنُ من طرّزَ المساءَ نجوماً
ولنا عمرُ وردةٍ .. أو نكادُ ..

وزرنا على الجبالِ الدوالي
فاذا الأرضُ تحتنا أعيادُ

لم يكنْ حبكِ العميقُ ارتجالاً
هو رأيُّ .. وفكرةٌ .. واعتقادُ ..

لا تقولي أعودُ .. بُحَّ انتظاري
حبنا كان مرةً .. لا تعادُ

أين هُذبُ يمرُّ .. منسبلَ الريشِ
قصيفاً ، يُغمى عليه السوادُ

تعبَ الجرحُ يا ملونةَ العينِ
وطاشَ الهدى ، وضلَّ الرشادَ

فاهمري في المدى ضفيرةَ نورٍ
يسفحَ الخيرَ ، طيفك المرتادُ

وتلوحين .. ديمةَ تعصرُ الرزق
فيجري الندى .. ويرضى العبادُ

فإذا منزلي مساكبُ وردٍ
وبثغري ، هذي القوافي الجيادُ
* * *

ومتي تُدركين .. أنكِ أنثى
عند نهديكِ .. يؤمنُ الإلحادُ ؟

على الدرب

زُرْ مرةً ما أصبحك !
وابسطُ عليّ أجنتك
هيأتُ قلبي .. فالتصقُ
تعرفُ أنتَ مطرحك
طرقك الوُدُ فدسُ
وشوشني : لنُ يجرحك
سألتُ فيكَ اللهَ يا معذبي أن يُصلحك
إقلع حبيبي .. أجرمَ الوشاحُ حينَ وشحك
واقعد معي ..
أبيعُ عمري كلهُ كي أربحك ..

الضفائر السود

" رآها تتسرح مرةً وتنشر
الليل عسلى على كتفيها ... "
ياشعرها .. على يدي
شلالَ ضوءٍ أسودٍ ..

ألمةُ .. ألمةُ
سنايلاً لم تُحصدِ ..

لا تربطيه .. واجعلي
عل المساءِ مقعدي ..
من عمرنا .. على مخدات

الشذا ، لم نرقد ..

* * *

وحررتُهُ .. من شريطٍ
أصفرٍ .. مغردٍ

واستغرقتُ أصابعي
في ملعبٍ .. حرٍ .. ندي

وفرٍ .. نهرٍ عتمَةٍ
على الرخامِ الأجدٍ ..

تُقَلِّني أرجوحةً سوداءُ
حيرى المقصدٍ ..

توزعُ الليل .. على
صباحٍ جيدٍ أجيدٍ

هناك . طاشتُ خصلة
كثيرةً التمردٍ ..

تسرّ لي .. أشواق صدرٍ
أهوج . التهدٍ ..

ونبضةَ النهدي الصغيرِ
الصاعدِ .. المغردِ

تستقطرُ النبيذ من
لونٍ فمٍ لم يُعقدٍ ..
وترضعُ الضياءَ .. من
نهدٍ .. صبيِّ المولدِ

* * *

قد نلتقي في نجمةٍ

زرقاء لاتستبعدي

تصوري ماذا يكون العمرُ
لو لم توجدي !

دومرنا القمر

جعتُ .. وجاع المنحدرُ
ولا أزال أنتظرُ ..

أنا هنا وحدي .. على
شرقِ رماديِّ السُترِ

مستلقياً على الذرى
تلهتُ في رأسي الفكرُ

وأرقبُ النوافذ الزرقَ
على شوقِ كفرٍ ..

أقول : ما أعاقها
فستانها .. أم الزهرُ ؟

أم وردةٌ تعلقتُ
بذيل ثوبها العطرُ ؟

أم الفراشاتُ .. ترامتُ
تحت رجليها .. زمرُ ؟

وأقبلتُ .. مسحوبةً
يخضرُ تحتها الحجرُ ..

ملتفة بشالها
لايرتوي منها النظرُ
أصبي من الضوء ..

وأصفي من دُميعاتِ المطرِ

قالتُ : صباحِ الوردِ ..
هذا أنتَ ، صاحبِ الصِغْرِ ؟

ألا تزالُ مثلما
كنتَ .. غلاماً ذا خطرٍ ؟

تجعلني .. على الثرى
لُعباً .. وتقطع شعراً ..

فإن نهضنا .. كان في
وجوهنا ألفُ أثرٍ

زمانَ طرزننا الربى
لثماً .. وألعاباً أُخرُ

مخوّضينِ في الندى
مغلغلينِ في الشجرِ

أي صبيِّ كنتَ .. يا
أحبَّ طفلٍ في العمرِ ؟
* * *

قلتُ لها : الله ..
ما أكرمها تلكَ الذكرُ

أيامِ كنا كالعصافيرِ
غناءً .. وسمراً

نسابقُ الفراشةَ البيضاءً
ثمَّ ننتصرُ

وندفعُ القواربَ الزرقاءَ ..

في عرض النهر ..

وأخطفُ القبلة من
ثغرٍ .. بريءٍ .. مختصرٍ ..

ونكسرُ النجومَ .. ذراتٍ
ونحصي ما انكسرُ ..

فيستحيلُ حوانا
الغروبُ .. شلال صورٍ

حكايةٌ نحنُ .. فعندَ
كلُّض وردةٍ خبرٍ !..
* * *

إن مرةً .. سُئلتِ قولي :
نحن دورنا القمرُ ..

سؤال

تقولُ : حبيبتِي إذا ما نموتُ
ويدرج في الأرض جثماننا

إلى أي شيء يصيرُ هوانا
أبيلَى كما هي أجسادنا ؟

أيتلفُ هذا البريقُ العجيبُ ؟
كما سوف تتلفُ أعضاؤنا

إذا كان للحبِّ هذا المصيرُ
فقد ضيعتُ فيه أوقاتنا
* * *

أجبتُ : ومن قال إنا نموتُ ؟
وتنأى عن الأرض أشباحنا
ففي غرفِ الفجرِ يجري شذانا

وتكمنُ في الجو أطيابنا

نفيق مع الورد صبُحاً ، وعند
العشياتِ تَقْفُلُ أجفاننا

وإن تتفخِ الرِيحُ طَيَّ الشقوقِ
ففيها صدانا وأصواتنا

وإن طننتُ نحلةً في الفراغِ
تطن مع النحل قبلاتنا ..

* * *

نموتُ ... أما أسفُ أن نموتَ ؟
وما يبست بعدُ أوراقتنا

يقولون : من نحن ؟ نحن الذين
حرامٌ إذا ماتَ أمثالنا

ندوسُ فتمشي الطريق غللاً
ونُلمي الحشائشَ أقدامنا

سيسألُ عنا الرعاةُ الشيوخُ
وتبكي العصافير أصحابنا

سيخسرنا الحرجُ والحاطبونَ
وتكسُدُ في الأرض أخشابنا

غداً لن نمر عليهم مساءً
ولن تملأ الغاب نيراننا

وزرُقُ الحساسين من بعدنا
سيطعمها ، وهي أولادنا

وفرشنا ، كورننا في الشتاء

بها اللففات .. وأعابنا

أنتركها .. كيف نتركها ؟
وما أرهقت بعدُ أعصابنا

ومخائبنا في السياج العتيق .
تدور .. تدور .. حكاياتنا

وأنتِ بقلبي ملصوقة ..
يطولُ على الأرض إغماؤنا
* * *

سنبقى .. وحين يعود الربيعُ
يعود شذانا .. وأوراقنا ..

إذا يُذكرُ الوردُ في مجلسٍ
مع الورد ، تسرد أخبارنا ..

شَرْق

كُسرتُ جرارُ اللونِ .. موعدنا
في الغيم .. تحت نوافذ الشرقِ .

بمرافئ الفيروز .. رحلتنا
وعلى ستور المغرب الزرقِ .

ومع العبير تسوخُ فرشتنا
ورديةً .. عطريةً الخفقِ ..

وطعامنا ورقُ الورودِ .. وما
في الليل ، من نغمٍ ومن عشقِ .
* * *

أحرقنتي .. ومضيتِ كاذبةً
قولي ، أتلتدينَ في حرقِي ؟
عُمري يباحُ لمنزِرٍ خضلٍ

ثر المواسم ، غامر الرزقـ

أفدي وراء الوهم .. قادمةً
كالضوء ، من ترفٍ ومن ذوقـ

قبلَ المجيء .. أشمُّ فكرتها
وأحسُّ خطوتنا على عرقي
* * *

يا نوبتي .. وهواكِ يأكلني
صعبٌ بأن تتجاهلي شوقي

مُرِّي .. بجوع بيادري كرمًا
وتقطري سحباً .. على أفقي ..

من كوة المقهى

" مرّت كزوبعة العطر ...
تاركةً في جو المقهى خيطاً
من عبير ... "

لا تُسرعي .. فالأرضُ منك مزهرة
ونحنُ في بحيرةٍ معطره ..

إلى صديقٍ ، أم تُرى لموعدي ؟
تائهةً كالفكرة المحرره

والبسمةُ النعماءُ .. فوق ميسمٍ
مسترطبٍ ، تخجلُ منه السكره

أم أنتِ لا تبغين مثلي وجهةً
فتضربين في المدى مستهتره

إذا أردت الدفاء .. عندي مقعدُ
في هذه الزاوية المفكره

* * *

مَنْ عَلَّمَ النُّجُومَ كَيْفَ تَخْتَفِي
بِهَذِهِ الْمُتَلْتَفَةِ الْمُزْنَرِّهِ ؟

على جروحي .. نقلةً فنقلةً
تقلبي ، حديقةً مُخْضَوْضِرَهُ

تدفعني شلالَ عطرٍ .. والعبي
على نجوم المغربِ المُكْسِرَهُ

تنبّهَ المقهى لخيطةٍ خيرٍ
من الشذا .. نرّميه ساقُ خيرِهِ

مهموسةُ الإيقاع .. يالجبوقةٍ
صادحةٍ .. صائحةٍ .. مُعْبِرَهُ ..

ويغزلُ اللهبَ حولي جوربُ
جُنَّ على رخامةٍ مُشْمِرَهُ
* * *

من ربوةٍ شقراءَ .. جاءتْ نفضةُ
دفيئةُ .. شهيةُ .. مُعْطِرَهُ ..

تنتقل لي من نهدها .. رسالةً
غريقةً بالطيب ، رِيًّا ، مُزْهَرَهُ ..

غنيةَ المرور .. مثلَ هذه
فلتكنِ الرسائلُ المحبرَهُ ..

لو تقبلين دعوتي .. فإنني
مُحِيرٌ يبحثُ عن محيره ..

أقصمُ من لفاقتي مقاطعاً
وأحتسي أخيلةً وأبخرَهُ

ما ضرَّ لو شاركتني مائدتي
في هذه الخمارة المثرثرة

لا تسألني ما اسمك؟ ما أنت؟ أنا
رطوبةُ القبو .. وصمتُ المقبرة ..

شمعة ونهد ..

يا صاحبي في الدفء
إني أختك الشمعة

أنا .. وأنت .. والهوى
في هذه البقعة ..

أوزعُ الضوء .. أنا
وأنتَ للمتعة ..

في غرفةٍ فنانةٍ
تلفها الروعة

يسكنُ فيها شاعرٌ
أفكارهُ بدعة

يرمقنا .. وينحني
يخط في رُقعة ..

صنعتهُ الحرفُ .. فيا
لهذه الصنعة ..

يا نهدُ .. إني شمعةٌ
عذراءُ .. لي سمعةٌ
إلى متى؟ نحنُ هنا
يا أشقر الطلعة ..

يادورقَ العطور .. لم
يتركُ به جرعة ..

أحلمةٌ حمراءُ .. هذا
الشيءُ .. أم دمعهُ ؟

أطعمتهُ .. يانهذُ قلبي
قطعةً .. قطعةً ..

* * *

تلفتَ النهذُ لها
وقالَ : ياشمعهُ !.

لا تبخلي عليه مَنْ
يعطي الوري ضلعةً ..

إلى ساق ..

" نزلت من السيارة بحركة طائشة
فانزاح ستر .. وعريدت ثلوج ...
ثم استقرت في مقعدٍ وثيرٍ صالبةً
ساقها ... "

يا انصفارَ الرخام .. جاعَ بيَ الجوعُ
لدى رقةِ الردا المسحوب ..

قيلَ : ساقُ تمرٍ .. وارتجفَ الفلّ
حبالاً ، على طريقٍ خصيبٍ ..

إنها طفلةٌ سماويةٌ العين ..
بفيها ، بعدُ ، اخضلالُ الحليبِ

عربدتُ ساقها .. تُهيرَ أناقاتٍ
وسالَ البريقُ في أنبوبٍ ..
* * *

أقعدي .. بر عمي الصغير .. استقري
بعروقي .. بجفني المتعوب ..

أيُّ إثمين أشقرين .. تمدينَ ..
أضيفي إلى سجلِّ ذنوبي

ولدى الركبتينِ .. تعوي شراهااتي
على ثنيةِ اسمرارٍ رهيبٍ ..

يا صليبَ الإغراء .. من خصلتي زهرٍ
فاهي لمسحِ هذا الصليبِ

يا دروب الحرير .. ماتت مسافاتي
وقالت : لقد تعبتِ . دروبي
* * *

إذهبي . غيري مكانك .. إخفي
ترفَ الساق .. أنتِ أصلُ شحوبي

أدخليها لوكرها .. كلُّ عرقٍ
من عروقي يصيحُ : أين نصيبي ؟

القاهرة - ١٩٤٧

.. حلمة ..

تهزّهزي .. وثوري
يا خصلة الحريرِ
يا مبسم العصفور .. يا
أرجوحة العبيرِ ..
يا حرفَ نارٍ .. سابحاً
في بركتي عَطُورِ
يا كلمةً مهموسةً
مكتوبةً بنورِ ..
سمرأءٍ . بل حمراءُ .. بل
لونها شعوري
دميعةٌ حافيةٌ
في ملعبِ غميرِ ..
أم قبلةٌ تجمدتْ

في نهدك الصغير
وارتسمت شرارةً
مُخيفةً الهدير ..
مِظلةً شقراءُ .. فوقَ
قسوةِ الهجير ..
ملمومةً .. مضمومةً
فضيةً السرير ..
إبريقٌ وهجٍ .. عالقٌ
بهضبتي سرور ..
أم أنتِ شباكٌ هوى
مطرزُ الستور ..
مزروعةً قلَع دمٍ
ملونٌ المرور ..
فراشةً .. مخطوطةً
الجناح في غدير ..
ونجمةً مكسورةً الريش ..
على الصخور ..
دافئةً .. كأنها
مرتٌ على ضميري
* * *

يا حبةَ الرمان .. جُنِّي
والعبي .. ودوري ..
ومزقي الحرير .. يا
حبيبةَ الحرير ..

العين الخضراء

" جاءت وفي يدها دفتر صغير ...
ورغبت إلى الشاعر أن يكتب شعراً
في عينيها ...
فإلى صباح عينيها الخضراوين
هذه الحروف ... "

قالت : ألا تكتبُ في محجري ؟
وانشقَّ لي حُرَجٌ .. ودربٌ ثري

إنهضْ لأقلامك .. لا تعتذرْ
من يعصِ قلبَ امرأةٍ .. يكفرِ ..
* * *

وارتعشتْ جزيرةٌ في مدى
مزعرٍ .. مُعطرٍ .. أنورِ

خضراءُ ، بين الغيمِ مزروعةٌ
في خاطرِ العبيرِ لم تخطرِ ..

يروونَ لي أخبارَ صفصافةٍ
تغسلُ رجليها على الأنهرِ ..

لا تسبلي ستارةً غضةً
دمي .. لشباكِ هوى أخضرِ

خَلّي مسافاتي .. على طولها
باللهِ .. لا تحطمي منظرِي ..
* * *

باءتْ مع الصباحِ لي غابةٌ
تقولُ : من نتفَ لي منزري ؟

حشدتِ أوراقَ الربى كلها
ضمنَ إطارٍ .. بارعٍ .. أشقرِ

يا عينُ .. يا خضراءُ .. يا واحةً
خضراءَ ترتاحُ على المرمرِ ..

أفدي اندفاقَ الصيفِ من مقلةٍ
خيرةٍ .. كالموسمِ الخيرِ

يا صحوُ .. أطعنك من صحتي
لا يوجدُ الشتاءُ في أشهري ..
* * *

في عينيها .. لونُ مشاويرنا
نشرُدُ بينَ الكرمِ والبيدرِ

والشمسُ .. والحصادُ .. والمنحنى
إذ نهدك الصبيُّ لم ينفـر ..

أيّ صباحٍ لبـلادي غفا
وراءَ هُـدبٍ ، مطمئنٍ ، طري ..

عيناكِ .. يا دنيا بلا آخرٍ
حدودها .. دنيا بلا آخرِ

كسرتُ .. آلافَ النجومِ على
دربِ ستجـازينه .. فكـري ..

لـو ..

تصوري .. لو أنتِ لم تُوجدي
في ذلكِ الحفلِ البهيجِ الوضي

لو حينَ راودتُكِ عن رقصَةٍ
مهموسةٍ ، رأيتِ أن ترفضِي

ولم تَقُلْ أمُكِ مَزْهُوَةٌ :
إن الفتى يدعو .. ألا فانهضي ..

لو أن مندليكِ لم ينزلقُ
في زحمةٍ من ذلكِ المعرضِ

فقلتُ : يا سيدتي .. لحظةً ! ..
ذهلتِ عن مندليكِ الأبيضِ

هنيهةً زرقاءُ لو أفلتتُ
مني لم أعرضُ .. ولم تعرضي

من ذلك التاريخ جاءَ الهوى
وقبلُ .. لم أعشقُ ولم أبغضِـ

ليلتها ، عُدتُ إلى حجرتي
وبي عبيرٌ منك لا ينقضي ..

حاولتُ أن أنسى فلم بغمضُ
جفني ، وجفنُ الحبِّ لم يُغمضِـ

لو لم يكنُ ما كان .. لم ترتعشُ
لي ريشةٌ ، والشعرُ لم أقرضِـ

وظلَّ قلبي موحشاً ، يابساً
لم يعرفِ الدفاءَ .. ولم ينبضِـ

إلى مرداءٍ أصفرٍ ..

مرحباً يا رداءً .. يا صيحةَ الطيب
وصُبَّحتَ بالرضا .. يا رداءً

يا مريضَ الخيوطِ .. يا أصفرَ الهمسِ
صباحي عليكِ وردٌ وماءٌ ..

منْ بدربي رماكْ ؟ شلالَ لونِ
فطريقي براعمُ خضراءٍ ..

دُرتُ .. واحنرتُ .. واحتفلتُ بصدري
مسحتهُ بكفها الكبرياءُ ..

إنسدلِ يا طويلُ . دُسْ فوقُ نهدِ
زنبقي .. صلى عليه الضياءُ ..

منْ شحوبي عُزلتَ ثوباً أنيقاً
ترتديه عملاقةٌ فرعاءُ ..

أنتَ يا زارعَ الطريقِ .. حكايا
لو تعادُ الحكايةُ الصفراءُ ..

لكَ ما شئتُ .. معصمٌ ، وذراعُ
ثم نهْدُ .. مخدةٌ بيضاءُ ..

لكَ بالخصرِ وقفةٌ .. وعلى الردفِ
انهيارٌ .. وشهقةٌ .. وارتماءُ

ووراءَ الورااءِ .. ثمةَ خيطُ
أكلتُ منه حلماً حمقاءُ ..

هي أعطتكَ ما تريدُ .. فصفقُ
واسترحُ يا رداءُ حيثُ تشاءُ ..

لحظةٌ .. يا معطرَ الخيطِ .. جاءتُ
بي للطيبِ ، شهوةٌ شهاءُ

أنتَ نفسي ، ولونُ خيطكَ لوني
وعطوري ، عطوركَ السوداءُ

فيكَ بعضُ الشتاءِ .. يا صاحبَ الخيطِ
وكلَّ الفصولِ عندي شتاءُ ..
* * *

يا خريفيةَ الرداءِ .. عُروقي
تحتُ أمطارِ عطركَ استجداءُ ..

مرسالة

وأخيراً .. أخذتُ منكِ رسالةً
بعد عامٍ لم تكتبي لي خلاله
عرّشتُ وردةً على الهدبِ .. لما
رحتُ أتلو سطورها في عجاله

أبريدُ الحبيبةَ الغضُّ .. هذا ؟
أم ربيعٌ مُجرِّرٌ أذباله
فعلَى أرضِ حُجرتي اندفعَ الزهرُ
وفوقِ الستارةِ المنهاله
مرحباً .. ضيفَةَ الهوى ، بجفوني
رقعةٌ ، عاطفيةٌ ، سلساله
كلُّ حرفٍ فيها خزانه طيب
يا له عطركِ النسائيِّ .. يا له
وعليها تركتِ ما يتركُ النهْدُ
صباحاً .. على نسيجِ الغلاله
إنه خطكِ النسيقُ .. أمامي
مدَّ فوقِي وروده .. وظلاله
أنثويُّ .. ململمُ الحرفِ .. ممدودٌ
أحبُّ انحصاره .. وانفتاله ..
أنتِ في غرفتي .. وما أنتِ فيها
صورةٌ في خواطري مُختاله
أنتِ بين الحروفِ .. هدبٌ رحيمٌ
وفمٌ .. رفَّ رحمةً ونباله ..
كلتُ شيءٍ .. حتى لهائكِ فيها
والسراجُ الذي يصبُّ سُعاله
وانقباضُ الفمِ الصغيرِ .. وصدْرُ
هاجمُ الحلمتينِ .. أفدي انفعاله
إنني سامعٌ صياحَ قميصِ
شرسٍ .. زلزلَ الهوى زلزاله
وأعي إذ أعي .. انفلاته شعْرٍ
عجري . أرخى عليَّ خياله
* * *

لا تكوني بخيلةً .. واكتبي لي
في عروقي مقررٌ كلُّ رساله ..

الشِّفَة

مُنْضَمَةٌ .. مُزْقَرَقَةٌ
مبلولةٌ كالورقة

سبحانه من شققها
كما تشقُّ الفستقَّة
نافورةٌ صادحةٌ
وفكرةٌ مُحلقةٌ
وعاءٌ وردٍ أحمرٍ
في غرفةٍ مُزوّقةٍ
وباقةٌ من كرزٍ
بأمها معلقةٌ
ماذا على السياج؟
أيُّ وردةٍ ممزقةٍ
قررتَ على لين الحرير
لوحةً موفقةً ..
وعرّشتَ على بياضٍ
وجهها كالزنبقة
رفيقةٌ للهدبِ ،
للجديلةِ المصفقةِ
للمقلةِ الخضراءِ ..
للغلالةِ المغرورقةِ
كم قبلةٍ زرعتها
منغومةٌ مموسقةٌ
على فمٍ كأنما
خلاقُهُ ما خلقهُ
وأنتِ فوق ساعدي
مأخوذةٌ مُستغرقةٌ
مرتاعةٌ .. ضفيرةٌ
حيرى ، وعيناً مُغلقةً
أبيننا .. ما بيننا
وأنتِ خجلي مُطرقةٌ ؟

إلى مضطجعة ..

.. ويقالُ عن ساقيكِ : إنهما
في العُرِّي .. مزرعتانِ للفلِ
ويقالُ : أشرطةُ الحريرِ .. هما

ويقالُ : أنيوبانٍ من ظلِّ
ويقالُ : شلالانٍ من ذهبٍ
في جوربٍ كالصبحٍ مبتلٍ
هربَ الرداءُ وراءَ ركبتهَا
فنعمتُ في ماءٍ .. وفي ظلِّ
وركضتُ فوق الياسمينِ .. فمن
حقلٍ ربيعيٍّ إلى حقلٍ
فإذا المياهُ هناك باكيةٌ
تصبو إلى دفءٍ .. إلى وصلٍ ..
يا ثوبها ، ماذا لديكَ لنا ؟
ما الثلجُ ؟ ما أنباؤه ؟ قلْ لي
أنا تحتَ نافذةِ البريقِ .. على
خيطٍ غزيرِ الضوءِ ، مُخضَلٍ ..
لا تمنعي عني الثلوجَ .. ولا
تُخفي ثنائبَ منزرٍ كحلي ..
إني ابنُ أخصبِ برهةٍ وجِدتُ
لا تُزعجِي ساقيكِ ، بل ظلي ..

اسمها

هناك .. بعضُ أحرفٍ
تصحبني كمُصحفي
أهذه جنينةٌ ؟
تورقُ تحتَ معطفي
ففي الضحى .. وفي الدُجى
وفي الأصابعِ .. وفي ..
ما صيحةُ العصفورِ .. ما
تنهداتُ المعزَفِ ..
يا سحبةً من نغمٍ
تومضُ ثم تختفي
يمرُّ ، نيساناً ، على
شوقي .. على تلهفي
ويلتوي سلكَ حريرٍ
بارعَ التعطفِ .

ينقلني من رفرِفِ
مُخضوضرٍ .. لرفرفٍ ..
أنا الذي يعومُ في
جرح هوىٍ لم ينشفِ
* * *
إسمكٍ .. لا .. عفوكِ
أنتِ فوقَ أن تُعرفي ..

غرفة

يا غرفةً .. جميعُ ما
فيها نسيقٌ .. حالمُ
تروي الهوى جدرانها
والنورُ .. والنسائمُ
أشياؤكِ الأنتى بها
نثيرةٌ .. تراحمُ
فدورقُ العبيرِ يبكي
والوشاحُ واجمُ
وعقدكِ التريكُ
أشجاهُ الحنينُ الدائمُ
وذلكَ السوارُ يبكي
حبنا .. والخاتمُ
في الركنِ منديلٌ .. يناديني
شفيفٌ فاعمُ
ما زالَ في خيوطه
منكِ عبيرٌ هائمُ
وتلكَ أثوابُ الهوى
مواسمُ .. مواسمُ
هذا قميصُ أحمرُ
كالنارِ لا يُقاومُ
وتمَّ ثوبٌ فاقعُ
وتمَّ ثوبٌ قاتمُ
تُنكي جحيمي صورةً
تلفها البراعمُ

وأنتِ من ورائها
هُدبٌ . ووجهٌ ناعمٌ
ومبسمٌ ملممٌ
يُحارُ فيه الراسمُ
كأنما أنتِ هنا ..
طيفٌ .. وصوتٌ ناغمٌ
أنتِ التي في جانبي
أم الإطارُ الواهمُ
* * *

سمرأءٌ .. يا سمرأءٌ .. بي
إليكِ شوقٌ ظالمٌ
عُودي ! على ضفائر الغيم
اللقاءُ القادمُ ..
لا تتركيني .. لم يكنْ
لولاكِ هذا العالمُ ..

الموعد

وموعدٍ .. لها معي
أرْمِي إليه أذرعِي
يهتفُ بي من شفةٍ
أنيقةٍ التجمعِ ..
قال : تلاقِيكَ على
شريطِ لونٍ ممتعِ
وجهتنا شواطئِ العطرِ
السخيِّ الممرعِ
وقلنا فراشةً
صبيغةً ، فأسرعي ..
واحتشدِ الزمانُ ..
حولِ امرأةٍ .. وموضعِ
فرغبةٍ تنبُحُ بي
ورغبةٍ لم تشبعِ
يكادُ أن يطفو على
دمِ النجومِ مخدعي

تخطفُ أجفاني انخفافاً
وشاحٍ مُسرِعٍ
وامرأةٌ تعدو على
حدسي .. على توقعي
أكرمُ من أصابع الشتاء
هُلِّي .. وانبُعي ..
لا تبخلي ! في قبضتي
الدنيا ، إذا أنتِ معي ..

طفلتها

" بعد عشرة أعوام من الحب المستحيل ،
تمرّ بالشاعر طفلتها . فيأخذها بين
ذراعيه ليضم فيها صورة أمها ... "

طالعني دربي بها مرةً
ترفُّ كالفراشة الجامعة

طفولةٌ كم تبوحُ الربى
ومبسمٌ كأنه الفاتحة ..

وكنتُ شيعتُ زمانِ الهوى
وانطفأتُ زوابعُ نابحة ..

يا طيبها .. أعزَّ أنموذجٍ
من بعد تلك الغربة الفادحة

وكيفَ هذا كانَ ؟ قد أورثتُ
حتى رنينَ اللثغة الصادحة

حتى انثيالَ الشعر .. حتى
الفم الملموم .. حتى النظرة السارحة

يا وجهها الصغير .. غبَّ النوى
نفضتني .. جارحةً .. جارحةً ..

هل أقبلت طفلتها بعدها
تفجعني بأماها النازحة ..

عشرة أعوامٍ .. على حبها
كأنه في الليلة البارحة ..

ولم تزل صورتها في دمي
غريقةً .. أنيقةً .. سابعةً

* * *

أخذتها مقبلاً باكياً
أما بها من أمها رائحة؟

إلى وشاحٍ أحمر

سألتك ، كيفَ جمعتِ الجراحُ؟

فجاءت وشاحُ

يعربدُ .. قنديلَ نارٍ ووهجٍ ..

بكفِّ الرياحِ

ويطفو .. ويرسو .. وقد يستريحُ

ببعض النواحِ ..

على أي وجهٍ يرفُّ .. وينهارُ

أيِّ صباحٍ؟

إذا التمخَّ النهْدَ .. ثارَ .. وحرَّ

وهزَّ الجناحِ

وحطَّ على مقعدي زنبقٍ

وعشيَّ صдахِ ..

ليجمعَ زهراً .. ويقطفَ فلاً

ويجني أقاحِ

وعند الجدائلِ يحصدُ ظلاً

وعطراً مُباحِ

* * *

أبيحُ شبابي .. لنهرٍ لهيبِ

تلوى .. وراحِ

إلى أينَ؟ من صحتي تُطعمينَ

القبلة الأولى

عامان .. مرا عليها يا مقبلتي
و عطرها لم يزل يجري على شفتي
كأنها الآن .. لم تذهب حلاوتها
و لا يزال شذاها ملء صومعتي
إذ كان شعرك في كفي زوبعةً
وكان ثغرك أحطابي .. وموقدتي
قولي . أفرغت في ثغري الجحيم .. وهل
من الهوى أن تكوني أنتِ مُحرقتي
لما تصالب ثغراناً بدافئةٍ
لمحت في شفتيها طيف مقبرتي
* * *

تروي الحكايات أن الثغرَ معصيةٌ
حمراء .. إنك قد حبيت معصيتي
و يزعمُ الناسُ أن الثغرَ ملعبها
فما لها التهمت عظمي و أوردتي؟
يا طيبَ قبلكِ الأولى .. يرف بها
شذا جبالي .. وغاباتي .. وأوردتي
و يا نبذيةَ الثغرِ الصبي .. إذا
ذكرته ، غرقتُ بالماء حنجرتي ..
ماذا على شفتي السفلى تركت .. وهل
طبعنها في فمي الملهوب .. أم رنتي ؟
لم يبق لي منك .. إلا خيطُ رائحةٍ
يدعوك أن ترجعي للوكر .. سيدتي
ذهبت أنتِ لغيري .. وهي باقيةٌ
نبعاً من الوهج .. لم ينشف .. ولم يمت
تركنتي جائعَ الأعصاب .. منفرداً
أنا على نهم الميعاد .. فالتفتي ..

همجية الشفتين

لفي تحارير الهوى .. وامضي
أنا في السماء .. وأنت في الأرض ..

غوري مع الشيطان .. لا أسف
ولتبتلعك زوابع البغض ..

همجية الشفتين .. بنس هوى
يقتات من عصبي .. ومن نبضي

عطلت صدري عند تاجرة
كالدود ، من روض إلى روض ..

حاولت أن أدنيك من قممي
فهزئت من عطري .. ومن ومضي

ما أنت من بعدي .. سوى طلل
أنقاضه تبكي على بعض ..

ذبة

" إلى راقصة شرقية "

.. وداست على أذرع الضوء ..

ترفض .. ميداء عذبة

كقافلة العطر .. تطوي المدى

سحبة إثر سحبة

تلوب خلال المصابيح

نهراً .. أضع مصبة

على شعرها العجري

بين مساء .. ورهبة

وفي ثغرها الكرزي المليء

تبرعم رغبة

على نقلة الساق ..

يهمرُ تلجُ .. وتخضلُ تربةُ
وفي مقلعٍ للرخام ..
هنالك ، تنبضُ هضبةُ
إذا انفعلَ اللحنُ .. ثارتُ
شفاهاً .. وصدراً .. وركبةُ
وثدياً .. كزوبعة الفلِّ
يفتح في الريح دربه ..
تمدُّ إلى النجم .. ظفراً
غمسياً .. تحاولُ جذبهُ
وقد تنحني مرةً في الطريقُ
لتلقطَ حبةً ..
* * *
إذا انتحرَ اللحنُ .. راحتُ
تئنُّ على الأرض .. ذئبةً ..

إمراة من دخان

كيفَ فكرتِ في الزيارة ؟ قولي
بعد أن أطفأتُ هوانا السنينُ
إجمعي شعركِ الطويلَ .. يخيفُ
الليلَ .. هذا المبعثرُ المجنونُ
لا تدقي بابي .. وظلي بعمرى
مستحيلاً ، ما عانقته الظنونُ
أنتِ أحلى ممنوعة الطيف ، خجلى
يتمنى مروركِ .. الياسمينُ
لا أريدُ الوضوحَ .. كوني وشاحاً
من دخانٍ .. وموعداً لا يحينُ
و لتعيشي تخيلاً في جبيني
و لتكوني خرافةً لا تكونُ
إتركيني أبنيك شعراً .. و صدراً
أنتِ لولايَ يا ضعيفةُ .. طينُ
و دعي لي .. تلوين عينيكَ إنى
تتمنى ألوانَ وهمي العيون .
لا تجيئي لموعدي .. و اتركيني

في ضلالٍ ، يبكي عليه اليقينُ
و احرقيني .. إذا أردتِ ، فإني
لا أطيقُ الجمالَ حين يلينُ
أنا ما دمتِ في عروقي همساً
فإذا كنتِ واقعاً لا أكونُ!

نامر

أحبها أقوى من النارِ -
أشدَّ من عويلِ إعصارِ -

أقسى من الشتاءِ حبي لها
فيا لها من دفقِ أمطاري ..

لو مرَّ تفكيري على صدرها
أحرقها حرقاً بأفكاري ..

أو أفلتتِ حلمتها .. صدفةً
حدجتها بعينِ جزّارِ ..

لا يعرفُ الحدودَ حبي لها
كأنها تجري بأغوارِ
* * *

أريدها وحدي .. فلا يدّعي
غيري هواها .. تلكَ أطواري

أريدُ أن أطوي عليها يدي
من ريبتي .. من فرطِ إيثارِ

أحبها وحدي .. وما ضرني
أن تنقلَ النجومُ أخبارِ

فيشربُ الصباحُ أنوارها
ويشربُ الغروبُ أنواري ..

* * *

ما دُمتَ لي .. سرُّ المساءِ معي
وهذه الأقمارُ أقماري ..

وأنجمُ المساءِ لي منزرٌ
وفوق جفن الشرث مشواري

طائشة الضفائر

تقولين : الهوى شيءٌ جميلٌ
ألم تقرأ قديماً شعر قيسٍ ؟

أجنتِ الآن .. تصطنعين حباً
أحسَّ به المساءُ .. ولو تحسي

أطائشة الضفائر .. غادريني
فما أنا عبد سيدة وكأسٍ ..

لقد أخطأت ، حين ظننتُ أني
أبيع رجولتي .. وأضيعُ رأسي

فأكبر من جمالكِ كبريائي
وأعنف من لظي شفتيكِ بأسي ..

* * *

خذي علبَ العطور .. وألفِ ثوبٍ
تعيشُ بمخدعي أشباحِ بؤسٍ ..

وصورتكِ المعلقةَ احملها
فمنْ خلفِ الإطارِ يطلُ أمسي

لقد طرزتُ دربكِ ياسميناً
فدستِ براعمي .. وقطعتِ غرسي

حملتِ لكِ النجومَ على يميني

وصغتُ لك الصباحَ وشاحَ عرسٍ

* * *

أتافهةَ الوصالِ .. إليّ ردي
عويلَ زوابعي .. وجحيم حسي

لقد شوهتي أيامي وعمري
فجفت ريشتي .. وانبحّ همسي

أعيديني إلى أصلي جميلاً
فمهما كنتِ .. أجمل منك نفسي

المستحمة

مراهقة النهد .. لا تربطيه
فقد أبدعت ريشة الله رسمه

وخليه .. زوبعةً من عبيرٍ
تهلُّ على الأرض رزقاً ونعمة

هو الدفاءُ . لا تُذعري إن رأيتِ
قميصك .. يزهو بأروع قمة

فما عدتِ يا طفلاتي طفلةً
سيهمي الشتا .. غيمةً بعد غيمة

ويخرجُ من فجوة الثوب نهْدُ
ليأكل من مسبح الضوء نجمةً ..

كبرتِ .. فحوضُ اغتسالكِ جُنَّ
بتلكِ المجردة المستحمة

وصدركِ مزرعةُ الياسمينِ
تفتقَ عن حلمةٍ .. بعد حلمةٍ ..

* * *

أشقراءُ . يا سحباتِ الحريرِ
زرعتِ الرمالَ .. اشتهاً وعلماً ..

تمدينَ للماءِ .. إصبعَ طفلٍ
فينسحبُ البحرُ .. حباً ورحمةً ..

تلاشيْ على مضجعِ أزرقٍ
وكوني لأواجه الهُوجَ لُقمةً ..

أخافُ على البحرِ أن تحرقيه
فلا تجرحي يا جميلةً حُلماً ..

* * *

صبيةٌ .. إني احتراقٌ كئيبٌ
فمري بدفءِ جروحي نسمه

أنا دخنةٌ منك .. لا تطمئنُ
فلا تطعميني لنهديك .. فحمة

عند امرأة ..

كانت على إيوانها
وكان يبكي الموقدُ

وكلُّ ما في بيتها
مُعطّرٌ .. مُمهّدٌ

يمدُّ لي ذراعهُ
يقولُ : عندي الموعدُ

حتى الرسومُ تشتهي
هنا .. ويندى المقعدُ

ومن وراء بابها

يعوي شتاءً ملحدُ

وفي الذرى رعدٌ .. وفي
أعماق رُوحى تُرعدُ

وفي صميمي غيمةٌ
تبكي .. وتلجُّ أسودُ
* * *

وكنتُ في جوارها
تصبُّ لي .. وأنشدُ

وعدةُ الشتاء
شعرٌ .. ونبيذٌ جيدُ

وشمعةٌ مسلولةٌ
أتعبها التنهيدُ ..

لم يبقَ إلا سعةٌ
وبعدها نُستشهدُ
* * *

كانتُ تئنُّ مثلما
يئنُّ ذئبٌ مُجهدُ

ترنو إليّ لبوةً
برغبةٍ لها يدُ ..

وساقها من عُتمةٍ
الغطاء .. أفعى تشردُ

وجسمها تحت اللهب
مُرعبٌ .. مورّدُ

والعقدُ فوقَ ناهديها

سَابِحٌ .. مُغْرَدٌ

كعقدها غريزتي
تنهارُ .. ثم تصعدُ ..
* * *

كانتُ كما أريدها
يچارُ فيها الموجدُ

قد أدركتُ ذوقي وما
من النساءِ أعبدُ

فشعرها كما أحبُّ
مُهْمَلٌ مبددُ

ونهدها كسلةٍ
من ياسمينٍ يعقدُ ..
* * *

كانتِ إذن ممدودةً
وكان يبكي الموقدُ

وكانت الأحرارُ تبكي
والخليجُ يُزبدُ

وفي صميمي غيمةٌ
تبكي ، وتلجُ أسودُ ..

مصلوبة النهدين

مصلوبة النهدين .. يالي منهما
تركا الردا .. تسلقا أضلاعي

لا تحسي بي الظنَّ .. أنتِ صغيرةٌ
والليل يُلهبُ أحمرَ الأطماعِ ..

ردّي مآزركِ التريكةَ .. واربطي
متمرداً .. متبدلاً الأوضاعِ

لا تتركي المصلوبَ يخفقُ رأسه
في الريح .. فهي كئيبةُ الإيقاعِ
* * *

يا طفلةَ الشفتينِ .. لا تتهورى
طبعُ الزوابعِ فيه بعضُ طباعي

أبحثُ عن ماضيِّ .. عن مُتَلَوِّنِ
شارِ بِأسواقِ الهوى بَيَّاعِ

قالتُ : فما ماضيكَ ؟ قلتُ : تفرجى
جئتُ .. وأمراضُ .. وبئراً أفاعي

أضميري الموبوءُ .. أيوُ كذبةِ
مسمومةِ تُلْقِينِ في أسماعي

عودتُ نهدكِ وهو كومُ أناقةِ
أن ترهنيه للذتي .. ومتاعي
* * *

عُودي لأمك .. ما أنا بحمامةِ
فغريزةُ الحيوانِ تحت قناعي

ما أنتِ حينَ أريدُ ، إلا لعبةُ
بلهأ .. تحت فمي وضغطِ ذراعي ..

#-----#
#-----النهاية-----#
#-----#
#####

قصائد متوحشة

١٩٧٠

إختاري

إني خيرتك .. فإختاري
ما بين الموت على صدري
أو فوق دفاتر أشعاري
إختاري الحب .. أو اللاحب
..فجبن أن لا تختاري
لا توجد منطقة وسطى
..ما بين الجنة والنار

..إرمي أوراقك كاملة
وسأرضى عن أي قرار
قولي ..انفعلي.. انفجري
لا تقفي مثل المسمار
لا يمكن أن أبقى أبدا
..كالقشة تحت الأمطار
إختاري قدرا بين اثنين
..وما اعنفها اقداري

مرهقة أنت .. وخائفة
وطويل جدا.. مشواري
غوصي في البحر .. او ابتعدي
..لا بحر من غير دوار
الحب مواجهة كبرى
..إبحار ضد التيار
صلب ، وعذاب ، ودموع
..ورحيل بين الأقمار

يقتلني جينك .. يا امرأة
تتسلى من خلف ستار
إني لا اومن في حب
..لا يحمل نزع الثوار
لا يكسر كل الأسوار
لا يضرب مثل الإعصار
آه .. لو حبك يبلغني
يقلعي .. مثل الإعصار

إني خيرتك .. فإختاري
ما بين الموت على صدري
أو فوق دفاتر أشعاري
لا توجد منطقة وسطى
..ما بين الجنة والنار

قارئة الفنجان

جلست .. والخوف بعينيها
تأمل فنجاني المغلوب
قالت : يا ولدي . لا تحزن
فالحب عليك هو المكتوب
..يا ولدي . قد مات شهيدا
..من مات على دين المحبوب
فنجانك .. دنيا مرعبة
وحياتك أسفار .. وحروب
ستحب كثيرا وكثيرا
وتموت كثيرا وكثيرا
..وستعشق كل نساء الأرض
..وترجع .. كالملك المغلوب
بحياتك ، يا ولدي ، امرأة
عيناها .. سبحان المعبود
فمها .. مرسوم كالعنقود
ضحكتها .. موسيقى وورود
لكن سماءك ممطرة
وطريقك .. مسدود .. مسدود
فحبيبة قلبك .. يا ولدي
نائمة .. في قصر مرصود
والقصر كبير .. يا ولدي
وكلاب تحرسه وجنود
وأميرة قلبك .. نائمة
من يدخل حجرتها مفقود
من يطلب يدها .. من يدنو
من سور حديقته مفقود
من حاول فك ضفائرها
يا ولدي .. مفقود .. مفقود
..بصرت .. ونجمت كثيرا
..لكني .. لم أقرأ أبدا
فجانا يشبه فنجانك
لم أعرف أبدا .. يا ولدي
أحزانا .. تشبه أحزانك
مقدورك أن تمشي أبدا
..في الحب .. على حد الخنجر
وتضل وحيدا كالأصداف
وتظل حزينا كالصفصاف
مقدورك أن تمضي أبدا
في بحر الحب بغير قلوب
..وتحب ملايين المرات
..وترجع .. كالملك المخلوع

القصيدة المتوحشة

أحبيني .. بلا عقد
وضياعي في خطوط يدي
..أحبيني .. لأسبوع .. لأيام.. لساعات
..فلست أنا الذي يهتم بالأبد
، أنا تشرين .. شهر الريح
والأمطار .. والبرد
..أنا تشرين .. فانسحقي
..كصاعقة على جسدي

..أحبيني
..بكل توحش التتر
بكل حرارة الأدغال
كل شراسة المطر
..ولا تبيقي ولا تذري
..ولا تتحضري أبدا
فقد سقطت على شفقتك
كل حضارة الحضر
..أحبيني
كزلزال .. كموت غير منتظر
..وخلي نهدك المعجون
..بالكبريت والشرر
يهاجمني .. كذئب جائع خطر
..وينهشني.. ويضربني
..كما الأمطار تضرب ساحل الجزر
أنا رجل بلا قدر
فكوني .. أنت لي قدر
..وأبقيني .. على نهدك
..مثل النقش في الحجر

..أحبيني .. ولا تتساءلي كيف
ولا تتلعثمي خجلا
ولا تتساقطي خوفا
أجيبيني .. بلا شكوى
أيشكو الغمد .. إذ يستقبل السيف
..وكوني البحر والميناء
كوني الأرض والمنفى
وكوني الصحو والإعصار
..كوني اللين والعنفا
أحبيني .. بألف وألف أسلوب
..ولا تتكرري كالصيف
..إني أكره الصيفا

أحبيني .. وقولها

لأرفض أن تحبيني بلا صوت
وأرفض أن أوري الحب
في قبر من الصمت
أحبيني .. بعيدا عن بلاد القهر والكبت
.. بعيدا عن مدينتنا التي شبعت من الموت
.. بعيدا عن تعصبها
ز. بعيدا عن تخشبها
أحبيني .. بعيدا عن مدينتنا
التي من يوم أن كانت
.. إليها الحب لا يأتي
.. إليها الله .. لا يأتي

أحبيني .. ولا تخشي على قدميك
سديتي - من الماء-
فلن تتعمدي امرأة
وجسمك خارج الماء
وشعرك خارج الماء
.. فنهدك .. بطة بيضاء
.. لا تحيا بلا ماء
أحبيني .. بطهري .. أو أخطائي
بصحوي .. أو بأنوائي
.. وغطيني
.. أيا سقفا من الأزهار
.. يا غابات حناء
.. تعري
واسقطي مطرا
.. على عطشي وصحرائي
وذوبي في فمي كالشمع
وانعجني بأجزائي
تعري .. واشطري شفتي
.. إلى نصفين .. يا موسى بسينا

أنا قطار الحزن

..أركب آلاف القطارات
..وأمتطي فجيعتي
وأمتطي غيم سجاتي
حقيبة واحدة .. أحملها
..فيها عناوين حبيباتي
..من كن ، بالأمس ، حبيباتي
يمضي قطاري مسرعا .. مسرعا
..يمضغ في طريقه لحم المسافات
يفترس الحقول في طريقه
يلتهم الأشجار في طريقه
..يلحس أقدام البحيرات
يسألني مفتش القطار عن تذكرتي
..وموقفي آلائي
..وهل هناك موقف آتي ؟
فنادق العالم لا تعرفني
..ولا عناوين حبيباتي

..أنا قطار الحزن
..لا رصيف لي
أقصده .. في كل رحلاتي
أرصفتي جميعها .. هاربة
..هاربة .. مني محطاتي

الخرافة

حين كنا .. في الكتاتيب صغارا
حققونا .. بسخيف القول ليلا ونهارا
درسونا:
"ركب المرأة عورة"
"ضحكة المرأة عورة"
"صوتها - من خلف ثقب الباب - عورة"
..صوروا الجنس لنا
..غولا .. بأنياب كبيرة
..يخنق الأطفال
..يقتات العذاري
خوفونا .. من عذاب الله إن نحن عشقنا
..هددونا .. بالسكاكين إذا نحن حلمنا
..فنشأنا .. كنباتات الصحاري
..نلعق الملح ، ونستاف الغبارا

يوم كان العلم في أيامنا
..فلقة تمسك رجلينا وشيخا .. وحصيرا
..شوهونا
شوهوا الإحساس فينا والشعورا
..فصلوا أجسادنا عنا
..عصورا .. وعصورا
..صوروا الحب لنا .. بابا خطيرا
لو فتحناه .. سقطنا ميئين
فنشأنا ساذجين
وبقينا ساذجين
نحسب المرأة .. شاه أو بعيرا
..ونرى العالم جنسا وسريرا

نهدين مغرورين

عندي المزيد من الغرور.. فلا تبيعي غرورا
إن كنت أرضى أن أحبك ..
فاشكري المولى كثيرا ..
من حسن حظك ..
أن غدوت حبيبيتي .. زمناً قصيرا
فأنا نفخت النار فيك ..
وكنت قبلي زمهيرا ..

وأنا أنقذت نهدك من تسكعه ..
لأجعله أميرا ..
وأدرته.. لولا يداي .. أكان نهدك مستديرا؟
وأنا الذي حرضت حلمتك الجبانة كي تثورا
وأنا الذي..
في أرضك العذراء .. ألقيت البذورا
فتفجرت.. ذهباً , وأطفالاً ، وياقوتاً مثيرا

من حسن حظك.. أن تحبيني
ولو كذباً وزورا ..
فأنا بأشعاري فتحت أمامك الباب الكبير
وأنا دللت على أنوثتك.. المراكب والطيورا
وجعلت منك مليكة
ومنحتك التاج المرصع والسريرا
حسبي غروراً أنني علمت نهدك الغرورا
فلتشكري المولى كثيرا ..
أني عشقتك ذات يوم ..
أشكري المولى كثيرا..

خارج صدري

..خارج صدري
..أنت لا توجدين
خارج عشقي .. أنت سلطانة
..مخلوعة
..في الأرض لا تحكمين
..أنا الذي
سواك إنسانة
فكور الثدي .. وصاغ الجبين
..لولا كتاباتي .. ولولا يدي
لولاهما .. من أنت في العالمين ؟
..رابية ماتت عصافيرها
لا تثبت الدفلى ، ولا الياسمين
..خارج صدري
..أنت مفقودة
خارج شعري .. أنت مجهولة
مدفونة تحت جليد السنين
مليكة .. كنت معي دائما
..وصرت بعدي
..صرت كالأخرين

قطتي الشامية

..أضناني البرد ، فكومني
داخل قبضتك السحرية
..خبني فيها أياما
..إحبسني فيها أعواما
..إحبسني كالطير المرسوم
..على مروحة صينية
..فالحبس لذيد، ومثير
..داخل قبضتك السحرية

..لا تفتح كفك .. واطركني
..أرعى كالأرنب
..في غابات يديك الوحشية
لا تغضب مني .. لا تغضب
فأنا قطتك الشامية
..هل احد
يغضب من قطته الشامية ؟

..أتركني ألعب كالسنباب
على الأدرج العاجية
..وفتات السكر ، أحسه
..داخل قبضتك السحرية
أمنيته تلك ، وما عندي
..أغلى من تلك الأمنية
..لو أملك زاوية بيديك
..لكنت ملكة البشرية

..خبني .. في خلجان يديك
فإن الريح شمالية
، خبني .. في أصداف البحر
وفي الأعشاب المائية
..خبني .. في يدك اليمنى
..خبني .. في يدك اليسرى
..لن أطلب منك الحرية
..فيداك .. هما المنفى
..وهما .. أروع أشكال الحرية
..أنت السجنان .. وأنت السجن
وأنت قيودي الذهبية
..قيدي .. يا ملكي الشرقي
..فإني امرأة شرقية
..تحلم بالخيال .. وبالفرسان
..وبالكلمات الشعرية

-إني مولاتك - يا مولاي
..فغص في صدري كالمدينة
..سافر في جسدي كالأفيون
..وكالرائحة المنسية
..سافر في شعري .. في نهدي
..كطعنة رمح وثنية
سافر - يا ملكي - حيث تريد
..فكل شطوطي رملية
..سافر .. فالريح مواتية
..وأنا .. راضية مرضية
..ضيعني
..في أحراج يديك
..سئمت .. سئمت المدنية
..حيث الأشجار بلا عمر
..حيث الأزمان خرافية
..أرجعني .. صافية كالنار
..وكالزلال بدائية
..حررني .. من عقدي الأولى
..مزق .. أقنعتي الشمعية
..وادفني .. تحت رماد يديك
..شهيدة عشق صوفية
..أدفني
..حيث يشاء الحب
..أنا رابعة العدوية

أحبك جداً

..أحبك جدا

..وأعرف أنني تورطت جدا

..وأحرقته خلفي جميع المراكب

..وأعرف أنني سأهزم جدا

..برغم ألوف النساء

..ورغم ألوف التجارب

..أحبك جدا

..وأعرف أنني بغابات عينيك

..وحددي أحارب

..وأني .. ككل المجانين

..حاولت صيد الكواكب

..وأبقى أحبك .. رغم اقتناعي

..بأن بقائي إلى الآن حيا

..أقاوم نهديك .. إحدى العجائب

أحبك جدا

وأعرف أنني أقامر

برأسي. وأن حصاني خاسر

وأن الطريق لببيت أبيك

محاصرة بألوف العساكر

وأبقى أحبك .. رغم يقيني

بأن التلفظ باسمك كفر

..وأني أحارب .. فوق الدفاتر

..أحبك جدا

وأعرف أن هواك انتحار

وأني حين سأكمل دوري

..سيرخي علي الستار

وألقي برأسي على ساعديك

وأعرف أن لن يجيء النهار

..وأقتنع نفسي بأن سقوطي

قتيلا على شفقتك .. انتصار

..أحبك جدا

..وأعرف منذ البداية

..بأنني سأفشل

وأني خلال فصول الرواية

..سأقتل

..ويحمل رأسي إليك

وأني سأبقى ثلاثين يوماً
مسجى كطفل على ركبتيك
وأفرح جداً.. بروعة تلك النهاية

رساله من تحت الماء

إن كنت صديقي
ساعدي كي أرحل عنك
..أو كنت حبيبي
..ساعدي كي أشفى منك
..لو أني أعرف
..أن الحب خطير جدا .. ما أحببت
..لو أني أعرف
..أن البحر عميق جدا .. ما أبحرت
..لو أني أعرف خاتمتي
..ما كنت بدأت

..اشتقت إليك
..فعلمني .. أن لا أشتاق
..علمني
كيف أقص جذور هواك من الأعماق
..علمني
..كيف تموت الدمعة في الأحداق
..علمني
..كيف أثور عليك
وأنجو من سيف الأشواق
..فأنا من بعدك باقية
..ككتاب مقطوع الأوراق
..يا كل الماضي والحاضر
..يا عمر العمر
..حبي لك حب شعري
..فلماذا تقتل في الشعر ؟
حبي لك حب مائي
..فلماذا تدفعني للصخر ؟
..يا من أهديتك ضوء الشمس
لماذا تهديني الظلماء ؟
يا من قدمت لك الغابات
لماذا تعطيني الصحراء ؟
..يا من تنتزه فوق البر
..وجسمي تمضغه الأنواء
..أنى في الماء
..وصوتك يأتيني من تحت الماء
..وملامح وجهك
..تخرج لي كالمارد من أعماق الماء
..وخطوط يديك تطاردني
..حتى في الماء
..أه .. لو تغرق ذاكرتي
، لو يغرق وجهك ، والتاريخ

..وتغرق آلاف الأشياء
..آه .. كم أشعر بالإعياء

..إن كنت نبيا
..خلصني من هذا السحر
..من هذا الكفر
..حبك كالكفر ،
..فطهرني من هذا الكفر
..إن كنت قويا
..أخرجني من هذا اليم
..فأنا لا اعرف فن العوم
..الموج الأزرق .. في عينيك
..يجرجرنى نحو الأعماق
..أزرق .. أزرق
..لا شيء سوى اللون الأزرق
..وأنا ما عندي تجربة
..في الحب ، ولا عندي زورق
..أن كنت أعز عليك
..فخذ بيدي
..فأنا عاشقة .. من رأسي
..حتى قدمي
..أني أتنفس تحت الماء
..إني اغرق
..أغرق .. أغرق
..أغرق

هاملت شاعراً

..أن تكوني امرأة.. أو لا تكوني
..تلك .. تلك المسألة
..أن تكوني امرأتي المفضلة
..قطتي التركية المدللة
..أن تكوني الشمس ، يا شمس عيوني
..ويدا طيبة فوق جبيني
..أن تكوني في حياتي المقبلة
..نجمة .. أو وردة .. أو سنبله
..تلك .. تلك المشكلة

..أن تكوني كل شي
..أو تضيعي كل شي
، إن طبعي، عندما أهوى
..كطبع البربري
..أن تكوني
كل ما يحمله نوار من عشب ندي
..أن تكوني .. دفترتي الأزرق
..أوراقي .. مدادي الذهبي
..أن تكوني
كلمة تبحث عن عنوانها في شفتي
طفلة تكبر ما بين يدي
آه.. يا حورية أرسلها البحر إلي
، آه.. يا رمحا بأعماقي
..ويا جرحي الطري
..آه.. يا ناري
..وأمطاري
..ويا قرع الطبول الهمجي

..إفهميني
أتمنى مخلصاً، أن تفهميني
..ربما .. أخطأت في شرح ظنوني
ربما .. لم أحسن التعبير عما يعتريني
ربما.. سرت إلى حيك معصوب العيون
..ونسفت الجسر ما بين انتراني وجنوني
..أنا لا يمكن أن أعشق إلا بجنوني
..فاقبليني هكذا .. أو فارفضيني

..أنصتي لي
أتمنى مخلصاً أن تنصتي لي
..ما هناك امرأة دون بديل
فاتن وجهك .. لكن في الهوى
..ليس تكفي فتنة الوجه الجميل

..إفعلني ما شئت .. لكن حاذري
..حاذري أن تقتلي في فضولي
تعبت كفاي ، يا سيدتي
..وأنا أطرق باب المستحيل
..فاعشقي كالناس .. أو لا تعشقي
..إنني أرفض أنصاف الحلول

يوميات رجل مهزوم

لم يحدث ابدا ان احببت بهذا العمق
لم يحدث لم يحدث ابدا
اني سافرت مع امرأه لبلاد الشوق
وضربت شواطئ نهديها
كالرعد الغاضب ، كالبرق
فأنا في الماضي لم اعشق
بل كنت امثل دور العشق
لم يحدث ابدا
ان اوصلني حب امرأه حتى الشنق
لم اعرف قبلك واحده
غلبتني اخذت اسلحتي
هزمتني داخل مملكتي
نزعت عن وجهي اقنعتني
لم يحدث ابدا سيدتي
ان ذقت النار وذقت الحرق
كوني واثقه سيدتي
سيحبك الاف غيري
وستستلمين بريد الشوق
لكنك لن تجدي بعدي
رجلا يهواك بهذا الصدق
لن تجدي ابدا
لا في الغرب ولا في الشرق

بالأحمر فقط

في كل مكان في الدفتر
إسمك مكتوب بالأحمر
حبك تلميذ شيطان
.. يتسلى بالقلم الأحمر
يرسم أسماكاً من ذهب
ونساء .. من قصب السكر
وهنوداً حمراً .. وقطاراً
.. ويحرك آلاف العسكر
يرسم طاحوناً ، وحصاناً
.. يرسم طاووساً يتبختر
وامرأة يرسم .. عارية
.. ولها ثديان من المرمر
يرسم عصفوراً من نار
مشتعل الريش ، ولا يحذر
وقوارب صيد ، وطيوراً
.. وغروباً وردي المنزر
يرسم بالورد والياقوت
ويترك جرحاً في الدفتر
حبك رسام مجنون
.. لا يرسم إلا .. بالأحمر
، ويخربش فوق جدار الشمس
ولا يرتاح ، ولا يضجر
ويصور عنقرة العبسي
ويصور عرش الإسكندر
ما كل قياصرة الدنيا؟
ما دمت معي .. فأنا القيصر

إلى صامته

تكلمي .. تكلمي ..
أيتها الجميلة الخرساء
فالحب .. مثل الزهرة البيضاء
تكون أحلى .. عندما
توضع في إناء ..
*

تحدثني إلي .. في بساطة
كالطير في السماء ..
والأسماك في البحار
واعتريني منك يا حبيبي
هل بيننا أسرار ؟
أبعد عامين معاً ..
تبقي لنا أسرار ؟
تحدثني ..
عن كل ما يخطر في بالك من أفكار
عن قطة المنزل ..
عن أنية الأزهار
عن الصديقات اللواتي
زرت في النهار ..
والمسرحيات التي شاهدتها ..
والطقس .. والأسفار
تحدثني ..
عما تحبين من الأشعار
عن عودة الغيم وعن رائحة الأمطار
تحدثني إلي عن بيروت
وحبنا المنقوش ..
فوق الرمال والمحار
فإن أخبارك يا حبيبي
سيدة الأخبار ..
تصرفي حبيبي ..
كسائر النساء
تكلمي .. عن أبسط الأشياء
وأصغر الأشياء
عن ثوبك الجديد ..
عن قبعة الشتاء
عن الأزاهير التي اشتريتها
من (شارع الحمراء ..)
*

تكلمي .. عما فعلت اليوم
أي كتاب مثلاً ..
قرأت قبل النوم ؟

أين قضيت عطلة الأسبوع ؟
وما الذي شاهدت من أفلام ؟
بأي شط كنت تسبحين ؟
هل صرت ..
لون التبغ والورد ككل عام ؟
تحدثي .. تحدثي ..
من الذي دعاك ..
هذا السبت للعشاء ؟
بأي ثوب كنت ترقصين ؟
وأي عقد كنت تلبسين ؟
فكل أنبائك يا أميرتي ..
أميرة الأنباء ..
*

عادية ...
تبدو لك الأشياء ...
سطحية ...
تبدو لك الأشياء
لكن ما يهمني ...
أنت مع الأشياء
وأنت .. في الأشياء ...

مع بيروتيّه

..لم يبقى سوانا في المطعم
لم يبقى سوى
..ظل الرأسين الملتصقين
لم يبقى سوى
..حركات يدينا العاشقتين
وبقايا البن الراسب
..في أعماق الفنجانيين
..لم يبق سوانا في المطعم
..بيروت . تغوص كلؤلؤة
..داخل عينيك السوداءوين
..بيروت . تغيب بأكملها
، رملا ، وسماء ، وبيوتا
..تحت الجفنين المنسبلين
، بيروت . أفتش عن بيروت
..على أهدابك ، والشفتين
فأراها طيرا بحريا
وأرها عقدا ماسيا
..وأرها امرأة فاتنة
تلبس قبعة من ريش
تشبك دبوسا ذهبيا
وتخبيء .. زهرة غاردينيا
..خلف الأذنين
بيروت ! وأنت على صدري
..شيء .. لا يحدث في الرؤيا
..من يوم تلاقينا فيها
..صارت بيروت
..هي الدنيا
لم يبقى سوانا .. في المطعم
..شال الكشمير .. على كتفك
..يرف حديقة ريحان
..يدك الممدودة .. فوق يدي
..أعظم من كل التيجان
..عينك .. أمامي صافيتان
..صفاء سماء حزيران
وظفولة وجهك مقنعة
..أكثر من كل الأديان
ما دامت مملكتي عينيك
..فإني سلطان زماني
..المطعم أصبح مهجورا
..وأنا أتأمل فنجاني
ماذا سيكون بفنجاني ؟
، غير الأمطار ، وغير الريح

..وغير طيور الأحران
..تذبطني امرأة من لبنان
..تساوي ملك سليمان
..آه.. يا حبي اللبناني
..آه.. يا جرحي اللبناني
..لا غيرك يسكن ذاكرتي
لا غيرك يسكن أجفاني
قد ماتت كل نساء الأرض
..وأنت بقيت بفنجانتي

رفقا بأعصابي

..شرشت
..في لحمي وأعصابي
وملكتني بذكاء سنجاب
شرشت .. في صوتي ، وفي لغتي
..ودفاتري ، وخيوط أنوابي
شرشت بي .. شمسا وعافية
..وكسا ربيعك كل أبوابي
شرشت حتى في عروق يدي
..وحوائجي ، وزجاج أكوابي
شرشت بي .. رعدا ، وصاعقة
..وسنابلا ، وكروم أعناب
شرشت .. حتى صار جوف يدي
مرعى فراشات ، وأعشاب
..تتساقط الأمطار .. من شفتي
..والقمح ينبت فوق أهدابي
شرشت .. حتى العظم .. يا امرأة
..فتوقفي .. رفقا بأعصابي

أين أذهب

لم أعد داريا إلى أين أذهب
كل يوم أحس أنك أقرب

كل يوم يصير وجهك جزءاً
من حياتي ويصبح العمر أخصب

وتصير الأشكال أجمل شكلاً
وتصير الأشياء أحنى وأطيب

قد تسربت في مسامات جلدي

مثلما قطرة الندى تتسرب

إعتيادي على غيابك صعب
وإعتيادي على حضورك أصعب

كم أنا أحبك حتى
أنّ نفسي من نفسها تتعجب

يسكن الشعر في حدائق عينيك

فلولا عيناك لا شعر يكتب

منذ أحببتك الشمس استدارت
والسموات صرن انقى وأرحب

منذ أحببتك البحار جميعاً

أصبحت من مياه عينيك تشرب

حبك البربري أكبر مني

فلماذا على ذراعيك أصلب؟

خطأي أنني تصورت نفسي

ملكاً يا صديقتي ليس يغلب

وتصرفت مثل طفل صغير
يشتهي أن يطول أبعد كوكب

سامحيني اذا تماديت في الحلم

وأبستك الحرير المقصب

أتمنى لو كنت بؤبؤ عيني
أتراني طلبت ماليس يطلب؟؟

أخبريني من أنت؟ إن شعوري
كشعور الذي يطارد أرنب

أنت أحلى خرافة في حياتي
والذي يتبع الخرافات يتعب

أقدم اعتذاري

أقدم اعتذاري
لوجهك الحزين مثل شمس آخر النهار
عن الكتابات التي كتبتها
عن الحماقات التي ارتكبتها
هن كل ماأحدثته
في جسمك النقي من دمار
وكل ماأثرته حولك من غبار

أقدم اعتذاري
عن كل ماكتبت من قصائد شريرة
في لحظة انهيار
فالشعر يا صديقتي
منفائي واحتضاري
طهاري وعاري
ولأريد مطلقاً أن توصمي بعاري

من أجل هذا جئت يا صديقتي
أقدم اعتذاري..

يا زوجة الخليفة...

يا زوجة الخليفة
، لا يفهم الحراس ما قضيتي
..يا زوجة الخليفة
..رسائلي إليك .. يرفضونها
..أزهاري الحمراء .. يرفضونها
..يا زوجة الخليفة
قصائدي الكتبتها بالضوء والقطيفة
لم يقبلوا استلامها
يا زوجة الخليفة
أنك كنت زوجتي
قبل وجود القصر .. والخليفة
، حراسك الغلاظ، يا سيدتي
لا يقرأون الشعر
..لا يفهمون الشعر
حاولت أن أقنعهم
أنك شمس العمر
..جربت سحري معهم
فما أفاد السحر
..جربت أن أرشوهم بالمال
أو بالخمير
..لكنهم .. لم يقبلوا

أن يدخلوني القصر

-كل القصور – منذ أن كانت

..تخاف الشعر

..تخاف الشعر

قصيدة الحزن

علمني حبك .. أن أحزن
و أنا محتاج منذ عصور
لامرأة تجعلني أحزن
لامرأة أبكي فوق ذراعيها مثل العصفور
لامرأة.. تجمع أجزائي
كشظايا البلور المكسور

علمني حبك سيدتي أسوء عادات
علمني أخرج من بيتي
في الليلة آلاف المرات ..
و أجرب طب العطارين ..
و أطرق باب العرافات ..
علمني .. أخرج من بيتي ..
لأمشط أرصفة الطرقات
و أطارد وجهك ..
في الأمطار ..
و في أضواء السيارات ..
و أطارد ثوبك ..
في أثواب المجهولات
و أطارد طيفك ..
حتى..حتى ..

في أوراق الإعلانات ..
علمني حيك كيف أهيم على وجهي..ساعات
بحثا عن شعر غجري
تحسده كل العجريات
بحثا عن وجهٍ ..عن صوتٍ ..
هو كل الأوجه و الأصوات

أدخلني حيك.. سيدتي
مدن الأحرانُ ..
و أنا من قبلك لم أدخلُ
مدنَ الأحران ..
لم أعرف أبداً ..
أن الدمع هو الإنسان
أن الإنسان بلا حزن
ذكرى إنسانٍ ..

علمني حيك ..
أن أتصرف كالصبيانُ
أن أرسم وجهك بالطباشور على الحيطان ..
و على أشرعة الصيادين
على الأجراس، على الصليان
علمني حيك..كيف الحبُّ

يغير خارطة الأزمان ..
علمني أني حين أحبُّ ..
تكف الأرض عن الدوران
علمني حبك أشياءً ..
ما كانت أبداً في الحسبان
فقرأت أقاصيصَ الأطفال ..
دخلت قصور ملوك الجان
و حلمت بأن تتزوجني
بنتُ السلطان ..
تلك العيناها ..
أصفى من ماء الخلجان
تلك الشفتاها ..
أشهى من زهر الرمان
و حلمت بأنني أخطفها مثل الفرسان ..
و حلمت بأنني أهديها أطواق اللؤلؤ و المرجان ..
علمني حبك يا سيدتي، ما الهذيان
علمني كيف يمر العمر ..
و لا تأتي بنت السلطان ..

علمني حبك ..
كيف أحبك في كل الأشياء
في الشجر العاري، في الأوراق اليابسة الصفراء

في الجو الماطر.. في الأنواء ..
في أصغر مقهى.. نشرب فيه ..
مساءً.. قهوتنا السوداء ..
علمني حبك أن أوي ..
لفنادقَ ليس لها أسماء
و كنانس ليس لها أسماء
و مقاهٍ ليس لها أسماء
علمني حبك.. كيف الليلُ
يضخم أحزان الغرباء ..
علمني.. كيف أرى بيروتَ
إمرأةً.. طاغية الإغراء ..
إمرأةً.. تلبس كل كل مساءً
أجمل ما تملك من أزياء
و ترش العطر على نهديها
للبحارة.. و الأمراء ..
علمني حبك أن أبكي من غير بكاء
علمني كيف ينام الحزن
كغلام مقطوع القدمين ..
في طرق (الروشة) و (الحمراء) ..
علمني حبك أن أحزن ..
و أنا محتاج منذ عصور
لامرأة تجعلني أحزن ..

لامرأة تجمع أجزائي ..

كشظايا البلور المكسور..

تذكرة سفر لامرأة أحبها

أرجوك يا سيدتي أن تتركي لبنان
أرجوك باسم الخبز، باسم الملح،
أن تغادري لبنان
فالبحر لا لون له
والشكل لا شكل له
والموج – حتى الموج – لا يكلم الشيطان
أرجوك يا سيدتي أن ترحلي
حتى أرى لبنان

أرجوك يا سيدتي أن تختفي
بأي شكل كان
بأي سعر كان
أن ترجعي البحر إلى حدوده
وترجعي الشمس إلى مكانها
وترجعي الجبال والوديان
أرجوك يا سيدتي أن ترجعي براءتي
والزمن المكسور فوق ساعتني
وترحلي عني، وعن لبنان
بأي شكل كان
بأي سعر كان

أرجوك يا سيدتي أن تدركي أنني إنسان
وتسحبي السيف الذي زرعتيه في فوهة الشريان
أرجوك باسم الزعتر البرّي، والشربين، والريحان
والثلج، والضباب، والرعاة، والقطعان
وباسم عامين هما خلاصة الزمان
باسم (جعيثا) واليدان فوقهما يدان
ونحن مبحران في عرس من الألوان
وباسم نادي الصيد في (جبيل) والنيبذ والدخان
وبيتنا المهجور في (طبرجة)
وشعرك المنثور فوق الأرض والحيطان
وباسم ثوب أحمر كنت به رائحة كزهرة الرمان

أرجوك يا سيدتي..
باسم جميع الكتب المقدسة..
والشمع، والبخور، والصلبان
أرجوك بالأحزان يا سيدتي
إن كنت تعرفين ما الأحزان
أرجوك بالأوثان يا سيدتي
إن كنت تؤمنين في عبادة الأوثان
أرجوك باسم الأنس
أرجوك باسم الجان

أن تتركي لبنانُ

أرجوك يا سيدتي أن تأخذي
كل هداياك التي تحرك الشجونُ
كل المناديل التي تحمل حرف (النونُ)
أزرار قمصاني التي تحمل حرف (النونُ)
فكلها أفيونُ
يا أنتِ..

يا أخطر ما عرفت من أفيونٍ..
أرجوك أن تسترجعي
مصباحك القريب من وسادتي
وكلبك الأبيض من سيارتي
فإنها قد أصبحتُ
نوعاً من الإدمانٍ..
يا امرأة قد جعلتني..
أدمن الإدمانُ
أرجوك يا سيدتي أن تتركي لبنانُ

رفيقتي، على دروب (اليرزة) الخضراءُ
رفيقتي، بالصندل الصيفي.. والقبعة البيضاءُ
رفيقتي، أمام باب مريم العذراءُ
رفيقتي بالحزن والبكاءُ
أرجوك يا سيدتي أن تُرجعي
علاقتي الأولى مع الأشياءُ
أن ترجعي الأشجار مستقيمة..
والأرض مستديرة..
والقمح، والنجوم، والسنابل الصفراءُ
أرجوك يا سيدتي..
أن ترجعي إلى البحار الماءُ
والربِّ للسماء..
أرجوك يا سيدتي..
أن تحزمي حقائب النسيانُ
فإن حجم دمعتي
أكبر من مساحة الأجنانُ

أرجوك يا سيدتي
أن تتركي بيروت في عناية الرحمنُ
وتتركي لي الحزن.. فهو صاحبي الوحيد من زمانُ
لبنانُ.. كان أنت يا حبيبتني
ويوم ترحلين عن صدري.. فلا لبنانُ

أسألك الرحيلاً

لنفترق قليلاً ..
لخير هذا الحُبِّ يا حبيبي
وخيرنا ..
لنفترق قليلاً
لأنني أريدُ أن تزيدَ في محبتي
أريدُ أن تكرهني قليلاً
بحقِّ ما لدينا ..
من ذِكرِ غاليةٍ كانت على كَيننا ..
بحقِّ حُبِّ رائع ..
ما زالَ منقوشاً على فمينا
ما زالَ محفوراً على يدينا ..
بحقِّ ما كتبتهُ .. إليَّ من رسائل ..
ووجهك المزروعُ مثلَ وردةٍ في داخلي ..
وحبك الباقي على شعري على أناملي
بحقِّ ذكرياتنا
وحزننا الجميلِ وابتسامنا
وحبنا الذي غدا أكبرَ من كلامنا
أكبرَ من شفاهنا ..
بحقِّ أحلى قصةٍ للحبِّ في حياتنا
أسألك الرحيلاً
لنفترق أحباباً ..
فالطيرُ في كلِّ موسمٍ ..
تفارقُ الهضاباً ..
والشمسُ يا حبيبي ..
تكونُ أحلى عندما تحاولُ الغياباً
كُن في حياتي الشكَّ والعذاباً
كُن مرَّةً أسطورةً ..
كُن مرَّةً سراياً ..
وكُن سؤالاً في فمي
لا يعرفُ الجواباً
من أجلِ حبِّ رائع
يسكنُ منَّا القلبَ والأهداباً
وكي أكونَ دائماً جميلةً
وكي تكونَ أكثرَ اقتراباً
أسألك الذهاباً ..
لنفترق .. ونحنُ عاشقان ..
لنفترق برغم كلِّ الحبِّ والحنانِ
فمن خلالِ الدمعِ يا حبيبي
أريدُ أن تراني
ومن خلالِ النارِ والدُخانِ
أريدُ أن تراني ..
لنحترق .. لنبتك يا حبيبي

فقد نسينا
نعمة البكاء من زمان
لنفترق ..
كي لا يصيرَ حُبنا اعتيادا
وشوقنا رمادا ..
وتذبلَ الأزهارُ في الأواني ..
كُن مطمئنًا النفس يا صغيري
فلم يزل حُبك ملء العين والضمير
ولم أزل مأخوذةً بحبك الكبير
ولم أزل أحلمُ أن تكونَ لي ..
يا فارسي أنتَ ويا أميرِي
لكنني.. لكنني ..
أخافُ من عاطفتي
أخافُ من شعوري
أخافُ أن نسأمَ من أشواقنا
أخافُ من وصالنا ..
أخافُ من عناقنا ..
فباسم حبِّ رائع
أزهرَ كالربيع في أعماقنا ..
أضاءَ مثلَ الشمس في أحداقنا
وباسم أحلى قصةٍ للحبِّ في زماننا
أسألك الرحيلا ..
حتى يظلَّ حبنا جميلا ..
حتى يكونَ عمرُهُ طويلا ..
أسألك الرحيلا..

رسالة من امرأة مجهولة الى رجل

متى ستعرف كم أهواك.. يا رجلا
أبيع من أجله الدنيا.. وما فيها
يا من تحديث في حبي له.. مدنا
بحالها.. وسأمضي في تحديها
لو تطلب البحر.. في عينيك أسكبه
أو تطلب الشمس.. في كفيك أرميها
أنا أحبك... فوق الغيم أكتبها
وللعصافير والأشجار.. أحكيها
أنا أحبك... فوق الماء أنقشها
وللعناقيد.. والأقداح أسقيها
أنا أحبك... يا سيفا أسال دمي
يا قصة لست أدري ما أسميها
أنا أحبك... حاول أن تساعدني..
فإن من البدء المأساة ينهيها..
وإن من فتح الأبواب يغلقها..
وإن من أشعل النيران.. يطفئها
يا من يدخن في صمت ويتركني..
في البحر أرفع مرساتي.. وألقيها
ألا تراني في بحر الحب.. غارقة
والموج يمضغ آمالي ويرميها..
إنزل قليلا عن الأهداب.. يا رجلا
ما زال يقتل أحلامي.. ويحييها
كفاك تلعب دور العاشقين معي..
وتنتقي كلمات لست تعنيها..
كم اخترعت مكاتيبا.. سنرسلها
وأسعدتني ورود.. سوف نهديها
وكم ذهبت لوعد لا وجود له..
وكم حلمت بأثواب.. سأسريها
وكم تمنيت لو للرقص تطلبني..
وحيرتني ذراعي.. أين ألقها
ارجع إلي.. فإن الأرض واقفة..
كأتما الأرض فرت من ثوانها..
ارجع... فبعدك لا عقد أعلقه..
ولا لمست عطوري في أوانيها..
لمن جمالي؟ لمن شال الحرير؟ لمن
ظفانري منذ أعوام أربيها؟
ارجع كما أنت.. صحو كنت أم مطرا..
فما حياتي أنا إن لم تكن فيها...

أعنف حب عشته؟؟؟؟

تلومني الدنيا إذا احببته

كأنني انا خلقت الحب واخترعته

كأنني انا على حدود الورد قد رسمته

كأنني انا اللتي

للطير في السماء قد علمته

وفي حقول القمح قد زرعته

وفي مياة البحر قد دونته

كأنني انا اللتي ???

كالقمر الجميل في السماء قد علقته

تلومني الدنيا اذا سميت من احب او ذكرته ???

كأنني انا الهوى... واه... واخته...

هذا الهوى الذي اتى من حيث ما انتظرته

مختلف عن كل ما عرفته

مختلف عن كل ما قرأته

وكل ما سمعته

لو كنت ادري انة نوع من الادمان ما دمنته

لو كنت ادري انة عود كبريت ما اشعلته

هذا الهوى اعنف حب عشته

فليتني... حين اتاني فاتح يده لي... رددته

وليتني من قبل ان يقتلني قتله...

هذا الهوى الذي ارآه في الليل على ستائري

اراه في ثوبي وفي عطري وفي اسائري

اراه مرسوما على وجه يدي

اراه منقوشا على مشاعري

لـ و اخبروني انه

طفل كثير الهوى والضوضاء ما دخلته

وانه سيكسر الزجاج في قلبي لما تركته

لـ و اخبروني انه

سيضرم النيران في دقائق

ويصبغ الجدران بالأحمر والأزرق في دقائق

لكنك قد طردته

هذا هو الهوى أجمل حب عشته

أروع حب عشته

فليتني حين أتاني زائر بالورد قد طوقته

وليتني حين أتاني باكيا فتحت أبوابي له وبسته وبسته

وبسته

بانتظار سيدتي

أجلس في المقهى.. منتظرا
.. أن تأتي سيدتي الحلوة
.. أبتاع الصحف اليومية
أفعل أشياء طفوليه
.. في باب الحظ
"أفتش عن "برج الحمل
.. "ساعدني يا "برج الحمل
.. "طمئني يا "برج الحمل"
.. هل تأتي سيدتي الحلوة ؟
هل ترضى أن تتزوجني
هل ترضى سيدتي الحلوة ؟
.. يخبرني برجي عن يوم
.. يشرق بالحب وبالأمل
.. يخبر .. عن خمسة أطفال يأتون
.. وعن شهر العسل

.. أبقى في المقهى .. منتظرا
عشرة أعوام شمسية
.. عشرة أعوام قمرية
.. منتظرا .. سيدتي الحلوة
تقرأني الصحف اليومية
.. ينفخني غيم سجاتي
.. يشربني .. فنجان القهوة

قصيدة واقعية

..لو كنت امرأة مثل سواك
..لما أكملت معي شهرا
..لو أطلب ملكا في نهديك
ملكتها .. شبرا .. شبرا
..أو أطلب نصرا من شفقتك
..لكنك تركتهما قشرا
، لو كانت تعينني الأرقام
..لكنك بأوراقى صفرا
..لو كنت مجرد عابره
..تأتي .. وامرأة تتعري
..لغدوت الآن .. مع الذكري

لو أبحث عن جنس
..لحصلت عليه .. من امرأة أخرى
..من أية واحدة أخرى
..لكنك .. معجزة كبرى
معجزة .. اكبر من كبرى
تمطرنى .. تمطرنى .. شعرا
..وأنا يا سيدتي رجل
..لا يقدر أن ينسى الشعرا

..يا امرأة
..سوداء العينين
..تساوي عيناها عصرا
..لو عندي امرأة .. مثلك أنت
..لكنك هرقل
..أو كسرى

لحمها وأظفري

لا تقولي : أرادت الأقدار
إنك اخترت ، والحياة اختيار
إذهبي .. إذهبي إليه .. فبعدي
..لن تعيش الدفلى ، ولا الجنار
بعث شعري .. بحفنة من حجار
أخبريني . هل أسعدتك الحجار
وظننت السراب ، جنة عدن
..حين لا جنة .. ولا أنهار
لا تقولي : خسرت أيام عمري
هكذا .. هكذا .. يكون القمار
كنت في معصميك إسوار شعر
وعلى الدرب .. ضاع منك السوار
أو هذا .. الذي انتهيت إليه ؟
..مجدك الآن .. قنب .. وغبار
كنت سلطنة النساء جميعا
..ولك الأرض كلها ، والبحار
ثم أصبحت ، يا شقية ، بعدي
..ربوة .. لا تزورها الأمطار
شامت .. شامت أنا بك جدا
..لا يريح المقتول .. إلا الثأر
إنني منك .. لا أريد اعتذارا
ما تفيد الدموع والأعدار ؟
ما بوسعي أن أفعل الآن شيئا
..كل ما حولنا دمار .. دمار
ما بوسعي إنقاذ وجه جميل
..أكلته من جانبيه النار
..أنت .. أنت التي هربت من الحب
..وسهل على النساء الفرار
فلماذا ؟ تبكين ملكا مضاعا
..أنك اخترت . والحياة اختيار

حارقة روما

كفي عن الكلام يا ثرثارة
كفي عن المشي على أعصابي المنهارة
ماذا اسمي كل ما فعلته
ساديه .. نفعيه
قرصنه .. حقارة
ماذا اسمي كل ما فعلته ؟
يا من مزجت الحب بالتجارة
والطهر بالدعارة
ماذا اسمي كل ما فعلته ؟
فاينني لا أجد العبارة
أحرقت روما كلها
لتشعلي سيجاره

كل عام
وانت..
حبيبي

نزار قباني
عذاب

حب استثنائي .. لامرأة استثنائية

- ١ -

أكثر ما يعذبني في حبك ..
أنني لا أستطيع أن أحبك أكثر ..
وأكثر ما يضايقني في حواسي الخمس ..
أنها بقيت خمساً .. لا أكثر ..
إن امرأة استثنائية مثلك
تحتاج إلى أحاسيس استثنائية ..
وأشواق استثنائية ..
ودموع استثنائية ..
وديانة رابعة ..
لها تعاليمها ، وطقوسها ، وحنثها ، ونارها
إن امرأة استثنائية مثلك ..
تحتاج إلى كتب تكتب لها وحدها ..
وحزن خاص بها وحدها ..
وموت بملايين الغرف ..
تسكن فيه وحدها ..
لكنني وا أسفاه ..
لا أستطيع أن أعجن الثواني
على شكل خواتم أضعها في أصابعك
فالسنة محكومة بشهورها
والشهور محكومة بأسابيعها
والأسابيع محكومة بأيامها

وأيامي بتعاقب الليل والنهار
في عينيك البنفسجيتين ..

-٢-

أكثر ما يعذبني في اللغة .. لأنها لا تكفيك
وأكثر ما يضايقني في الكتابة أنها لا تكتبك ..
أنت امرأة صعبة ..
أنت امرأة لا تكتب ..
كلماتي تلهث كالخيول على مرتفعاتك ..
ومفرداتي لا تكفي لاجتياز مسافاتك الضوئية ..
معك لا توجد مشكلة ...
إن مشكلتي هي مع الأبجدية ..
مع ثمان وعشرين حرفاً ، لا تكفيني لتغطية بوصة واحدة من
مساحات أنوثتك ...
ولا تكفيني لإقامة صلاة شكر واحدة لوجهك الجميل ..
إن ما يحزنني في علاقتي معك ..
أنك امرأة متعددة ..
واللغة واحدة ..
فماذا تقترحين أن أفعل ؟
كي أتصالح مع لغتي ..
وأزيل هذه الغربة ..
بين الخزف ، وبين الأصابع
بين سطوحك المصقولة ..
وعربائي المدفونة في الثلج ..
بين محيط خصرك ..
وطموحك مراكبي ..

لاكتشاف كروية الأرض ..

-٣-

ربما كنت راضية عني ..
لأنني جعلتك كالأميرات في كتب الأطفال
ورسمتك كالملائكة على سقوف الكنائس ..
ولكني لست راضياً عن نفسي ..
فقد كان بإمكانني أن أرسمك بطريقة أفضل
ولكن الوقت فاجأني
وأنا معلق بين النحاس .. وبين الحليب ..
بين النعاس .. وبين البحر ..
بين أظافر الشهوة .. ولحم المرايا ..
بين الخطوط المنحنية .. والخطوط المستقيمة
ربما كنت قانعة ، مثل كل النساء ،
بأية قصيدة حب تقال عنك ..
أما أنا فغير قانع بقناعاتك ..
فهناك مئات من الكلمات تطلب مقابلي ..
ولا أقابلها ..
وهناك مئات من القصائد ..
تجلس ساعات في غرفة الانتظار ..
فأعذر لها ...
إنني لا أبحث عن قصيدة ما ..
لامرأة ما ..
ولكنني أبحث عن " قصيدتك " أنت ...

-٤-

انني عاتب على جسدي ..

لأنه لم يستطع ارتدائك بشكل أفضل ..
وعاتب على مسامات جلدي ..
لأنها لم تستطع ارتداءك بشكل أفضل ..
وعاتب على فمي ...
لأنه لم يلتقط حبات اللؤلؤ المتناثرة على امتداد شواطئك
بشكل أفضل ..
وعاتب على خيالي ..
لأنه لم يتخيل كيف يمكن أن تتفجر البروق ، والقواس قزح ..
من نهديك لم يحتفلا بعيد ميلادهما الثامن عشر ...
بصورة رسمية ..
ولكن .. ماذا ينفع العتب الآن ..
بعد أن أصبحت علاقتنا كبرتقالة شاحبة ،
سقطت في البحر ..
لقد كان جسدي مليئاً باحتمالات المطر ..
وكان ميزان الزلازل
تحت سرتك المستديرة كقم طفل ..
يتنبأ باهتزاز الأرض ..
ويعطي علامات يوم القيامة ..
ولكنني لم أكن ذكياً بما فيه الكفاية ..
لألتقط إشاراتك ..
ولم أكن مثقفاً بما فيه الكفاية ..
لأقرأ أفكار الموج والزبد ..
وأسمع إيقاع دورتك الدموية ..

-٥-

أكثر ما يعذبني في تاريخي معك ..

أنني عاملتك على طريقة بيدبا الفيلسوف ..
ولم أعاملك على طريقة رامبو .. وزوربا ..
وفان كوخ .. وديك الجن .. وسائر المجانين
عاملتك كأستاذ جامعي ..
يخاف أن يحب طالبتة الجميلة ..
حتى لا يخسر شرفه الأكاديمي ..
لهذا أشعر برغبة طاغية في الاعتذار إليك ..
عن جميع أشعار التصوف التي أسمعك إياها ..
يوم كنت تأتين إليّ ..
مليئة كالسنبله ..
وطازجة كالسمكة الخارجة من البحر ..

-٦-

أعتذر إليك ..
بالنيابة عن ابن الفارض ، وجلال الدين الرومي ، ومحي
الدين بن عربي ..
عن كل التنظيرات .. والتهويمات .. والرموز .. والأقنعة
التي كنت أصنعها على وجهي ، في غرفة الحب ..
يوم كان المطلوب مني ..
أن أكون قاطعاً كالشفرة
وهجومياً كفهد إفريقي ..
أشعر برغبة في الاعتذار إليك ..
عن غيابي الذي لا مثيل له ..
وجبني الذي لا مثيل له ..
وعن كل الحكم الماثورة ..
التي كنت أحفظها عن ظهر قلب ..

وتلوتها على نهديك الصغيرين ..
فبكيا كطفلين معاقبين .. وناما دون عشاء ..

-٧-

أعترف لك يا سيدتي ..
أنك كنت امرأة استثنائية
وأن غيابي كان استثنائياً ..
فاسمحي لي أن أتلو أمامك فعل الندامة
عن كل مواقف الحكمة التي صدرت عني ..
فقد تأكد لي ..
بعدها خسرت السباق ..
وخسرت نقودي ..
وخيولي ..
أن الحكمة هي أسوأ طبق تقدمه ..
لامرأة نحبها ..

في الحب البحري ...

- ١ -

مواقفي منك ، كموقف البحر ..
وذاكرتي مائية كذاكرته ..
لا هو يعرف أسماء مرافئه ..
ولا أنا أتذكر أسماء زائراتي
كل سمكة تدخل إلى مياهي الإقليمية ، تذوب ..
كل امرأة تستحم بدمي ، تذوب ..
كل نهد يسقط كالليرة الذهبية ..
على رمال جسدي .. يذوب ..
فلتكن لك حكمة السفن الفينيقية ..
وواقعية المرافئ التي لا تتزوج أحدا ..

- ٢ -

كلما شم البحر رائحة جسمك الحلبي
سهل كحصان أزرق
وشاركته الصهيل
هكذا خلقتني الله ..
رجلاً على صورة بحر
بحراً على صورة رجل
فلا تناقضيني بمنطق زارعي العنب والحنطة ..
ودكاترة الطب النفسي ..
بل ناقشيني بمنطق البحر
حيث الأزرق يلغي الأزرق
والأشعة تلغي الأفق ..

والقبلة تلغي الشفه ..
والقصيدة تلغي ورقة الكتابة ..

-٣-

إحساسي بك متناقض ، كإحساس البحر
ففي النهار ، أغمرك بمياه حناني
وأغطيك بالغيم الأبيض ، وأجنحة الحمام
وفي الليل ...
أجتاحك كقبيلة من البرابرة ...
أستطيع ، أيتها المرأة ، أن أكون بحراً محايداً ..
ولا تستطيعين أن تكوني سفينة من ورق ..
لا أنت انديرا غاندي
ولا أنا مقتنع بجدوى الحياد الإيجابي
ففي الحب .. لا توجد مصالحات نهائية ..
بين الطوفان ، ولبن المدن المفتوحة ..
بين الصواعق ، ورؤوس الشجر
بين الطعنة ، وبين الجرح
بين أصابعي ، وبين شعرك
بين قصائد الحب .. وسيوف قريش
بين ليبرالية نهديك ..
وتحالف أحزاب اليمين !!..

-٤-

أيتها الخارجة من خرائط العطش والغبار ..
تخلصي من عاداتك البريه ..
فالعواطف البرية تعبر عن نفسها ..
بايقاع واحد .. ووتيرة واحدة ..

أما الحب في البحر .. فمختلف .. مختلف .. مختلف ..
فهو غير خاضع لجاذبية الأرض ..
وغير ملتزم بالفصول الزراعية ..
وغير ملتزم بقواعد الحب العربي
حيث أجساد الرجال تنفجر من التخمة ..
ونهود النساء تتثائب من البطالة ..

-٥-

ادخلي بحري كسيف من النحاس المصقول
ولا تقراي نشرات الطقس
ونبوءات مصلحة الأرصاد الجوية
فهي لا تعرف شيئاً عن مزاج البحر
ولا تعرف شيئاً عن مزاج سمك القرش
ولا تعرف شيئاً عن مزاجي ..
لا أريد أن أشتغل حارساً لجواهر التاج
إن نهديك لا يدخلان في حدود مسؤولياتي
فأنا لا أستطيع أن أضمن مستقبلهما ..
كما لا يستطيع البرق أن يضمن مستقبل غابة ..

-٦-

لماذا تبحثين عن الثبات ؟
حين يكون بوسعنا أن نحفظ بعلاقاتنا البحرية
تلك التي تتراوح بين المد .. والجزر
بين التراجع والاقترام
بين الحنان الشامل ، والدمار الشامل ...
لماذا تبحثين عن الثبات ؟
فالسمة أرقى من الشجرة ..

والسحاب .. أهم من الغصن ..
والسحابة .. أهم من نيويورك ..

-٧-

أريدك أن تتكلمي لغة البحر ..
أريدك أن تلعبى معه ..
وتتقلبى على الرمل معه ..
وتمارسى الحب معه ..
فالبحر هو سيد التعدد .. والإخصاب .. والتحويلات ..
وأنوئتك هي امتداد طبيعى له ..
نامى مع البحر .. يا سيدتى ..
فليس من مصلحتك أن تكونى من فصيلة الشجر ..
ولا من مصلحتى أن أحولك إلى جريدة مقروءة
أو إلى ربطة عنق معلقة فى خزانتى
منذ أن كنت طالباً فى الجامعة ..
ليس من مصلحتك أن تتزوجينى ..
ولا من مصلحتى أن أكون حاجباً على باب المحكمة الشرعية
أتقاضى الرشوات من الداخلين
وأتقاضى اللعنات من الخارجين ..

-٨-

أنا بحرك يا سيدتى ..
فلا تسألينى عن تفاصيل الرحلة ..
ووقت الإقلاع والوصول ..
كل ما مطلوب منك ..
أن تنسى غرائزك البرية ..
وتطيعى قوانين البحر ..

وتخترقيني .. كسمكة مجنونة ..
تسطر السفينة إلى نصفين ..
والأفق إلى نصفين ..
وحياتي إلى نصفين ..

أقرأ جسدك .. وأنتقف

- ١ -

يوم توقف الحوار بين نهديك المغتسلين بالماء ..
وبين القبائل المتقاتلة على الماء ..
بدأت عصور الانحطاط ..
أعلنت الغيوم الإضراب عن المطر
لمدة خمسمئة سنة ..
وأعلنت العصافير الإضراب عن الطيران
وامتنعت السنابل عن إنجاب الأولاد
وصار شكل القمر كشكل زجاجة النفط ..

- ٢ -

يوم طردوني من القبيلة ..
لأنني تركت قصيدة على باب خيمتك ..
وتركت لك معها ورده ..
بدأت عصور الانحطاط ..
إن عصور الانحطاط ليست الجهل بمبادئ النحو الصرف ..
ولكنها الجهل بمبادئ الأنوثة ..
وشطب أسماء جميع النساء من ذاكرة الوطن ..

- ٣ -

أه يا حبيبتى ..
ما هو هذا الوطن الذي يتعامل مع الحب ..
كشرطي سير ؟ ..
فيعتبر الوردة مؤامرة على النظام ..
ويعتبر هذا الوطن المرسوم على شكل جرادة صفراء ..

تزحف على بطنها من المحيط إلى الخليج ..
من الخليج إلى المحيط ..
والذي يتكلم في النهار كقديس ..
ويدوخ في الليل على سرّة امرأة ..
-٤-

ما هو هذا الوطن ؟
الذي ألغى الحب من مناهجه المدرسية ..
وألغى فن الشعر ..
وعيون النساء ..
ما هو هذا الوطن ؟
الذي يمارس العدوان على كل غمامة ماطرة
ويفتح لكل نهد ملفاً سرياً ..
وينظم مع كل وردة محضر تحقيق !!
-٥-

يا حبيبتي ..
ماذا نعمل في هذا الوطن ؟
الذي يخاف أن يرى جسده في المرأة ..
حتى لا يشتهييه ..
ويخاف أن يسمع صوت امرأة في التلفون ..
حتى لا يُنقَضَ وضوءُهُ ..
ماذا نعمل في هذا الوطن ؟
الذي يعرف كل شيء عن ثورة أكتوبر ..
وثورة الزنج ..
وثورة القرامطة ..
ويتصرف مع النساء كأنه شيخ طريقة ..

ماذا نفعل في هذا الوطن ؟
بين مؤلفات الإمام الشافعي .. ومؤلفات لينين ..
بين المادية الجدلية .. وصور (البرونو) ..
بين كتب التفسير .. ومجلة (البلاي بوي) ..
بين فرقة (المعتزلة) .. وفرقة (البيتلز) ...
بين رابعة العدوية .. وبين (ايمانويل) ..

-٦-

أيتها المدهشة كالألعاب الأطفال
انني أعتبر نفسي متحضراً ..
لأنني أحبك ..
وأعتبر قصائدي تاريخية .. لأنها عاصرتك ..
كل زمن قبل عينيك هو احتمال ..
كل زمن بعدهما هو شظايا ..
فلا تسأليني لماذا أنا معك ..
إنني أريد أن اخرج من تخلفي ..
وأدخل في زمن الماء ..
أريد أن أهرب من جمهورية العطش ..
وأدخل جمهورية المانوليا ..
أريد أن أخرج من بداوتي ..
وأجلس تحت الشجر ..
وأغتسل بماء الينابيع
وأتعلم أسماء الأزهار ..
أريد أن تعلميني القراءة والكتابة
فالكثابة على جسدك أول المعرفة
والدخول إليه دخول إلى الحضارة ..

إن جسدك ليس ضد الثقافة ..
ولكنه الثقافة ..
ومن لا يقرأ دفاتر جسدك
يبقى طول حياته .. أمياً ...

كل عام وأنت حبيبي

- ١ -

كلّ عامٍ وأنتِ حبيبي ..
أقولها لكِ،
عندما تدقُّ السّاعةُ منتصفَ اللَّيلِ
وتغرقُ السّنةُ الماضيّةُ في مياهِ أحزاني
كسفينيّةٍ مصنوعةٍ من الورقِ ..
أقولها لكِ على طريقي ..
متجاوزاً كلَّ الطقوسِ الاحتفاليّةِ
التي يمارسها العالمُ منذ ١٩٧٥ سنة ..
وكاسراً كلَّ تقاليدِ الفرحِ الكاذبِ
التي يتمسكُ بها الناسُ منذ ١٩٧٥ سنة ..
ورافضاً ..
كلَّ العباراتِ الكلاسيكيّةِ ..
التي يردّها الرجالُ على مسامعِ النساءِ
منذ ١٩٧٥ سنة ..

- ٢ -

كلّ عامٍ وأنتِ حبيبي ..
أقولها لكِ بكلِّ بساطةٍ ..
كما يقرأُ طفلٌ صلاته قبلَ النومِ
وكما يقفُّ عصفورٌ على سنبلَةٍ قمحٍ ..
فتزدادُ الأزاهيرُ المشغولةُ على ثوبكِ الأبيضِ ..
زهرةً ..
وتزدادُ المراكبُ المنتظرةُ في ميناءِ عينيكِ ..

مركباً ..
أقولها لك بحرارةٍ ونزقٍ
كما يضربُ الراقصُ الإسبانيُّ قدمهُ بالأرضِ
فتتشكّلُ آلافُ الدوائرِ
حولَ محيطِ الكرةِ الأرضيةِ

- ٣ -

كلّ عامٍ وأنتِ حبيبتي
هذه هي الكلماتُ الأربعُ ..
التي سألقها بشريطٍ من القصبِ
وأرسلها إليك ليلة رأس السنة
كلُّ البطاقاتِ التي يبيعونها في المكتباتِ
لا تقولُ ما أريدهُ ..
وكلُّ الرسومِ التي عليها ..
من شموعٍ .. وأجراسٍ .. وأشجارٍ .. وكُراتِ ثلجٍ ..
وأطفالٍ .. وملائكةٍ ..
لا تُناسِبي ..
إنني لا أرتاحُ للبطاقاتِ الجاهزةِ ..
ولا للقوائدِ الجاهزةِ ..
ولا للتمنّياتِ التي يرسمُ التصديرُ
فهي كلّها مطبوعةٌ في باريس، أو لندن، أو أمستردام ..
ومكتوبةٌ بالفرنسية أو الإنكليزية ..
لتصلحَ لكلِّ المناسباتِ
وأنتِ لستِ امرأةَ المناسباتِ ..
بل أنتِ المرأةُ التي أحبُّها ..
أنتِ هذا الوجعُ اليوميُّ ..

الذي لا يقال ببطاقاتِ المعايدهُ ..
ولا يقال بالحروفِ اللاتينيّةُ ..
ولا يقال بالمراسلهُ ..
وإنما يقالُ عندما تدقُّ السّاعهُ منتصفَ الليلِ ..
وتدخلينَ كالسمكةِ إلى مياهي الدافئهُ ..
وتستحمينَ هناكُ ..
ويسافرونَ فمي في غاباتِ شِعركِ العجريّ
ويستوطنُ هناكُ ..

-٤-

لأنني أحبُّكِ ..
تدخلُ السنّةُ الجديدهُ علينا ..
دخولَ الملوكِ ..
ولأنني أحبُّكِ ..
أحملُ تصرّيحاً خاصاً من الله ..
بالتجوّلِ بينَ ملايينَ النجومِ ..

-٥-

لن نشترى هذا العيدَ شجرهً
ستكونينَ أنتِ الشجرهُ
وسأعلقُ عليكِ ..
أمنيّاتي .. وصلواتي ..
وقناديلَ دموعي ..

-٦-

كلّ عامٍ وأنتِ حبيبتي ..
أمنيّةُ أخافُ أن أتمنّاها
حتى لا أتهمّ بالطمعِ أو بالغرورِ

فكرةٌ أخافُ أن أفكرَ بها ..
حتى لا يسرقها الناسُ مني ..
ويزعموا أنهم أولُ من اخترعَ الشعرُ ..

-٧-

كلَّ عامٍ وأنتِ حبيبتي ..
كلَّ عامٍ وأنا حبيبك ..
أنا أعرفُ أنني أتمنى أكثرَ مما ينبغي ..
وأحلمُ أكثرَ من الحدِّ المسموح به ..
ولكن ..
من له الحقُّ أن يحاسبني على أحلامي؟
من يحاسبُ الفقراءَ ؟
إذا حلموا أنهم جلسوا على العرشِ
لمدّةٍ خمس دقائق ؟
من يحاسبُ الصحراءَ إذا توحّمتْ على جدول ماء ؟
هناك ثلاثُ حالاتٍ يصبحُ فيها الحلمُ شرعياً :
حالة الجنون ..
وحالة الشعر ..
وحالة التعرفِ على امرأةٍ مدهشةٍ مثلك ..
وأنا أعاني - لحسن الحظ -
من الحالاتِ الثلاثِ ..

-٨-

اتركي عشيرتك ..
واتبعيني إلى مغائري الداخليّة
اتركي قبعة الورق ..
وموسيقى الجيرك ..

والملابسَ التتكريّة ..
واجلسي معي تحتَ شجرَ البرق ..
وعبأةَ الشّعْر الزرقاء ..
سأعطيكِ بمعطفي من مطر بيروت
وسأسقيكِ نبيذاً أحمر ..
من أقبية الرّهبان ..
وسأصنعُ لكِ طبقاً إسبانياً ..
من قواقع البحر ..
اتبعيني - يا سيّدي - إلى شوارع الحلم الخلفيّة ..
فلسوفَ أطلعكِ على قصائد لم أقرأها لأحد ..
وأفتحُ لكِ حقائبَ دموعي ..
التي لم أفتحها لأحد ..
ولسوفَ أحبُّكِ ..
كما لا أحبُّكِ أحد ..

- ٩ -

عندما تدقُّ السّاعةُ الثانية عشرة
وتفقدُ الكرة الأرضيّة توازنها
ويبدأ الرّاقصون يفكّرون بأقدامهم ..
سأنسحبُ إلى داخل نفسي ..
وسأسحبكِ معي ..
فأنتِ امرأةٌ لا ترتبطُ بالفرح العام ..
ولا بالزمن العام ..
ولا بهذا السّيرك الكبير الذي يمرُّ أمامنا ..
ولا بتلك الطبول الوثنيّة التي تُقرع حولنا ..
ولا بأقنعة الورق التي لا يبقى منها في آخر الليل

سوى رجالٍ من ورقٍ ..
ونساءٍ من ورقٍ ..

- ١٠ -

آه .. يا سيّدي
لو كان الأمرُ بيدي ..
إذن لصنعتُ سنةً لكِ وحدكِ
تفصلّينَ أيّامها كما تريدينُ
وتسندينَ ظهركِ على أسابيعها كما تريدينُ
وتتشمّسينُ ..
وتستحمّينُ ..
وتركضينَ على رمالِ شهورها ..
كما تريدينُ ..

آه .. يا سيّدي ..
لو كان الأمرُ بيدي ..
لأقمتُ عاصمةً لكِ في ضاحيةِ الوقتِ
لا تأخذُ بنظامِ السّاعاتِ الشمسيّةِ والرمليّةِ
ولا يبدأ فيها الزمنُ الحقيقيُّ
إلا ..

عندما تأخذُ يدكِ الصّغيرةُ قبولتّها ..
داخلَ يدي ..

- ١١ -

كلّ عامٍ .. وأنا متورّطٌ بكِ ..
وملاحقٌ بتهمةِ حبّكِ ..
كما السّماءُ مُتّهمةٌ بالزُّرقةِ
والعصافيرُ مُتّهمةٌ بالسّفَرِ

والشفة متهمة بالاستدارة ...
كلّ عامٍ وأنا مضروبٌ بزلزالك ..
ومبللٌ بأمطارك ..
ومحفورٌ - كالإناء الصينيّ - بتضاريس جسمك
كلّ عامٍ وأنتِ .. لا أدري ماذا أسميكِ ..
اختاري أنتِ أسماءكِ ..
كما تختارُ النقطةَ مكانها على السطرِ
وكما يختارُ المشطُ مكانه في طيّاتِ الشّعْر ..
وإلى أن تختاري إسمكِ الجديدُ
إسمحي لي أن أناديكِ :
" يا حبيبتي " ...

إلى حبيتي في رأس السنة ...

- ١ -

أنقل حبي لك من عام إلى عام ..
كما ينقل التلميذ فروضه المدرسية إلى دفتر جديد
أنقل صوتك .. ورائحتك .. ورسائلك ..
ورقم هاتفك .. وصندوق بريدك ..
وأعلقها في خزانة العام الجديد ..
وأمنحك تذكرة إقامة في قلبي ..

- ٢ -

إنني أحبك ..
ولن أتركك وحدك على ورقة ٣١ ديسمبر أبداً
سأحملك على ذراعي ..
وأنتقل بك بين الفصول الأربعة ..
ففي الشتاء سأضع على رأسك قبعة صوف حمراء ..
كي لا تبردي ..
وفي الخريف ، سأعطيك معطف المطر الوحيد الذي
أملكه ..
كي لا تتبللي ..
وفي الربيع ..
سأتركك تنامين على الحشائش الطازجة ..
وتتناولين طعام الإفطار ..
مع الجنادب والعصافير ..
وفي الصيف ..
سأشتري لك شبكة صيد صغيرة ..

لتصطادي المحار ..
وطيور البحر ..
والأسماك المجهولة العنواين

-٣-

إنني أحبك ..
ولا أريد أن أربطك بذاكرة الأفعال الماضية ..
ولا بذاكرة القطارات المسافرة ..
فأنت القطار الأخير الذي يسافر ليلاً ونهاراً
فوق شرايين يدي ..
أنت قطاري الأخير ..
وأنا محطتك الأخيرة ..

-٤-

إنني أحبك ..
ولا أريد أن أربطك بالماء .. أو بالريح
أو بالتاريخ الميلادي أو الهجري ..
ولا بحركات المد والجزر ..
أو ساعات الخسوف والكسوف
لا يهمني ما تقوله المراصد ..
وخطوط فناجين القهوة ..
فعيناك وحدهما هما النبوءة
وهما المسؤولتان عن فرح هذا العالم ..

-٥-

أحبك ..
وأحب أن أربطك بزمني .. وبطقسي ..
وأجعلك نجمة في مداري ..

أريد أن تأخذي شكل الكلمة ..
ومساحة الورقه ..
حتى إذا نشرت كتاباً .. وقرأه الناس ..
عثروا عليك ، كالوردة في داخله ..
وأما أنا ..
فأجمل الشوارع والأرصفة المغسولة والمطر ..
على ظهري .. وأبحث عنك ..
أريد أن تأخذي شكل فمي ..
حتى إذا تكلمت ..
حسبك الناس تستحمين في صوتي ..
أريدك أن تأخذين شكل يدي ..
حتى إذا وصفتها على الطاولة ..
وجدك الناس نائمة في جوفها ..
كفراشة في يد طفل ..
إنني لا أحترف طقوس التهنئة ..
إنني أحترف العشق ..
أحترفك ..
يتجول هو فوق جلدي ..
وتتجولين أنت تحت جلدي ..

-٦-

لماذا تتأمرين عليّ مع المطر ؟ ما دمت تعرفين ..
أن كل تاريخي معك .. مقترن بسقوط المطر ..
وأن الحساسية الوحيدة التي تصيبني ..
عندما أشم رائحة نهديك ..
هي حساسية المطر ..

لماذا تتأمرين علي ؟ .. ما دمت تعرفين ..
أن الكتاب الوحيد الذي أقرؤه بعدك ..
هو كتاب المطر ..

-٧-

إنني أحبك ..
هذه هي المهنة الوحيدة التي أتقنها ..
ويحسدني عليها أصدقائي وأعدائي ..
قبلك .. كانت الشمس ، والجبال ، والغابات ..
في حالة بطالة ..
واللغة بحالة بطالة .. والعصافير بحالة بطالة ..
فسكراً لأنك أدخلتني المدرسة ..
وشكراً .. لأنك علمتني أبجدية العشق ..
وشكراً .. لأنك قبلت أن تكوني حبيبتي ..

هل تسمحين لي أن أصطاف ؟

-١-

أيتها المرأة التي تستوطن جهازني العصبي ..
هل تسمحين لي أن أصطاف كما يصطاف الآخرون ؟
وأتمتع بأيام الجبل ..
كما يتمتع الآخرون ..
الجبل مروحة حرير اسبانية
وأنت مرسومة عليها ..
وعصافير عينيك ..
تأتي أفواجاً أفواجاً من جهة البحر ..
كما تطير الكلمات من أوراق دفتر أزرق ..
هل تسمحين لذاكرتي أن تكسر حصار رائحتك ؟
وتشم رائحة الحبق ، والوزال ، والزعر البري
هل تسمحين لي ..
أن أجلس على الشرفة الصيفية دقيقة واحدة ؟
دون أن يتسلق صوتك كعريشة زرقاء
على درابزين بيتنا ..
ودون أن أحبك في قهوتي الصباحية ؟

-٢-

لقد اشتغلت تسعة شهور ..
عند نهديك المتغطرسين !! ..
ولي الحق - ككل عمال العالم -
أن أنال إجازتي السنوية ..
كان أجري قليلاً ..

وحظي قليلاً ..
وراحتاي مشقتين ..
من كثرة الشغل في مناجم الذهب
حتى في أول أيار ..
ذهبت إلى عملي كبقية الأيام
وحرصت نهديك النائمين ..
كبقية الأيام ..
حتى القروش القليلة التي ادخرتها
اشتريت بها لهما ..
فطائر اللوز والعسل ..
ولكن نهديك ..
- ككل أولاد العائلات الإقطاعية -
إعتبرتني مملوكاً لهما ..
من عهد أول ملك من ملوك الأسرة النهديّة ..
وجلداني تسعين جلدة على ظهري ..
وتسعين جلدة على صدري ..
حتى أسقطت دعواي عنهما ..
وعدن إلى العمل

- ٣ -

علقتك في خزانة ثيابي في بيروت ..
وأخذت المفتاح معي ..
خبأت وجهك تحت قمصاني ومناديلي ..
وخرجت على أطراف أصابعي ..
قبل أن تستيقظي ..

.....

..... واليوم .. وأنا أتمشى على طرقات الجبل ..
رأيتك تتكئين على سنبله قمح ..
وتتسابقين مع عصفور صباحي ..
وتربطين شعرك بغمامة برتقالية ..
ماذا تفعلين هنا ؟
ومن أعطاك عنواني في الجبل ؟
أيتها الواحدة التي اصطدمت بعشقي ..
فصارت امرأة ..
واصطدمت بطقس نهديها الاستوائيين ..
فعرفت حجم رجولتي ..
منحتك البركة والتكاثر ..
وجعلتك كماء البحر .. واحدة .. ومتعددة ..
ووضعت يدي على بياض فخذيك ..
فأصبحت قبيله ..
ماذا تفعلين هنا ؟
حتى الغابة ..
تذكرني كيف كنت تمشطين شعرك ..
فأبكي ..
حتى القمة ..
تذكرني بارتفاع نهديك عن سطح البحر ..
فأدوخ ..

-٤-

هل بوسع رجل يحبك مثلي ..
أن يصطاف اصطيافاً طبيعياً ؟
هل بوسعي أن أنفصل عن المجموعة الشمسية

التي تدور منذ ملايين السنين حول عينيك
وأصطاف في إقليم آخر ..
لا يخضع لسلطانك ؟
هل يمكنني أن أمارس هذا الاختيار الصعب ؟
فأجلس كالمجاذيب على كرسي هزاز ..
أقرأ القصص البوليسية ...
وأشرب المياه المعدنية
وأمتحن ثقافتني بالكلمات المتقاطعة ..
الاصطياف زمن مسطح ..
وأن مرتبك بزمانك رغم كثرة نتوئاته ..
والاصطياف فراغ .. وأنا ممتلىء بك ..
والاصطياف تغيير ..
وأنا لا أريد أن أغبرك ..
بكنوز الدنيا ..
قولي لي ..
من هو الأبله الذي اخترع كلمة الاصطياف ؟
فرماك كخاتم الذهب على رمال بيروت ..
وفرض علي الإقامة الجبرية
تحت شجرة النوم ..
ربما كان لا يعرف أن الشجرة ..
تبقى ألف سنة على رأس الجبل
ولا تصبح امرأة ..
في حين أنك في اللحظة التي
تدخلين فيه إقليم صدري ..
تصبحين شجرة ..

تأخذين في حقائبك الوقت وتسافرين..

- ١ -

تجولت في شوارع وجهك ..
أيتها المرأة التي كانت في سالف الزمان حبيبتني
سألت عن فندقتي القديم ..
وعن الكشك الذي كنت أشتري نته جرائدي
وأوراق اليانصيب التي لا تريح ..
لم أجد الفندق .. ولا الكشك ..
وعلمت أن الجرائد ..
توقفت عن الصدور بعد رحيلك ..
كان واضحاً أن المدينة قد انتقلت ..
والأرصفة قد انتقلت ..
والشمس قد غيرت رقم صندوقها البريدي
والنجوم التي كنا نستأجرها في موسم الصيف
أصبحت برسم التسليم ..
كان واضحاً .. أن الأشجار غيرت عناوينها ..
والعصافير أخذت أولادها ..
ومجموعة الأسطوانات الكلاسيكية التي تحتفظ بها
وهاجرت ..
والبحر رمى نفسه في البحر .. ومات ..

- ٢ -

تجولت في أزقة صوتك الممطرة
بحثاً عن مظلة تقيني من الماء ..
كان في يدي خريطة المدينة التي أحببتك فيها ..

وأسماء الأندية الليلية التي راقصتك فيها ..
ولكن شرطي السير ، سخر من بلاهتي
وأخبرني .. أن المدينة التي أبحث عنها ..
قد ابتلعها البحر ..
في القرن العاشر قبل الميلاد ...

- ٣ -

ذهبت إلى المحطات التي كنت أستقبلك فيها ..
وإلى المحطات التي كنت أودعك فيها ..
سألت عنك في عربة الدرجة الأولى ..
المخصصة للنوم ..
فوجت على باب مقصورتك ..
عشرات من سلال الأزهار ..
ولافتة مطبوعة بكل اللغات :
" الرجاء عدم الإزعاج " ..
وفهمت أنك مسافرة .. بصحبة رجل آخر ..
قدم لك البيت الشرعي
والجنس الشرعي
والموت الشرعي ..

- ٤ -

أيتها المرأة التي كانت في سالف الزمان حبيبتي
لماذا تضعين الوقت في حقائبك ..
وتسافرين ..؟
لماذا تأخذين معك أسماء أيام الأسبوع ؟
وخلطة الشهور والأعوام ..
وكروية الأرض ..

إنني لا أستوعب خروجك من دورتي الدموية
كما لا تستوعب السمكة خروجها من الماء ..
أنت مسافرة في دمي ..
وليس من السهل أن أستبدل دمي بدم آخر ..
ففضيلة دمي نادرة ..
كالطيور النادرة ..
والنباتات النادرة ..
والمخطوطات النادرة ..
وأنت المرأة الوحيدة ..
التي يمكن أن تتبرع لي بدمها ..
ولكنك دخلت علي كسائحة ..
وخرجت من عندي كسائحة ..
كانت كلماتك الباردة ..
تتطاير كفتافيت الورق ..
وكانت عواطفك ..
كاللؤلؤ الصناعي المستورد من اليابان ..
وكانت بيروت التي اكتشفتها معك ..
وأدمنتها معك ..
وعشتها معك ..
وعشتها بالطول والعرض .. معك ..
ترمي نفسها من الطابق العاشر ..
وتتكسر .. ألف قطعة ..

-٥-

توقفي عن النمو في داخلي ..
أيتها المرأة ..

التي تتناسل تحت جلدي كغابة ..
ساعديني ..
على كسر العادات الصغيرة التي كونتها معك ..
وعلى اقتلاع رائحتك ..
من قماش الستائر ..
ورفوف الكتب ..
وبللور المزهريات ..
ساعديني ..
على استعادة لغتي ..
التي فصلت مفرداتها عليك ..
ولم تعد صالحة لسواك من النساء ..

-٦-

دلييني ..
على كتاب واحد لك يكتبوك فيه ..
وعلى عصفور واحد ..
لم تعلمه أنه تهجئة اسمك ..
وعلى شجرة واحدة ..
لا تعتبرك من بين أوراقها ..
وعلى جدول واحد ..
لم يلحس السكر عن أصابع قدميك ..

-٧-

ماذا فعلت بنفسك ؟ ..
أيتها الملكة ..
التي كانت تتحكم بحركة الريح ..
وسقوط المطر ..

وطول سنابل القمح ..
وعدد أزهار المارغريت ..
أيتها الملكة ..
التي كانت نهذاها يصفان الطقس ..
ويسيطران ..
على حركة المد والجزر ..
وإليهما .. كانت نتيجة المراكب ..
لتنزود بالعاج .. والنبيذ ..
وفاكهة الأناناس !!
ماذا فعلت بنفسك ..
أيتها السيدة التي وقع منها صوتها على الأرض ..
فأصبح شجرة ..
ووقع ظلها على جسدي ..
فأصبح نافورة ماء ..
لماذا هاجرت من صدري ؟
وصرت بلا وطن ..
لماذا خرجت من زمن الشعر ؟
واخترت الزمن الضيق ..
لماذا كسرت زجاجة الحبر الأخضر ..
التي كنت أرسمك بها ..
وصرت امرأة ..
بالأبيض ..
والأسود ..

الحب في الإقامة الجبرية

- ١ -

أستأذنك بالانصراف ..
فأقدم الذي كنت أحسب أنه لا يصبح ماء ..
أصبح ماء ..
والسماء التي كنت أعتقد أن زجاجها الأزرق
غير قابل للكسر .. انكسرت ..
والشمس ..
التي كنت أعلقها كالحلق الإسباني
في أذنيك ..
وقعت مني على الأرض .. وتهشمت ..
والكلمات ..
التي كنت أغطي بك بها عندما تنامين ..
هربت كالعصافير الخائفة ..
وتركتك عارية ..

- ٢ -

أستأذنك بالخروج .. من هذا المطلب الهوائي
بين نهديك ..
فلم تعد عندي شهوة لمناقشتك ..
أو لمضاجعتك ..
لم أعد متحمساً للهجوم على أي شيء ..
أو الدفاع عن أي شيء ..
فقد سقطنا في الزمن الدائري ..
حيث المسافة بين يدي وخاصرتك ..

لا تتغير ..
وبين أنفي ومسامات جلدك ..
لا تتغير ..
وبين زنزانه فخذيك ..
وساحة إعدامي ..
لا تتغير ..

-٣-

أستاذنك ..
بأخذ إجازة طويلة .. طويلة ..
فلقد تعبت ..
من حالة اللاشوق .. واللاحب .. التي أنا فيها ..
وتعبت من هذه الشقة المفروشة ..
التي صارت عواطفي مربعة كجدرانها ..
وشهوتي مستطيلة كدهاليزها ..
وطموحي واطناً كسقفها ..

-٥-

أريد أن أظاهر ضد حبك الفاشيستيّ
وأطلق الرصاص ..
على قصرك ..
وحرسك ..
وعربتك البرجوازية الخيول ..
أريد .. أن أحتج على سلطتك السرمدية ..
وعلى الدستور
الذي سميت به نفسك ..
مليكة .. طول الحياة ..

أريد أن أطلق الرصاص ..
على صورتك الزيتيه ..
المعلقة في صالة العرش ..
وعلى كل الشعراء ،
والنبلاء ،
والسفراء ..
الذين يدفعون لعينيك الجزيه ..
ويسقون نهديك ..
حليب العصافير ..

-٦-

أريد أن أطلق الرصاص ..
على ملابسك المسرحية ..
وعلى عدة الشغل التي تستعملها في التشخيص ..
على الأخضر .. والليلكي ..
على الأزرق .. والبرتقالي ..
على عشرات القوارير التي جمعت فيها فصائل دمي ..
على غابة الخواتم والأساور ..
التي استعملتها لابترزازي ..
على الأحزمة الجلدية العريضة ..
المصنوعة من جلد التمساح ..
والتي استعملها في جلدي ..
على دبابيس الشعر ..
ومبارد الأظافر ..
والسلاسل المعدنية ..
التي لجأت إليها ..

لأخذ اعترافاتي ..

-٧-

أريد أن أطلق الرصاص ..
على صوتك المتسلل عبر أسلاك الهاتف
فلم أعد مهتماً بهواية جمع العصافير ..
أريد أ، أطلق الرصاص ..
على حروف اسمك ..
فلم أعد مهتماً ..
بهواية جمع الأحجار النادرة ..
أريد أن أطلق الرصاص ..
على كل قصائدي .. التي كتبتها لك ..
وعلى كل الإهداءات الهيستيرية ..
التي صدرت عني ..
في ساعات الحب الشديد ..
أو ...
في ساعات الغباء الشديد ..

-٨-

أريد أن أذهب إلى البحر ..
حيث الشواطئ مفتوحة ككتاب أزرق
ففمي .. أصبح كغابة الفطر ..
من قلة الشمس ..
وعواظي أصبحت كالمخطوطات القديمة ..
من قلة الزائرين ..
وقلة القراءة ..

-٩-

أريد ..
أن أكسر دائرة الطباشير ..
وأنهي هذه الرحلة اليومية ..
بين شفتك العليا .. وشفتك السفلى
بين نهدل الأيمن . ونهدك الأيسر ..
بين جسدك البارد كمدن النحاس
وبين جنوني ..

- ١٠ -

أريد أن أحتج على شيء ما ...
أن أصطدم بشيء ما ..
أن أنتحر من أجل شيء ما ..
فلم يعد عندي ما أفعله ..
سوى أن ألعب الورق مع ضجري
هو يخسر .. وأنا أخسر ..
هو يضجر .. وأنا أضجر
هو يخبرني أنك كنت حبيبتة ..
وأنا أخبره أنك كنت حبيبتني
هو يعطيني مسدسه لأنتحر ..
وأنا أطلعه على مكاتيبك القديمة ..
فيقتل نفسه ..
ويقتلني ..

- ١١ -

أستأذن في أن أقتلك ..
إنني أعرف أن كل غمام السماء ..
ستدرف دموعها عليك

وكل الحمائم ستفرش ريشها الأبيض .. تحت رأسك
وكل شقائق النعمان ..
ستطلع من حقول جسدك ..
ولكن برغم هذا ..
سأبقى مصمماً على قتلك ..
لا من أجلي وحدي ..
ولكن من أجل كل الأسرى .. والجرحى .. ومشوهي الحب ..
ومن أجل كل الذين حكمتهم بالأشغال الشاقة ..
وفرضت عليهم ..
أن ينقلوا الرمل بملاعق الشاي ..
من نهدك الأيمن .. إلى نهدك الأيسر ..
من نهدك الأيسر .. إلى نهدك الأيمن ..
.....
.....
ولا يزالون يشتغلون ..
ولا يزالون يشتغلون ..
و ... لا ... ي ... ز ... ا ... ل ... و ... ن
ي ... ش ... ت ... غ ... ل ... و ... ن ...

أم المعتز

- ١ -

عندما كانت بيروت تموتُ بين ذِراعِيَّ
كسَمَكَةٍ اخْتَرَقَهَا رَمَحُ
جَاءَنِي هَاتِفٌ مِنْ دِمَشَقٍ يَقُولُ:
"أُمَّكَ مَاتَتْ."

لم أستوعبِ الكلماتِ في البداية
لم أستوعبُ كيفَ يمكنُ أن يموتَ السمكُ كُلُّهُ في وقتٍ
واحدٍ..

كانتُ هناكَ مدينةً حبيبةً تموتُ .. اسمُها بيروتُ
وكانتُ هناكَ أمُّ مَدْهَشَةٍ تموتُ .. اسمُها فائِزَةٌ..
وكانَ قَدْرِي أن أُخْرَجَ من موتٍ..
لأَدْخُلَ في موتٍ آخَرَ..
كانَ قَدْرِي أن أسافِرَ بينَ مَوْتَيْنِ...

- ٢ -

كلُّ مَدِينَةٍ عَرَبِيَّةٍ هِيَ أُمِّي..
دمشقُ ، بيروتُ ، القاهرةُ ، بغدادُ ، الخرطومُ ،
الدار البيضاءُ ، بنغازيُ ، تونسُ ، عمانُ ، الرياضُ ،
الكويتُ ، الجزائرُ ، أبو ظبي وأخواتِها..
هذه هِيَ شَجَرَةُ عَائِلَتِي..
كلُّ هذهِ المدائنِ أنزلتني مِنْ رَحْمِهَا
وأرضَعَتني مِنْ ثَدْيِهَا..
وملأتْ جِوْبِي عِنْباً ، وتيناً ، وبرقوقاً..

كلها هزّت لي نخلها .. فأكلت ..
وفتحت سماواتها لي .. كراسه زرقاء ..
فكّنت ..
لذلك ، لا أدخل مدينة عربية .. إلا وتناديني:
"يا ولدي ... "
لا أطرق باب مدينة عربية ..
إلا وأجد سرير طفولتي بانتظاري ..
لا تنزف مدينة عربية إلا وأنزف معها ..
فهل كانت مصادفة أن تموت بيروت ..
وتموت أمي في وقت واحد ؟

- ٣ -

يعرفونها في دمشق باسم (أم المعتزّ .)
وبالرغم من أنّ اسمها غير مذكور في الدليل السياحيّ
فهي جزء من الفولكلور الشاميّ .
وأهميتها التاريخية لا تقلّ عن أهمية (قصر العظم)
(قبر صلاح الدين) و(مئذنة العروس)
ومزار (محي الدين بن عربي)
وعندما تصل إلى دمشق ..
فلا ضرورة أن تسأل شرطيّ السير عن بيتها ..
لأنّ كلّ الياسمين الدمشقيّ يهرهز فوق شرفتها ،
وكلّ الفلّ البلديّ يتربّي في الدلال بين يديها ..
وكلّ القطط ذات الأصل التركيّ ..
تأكل .. وتشرب .. وتدعو ضيوفها .. وتعقد اجتماعاتها .
في بيت أمي .

-٤-

نسيتُ أن أقولَ لكم ، إنَّ بيتَ أمِّي كانَ معقلاً للحركةِ
الوطنيةِ في الشَّامَ عامَ ١٩٣٥ . وفي باحةِ دارنا الفسيحةِ
كانَ يلتقي قادةُ الحركةِ الوطنيةِ السوريةِ بالجماهيرِ .
ومنها كانتَ تنطلقُ المسيراتُ والتظاهراتُ ضدَّ الانتدابِ
الفرنسيِّ ..

وبعدَ كلِّ اجتماعٍ شعبيِّ ، كانتَ أمِّي تُحصي عددَ
ضحاياها من أصصِ الزَّرْع التي تحطَّمتْ .. والشتولِ
النادرةِ التي انقصفتْ .. وأعوادِ الزنبقِ التي انكسرتْ ..
وعندما كانتَ تذهبُ إلى أبي شاكيةً لهُ خسارتها الفادحةِ ،
كانَ يقولُ لها ، رحمهُ اللهُ ، وهوَ يبتسمُ :
(سجّلي أزهارك في قائمةِ شهداءِ الوطنِ ... و عوضك
على الله) ..

وتخجلُ أمِّي من سخريةِ أبي المبطنةِ ، ولكنها في نفسِ
الوقتِ ، تشعرُ بهزّةِ عنفوانِ ، لأنَّ بيتها صارَ بيتَ
الوطنيةِ .. ولأنَّ أزهارها ماتتْ من أجلِ الحريةِ ...

-٥-

أمِّي لا تتعاطى العلاقاتِ العامّةِ ، وليسَ لها صورةٌ واحدةٌ
في أرشيفِ الصحافةِ .

لا تذهبُ إلى الكوكتيلات وهي تلفُ ابتسامتها بورقةِ
سولوفانٍ ..

لا تقطعُ كعكةَ عيدِ ميلادها تحتَ أضواءِ الكاميراتِ ...
لا تشتري ملابسها من لندن وباريس ، وترسلُ تعميماً
بذلكَ إلى من يهمةُ الأمرِ ...

لا توزَّعُ صورها كطوابع البريدِ على محرِّراتِ
الصفحاتِ الاجتماعيةِ
ولم يسبقُ لها أن استقبلتْ مندوبةً أيّ مجلةٍ نسائيةٍ،
وحدّثتها عن حبّها الأوّل .. وموعدها الأوّل .. ورجلها
الأوّل..

فأمّي (دّقةٌ قديمة) .. ولا تفهمُ كيفَ يكونُ للمرأةِ حبٌّ
أوّلٌ .. وثانٍ .. وثالثٌ .. وخامسٌ عَشْرٌ..
أمّي تؤمنُ بربِّ واحدٍ .. وحبيبٍ واحدٍ .. وحبٍ واحدٍ..

-٦-

قهوةٌ أمّي مشهورةٌ..
فهيَ تطحنُها بمطحنتِها النّحاسيّةِ فنجاناً .. فنجاناً..
وتغليها على نارِ الفحمِ .. ونارِ الصبرِ...
وتعطرُها بحبِّ الهالِ..
وترشُّ على وجهِ كلِّ فنجانٍ قطرتينِ من ماءِ الزّهرِ..
لذلكَ تتحوّلُ شرفةُ منزلنا في الصّيفِ..
إلى محطةٍ تستريحُ فيها العصافيرُ..
وتشربُ قهوتها الصباحيةَ عندنا..
قبلَ أن تذهبَ إلى الشّغلِ..

-٧-

وزارةُ زراعةٍ كانتْ هذهِ المرأةُ..
ومن كثرةِ الأزهارِ ، والألوانِ ، والروائحِ التي أحاطتْ
بطفولتي كنتُ أتصوّرُ أنّ أمّي .. هي موظّفةٌ في قسمِ
العطورِ بالجنّةِ..

-٨-

بموتِ أمِّي..
يسقطُ آخرُ قميصِ صوفٍ أغطي بهِ جسدي
آخرُ قميصِ حنانٍ..
آخرُ مظلةٍ مطرٍ..
وفي الشتاءِ القادمِ..
ستجدونني أتجولُ في الشوارعِ عارياً..

- ٩ -

كلُّ النساءِ اللواتي عرفنهنَّ
أحببّني وهُنَّ صاحباتِ..
وحدها أمِّي..
أحببّني وهي سكرى..
فالحبُّ الحقيقيُّ هوَ أنْ تُسكرِ..
ولا تعرفِ لماذا تُسكرِ..

- ١٠ -

أمِّي متفشيةٌ في لغتي..
كلّما نسيتُ ورقةً من أوراقِي في صحنِ الدارِ..
رشتها أمِّي بالماءِ مع بقيةِ أحواضِ الزرعِ..
فتحوّلتِ الألفُ إلى (امرأة) ..
والباءُ إلى (بنفسجة)
والدالُ إلى (دالية)
والراءُ إلى (رمانة)
والسينُ إلى (سوسنة) أو (سمكة) أو (سنونوة)
ولهذا يقولونَ عن قصائدي إنها (مكيفةُ الهواءِ)

ويشترونها من عند بائع الأزهار..
لا من المكتبة...

- ١١ -

كُلّما سألوها عن شعري ، كانت تُجيبُ:
"ملائكة الأرض والسّماء .. ترضى عليه ."
طبعاً ... أمّي ليست ناقدّة شعريّ موضوعيّة.
ولكنّها عاشقة . ولا موضوعيّة في العشق.
فيا أمّي . يا حبيبتّي . يا فائزة..
قولي للملائكة الذين كلفتهم بحراستي خمسين عاماً، أن
لا يتركوني..
لأني أخاف أن أنام وحدي...

نزار قباني

Simpo PDF Merge and Split Unregistered Versi



100

رسالة حب

عذاب

www.dvd4arab.com

الطبعة الثانية عشرة

آذامر (مارس) ١٩١٢

هذه الرسائل المئة التي أنشرها ، هي كل ما تبقى من غبار حبي .. وغبار حبيباتي ...

ولا أعتقد أنني أنشرها ، أخون أحداً أو أعتدي على عذرية أحد .
فأنا شاعر كان له - ككل الرجال - تراث من العشق لا يختجل به ،
ومجموعة من الرسائل لم يجد الشجاعة الكافية لإلقائها في النار ..
وأنا لا أنكر أنني فكرت في النار ، كحل أخير يحررني من هذه التركة
الثقيلة من الرسائل التي أحتفظ بها .. ويحرر جميع حبيباتي ..
غير أنني حين رجعتُ إلى محتويات هذه التركة .. وجدتُ أن بعض هذه
الرسائل فيه شيء كثير من قماشة الشعر .. وبعضها الآخر شعر حقيقي .
عندئذ ، ترجعتُ عن عملية الحرق .. والتقطتُ من بين أكداس الرسائل
مئة رسالة .. أو مقاطع من رسائل وجدتُ فيها إيقاعاً شعرياً وإنسانياً ،
يتجاوز إطار الخصوصيات إلى إطار العموميات . رغم قناعتني بأن الخطُ
الذي يرسمه الناس بين خصوصيات الفنان وعموميته هو خطٌ وهمي .
ثم إنني أعتقد أن الكاتب لا يكون في ذروة حريته إلا في مراسلاته
الخاصة ، أي عندما يقف أما المرأة متجرداً من أقنعه وثيابه المسرحية التي
يفرض المجتمع عليه أن يرتديها ..
فالرسائل هي الأرض المثالية التي يركض الكاتب عليها ، كطفل حافي
القدمين ، ويمارس فيها طفولته بكل ما فيها من براءة ، وحرارة ، وصدق .
إنها اللحظات الصافية ، التي يشعر فيها الكاتب أنه غير مراقب . وغير
خاضع للإقامة الجبرية .

*

وانا بالرغم من الحرية التي كنتُ أمارسها كشاعر ، كنتُ أحسّ في كثير
من الأحيان بأنني مقيد بأصول الشعر ، وقواعده ، وإطاراته العامة ، وأن
هناك أشياء خلف ستائر النفس ، تريد أن تعبر عن ذاتها خارج شكليات
الشعر ومعادلاته الصارمة .

وبتعبير آخر .. كانت هناك منطقة في داخلي ، تريد أن تنفصل عن
سلطة الشعر ..

تريد أن تتجاوز الشعر ..

*

ومرة أخرى ، أود أن أقول ، إنني لا أبتغي من نشر هذه الرسائل إحراج
أية امرأة ، أو كشف أوراقها .

فالتشهير ليس من هواياتي ، والتشخيص لا يهمني أبداً لأن النساء يأتين
ويذهبن .. كما يأتي الربيع ويذهب .. وكذلك الحبّ .. فهو مسافر قصير
الإقامة .. لا يفتح حقائبه حتى يغلقها .. ويرحل من جديد ..
إن الحبّ انفعال رائع ، بغير ريب ، ولكن الأروع منه هي هذه الحرائق
التي يتركها على دفاترنا ، وذلك الرماد الذي يبقى منه على أصابعنا ..
والمرأة هي الأخرى جميلة ، ولكن الأجل منها هو آثار أقدامها على
أوراقنا .. بعد أن تذهب .

*

وبعد .. فهذه الرسائل هي كلّ ما تبقى من غبار حبي .. ومن غبار
حبيباتي ، وأنا أنشرها لأنني مؤمن أن عشق الفنان ليس عشقه وحده ولكنه
عشق الدنيا كلها .. ورسائله إلى حبيبته مكتوبة إلى كل نساء العالم ..

نزار قباني

(١)

أريد أن أكتبَ لكِ كلاماً
لا يشبهه الكلامُ
وأخترع لغةً لكِ وحدكِ
أفصلها على مقاييس جسدكِ
ومساحة حبي .

*

أريدُ أن أسافر من أوراق القاموس
وأطلبَ إجازة من فمي .
فلقد تعبتُ من استدارة فمي
أريد فماً آخر ..
يستطيع أن يتحول متى أرادُ
إلى شجرة كرز
أو علبه كبريت
أريد فماً جديداً
تخرج منه الكلماتُ
كما تخرج الحوريات من زبد البحر
وكما تخرج الصيصان البيضاء
من قبة الساحر ..

*

خذوا جميعَ الكتب
التي قرأتها في طفولتي
خذوا جميع كراريسي المدرسية
خذوا الطباشير ..
والأقلام ..
والألواح السوداء ..
وعلموني كلمةً جديدةً
أعلقها كالحلقُ
في أذن حبيبتني

*

أريدُ أصابعَ أخرى ..
لأكتب بطريقةٍ أخرى

فأنا أكرهُ الأصابع التي لا تطول .. ولا تقصر
كما أكرهُ الأشجار التي لا تموت .. ولا تكبر
أريد أصابعَ جديدةً ..
عاليةً كصواري المراكبِ
وطويلةً ، كأعناق الزرافاتِ
حتى أفصل لحبيبي
قميصاً من الشعرِ ..
لم تلبسه قبلي .
أريدُ أن أصنع لكِ أبجديةً
غير كل الأبجدياتِ .
فيها شيء من إيقاع المطرِ
وشيء من غبار القمرِ
وشيء من حزن الغيوم الرمادية
وشيء من توجع أوراق الصفصاف
تحت عربات أيلولِ .
أريد أن اهديك كنوزاً من الكلمات
لم تُهدَ لامرأة قبلكِ ..
ولن تهدي لامرأة بعدكِ .
يا امرأةً ..
ليس قبلها قبلُ
وليس بعدها بعدُ

*

أريدُ أن أعلم نهديكِ الكسولينُ
كيف يهجيان اسمي ..
وكيف يقرءان مكاتيبي
أريد .. أن أجعلك اللغة ..

(٢)

نهارَ دخلت عليَّ
في صبيحة يوم من أيام آذارِ
كقصيدة جميلة .. تمشي على قدميها
دخلت الشمس معكِ ..
ودخل الربيع معكِ ..

كان على مكتبي أوراقٌ .. فأورقتُ
وكان أمامي فنجانُ قهوة
فشربني قبل أن أشربه
وكان على جدارني لوحةٌ زيتية
لخيول تركض ..
فتركتني الخيولُ حين راتك
وركضتُ نحوك ..

*

نهارَ زرتني ..
في صبيحة ذلك اليوم من آذارٍ
حدثتُ قشعريرةً في جسد الأرض
وسقط في مكان ما .. من العالم
نيزكٌ مشتعلٌ ..
حسبه الأطفال فطيرةً محشوةً بالعسل ..
وحسبته النساء ..
سواراً مرصعاً بالماس ..
وحسبه الرجال ..
من علامات ليلة القدر ..

*

وحين نزلت معطفك الربيعي
وجلست أمامي ..
فرائة تحمل في حقائبها ثياب الصيف ..
تأكدت أن الاطفال كانوا على حق ..
والنساء كن على حق ..
والرجال كانوا على حق ..
وأنت ..
شهية كالعسل ..
وصافية كالماس ..
ومذهلي كليلة القدر ...

(٣)

عندما قلتُ لكِ :
" أحبك "

كنت أعرفُ ..
أنني أقود انقلاباً على شريعة القبيلة
وأقرع أجراس الفضيحة
كنتُ أريد أن أستلم السلطة
لأجعل غابات العالم أكثرَ ورقاً
وبحارَ العالم أكثرَ زرقةً
واطفالَ عالم أكثرَ براءة
كنتُ أريد ..
أن أنهي عصر البربرية
وأقتل آخر الخلفاء
كان في نيتي - عندما أحببتك -
أن أكسر أبواب الحريم
وأنقذ أتداء النساء ..
من أسنان الرجال ..
وأجعل حلماتهم
ترقص في الهواء مبتهجة
كحبات الزعرور الأحمر ..

*

عندما قلت لك :
" أحبك " ..
كنتُ أعرف ..
أنني أخترع أبجدية جديدة
لمدينة لا تقرأ ..
وأنشد أشعاري في قاعة فارغة
وأقدم النبيذ
لمن لا يعرفون نعمة السكر .

*

عندما قلت لك :
" أحبك " ..
كنتُ أعرف .. أن المتوحشين سيتعقبونني
بالرماح المسمومة ، وأقواس النشاب
وأن صوري ..
ستلصق على كل الحيطان

وأن بصماتي ..
ستوزع على كل المخافر
وأن جائزة كبرى ..
ستعطى لمن يحمل لهم رأسي
ليعلق على بوابة المدينة
كبرتقالة فلسطينية ..
عندما كتبت اسمك على دفاتر الورد
كنت أعرف ..
أن كل الأميين سيقفون ضدي
وكل آل عثمان .. ضدي
وكل الدراويش .. والطرابيش . ز ضدي .
وكل العاطلين بالوراثة
عن ممارسة الحبّ .. ضدي
وكل المرضى بورم الجنس ..
ضدي ..
عندما قررتُ أن أقتل آخر الخافاء
وأعلن قيام دولة الحبّ ..
تكونين أنتِ مليكتها ..
كنتُ أعرف ..
أن العصافير وحدها ..
ستعلن الثورة معي ..

(٤)

حين وزع الله النساء على الرجال
وأعطاني إياك ..
شعرتُ ..
أنه انحاز بصورة مكشوفة إليّ
وخالف كل الكتب السماوية التي ألفها
فأعطاني النبيذ ، وأعطاهم الحنطة
ألبسني الحرير ، وألبسهم القطن
أهدى إليّ الوردة
وأهداهم الغصن ..
حين عرفني الله عليك ..

وذهب إلى بيته
فكرتُ .. أن أكتب له رسالة
على ورقٍ أزرقٍ
وأضعها في مغلفٍ أزرقٍ
وأغسلها بالدمع الأزرقٍ
أبدوها بعبارة : يا صديقي
كنتُ أريد أن أشكره
لأنه اختارك لي ..
فإنه - كما قالوا لي -
لا يستلم إلا رسائلَ الحب
ولا يجاوب إلى عليها ..
حين استلمت مكافأتي
ورجعت أحملك على راحة يدي
كزهرة مانوليا
بستُ يد الله ..
وبستُ القمر والكواكب
واحداً .. واحداً
وبستُ الحبال .. والأودية
وأجنحة الطواحين
بستُ الغيوم الكبيرة
والغيوم التي لا تزال تذهب إلى المدرسة
بستُ الجزر المرسومة على الخرائط
والجزر التي لا تزال بذاكرة الخرائط
بستُ الأمشاط التي ستتمشطين بها
والمرايا .. التي سترتسمين عليها ..
وكلّ الحمام البيضاء ..
التي ستحميل على أجنحتها
جهازَ عرسك ..

(٥)

لم أكن يوماً ملكاً
ولم أنحدر من سلالات الملوك
غير أن الإحساس بانك لي ..

يعطيني الشعورَ
بأنني أبسط سلطتي على القارات الخمس
وأسيطر على نزوات المطر ، وعربات الريح
وأمتلك آلاف الفدادين فوق الشمس ..
وأحكم شعوباً .. لم يحكمها أحدٌ قبلي ..
والعب بكواكب المجموعة الشمسية ..
كما يلعب طقلاً بأصداف البحر ..
لك أكن يوماً ملكاً
ولا أريدُ أن أكونه
غيرَ أن مجردَ إحساسي
بأنك تنامين في جوف سدس ..
كلؤلؤة كبيرة ..
في جوف يدي ..
يجعلني أتوهم ..
بأنني قيصر من قياصرة روسيا
أو أنني ..
كسرى أنوشروان ..

(٦)

لماذا أنتِ ؟
لماذا أنتِ وحدك ؟
من دون جميع النساء
تغيرين هندسة حياتي
وإيقاع أيامي
وتتسللسن حافيةً ..
إلى عالم شؤوني الصغيرة
وتقفلين وراءك الباب ..
ولا أعترض ..

*

لماذا ؟
أحبك أنتِ بالذات
وأنتقيلك أنتِ بالذات
وأشتهيك أنتِ بالذات

أسمح لك ..
بأن تجلسي فوق أهدابي
تُغنين ،
وتدخينين ،
وتلعبين الورق ..
ولا أعترض .

*

لماذا ؟
تشطبين كل الأزمنا
وتوقفين حركة العصور
وتغتالين في داخلي
جميع نساء العشيرة
واحدة .. واحدة .. ولا أعترض

لماذا ؟
أعطيك ، من دون جميع النساء
مفاتيح مُدني
التي لم تفتح أبوابها ..
لأي طاغية
ولم ترفع راياتها البيضاء ..
لأية امرأة ..
واطلب من جنودي
أن يستقبلوك بالأناشيد
والمناديل ..
وأكاليل الغار ..
وأبايعُك ..
أمام جميع المواطنين
وعلى أنغام الموسيقى ، ورنين الأجراس
أميرة مدى الحياة ..

(٧)

علمتُ اطفالَ العالم
كيف يهجون اسمك ..

فتحولت شفاههم إلى أشجار توت .
أصبحت يا حبيبتي ..
في كتب القراءة ، وأكياس الحلوى .
خبأتك في كلمات الأنبياء
ونبيذ الرهبان .. ومناديل الوداع
رسمتك على نوافذ الكنائس
ومرايا الحُلم ..
وخشب المراكب المسافرة
أعطيتُ أسماك البحر ..
عنوانَ عينيكِ
فنسيتُ عناوينها القديمة
أخبرتُ تجار الشرق ..
عن كنوز جسدك ..
فصارت القوافل الذاهبة إلى الهند
لا تشتري العاج
إلا من أسواق نهديك ..
أوصيتُ الريحَ
أن تمشط خصلات شعرك الفاحم
فاعذرت .. بأن وقتها قصيرٌ ..
وشعركِ طويلٌ ..

(٨)

من أنت يا امرأة ؟
أيتها الداخلة كالخنجر في تاريخي
أيتها الطيبة كعيون الأرنب
والناعمة كوبر الخوخة
أيتها النقية ، كأطواق الياسمين
والبريئة كمرائل الأطفال ..
أيتها المفترسة كالكمة ..
أُخرجي من أوراق دفاتري
أخرجي من شرشف سريري ..
أخرجي من فناجين القهوة
وملاعق السكر ..

أخرجني من أزرار قمصاني
وخيوط مناديلي ..
وخيوط من فرشاة أسناني
ورغوة الصابون على وجهي
أخرجني من كل أشيائي الصغيرة
حتى أستطيع أن أذهب إلى العمل ...

(٩)

إنني أحبك ..
ولا ألعب معك لعبة الحب
ولا أتخاصم معك كالأطفال على أسماك البحر
سمكة حمراء لك ..
وسمكة زرقاء لي ..
خذي كل السمك الأحمر والأزرق
وظلي حبيبتني ..
خذي البحر .. والمراكب ، والمسافرين .
وظلي حبيبتني ..
إنني أضع جميع ممتلكاتي أمامك ..
ولا أفكر في حساب الربح والخسارة ..
ربما ..
لم يكن عندي أرصدة في البنوك
ولا آبار بترول أتغرغر بها ..
وتستحم فيها عشيقاتي ..
ربما .. لم تكن عندي ثروة آغاخان ..
ولا جزيرة في عرض البحر كأوناسيسر
فأنا لست سوى شاعر ..
كل ثروتي .. موجودة في دفاتري
وفي عينيك الجميلتين ..

(١٠)

رمانى حبك على أرض الدهشة
هاجمي ..
كرائحة امرأة تدخل إلى مصعد ..

فاجأني ..
وأنا أجلس في المقهى مع قصيدة
نسيتُ القصيدة .
فاجأني ..
وأنا أقرأ خطوطَ يدي
نسيتُ يدي ..
داهمني كديكٍ متوحش
لا يرى .. ولا يسمع
إختلط ريشه بريشي
إختلطت صيحاته بصيحاتي
فاجاني ..
وأنا قاعدٌ على حقائبي
أنتظر قطارَ الأيام ..
نسيتُ القطارُ ..
ونسيت الأيامُ ..
وسافرت معك ..
إلى أرض الدهشة ..

(١١)

أحملك كالوشم على ذراع بدويّ .
أحملك .. كقطع الجُدريّ
وأتسكع معك ..
على كل أرصفة العالم .
ليس عندي جواز سفر
وليس عندي صورةٌ فوتوغرافية
منذ كنت في الثالثة من عمري
إنني لا أحب التصاوير ..
كل يوم يتغير لون عيوني
كل يوم يتغير مكان فمي
كل يوم يتغير عددُ أسناني
إنني لا أحب الجلوس
على كراسي المصورين ..
ولا أحب الصورَ التذكاريةَ

كلّ أطفال العالم يتشابهون ..
وكل المعذبين في الأرض يتشابهون
كأسنان المشط ..
لذلك ..
نقعتُ جوازَ سفري القديم ..
في ماء أحزاني .. وشربته ..
وقررتُ ..
أن أطوف العالم على دراجة الحرية
وبنفس الطريقة غير الشرعية
التي تستعملها الريح عندما تسافر ..
وإذا سألوني عن عنواني
أعطيتهم عنوان كل الأرصفة
التي اخترتها مكاناً دائماً لاقامتي .
وإذا سألوني عن أوراقي
أريتهم عينيك يا حبيبتي ..
فتركوني أمرٌ
لأنهم يعرفون ..
أن السفر في مدائن عينيك ..
من حق جميع المواطنين في العالم

(١٢)

زجهك محفور على ميناء ساعتني
محفورٌ على عقرب الدقائق ..
وعقرب الثواني ..
محفورٌ على الأسابيع ..
والشهور .. والسنوات ..
لم يعد لي زمن خصوصي
أصبحت أنت الزمن

*

إنتهت معك ..
مملكة شؤونني الصغيرة .
لم يعد لدي أشياء أملكها وحدي .
لم يعد عندي زهورٌ أنسقها وحدي .

لم يعد عندي كتبٌ
أقرأها وحدي ..
أنت تتدخلين بين عيني وبين ورقتي
بين فمي ، وبين صوتي .
بين رأسي ، وبين مخدتي .
بين أصابعي ، وبين لفافتي .

*

طبعاً ..
أنا لا أشكو من سكتك فيَّ ..
ومن تدخلك في حركة يدي ..
وحركة جفني .. وحركة أفكاري
فحقول القمح لا تشكو من وفرة سنابلها
وأشجار التين لا تضيق بغصافيرها
والكؤوس لا تضيق بسكنى النبيذ الأحمر فيها .
كل ما أطلبه منك يا سيدتي
أن لا تتحركي في داخل قلبي كثيراً ..
حتى لا أتوجع ..

(١٣)

ليس لك زمانٌ حقيقي خارج لهفتي
أنا زمانك
ليس لك أبعادٌ واضحة
خارج امتداد ذراعيّ
أنا أبعادك كلها
زواياك ودوائرك ..
خطوطك المستقيمة .
يومَ دخلت إلى غابات صدري
دخلت إلى الحرية
يومَ خرجت منها
صرت جارية .
واشتراك شيخ القبيلة .

*

أنا علمتك أسماء الشجر

وحوارَ الصراصير الليلية
أعطيتك عناوينَ النجوم البعيدة
أنا أدخلتك مدرسة الربيع
وعلمتك لغةَ الطير
وأبجديةَ الينابيع .
أنا كتبتك على دفاتر المطر
وشراشف الثلج ، وأكواز الصنوبر
وعلمتك كيف تكلمين الأرنبَ والثعالب ..
وكيف تمشطين صُوفَ الخراف الربيعية .
أنا أطلعتك ..
على مكاتيب العصافير التي لم تنتشر
وأعطيتك .. خرائط الصيف والشتاء ..
لنتعلمي .. كيف ترتفع السنابلُ
وتزفرقُ الصيصانُ البيضاءً ..
وتتزوج الأسماكُ بعضها ..
ويتدفق الحليبُ من ثدي القمر ..
لكنك ..
تعبتِ من حضان الحرية
فرماك حضان الحرية
تعبتِ من غابات صدري
ومن سمفونية الصراصير الليلية
تعبتِ من النوم عاريةً ..
فوق شراشف القمر ..
فتركتِ الغابة ..
ليأكلك الذئب ..
ويفترسك – على سنة الله ورسوله –
شيخُ القبيلة ..

(١٤)

السننان اللتان كنتِ فيهما حبيبتني
هما اهم صفحاتين ..
في كتاب الحب المعاصر .
كلّ الصفحات ، قبلها ، بيضاء

وكلّ الصفحات ، بعدهما ، بيضاءً
إنهما خطّ الاستواء
المارّ بين فمي وفمك
وهما المقياس المراد
وتُضبط عليه كلّ ساعات العالم ..

(١٥)

كلما طال شعرك
طال عُمرِي ..
كلما رأيتُه منثوراً على كتفيك
لوحةً مرسومةً بالفحم ،
والحبر الصيني ..
وأجنحة السنونو
حوطته بكل أسماء الله .
هل تعرفين ؟
لماذا أستميتُ في عبادة شعركِ ..
لأنّ تفاصيل قصتنا
من أول سطر إلى آخر سطر فيها
منقوشةٌ عليه ..
شعركِ .. هو دفترُ مذكراتنا
فلا تتركي أحداً ..
يسرقُ هذا الدفترُ ..

(١٦)

عندما تضعين رأسك على كتفي
وأنا أسوق سيارتي
تترك النجوم مداراتها
وتنزل بالألوف ..
لتنزلق على النوافذ الزجاجية ..
وينزل القمر ..
ليستوطن على كتفي ..
عندئذ ..
يصبح التدخين معك متعة ..

والحوارُ متعة
والسكوتُ متعة .
والضياح في الطرقات الشتائية
التي لا أسماء لها ..
متعة .
واتمنى .. لو نبقى هكذا إلى الأبد
المطر يغني ..
ومساحات المطر تغني
ورأسك الصغير ،
متكمشُ بأعشاب صدري
كفراشة إفريقية ملونة
ترفض أن تطير ..

(١٧)

كلما رأيتك ..
أياسُ من قصائدي .
إنني لا أياسُ من قصائدي
إلا حين أكونُ معك ..
جميلةٌ أنتِ .. إلى درجة أنني
حين أفكر بروعتك .. ألهث ..
تلهث لغتي ..
وتلهث مُفرداتي ..
خلصيني من هذا الإشكال ..
كوني أقل جمالاً ...
حتى أسترد شاعريتي
كوني امرأة عادية ..
تتكحل .. وتتعطر .. وتحمل .. وتلدُ
كوني امرأة مثل كل النساء ..
حتى أتصالح مع لغتي ..

(١٨)

لستُ معلماً ..
لأعلمك كيف تحبين .

فالأسماء ، لا تحتاج إلا معلم
لنتعلم كيف تسبح ..
والعصافير ، لا تحتاج إلى معلم
لنتعلم كيف تطير ..
إسبحي وحدك ..
وطيري وحدك ..
إن الحب ليس له دفاتر ..
وأعظمُ عشاق التاريخ ..
كانوا لا يعرفون القراءة ..

(١٩)

دعي برجوازيته ، يا سيدي
وسرير لويس السادس عشر
الذي تنامين عليه ..
دعي عطورك الفرنسية
وحقائبك المصنوعة من جلد التمساح ..
واتبعيني ..
إلى جزر المطر ..
والأناناس ..
والتوابل الحارقة ..
حيث مياه السواحل ساخنة كجلدك ..
وثمار المانغو ..
مستديرة كنهديك ..
إرمي كل شيء وراءك ..
واقفزي على صدري ..
كسنباب إفريقي ..
فأنا يعجبني ..
أن تتركي خدشاً واحداً على سطح جلدي .
أو جرحاً واحداً على زاوية فمي ..
أتباهى به ..
أما رجال العشيرة ..
آه .. يا امرأة التردد .. والبرود
يا امرأة ماكس فاكتور .. وإليزابيت آردن

متحضرة أنتِ إلى درجة لا تحتملُ ..
تجلسين على طاولة الحب ..
وتاكلين بالشوكة والسكينُ
أما أنا يا سيدتي ..
فبدويّ يختزن في شفثيه
عصوراً من العطش ..
ويخبئ تحت عباءته
ملايينَ الشموس ..
فلا تغضبي مني ..
إذا خالفتُ آدابَ المائدة
ونزعتُ عن رقبتني الفوطة البيضاء
وعريتك من ملابسك التنكرية
وعلمتك ..
كيف تأكلين بكتنا يديك
وتعشقين بكتنا يديك
وتركضين على رمال صدري
كمهرة بيضاء
تسهل في البادية ..

(٢٠)

لأنني أحبك ..
يحدث شيءٌ غير عاديّ
في تقاليد السماء ..
يصبح الملائكةُ أحراراً في ممارسة الحبّ ..
ويتزوج اللهُ .. حبيبته ..

(٢١)

وعدتك ..
أن أبقى محتفظاً بوقاري
كلما ذكروا اسمك أمامي
أرجوك . أن تحرريني من وعدي القديم .
لأنني كلما سمعتهم ..
يتلفظون باسمك ..

أبذل جهَدَ الأنبياء ..
حتى لا أصرخ ..

(٢٢)

أتغرغرُ بذكرياتك الصغيرة الملونة
كما يتغرغر عصفورٌ بأغنية ..
كما تتغرغر نافورةٌ بيت أندلسيٍّ
بمياها الزرقاء ...

(٢٣)

فكرتُ أن أستولديكِ طفلاً ..
يأتي .. وفي فمه قصيدة .
فكرتُ أن استولديكِ قصيدة ..
فكرتُ ..
في ليالي الشتاء الطويلة
أن أعتدي على جميع الشرائع
وأزرع في رحمك عصفوراً ..
يحفظ سلالةَ العصافير ..
فكرتُ ..
في ساعات الهديان واحتراق الأعصاب ..
أن أستنبت في أحشائك
غابة أطفال ..
يحفظون تقاليد الأسرة
في كتابة الشعر
ومغازلة النساء ..

(٢٤)

من أيِّ جنسٍ أنتِ يا امرأة ؟
من قبعة أيِّ ساحرٍ خرجتِ ؟
من يدّعي أنه سرق مكتوباً وهداً
من مكاتيب حبك .. يكذبُ
من يدعي أنه سرق إسوارة ذهبٍ صغيرة
من خزانتك يكذبُ ..

من يدعي أنه سرق مشطاً واحداً
من أمشاط العاج التي تتمشطت بها ..
يكذب ..

من يدعي ..
أنه اصطاد سمكةً واحدة ..
من بحار عينيك .. يكذب ..
من يدعي أنه اكتشف ..
نوع العطر الذي تستعملينه
وعنوان الرجل الذي تكاتبينه ..
يكذب ..

من يدعي .. أنه اصطحبك
إلى أيّ فندق من فنادق العالم
أو دعاك إلى أيّ مسرح من مسارح المدينة
أو اشترى لك طوقاً من الياسمين ..
يكذب .. يكذب .. يكذب ..
فأنت متحفٌ مغلَقٌ ..
يومَ السبت ، ويومَ الأحد ..
يومَ الثلاثاء ، ويومَ الأربعاء
وفي كل أيام الأسبوع
متحفٌ مغلَقٌ ..
في وجوه جميع الرجال
طوال أيام السنة ...

(٢٥)

رسائلي إليك ..
تتخطاني .. وتتخطاك ..
لأن الضوء أهم من المصباح
والقصيدة أهم من الدفتر
والقبلة أهم من الشفة ..
رسائلي إليك ..
أهم منك .. وأهم مني
إنها الوثائق الوحيدة ..
التي سيكتشف فيها الناس

جمالِكِ ..
وجنوني ..

(٢٦)

لن أكونَ آخرَ رجلٍ في حياتِكِ
ولكنني آخرُ قصيدةٍ
مكتوبةٍ بماءِ الذهبِ
تعلق على جدارِ نهديكِ
وآخرِ نبي
أقنع الناسَ بوجودِ جنةٍ ثانيةٍ
وراءِ أهدابِ عينيكِ .

(٢٧)

بيني وبينك ..
اثنتانِ وعشرون سنةً من العُمُرِ ..
وبين فمي وفمك ..
حين يلتصقان ..
تنسحق السنوات ..
وينكسر زجاج العُمُرِ ..

(٢٨)

في أيام الصيف ..
أتمدد على رمال الشاطئِ
وأمارس هوايةَ التفكيرِ بكِ ..
لو أنني أقول للبحر ..
ما أشعر به نحوكِ
لترك شواطئه ..
وأصدافه .
وأسمائه ..
وتبعني ...

(٢٩)

عندما أسمع الرجال ..

يتحدثون عنك بحماسة
وأسمع النساء ..
يتحدثن عنك بعصبية ..
أعرف ..
كم أنت جميلة ..

(٣٠)

كنتُ أعرفُ دائماً ..
أنكِ فلة ..
ولكنني عندما رأيتكِ بثياب البحر .
أدركتُ ..
انكِ شجرةٌ فلُ ..

(٣١)

صداقة يدينا ..
أقوى من صداقتي معك ..
وأصفي .. وأعمق ..
فحين كنا نختصم .. ونغضب ..
ونرفع قبضاتنا في الهواء ..
كانت يدانا تلتصقان .. وتتعانقان ..
وتتغامزان .. على غبائنا ...

(٣٢)

طالت أظافر حبنا كثيراً ..
علينا ..
ان نقص له أظافره
وإلا ذبحك ..
وذبحني ..

(٣٣)

كلما قبلك ..
بعد طول افتراق ..
أشعر أنني ..

أضع رسالة حبّ مستعجلة
في علبة بريد حمراء ..

(٣٤)

رسائلي إليك ..
ليست مقاعد من القطيفة
تستريحين عليها ..
إنني لا أكتب إليك .. كي تستريحي
إنني أكتب إليك ..
كي تحتضري معي ..
وتموتي معي ..

(٣٥)

يندفع حبي نحوك ..
كحصان أبيض ..
يرفضُ سرجه وفارسه
لو كنت يا سيدتي
تعرفين أشواق الخيول
لملأت فمي ..
لوزاً .. وكرزاً ..
وفستقاً أخضر ..

(٣٦)

عندما تذهبين إلى الجبل
تصبحُ بيروت قارةً غيرَ مسكونة ..
تصبحُ أرملة ..
أنا ضدّ الاضطياف كله
ضد كل ما يأخذك
بعيداً عن صدري ..

(٣٧)

كلّ رجل سيقبلك بعدي ..
سيكتشف فوق فمك

عريشةً صغيرةً من العنب
زرعتها أنا ...

(٣٨)

إبتعدي قليلاً عن حدقتي عيني
حتى أميزَ بين الألوان
إنهضي عن أصابعي الخمسة
حتى أعرف حجمَ الكون ..
وأقتنع ..
أن الأرض كروية ..

(٣٩)

كام المطرُ ينزل علينا معاً ..
فتنمو ألوفُ الحشائش
على معطفينا .
بعد رحيلك ..
صار المطر يسقط عليّ وحدي ..
فلا ينبت شيء ..
على معطفي ..

(٤٠)

أتكوم ..
على رمال نهديكِ .. متعباً
كطفلٍ لم ينم منذ يوم ولادته

(٤١)

أه لو تتحررين يوماً ..
من غريزة الأرنب ..
وتعرفين ..
أنني لستُ صيادكِ
لكنني حبيبك ..

(٤٢)

خطر لي ذات يوم ..

أن أخطفكِ على طريقة الشراكسة ..
وأترزوكِ ..
تحت طلقات الرصاص ..
والتماح الخناجر ..
لكنك قتلتِ حصاني
وهو يلحس الشمعَ عن أصابع قدميكِ
وقتلتِ معه ..
أجمل لحظة شعر .. في حياتك .

(٤٣)

عندما تزوريني ..
بثوبٍ جديدٍ ..
أشعر بما يشعر به البستاني
حين تزهر لديه شجرة ..

(٤٤)

عيناك ..
حفلةُ ألعابٍ نارية
أفترج عليها مرةً .. كلَّ سنة .
وأظل طوالَ العام ..
أطفئ الحرائق المشتعلة ..
في جلدي ..
وفي ثيابي ..

(٤٥)

أريد أن أركب معك
ولو لمرة واحدة ..
قطارَ الجنون ..
قطاراً ينسى أوصفته ،
وقضبانه ، وأسماءَ مسافريه ..
أريد أن تلبسي ..
ولو لمرة واحدة ...
معطف المطر ..

وتقابليني في محطة الجنون ..

(٤٦)

شكراً .. على الدفاتر الملونة
التي أهديتها إليّ .
لا شيء يفتح شهيتي في الدنيا
أكثر من ورقة الدفاتر الملونة
أنا كالثور الإسباني ..
يطيب لي أن أموت ..
على أية ورقة ملونة
ترتعش أمامي ..
فهل كنت تعرفين يوم أهديتني دفاترك
نزواتي الإسبانية ؟

(٤٧)

كلما سافرت ..
طالبني عطرك بكِ
كما يطالب الطفل بعودة أمه ..
تصوري ..
حتى العطور ..
حتى العطور ..
تعرفُ الغربية ..
وتعرفُ النفي ..

(٤٨)

هل فكرت يوماً .. إلى أين ؟
المراكب تعرف إلى أين ..
والأسماكُ تعرف إلى أين ..
وأسرابُ السنونو تعرف إلى أين ..
إلا نحن ..
نحن نتخبط في الماء ولا نغرق ..
ونلبس ثيابَ السفر ولا نسافرُ
ونكتب المكاتيب ، ولا نرسلها ..

ونحجز تذكرتين ..
على كل الطائرات المسافرة ..
ونبقى في المطار .
أنت ، وأنا ، أجبين مسافرين
عرفهما العصر ..

(٤٩)

مزقت يومَ عرفتكَ ..
كلَّ خرائطي .. ونبوءاتي .
وصرتُ كالخيول العربية
أشم رائحةَ أمطاركَ ، قبل أن تبللني
وأسمعُ إيقاعَ صوتكَ
قبل أن تتكلمي ..
وأفكَّ ضفائركَ .. بيدي
قبل أن تضفريها ..

(٥٠)

أغلقي جميعَ كتبي
واقراي خطوطَ يدي
أو خطوطَ وجهي ..
إنني أتطلع إليك بانبهار طفل
أمامَ شجرةِ عيد الميلادِ ..

(٥١)

فكرتُ أمس .. بحبي لكِ ..
وأحببتُ التفكيرَ بتفكيري ..
تذكرت فجأةً ..
قطرات العسل على شفثيكِ
فلحستُ السكرَ عن جدران ذاكرتي ..

(٥٢)

أرجوكِ أن تحترمي صمتي ..
إن أقوى أسلحتي هو الصمتُ .

هل شعرتِ ببلاغتي عندما أسكت ؟
هل شعرتِ بروعة الأشياء التي أقولها ؟
عندما لا أقولُ شيئاً ..

(٥٣)

عندما ركبتِ معي ..
(تلفريك) جونييه ..
وانزلتِ المركبةُ بنا على رؤوس الشجر ..
وأكواز الصنوبر ..
وصواري السفن ..
شعرتُ أنني ورثتُ العرشَ فجأة ..
وخطر لي أن أتزوجك
في هذه الغرفة الزجاجية
المتدحرجة على الغيم .. كفندق صغير
وأن يكون شاهدُ عرسنا الوحيدُ
هو الله ..

(٥٤)

علاقة المفاتيح الذهبية
التي أهديتها ..
لا تفتح باباً واحداً
من أبواب الحجرية
وإنما تفتحُ ..
أبوابَ جُروحي ..

(٥٥)

لماذا تطلبينَ مني ان أكتبَ إليك ؟
لماذا تطلبينَ مني
أن أتعرى امامك كرجل بدائي ؟
الكتابةُ هي العملُ الوحيدُ الذي يعريني
عندما أتكلم ..
فإنني أحتفظ ببعض الثياب
أما عندما اكتب ..

فإنني أصير حراً ، وخفيفاً
كعصفور خرافي لا وزن له ..
عندما أكتب ..
أنفصل عن التاريخ .. وعن جاذبية الأرض ..
وأدور ككوكب ..
في فضاء عينيك ..

(٥٦)

المتعاملُ معك ..
كالمتعامل مع طيارة ورق ..
كالمتعامل ..
مع الريح ، والصدفة ، ودوار البحر .
لم أشعر معك في يوم من الأيام
بأنني أقف على شيء ثابت ..
وإنما كنتُ أتدحرجُ ..
من غيمة .. إلى غيمة
كالأطفال المرسومين على سقوف الكنائس ..

(٥٧)

إنزعي الخنجر الدفون في خاصرتي
واتركيني أعيش ..
إنزعي رائحتك من مسامات جلدي
واتركيني أعيش ..
امنحيني الفرصة ..
لأتعرف على امرأة جديدة
تشطب اسمك من مفكرتي
وتقطع خصلات شعرك
الملتفة حول عنقي ..
إمنحيني الفرصة ..
لأبحث عن طرق لم أمش عليها معك
ومقاعد لم أجلس عليها معك ..
ومقاه لا تعرفك كراسيها ..
وأمكنة ..

لا تذكرك ذاكرتها .
إمنحيني الفرصة ..
لأبحث عن عناوين النساء اللواتي
تركتهن من أجلك ..
وقتلتهن من أجلك
فأنا أريد أن أعيش ..

(٥٨)

كلما ضربَ المطر شبابيكي ..
أتلمس مكانك الخالي ..
كلما لحسَ الضبابُ زجاجَ سيارتي
وحاصرني الصقيع ..
وتجمعت العصافير
لتنتشل سيارتي المدفونة في الثلج
أتذكر حرارةَ يديك الصغيرتين ..
والسجائرَ التي كنا نقسمها
كالجنود في خنادقهم ..
نصفُ لك ..
ونصفُ لي ..
كلما علكت الرياحُ ستائرَ غرفتي
وعلكتي ..
أتذكر حبكِ الشتائي ..
وأتوسل إلى الامطار
أن تمطرَ في بلادٍ أخرى
وأتوسل إلى الثلج
أن يتساقط في مدنٍ أخرى
وأتوسل إلى الله
أن يلغي الشتاء من مفكرته
لأنني لا أعرف ..
كيف سأقابل الشتاء بعدك ..

(٥٩)

الطائرة ترتفع أكثر .. وأكثر ..

وأن احبك أكثر .. وأكثر ..
إنني أعاني تجربةً جديدةً .
تجربة حبّ امرأة على ارتفاع ثلاثين ألف قدم .
بدأت الآن أتفهم الصوفية
وأشواق المتصوفين ..

*

من الطائرة ..
يرى الانسان عواطفه بشكل مختلف
يتحرر الحبّ من غبار الأرض
من جاذبيتها ..
من قوانينها ..
يصبح الحبّ ، كرة من القطن ، معدومة الوزن .

الطائرة تنزلق على سجادة من الغيم المنتف .
وعيناك تركضان خلفها ..
كعصفورين فضوليين ..
يلاحقان .. فراشة .

أحمق أنا ..
حين طننتُ أني مسافرٌ وحدي ..
ففي كل مطار نزلتُ فيه ..
عثروا عليكم ..
في حقيبة يدي ..

(٦٠)

قبل أن أدخل مدائنَ فمك
كانت شفتاك زهرتي حجرٌ
وقدحي نبيذ .. بلا نبيذ
وجزيرتين متجمدتين في بحار الشمال ..
ويوم وصلتُ إلى مدينة فمك ..
خرجت المدينة كلها ..
لترشني بماء الورد
وتفرش تحت موكبي السجاد الأحمر

وتبايعني خليفةً عليها ..

(٦١)

قُضِيَ الأمرُ .. وأصبحتِ حبيبتِي
قُضِيَ الأمرُ ..
ودخلتِ في طياتِ لحمي .. كالظفر الطويلُ ..
كالزر في العروة ..
كالحلق في أذن امرأةٍ إسبانية ..

لن تستطيعي بعد اليوم ..
أن تحتجي ..
بأنني ملكٌ غيرُ ديمقراطي
فانا في شؤون الحبِّ .. أصنعُ دساتيري
وأحكم وحدي .
هل تستشير الورقةُ الشجرةَ قبل أن تطلع ؟
هل يستشير الجنين أمه قبل أن ينزل ؟
هل يستشير النهْد الغلالة ..
قبل أن يتكوّر ؟

*

كوني إذن حبيبتِي
واسكتي ..
ولا تناقشيني في شريعةِ حبِّي لكِ
لأن حبِّي لكِ شريعةٌ
أنا أكتبها ..
وأنا أنفذها ..
أما أنتِ ..
فمهمتك أن تنامي كزهرة مارغريت
بين ذراعيّ
وتتركيني أحكمُ ..
مهمتكِ يا حبيبتِي
أن تظلي حبيبتِي ..

(٦٢)

أنتِ امرأةٌ مستريحة ..

مستريحة ككل المقاعد التي لا طموح لها ..
وككلّ الجرائد المتروكة في الحدائق العامة .
الحبّ لديك .. حصانٌ
لا يتقدّم .. ولا يتقهقر
ساعي بريد .. يجيء أو لا يجيء
أيامك كلها ..
مرسومةٌ في خطوط فناجين القهوة ..
وورق اللعب ..
وودع المنجمات ..
مستريحةٌ أنتِ .. كأرجل الطاولة ..
نهدك الأيمنُ ، لا يعرفُ شيئاً ، عن نهدك الأيسرُ
وشفتك العليا ..
لا تدري ، بشفتك السفلى ..

*

أردتُ أن أنقل الثورة ..
إلى مرتفعات نهديك .. ففشلتُ .
أردتُ أن أعلمك الغضبَ ، والكفرَ ، والحريةَ
ففشلتُ ..
الغضبُ لا يعرفه إلا الغاضبون
والكفرُ لا يعرفه إلا الكافرون ..
والحرية سيفٌ ..
لا يقطع إلا في يد الأحرار
أما أنتِ ..
فمستريحة إلى درجة الفجيعة
تراهنين على الخيول الراكضه
ولا تمتطينها ..
وتلعبين بالرجال ..
ولا تحترمين قواعد اللعبة ..
أنتِ لا تعرفين قشعريرة المغامرة
والصدام مع المجهول ، واللامنتظرُ
أنتِ تنتظرين المنتظرُ ..
كما ينتظر الكتابُ من يقرؤه ..
والمقعدُ من يجلس عليه ..

والإصبعُ خاتمَ الخطبة ..
تنتظرين رجلاً ..
يقشّر لك اللوزَ والفسق
ويسقيك لبنَ العصافيرُ
ويعطيك مفاتيحَ مدينةٍ
لم تحاربي من أجلها ..
ولا تستحقين شرفَ الدخول إليها ..

(٦٣)

يخطر لي أحياناً ..
أن اجلدك في إحدى الساحات العامة ..
حتى تنشر الجرائد ..
صورتني وصورتك في صفحاتها الأولى
وحتى يعرفَ الذين لا يعرفون ..
أنك حبيبتني .

*

لقد ضجرتُ .. من ممارسة الحب خلف الكواليس
ومن تمثيل دور العشاق الكلاسيكيين ..
أريد أن أعتلي خشبة المسرح ..
وأمزق السيناريو ..
وأقتل المخرج ..
وأعلن أمام الجمهور ..
أنني عاشق على مستوى العصر
وأنك حبيبتني
رغم أنفِ العصر ..

*

أريدُ ..
أن تعترف الصحافةُ بي
كواحدٍ .. من أكبر فوضويي التاريخ
فهذه هي فرصتي الوحيدة ..
لأظهر معك في صورة واحدة
وليعرف الذين يقرأون صفحة الجرائم العاطفية
أنك حبيبتني .

(٦٤)

لا أستطيع أن أخرج من حدود بشريتي
وأعاملك على طريقة المجازيب ..
والاولياء ..
إنني أهين أنوثتك
إذا استبقيتك عندي
كزهرة من الورق ..

*

ماذا تقول أنوثتك عني ؟
إذا عاملتك ..
كحقل لا يرغب أحد في امتلاكه ..
أو كأرض محايدة ..
لا يدخلها المحاربون ..
ماذا يقول نهداك عني ؟
إذا تركتهما يثرثران خلف ظهري ..
ونمت ..
ماذا تقول شفتاك عني ..
إذا تركتهما تاكلان بعضهما ..
وذهبت ..

*

ليس بوسعي
أن أنظر إليك
كما تنظر الأبقار الكسلى ..
إلى خطوط سكة الحديد ..
ليس بوسعي أن أظل واقفاً
تحت جنون مطرك الاستوائي ..
بلا مظلة ..

(٦٥)

عندما تكونين برفقتي
أحب أن أتجاوز جميع إشارات المرور الحمراء
أحس بشهوة طفولية

لارتكاب ملايين المخالفات ..
وملايين الحماقات ..

*

عندما تكون يدك مطمورة في يدي
أحب أن أكسر جميع ألواح الزجاج
التي ركبوها حول الحُبّ ..
وجميع البلاغات الرسمية
التي أصدرتها الحكومة
لمصادرة الحُبّ ..
وأشعرُ ، بنشوة لا حدود لها
حين تصطدم نثاراتُ الزجاج المكسور ..
بعجلات سيارتي ..

(٦٦)

أنتِ لا تستحقين البحرَ أيتها البيروتية ..
ولا تستحقين بيروتَ
فمنذ عرفتكِ ..
وانت تقتربين من البحر ..
كراهبة خائفة من الخطيئة ..
تريدُ ماءً بلا بلل
وبحراً بلا غرق ..
وعبتاً .. حاولتُ أن أقنعك
أن تخلعي نظارتك السوداء ..
وجواربك السمكة
وساعة يدك ..
وتنزلقي في الماء كسمكة جميلة ..
ولكنني فشلت .
وعبتاً حاولتُ أن أشرح لكِ
أن الدوار جزءٌ من البحر
وأن العشق فيه شيء من الموت
وأن الحب والبحر ..
لا يقبلان أنصاف الحلول ..
ولكنني يُستُ من تحويلك إلى سمكة مغامرة .

فقد كانت كلّ شروثك بريّة
وكلّ أفكارك بريّة ..
لذلك أبكي عليك يا صديقتي
وتبكي معي بيروت ..

(٦٧)

كان عندي قبلك .. قبيلة من النساء
أنتقي منها ما أريد ..
وأعتق ما أريد ..
كانت خيمتي ..
بستاناً من الكحل والأساور
وضميري مقبرة للأثداء المطعونة
كنتُ أتصرف بنذالة ثري شرقي ..
وأمارس الحب ..
بعقلية رئيس عصابة ..
وحين ضربني حبك .. على غير انتظار
شبّت النيرانُ في خيمتي
وسقطتُ جميعُ أظفري
وأطلقتُ سراحَ محظياتي
واكتشفت وجهَ الله ..

(٦٨)

مرت شهورٌ ..
وانا لا أعرف رقم هاتفك
أنتِ ترفضين حصاراً ..
حتى على رقم هاتفك
تمنعين الكلامَ أن يتكلم ..
ترفضين صداقة صوتي ..
وزيارة كلماتي لك ..

*

إذا كنت لا أستطيع أن أزورك
فاسمحي لصوتي ..
أن يدخل غرفة جلوسك

وينام على السجادة الفارسية ..
أنا ممنوع ..
من دخول مملكتك الصغيرة ..
فلا أعرف في أي ركن تجلسين
وأي المجالات تقرأين ..
لا أعرف لونَ غطاء سريرك ..
ولا لونَ ستائرك ..
لا أعرف شيئاً عن عالمك الخرافي
ولكنني أختصره ..
أضع الأبيض .. على الأحمر
والأزرق .. على الأصفر
حتى أصبح عندي ثروةٌ من اللوحات
لا يمتلك مثلها متحفُ اللوفر ..
ولكن ..
إلى متى أخترعك
كما يخترع الصوفيّ ربّه ..
إلى متى ؟
أظل أصنعك من خلاصة الازهار
كما يفعل بائع العطور ..
إلى متى أظلّ أجمعك ..
قطعةً .. قطعةً
من حقول التوليب في هولندا ..
وكروم العنب في فرنسا
وهفيف المراوح في إسبانيا ..

(٦٩)

حين رقصتِ معي ..
في تلك الليلة ..
حدث شيء غريب .
شعرتُ .. أن نجمةً متوهجةً
تركت غرفتها في السماء
والتجأت إلا صدري ..
شعرتُ ، كما لو أن غابةً كاملةً

تنبتُ تحت ثيابي ..
شعرتُ ..
كما لو أن طفلةً في عامها الثالث
تقرأ .. وتكتب فروضها المدرسيه
على قماش قميصي ..

*

ليس من عادتي أن أرقص ..
ولكنني .. في تلك الليلة
لم أكن أرقص فحسب ..
ولكنني ..
كنت الرقصُ ..

(٧٠)

عاد المطرُ ، يا حبيبةَ المطرُ ..
كالمجنون أخرج إلى الشرفة لأستقبلهُ
وكالمجنون ، أتركه يبيلل وجهي ..
وثيابي ..
ويحولني إلى اسفنجة بحرية ..

*

المطر ..
يعني عودة الضباب ، والقراميد المبللة
والمواعيد المبللة ..
يعني عودتك .. وعودة الشعر
أيلول .. يعني عودة يدينا إلى الالتصاق
فطوال أشهر الصيف ..
كانت يدك مسافرة ..
أيلول ..
يعني عودة فمك ، وشعرك
ومعاطفك ، قفازاتك
وعطرك الهندي الذي يخترقني كالسيف ..

*

المطر .. يتساقط كأغنية متوحشة
ومطرك ..

يتساقط في داخلي
كقرع الطبول الإفريقية
يتساقط ..
كسهام الهنود الحمر ..
حبي لك على صوت المطر ..
يأخذ شكلاً آخر ..
يصير سنجاباً .
يصير مهراً عربياً ..
يصير بجعةً تسبح في ضوء القمر ..
كلما اشتدَّ صوتُ المطرِ ..
وصارت السماء ستارةً من القطيفة الرمادية .
أخرجُ كخروفٍ إلى المراعي
أبحث عن الحشائش الطازجة
وعن رائحتك ..
التي هاجرت مع الصيف ..

(٧١)

يوم تعثرين على رجل ..
يقدر أن يحول كل ذرة من ذراتك
إلى شعرٍ ..
ويجعل كلَّ شعرة من شعراتك .. قصيدة
يوم تعثرين على رجل ..
يقدر .. كما فعلتُ أنا
أن يجعلك تغتسلين بالشعرِ ..
وتتكحلين بالشعرِ ..
وتتمشطين بالشعرِ ..
فسوف أتوسلُ إليك ..
أن تتبعيه بلا تردد ..
فليس المهم أن تكوني لي ..
وليس المهم .. أن تكوني له .
المهم ..
أن تكوني للشعرِ ..

(٧٢)

أمارس في هذه الأيام
هوايةً خطيرةً ..
وهي أن أتحدثَ عنك إلا النساءُ ..
لذةٌ كبيرةٌ .. أن أزرعك في عيون النساءِ
في فضولهنَّ ..
في دهشتهنَّ ..
لذةٌ ما بعدها لذةٌ ..
أن أضرم النارَ في ثياب الجميلاتِ
وأفرج بفرح شيطاني ..
على الحرائق المشتعلة فيهنَّ ..
عيونُ النساءِ ..
هي المرايا المدهشة ..
التي تطمئنني أن قصة حبنا غير مألوفة ..
وأنت امرأة لا تتكرر ..
سامحيني إذا فعلتُ هذا ..
فأنا لا أطيقُ تعذيبَ الآخرين ..
غير أنني أردتُ رسمَ صورتك
في أحداق النساءِ ..
لأرى .. كيف تزداد اتساعاً ..

(٧٣)

لا تشتكي من تطرفي ..
فإن أروع أيام عمركِ
- إذا كان لكِ عمرٌ قبلي -
هي تلك الأيام التي نسيت فيها تمدنكِ
وانزرت بلحمي .. كحربةٍ مسمومة ..
أروغ أيامك ..
- إذا كان لكِ قبلي أيام -
هي الأيام التي اختلط فيها رمادكِ برمادي ..
كما يختلكِ رمادُ لفاقتين ..
في منفضةٍ واحدة ..

(٧٤)

لا أن لا أستطيع أن أفعلَ شيئاً
ولا أنتِ تستطيعين أن تفعلي شيئاً
ماذا يستطيع أن يفعل الجرح
بالسكين المسافرة فيه ؟

(٧٥)

بعد دقائق . تضربُ الساعةُ الثانيةَ عشرةً ..
وينتهي عامٌ .. ويولد عامٌ ..
لا تهمني السنوات التي تولد ..
ولا السنوات التي تموت ..
فأنت الزمنُ الوحيد ..
الذي لا تغتاله عقاربُ الساعات ..

*

لن أتبنك عندما تُطفأ الأنوارُ ..
كما يفعل كلُّ الأغبياء ..
ولن أرقصَ معكِ بشراسة
كما يفعل كلُّ المجانين ..
ولن أخترع كلاماً سخيفاً
يحمل إليك أطيّبَ تمنياتي بعامٍ جديدٍ ..
فالتمثيل ليس مهنتي ..
إني أحبك ..

بعيداً من كؤوس الويسكي ..
وقبعات الورق ..
بعيداً عن موسيقى الجاز ..
وانفجار البالونات الملونة ..
أحبك ..

وأن أنزف على الطاولة وحدي ..
كما ينزف مصارع الثيران ..
أحبك ..

قبل أن تضرب الساعة الثانية عشرةً ..
وبعد أن تضرب الساعة الثانية عشرةً ..

فما أنت حبيبة الساعة الثانية عشرة ..
وإنما حبيبة كلّ الساعات ..
وكلّ الأزمنة ..
بعد دقائق ..
سيرحل عامٌ كنتِ سيدته ومليكتهُ
فيا سيدتي ومليكتي
لا أريد من الله ذهباً ولا قصورا ..
لا أريد منه ديباجاً ، ولا حريراً ..
أريدُ منه فقط ..
أن يبقيكِ حبيبتِي .

(٧٦)

يوم تعرفتُ عليكِ .. منذ عامينُ
كنتِ قطةً تركيةً مدللةً ..
تتشمس ..
وتتناءب ..
وتلحس فروتها ..
كنتِ تموئين .. وتشربين الحليب المعقمُ
وتلعبين بخيوط الصوف ..
وتخافين على فرائك الأبيض ،
من الغبار ، والوحوّل ..
ومن بصمات أصابعي ..
عندما تعرفتُ عليكِ ..
لم تكن لديكِ همومٌ عاطفية
كبقية القطط ..
ولم تكن لديكِ شهيةُ المغامرة ..
والتناسل ، في الأزقة الضيقة
كملايين القطط الأخرى ..

*

بعد عامينُ ..
من المناقشات العصبية
والغضب ، والتشنجات ..
تحولتِ من قطة سمينة ومترهلة ..

تتعاطى الحبوب المنومة ..
والماريجوانا ..
إلى قطةٍ ترفض تاريخها ..
فكسرت زجاجةَ الحليب المعقم
ورميت كرة الصوف على الأرض ..
ووثبت إلى حضني ..

*

بعد عامين معي ..
أصبحت قطةً غير عادية
أصبحت قطتي ..

(٧٧)

كنتُ ساذجاً ..
حين تصورتُ أنني أستطيع أن أغتالك بالسفر ..
وأقتلك ..
تحت عجلات القطارات التي تحملني ..
صوتك ..
يتبعني على كل الطائرات ..
يخرج كالعصفور من قبعات المضيفات ..
ينتظرني ..
في مقاهي سان جرمان .. وسوهو ..
يسبقني إلى كل الفنادق ..
التي حجزتُ فيها ..
كنتُ ساذجاً ..
حين ظننتُ أنني تركتك ورائي .
كلّ حقيبة أفتحها ..
أجدك فيها ..
كل قميصٍ ألبسه ، يحمل رائحتك ...
كل جريدةٍ صباحية أقرأها ..
تنشر صورتك ..
كل مسرحٍ أدخله ..
أراك في المقعد المجاور لمقعدي ..
كل زجاجة عطرٍ اشتريها ..

هي لك ..
فمتى .. متى أتخلص منك
أيتها المسافرة في سفري ..
والراحلة في رحيلي ..

(٧٨)

أعرفُ ..
ونحن على رصيف المحطة ..
أنك تنتظرين رجلاً آخر ..
وأعرفُ ، وأنا أحمل حقائبك
أنك ستسافرين مع رجل آخر ..
وأعرفُ .. أنني لم أكنُ ..
سوى مروحةٍ صينية خفتُ عنك حرارةَ الصيفِ
ورميتها بعد الصيفِ ..
أعرفُ أيضاً ..
أن رسائل الحبّ التي كتبتها لك ..
لم تكن سوى مرايا ..
رأيتَ فيها غرورك ..

*

ومع كل هذا ..
سأحمل حقائبك ..
وحقائبَ حبيبك ..
لأنني .. أستحي أن أضع امرأة ..
تحمل في حقيبة يدها البيضاء ..
أحلى أيام حياتي ..

(٧٩)

كلما مر صوتك البنفسجي
من أسلاك الهاتف ..
وصبّح عليّ ..
أتحول إلى غابة ..

(٨٠)

لن يكون ذهابك مأساوياً

كما تتصورين ..
فأنا كأشجار الصفصاف
أموتُ دائماً ..
وأنا واقفٌ على قدمي ..

(٨١)

بعد ما احترقتُ روما
واحترقت معها ..
لا تنتظري مني ..
أن أكتبَ فيك قصيدةَ رثاءٍ
فما تعودتُ ..
أن أرثي العصافير الميتة ..

(٨٢)

تقولين في رسالتك الأخيرة :
" لقد خسرتُ الحربَ معك " .
ومتى دخلتِ الحربَ ، يا صديقتي ، حتى نخسرينها
أنتِ قاتلتِ على طريقة دون كيشوت ..
وأنتِ مستلقية على سريرك ..
هجمتِ على الطواحين ..
وقاتلتِ الهواء ..
فلم يسقط ظفرٌ واحدٌ ..
من أظافرك المطلية ..
وبم تنقطع شعرةٌ واحدةٌ .. من شعرك الطويل ..
ولم تسقط نقطة دمٍ واحدة ..
على ثوبك الأبيض ..

*

أي حرب .. تتحدثين عنها ؟
فأنتِ لم تدخلِ معركةً واحدةً
مع رجل حقيقي ..
لم تلمسي ذراعهُ ..
ولم تشمي رائحة صدرهُ ..
ولم تغتسلس بعرقهُ ..

وإنما ..
كنتِ تخرعِ عينِ رجالاً من الورقِ ..
وفرساناً من الورقِ ..
وخيولاً من الورقِ ..
ونحبين .. وتعشقين .. على الورقِ ..

*

فيا أيتها الدونكشوتية الصغيرة ..
إستيقظي من نومك ،
واغسلي وجهك ،
واشربي كوبَ حليبك الصباحي ..
وستعرفين بعدها ..
أن كل الرجال الذين عشقتهم ..
كانوا من ورقٍ ..

(٨٣)

هل لديكِ حلٌّ لقضيتنا ؟
هل لديكِ حل لهذه السفينة المتقوية
التي لا تستطيع أن تطفو
ولا تستطيع أن تغرق ..

*

أنا شخصياً ..
قابلٌ لجميع حلوك ..
فلقد شربتُ من ملح البحر
ما فيه الكفاية ..
وشوتِ الشموسُ جلدي
بما فيه الكفاية ..
وأكلتِ الأسماكُ المتوحشة من لحمي
ما فيه الكفاية ..

*

أنا شخصياً ..
ضجرت من السفر
وضجرت من الضجرِ
فهل لديكِ حل .. لهذا السيف

الذي يخترقنا .. ولا يقتلنا ؟
هل لديك حلّ ؟
لهذا الأفيون الذي نتعاطاه ..
ولا يخدرنا ..

*

أنا شخصياً ..
أريد أن أستريح ..
على أي حجرٍ .. أريد أن أستريح
على أي كتفٍ ..
أريد أن أستريح ..
فلقد تعبتُ من المراكب التي لا أشرطة لها .
ومن الأرصفة التي لا أرصفة لها .
فقدّمي حلوك يا سيدتي !
وخذي توقعي عليها قبل أن أراها ..
واتركيني أنام ..

(٨٤)

جاءني صوتك بعد الظهر ..
متوهجاً كسيكة الذهب ..
كان عندي امرأة ..
كلمتك من بين نهدتها ..
قفزت إليك من فوق جثتها ..
من فوق أجساد جميع النساء ..
أقفز إليك ..
وأتركهن في الظلّ ..
وأذهب معك ..

*

فظيع هذا الذي يحدث ..
ومرعبٌ وبشعٌ ..
فظيع .. أن أغازلك ..
وأنا واقفٌ على نهدين عاريين ..
ولكنني فعلتها ..
ولكنني فعلتها ..

لأتحداك بوفرة من أعرف من النساء
ولأتحرر من بصمات أصابعك على أيامي ..
*

ولكنني حين سمعتُ صوتك في الهاتف
يتوهج كسبيكة الذهب ..
نسيتُ نسائي ، ومحظياتي على الأريكة
وتبعتكِ ..
فيا أيتها المستعمرة دقائقَ عمري ..
إرفعي يديكِ لحظةً .. عن شهواتي ..
لأعرف ..
كيف أستعملُ جسدي ..

(٨٥)

أحببتني بالحساب . وأحببتك بالشعر ..
وضعتِ رأسي على مخدةٍ من الحجر ..
ووضعتُ رأسك على مخدةٍ من القصائد
أعطيتني سمكةً .. وأعطيتك البحر ..
أعطيتني قطرةً من زيت القنديل ..
وأعطيتك القنديل ..
أهديتني قمحةً ..
وطوبت لكِ البيدر ..
أخذتني إلى المدن المسكونة بالزمهرير
وأخذتكِ إلى المدن المسكونة بالدهشة ..
كنتِ رصينةً كمعلمةٍ مدرسة ..
وجليديةً كالآلات الحاسبة ..
لجأت إلى صدري ..
لأنه كان دافئاً .. وكنت ميةً من البرد
ورضيتُ أن أطعم نهديكِ تيناً وزبيباً
لأنهما لم يأكلا منذ قرون ..
أعطيتني شفتيكِ ، وأنت خائفة من الزكام
وصافحتني .. وأنت تلبسين قفازات الدانتيل ..
أما أنا ..
فقد تركتُ في فمك نصف فمي ..

وتركتُ في راحتكِ .. نصفَ أصابعي ...

(٨٦)

إشربي فنجانَ قهوتك ..
واستمعي بهدوءٍ إلى كلماتي ..
فربما ..
لن نشرب القهوةَ معاً .. مرةً ثانية
ولن يُتاح لي أن أتكلم مرةً ثانية .

*

لن أتحدثَ عنكِ ..
ولن أتحدثَ عني ..
فنحنُ صفران على شمالِ الحبِّ ..
سطران مكتوبانِ بالرصاصِ على هامشهِ .
ولكنني سأحدثُ ..
عما هو أكبرُ منكِ .. وأكبرُ مني
وأنظفُ منكِ .. وأنظفُ مني ..
سأتحدثُ عن الحبِّ ..
عن هذه الفراشةِ المدهشةِ ..
التي حطتْ على أكتافنا وطردها ..
عن هذه السمكةِ الذهبيةِ ..
التي طلعتْ إلينا من أعماقِ البحرِ
وسحقتها ..
عن هذه النجمةِ الزرقاءِ
التي مدّت إلينا يدها
ورفضناها ..

*

ليست القضية أن تأخذي حقيبتك .. وتذهبي .
كل النساءِ يأخذن حقائقهنَّ
في لحظاتِ الغضبِ ويذهبنَّ ..
ليست القضية أن أطفئ لفاقتي بعصبية
في قماشِ المقعدِ ..
كل الرجالِ يحرقون قماشَ المقاعدِ عندما يغضبون .
القضية ليست بهذه البساطةِ ..

وهي لا تتعلق بك .. ولا تتعلق بي
فنحن صفران على شمال الحب ..
وسطران مكتوبان بالقلم الرصاص .. على هامشه .
القضية هي قضية هذه السمكة الذهبية ..
التي رماها إينا البحر ذات يوم ..
وسحقناها بين أصابعنا

(٨٧)

أنا متهمٌ بالشهر يارية ..
من أصدقائي ..
ومن أعدائي ..
متهمٌ بالشهر يارية .
وبأنني أجمعُ النساء ..
كما أجمعُ طوابعَ البريد ..
وعُلبَ الكبريتِ الفارغة ..
وأعلقهنَّ بالدبابيس ..
على جدرانِ غرفتي ..
إنني لا أفكر في الاعتذار لأحد ..
وليس في نيتي أن أوكل محامياً
ينقذ رأسي من حبل المشنقة .
فلقد شُنقتُ ..
آلافَ المرات ..
حتى تعودتُ رقبتني على الشنق ..
وتعود جسدي ..
على ركوب سيّارات الإسعاف ..

*

ليس في نيتي أن أعتذر لأحد ..
ولا أريد حكماً بالبراءة ..
من أحد ..
ولكنني .. أريد أن أقول لك ..
لك وحدك ، يا حبيبتي
في جلسةٍ علنية .
وأمام جميع الذين يحاكمونني ..

بتهمة حيازة أكثر من امرأة واحدة ..
واحتكار العطور ، والخواتم ، والأمشاط
في زمن الحرب ..
أريدُ أن أقول :
إنني أحبكِ وحدكِ ..
وأتكمش بكِ ..
كما تتكمش قشرةُ الرمانه بالرمانة ..
والدمعةُ بالعين ..
والسكينُ بالجرخ ..
أريدُ أن أقولُ ..
ولو لمرةٍ واحدة
إنني لستُ تلميذاً لشهريارُ
ولم أمارس أبداً هوايةَ القتل الجماعيِّ
وتذويب النساء في حامض الكبريت .
ولكنني شاعرٌ ..
يكتبُ بصوتِ عالٍ ..
ويعشقُ بصوتِ عالٍ ..
وطفلُ أحضرُ العينين ..
مشنوقٌ على بوابة مدينةٍ ..
لا تعرفُ الطفولة ..

(٨٨)

لماذا تخابرينَ .. يا سيدتي ؟
لماذا تعتدينَ .. عليَّ بهذه الطريقة المتحضرة ؟
ما دام زمنُ الحنان قد مات .
وموسم البيلسان قد مات .
لماذا .. تكلفين صوتكِ ..
أن يغتالني مرةً أخرى ؟
إنني رجلٌ ميت .
والميت لا يموت مرتين .
صوتكِ له أظافرٌ ..
ولحمي ، مطرز كالشرشف الدمشقي ،
بالطعنات ..

التلفون ..
كان ذات يوم
ممدوداً بيني وبينك .. حبلاً من الياسمين
وأصبح الآن حبل مشنقة ..
كان هاتفك ..
فراش حريرٍ أستلقي عليه ..
صار صليباً من الشوك أنزف فوقه ..
كنتُ أفرح بصوتك ..
عندما يخرجُ من سماعة الهاتف ..
كعصفور أخضر ..
أشربُ قهوتي معه ..
وأدخن معه ..
واطير إلى كل الآفاق ..
معه ...
كان صوتك ..
جزءاً لا يتجزأ من حياتي ..
كان ينبوعاً ، ومظلة ، ومروحة ..
يحمل لي الفرح ، ورائحة البراري ..
صار كنواقيس يوم الجمعة الحزينة
يغسلني بأمطار الفجيرة ..

*

أوقفي هذه المذبحة يا سيدتي
فشرابيني كلها مقطوعة ..
وأعصابي كلها مقطوعة ..
ربما ..
لا يزال صوتك بنفسجياً
كما كان من قبل ..
ولكنني – مع الأسف –
لا أراه .. لا أراه ..
لأنني مصاب بعمى الألوان ..

(٨٩)

هل وصلنا بحبنا إلى نقطة اللا رجوع؟

الرجوع لا يدخل في نطاق همومي .
الذهاب معك .. ونحوك .. وغليك ..
هو أساس تفكيري .
الذهاب الذي لا يرجع
وليس لديه تذكرة عودة .

*

إنني أحبك ..
ولا أطلب منك وثيقة تأمين
ضد الموت عشقاً .
بل سأطلب منك – على العكس –
أن تساعدني على الموت حرقاً
على الطريقة البوذية ..
مجنونة أنت .. إذا تصورت
أنني أطلب معك السلامة ..
فحين يحبّ رجلٌ مثلي
امرأةً مثلك ..
تشقق قشره الكون
وتصبح الأرضُ
علبة كبريت في يد طفل ..

*

مجنونة أنت .. إذا فكرت
أنني أبحث لديك عن الطمأنينة ..
أو أنني أفكر في العودة إلى البرّ
مرةً أخرى .
فأنا نسيتُ تاريخي البري كلة
نسيت الشوارع ، والأرصفة ، وأشجار السرو .
وكلّ الأشياء التي لا تستطيع تغيير عناوينها ..

*

إنني أحبك ..
ولا أريدُ أقرصاً منومة لأشواقي ..
ولا حبوباً لمقاومة الدوار
إنني بخير هكذا ..
إنني بخير هكذا ..

فأنا أكون في أحسن حالاتي
عندما تهاجمني نوباتُ الهديان ..
فأنسى تاريخَ وجهي ..
وأنسى مساحةَ جسدي
وأتلاشى .. تحت شمس نهديك
كما تتلاشى مدينةٌ من الشمع ..

(٩٠)

رسالتك ، في صندوق بريدي ، فلةٌ بيضاء
حمامةٌ أليفةٌ ..
تنتظرني لتنامَ في جوف يدي .
فشكراً لك يا سخيةَ اليدين ..
شكراً على موسم الفل ...

*

تسألين :
ماذا فعلتُ في غيابك ؟
غيابك لم يحدث .
ورحلتك لم تتم .
ظللت أنت وحقائبك قاعدةً على رصيف فكري
ظلَّ جواز سفرك معي
وتذكرةُ الطائرة في جيبِي ..

*

ممنوعةٌ أنتِ من السفر ..
إلا داخلَ الحدود الإقليمية لقلبي ..
ممنوعةٌ أنتِ من السفر ..
خارجَ خريطةِ عواطفِي واهتمامي بك ..
أنتِ طفلةٌ لا تعرف أن تسافر وحدها ..
أن تمشي على أرصفة مدن الحب .. وحدها .
تسافرين معي .. أو لا تسافرين ..
تتناولين إفطارَ الصباح معي ..
وتتكنين في الشوارع المزدهمة على كتفي .
أو تظلين جائعة ..
وضائعة ..

رسالتك في صندوق بريدي
حزيرةٌ ياقوتٌ ..
وتسألين عن بيروت ..
شوارعُ بيروت ، ساحاتها ، مقاهيها ، مطاعمها ،
مرفأها . بواخرها .. كلها تصبُّ في عينيكِ
ويوم تغمضين عينيكِ ..
تختفي بيروت .
لم أكن أتصور من قبل ..
أن امرأة تقدر أن تعمرَ مدينةً ..
أن تخرعَ مدينةً ..
أن تعطي مدينةً ما ..
شمسها ، وبحرها وحضارتها ..
إذا أتحدث عن المدن والأوطان ؟
أنتِ وطني ..
وجهك وطني ..
صوتك وطني ..
تجويد يدك الصغيرة وطني ..
وفي هذا الوطن ولدتُ ..
وفي هذا الوطن ..
أريدُ أم أموت ...

*

رسالتك في صندوق بريدي
شمسٌ إفريقيةٌ ..
وأنا أحبك .
على مستوى الهمجية أحبك ..
على مستوى النار والزلازل أحبك ..
على مستوى الحمى والجنون .. أحبك
فلا تسافري مرةً أخرى ..
لأن الله – منذ رحلتِ – دخل في نوبة بكاء عصبية ..
وأصربَ عن الطعام ..
رسالتك في صندوق بريدي ..
ديكُ مذبوخٌ ..
ذبحَ نفسه . وذبحني ..

أحبّ أن يكون حبي لكِ على مستوى الذبح
على مستوى النزيف والإستشهاد ..
أحبّ أن أمشي معك دائماً
على حد الخنجر ..
وأن أتدحرج معكِ عشرة آلاف سنة
قبل أن نتهشم معاً على سطح الأرض ..

(٩١)

تلبسين ملابسَ الهيبين ..
وتعلقين على شعرك الزهور
وفي رقبتك الأجراس ..
تقرأين تعاليمَ ماو ..
وكلّ كتب الثورة الثقافية ..
وتمشين في المسيرات الطويلة
ترفعين لافتات الحرية
وتطالبين أن يحكم الطلاب العالم
وأن يكسروا جدرانَ العالم القديم ..
وحين يهاجمك الحبّ ..
كوحش أزرق الأنياب ..
ترتعشين أمامه كفأرة مذعورة ..
وترمين صورة ماو على الأرض
وترمين معها ، كلّ لافتات الحرية
التي رفعتها .. أنت وزميلاتك ..
وتلتجئين باكيةً ..
إلى صدر جدتك
وتتزوجين ..
على طريقة جدتك ..

(٩٢)

أشعر بالحاجة إلى النطق باسمكِ هذا اليوم ..
أشعر بحاجة إلى أن أتعلق بحروفه كما يتعلق طفلٌ بقطعة حلوى ..
منذ زمن طويل لم أكتب اسمكِ في أعلى الرسائل .
لم ازعه شمساً في رأس الورقة .. لم تدفأ به ..

واليوم ، وتشرين يهاجمني ويحاصر نوافذي ، أشعر بحاجة إلى النطق به . بحاجة إلى أن أوقد ناراً صغيرة .. بحاجة إلى غطاء .. ومعطف .. وإليك .. يا غطائي المنسوج من زهر البرتقال ، وطرابين الزعتر البري .. لم أعد قادراً على حبس اسمك في حلقي . لم أعد قادراً على حبسك في داخلي مدةً أطول . ماذا تفعل الوردةُ بعطرها ؟ أين تذهب الحقول بسنابلها ، والطاوس بذيله ، والقنديل بزيتته ؟ أين أذهب بك ؟ أين أخفيك ؟ والناس يرونك في إشارات يدي ، في نبرة صوتي ، في إيقاع خطواتي ..

الناس يرونك قطرةً مطر على معطفي ، زراً ذهبياً في كم قميصي ، كتاباً مقدساً بمفاتيح سيارتي .. جرحاً منسياً على ضفاف فمي .. وتظنين بعد ذلك كله ، أنك مجهولة وغير مرئية .. من رائحة ثيابي يعرف الناس أنك حبيبتي ، من رائحة جلدي يعرف الناس أنك كنت معي ، من خدر ذراعي يعرفك الناس أنك كنت نائمة عليهما ..

لن أستطيع إخفاءك بعد اليوم .. فمن أناقة خطي يعرف الناس أنني اكتبُ إليك .. من فرحة خطاي يعرفون أنني ذاهبٌ إلى موعدك .. من كثافة العشب على فمي يعرفون أن قبّلتك .. لا يمكننا .. لا يمكننا .. أن نستمر في ارتداء الملابس التكرية .. بعد الآن ..

فالدروبُ التي مشينا عليها لا يمكن أن تسكت .. والعصافيرُ المبللة التي وقفت على أكتافنا سوف تخبر العصافيرَ الأخرى ..

كيف تريدني أن أمحو أخبارنا من ذاكرة العصافير .. كيف يمكنني أن أقنع العصافير .. أن لا تنتشر مذكراتها ؟

(٩٣)

هذه رسالة غير عادية ، عن يوم غير عادي . قليلة جداً هي الأيام غير العادية في حياة الإنسان . الأيام التي يخرج بها من قفص بشريته .. ليصبح عصفوراً .

يوم .. أو نصف يوم .. ربما .. في حياة الانسان كلها ، يخرج فيه من
السيلول الضيق ، ليمارس حرите ، ليقول ما يشاء .. ويحرك يديه كما يشاء
، ويجب من يشاء في الوقت الذي يشاء ..
نادراً ما يضل الإنسان إلى ذروة حرته ، فيخرج من الصندوق المختوم
بالشمع الأحمر الذي هو العادات اليومية والمصطلحات الاجتماعية ، ليرى
حبيته على الطبيعة .. ويحبها على الطبيعة ..
الإنسان مدعي حرية .. وليس حراً كما يتصور . إنه ليس حراً في
صلاته مع يديه ، وشفته ، وثيابه ، وكلامه وحواره اليومي ..
فإذا كتبتُ لك عن هذا اليوم غير العادي ، فلأنني أشعر أنني تحررت في
هذا اليوم من دقي ومن صمغي .. وخرجتُ من صندوق النفاق الاجتماعي
، ومن مغارة التاريخ ، لأمارس حرיתי كما يمارسها أي عصفور شارجد
في البرية .

البحر كتابٌ أزرقُ الغلاف .. أزرقُ الصفحات ..
وأنت بثوب الإستحمام ، تقرأين تحت الشمس ، الحشرات الصغيرة
تزحف على جسدك الزنبيقي لتشرب الضوء ..
ظهرك مكشوف .. وقدماك تلعبان بحرية وطفولة على العشب الثابت
أمام باب بيتنا البحري ..
وأخيراً .. أصبح لنا بابٌ .. ومفتاحٌ .. ومنزلٌ بحريٌ نلتجئ إليه ..
ربما لا تدركين معنى أم يكون للإنسان بيت ، ومفتاح ، وامرأة يحبها ..
ربما لا تدركين أنن تلميذٌ هاربٌ من جميع مدارس الحبِّ ومعلميها ..
هارب من ممارسة الحب بالإكراه ، وممارسة الشوق بالإكراه ،
وممارسة الجنس بالإكراه ..
وللمرة الأولى منذ عشرين سنة ، أدخل معك منزلنا البحريّ فلا أشعر أن
له سقفاً .. وجدراناً ..
للمرة الأولى أدفن وجهي في صدر امرأةٍ أحبها .. وأتمنى أن لا أستيقظ ..
للمرة الأولى أقيم حواراً طويلاً مع جسد امرأةٍ أحبها .. ولا أفكر في
الحصول على إجازة ..
للمرة الأولى منذ عصور ، أفكر بتجديد إقامتي معك .. وحين يفكر رجل
في تمديد إقامته مع امرأة .. فهذا يعني أنه دخل مرحلة الشعر .. أو مرحلة
الهيستريا ..

*

البحر شريطٌ من الحرير الأزرق على رأس تلميذة ..
ونهداك يقفزان من الماء .. كسمكتين متوحشتين ..

وأنا أنكش في الرمل الساخن بحثاً عن لؤلؤة تشبه استدارة نهديك ..
نخلتُ كلّ ذرات الرمل ، وفتحت مئات الأصداف ، ولم أعثر على لؤلؤة
بملاستهما ..

انتهى رملُ البحر كله .. وانتهت قواقي كلها .. ورجعتُ إلى صدرك
نادماً ومعتذراً .. كطالب راسبٍ في إمتحاناته ..
نتخبط في الماء .. كطائرين بحريين لا وطن لهما .
قطرات الماء تخرج على الجسدين المتشابكين ..
تندرج .. تشهق .. تغني .. ترقص .. تصرخ .. لا تعرف أيّ الجسدين
تبلى ..

قطراتُ الماء دوختها جغرافيةُ الجسدين المتداخلين ..
لم تعد تعرف أين تسقط .. على أيّ أرضٍ تنزلق ..
ضاعت جنسيةُ الرخام . لم يعد للعنق اسم .. ولا للذراع اسم .. ولا
للخصر اسم .. صاعت أسماء الأسماء . الرخام كله معجون ببعضه ..
براري الثلج كلها تشتعل .. وأنا .. وأنتِ ،، مزروعان في زرقة الماء ..
كسيفين من الذهب .

*

الحبّ يجر فنا كصدفتين صغيرتين ..
وأنا أتمسك بشعرك بشراصة إنسان يغرق ..
لم يكن بإمكانني أن أكون أكثر تحضراً .. فحين تلتصقين بي كسمكة
زرقاء .. أكونُ سخيلاً وغبياً إذا لم أجرك معي إلى الهاوية .. لتستقرّ في قعر
البحر سفينتين لا يعرف أحدٌ مكانهما ..

*

إنتهى يومنا البحريّ ..
ذهبت أنتِ . وظلتُ رغوّةُ البحر تزحف على جسدي ..
ظلت الشمس جرحاً من الياقوت على جبيني .
حاولتُ أن أستعيدك ، وأسنعيد البحر ..
نجحتُ في استرداد البحر .. ولم أنجح في استردادك .. فما يأخذه البحر
لا يردّه .

حاولتُ أن أركب يومنا البحريّ تركيباً ذهنياً ..
وأصق عشرات التفاصيل الصغيرة ببعضها .. كقطع الفسيفساء .
تذكرت كلّ شيء .
قبعتك البيضاء ، ونظارة الشمس ، وكتابك الفرنسي المطمور بالرمل ..
حتى النملة الخضراء ، التي كانت تتسلق على ركبتك الشمعية .. لم أنسها ..

حتى قطرات العرق التي كانت تتزلق كحبات اللؤلؤ .. على رقبتك لم
أنسها ..
حتى قدمك الحافية التي كانت تتقلب على الرمل ، كعصفورة عطشى ..
لم أنسها ..

*

إنتهى يومنا البحري ..
لا زال ثوب استحمامك البرتقال ، مشتعلاً كشجرة الكرز في مخيلتي ..
لا زال الماء المتساقط من شعرك .. يبيلل دفاتري ..
كل سطر أكتبه .. يغرق في الماء ..
كل قصيدة أكتبها تغرق في الماء ..
كل جبل أصعد إليه .. يحاصره الماء ..
فاحملي بحرك ، يا سيدتي ، وانصرفي
واتركي الشمس .. تُشرق ثانيةً ، على جسدي

*

إنتهى يومنا البحري ..
وكتب البحر في دفتر مذكراته :
" كانا رجلاً وامرأة ..
وكنتم بحراً حقيقياً .. "

(٩٤)

ساعة الكرملين تدق في موسكو .. منتصف الليل ..
وأنا عائد إلى فندقي من مسرح البلشوي حيث شاهدت باليه (بحيرة
البعج) ، تحفة تشايكوفسكي المذهلة .
خلال فترة العرض بحثت عن يدك أكثر من مرة .. عن يميني بحثت
عنها .. وعن يساري بحثت عنها ..
عندما أكون في حالة الفن ، أو في حالة العشق .. أبحث عن يدك ..
ألتجئ إليها ، أكلمها .. أضغط عليها .. أنزلق على لزوجتها .. أنام في
جوفها ..
في معابد الفن العظيم .. يشف الحُب حتى يصبح ضوءاً سائلاً هل الفن
والحُب طفلان يشربان من نهر واحد ؟ هل هما حبنا قمع معلقان في سنبلة
واحدة ..
إنني لا أستطيع أن أفصلك عن موسيقى تشايكوفسكي .. أنت تنامين على
صدر كل الكمنجات .. وتستحمين في دموع كل الأوتار .

وحين خرجت البجعة بأجنحتها البيضاء من البحيرة ، واستدارت
الراقصات حولها بشكل مروحة أنيقة ، كان كل شيء يوحى بالنقاء والطهر
.. كأن الدنيا كانت تمطر ياسميناً ..
ومن خلال أمطار الياسمين ، خرجت أنت بجعةً بيضاء من بحيرة
ذكرياتي .
ورجعتُ إلى فندقتي في آخر الليل .. لألملم زغبَ القطن المتناثر على
ثيابي ..

(٩٥)

الفودكا .. تمرّ فوق لساني سيفاً من نار ..
ومع كل قطرة تمرين أنت .
حاولتُ أن أكون روسياً ..
يبتلع عشرات الحرائق .. ولا يحترق
لكنني فشلت ..
لأنني كنتُ أواجه نارين ..
نارَ الفودكا ..
وناركِ أنتِ ..
فتاة المطعم موسكوفية . إسمها ناتاشا ..
وأحبّ أن أسميكِ ، مثلها ، ناتاشا ..
وأحبّ أن تركضي معي
كحمامة ، على ثلوج الساحة الحمراء ..
*

القدح الصغيرُ يشتعل كالجمره
ووجهك ، يعوم كالوردة ،
على سطح السائل اللؤلؤي ..
يا ناتاشا .. يا حبيبتي
يشربُ الرجالُ الخمرهَ ليهربوا من حبيباتهم .
أما أنا فأشربها ..
لأهربَ إليك ..

(٩٦)

أكتب إليك من ليننغراد .. عاصمة القيصرية .

درجة الحرارة صفر . وأنا ألبسك على جسدي كنزةً من الحنان .. وأتدفاً
بك كما تتدفاً كنيسةً بشموها ..
يُريحني أن ألبسك على جسدي ، فأنتِ حطبي وفحمي في هذه القارة
المرتعشة المفاصل .
قضيتُ اليوم كله في متحف الهيرميتاج .
كلّ متاحف العالم تبدو أكوخاً فقيرة من القشّ أمام هذا المتحف الخرافة ،
حتى اللوثر العظيم يغطي وجهه بيديه مختجلاً إذا ذكر اسمُ الهيرميتاج .
ألفا غرفة تضم أروع ما صنعته أصابع البشر ، جمعها القياصرة قطعةً
قطعةً من زورايا الأرض .
كلّ مصوري العالم ونحاتيه في غرف الهيرميتاج ويتدثون مع الزوار ..
الهيرميتاج هو فندق كل عابرة العالم .. فيه ينامون وفيه يرسمون ..
وينحتون ...
هنا وطن الفنانين .. فلوحات رينوار ، وماتيس ، وفان غوخ ، وغويا ،
والغريكو ، وروبنس ، الموجودة هنا أعظم من آثارهم الموجودة في بلادهم
الأصلية .
زرتُ الجناح الخاص بالامبراطورة كاترينا الثانية . رأيت ملابسها ،
وجواهرها ، وأمشاطها ، وخواتمها ، وأثواب نومها المطرزة بالذهب ،
ومعطفها المشغولة بالحجارة الثمينة .
في لحظة من لحظات الحلم تصورتك كاترين الثانية .. وأردتُ أن أخرج
جميع ما في الخزائن اليللورية من عقود وأساور واطرحها على قدميك .. يا
قيصرة القياصرة ..
في لحظة من لحظات الشرود ، تصورت أن المتحف متحفك ، والتيجان
تيجانك ، والوصيفان وصيفاتك .. وأنكِ تركبين العربة الملكية الموشاة
بالذهب وأحجار الياقوت والزمرد .. وتنزلقين على ثلوج ليننغراد .
هل تسمعين صوتي ، وأنا أهتف مع الرعايا المتناثرين على أرصفة
ليننغراد (حفظ الله الملكة) .
أنا واحدٌ من رعاياك يا قيصرة القياصرة ..
أنا مواطنٌ يحبك ..

(٩٧)

أمشي على أوراق الخريف ، في حدائق القصر الصيفي في ليننغراد .
أكسرهما .. وتكسرني ..

ألوان الشجر متدرجة بين لون النار ، ولون الذهب العتيق . والأزرق
الصفراء ، والحمراء ، والنحاسية ، أشبه بكتاب سطورهِ تحترق ..
الشمس ، على شاطئ بحر البلطيك ، برتقالة غارقة في الماء . ومياه
الخليج الفنلندي تغني بصوت رمادي ..
الله .. كم أحبّ السماوات الرمادية .. والمدن الرمادية .. والمواعيد
الرمادية ..
وحبي لك كان دائماً طفلاً ذا عينين رماديتين ..
هل أعترف لك بشيء ؟
إن السماوات الكثيفة الزرقة تضايقني .. أفضل السماوات التي تكون
العتمة فيها مضيئة ، والضوء معتماً .. وأجمل العيون عندي هي العيون
التي تكون في حالة تعتيم جزئي ..
على سواحل بحر الشمال تلتفّ ذراعي حول خصرك بحركة تلقائية ..
على كل البحار أنتِ ممتدة ..
وعلى سطوح كل المراكب أنتِ مستلقية ..
سمك منتشر في شراييني كبقعة حبر على ثوب أبيض .. ونهدك يعطيني
عنك خرافة ..
فنحن نسقط إلى الأعلى ، فنندرج إلى ذروة الشمس ، يمسح الواحد منا
حدود الآخر .. يلغيه ..
حين تكونين معي . يكون واحدٌ منا فقط ، ينتهي واحدٌ منا . يصير
صوتك امتداداً لفمي ، وتصير ذراعي امتداداً طبيعياً لذراعك .. ويصير
شعرك الأسود امتداداً لأحزاني .

(٩٨)

لستُ نادماً على أعوامي الضائعة معك ..
فأنا لا أحترفُ الندامة .
ولستُ أسفاً ..
لأنني لعبتُ على حصان خاسرٍ ..
إن المقامرة على النساء .. كالمقامرة على الخيول ..
غيرُ مضمونة النتائج ..
ولا تصدقُ فيها النبوءاتُ ..
فكلّ رجلٍ ينتقي فرساً ..
وكل امرأةٍ تنتقي جواداً ..
ولا يربح في نهاية الشوط ..

سوى النساء ..

*

أن تجاربي مع الخيل والنساء .. متشابهة ..
أربح مرة .. وأخسر مرات ..
أنتصر مرة .. وأهزم مرات ..
ورغم هذا أستمر في اللعبة ..
وأجد في ممارستها الكثير من الشعور ..
فلا أجمل من السقوط المفاجئ ..
تحت حوافر الخيل ..
أو تحت حوافر الحب ..

(٩٩)

إطمئني يا سيدتي !
فما جئت لأشتمك ،
أو لأشنعك على حبال غضبي
ولا جئت ، لأراجع دفاتري القديمة معك
فأنا رجل ..
لا يحتفظ بدفاتر حبه القديمة ..
ولا يعود إليها أبداً ..
لكنني جئت لأشكرك ..
على زهور الحزن التي زرعتها في داخلي فمناك تعلمت أن أحب في
الزهور السوداء ..
وأشتريتها ..
وأوزعها في زوايا غرفتي .

*

ليس في نيتي ،
أن أفضح انتهازيتك ..
أو أكشف الأوراق المغشوشة
التي كنت تلعبين بها .. خلال عامين ..
لكنني جئت لأشكرك ..
على مواسم الدمع ..
وليلي الوجع الطويلة ..
وعلى كل الأوراق الصفراء

التي نثرتها على أرض حياتي ..
فلولاك ، لم أكتشف
لذة الكتابة باللون الأصفر
ولذة التفكير ..
باللون الأصفر ..
ولذة العشق باللون الأصفر ...

(١٠٠)

هذه هي رسالتي الأخيرة ..
ولن يكون بعدها رسائل ..
هذه .. آخر غيمة رمادية
تمطر عليك ..
ولن تعرفي بعدها المطر ..
هذا آخر النبيذ في إنائي ..
وبعده ..
لن يكون سُكْرٌ .. ولا نبيذ ..
هذه آخر رسائل الجنون ..
وآخر رسائل الطفولة ...
ولن تعرفي بعدي ، نقاء الطفولة ، وطرافة الجنون ..
لقد عشقتك ..
كطفل هارب من المدرسة ..
يخبئ في جيوبه العصافير ..
ويخبئ القصائد ..
كنت معك ..
طفل الشعر ، والكتابة العصبية
أما أنت ..
فكنت امرأة شرقية الشروش
تنتظر قدرها ..
في خطوط فناجين القهوة ..
وملاءات الخاطبات
ما أنعسك يا سيدتي ..
فلن تكوني في الكتب الزرقاء .. بعد اليوم
ولن تكوني في ورق الرسائل ،

وبكاء الشموع ..
وحقيبة موزع البريد ..
لن تكوني في عرائس السكر ..
وطيارات الورق الملونة ..
لن تكوني في وجع الحروف ..
أو في وجع القصائد ..
فلقد نفيت نفسك خارج حدائق طفولتي ..
وأصبحت نثراً

*** النهاية ***

هوامش على الهوامش

نزار قباني

هوامش على دفتر النكسة¹

1

أنعي لكم، يا أصدقائي، اللغة القديمة

والكتب القديمة

أنعي لكم..

كلامنا المثقوب، كالأحذية القديمة..

ومفردات العهر، والهجاء، والشتيمة

أنعي لكم.. أنعي لكم

نهاية الفكر الذي قاد إلى الهزيمة

2

مالحة في فمنا القوائد

¹ كتبت في أعقاب نكسة حزيران (يونيو) 1967

مالحة ضفائرُ النساء

والليلُ، والأستارُ، والمقاعد

مالحة أمامنا الأشياء

3

يا وطني الحزين

حوّلتني بلحظةٍ

من شاعرٍ يكتبُ الحبَّ والحنين

لشاعرٍ يكتبُ بالسكين

4

لأنَّ ما نحسُّه أكبرُ من أوراقنا

لا بدَّ أن نخجلَ من أشعارنا

5

إذا خسرنا الحربَ لا غرابه

لأننا ندخلها..

بكلِّ ما يملكُ الشرقيُّ من مواهبِ الخطابه

بالعنترياتِ التي ما قتلت ذبابه

لأننا ندخلها..

بمنطقِ الطبله والربابه

6

السرُّ في مأساتنا

صراخنا أضخمُ من أصواتنا

وسيفنا أطولُ من قاماتنا

7

خلاصه القضية

توجزُ في عبارة

لقد لبسنا قشرة الحضارة

والروح جاهليّة...

8

بالتّاي والمزمار..

لا يحدثُ انتصار

9

كلّفنا ارتجاننا

خمسينَ ألفَ خيمةٍ جديدةٍ

10

لا تلعنوا السماءَ

إذا تخلّت عنكم..

لا تلعنوا الظروفَ

فالله يوتّي النصرَ من يشاءُ

وليس حدّاداً لديكم.. يصنعُ السيوفُ

11

يوجعني أن أسمعَ الأنبياءَ في الصباحِ

يوجعني.. أن أسمعَ النَّبأحُ..

12

ما دخلَ اليهودُ من حدودنا

وإنما..

تسرّبوا كالنمل.. من عيوبنا

13

خمسةُ آلافِ سنةٍ..

ونحنُ في السردابِ

ذقوننا طويلاً

نقودنا مجهولة

عيوننا مرافقُ الذبابِ

يا أصدقائي:

جرّبوا أن تكسروا الأبوابُ

أن تغسلوا أفكاركم، وتغسلوا الأثوابُ

يا أصدقائي:

جرّبوا أن تقرؤوا كتاباً..

أن تكتبوا كتاباً

أن تزرعوا الحروفَ، والرُّمانَ، والأعنانَ

أن تبحروا إلى بلادِ الثلجِ والضبابِ

فالناسُ يجهلونكم.. في خارجِ السردابِ

الناسُ يحسبونكم نوعاً من الذئبِ...

جلودنا ميتة الإحساس

أرواحنا تشكو من الإفلاس

أيامنا تدور بين الزار، والشطرنج، والنعاس

هل نحن "خير أمةٍ قد أخرجت للناس"؟ ...

15

كان بوسع نطفنا الدافق بالصحاري

أن يستحيلَ خنجراً..

من لهبٍ ونار..

لكنه..

واخجلة الأشرافِ من قريش

وخبلة الأحرار من أوسٍ ومن نزار

يراقُ تحتَ أرجلِ الجواري...

16

نركضُ في الشوارع

نحملُ تحتَ إبطنا الحبالا..

نمارسُ السَحْلَ بلا تبصُرٍ

نحطمُ الزجاجَ والأقفالا..

نمدحُ كالضفادع

نشتمُ كالضفادع

نجعلُ من أقزامنا أبطالاً..

نجعلُ من أشرفنا أنذالا..

نرتجلُ البطولةَ ارتجالاً..

نقعدُ في الجوامع..

تتابلاً.. كُسالى

نشطرُ الأبياتَ، أو نوَلِّفُ الأمثالاً..

ونشأُ النصرَ على عدونا..

من عندهِ تعالى...

17

لو أحدٌ يمنحني الأمان..

لو كنتُ أستطيعُ أن أقابلَ السلطانُ

قلتُ له: يا سيدي السلطانُ

كلايكَ المفترساتُ مزقتُ ردائي

ومخبروكَ دائماً ورائي..

عيونهم ورائي..

أنوفهم ورائي..

أقدامهم ورائي..

كالقدر المحتوم، كالقضاءِ

يستجوبون زوجتي

ويكتبون عندهم..

أسماءَ أصدقائي..

يا حضرة السلطانُ

لأنني اقتربتُ من أسوارك الصمّاءِ

لأنني..

حاولتُ أن أكشفَ عن حزني.. وعن بلائي

ضربتُ بالحداءِ..

أرغمني جندك أن آكلَ من حذائي

يا سيّدي..

يا سيّدي السلطانُ

لقد خسرتَ الحربَ مرتينِ

لأنَّ نصفَ شعبنا.. ليسَ له لسانُ

ما قيمة الشعب الذي ليس له لسان؟

لأنَّ نصفَ شعبنا..

محاصرٌ كالنمل والجرذان..

في داخل الجدران..

لو أحدٌ يمنحني الأمان

من عسكر السلطان..

قلتُ له: لقد خسرتَ الحربَ مرتين..

لأنك انفصلتَ عن قضية الإنسان..

18

لو أننا لم ندفن الوحدة في التراب

لو لم نمزق جسمها الطري بالحراب

لو بقيت في داخل العيون والأهداب

لما استباحتم لحمنا الكلاب..

19

نريدُ جيلاً غاضباً..

نريدُ جيلاً يفلحُ الآفاقُ

وينكشُ التاريخَ من جذوره..

وينكشُ الفكرَ من الأعماقُ

نريدُ جيلاً قادماً..

مختلفَ الملامحِ..

لا يغفرُ الأخطاءَ.. لا يسامحُ..

لا ينحني..

لا يعرفُ النفاقَ..

نريدُ جيلاً..

رائداً..

عملاق..

20

يا أيها الأطفال..

من المحيط للخليج، أنتم سنابل الآمال

وأنتم الجيل الذي سيكسر الأغلال

ويقتل الأفيون في رؤوسنا..

ويقتل الخيال..

يا أيها الأطفال أنتم – بعد- طيبون

وطاهرون، كالندى والثلج، طاهرون

لا تقروا عن جيلنا المهزوم يا أطفال

فنحن خائبون..

ونحن، مثل قشرة البطيخ، تافهون

ونحنُ منخورونَ.. منخورونَ.. كالنعالِ

لا تقرؤوا أخبارنا

لا تقتفوا آثارنا

لا تقبلوا أفكارنا

فنحنُ جيلُ القيءِ، والزُّهريِّ، والسعالِ

ونحنُ جيلُ الدجْلِ، والرقصِ على الحبالِ

يا أيها الأطفالُ:

يا مطرَ الربيعِ.. يا سنابلَ الآمالِ

أنتمُ بذورُ الخصبِ في حياتنا العقيمةُ

وأنتمُ الجيلُ الذي سيهزمُ الهزيمةُ...

هوامش على دفتر الهزيمة

1

لا حربنا حرب، ولا سلامنا سلام
جميع ما يمر في حياتنا
ليس سوى أفلام..
زواجنا مرتجل
وحبنا مرتجل
كما يكون الحب في بداية الأفلام
وموتنا مقرر
كما يكون الموت في نهاية الأفلام

2

لم ننتصر يوماً على ذبابة
لكنها.. تجارة الأوهام
فخالد، وطارق، وحمزة
وعقبة بن نافع،
والزير، والقعقاع، والصمصام،
مكدسون كلهم..
في علب الأفلام..

3

هزيمة..
وراءها هزيمة..
وراءها هزيمة..
كيف لنا أن نربح الحرب
إذا كان الذين مثلوا..
وصوروا..
وأخرجوا..
تعلموا القتال في وزارة الإعلام؟؟

4

في كل عشرين سنة..
يأتي إلينا رجل مسلح
ليذبح الوحدة في سريرها
ويجهض الأحلام

5

في كل عشرين سنة..
يأتي إلينا حاكم بأمره
ليحبس السماء في قارورة
ويأخذ الشمس إلى منصة الإعدام

6

في كل عشرين سنة
يأتي إلينا نرجسي عاشق لذاته
ليدعي بأنه المهدي، والمنقذ،
والنقي، والتقي، والقوي،
والواحد، والخالد،
والحكيم، والعليم، والقديس،
والإمام...

7

في كل عشرين سنة
يأتي إلينا رجل مقامر
ليرهن البلاد، والعباد، والتراث،
والشروق، والغروب،
والأشجار، والثمار،
والذكور، والإناث،
والأمواج، والبحر،
على طاولة القمار..

8

في كل عشرين سنة
يأتي إلينا رجل معقد

يحمل في جيوبه أصابع الألغام..

9

ليس جديدًا خوفنا
فالخوف كان دائماً صديقتنا
من يوم كنا نطفة
في داخل الأرحام

10

هل النظام، في الأساس، قاتل؟
أم نحن مسؤولون
عن صناعة النظام؟

11

إن رضي الكاتب أن يكون مرة
دجاجة..
تعاشر الديوك.. أو تبيض.. أو تنام..
فاقرأ على الكتابة السلام...

12

للأدباء عندنا نقابة رسمية

تشبه في تشكيلها
نقابة الأغانم..

13

ثم ملوك أكلوا نساءهم
في سالف الأيام
لكنما الملوك في بلادنا
تعودوا أن يأكلوا الأقالم..

14

مات ابن خلدون الذي نعرفه
وأصبح التاريخ في أعماقنا
إشارة استفهام!!

15

هم يقطعون النخل في بلادنا
ليزرعوا مكانه..
للسيد الرئيس، غابات من الأصنام!

16

لم يطلب الخالق من عباده

أن ينحتوا يوماً له
مليون تمثال من الرخام!!

17

تقاطعت في لحمنا خناجر العروبه
واشتبك الإسلام بالإسلام...

18

بعد أسابيع من الإبحار في مراكب الكلام
لم يبق من قاموسنا الحربي
إلا الجلد والعظام..

19

طائرة (الفانتوم)
تنقض على رؤوسنا
ونحن نستقوي بزناار (أبي تمام)!

20

الحرب..
لا تربحها وظائف الإنشاء
ولا التشابيه.. ولا النعوت.. والأسماء

مقتلنا يكمن في لساننا
فكم دفعنا غالباً ضريبة الكلام..

21

من الذي ينقذنا من حالة الفصام؟
من الذي يقنعنا بأننا لم نهزم؟
ونحن كل ليلة..
نرى على الشاشات جيشاً جائعاً.. وعارياً..
يشحذ من خنادق الأعداء (ساندويشة)
وينحنى.. كي يلثم الأقدام!!

22

قد دخل القائد – بعد نصره-
لغرفة الحمام
ونحن قد دخلنا
لملجأ الأيتام!!

23

نموت مجاناً.. كما الذباب في إفريقيا
نموت كالذباب
ويدخل الموت علينا ضاحكاً
ويقفل الأبواب

نموت بالجملة في فراشنا
ويرفض المسئول عن ثلاجة الموتى
بأن يفصل الأسباب
نموت.. في حرب الإشاعات..
وفي حرب الإذاعات..
وفي حرب التشابيه..
وفي حرب الكنايات..
وفي خديعة السراب
نموت.. مقهورين، منبوذين، ملعونين..
منسيين كالكلاب..
والقائد السادي في مخبئه
يفلسف الخراب..

24

مضحكة مبكية
معركة الخليج
فلا النضال انكسرت فيها على النضال
ولا الرجال نازلوا الرجال
ولا رأينا مرة..
آشور بانيبال
فكل ما تبقى .. لمتحف التاريخ..
أهرام من النعال!!

25

في كل عشرين سنه
يجيئنا مهيار
يحمل في يمينه الشمس،
وفي شماله النهار.
ويرسم الجنات في خيالنا
وينزل الأمطار
وفجأة..
يحتل جيش الروم كبرياءنا
وتسقط الأسوار!!

26

في كل عشرين سنه
يأتي امرؤ القيس على حصانه
يبحث عن ملك من الغبار...

27

أصواتنا مكتومة
شفاهنا مختومة
شعوبنا ليست سوى لأصفار...
إن الجنون وحده،
يصنع في بلادنا القرار...

28

نكذب في قراءة التاريخ
نكذب في قراءة الأخبار
ونقلب الهزيمة الكبرى
إلى انتصار...

29

يا وطني الغارق في دمائه
يا أيها المطعون في إباءه
مدينة مدينة..
نافذة نافذة..
قمامة قمامة..
حمامة حمامة..
مئذنة مئذنة..
أخاف أن أقرئك السلام..

30

يسافر الخنجر في عربتي
يسافر الخنجر في رجولتي
هل هذه هزيمة قطرية؟
أم هذه هزيمة قومية؟
أم هذه هزيمتي؟؟

الديك

في حارتنا
ديك سادي ، سفاح
ينتف ريش دجاج الحارة كل صباح.
ينقرهن..
يطاردهن..
يضاجعهن..
ويهجرهن..
ولا يتذكر أسماء الصيوان.

في حارتنا
ديك يصرح عند الفجر
كشمشون الجبار.
يطلق لحيته الحمراء،
ويقمنا ليلاً ونهار.
يخطب فينا..
ينشد فينا..
يزني فينا..
فهو الواحد، وهو الخالد،
وهو المقتدر الجبار.
في حارتنا
ثمة ديك عدواني،

فاشيستي،
نازي الأفكار.
سرق السلطة بالدبابة..
ألقي القبض على الحرية والأحرار.
ألغى وطناً.
ألغى شعباً.
ألغى لغة.
ألغى أحداث التاريخ..
وألغى ميلاد الأطفال..
والغى أسماء الأزهار..
في حارتنا
ديك يلبس في العيد القومي
لباس الجنرالات..
يأكل جنساً..
يشرب جنساً..
يسكر جنساً..
يركب سفناً من أجساد..
يهزم جيشاً من حلمات..
في حارتنا
ديك من أصل عربي
فتح الكون بآلاف الزوجات!!
في حارتنا
ثمة ديك أمي
يرأس إحدى الميليشيات
لم يتعلم إلا الغزو..

وإلا الفتك..
وإلا زرع حشيش الكيف..
وتزوير العملات..
كان يبيع ثياب أبيه..
ويرهن خاتمه الزوجي..
ويسرق حتى أسنان الأموات..
في حارتنا
ديك. كل مواهبه
أن يطلق نار مسدسه الحربي
على رأس الكلمات..
في حارتنا
ديك عصبي مجنون
يخطب يوماً كالحجاج..
ويمشي زهواً كالمأمون.
يصرخ في مئذنة الجامع:
"يا سبحاني. يا سبحاني"
"فأنا الدولة، والقانون"..
كيف سيأتي الغيث إلينا؟
كيف سينمو القمح؟
وكيف يفيض علينا الخير..
وتغمرنا البركة؟
هذا وطن لا يحكمه الله..
ولكن تحكمه الديكة..
في بلدتنا
يذهب ديك

والطغيان هو الطغيان
يسقط حكم لينيني..
يهجم حكم أمريكي..
والمسحوق هو الإنسان..
حين يمر الديك بسوق القرية
مزهواً، منفوش الريش
وعلى كتفيه تضي نياشين التحرير
يصرخ كل دجاج القرية في إعجاب:
"يا سيدنا الديك.."
"يا مولانا الديك.."
"يا جنرال الجنس.. ويا فحل الميدان.."
"أنت حبيب ملايين النسوان.."
"هل تحتاج إلى جارية؟"
"هل تحتاج إلى خادمة؟"
"هل تحتاج إلى تدليك؟..".
حين الحاكم سمع القصة،
أصدر أمراً للسياف بذبح الديك
قال بصوت غاضب:
"كيف تجرأ ديك من أولاد الحارة
"أن ينتزع السلطة مني.."
"كيف تجرأ هذا الديك؟؟"
"وأنا الحاكم دون شريك!!"

لندن 1992

من يوميات شقة مفروشة

1

هذي البلاد، شقة مفروشة
يملكها شخص يسمى عنتره
يسكر طول الليل عند بابها
ويجمع الإيجار من سكانها
ويطلب الزواج من نسوانها
ويطلق النار على الأشجار، والأطفال،
والعيون، والأثداء..
والضفائر المعطرة...

2

هذي البلاد كلها..
مزرعة شخصية لعنتره
سماؤها
هواؤها
نساؤها
حقولها المخضوضرة..
كل البناءات هنا
يسكن فيها عنتره

كل الشبابيك..
عليها صورة لعنتره..
كل الميادين هنا
تحمل اسم عنتره..
عنترة يقيم في ثيابنا
في ربطة الخبز..
وفي زجاجة الكولا..
وفي أحلامنا المحتضره
في عربات الخس، والبطيخ،
في الباصات،
في محطة القطار،
في جمارك المطار،
في طوابع البريد،
في ملاعب "الفوتبول"،
في مطاعم (البيتزا)..
وفي كل فئات العملة المزورة..

3

مدينة مهجورة.. مهجره..
لم يبق فيها فأرة، أو نملة..
أو جدول، أو شجره..
لا شيء فيها يدهش السياح
الا الصورة الرسمية المقررة
للجنرال عنتره.

في غرفة الجلوس،
في الحمام،
في المرحاض،
في ميلاده السعيد،
في ختانه المجيد،
في قصوره الشامخة..
الباذخة.. المسورة..

4

ما من جديد
في حياة هذه المدينة – المستعمره
فحزننا مكرر
ونكهة القهوة في شفاها
مكرره..
فمنذ أن ولدنا
ونحن محبوسون
في زجاجة الثقافة المدورة..
واللغة المدوره..
ومذ دخلنا المدرسة
ونحن لا ندرس إلا سيرة ذاتية واحدة
تخبرنا عن عضلات عنتره..
ومكرمات عنتره..
ومعجزات عنتره..
ولا نرى، في كل دور السينما

إلا شريطاً عربياً مضجراً
يلعب فيه عنتره!!

5

لا شيء في إذاعة الصباح نهتم به
فالخبر الأول فيها
خبر عن عنتره
لا شيء في البرنامج الثاني سوى
عزف على القانون
من مؤلفات عنتره.
وباقة من أرداد الشعر..
بصوت عنتره..
ولوحة زيتية
من خربشات عنتره..
هذي بلاد
يمنح الكتاب فيها صوتهم
لسيد المثقفين عنتره
يجملون قبحه.
يؤرخون عصره.
وينشرون فكره.
ويقرعون الطبل
في حروبه المظفره..

6

لا نجم فوق شاشة التلفاز
إلا عنتره.
بقده المياس..
أو ضحكته المعبره.
يوماً، بزي الدوق والأمير.
يوماً، بزي الكادح الفقير.
يوماً، بزي الواحد القدير.
يوماً، على دبابه روسية..
يوماً، على مجنزرة..
يوماً، على أضلاعنا المكسره..

7

لا أحد..
يجرؤ أن يقول (لا)..
للجنرال عنتره.
لا أحد..
يجرؤ أن يسأل أهل العلم في المدينه
هل وجد الخالق قبل عنتره ؟
أم وجد الخالق بعد عنتره ؟
إن الخيارات هنا محدودة
بين دخول السجن..
أو بين دخول المقبرة..

8

لا شيء..
في مدينة المليون تابوت..
سوى تلاوة القرآن..
والسرادق الكبير..
والجنائز المنتظرة.
لا شيء..
إلا رجل يبيع في حقيبة
تذاكر الدخول للقبر..
يسمى عنتره..

9

عنتره العبسي
لا يتركنا دقيقة واحدة
فمرة، يأكل من طعامنا.
ومرة، يشرب من شرابنا.
ومرة، يندس في فراشنا.
ومرة، يزورنا مسلحاً
ليقبض الإيجار..
عن بلادنا المستأجرة..

10

هل ممكن؟
هل ممكن؟
أن يستقيل الله من سمائه
وأن تموت الشمس،
والنجوم،
والبحار،
والغابات،
والرسول والملائكة..
ولا يموت عنتره؟؟

لندن 1990

تاريخنا ليس سوى إشاعة!

1

من أين يأتينا الفرحة؟
ولوننا المفضل السواد.
نفوسنا سواد.
عقولنا سواد.
داخلنا سواد.
حتى البياض عندنا
يميل للسواد..

2

من أين يأتينا الفرحة؟
وكل ما يحدث في حياتنا
مسلسل استبداد
الوطن استبداد
والهجرة استبداد
والصحف الرسمية استبداد
والشرطة السرية استبداد
والزوجة استبداد..
وعشقنا لامرأة جميلة جداً

هو استبداد!!

3

من أين يأتينا الفرح؟
وكل طفل عندنا
تجري على ثيابه دماء كربلاء..
والفكر في بلادنا أرخص من حذاء
وغاية الدنيا لدينا:
الجنس.. والنساء..

4

من أين يأتينا الفرح؟
ونحن، من يوم تخاصمنا
على النسوان في غرناطة
تفككت أمتنا
وهررت دولتنا.
وطارت البلاد..

5

الشجر الأطول في بلادي
شجر الأحقاد!!

6

يدهشني..
بأن كل امرأة في وطني
تلبس في زفافها
ملابس الحداد..

7

ليس لدينا أمة خالدة
أو دولة واحدة
وإنما أفراد..

8

هل هذه جرائد نقرأها؟
أم أنها جنازة
ودعوة للحزن والحداد؟؟

9

نصوصنا منقولة
أصواتنا،
تخرج من حناجر الأجداد..

10

أكره (ألف ليلة)
وأكره النوم كمجذوب
على ذراع شهر زاد.

11

من أين يأتينا الفرح؟
أطفالنا ما شاهدوا في عمرهم
قوس قزح..

12

من أين يأتينا الفرح؟
ونحن من يوم خرجنا من فلسطين
ومن ذاكرة الليمون، والخوخ،
تحولنا إلى رماد..

13

ونحن من يوم تركنا
بحر بيروت..
تركنا خلفنا
أثناء أمهاتنا.

وورد ذكرياتنا.
وبيت حرياتنا.
كما تركنا خلفنا
شهادة الميلاد..

14

لقد أكلنا بعضنا بعضاً
فهل تعذرنا
الأسماك والجراد؟

15

حتى ثياب الله في بلادنا
تباع بالمزاد!!

16

من أين يأتينا الفرح؟
ما طار طير عندنا..
إلا اندبح..
ولا نبي جاءنا
إلا بأيدينا اندبح..
ولا أتانا مصلح، أو مبدع
أو كاتب، أو شاعر

إلا على وسادة الشعر..
انذبح..

17

محرم في وطني
تنقل الهواء..
محرم..
تنقل الكحلة فوق أعين النساء..
محرم تنقل القصيدة..
محرم..
تنقل الأفعال، والأسماء..

18

يرتعب الحكام
في العالم الثالث،
من صوت العصافير..
ومن ضوع الأزاهير..
ومن زقزقة الحمام.
ويدخلون البحر للسجن...
إذا أسرف في الكلام..
صعب على الحكام
في عالمنا الثالث
أن يصلحوا الفكر..

وأن يصادقوا الأعلام.
هل يستطيع الذئب
أن يصادق الأغنام؟؟

19

في سالف الزمان كنا
أمراء الشعر..
والبيان.. والبديع.. والخطابه..
وأصبحت مهنتنا الآن..
بأن نفترس الكتابه!!

20

أول قصر
من قصور العلم والثقافة..
أسسه الخليفة المأمون
وجاء حكام إلى بلادنا من بعده..
تخصصوا في مهنة القتل..
وفي هندسة السجون!!

21

في زمن الطفولة
قرأت آلاف الأقاويص

عن النخوة..
والنجدة..
والعزة..
والإباء، والفداء،
والسخاء، والشجاعة..
ثم اكتشفت عندما دخلت في الكهولة..
بأن نصف ما قرأته
في حصة التاريخ،
ما كان سوى إشاعه!!

البحث عن سيده اسمها "الشورى"

1

سيدتي الشورى:
ما أحوالك؟
ما عنوانك؟
ما صندوق بريدك؟
هل يمكنني أن ألقاك لخمس دقائق
يا سيدتي الشورى؟..
فتشنا عنك طويلاً
بين الماء.. وبين الماء..
وبين الرمل.. وبين الرمل..
وبين القتل.. وبين القتل..
وبين قريش.. وقريش..
فوجدنا أنقاض خيول
ووجدنا أجزاء سيوف
ووجدنا أشباه رجال
ووجدنا جيشاً مدحوراً..

2

سيدتي..

سيدتي الشورى:
فتشنا عنك بأقسام البوليس،
وقائمة السجناء،
وطابور الغرباء،
وفي غرف الإنعاش،
وثلاجات الموتى..
فتشنا..
حتى في أمعاء الحاكم..
عن سيدة فقدت منذ القرن الأول منا،
تدعى الشورى.
فوجدنا رأساً مقطوعاً..
ووجدنا جسداً مغتصباً..
ووجدنا نهداً مبتوراً..

3

من يوم ولدنا
نسمع عن حكم الشورى
وبأن الشعب شريك في التفكير..
وفي التدبير..
وفي التنظير..
كما تقضي أنظمة الشورى
لكننا.. لم نسأل أبداً
إن كنا في الأصل إناثاً
أو كنا في الأصل ذكوراً..

أو كنا بشراً.. أو كنا
قططاً.. وكلاباً.. وطيوراً..

4

أو كنا نأكل فاكهة
أو نأكل تبناً.. وشعيراً..
وبقينا في رسم الإيجار
تحلبنا الدولة كالأبقار
لا نعرف من يستأجرنا
لا نعرف من هو مالكننا
لا نعرف من في اليوم التالي يركبنا..
وبقينا نسأل أنفسنا
هل هي شوربة..
أم شورى؟؟

5

لو أنت دخلت على فرعون
في عزلته الأبدية
ستشاهد فوق عباءته
قطرات دماء بشريه.
وتشاهد فوق وصادته
امرأة دون ذراعيها..
وقصائد دون ذراعيها..

وخواتم ذهب مرميه..
وتشاهد تحت أظافره
قطعا من لحم الحريه..

6

من يوم ولدنا
نسمع عن حكم الشورى
لكن الحاكم في الشرق الأوسط
قد بال على عقل الإنسان ..
وبال على رأي الإنسان
وبال على حكم الشورى..
واحترف الرقص على أجساد الشعب
وشيد للظلم قصورا..
ورمانا في آتون الحرب
وأحرق أمماً وعصوراً..
فأفقتنا في ذات صباح
لنرى أنفسنا مكتوبين بقائمة الموتى
ونرى الرايات ممزقة
ونرى الجدران مهدمة
ونرى الأجساد مفحمة
ونرى أكفاناً وقبوراً
وأفقتنا في ذات صباح
لنللم وطناً مكسوراً..
وعرفنا - بعد سقوط البصرة -

ما معنى الشورى!!

7

ما زلنا منذ طفولتنا
نتفاعل باللون الكاكي
ونفرح بالعقداء..
وبالنجمات على الأكتاف..
وبالخوذات..
وبالجزمات..
وبالأزرار..
ما زلنا..
- منذ بدأنا نقرأ -
نتلو قرآن الثوار..
ونغطي دبابات الجيش الظافر
بالقبلات.. وبالصلوات..
وبالأزهار.
ونحدد يوم ولادتنا
بمجيء الضباط الأحرار..

8

لا لغة..
تجمع بين الحاكم والمحكوم لدينا

إلا لغة البلطة والمنشار..
لا خيط يجمع بينهما
إلا ما يجمع
بين القط.. وبين الفار..

9

.. وأتانا الضباط الأحرار.
وبدأنا ننسى ضوء الشمس،
وصوت البحر،
وألوان الأشجار..
وبدأنا نسقط تحت نعال الخيل،
ونصلب في غرف التعذيب،
ونشوى في أفران النار..
وبدأنا نأخذ
شكل الإنسان – الصرصار.
وبدأنا نسأل أنفسنا:
أهنالك رب يسمعنا خلف الأسوار؟؟

10

يتكسر وطني
مثل قوارير الفخار
تنقرض الأمة بين الماء وبين الماء..
تهاجر أسماك وبحار.

تنهار بنايات التاريخ جداراً بعد جدار..
وأنا أتأمل ما تعرضه الشاشة
من أخبار العار..
ومذيع الدولة، يعلن دون حياء،
"أنا قد حققنا النصر.."
بفضل نضال الحزب..
وفضل الضباط الأحرار " !!

إلى أين يذهب موتى الوطن؟

1

نموت مصادفة..

ككلاب الطريق.

ونجهل أسماء من يصنعون القرار.

نموت...

ولسنا نناقش كيف نموت؟

وأين نموت

فيوماً نموت بسيف اليمين

ويوماً نموت بسيف اليسار..

نموت من القهر

حرباً وسلماً..

ولا نتذكر أوجه من قتلونا

ولا نتذكر أسماء من شيعونا

فلا فرق - في لحظة الموت -

بين المجوس..

وبين التتار..

2

بلاد..
تجيد كتابة شعر المراثي
وتمتد بين البكاء.. وبين البكاء
بلاد..
جميع مدائنها كربلاء..

3

بلاد..
بكعب الحذاء تدار..
فلا من حكيم..
ولا من نبي..
ولا من كتاب..
بلاد..
بها الشعب يأخذ شكل الذباب!!
بلاد..
يدير المسدس فيها شؤون الحوار

4

بلاد يسيجها الخوف،
حيث العروبة تغدو عقاباً..
وحيث الدعارة تصبح طهراً

وحيث الهزيمة تغدو انتصاراً..

5

مبادئ.. بالرطل مطروحة
على عربات الخضار..
دساتير..
تكفل حرية الرأي.. تعرض كالفجل
في عربات الخضار
قصائد.. ليس عليها إزار
تضاجع في الليل كل خليفه..
وترضي جميع جنود الخليفه..
وترمي صباحاً كأية جيفه
على عربات الخضار..

6

بلاد.. بدون بلاد
فأين مكان القصيدة
بين الحصار، وبين الحصار؟
كأن الكتابة في مدن الملح
فعل انتحار..

7

بلاد..
تحاول أشجارها
من اليأس،
أن تتوسل تأشيرة للسفر..

8

بلاد..
تخاف على نفسها من قصيدة شعر..
ومن قمر الليل،
حين يمشط شعر المساء.
وتخشى على أمنها
من بريد الهوى..
وعيون النساء..

9

أفتش عن وطن لا يجيء..
وأسكن في لغة
ليس فيها جدار..

10

بلاد..
تعد حقائبها للرحيل
وليس هناك رصيف
وليس هناك قطار..

11

إلى أين يذهب موتى الوطن؟
وكل العقارات فيه
مخصصة لاستضافة من يحرسون الرئيس..
ومن يدلكون بزيت البنفسج صدر الرئيس..
وظهر الرئيس..
وبطن الرئيس..
ومن يحملون إليه كوؤوس اللبن..
إلى أين يذهب؟
من سقطوا في حروب الرئيس؟
وما عندهم شقة للسكن!!

12

ولو موتنا
كان من أجل أمر عظيم
لكننا ذهبنا إلى موتنا ضاحكين

ولو موتنا كان من أجل وقفة عز
وتحرير أرض..
وتحرير شعب..
سبقنا الجميع إلى جنة المؤمنين
ولكنهم.. قرروا أن نموت..
ليبقى النظام..
وأعمام هذا النظام..
وأخوال هذا النظام..
وتبقى تماثيل مصنوعة من عجين!!

13

يموت الملايين منا
ولا تتحرك في رأس قائدنا
شعرة واحدة..
ولم أك أعرف أن الطغاة
يضيقون بالآلة الحاسبه..

14

أحاول بالشعر..
أن أستعيد مرايا النهار.
وعشب الحقول،
وضوء النجوم،
ولون البحار.

وأستتبت القمح من تحت هذا الدمار.

15

أحاول بالشعر..
إنهاء عصر التخلف،
حتى أوسس عصراً جديداً
من الورد والجنار.

16

أحاول بالشعر..
تفجير عصر
وتغيير كون..
وإشعال نار..

17

بحثت طويلاً عن المتنبى
فلم أر من عزة النفس
إلا الغبار..
بحثت عن الكبرياء طويلاً
ولكنني لم أشاهد
بعصر الممالك
إلا الصغار.. الصغار..

لندن 1991

الكتابة بالحبر السري

-1-

هم يكتبون.. كأنهم لا يكتبون
ويعاصرون سقوط تاريخ..
وهم مثل الدجاج مجلدون..
ويسافرون..
بغير أقدام، على أوراقهم
ويضاجعون نساءهم ليلاً
وهم متنكرون..

-2-

وطن تناثر كالغبار أمامهم
وهم على أطلاله يتنزهون..
هم خائفون..
على أناقتهم..
وقصة شعرهم..
وعلى نشاء قميصهم..
هم خائفون

-3-

الشاربون النفط..
حتى يبدعوا..
من بعد زيت الكاز..
ماذا يشربون؟
هل هؤلاء طليعة ثورية
أم باعة متجولون؟؟

-4-

البائعون ثقافة مغشوشة
والكاتبون قصائد سرية
والراقدون بغرفة الإنعاش..
لا يتحركون..
والسائحون على ضفاف جراحنا
ماذا سيفعل هؤلاء السائحون؟
فمن المقاهي.. يعلنون حروبهم
ومن المقاهي..
يطلقون رصاصهم
وعلى كراسيها الوثيرة
يحضنون بيوضهم..
ويفرخون..
ما أجبن الثورات

تخرج من كؤوس اليانسون!!

-5-

ماذا يريد الناس الكاذبون؟
الثائرون على دفاترهم
وهم عند النظام.. موظفون
والشاهرون سيوف أحرفهم
وهم متقاعدون..
والحاملون طبولهم.. ودفوفهم..
فبكل عرس سلطوي
يدبكون.. ويرقصون..
ولكل طاغية..
يضيئون الشموع..
ويسجدون..
ويركعون...

-6-

ماذا يريد الهاربون
من الشهامة، والرجولة،
ما يريد الهاريون؟
الجالسون أمام شيطان الخليج
يدخنون..
ماذا يريد النرجسيون

الذين بحسنهم يتغزلون؟
وبشعرهم يتغزلون..
وبنثرهم يتغزلون..

-7-

الرائدون..
وليس ثم ريادة.. أو رائدون..
والجالسون أمام أبواب الجوامع..
والكنائس..
والتكايا..
يشحذون

-8-

ماذا يريد اللاعبون على اللغات
الشاطرون..
الماكرون؟
الشاهدون على جريمة شنقنا
ماذا تراهم يشهدون؟
والساكتون على اغتصاب نساءنا..
في أي يوم يغضبون؟
في آب؟ في أيلول؟ في تشرين؟

في يوم القيامة - ربما -
هم يغضبون!!

-9-

لا شيء..
في العصر البيزنطي الجديد يهزهم..
لا شيء..
في عصر الممالك الجديدة يهزهم..
لا شيء..
في عصر (المارينز) يثيرهم
كي يصرخوا..
أو يرفضوا..
أو يبصقوا..
أو يعلنوا رأياً..
فهم موتى
وماذا قد يقول الميتون؟

-10-

من هؤلاء السادة المستشرقون؟
ولأي شعب؟
أي أرض؟

أي دين؟
أي رب ينتمون؟
ما مسهم حرٌّ، ولا قرٌّ،
ولا قلقٌ، ولا أرقٌ،
ولا حزنٌ..
ولا من يحزنون..
يتكلمون.. بألف موضوع
ولا يتكلمون..
ويحركون شفاهم
ولكنهم لا ينطقون..
ويشاهدون جنازة الوطن القليل أمامهم
تمشي..
فلا يترحمون..

-11-

من هؤلاء الطارئون على مشاكل عصرنا؟
من هؤلاء الطارئون؟
هم يزعمون بأنهم سيغيرون خريطة الدنيا..
وهم متخلفون..
وبأنهم سيحررون الفكر والإنسان في كلماتهم
وهم على كل الموائد يخدمون..
وبأنهم عربٌ غطاريقٌ
وهم مستعربون..

-12-

من هؤلاء
الخائفون على طراوة جلدهم؟
وعلى تناسق خصرهم
وعلى أنوثة صوتهم
من هؤلاء المترفون؟
هل هؤلاء طليعة ثورية؟
أم باعة متجولون؟؟

الفهرس

4	هوامش على دفتر النكسة
18	هوامش على دفتر الهزيمة
28	الديك
32	من يوميات شقة مفروشة
39	تاريخنا ليس سوى إشاعة
47	البحث عن سيدة اسمها الشورى
54	إلى أين يذهب موتى الوطن ؟
62	الكتابة بالحبر السري

جميع حقوق النقل الإلكتروني محفوظة لـ — :

ahmed15091981@yahoo.com

ومدونة العلم هو القوة

<http://nermeen.nireblog.com>

يوميات امرأة لا مبالية

نزار قباني

ثوري ! . أحبّك أن تتّوري..
ثوري على شرق السبايا . والتكايا .. والبخّور
ثوري على التاريخ ، وانتصري على الوهم الكبير
لا ترهبي أحداً . فإن الشمس مقبرة النسور
ثوري على شرق يراك وليمة فوق السرير..

نزار

قصة اليوميات

"يوميات امرأة لا مبالية" هو كتابكّن. هو كتاب كل امرأة حكم عليها هذا الشرق الغبي الجاهل المعقد بالإعدام ونفذ حكمه فيها قبل أن تفتح فمها. ولأن هذا الشرق غبي وجاهل ومعقد يضطر رجل مثلي أن يلبس ثياب امرأة، ويستعير كحلها وأساورها ليكتب عنها. أليس من مفارقات القدر أن أصرخ أنا بلسان النساء، ولا تستطيع النساء أن يصرخن بأصواتهن الطبيعية.

ثم أليس من المفارقات المضحكة، أن آتي إلى قاعة الوست هول لأشرح لكن أيتها المباليات مشاكل هذه اللامبالية النفسية والجسدية..

لماذا تصمتن أيتها النساء ؟

لماذا أكل القط ألسنتكن ؟

لماذا تنتظرن من يأخذ بثأركن ولا تأخذن ثأركن بأنفسكن؟

نحن الرجال لا نعطي شيئاً. نأكل البيضة وقشرتها.

ندّعي التحضر ونحن أكثر بدائية من ضباع سيبيريا.

ندرس في جامعات أوروبا ونعود أكثر توحشاً من الماو
ماو .

نقدم الورد لعشيقاتنا وننشر رقبة شقيقاتنا بالمنشار.

نحن الرجال، نضع في فمنا السيجار ونتصرف بغريزة
الجمل .

نتمشي مع صديقتنا في حديقة عامة وفي أعماقنا تصرخ
الغابة.

نتحدث عن الحرية وفي داخلنا تصطك أبواب الحريم
وتخشخش مفاتيحه وأقفاله.

نحن الرجال، خلاصة الأنانية وشهوة التملك والاقطاع.

نحن النفاق الذي يمشي على قدمين ، والوصولية التي
تمشي على أربع.

فلماذا تسكتن علينا أيتها النساء. لماذا؟..

أليس هناك واحدة منكن ، واحدة لوجه الله ، تستطيع أن
ترد لنا الصفحة صفعتين ، والكرباج كرباجين ؟

منذ كان الرجل وهو يتحكم بكن ، بأقداركن ، بأجسادكن ،

بعواطفكن ، بدموعكن ، بلذتكن ، بفراشكن ... منذ أن كان
الرجل وهو يحتكر لنفسه كل شيء . يحتكر المعرفة
والحكمة والذكاء والدولة والسياسة والتشريع والحب
والشهوة. يحتكر حتى غطاء السرير..

ومن هنا كان لا بد من العثور على امرأة من هذا الشرق ،
تملك القدرة على الصراخ ، تملك الجرأة على التحدث عن
نفسها وعن جسدها دون أن تلطخها عقدة الذنب وفؤوس
العشيرة . كان لا بد من العثور على واحدة . امرأة واحدة .
تنتزع القفل الصدئ الموضوع على فمها وترميه في وجه
سجانها.

كان لا بد من امرأة فدائية تقبل بمحض إرادتها أن تمد
جسدها وسمعتها جسراً تمر عليه بنات جنسها إلى الضفة
الأخرى من النهر. إلى ضفة الحرية.

بحثت عنها طويلاً هذه المرأة الشجاعة.

في المدن بحثت عنها. في القرى بحثت عنها ، في الحقول
بحثت عنها. في مدارس البنات، في الجامعات، في
الجمعيات النسائية ، في حفلات عرض الأزياء حيث الحرية
تتحرك على مدى عشرة سنتيمترات فوق الركبة ولا
تتعداها إلى قلب لابسثة الثوب وإنسانيتها.

ما أضيق الحرية التي طولها عشرة سنتيمترات فقط. ما
أضيقها.

اكتشاف امرأة من هذا الطراز كان معجزة.

ووجه الإعجاز فيها أنها تتكلم وتكتب أيضاً. ليس قليلاً أبداً
أن تمارس امرأة في شرقنا النطق والكتابة .

فالمسؤولون عن سجن النساء منعوا لسانها عن الحركة.
قطعوه وأكلوه. أنسوها غريزة النطق. وصادروا منها
أدوات الكتابة.

والكتابة التي أقصدها ليست كتابة الفروض المدرسية،
وإعداد الأبحاث والأطروحات الجامعية .

الجامعيات عندنا برغم كونهن يكتبن فإنهن لا يكتبن.

برغم كونهن ينطقن فإنهن لا ينطقن. برغم كون الخنجر
مزروعاً في ظهورهن فإنهن لا يصرخن.

أنا لا أومن بحرية تنفصل عن النطق والسلوك.

حرية المرأة هي أن تسقط في الماء بكامل ملابسها لا أن
تتنزه في حديقة الجامعة وهي تتأبط الكراريس المدرسية.

الحرية جواد أبيض لا يستطيع ركوبه إلا الشجعان.

قلعة لا تفتح أبوابها إلا للمقاتلين .

العبودية سهلة. إنها جسد مشلول يتعاطى الحبوب المنومة .

أما الحرية فوجع أبدي لا يريح ولا يستريح.

في شتاء عام 1958 عثرت على هذه المرأة الكنز. أررتي جروحها. أررتي مكان المسامير على نهدتها.

أررتي آثار الكرباج على ظهرها. أررتي أوراقها. حكّت لي كل شيء.

تحدثت بلا نظام ولا ترتيب. تحدثت بشفتيها وأهدابها ودموعها وأظافرها.

تحدثت بلين وشراسة ، بطفولة ووحشية، بحقد وغفران، بكفر وإيمان، بإحتقار وسخرية، بهدوء وعصبية، بشجاعة وتحدي.

تكلمت بطلاقة من قضى آلاف السنوات ممنوعاً عن الكلام. تكلمت بحماسة طير وجد أمامه فرصة للهرب.

كانت هذه المرأة تأتيني كل مساء في شتاء عان 1958 وكنت يومئذ ديبلوماسياً في الصين.

شتاء كامل وأنا أستقبل هذه المرأة دون أن يخطر ببالي مرة أن أسألها ما اسمها؟ أين تسكن؟ ما هي مدينتها؟

كان حضورها أقوى من كل أسئلتني. وكانت قضيتها أكبر من التفاصيل والعناوين والأسماء .

وهبت هذه المرأة وأنا لا أعرف عنها سوى أنها كانت جميلة ورائعة وشجاعة.

ذهبت ولم تترك سوى بصمات صوتها على جدران حجرتي، وسوى حزمة أوراق على طاولتي على شكل جرح.

ظلت هذه اليوميات نائمة في درج طاولتي عشر سنوات.

كانت وصية صاحبته لي قبل أن تذهب، أن لا أنشر يومياتها. وبعد عشر سنوات قررت فجأة أن أخون صاحبة اليوميات وأنشر كلامها على الدنيا.

لماذا لا أخونها؟

إن ما كتبه هذه المرأة لا يخصها وحدها .

فهي عندما تتحدث عن حزنها فإنها تتحدث عن كل الحزن، وعندما تتكلم عن جسدها فإنما تتحدث عن كل الأجساد.

وعندما تتحدث عن وجدها وحبها وكرهها وشهوتها فإنما تتحدث عن وجد وحب وكره وشهوة النساء جميعاً.

من هذه الزاوية أستطيع أن أبرر خيانتني لهذه المرأة.

لأنني أعتبر هذه اليوميات مصدراً من مصادر النفع العام كالتماثيل والمتاحف والحدائق العامة يجب أن يراها كل إنسان.

نعم. لقد خنت متعمداً هذه المرأة عندما نشرت يومياتها. وللمرة الأولى أحب خيانتني وأتلذذ بمذاقها.

اليوميات عمل من أعمال السخط والتحدي.

سخط على التاريخ وتحدي له في منتصف الشارع. ثم هي رفض لوضع تاريخي واجتماعي ووراثي مهين ومستمر في زوايا كثيرة من عالمنا العربي.

قد لا ينطبق وضع اللامبالية مئة بالمئة على وضع المرأة البيروتية التي تسكن شارع الحمراء أو الدمشقية التي تقطن حي أبي رمانة، أو القاهرية التي تسكن الزمالك. فقضية المرأة الشرقية لا تنحصر بثلاث مدن وثلاثة شوارع.

لقد اخترت نموذجي من قرانا وأحيانا الشعبية وبوادينا حيث لا تزال المرأة تُقايس بالنوق والماعرز. وتوزن كأكياس الطحين، وتقوم خلال حياتها بزيارتين..

بزيارتين لا ثالث لهما. واحدة لبيت زوجها والثانية للقبر..

من أجل ماذا كتبت "اليوميات" من أجل من ؟

من أجل الحرية.

كتابي هو كتاب الحرية.

والحرية التي أطلبها للمرأة هي حرية الحب. حرية أن تقول لرجل يروق لها: "إني أحبك" دون أن تقوم القيامة عليها، ودون أن يُرمى رأسها في تنكة الزبالة.

حرية أن تقول كل ما تقوله العصافير والأرانب والحمام في حالات وجدها وعشقها والتحامها العاطفي.

أطالب بنزع الأقفال عن شفيتها، وإنهاء حالة النفاق الكبير الذي تعيش فيه.

نعم. النفاق الكبير. فالمرأة الشرقية مستودع نفاق كبير. فوجهها وجهان. ونفسها نفسان. وخارجها وداخلها متناقضان. تقول شيئاً وتضمّر غيره وتحب رجلاً وتتزوج سواه بسرعة النسائيس.

إنها تحتال على الحب وتكذب وتغشّ، لأن مجتمعنا علّمها أن تكون محتالة وكاذبة وغشاشة. وما دام مجتمعنا ينظر

إلى الحب نظرتة إلى حشيشة الكيف، وما دامت كتابة رسالة حب واحدة تكلف صاحبها الوصول إلى جبل المشنقة فسوف تستمر الازدواجية واللصومية والتهريب العاطفي، ويظل الحب في بلادنا غلاماً بلا نسب يطرق الأبواب ولا يجد من يفتح له.

نحن مجتمع بلا عافية لأننا لا نعرف أن نحب. لأننا نطارد الحب بكل ما لدينا من فؤوس ومطارق وبواريد عثمانية قديمة.

أما لماذا نشرت "اليوميات" في هذا الوقت بالذات . لماذا اخترت هذا الجو المشبع برائحة البارود والرصاص لأفجر هذه الثورة الجنسية.

السبب هو أن أي ثورة يقوم بها الجيل العربي الجديد لا تأخذ بعين الاعتبار تحرير هذا الجيل من بعبع الجنس وأفاعيه وعقده الطاحنة، تبقى ثورة في الفراغ، أي ثورة خارج الأرض وخارج الإنسان.

ما دام جسد المرأة العربية مسيَّجاً بالرعب والعيب والخرافة وما دام فكر الرجل العربي يمضغ كالجمل غلافات المجالات العارية ويعتبر جسد المرأة منطقة من مناطق النفوذ والغزو والفتوحات المقدسة، فلن يكتب لنا النصر أبداً. لأننا عاجزون عن الانتصار على أنفسنا.

مخطئ من يظن أن هزيمة حزيران كانت هزيمة عسكرية

فقط. فحزيران كان هزيمة للجسد العربي أيضاً. هذا الجسد
المحتقن، المتوتر، الشاحب الذي لا يعرف ماذا يفعل وإلى
أين يذهب.

الجسد العربي هزم لأن المحارب لا يستطيع أن يحارب إلا
إذا كان في سلام مع جسده.

نحن بحاجة إلى أن نتصالح مع أجسادنا. أن نلتقي بها،
فنحن نعيش في قارة وأجسادنا تعيش في قارة أخرى.

كل ثورة عربية جديدة يجب أن تضع في حسابها إعادة
الحوار الطبيعي بيننا وبين أجسادنا، وإعادة الحب إلى
مكانته الطبيعية كفعالية إنسانية مبدعة وخلاقة، لا كلص
خارج على القانون تلاحقه شرطة الآداب العامة.

ما لم نفتح أمام الحب الضوء الأخضر فسوف نظل
مرتبكين ومعقدين ومفلوجين على الأرض كسيارة فرغت
بطاريتها...

ما لم نفتح للحب نوافذنا فسوف نظل نباتات شوكية لا
تورق ولا تزهر. وتظل قلوبنا قارات من الملح لا يخرج
منها أي غصن أخضر.

ما لم يصبح الحب عاطفة سوية وطبيعية في بلادنا فسنظل
كلنا - رجالاً ونساء - غير طبيعيين وغير سويين
وعاجزين عن القيام بأي إنجاز حضاري عظيم.

يصدر "يوميات امرأة لا مبالية" في عصر الثورات . لذلك فإنه يحمل عنف الثورة وجرأتها واستماتتها.

تلاميذ العالم يضربون أسوار العالم القديم. يقلعون أعمدته.

تلاميذ العالم يبصقون على كل الأوثان ويركلونها بأقدامهم.

التلاميذ يريدون أن يغيروا العالم . أن يخترعوه من جديد.

العالم القديم يترنح بجامعاته وأساتذته وكتبه وفلسفاته وأخلاقياته ومواعظه.

لم يعد أحد يخاف أحداً. سقطت كل اللافتات تحت الأرجل. ولم يبق سوى لافتة واحدة يحملها الانسان المعاصر . هي لافتة الحرية. ولأنني مع الحرية حتى النفس الأخير أصدرت "اليوميات".

ولأن أصابعي حرية، وورقي حرية، وحبيري حرية، أصدرت اليوميات.

كان بإمكانني بالطبع أن أسجن اليوميات عشر سنوات أخرى في جوايري. كان بإمكانني أن أحرقها.

ولكنني لم أعود حرق أفكارى. ربما قال قائل: وهل هذا وقت الحديث عن الحب والجنس ونحن غارقون في

المأساة حتى الركب؟

ومرة أخرى أقول: إن هذا هو وقت كل شيء..

وقت الانقراض على كل شيء. لأنه الوقت الذي يحاول فيه الإنسان العربي أن يغير ويتغير.

والجنس هو واحد من همومنا الكبيرة، بل هو أكبر همومنا على الإطلاق. ولن يكون هناك تغير حقيقي إذا بقي الورم الجنسي ينهش حياتنا وجماعتنا.

نحن بحاجة إلى كسر خرافة الجنس، والنظر إليه نظرة حضارية وعلمية فليس من المعقول أن نكون على أعتاب القرن الحادي والعشرين ولا نزال ننظر إلى الجنس نظرة البدوي إلى منسف.. بكل ما فيها من ضيق وجوع وعشائرية، وننظر إلى جسد الأنثى كساحة حرب وميدان ثأر.

نريد أن نرد جسد الأنثى إليها. فهو حتى الآن ملك التاريخ والأعراف والمؤسسات الدينية والدينيوية تتصرف به على كيفها وتضع له قوانين سلوكه قبل أن يولد.

نريد أن نخلص جسد المرأة من المزايدات الأخلاقية والعنتريات . فالرجل الشرقي - وهذا أخطر ما في القضية - يربط كل أخلاقياته بجسد المرأة لا بأخلاقياته هو. فهو يكذب، ويسرق، ويزور ويقتل ويشلح على الطريق العام

ويبقى أظهر من ماء السماء حتى يعثر في درج ابنته على
مكتوب غرام فيشدها من ضفائرها، ويذبحها كالدجاجة
ويلقي قصيدة شعر أمام قاضي التحقيق.

سيقول المتزمتون إنني أحرص النساء على الحب.

الواقع أنني لا أخاف التهمة ولا أرفضها. بل إنني أباهي
بها الخلق يوم القيامة.

فالتحريض على الحب هو تحريض على السمو والنقاء
والبراءة والطفولة والعافية.

إنني أحرصكن على أجمل ما فيكن، وأظهر ما فيكن، وأنبل
ما فيكن.

أحرصكن على الارتفاع إلى مستوى الإنسان. فنحن نبقي
تحت مستوى الإنسان حتى نحب.

وهذه الليلة ستكون ليلة التحريض على الحب .
يعني ليلة الإنسانية.

هذه اليوميات وجدتها مخبوءة تحت حجر في حديقة منزل
شرقي قديم.

كانت مكتوبة على أوراق دفتر مدرسي، وبخط عصبي

نترق .. حتى لكأن الكلمات في تشنّجها أظافر حادة تمزق
لحم الورق الأبيض وتهشه..

ضمت على الأوراق يدي.

كانت باردة ، مبتلة، لاهثة كعصفور لا وطن له طار ألف
قرن تحت الثلج والمطر..

وفي غرفتي فتحت غطاء الكنز المسحور. وأوقدت ناراً ..
وبدأتُ أقرأ.

ركضت على الحروف المشتعلة كأنني أركض على جسر
من أعواد الكبريت.. كلما لمست عوداً تفجّر وفجّر غيره..

وحين انتهى الليل شممتُ في حجرتي ... وفي ثيابي
رائحة غريبة.. رائحة امرأة تحترق....

ليس جديداً أن تحترق امرأة في هذا الشرق ... فنصف
تراب صحارينا معجون برماد الصفائر الطويلة والنحور
المطعونة..

ليس جديداً - في منطق السكين والفأس - أن تُذبح امرأة
على سرير ولادتها .. أو سرير زفافها.. فنحن ندحرج
رؤوس النساء كما ندحرج أحجار النرد في مقاهينا.. وكما
نصطاد العصافير على روابيننا..

قبل شهر يار ، وبعد شهر يار ، ونحن نغتل العصافير
المؤنثة.. نسلخها، ونأكلها، ونمسح بدمائها شواربنا
المهتزة كأذيال النسائيس..

لا جديد في تاريخ إرهابنا.

ولكن الجديد أن يثور المذبوح على ذابحه، والقبر على
حافره..

الجديد أن يرفض الميت موته، وأن يعض الجرح على
نصل الخنجر..

وهذا ما فعلته صاحبة هذه اليوميات.

إنها إحدى المصلوبات على جدار التاريخ والخرافة.

ولكنها تبدو - وهي على خشبة الصلّب - أكبر من قيدها
ومن مساميرها. وأقوى من جميع صالبيها..

إن بطلّة هذه اليوميات تعرف أنها تُحتَضِر ولكنها - مع
دفتر يومياتها - تتفوق حتى على احتضارها.

الموت الصامت هو وحده الموت. أما الذين يثقون
بأظافرهم رخامات قبورهم ، ويكتبون شعراً.. على خشب
توابيتهم.. فلا أحد يستطيع أن يهزمهم.

..وبعد فهذه أوراق كتبتها امرأة لا اسم لها.. في مدينة لا اسم لها..

امرأة .. هي الأسماء جميعاً .. والمدن جميعاً ..

وأنا لم أفعل لهذه اليوميات شيئاً ، سوى أني أخرجتها من مخبئها الحجري .. ومسحت الغبار من أجنحتها .. ومنحتها الحرية.

نزار

يوميات امرأة لا مبالية

1

على دفترٍ .. سأجمعُ كلَّ تاريخي على دفترٍ ..
سأرضعُ كلَّ فاصلةٍ حليبَ الكلمةِ الأشقرِ ..
سأكتبُ لا يهمُّ لمن سأكتبُ هذه الأسطرَ ..
فحسبي أن أبوحَ هنا لوجهِ البوحِ لا أكثرَ ..
حروفُ لا مباليةٍ أبعثرها على دفترٍ ..
بلا أملٍ بأن تبقى بلا أملٍ بأن تُتشرَ ..
لعلَّ الريحَ تحملها فتزرعَ في تنقلها ..
هنا حرجاً من الزعترِ هنا كرمًا هنا بيدرٍ ..
هنا شمساً و صيفاً رائعاً أخضرٍ ..
حروفِ سوفَ أفرطها كقلبِ الخوخةِ الأحمرِ
لكلِّ سَجِينَةٍ تحيا معي في سجنِي الأكبرِ ..
حروفُ سوفَ أغرزها بلحمِ حياتنا خنجرٍ ..
لتكسرَ في تمردها جليداً كان لا يُكسرُ ..
لتخلعَ قفلَ تابوتِ أَعِدِّ لنا لكي نُقبرَ ..
كتاباتٍ أقدّمها لأيِّ مهجةٍ تُشعرُ ..
سيسعدني إذا بقيتُ غداً مجهولةَ المصدرِ ..

- 2 -

أنا أنثى .. أنا أنثى ..
نهار أتيت للدنيا وجدتُ قرارَ إعدامي ..
ولم أرَ بابَ محكمتي و لم أرَ وجهَ حكامي ..

- 3 -

عقاربُ هذه الساعة كحوتِ أسودَ الشفتين يبلغني ..
عقاربها كتعبانٍ على الحائط كمقصلةٍ كمشنقةٍ كسكينٍ
تمزقني

كلصٌ مسرع الخطوات يتبعني و يتبعني ..
لماذا لا أحطمها ؟ وكلّ دقيقةٍ فيها تحطمني
أنا امرأةٌ بداخلها توقف نابضُ الزمن ..
فلا نوّارَ أعرفه .. ولا نيسانَ يعرفني

..

- 4 -

أنا بمحارتي السوداء .. ضوءُ الشمس يوجعني
وساعةُ بيتنا البلهاء .. تعلقني و تبصقني
مجلاتي مبعثرة .. وموسيقاي تضجرني
مع الموت أعيش أنا .. مع الأطلال و الدّم
جميعُ أقاربي موتى .. بلا قبرٍ و لا كفن
أبوح لمن ولا أحداً .. من الأموات يفهمني ؟
أثور أنا على قدري .. على صدئي على عفني
و بيت كل من فيه .. يعاديني و يكرهني
أدقُّ بقبضتي الأبواب .. و الأبواب ترفضني
بظفري أحفر الجدران .. أجلدها و تجلدني
أنا في منزل الأموات فمن من قبضة الموتى يحررني ؟ !

- 5 -

لمن صدري أنا يكبر .. ؟ !
لمن كرزاته دارت ؟ .. لمن تفاحه أزهر ؟ !
لمن صحنان صينيّان .. من صدفٍ ومن جوهر ؟
لمن قدحان من ذهبٍ .. و ليس هناك من يسكر
لمن شفة منادية .. تجمّد فوقها السكر ؟

الشيطان للديدان .. للجدران لا تُقهر ؟
أرببها وضوء الشمس أسقيها سنايل شعري الأشقر

- 6 -

خلوتُ اليوم ساعاتٍ إلى جسدي .. أفكر في قضاياهُ
أليسَ له هو الثاني قضاياهُ ؟ .. وجنتهُ .. و حماهُ ..؟
لقد أهملتُهُ زمنياً .. و لم أعبأ بشكواه
نظرتُ إليه في شغفٍ .. نظرتُ إليه من أعلى زواياه
لمستُ قبابه البيضاء و غابته ومرعاه
أنا لوني حليبي كأنَّ الفجرَ قطره و صفاه
أسفتُ لأته جسدي .. أسفتُ على ملاسته
و ثرتُ على مصممه .. و عاجنه و ناحته
رثيتُ له لهذا الوحش .. يأكلُ من وسادته
لهذا الطفل ليسَ تمام عيناه
نزعتُ غلالتي عني رأيتُ الظلَّ يخرجُ من مراياه
رأيتُ النهْدَ كالعصفور لم يتعبُ جناحاه
تحررَ من قطيفته و مزقَ عنه تفتاه
حزنتُ أنا لمرآه .. لماذا الله كوره و دوره و سواه ؟ !
لماذا الله أشقاني بفتنته و أشقاه ؟
و علقه بأعلى الصدر جرحاً لستُ أنساه

- 7 -

لماذا يستبدُّ أبي ؟ .. و يرهقني بسلطته ؟ !
و ينظرُ لي كأنَّه .. كسَطِرٌ في جريدته
و يحرصُ أن أظلَّ له .. كأنِّي بعضُ ثروته
و أن أبقى بجانبه .. ككرسيٍّ بحجرته
أيكفي أنني ابنته .. و أني من سلالته ؟
أيطعمني أبي خبزاً .. أيعمرني بنعمته ؟
أكفرتُ أنا بمال أبي ؟ .. بلؤلؤه .. بفضته ؟
أبي لم ينتبه يوماً .. إلى جسدي و ثورته
أبي رجلٌ أناني .. مريضٌ في محبته
مريضٌ في تعصبه .. مريضٌ في تغنّته
يثورُ إن رأى صديقي تماذي في استدارته
يثورُ إن رأى رجلاً .. يقرب من حديقته
أبي لن يمنع التفاح .. عن إكمال دورته
سيأتي ألفَ عصفورٍ .. ليسرق من حديقته

- 8 -

على كراستي الزرقاء أستلقي بحريّه
و أبسط فوقها ساقِي في فرح و عفوِيّه

أمشط فوقها شعري .. و أرمي كل أثوابي الحريريّه
أنام أفيق عاريّه .. أسير أسير حافية
على صفحات أوراقى السماويّه
على كراستى الزرقاء .. أسترخى على كفى
و أهرب من أفاعى الجنس و الإرهاب و الخوف
و أصرخ ملء حنجرتى .. أنا امرأة .. أنا امرأة
أنا إنسانه حيّه .. أيا مدن التوابيت الرخاميه
على كراستى الزرقاء تسقط عني أفتعتى الحضاريّه
ولا يبقى سوى نهدي تكوم فوق أعطيتى كشمس استوائيه
ولا يبقى سوى جسدي يعبر عن مشاعره بلهجتة البدائيه
و لا يبقى .. و لا يبقى .. سوى الأنثى الحقيقيّه

- 9 -

أحب طيور تشرين .. تسافر حيثما شاءت
و تأخذ في حقائبها بقايا الحقل من لوز و من تين
أنا أيضاً أحب أكون .. مثل طيور تشرين
أحب أضيع .. مثل طيور تشرين
فحلوا أن يضيع المرء .. بين الحين و الحين
أريد البحث عن وطن .. جديد غير مسكون
ورب لا يطاردني .. و أرض لا تعاديني
أريد أفر من جلدي .. و من صوتي و من لغتي
و أشرد مثل رائحة البساتين
أريد أفر من ظلي .. و أهرب من عناويني

أريدُ أفرُّ من شرق الخرافة و الثعابين
من الخلفاء و الأمراء .. من كل السلاطين
أريدُ أحبُّ ..مثل طيور تشرين
أيأ شرق المشانق و السكاكين

- 10 -

صباح اليوم فاجاني .. دليل أنوثتي الأول
كتمت تمزقي ورحت .. أرقب روعة الجدول
وأتبع موجه الذهبى .. أتبعه ولا أسأل
هنا أحجار ياقوت .. وكنز لآلى مهمل
هنا نافورة جذلى .. هنا جسر من المخمل
هنا سفن من التوليب .. ترجو الأجمال الأجمال
هنا حبر بغير يد .. هنا جرح ولا مقتل
أخجل منه هل بحر .. بعزة موجه يخجل ؟
أنا للخصب مصدره .. أنا يده .. أنا المغزل

- 11 -

أسائل دائماً نفسي .. لماذا لا يكون الحب في الدنيا
لكل الناس .. كل الناس .. مثل أشعة الفجر
لماذا لا يكون الحب مثل الخبز و الخمر
ومثل الماء في النهـر
و مثل الغيم و الأمطار .. و الأعشاب و الزهر
أليس الحب للإنسان .. عمراً داخل العمر ؟
لماذا لا يكون الحب في بلدي طبيعياً ؟

كأنه زهرة بيضاء طالعة من الصخر
طبيعياً كلقيا الثغر بالثغر .. ومنساباً كما شعري على
ظهري

لماذا لا يحبّ الناس في لين و في يسر ؟
كما الأسماك في البحر .. كما الأقمار في أفلاكها تجري

لماذا لا يكون الحبّ في بلدي ضرورياً كديوان من الشعر
! ؟

- 12 -

أفكر أينما أسعد .. أنا أم ذلك الممدود سلطاناً على المقعد
سعيداً تحت فروته كربّ مطلق مفرد
أفكر أينما حرّ و من منّا طليق اليد
أنا أم ذلك الحيوان .. يلحسُ فروه الأجد
أمامي كائن حرّ يكاد للطفه يُعبد
لهذا القطّ عالمه ، له طرد ، له مسند
له في السطح مملكة و رايات له تُعقد
له حرية و أنا أعيشُ بقمقم موصل

- 13 -

أنا نهدي في صدري كعصفورين قد ماتا من الحرّ
كقدّيسين شارقين .. متهمين بالكفر
كم اضطهدا وكم جُدا .. وكم رقدا على الحجر
وكم رفضا مصيرهما .. وكم ثارا على القهر
وكم قطعاً لجامهما .. وكم هرباً من القبر
متى سيفكُ قيدهما ؟ .. متى ياليتي أدري

- 14 -

نزلتُ إلى حديقتنا .. أزورُ ربيعها الرَّاجعُ
عجنتُ ترابها بيدي .. حضنتُ حشيشها الطالعُ
رأيتُ شجيرةَ الدّراق .. تلبسُ ثوبها الفاقعُ
رأيتُ الطيرَ محتفلاً .. بعودة طيره الساجعُ
رأيتُ المقعدَ الخشبيّ .. مثلَ الناسكِ الراكعُ
سقطتُ عليه باكيةً .. كأني مركبٌ ضائعُ
أحتي الأرض يا ربّي تعبّر عن مشاعرها بشكل بارع بارع
أحتي الأرض يا ربّي لها يومٌ تحبُّ به تضمُّ حبيبها الراجع
رفوف العشب من حولي لها سبب لها دافع

فليس الزنبق الفارع و ليس الحقل ليس النحل ليس
الجدول النابع

سوى تعبير هذي الأرض غير حديثها البارع

أحسّ بداخلي بعثاً يمزق قشرتي عني و يسقي جذري
الجائع

و يدفعني لأن أعدو مع الأطفال في الشارع

أريد أريد أن أعطي كأيّ زهرة في الروض تفتح جفنها
الدامع

كأية نحلة في الحقل تمنح شهدها النافع

أريد أريد أن أحيأ بكل خلية مني مفاتن هذه الدنيا بمحمل
ليلها الواسع

و برد شتائها اللاذع

أريد .. أريد أن أحيأ .. بكل حرارة الواقع .. بكل حماقة
الواقع

- 15 -

أبي صنف من البشر
مزيج من غباء الترك و من عصبية التتر
أبي أثر من الآثار .. تابوت من الحجر
تهراً كل ما فيه .. كباب كنيسة نخر

كهارون الرشيد أبي ، جواريه ، مواليه ، تمطيه على تخت
من الطرر

و نحن هنا .. ضحايا .. سبائاه .. ماسح قصره
القدر

- 16 -

أغط الحرف بالجرح و أكتب فوق جدران من الكبريت و
الملح

و أبصق فوق أوثان عواطفها من الملح و أعينها و

منطقها من الملح

- 17 -

لماذا في مدينتنا نعيش الحبَّ تهريباً و تزويرا

و نسرق من شقوق الباب موعدا و نستعطي الرسائل و
المشاويرا

لماذا في مدينتنا ..؟ يصيدون العواطف و العصافيرا

لماذا نحن قصديرٌ و ما يبقى من الإنسان حين يصير
قصديرا ؟!

لماذا نحن أرضيون ..تحتيون .. نخشى الشمس و النورا

لماذا أهل بلدتنا يمزقهم تناقضهم
ففي ساعات يقظتهم يسبون الضفائر و التنانيرا

و حين الليل يطويهم يضمون التصاويرا

- 18 -

يعود أخي من الماخور عند الفجر سكرانا
يعود كأته السلطان، من سمّاه سلطانا
و يبقى في عيون الأهل أجملنا و أغلانا
و يبقى في ثياب العهر .. أظهرنا و أنقانا
يعود أخي من الماخور مثل الديك نشوانا

فسبحان الذي سواه من ضوعٍ و من فحمٍ رخيصٍ نحن
سوانا

وسبحان الذي يمحو خطاياهم ولا يمحو خطايانا

- 19 -

خرجتُ اليوم للشرفة على الشباك جارتنا المسيحية تحييني

فرحتُ لأنه إنسانٌ يحييني
لأنّ يداً صباحيةً .. يداً كمياهٍ تشرين
تلوّحُ لي تناديني
أيا ربّي متى تُشفى تُرى من عقدةِ الدين ؟
أليسَ الدينَ كلَّ الدين إنساناً يحييني

و يفتحُ لي ذراعِيهِ و يحملُ غصنَ زيتون

- 20 -

تُخيفُ أبي مراهقتي .. يدقُّ لها طبول الدّعر و الخطر
يقاومها .. يقاوم رغبة الخلجان يلعنُ جراءة المطر
يقاوم دونما جدوى مرور النّسغ في الزّهر
أبي يشقى إذا سألت رياح الصّيفِ عن شعري
و يشقى إن رأى نهدي يرتفعان في كبر
و يغتسلان كالأطفال تحت أشعة القمر
فما ذنبي و ذنبهما .. هما مني .. هما قدري

